بولونيا

منبت الخلاف بين الدول

ندر ان ظلم التاريخ مملكة من الممالك بمقدار ظلمه لبولونيا فقد توالت عليها الاحقاب المتتابعة وهي مسرح للحروب تعمل فيها السيوف والدماء فلا يكاد يرمم فيها حجر حتى



جلالة القيصر والقيصرة

تهدم أحجار ولا يندمل فيها جرح حتى تبدو جروح . وقد جاء في الامثال الغربية ان الطير الجميل الالوان مطمع أنظار الصياد ولذلك كانت بولونيا مطمحاً لانظار الدول المتاخمة

لها وكل منها تهم بازدرادها لقمة سائغة ولكنها غصت بها فلم تستطع هضمها وكانت البلاد شوكة في جنب الدول التي حاولت اخضاعها

تاريخها السياسي

ليس هنالك مصادر وثيقة يمكننا الرجوع اليها لدرس تاريخ بولونيا الا ما هو مدوّن عنها بعد منتصف القرن السادس للميلاد . فقد ذكر جوردنانيس المؤرخ ان شواطئ الفستولا كانت مأهولة بشعوب سلافية قبل القرن السادس للميلاد وكانوا وثنيين حتى الربع الاخير من القرن العاشر للميلاد اذ تنصر ملك بولونيا وحمل شعبه أيضاً على



شعار مملكة بولونيا في القرن السابع عشر

الدخول في الديانة المسيحية . ثم خلفه ابنه بولسلاس الاول فحكم من سنة ٩٩٢ الى ١٠٢٥ وكان ذا حظوى لدى الامبراطور أوتو الثالث (ملك الامبراطورية الرومانية المقدسة) ولكنه شهر حروباً عديدة على هنري الثاني ملك جرمانيا وعلى غراندوقية كياف

وفي أيام بولسلاس الثاني (الذي حكم من سنة ١٠٥٨ الى ١٠٨١) حصل خلاف شديد بين البلاط والكنيسة وكان سببه خلافاً شخصياً بين بولسلاس وأسقف كراكو . واشتد الخلاف حتى قتل الملك الاسقف فاغتاظ الحبر الروماني لذلك وحرم الملك بولسلاس ونفاه . فدعي شقيقه لدسلاوس ليتولى العرش الا ان البابا رفض ان يمنحه لقب ملك فبقيت بولونيا دوقية حتى أواخر القرن الثالث عشر (أي من سنة ١٠٧٩ الى سنة ١٢٩٥)

وفي سنة ١١٧٧ للميلاد تولى كازيمير الاصغر عرش الدوقية وهو الذي أمر بعقد مؤتمر لزيكا الذي أصبح أساساً لمجلس الشيوخ (السناتو) البولوني

وفي منتصف القرن الثالث عشر غزا المغول بولونيا . ومنذ ذلك الحين أخذت القبائل الجرمانية تفد الى البلاد زرافات زرافات حتى طما سيلهم واستفحل أمرهم . ومما جعل مهاجرتهم خطراً على بولونيا انهم جاءوا بشرائعهم وعاداتهم فلم يكونوا يعبأون بقوانين البلاد ولا يكترثون بتقاليد البولونيين . ولما ولي لدسلاوس القزم العرش شهر على قبائل التوتون وفرسانهم حرباً عواناً فانتصر عليهم وجعل كراكو عاصمة للبلاد وفيها اليوم ضريحه . وتبعه كازيمير الثالث (من سنة ١٣٣٣ — ١٣٧٠) وفي أيامه ازدهرت البلاد وبلغت شأواً بعيداً من الرقي وهو مؤسس جامعة كراكو الشهيرة واليه يرجع الفضل في ضم غاليسيا الى بولونيا . وهو أيضاً واضع أساس القانون البولوني ولا سيما القوانين المتعلقة باليهود

وفي سنة ١٤١٠ تجددت الحرب بين التوتون والبولونيين فكان النصر لهؤلاء . وبعد نحو نصف قرن عقد الملك كازيمير معاهدة مع التوتون استولى بموجبها على غربي روسيا وبومرانيا ومدينتي دانزيك وطورن وقعت بروسيا الشرقية بيد فرسان التوتون الذين كانوا يؤدون الجزية لكازيمير . ولكن الحوادث السياسية التي وقعت بعد ذلك أدت الى قطع كل صلة بين بولونيا وهنغاريا وبوهيميا فلم تمر بضع سنوات حتى أصبحت حكومة بولونيا بيد بضعة من الاشراف وهو ما يعرف عند علماء السياسة بالنظام الاوليغرقي

وفي سنة ١٥٠١ للميلاد ارتقى الامير اسكندر البرت الى عرش بولونيا وأراد ان يؤيد عرشه فاقترن بالاميرة هيلانة ابنة ايفان الثالث ملك روسيا . ولكن المشاكل السياسية بين بولونيا وروسيا بدأت في الحقيقة منذ ذلك الزمن وهي ترجع في الاصل الى مشاكل دينية . ففي سنة ١٥٠٦ ولي سجسمند الاول عرش بولونيا خلفاً أخاه . وكان ابن اخته البرت أميراً على مقاطعة براندنبرج وتابعاً له . واتفق ان النهضة الدينية كانت يومئذ على قدم وساق في اوربا بسبب ظهور لوثيروس وانتشار تعاليمه . فقبل الامير البرت التعاليم اللوثيرية وفسح لها المجال في امارته واهتم بنشرها . فلما رأى سجسمند ذلك سعى لمقاومة تلك التعاليم ولا سيما في دانزيك . ونشأ عن ذلك حرب بين الروس والبولونيين فاستولى الروس على سمولنسك ولكنهم انهزموا في موقعة اورشا على نهر الدنيبر وذلك في سنة ١٥١٤ . وفي تلك السنة عينها ضمت دوقية ماسوفي الى مملكة بولونيا فاتسع نطاق التجارة وتحسنت أحوال المملكة . وسعى الملك لترقية جامعة كراكو

فاخذ يحرض أبناء الاشراف على التماس العلم فيها دون غيرها من مدارس اوروبا الجامعة . وكثيراً ما اضطرهم الى العدول عن السفر الى اوروبا . ولما توفي خلفه ابنه سجسمند الثاني فحكم من سنة ١٥٤٨ — ١٥٧٢ وكان يلقب باغسطوس سجسمند . وفي أيامه كثرت الفتن والقلاقل بسبب المنازعات الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت ولم يكن سجسمند يعلم الى أي فئة يجب ان ينحاز

وفي سنة ١٥٦٩ ضُمت ليثوانيا [١] (اوليتفا) الى بولونيا وجُعلت وارسو عاصمة المملكة لافضليتها على كراكو من عدة اوجه ولكن سجسمند لم يتمتع بالاقامة بها طويلاً فانه توفي في سنة ١٥٧٢ وبموته انقرضت أسرته المعروفة باسرة ياجلوس

وعلى أثر ذلك دعي الامير هنري دي فالوا شقيق الملك كارلوس التاسع ليتولى عرش بولونيا فلبى الامير الدعوة ولكنه لم يلبث بضعة اشهر حتى هجر عرشه واسرع راجعاً الى فرنسا على امل ان يرقى عرشها لان اخاه الملك توفي . فانتخب البولونيون رجلاً من اشراف ترانسلفانيا يدعى استفانوس باتوري وولوه العرش . ثم اقترن باتوري بالاميرة حنة اخت اغسطوس سجسمند . وكان ملكاً قوي الارادة يكره روسيا وهو الذي جعل القوزاق فرقاً منظمة وادخل الجزويت الى المملكة واسس جامعة فيلنا . وفي ايامه تقلص ظل البروتستنتية ببولونيا وانخفض معها جناح الاشراف الذين كانوا ذوي نفوذ عظيم في ادارة امور المملكة

ولما توفي خلفه سجسمند الثالث ابن كارن يوحنا ملك اسوج . وكان متعصباً للديانة الكاثوليكية وقد سعى لتوحيد مملكتي اسوج وبولونيا ولكنه لم يفلح لان البروتستانت باسوج قاوموه اشد المقاومة

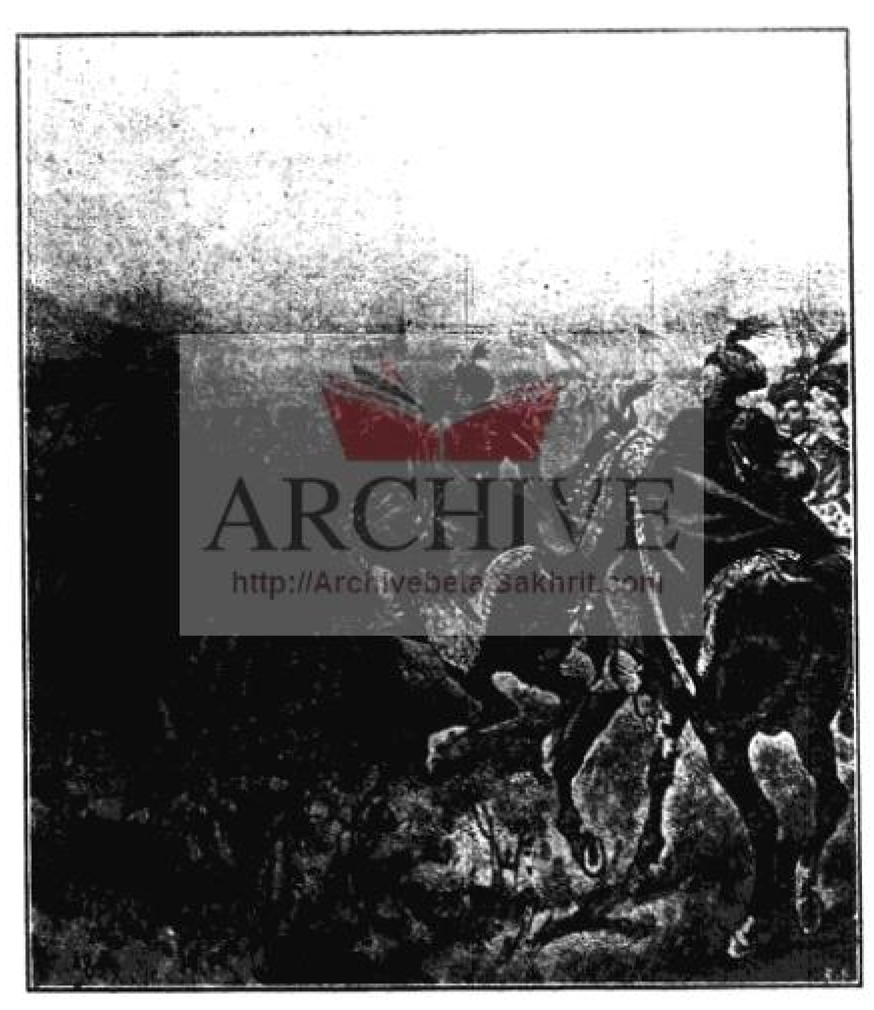
وفي سنة ١٦١٧ نودي بابنه لدسلاوس في موسكو قيصراً على روسيا ولكنه لم يكن محبوباً عند الرعية لانه كان كاثوليكياً فوقع البولونيون في سنة ١٦١٨ معاهدة دولينو الشهيرة التي تنازلوا بموجبها عن المطالبة بعرش روسيا

وكانت اسوج لا تفتأ تطالب بعرش بولونيا . في منتصف القرن السابع عشر غزا الملك كارلوس غستاف مملكة بولونيا بستين الف مقاتل فاستولى على وارسو وكراكو وهرب يوحنا كازمير ملك بولونيا الى مقاطعة سيلزيا ولم يستطع تحرير بلاده من الاسوجيين الا بعد عناء كبير

---

(١) ليثوانيا او ليتفا هي مقاطعة في الشمال الغربي من روسيا واكثرها واقع بين نهر الدوين الاسفل ونهر النيامن . وهي تشمل مقاطعات جرودنو وفيلنا وكوفنو وفيتبسك

واتفق في سنة ١٦٨٣ ان الاتراك حاولوا ان يغزوا مملكة ليوبولد الاول امبراطور جرمانيا فعقد هذا محالفة مع سوبيسكي ملك بولونيا بوساطة الحبر الروماني . وتقابل العاهلان بقرب مدينة فينا ولكن كلا منهما كان يكره ان يبادر زميله بالتحية وتظاهر سوبيسكي انه يريد ان يفتل شاربيه فظن عاهل الالمان انه يحييه فاسرع وخلع قبعته احتراماً وهكذا كان هو البادىء بالسلام



مقابلة ليوبولد ملك المانيا وسوبيسكي ملك بولونيا بقرب فينا سنة ١٦٨٣

وفي سنة ١٦٩٨ انتخب البولونيون فريدريك اغسطوس محافظ سكسونيا ملكاً عليهم . فعقد هذا معاهدة سرية مع بطرس الاكبر ملك روسيا لانتزاع لڤونيا وانجريا من يد الاسوجيين . ولكن كارلوس الثاني عشر ملك اسوج هاجمهما وتغلب عليهما فعزل فريدريك اغسطوس واقام عوضاً عنه اميراً يدعى ستانسلاوس (في سنة ١٧٠٤) ولكنه

(اي كارلوس) انهزم في معركة بلتافا في سنة ١٧٠٩ والتجأ الى تركيا فلم يبق لستانسلاوس سند في اوربا . واتفق بعد ذلك بخمسة عشر عاماً انه وقع اضطهاد عظيم على البروتستانت قتل فيه جمهور كبير منهم فاحدث ذلك استياء عظيما في اوربا

وظلت بولونيا مسرحاً للقلاقل والاضطرابات السياسية وملوكها عاجزون عن تقرير الامن في نصابه لما كان لروسيا واسوج والمانيا والنمسا من المطامع المتضاربة في بولونيا . وفي سنة ١٧٧٢ جُزئت بولونيا لاول مرة فاستولت روسيا على الجزء المعروف بروسيا البيضاء وما يليها من البلاد التي في عبر نهر الدنيبر واستولت بروسيا على مقاطعات ماريذبرغ وبومرسكا وفارميا وخولم (ما عدا دانزيك وطورن) وجانب من بولونيا الكبرى . اما النمسا فنالت البلاد المعروفة بيروسيا الحمراء (اي غاليسيا) وجانب من بودوليا وبولونيا الصغرى . ولكن هذه التجزئة لم تكن فاصلة اذ وقعت امور في سنة ١٧٩٣ افضت الى اعادة تجزئة بولونيا فوسع الروس حصتهم حتى حدود ليثوانيا وفولينا واستولت بروسيا على الجزء الباقي من بولونيا الكبرى . ثم اعيدت التجزئة للمرة الثالثة بعد حرب دموية فنالت النمسا كراكو والبلاد الواقعة بين البليكا والفستولا والبوج . واخذت بروسيا العاصمة والبلاد المنتشرة حتى ضفاف النيامن واستولت روسيا على كل ما بقي من بولونيا

وفي سنة ١٨٠٧ انشأ نبوليون بونابرت دوقية وارسو القصيرة العمر وجعل محافظ سكسونيا حاكماً عليها . ولما عقدت معاهدة فينا في سنة ١٨١٤ جزئت بولونيا مرة اخرى فاخذت النمسا غاليسيا وولشكا واخذت بروسيا بوزن وجعلت كراكو مستقلة تحت اشراف روسيا وبروسيا والنمسا ولكنها ضُمت فيما بعد الى حصة النمسا . اما بقية بولونيا فجعلت مملكة دستورية تحت سلطة قيصر روسيا

وفي سنة ١٨٣٠ حصلت ثورة يوليو الفرنسوية فاوقدت نار الفتنة في بولونيا ايضاً وانتصر البولونيون بقيادة شلوبكي في عدة معارك ولكن الروس تمكنوا من اخضاعهم فدخلوا وارسو وقلبوا حكومتها واغلقوا جامعة فيلنا الوطنية ونفوا الكثيرين من الاهالي المتشبعين من روح الوطنية فاصبحت بولونيا اذ ذاك ولاية روسية . وفي سنة ١٨٦٣ تجددت القلاقل وسببها انكسار الروس في الشرق ولكن هؤلاء تمكنوا من اخمادها في بضعة اشهر ومنذ ذلك الحين اخذت كل من المانيا وروسيا والنمسا تسعى في مزج العنصر البولوني بعنصرها الجنسي ولكنها لم تفلح وبقيت الاحوال كذلك الى ان شبت الحرب الحاضرة

اللغة والآداب

تشبه اللغة البولونية اللغة الروسية من أوجه عديدة ويقدر عدد الذين يتكلمون بها بنحو أربعة عشر مليوناً منتشرين في روسيا وبروسيا والنمسا وتركيا . وكان البولونيون قديماً يؤلفون كتبهم باللغة اللاتينية كما كانت تفعل شعوب أوربا في العصور المتوسطة اذ كانت اللاتينية لغة الكتاب والعلماء . وأول كتاب طبع باللغة البولونية هو « أمثال سليمان الحكيم » طبع في سنة ١٥٢٠

واشتهر جان دلكوش بتاريخه المطول عن بولونيا من اقدم الازمنة الى أواخر القرن الخامس عشر واشتهر غيره في العلم والانشاء والاداب وابعدهم صيتاً كوبرنيكوس الملقب بابي الفلكيين وهو واضع أساسات علم الهيئة الحديثة . واشتهر آدم مكويش بالشعر فهو اشعر شعراء بولونيا واشتهر الكونت فريدرو برواياته الهزلية . ومن اشهر الروائيين هنريك شينكيتكش مؤلف رواية كوفاديس الشهيرة وقد ذاع صيته في جميع انحاء العالم . وهنالك كتاب آخرون اجتزأنا عن ذكرهم بالتلميح اليهم

* * *

شذرات

تقذف الجيوش الفرنساوية الآن ٢٠٠٠٠٠ قنبلة في اليوم

* * *

نسبة الذين يجرحون في القتال الى الذين يموتون كنسبة اثنين الى واحد بين الضباط وكنسبة ثلاثة الى واحد بين الانفار

* * *

لا يخفى ان الغواصات اذا تجاوزت عمقاً معيناً تكون عرضة للتلف بسبب ضغط الماء الشديد . ولكن الغواصات الحديثة تتلافى ذلك بآلة ميكانيكية تمنع الغواصة من مواصلة النزول في الماء حالما يبلغ الضغط مقداراً معيناً

* * *

اشتبك الطيار الفرنسوي الشهير جيلبرت تسع مرات مع الطيارين الالمانيين وقد اتلف خمسة من طياراتهم

* * *

أهدت جمعية اصحاب معامل الفحم بالترنسفال ١٠٠٠٠٠ طن فحم الى الحكومة الانكليزية

التصوير في الاسلام

ارتقاء هذا الفن في الدول الاسلامية

تاريخ فن التصوير في الاسلام موضوع من احدث المواضيع والذها للقراء الا انه وعر شاق لمن يتصدى للكتابة فيه لقلة مصادره وضياع اخباره وتجنب بعض قدماء المؤرخين والكتاب النشر والبحث فيه لعده مكروهاً او على الاقل غير مستحب للاختلاف في تحليله وتحريمه . وسرى هذا الرأي الى كثير من الباحثين في المدنية الاسلامية حتى العصر السابق فصاروا يعجبون من كون الحضارة قد بلغت عند المسلمين شأواً بعيداً على حين انهم لم يهتموا بالتصوير ولم يكن لهم هوى فيه كما لاهل اوروبا الآن . فيحكم أولئك الباحثون بجزء طفيف اطلعوا عليه من المدنية الاسلامية بان هذا الفن (اي التصوير) كان من الفنون المهملة في الاسلام لسبب المتقدم . مع ان الاسلام لم يحرم التصوير بمعناه المعروف الآن كالتصوير بالزيت والاصباغ والصور المنقوشة على الورق وتصوير الكتب الخ . وكل الصور التي ليس لها ظل . ثم حظر الاسلام صنع التماثيل ورسم الاشخاص مجسمة على الاحجار وغيرها تفادياً من ان يرجع العرب الى الوثنية وعبادة الاصنام التي قضى عليها الاسلام . فهذا التحظير كان لحكمة سامية في ذلك الوقت . اما التصوير والرسم الذي يمثل الاجسام الى حد ما فهو مباح لا حظر فيه . وسنبين ذلك

فترى مما تقدم صعوبة هذا البحث وخطورته . الا ان العلماء في هذا العصر غيروا نظرهم ورجعوا عن ما كان شائعاً في العصر الماضي من القول بان المسلمين لم يحفلوا بفن التصوير مطلقاً وتبين لهم بمراجعة المخطوطات وتفقد الآثار انهم اشتغلوا فيه بعض الشيء

الا اننا اذا تعمقنا في البحث ودققنا النظر في كتب العرب ووقفنا على كل اقوال فطاحل مؤرخيهم المبعوثة في بطون مؤلفاتهم تبين لنا اكثر من ذلك وعلمنا انهم اشتغلوا كثيراً فيه . وسنثبت في هذا المقال اجادتهم بهذا الفن وبلوغه عندهم مبلغاً عظيماً من الاتقان وكثرة المصورين عندهم وتنافسهم في صنع انفس الصور وغرام كبار رجال الاسلام من الوزراء وغيرهم بها مثل ما في اوربا وامريكا الآن الى غير ذلك من المباحث . وسنسبق الكلام بلمحة في تاريخ فن التصوير في الاسلام والادلة على استعماله في العصور الاولى اي قبل ان نضج عندهم هذا الفن فنقول :

التصوير من الفنون الجميلة التي كانت تعرف عند العرب « بالآداب الرفيعة » وهي

ثلاثة : التصوير والشعر والموسيقى . فالتصوير كان معروفاً عند العرب ولم يكونوا يستنكفون في صدر الاسلام من اقتنائه والدليل على ذلك انه كان يرد على الصحابة اقمشة من بلاد الروم وفارس رسمت عليها صور اشخاص وغيرهم فاستعملوها في البستهم وفرشهم واثاثهم ، بل قد استعمل في صدر الاسلام الرياش والاثاث المزركش وعليه الصور والرسوم ومن جملة ذلك ابسطة عليها صور ملوك وحوادث تاريخية اسلامية . ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب انه كان في دار الخلافة ببغداد في ايام المنتصر العباسي المتوفي في سنة ٢٤٨ بساط عليه صور ملوك شتى في جملتهم يزيد بن الوليد وشيرويه بن ابرويز وقد كتب تحت صورة الاول : « صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة اشهر » وتحت صورة الثاني : « صورة شيرويه القاتل لابيه ابرويز الملك ملك ستة اشهر » (١)

التصوير على الابنية بالالوان

وكان القصر العظيم الذي بناه احمد بن طولون في القطائع وزاد فيه ابنه خمارويه وعمل في داره مجلساً سماه (بيت الذهب) طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول في احسن نقش واظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار قامة ونصف « صوراً في حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتي تغنيه باحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤوسهن الاكاليل من الذهب الخالص الابريز الرزين والكوادن المرصعة باصناف الجواهر وفي آذانها الاجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهي مسمرة في الحيطان ولونت اجسامها اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة » (٢)

هذا ومما يثبت اشتغال العرب بالتصوير ابان التمدن الاسلامي ما روته مجلة لغة العرب عن تنقيب الدكتور هرسفيلد في سامرا (سرّ من رأى) من الصور البارزة والملونة في آثارها فقد ذكر هذا الدكتور انه وجد على جدران الجامع الاعظم الذي بناه المتوكل على الله نقوشاً مطبوعة وتصاوير ملونة وفسيفساء وانه وجد في جملة تنقيبه « غرفاً وحجراً وردهات قد زينت جدرانها وغشيت حيطانها بتصاوير شرقية منقوشة نقشاً بارزاً او غائراً في الجص وهي في غاية البهاء والجمال . وكانها محفوظة احسن الحفظ كأن البناة قد غادروها قبل ان يدخلها اهل البحث . هذا ولا ترى النقش على الجص فقط بل انك تشاهد تصاوير ملونة في مواضع الجص الفارغة من النقوش . وهنالك ايضاً تصاوير مختلفة

(١) مروج الذهب للمسعودي ص ٣٣٣ ج ٣ من طبعة مصر سنة ١٣٠٢ (٢) خطط مصر للمقريزي ص ٣١٦ ج ١

الالوان وصور أناس كلها ملونة على أبدع مثال وهو امر في غاية الندرة في تاريخ الصناعة الاسلامية انوقية وانشائية(١) » وقد عدوا هذا الاكتشاف خطوة مهمة في معرفة تاريخ فن التصوير عند العرب . والراجح ان هذه الرسوم من صنع القرن الثالث للهجرة عند بناء سامرا لان هذه المدينة اهملت في زمن المعتضد بالله سنة ٢٨٩ وخربت من ذلك الحين وغشيها التراب حتى اخذ اهل هذا العصر بالتنقيب عن اطلالها

المصورون وارتقاء فن التصوير في العراق ومصر

فمنذ أواخر القرن الثالث للهجرة نضج فن التصوير عند العرب ولا سيما التصوير على الابنية بالالوان فقد أجادوه وانتقلوا به من دور التقليد الى طور الابتكار والابداع سواء كان في المشرق أو في الاندلس . ففي المشرق أمتاز العراق ومصر بمشاهير المصورين واجادة فن التصوير في عهد حضارة الدولتين العباسية ببغداد والفاطمية بالقاهرة . أما العراق فاشتهر على الاخص بنبوغ كثيرين من المصورين والمزوقين الذين صنعوا انفس الصور واخر الصنائع ومن اشهرهم : (ابن عزيز) المصور الكبير وقد كان في العراق مثل (القصير) في مصر وسنأتي على حكايتهما بعد . أما (البصريون) فكانت صنعتهما مشهورة في ذلك العهد لا يضارعها شيء من صنائع سواهم وقد اشتغل منهم كثير في مصر التي كانت وقتئذ كعبة الطلاب والقصاد يتبارى فيها رجال هذا الفن الجميل فيجدون من يعضدهم ويعجب باعمالهم من المغرمين بفن التصوير من كبار رجال الاسلام . وقد اشتهر فيها : (بنو المعلم) شيوخ هذا الفن وشيوخ أشهر مصوري عصرها اعني (الكتامي) و (النازوك) . ثم (القصير) وقد كان في التصوير كما ذكروا عنه مثل ابن مقلة في الخط اما ابن عزيز فكان كابن البواب . هؤلاء بعض مشاهير المصورين في الاسلام وكلهم كانوا في مصر أو جاءوا اليها . وقد وُضع لهؤلاء المشاهير وغيرهم من المصورين كتب طبقات مثل طبقات الفقهاء والشعراء والادباء والاطباء وغيرهم ككتاب « طبقات المصورين » المسمى « ضوء النبراس وانس الجلاس في اخبار المزوقين من الناس » فهذا يدل بلاشك على كثرة المصورين في الاسلام والاهتمام العظيم بهم حتى وضعوا فيهم كتب طبقات . بل مما يدل على شغف الناس ولا سيما الخاصة بالتصوير ماسنورده من وصف بعض صنائع هؤلاء المصورين امثلة لنبوغهم وصورة مصغرة لعصرهم ذلك العصر الذهبي للتصوير ، ليقف القارىء بنفسه على مبلغ رقي هذه الصناعة عندهم . وقد وقفت على هذه

(١) مجلة لغة العرب عدد سبتمبر سنة ١٩١١

الاوصاف الهامة عرضاً في المقريزي [١]. فقد ذكر مناظرة القصير وابن عزيز ومنافسهما في التصوير ايام وزارة البازوري سيد الوزراء الحسن بن علي بن عبد الرحمن وزير المستنصر الفاطمي فقد كان كثيراً ما يحرض بينهما ويغري احدهما على الآخر لانه كان احب ما اليه كتاب مصور او النظر الى صورة او تزويق . ولما استدعى ابن عزيز من العراق فافسده وكان قد اتى به في محاربة القصير لان القصير كان يشتط في اجرته ويلحقه عجب في صنعته وهو حقيق بذلك . وكان البازوري قد احضر بمجلسه القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز : « انا اصور صورة اذا رآها الناظر ظن انها خارجة من الحائط » . فقال القصير : « لكن انا اصورها فاذا نظرها الناظر ظن انها داخلة في الحائط » فقالوا هذا اعجب . ثم امرهما الوزير البازوري ان يصنعا ما وعدا به فصورا صورة راقصتين في صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كانها داخلة في الحائط وتلك كانها خارجة من الحائط . فصور القصير راقصة بثياب بيض في صورة حنية دهنها اسود كانها داخلة في صورة الحنية . وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر في صورة حنية صفراء كانها بارزة من الحنية . فاستحسن البازوري ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب »

اما صنعة (البصريين وبني المعلم) في التصوير والتزويق فقد وصفها المقريزي [٢] عند كلامه على ابواب جامع القرافة قال : « وعدتها اربعة عشر باباً . . . قدام كل باب قنطرة قوس على عمودي رخام الاثة سقوف وهو مكندج مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وانواع الاصباغ وفيه مواضع مدهونة والسقوف مزوقة ملونة كلها والحنايا والعقود التي على العمد مزوقة بانواع الاصباغ من صنعة البصريين وبني المعلم المزوقين . . . وكان قبالة الباب السابع من هذه الابواب قنطرة قوس مزوقة في منحنى حافتها شاذروان مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر اذا تطلع اليها من وقف في سهم قوسها شاخصاً رأسه اليها ظن ان المدرج المزوق كانه خشب كالمقرنص واذا اتى

(١) ولذلك [illegible] اعاجيب البحث الفني في بطون المؤلفات العديدة ولم اظفر منها بشيء حتى [illegible] في المقريزي لا يجد القارئ فيه كلاماً على تصوير او تزويق اعني بذلك عند كلامه على جامع [illegible] القرافة) ! فمن كان يظن انه يجد في مثل هذا الموضع من المقريزي كلاماً هاماً على التصوير في الاسلام [illegible] اليه احد ؟ وهذا يقفنا بالنقص المعظم في طبع مؤلفاتنا [illegible] الفهارس المتداولة لهذه المؤلفات النفيسة [illegible] فيما كان [illegible] مؤلفاتهم . وياحبذا لو سد هذا النقص [illegible] الآداب العربية) التي تنفق عليها الحكومة فيلحقوا بمثل (صبح الاعشى) [illegible] فيكون قدوة [illegible] من يقف على طبع امثال هذه الكتب

(٢) خطط مصر للمقريزي ص ٣١٨ ج ٢

الى احد قطري القوس نصف الدائرة ووقف عند اول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذي توهمه مسطحاً لا تتوّ فيه . وهذه من اخر الصنائع عند المزوقين وكانت هذه القنطرة من صنعة بني المعلم وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون »

اما (الكتامي) فاقدس ما صنعه صورة يوسف عليه السلام في الجب وهو عريان والجب كله اسود اذا نظره الانسان ظن ان جسمه باب من دهن لون الجب . وكانت هذه الصورة بدار النعمان بالقرافة

بل مما يدل على تفننهم في التصوير ابان حضارتهم واهتمام الخلفاء انفسهم به في هذا العهد ما جاء في المقريزي عن الآمر باحكام الله الخليفة الفاطمي انه لما بنى المنظرة على بركة الحبش جعل فيها دكة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة البركة



مجالس قضاة في الاندلس — نقلاً عن اطلال الحمراء

صوّر فيها كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح كتبها عند رأس ذلك الشاعر . وبجانب صورة كل شاعر رف لطيف مذهب . فلما دخل الآمر وقرأ الاشعار امر ان يحط على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً وان يدخل كل شاعر ويأخذ صرته [1] ويشبه ذلك الرفرف الذي بناه الاشرف خليل بن قلاوون وكان عالياً يشرف على الجيزة كلها وصوّر فيه امراء الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها وكان السلطان يجلس فيها

وكان الحكام يستعملون التصوير بمثابة المنشورات الآن لتحذير الناس من عمل او لحضهم عليه . فمن ذلك ما رواه المقريزي عن نساء القاهرة من استعمالهن طرزاً جديداً من الثياب (موده) كن يسمينه « البهطلة » وكان فاضحاً جداً فاسرفن في عمله حتى كان يفضل من القميص كثير على الارض وسعة الكم ثلاثة اذرع فيكلفهن مبالغ فاحشة فامر الوزير منجك بقطع اكمام النساء وقبض على جماعة منهن وركب على سور القاهرة

(١) المقريزي ٢٨٦ ج ١

صور نساء لابسات مودة « البهطلة » بهيئة نساء قد قتلن عقوبة (١)

اما الاندلس فكان التصوير فيه زاهياً زاهراً شأنه في المشرق واقدم ما وقفوا عليه من الصور الادمية على الابنية صورة مجلس قضاة وجدوه مصوراً على جدران قصر الحمراء في غرناطة (انظر الشكل السابق) ويظن انه من صنع القرن الثامن للهجرة

تصوير الكتب

اما تصوير الكتب ورسم المسائل العلمية كالنبات والبيطرة والحيوان والهندسة وغيرها فقد استعمله المسلمون بحسب الحاجة اليه . نرى مثلاً من اجادتهم في هذا الشأن من



صورة منظر من مقامات الحريري — نقلاً عن نسخة المتحف البريطاني
نجد فيها صورة ابي زيد السروجي وابنه بين يدي قاضي معرة النعمان .
ويريدون بالرجل الآخر الى اليسار الحارث بن همام

صور ورسوم كتب ابقتها لنا الايام . وهذه الصور تختلف باختلاف مواضيع الكتب فمن ذلك : (١) الصور التاريخية والادبية واقدمها كتاب كليلة ودمنة الذي عرب في القرون الاولى وشاع بين الطبقات كافة مزيناً بصور الاشخاص . ثم مقامات الحريري ومنها ثلاث نسخ مصورة : الاولى في مكتبة باريس وهي مصورة بابدع الصور وقد كتبت في القرن السادس للهجرة . والثانية في المتحف البريطاني وفيها ٨١ صورة ملونة وقد كتبت سنة ٦٥٤ هـ (انظر الشكل) . اما الثالثة فسوداتها في مكتبة المستشرق شيفر

ويضاهي هذه المقامات في القدم مخطوط عربي في مكتبة شلومبرجر من القرن السابع

(١) المقريزي ٣٢٢ ج ٢

للهجرة (١٣ للميلاد) فيه عدة صور تاريخية بينها صورة جند عربي خارج الى الحرب بجماله وافراسه وابواقه (انظر الشكل)

قال المرحوم جرجي بك زيدان ولعل هذه الصور منقولة عن صور اقدم منها . ويلي ذلك صور كثيرة في كتب مخطوطة بعد هذا التاريخ بينها صورة حصار بني النضير مرسومة في القرن الثامن للهجرة من كتاب مخطوط في المتحف البريطاني وغير ذلك من الصور

(٢) الصور الطبية — كما فعل رشيد الدين الصوري المتوفي سنة ٦٣٩ بتصوير الحشائش في كتابه الادوية المفردة . واقدم الصور التشريحية صورة تشريح العين



صورة جند عربي — رسمت في القرن السابع للهجرة

لحنين بن اسحاق مرسومة في كتابه المسمى « تركيب العين وعللها وعلاجها على رأي ابقراط وجالينوس » وهو في الخزانة التيمورية وفيه بضع صور ملونة تمثل اشكال العين

(٣) الصور الجغرافية — اي الخرائط ورسوم تخطيط الاقاليم والبلدان وهي كثيرة في مؤلفات العرب فقد استعملوها في اقدم مؤلفاتهم الجغرافية كما في كتاب الاقاليم للاصطخري وغيره . ويدخل في هذا النوع من الصور تصوير الحركات الحربية وغيرها

(٤) الصور الميكانيكية — وهي كثيرة في كتب الميكانيكا التي كانت تعرف عندهم بكتب الحيل وفيها صور الآلات الرافعة او المحركة بين ملونة وغير ملونة كما في كتاب « الحيل الروحانية ومنجانيقا الماء » الذي نشره المستشرق كارادي فو عن نسخة مخطوطة في مكتبة باريس فيها كثير من الرسوم تمثل آلات مدهشة كالتنين الصناعي والطيور

الصافرة الى غير ذلك من الصور العديدة في اصناف الكتب العربية مما يضيق المقام عن سردها اذ ليس قصدنا في هذا المقال ان نفصل الكلام على تصوير الكتب عند العرب وسرد اسماء مؤلفاتهم المصورة فلهذا بحث آخر وفي دور الكتب في مدائن العالم الكبرى امثلة كثيرة من هذه الصور ملونة تلويناً بديعاً تشهد باجادة العرب لهذا الضرب من التصوير وبكثرة استعمالهم له حتى استعملوه في تمثيل بعض الرسوم الخيالية او الدينية كصورة المعراج وصورة الصراط وغيره من الصور التي اتى بها الشعراني في كتابه الميزان



تشريح العين — من كتاب تشريح العين لحنين بن اسحاق

الخلاصة

فترى من كل ما تقدم رقي فن التصوير عند العرب في الاسلام واجادتهم له على انواعه على خلاف ما كان يظن قبلاً ونزيد على ذلك الآن انهم قد اثروا في اهل هذا الفن في هذا العصر وما قبله ونعني بهم الطليان فانه نظراً لاحتكاك اهل ايطاليا بالعرب وقد كانت لهم مدنية عظيمة في ايطاليا وصقلية اقتبسوا عنهم كثيراً من المجودات والمبتكرات العربية في التصوير والرسم والحفر وقد كان الطليان في ذلك العصر قاصرين في المدنية . وما زالت الآثار التي اقامها العرب هناك موضعاً لاعجاب علماء الآثار والفنون وقد قال بعض علماء اوربا ان الفن العربي على انواعه الذي دخل الى بلاد ايطاليا وغيرها من اوربا انما كان من جملة العوامل المؤثرة في ترقية فنونهم الجميلة

عبد الفتاح عباده

لماذا نشبت هذه الحرب ؟

تعليل علمي فلسفي

يتعذر على العاقل ان يفهم حقيقة هذه الحرب على رغم كل ما كتب عنها وعن أسبابها وفلسفتها فكلما امعنا النظر في مقدماتها ومجاريها صعب علينا ان نجد لها حلاً يرتاح اليه العقل لا سيما وانها نشبت في عصر امتاز بانتشار العوامل السلمية وترابط الامم بعضها ببعض ونشأت ظاهراً عن اسباب تافهة لا يستحق في سبيلها أن يهرق دم جندي واحد

وقد أبان لنا الكتاب الاقتصاديون وفي مقدمتهم نورمن انجل صاحب كتاب « الوهم الاكبر » [1] ان الحروب لا تجدي نفعاً مادياً وان ضررها مشترك بين الغالب والمغلوب على السواء نظراً للترابط التجاري الذي بلغته الدول بحيث تتوقف حالة الواحدة منها على حالة جارتها ٠ واقل خلل يصيب الحالة الاقتصادية في مدينة من المدن الكبرى يشعر به اهل سائر الاقطار ٠ فاذا اعتدت انكلترا على المانيا مثلاً او المانيا على انكلترا فانهما لا تكسبان شيئاً لبقاء تجارة البلاد وزراعتها في ايدي اصحابها ٠ وان الغرامة الحربية التي تفرضها الدولة الظافرة تسبب خللاً في التجارة تشعر به الدولتان على السواء ٠ وان المانيا اذا اغتصبت مستعمرات انكلترا لا تربح شيئاً يذكر لان تلك المستعمرات اصبحت مستقلة باحكامها وانكلترا تفيد منها مع كونها صاحبتها بالاسم لا يصيبها منها نفع

هذه حقائق راهنة يدركها رجال السياسة ولكنها على ما رأينا لم تكف لردع الامم الاوربية عن الاشتباك في حرب طاحنة يشيب من هولها الولدان ٠ فما سبب هذا الجنون الشامل الذي هب على العالم المتمدن فنشر في ربوعه الفقر والجوع والخراب ؟

كل شيء في العالم يسير على قوانين معينة — حتى الجنون ٠ فلا بد من باعث خفي دفع الامم الى هذا الاضطراب الهائل . فلنبحث عنه

اذا قارنا بين بواعث هذه الحرب والحروب الماضية تعذر علينا ان نجد بينها اوجه شبه وجيهة بل ان معظم اسباب الحروب الماضية ليس لها الا اثر ضئيل في مقدمات هذه الحرب . فانها لم تنشأ عن مجرد ارادة ملك أو ملوك كما كانت الحال في الحروب الماضية

(١) نشرنا ملخص هذا الكتاب الشهير في الجزئين السابع والثامن من السنة العشرين للهلال وقد طبع ايضاً على حدة

اذ لا بد للملك اليوم من الرجوع الى الشعب والاخذ برأيه . ولم تنشأ عن أسباب ادبية كالحرب الاهلية الاميركية لتحرير الزنوج . ولا عن اسباب دينية كالحروب الصليبية . ولا عن اسباب اقتصادية او تجارية كضيق البلاد على اهلها ونضوب موارد الرزق ونحو ذلك فان الحالة الاقتصادية قبيل الحرب كانت على احسن ما يرام [1]

كل ذلك يدل على أننا يجب ان نبحث عن جذور الحرب في اعماق الطبيعة البشرية . ومن هذا البحث يتضح لنا ان هذه الحرب جاءت نتيجة لمقدمات معينة وان وقوعها كان أمراً مقضياً بالنظر الى ما كانت عليه المعيشة في البلاد المتمدنة

اضرار التمدن الحديث

لا جدال في ان الاجتماع البشري قد انقلب نظامه في هذا العصر وان الاختراعات والاكتشافات الحديثة قد أحدثت انقلاباً عظيماً في علاقات الناس بعضهم ببعض . ولكن الافراد الذين يتألف منهم المجتمع الانساني لم تتغير صفاتهم وأخلاقهم . فمع ان الهيئة الاجتماعية في القرن العشرين غير الهيئة الاجتماعية في العصور القديمة نجد ان الانسان اليوم في حدّ ذاته لا يفرق عن الانسان في أول التاريخ بما يستحق الذكر

فنظرنا الى الحرب يختلف حسب الموقف الذي نتخذه : فاذا نظرنا اليها من الوجهة الاجتماعية وجدنا ان النظام الاجتماعي الحاضر بما بلغه من الارتباط المتين بين الامم لا يتفق مع الحرب ولا يفقه لها معنى . ولكننا اذا درسنا الافراد وحاجاتهم وغرائزهم وتأثير هذه المدنية في حياتهم وجدنا ان الحروب ضرورية

والغريب ان أحوال المعيشة في هذا العصر الذي نسميه عصر الارتباط المادي والادبي عصر السلام والتآخي والحرية كانت من أكبر المحرضات على هذه الحرب . نعم ان انسان اليوم لا يشعر مباشرة بحب الحرب بل ينفر منها ولكن هناك عوامل خفية تعمل في حياته بدون ان يدري بها واليك تفصيل ذلك :

ان البيئة التي يربى فيها انسان اليوم والاحوال التي تكتنف نموه تأول جميعها الى جعله شديد الانفعال حتى كان دماغه أصبح مستودعاً لمواد سريعة الالتهاب تنفجر عند أول فرصة تسنح . ولكي نتثبت من صحة هذا القول يكفي ان نلقي نظرة اجمالية على حياة الشعوب المتمدنة . فأول ما نلاحظه هو ان المدن أصبحت مراكز حياة الامم حالة

---

(١) قدر مجموع التجارة في العالم في سنة ١٩١٣ بنحو ٨٤٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه منها ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ للتجارة الالمانية (الصادر والوارد) و ١٣٨٠٠٠٠٠٠٠ للتجارة الانكليزية

كون المزارع والحقول تهجر تدريجاً . ولا يخفى ان كل ظواهر حياة المدن من مسارح وقهوات وسينماتوغرافات ومجتمعات الخ تدفع الانسان الى تحميل عقله وعواطفه وحواسه أكثر من طاقتها . فالحياة في المدن عبارة عن انهماك وازدحام وتنازع على الدوام تجبر الانسان ان يكون متنبهاً متيقظاً بلا انقطاع . زد على ذلك تأثير المنبهات والسموم التي تعود الناس تداولها في هذا العصر كالكحول والقهوة والتبغ والشاي والمورفين وغيرها فكل هذه العوامل تحمل الانسان فوق مقدرته وتأول غالباً الى ارتكاب الجرائم والمنكرات والى حوادث الجنون والانتحار

ظلّ الانسان — كسائر الحيوانات — الى زمن غير بعيد يعيش على نمط قريب من الطبيعة ثم ما برح يبتعد عنها شيئاً فشيئاً حتى أصبح كما نراه اليوم وقد كاد ينسى انه حيوان قبل كل شيء . وما هذا الانقلاب الا نتيجة نموّ دماغه وتفوقه في مضمار القوى العقلية . فان سنّة النشوء والارتقاء التي ما برحت تعمل في أجسام الحيوانات قد تحول فعلها في الانسان الى الدماغ فهذبته وأجلته . وبعبارة أخرى فالانسان يرتقي ارتقاء عقلياً لا جسدياً

وما برح هذا الارتقاء العقلي تتضاعف سرعته مع الايام (كما يتضاعف زخم الجسم الساقط الى الارض) حتى بلغ حالته الحاضرة المدهشة وقد يصعب علينا قدرها حق قدرها لوجودنا فيها . ولكن لنفرض ان أحد أجدادنا جاء ثانية الى هذا العالم فماذا يجد ؟ يجد الانسان متسلطاً على القوى الطبيعية لا يخشى البرق أو الرعد أو الطوفان او ما شاكل ذلك . يجده سيداً على جميع الكائنات بل يراه في غنى عن استخدام الحيوانات لقضاء حاجاته مفضلاً استخدام الكهرباء والبخار وهما يقربان المسافات ويحولان الليل الى نهار والشتاء الى صيف الى آخر ما هنالك من مدهشات هذا العصر العجيب

رد الفعل

وقد بلغ هذا التقدم أشده في نصف القرن الماضي . فتراكم العمل حتماً من جراء ذلك على مراكز الدماغ وزاد الضغط على اعصابه حتى اصبح عرضة للانفجار بين الساعة والاخرى . ذلك لان الدماغ لم يخلق في الاصل للتفكير بل لمعاونة الحيوان على البقاء . زد على ذلك ان الدماغ ليس مستقلاً في عمله بل هو مرتبط كل الارتباط بسائر اعضاء الجسم ولا بد من حفظ الموازنة بين جميع الاعضاء

من ذلك ترى انه لم يكن بد من رد فعل يعيد التوازن او بعضه الى معيشة الانسان فكانت هذه الحرب في اوربا . اما في اميركا فقد اتخذ رد الفعل صورة اخرى اقل عنفاً

نعني الانهماك لحد الجنون في الملاهي واهمها الرقص الذي انتشر بين الاميركين انتشاراً عظيماً جداً — وليس بين الحرب والرقص فرق عظيم كما قد يتبادر الى الذهن فكلاهما من اقدم عادات الجنس البشري ونجدهما عند اقدم الشعوب جنباً الى جنب . واهم وجه شبه بينهما هو انهما مظهران من ظواهر الطبيعة البشرية الغريزية التي تنبعث من رقادها كلما تطرف الانسان في استعمال دماغه وعقله واهمل غرائزه الاولية

لم نعود بعد ان ننظر الى الامم ككائنات حية مسيرة بحسب نواميس معينة ولا تزال هذه المباحث في طفولتها ولا سيما عندنا . فمن اهم النواميس الشاملة ناموس التعويض او التعادل ومؤداه ان الانسان مؤلف من غرائز وقوى وعوامل مختلفة ينبغي لكل منها ان تتخذ مجراها الطبيعي فاذا اهملها او قاومها لا بد ان تظهر في حياته بشكل من الاشكال لاعادة الموازنة . فمتى علمنا ذلك فهمنا الداعي الى هذه الحرب

وافضل تشبيه يسهل علينا فهم هذه القضية هي ان الانسان اذا تعب في يومه تعباً عقلياً شديداً شعر باحتياج الى الرياضة البدنية . فهذه السنة التي تقضي على الفرد ان يقابل التعب العقلي بالرياضة هي نفس السنة التي تقضي على مجموع الامة اذا زاد فيها الضغط العقلي بالالتجاء الى ما يرجع هذه الموازنة . والحرب اقرب هذه الوسائل مثالاً

واذا نظرنا الى الحرب من هذه الوجهة وجدنا انها تنقذ الجنس البشري من اضرار الاجهاد العقلي والارتقاء السريع وتعيد اليه الموازنة الحيوية التي لا يحيا بدونها . فكأنها تذكّر الانسان من حين الى آخر انه حيوان وان السنن التي تسري على سائر الحيوانات لا بد ان تسري عليه ايضاً

ولكننا اذا سلمنا بهذه القضية رأينا انفسنا مجبرين على الوصول الى هذه النتيجة وهي انه ما دامت هذه المدنية باقية فلا بد ان تكثر الحروب في المستقبل لان الضغط العقلي سوف يزيد ما زالت الاحوال سائرة في سبيلها . فالجواب ان الحرب ليست المنفذ الوحيد من هذا المأزق الضيق بل يمكننا الاستعاضة عنها بامور أخرى تقوم مقامها . فان وظيفتها الرئيسية انما هي اشباع بعض الغرائز الطبيعية كحب الكفاح والمجازفة والمخاطرة والتضحية والشجاعة فاذا وجدنا ما يشبع هذه الغرائز وكيفنا طرق تربيتنا ومعيشتنا على هذا المنهج الجديد سلمنا من شر الحروب في المستقبل . وليس هذا بالامر السهل بل ينبغي له تهذيب الرأي العام مدة طويلة

ان كل المساعي في سبيل السلم العام يستحيل ان تنجح الا اذا كانت مبنية على معرفة طبائع الانسان وغرائزه معرفة تامة . فالخطأ الرئيسي في معظم الآراء الاصلاحية هو انها تحسب الانسان كما يجب ان يكون لا كما هو في الواقع

الذهب والحرب

نظرة اقتصادية اجمالية

الذهب للامة كالدم للفرد
كلاهما يدور ويحيي
سياسي

ان العوامل التي يتوقف عليها النصر في هذه الحرب كثيرة ولكن اهمها بلا نزاع المال لانه مصدر تلك العوامل وسندها الاعظم . فيجدر بنا اذن ان نبحث في موقف الدول المتحاربة من هذه الوجهة ونقابل بين غناها مستندين في ذلك الى احدث المصادر والاحصاءات . ولا بد لنا قبل الخوض في هذا الموضوع من الاتيان بتمهيد وجيز في موارد الذهب والكمية الموجودة منه في العالم فنقول :

الذهب في العالم

في اواخر القرن الخامس عشر قبل اكتشاف اميركا لم يكن باقياً في اوربا من اموال الممالك القديمة الا نحو مليار فرنك اي نحو ٤٠ مليون جنيه ربعها ذهباً وثلاثة ارباعها فضة . فلما اكتشفت مناجم المكسيك والبيرو زادت الثروة في اوربا زيادة عظيمة وبدأت من ذلك الحين النهضة العلمية والادبية والاقتصادية المسماة بالرينسانس Renaissance التي كانت في الحقيقة منشأ تمدننا الحديث . غير ان ازدياد المال فجأة سبب صعوداً هائلاً في اسعار الحاجات وكان عبء هذا الغلاء على عاتق الطبقات السفلى من الشعوب . فقد صار ثمن القمح في اوائل القرن السابع عشر عشرين ضعف ثمنه في اوائل القرن السادس عشر اي قبيل اكتشاف مناجم اميركا

ولا يخفى ان الذهب في الوقت الحاضر مزية على الفضة وسائر المعادن الاخرى وهي انه الواسطة الوحيدة للمعاملات الدولية اي بعبارة أخرى ان تجارة الدول بعضها مع بعض لا تقوم الا بالذهب لانه بخلاف الفضة يقبل في كل مكان

واليك جدولاً عظيم الاهمية يبين بالتفصيل مقدار ما استخرج من الذهب في العالم كله منذ اكتشاف اميركا وهو مأخوذ عن أوثق المصادر وادقها :

(انظر الجدول التالي)

المدة	عدد السنوات	مجموع ما استخرج
من ١٤٩٣ — ١٨٠٠	٣٠٨	١٢ ٢٨٦ مليون فرنك
من ١ ١٨ — ١٨٥٠	٥٠	٤ ٠٨١
من ١٨٥١ — ١٨٧٠	٢٠	١٣٤٥٤
من ١٨٧١ — ١٨٨٠	١٠	٥ ٨٥٦
من ١٨٨١ — ١٨٩٠	١٠	٥ ٥٧١
من ١٨٩١ — ١٩٠٠	١٠	١٠ ٨٩٠
من ١٩٠٠ — ١٩١٠	١٠	١٩ ٥٩٢
من ١٩١١ — ١٩١٤	٤	٩ ٤٧٦
المجموع	٤٢٢	٨١ ٢٠٦ مليون فرنك

فمجموع الذهب الموجود في العالم اليوم نحو ٨١ ٢٠٦ مليون فرنك وبما ان كل كيلوغرام ذهب يساوي ٣٤٤٤ فرنك و ٤٤ سنتيم فوزن هذا المبلغ ٢٣ ٥٧٥ ٩٦٦ كيلو غرام اذا اجتمعت لزم لنقلها ٢٣٥٧ عربة من عربات السكك الحديدية تحمول كل منها ١٠٠٠٠ كيلوغرام واذا وضعت في مكان واحد لزم لخزنها كلها غرفة متساوية الاضلاع يكون طول كل ضلع ١٠ امتار و ٧٠ سنتيمتر (أي في الطول والعرض والارتفاع)

ويتبين لنا من الجدول المتقدم انه في مسافة عشرين سنة فقط (من ١٨٥٠ — ١٨٧٠) استخرج من الذهب اكثر من كل ما استخرج من مناجم اميركا الى آخر القرن الثامن عشر وسبب ذلك اكتشاف مناجم كاليفورنيا واستراليا

وقد خاف بعض الاقتصاديين عاقبة الذهب الكثير حتى ان بعضهم اقترح ان لا يعتبر للتعامل ولكن رأيه لحسن الحظ لم يلق آذاناً صاغية لدى الحكومات . فقد ثبت ان هذا الاثراء السريع كان اكبر باعث على تحسين الحالة المادية والمعنوية في البلاد الاوربية . وفي سنة ١٨٨٧ اكتشفت مناجم الترنسفال الشهيرة فتلافت ما كان يخشى حصوله من قلة الذهب لاستنزاف المناجم القديمة . وما برح نتاج الذهب من ذلك الحين يزيد شيئاً فشيئاً بفضل غزارة تلك المناجم واتساع مجالها

زد على ذلك اختراع الطرق الحديثة لفصل الذهب عن المعادن والاتربة التي يكون ممتزجاً بها في الارض فقد كان ما يستخرج من الذهب الصافي لا يزيد على ٦٠ في المئة من الذهب الموجود في الارض اما اليوم فانهم يستخلصون ٩٥ في المئة منه

واذا قابلنا بين الممالك التي تنتج الذهب وجدنا ان انكلترا وحدها مع مستعمراتها

تنتج اكثر من سائر الممالك الاخرى والجدول التالي يفصل لك ذلك :

(١) انكلترا ومستعمراتها	سنة ١٩٠٤	سنة ١٩١٤
الترنسفال	٣٩٣ مليون فرنك	٨٩٨ مليون فرنك
استراليا	٤٣٨	٢٦٠
كندا	٨٨	٨٥
الهند	٥٨	٥٩
مستعمرات اخرى	٢٣	١٣٤
المجموع	١٠٠٠	١٤٣٦
(٢) الممالك الاخرى		
الولايات المتحدة	٤٣٦	٤٧٩
المكسيك	٥٤	٥٠
روسيا	١١٣	١٣٥
الممالك الاخرى	٢٠٨	٢٠٧
المجموع	٨٠٠	٨٦٦
المجموع العمومي	١٨٠٠	٢٣٠٢

فمن هذا الجدول نرى ان ٦٢ في المئة من حاصل الذهب في العالم تنتجه انكلترا ومستعمراتها . زد على هذه المزية العظيمة الشأن ان الشعب الانكليزي يملك من الاوراق المالية التي تصدر في البلاد الاجنبية ما يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ مليارا من الفرنكات وان اساطيلها التجارية تحمل على الاقل نصف بضائع ومصنوعات العالم كله . ثم انظر الى امتداد سلطانها في مشارق الارض ومغاربها والى متانة مصارفها وتشعب تجارتها الخارجية في جميع الانحاء تدرك عظمة الدولة الانكليزية وقوتها من الوجهة المالية الاقتصادية ويتضح لك السبب الذي من اجله اصبحت انكلترا اليوم شبه مصرف عظيم لضبط حسابات الممالك والشعوب بعضها مع بعض . فان كل تاجر في اي مكان كان اذا اراد ان يسدد دينا عليه في الخارج لا يرى طريقة اضمن له من ارسال المبلغ حوالة على لندن

الذهب المسكوك عند الدول

ولا يخفى ان الذهب الذي يستخرج من المناجم لا يتحول كله الى نقود بل يستعمل

بعضه لاغراض اخرى اهمها الحلى . وقد كانت تقدر منذ نحو ربع قرن بنحو ٤٠ في المئة. اي ان ٦٠ في المئة من الذهب المستخرج يُضرب نقوداً اما اليوم فيقدرون ان ما يسك من الذهب قد زاد ١٠ في المئة فاصبح ٧٠ في المئة

واذا قابلنا بين الذهب المسكوك الموجود عند الدول قبيل الحرب (المخزون منه والمتداول) اي في اواخر شهر يونيه سنة ١٩١٤ وجدنا ان مجموع قيمة النقود الموجودة في العالم تبلغ ٤٤٦٣١ مليون فرنك مقسمة كما يلي :

في اوربا	٢٨ ٦٦٧	مليون فرنك	منها :
في المانيا	٤ ٦٨٣	«	«
« انكلترا	٣ ٧٩٨	«	« (١)
« النمسا والمجر	١ ٦٩٨	«	«
« البلجيك	٣١٠	«	«
« فرنسا	٧ ٧٨٦	«	«
« ايتاليا	١ ٦٢٤	«	«
« روسيا	٥ ٩٩٦	«	«
« الصرب	٦٨	«	«
« تركيا	٤٤١	«	«
في اميركا	١٢ ٥٧٤	«	« منها :
في الولايات المتحدة	٩ ٧٦٣	«	«
وفي استراليا والجزائر المجاورة	١ ٠٣٠	«	«
وفي اسيا	١ ٣٣٥	«	«
وفي افريقيا	١ ٠٢٥	«	«

فاذا جمعنا كل ما لدى الحلفاء من المال في جهة وجمعنا في الجهة الاخرى ما عند المانيا والنمسا وتركيا وجدنا ان النسبة بين الجهتين هي كنسبة ٣ الى ١ . فان ثروة انكلترا ومستعمراتها وفرنسا وروسيا تبلغ ٢١١٢٥ مليون فرنك حالة كون ثروة المانيا والنمسا وتركيا ٦٧٩٢ مليون فرنك ولا شك ان مجرد ذكر هذه الارقام ابلغ من كل ما يقال في هذا الصدد

(١) هذا فضلاً عما عند المستعمرات الانكليزية وهو يقدر بنحو ٣٥٥٥

كشف الغيب

ما لا تراه الباصرة وتراه البصيرة

تمهيد

في بلاد الانكليز جمعية مشهورة تدعى جمعية المباحث (البسيكولوجية) وغرضها البحث في الشؤون الفلسفية وكل ما له علاقة بالظواهر الغامضة كالاستهواء ومناجاة الارواح والسبات المغنطيسي وغير ذلك من الغوامض التي لا تزال مستورة بحجب من الاسرار . والجمعية المذكورة تضم رهطاً من اشهر فلاسفة الانكليز وأعلامهم كعباً في العلوم والفنون نذكر منهم المرحوم المستر غلادستون الذي كان رئيساً لوزراء انكلترا والسر وليم كروكس العالم الطبيعي الشهير والعلامة المرحوم الدكتور واليس والسر طمسن واللورد رالي والسر اوليفر لودج والمرحوم العلامة سجويك وزوجته التي رأست الجمعية ردحاً من الزمن والمستر بلفور رئيس وزراء انكلترا سابقاً (وكان ايضاً رئيساً للجمعية مدة من الزمن) والمرحومون اللورد تنسون وجون رسكن وجيمس واطس ومئات غيرهم من علماء الانكليز وفلاسفتهم . اضف اليهم رهطاً كبيراً من علماء اوربا واميركا كمدام كوري مكتشفة الراديوم والدكتور ريشه الفرنسوي (احد رؤساء الجمعية السابقين) والعلماء برجسون وبادنهم وجانيت وريبو وهرتز ووليم جيمس وبكرج وبوديتش وغيرهم ممن يبلغ عددهم زهاء الالف والمئتين يعملون معاً على البحث في اسرار النفس الغامضة وما وراء الحجاب وقيد تصرفهم اموال طائلة اودعتها اصحاب الغيرة على العلم لـكي لا تشل الحاجة اعمالهم

وقد ألف السر باريت احد رؤساء الجمعية السابقين كتاباً موجزاً اشار به الى بعض المباحث التي تناولها الجمعية واورد كثيراً من الحوادث الغامضة التي يعسر تعليلها بالنواميس العلمية المحسوسة ولا يمكن تفسيرها الا بردّها الى حيّز الغوامض التي وراء الحجاب . ومن ذلك ما يتعلق بالكشف (clairvoyance اي) او معرفة ما وراء الحجاب ومناجاة الارواح والاستهواء والسبات المغنطيسي وخلاف ذلك . فاما السبات المغنطيسي فقد أثبته العلم والاختبار . واما بقية المباحث المومأ اليها فلا تزال في طورها الاولى وليس ثمت دلائل حاسمة على صحتها غير ما يقع من وقت الى آخر من المشاهد التي يكاد يتعذر تعليلها اذا انكرنا الكشف ومناجاة الارواح وامثالها

الكشف

وقد رأينا ان نورد هنا فذلكةً عن مسئلة الكشف وهي من اعقد المباحث البسيكولوجية وللعلماء فيها آراء متضاربة يصعب التوفيق بينها واقرارها على اساس مكين

للكشف علاقة كبيرة بالسبات المغنطيسي اذ يندر ان يكون الكاشف في حالة الصحو النفسية . وقد عرف العلماء هذه الحقيقة منذ اوائل عهدهم بهذا الفن واورد الدكتور مايو من علماء الانكليز عدة امثلة يستفاد منها ان الكاشف كان في حالة سبات مغنطيسي . ولو سئل النائم عن كيفية استطاعة كشف الغوامض ما استطاع ان يجيب جواباً شافياً فبعض الكاشفين يقولون ان باصرتهم في رؤوسهم وبعضهم انها في قلوبهم وبعضهم انها في ايديهم او ارجلهم وهلمَّ جرًّا . ولعل اقدم بحث جدي في هذا الموضوع هو بحث المؤتمر الطبي الفرنسوي في سنة ١٨٢٦ وكان قد عقد للتحقق من مسئلة المسمرزم (اي السبات المغنطيسي) فاجرى بضع تجارب أدت الى الاعتقاد بصحة السبات المغنطيسي والكشف

وقد ذكر الدكتور ريشيه العالم الفرنسوي الشهير المشار اليه آنفاً المحادثة الآتية وقد نقلناها عن المجلد السادس من سجل الجمعية . قال : —

في يوم الاثنين الواقع في ٢ يوليو من سنة ١٨٨٨ عدت من معملي ونوّمت خادمتي ليونه في الساعة الثامنة مساء ثم سألتها عن المسيو لانجلوا الذي كان مساعدي في المعمل الكيمي . ولم تكن ليونه قد شاهدته الا مرتين او ثلاثاً في كل حياتها . فقالت لي « اراه قد احرق يده » فقلت « أي يد؟ » فقالت « يده اليسرى » . فقلت « بماذا أحرقها ؟ » فقالت « لم يحرقها بالنار بل بمادة كيمية لا اعرف اسمها . لماذا لا يحترز عند تداوله هذه المادة ؟ » فقلت « وما لون هذه المادة ؟ » فقالت « ليست حمراء بل هي ضاربة الى الاشقرار . انه يتألم كثيراً من جراء الحرق وقد انتفخت يده كثيراً »

وفي الواقع انه في الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم اراد المسيو لانجلوا ان يملأ زجاجة من البرومين بدون احتراز فقاض البرومين على يده واحرقها حتى انتفخ جلد يده على رغم انه غطسها في الماء البارد . ولم تكن ليونه قد فارقت منزلي كل ذلك اليوم ولا زارها احد قط . وآخر مرة شاهدت فيها المسيو لانجلوا كانت منذ ستة اشهر . اه

وقد ذكر الدكتور اندرو لانغ احد رؤساء الجمعية ومن اشهر علماء الانكليز وكتابهم ان بين قبائل الزولو واللابلنديين وهنود اميركا وغيرهم افراداً من اقدر الكاشفين وابعدهم نظراً

وكان في اوربا في اواخر القرن السابع عشر ونصف القرن الثامن عشر عالم اسوجي شهير يدعى عمانوئيل سويدنبرغ اقام بالبلاط الاسوجي وألّف عدة كتب علمية وفلسفية ثم ادعى انه مرسل من قبل الله لهداية الناس ولا يزال له اتباع في اوربا . ويظهر من البحث في امره انه كان كاشفاً دقيقاً حتى ذاع امره واشتهر في جميع انحاء اوربا وتروى عنه حكايات غريبة نورد هنا بعضها على سبيل الايجاز

فمن ذلك ان ملكة اسوج اضمرت امراً سراً وسألته عنه فشرح لها ما اضمرته شرحاً دقيقاً ادهشها

ومن ذلك انه عندما توفي المسيو هرتفيل سفير هولندا بمدينة استوكهلم ارسل احد الصاغة يطالب زوجته بثمن بعض الاواني الفضية التي كان زوجها قد اشتراها منه . فاستغربت مدام هرتفيل اذ كانت قد سمعت من زوجها انه قد سدد ثمن تلك الاواني ولكنها لم تجد « الايصال » . فاستدعت سويدنبرغ واستشارته في الامر فانصرف ثم عاد اليها بعد ثلاثة ايام وقال لها بحضور الكثيرين : « لقد ناجيت زوجك فقال لي انه سدد ثمن ما اشتراه وان « الايصال » موجود في درج سري في الغرفة التي كان ينام فيها في اثناء حياته الارضية » . فقالت « لقد فتشت جميع الادراج فلم اعثر على شيء » فقال « ان زوجك اشار الى درج سري في الموضع الفلاني وقال لي ان « الايصال » هنالك مع عدة اوراق اخرى سرية » . واذ ذاك صعد الجميع الى الغرفة المذكورة واخذوا يبحثون عن الدرج السري في الموضع الذي وصفه لهم سويدنبرغ وبعد عناء طويل توفقوا الى اكتشافه . ثم عالجوه وفتحوه فوجدوا فيه « الايصال » وجميع الاوراق التي اشار اليها سويدنبرغ

واتفق في احد ايام شهر سبتمبر في سنة ١٧٥٩ ان سويدنبرغ وصل الى مدينة غوتنبرج قادماً من انكلترا في الساعة الرابعة بعد الظهر فعزمه صديق له للنزول عنده . وبعد وصوله بساعتين سكت بغتة ثم صاح ان ناراً هائلة قد شبت في مدينة استوكهلم (وهي تبعد نحو خمسين ميلاً عن غوتنبرج) وان لسانها يندلع بشدة . وكانت تبدو عليه اشارات القلق فيخرج ويدخل كمن به مسة من الجنون وقال ان بيت احد اصدقائه قد اصبح رماداً واقتربت النار من بيته هو . وفي الساعة الثامنة عاد الى غرفته وقال ان النار قد اخمدت بعد ان التهمت المنزل الثالث الذي قبل بيته

ولما بلغ حاكم المدينة هذه الاشاعة استدعى سويدنبرغ وسأله تفاصيل الفاجعة فاخذ سويدنبرغ يصفها له بالتدقيق مبتدئاً من حين شبوبها الى ساعة اخمادها وذكر ايضاً كم

استمرت من الزمن . وبعد يومين وصل رسول خاص من استوكهلم كان قد أوفدته نظارة التجارة عند شبوب النار وحملته رسائل تصف الحادثة وصفاً ينطبق بكل دقائقه وجزئياته على ما بسطه سويدنبرغ . ولما كان الرسول قد فارق استوكهلم على أثر شبوب النار لم يعلم باخمادها الا من سويدنبرغ . وفي اليوم التالي وصل رسول فقال ان النار اخمدت في الساعة الثامنة مساء وهي الساعة التي عينها سويدنبرغ تماماً

وجاء في سجل الجمعية انه منذ نحو سبعين سنة كان في مدينة لندن فتاة تدعى هيلانة دوسن اشتهرت بكونها رائية فقصدها الدكتور هاندز من مشاهير اطباء الانكليز واراد اختبارها . فاتخذ كل الاحتياطات التي يستطيع ان يتصورها العقل لمنع الغش او الانخداع ثم ربط عيني الفتاة ربطاً محكماً جداً وادخلها الى غرفة مظلمة لا يدخلها النور البتة . ثم وقف بعيداً عنها وسألها عما كان يحمل بيده فقالت له انها رزمة من التصاوير الملونة وهي رسوم طيور متنوعة . وذكرت له انواع الطيور والالوان المختلفة التي في كل منها . ولم يكن نفس الدكتور هاندز يعرف ما في رزمة الصور لانه تناولها من عند صديق له ولم يفتحها بل جاء بها كما هي . ولما فرغت هيلانة من الاجابة على أسئلته اراد ان يتحقق صحة كلامها فخرج الى النور وفحص الرزمة فوجدها كما وصفتها تماماً بدون ادنى خلاف

كيف تعلل هذه الحوادث

وهنا امران حريان بالاعتبار (أولهما) ان الدكتور هاندز لم يكن يعلم ما في تلك الرزمة ولو علم لقلنا ان حزر هيلانة كان من قبيل انتقال الافكار اي انها نقلت وصفها للصور عن مخيلته . والواقع ان مخيلته كانت خالية من كل صورة . (والامر الثاني) ان وجود اللون يتعلق على وجود النور فاذا انتفى النور انتفى اللون وبناء عليه فليس للالوان وجود في الظلام التام فكيف تمكنت هيلانة من معرفة الوان الصور في الظلمة ؟ هذه مشكلة يصعب تعليلها

واشتهرت هيلانة بين قومها حتى صار الكثيرون يقصدونها لاستشارتها واستخبارها عن اشياء ضائعة فكانت تجيبهم اجوبة صريحة قاطعة لا يمكن تعليلها الا بردها الى قوة الكشف

وممن اشتهر حديثاً بقوة الكشف المستر دوبز الاوسترالي أحد اعضاء جمعية المباحث البسيكولوجية وقد اختبره مراراً جمهور من اعضاء الجمعية فادهشهم بانبائه الغيبية ومما يجعل تعليل الكشف صعباً انه في حالة كون الشيء المطلوب كشفه مخلوقاً

عاقلاً قد يمكن ارجاع الكشف الى مبدأ الشعور المتبادل (أي telepathy) ولكن اذا كان الشيء المجهول غير عاقل فلا مجال للمبدإ المشار اليه وهذا مما يزيد في غموضة أسباب الكشف

وهنالك عدة امثلة غريبة نضرب صفحاً عن ذكرها اجتزاء بما اوردناه آنفاً وكلها تثبت وجود قوة الكشف أو رؤية ما لا يرى في بعض الاشخاص . وسبب امتياز بعض الافراد بهذه القوة غير معروف والارجح انه يرجع الى بنية الانسان وحالاته النفسية . ويعتقد بعض العلماء ان اصحاب المزاج الهستيري هم اصلح للكشف من غيرهم ولا نعلم مبلغ هذا الرأي من الصحة لا سيما وان المعروف عن سويدنبرغ اكبر الكاشفين انه كان من اهدأ خلق الله وابعدهم عن المزاج الهستيري

والكلام عن الكشف يحدونا الى الكلام عن اكتشاف الينابيع والمناجم بواسطة العصا المتنبئة . وقد نشرنا في الجزء التاسع من السنة الحادية والعشرين من الهلال مقالة بهذا العنوان قلنا فيها ان اول حادث معروف تاريخياً من هذا النوع يرجع الى سنة ١٥٠٠ للميلاد . وكانت العصا في ذلك الحين تستعمل لاكتشاف المعادن فقط . وكان الناس يعتقدون ان بعض المعادن تجذب انواعاً معينة من اغصان الاشجار . وفي اواخر القرن الثامن عشر صاروا يستعملون العصا لاكتشاف ينابيع المياه ايضاً فكان الكاشف يسير في الارض حاملاً عصاه بين يديه فاذا وصل الى بقعة فيها ماء التوت العصا اشعاراً بما هناك

وقد روى لنا احد القادمين من الدردنيل ان جندياً انكليزياً اكتشف ينبوع ماء في شبه جزيرة غاليبولي بواسطة العصا

أما تعليل هذه المسئلة فلا يزال في طي الكتمان فبعضهم يعزوه الى قوة الكشف وغيرهم يعزوه الى تأثير الرطوبة أو طبيعة التربة في العصا ويرده آخرون الى اسباب اخرى يطول بنا شرحها . وانا نقول انه يحتمل ان اخراج موسى للماء من الصخرة كان بواسطة العصا المتنبئة وانه بواسطة عصاه اكتشف النبع الذي شرب منه الاسرائيليون والله اعلم

ترجع الفكرة الاولى لاستخدام القطرات المدرعة الى سنة ١٨٤٩

* * *

يوجد في صفوف القتال ١٤٠ من اشراف الانكليز (لوردات) و ٢٠٠ من أولاد الاشراف

الغلط والفصيح

على ألسنة الكتّاب

ينقسم كتّاب اللغة العربية باعتبار البلاغة والفصاحة الى ثلاث فئات كبيرة : ففئة تضحّي بالفصيح في سبيل البليغ . واخرى تضحي بالبليغ في سبيل الفصيح . وثالثة تحاول أن توفّق بين الطرفين فهي أوسع منهما حيلة وأقدر على التصرف بمفردات اللغة وإلباس الكلام ثوباً من الفصاحة والبلاغة . ومن نكد حظ اللغة ان رهطاً من كتّابها الذين يجب أن يكونوا نموذجاً لغيرهم يدّعون ان المقصود من اللغة محض التفاهم فيعمدون في كتاباتهم الى عبارات واصطلاحات هي اقرب الى العامية منها الى الفصحى . وهم اما يفعلون ذلك جهلاً بأسرار اللغة او تعززاً لمذهبهم الذي يقضي باستعمال مفردات معظمها من اوضاع العامة وبعضها من استنباطات اصاغر الكتّاب

لا جدال في ان اللغة العربية في أشد الفقر الى فئة من ائمة يكونون سياجاً لها فيبسمون على صحيحها وينبذون فاسدها ويضيفون اليها من آن الى آن ما يقتضيه نشوء المدنية وارتقاء اسباب العمران . وبعبارة أخرى ان اللغة في حاجة الى مجمع من الائمة كالمجامع التي يسميها الافرنجة « بالاكادمي » ليدرأوا عنها الفوضى ويضيفوا اليها ما قد اصبحنا في حاجة شديدة اليه . ولسنا نعلم ما الذي يمنعنا عن انجاز هذا الامر وعندنا من رجال اللغة من يصح الاعتماد عليهم والاسترشاد بعلمهم

حدانا الى هذه الديباجة ما نشاهده من فوضى الكتاب الذين اذا حاولت اصلاح فاسدهم قالوا لك ان اللغة الحية لا تكون مقيدة بأوضاع معينة وان حصر اللغة العربية في الالفاظ التي نقلت عن لسان العرب فقط هو تعسف لا محل له . وانا لنقر معهم بان اللغة الحية يجب ان تنمو ولكن لنموها عدة شروط يجب مراعاتها والا تطرقت اليها العجمة وافسدها الدخيل . واللغة العربية في غنى عن مثل هذه الفوضى اذا عدل الكتاب عن الخطة التي لا يزالون يسلكونها حتى هذا اليوم

وقد سبق للمرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي ان حاول تطهير اللغة من الادران العالقة بها فنشر فصولاً مسهبة في هذا الموضوع وأشار الى كثير من الاغلاط التي يرتكبها جمهور الكتّاب ولكن القدر لم يمد في أجله حتى ينجز الغرض الذي كان يسعى اليه

لسنا ندعي العصمة في الكتابة فقد ارتكبنا من الخطا ما ارتكبه كل من عالج القلم

ولكن ذلك لا يمنعنا من التنبيه الى الاغلاط الشائعة على ألسنة الكتّاب وقد رأينا أن نورد هنا بعضها على سبيل المثال

فمن ذلك قولهم دوى الصوت أي انتشر دويّه . ولم يسمع الفعل من هذه المادة بهذا المعنى وانما يقال دوي الرجل يدوي دوى (يا ءي) أي مرض. ودوي صدره أي ضغن

ومثله قولهم همس في اذنه اي خاطبه همساً او هامسه لان الثلاثي يتعدى بنفسه الى الصوت فيقال همس صوته أي أخفاه

ويقولون ألفت نظره الى الامر واستلفت نظره اليه وكلاهما غلط والصحيح لفت نظره من الثلاثي المجرد

ويقولون تحصل فلان على كذا اي حصل عليه واحرزه والمأخوذ من كلامهم ان تحصل لا تتعدى بعلى فيقال تحصل الشيء اي ثبت وتجمع . وتحصل من المسئلة كذا اي استخلص منها

ويقولون استلمت الكتاب من فلان اي سلمته والمعروف ان العرب استعملت لفظ استلم بمعنى قبل (بتشديد الباء) ومنه قول الفرزدق في الحسين بن علي بن ابي طالب :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

ويقولون استغنم الفرصة اي انتهزها ولم يسمع وزن استفعل من هذا الفعل وانما يقال اغتنم الفرصة حاز لها على معنى عدها غنيمة

ويقولون استنسب الامر اي استحسنه والمأخوذ من كلام العرب قولهم استنسب الرجل اي ذكر نسبه واستنسب زيد فلاناً سأله ان ينتسب اليه

ويقولون انضبت الارض وفيه غلطان أحدهما اسناد النضب الى الارض وثانيهما استعمال الرباعي من هذا الفعل والصحيح ان يقال نضب الماء اي غار في الارض وسفل وربما قيل نضب الخصب بمعنى قلّ

ومثله قولهم امحل الارضَ فيستعملون الفعل متعدياً وهو لازم يقال امحلت الارض اي اجدبت

وكذلك قولهم انشف الماء اي نشفه ولم يسمع وزن أفعل من هذه المادة بالمعنى المراد هنا

ويقولون ضحى حياته في سبيل كذا والمعروف ان هذا الفعل يتعدى بالباء فيقال ضحى بالشاة اي ذبحها في الضحى من ايام الاضحى ثم كثر حتى قيل ذلك ولو تم الذبح في آخر النهار . وعلى كل يفضل ان يقال بذل نفسه في سبيل كذا

ويقولون اشغل فلان مركزاً عالياً ولم يسمع وزن افعل من هذه المادة في فصيح كلام العرب وقد جاء في محيط المحيط « أشغله بمعنى شغله وهي لغة جيدة أو قليلة او رديئة » وعندنا أنها لغة رديئة لعدم ورودها في الكتب الفصحى . وقد استعملها صاحب محيط المحيط في مادة جمع فقال جمع القوم . . . اي أشغلهم بالحديث فامسكهم عن التحول ولعلها زلة قلم

ويقولون توفر لديه المال وقد توفرت الشروط اللازمة والصحيح توافر المال وتوافرت الشروط لان وزن تفعل من هذه المادة يتعدّى بعلى . يقال توفر عليه توفراً رعى حرماته وصرف همته اليه

ويقولون ارجوك ان تفعل كذا والصحيح ان هذا الفعل يتعدى الى الشيء لا الى الشخص فيقال رجا الرجل الشيء اي امّل به ضد يئس منه . وفي سورة نوح ما لكم لا ترجون لله وقاراً اي ما لكم لا تخافون عظمة الله . وعليه فالصحيح ان يقال ارجو ان تفعل كذا

ويقولون غافله في الامر اي ترقب غفلته وتعمدها والصحيح تغفله من صيغة تفعل كترقب وتعمد

ويقولون هذا الامر اثر عليه اي ترك فيه اثراً والصحيح ان هذا الفعل يتعدى بفي فيقال اثر فيه . أما قولهم تأثرت منه فمن التعابير المولدة ولعله منقول عن الاصطلاحات الافرنجية

ويقولون قنن الشريعة من وزن فعّل اي سنها ويصوغون منها مصدراً فيقولون تقنين القوانين اي سنها ولم يسمع الفعل والمصدر من هذه المادة بالمعنى المذكور فاللفظتان من اوضاع العامة . ومثلهما قولهم التشريع بمعنى الشرع او الاشتراع والغريب انهم يستعملون الفعل من الوزن الثلاثي والمصدر من صيغة فعّل

ويقولون احترف فلان التجارة بمعنى اتخذها حرفة ولم تسمع صيغة افتعل من هذه المادة . ومثلها قولهم امتهن التجارة اي اتخذها مهنة وهو غلط محض

ويقولون تطوّر الشيء اي نشأ في اطوار تدرجية ويبنون من هذه المادة مصدراً فيقولون تطور الامم وتطور الاحوال وكل ذلك من الاوضاع الحديثة غير الواردة في شيء من كلام العرب

ويقولون التطخ صيته بالعار اي تلوّث به والصحيح ان يقال تلطخ به

ويقولون تفرج على الشيء اي نظر اليه وشاهده . وهي من كلام العامة او من اوضاع المولدين

ويقولون انفضح السر اي انكشف . وصحيحه افتضح من وزن افتعل

ويقولون هذا الامر يكلف كذا من المصاريف وفيه غلطان أولهما قولهم يكلف والصحيح يقتضي . وثانيهما قولهم مصاريف والصحيح نفقات لان صرف لا تأتي بمعنى انفق كما يتوهم بعض الكتاب وقد ورد في محيط المحيط قوله « وصرف المال انفاقه » وهو خطأ . وكذلك في مادة نفق وهو قوله « انفق الرجل ماله صرفه »

ويقولون فلان يحتاج كذا من المال فيعدون الفعل بنفسه وهو يتعدى بإلى فيقال يحتاج الى كذا من المال

ويقولون شطب الكتابة اذا افسدها والصحيح رمجها بتشديد الميم . وهي تفيد نفس المعنى الذي تستعمل فيه لفظة شطب العامية

ويقولون سامحك الله وسامحته فيستعملون هذا الفعل بمعنى الغفران والتجاوز عن الهفوة ولم يسمع في شيء من كلام العرب

ويقولون رخصت له ان يفعل كذا والصحيح ان هذا الفعل يتعدى بفي فيقال رخصت له في كذا اي اذنت له فيه بعد نهيي اياه عنه

ويقولون سوف لا يراه وسوف لا تقوم له قائمة وهو غلط اذ لا يجوز ان تفصل سوف عن الفعل اللاحق بها فاذا اريد النفي استعملت لن بدلاً منها فيقال لن يراه ولن تقوم له قائمة

ويقولون اصغى اليه وآذان مصغية وهي لغة رديئة والصحيح صغى اليه وآذان صاغية من الثلاثي الباءي المجرد . وقد توهمه صاحب محيط المحيط من الوواي واشتق له صيغة من وزن افعل فقال اصغى الى حديثه اصغاء استمع

ويقولون يؤسفني هذا الامر ومن المؤسف ان يقع كذا وهو غلط لان وزن افعل من هذا الفعل يفيد الاغضاب يقال آسفه اي اغضبه . والصحيح يحزنني هذ الامر ومن المحزن ان يقع هذا الامر

ويقولون تحايدته ودول متحايدة اي تجنبته ودول محايدة اذ لم تسمع صيغة تفاعل من هذه المادة

ويقولون كان قال لي وكنت رأيته وهو غلط لان فعل الكون اذا لحقه فعل ماض فصل عنه بقد . يقال كان قد قال لي وكنت قد رأيته وسيكون قد انجز عمله

ويقولون انظر ان كان فلان قد جاء وهو من التعابير الاوربية ويفيد الشرط والصحيح انظر هل جاء . وعليه قوله ليبلوني أأشكر ام اكفر

(البقية تأتي) سليم عبد الاحد

العاهات الناشئة من الحرب

كيف يستعيض اصحابها عن اعضائهم المفقودة

الحرب تترك بعدها ثلاثة جيوش :
جيش من المشوهين وجيش من الباكين
وجيش من اللصوص مثل المانى

ما اتعس منظر اوربا بعد هذه الحرب ! فانها ستترك للعالم عدداً عديداً من المشوهين واصحاب العاهات وهم لسوء الحظ يتكاثرون في كل يوم حتى ان الدول المتحاربة اخذت



جندي الماني ضرير يصنع سلالا من القش

تهتم في امرهم منذ الآن فتألفت الجمعيات المختلفة للبحث في طرق تنظيم معيشتهم والاستفادة منهم بقدر الامكان لئلا يصبحوا عبئاً على الهيئة الاجتماعية فوق اعبائها الثقيلة التي ستخلفها لها هذه الحرب

نظرة تاريخية

اهتم غير واحد من المصلحين ومحبي الخير في امر فئة المقعدين والعميان من اقدم الازمنة . ولعل اول معهد رسمي لهذا الغرض أنشىء في فرنسا سنة ١٦٥٧ . وممن اهتم بهذا الامر نابليون بونابرت وغيره من الحكام ورجال السياسة ولكن تلك المساعي لم تكن مبنية على طرق علمية وكان مجال العمل محصوراً والاعمال التي يستخدم فيها المشوهون قليلة بسبب انحطاط العلوم الطبيعية واهمال الحكومات للمصلحة الاجتماعية



رجل يصنع شعرية (فرشة) بيديه الصناعيتين

واول معهد توسع في الاستفادة من المشوهين واستخدامهم انشىء في مونيخ بالمانيا سنة ١٨٣٢ بادارة هلدر وكان مختصاً بالمقعدين وتبعه كندسن الدانماركي فانشأ معهداً في كوبنهاجن سنة ١٨٧٢ ثم ولجينوف الروسي الذي انشأ مدرسة للمشوهين في بتروغراد سنة ١٨٩٧ ثم انتشرت هذه المعاهد في جميع بلاد العالم المتمدن

غير ان كل هذه المعاهد كانت محصورة المجال لانها انما انشئت في وقت السلم . اما اليوم

فقد استدعت هذه الحرب الطاحنة انشاء جمعيات ومعاهد اخرى تنظر في هذا الامر لتتمكن من قبول جيوش المقعدين والمشوهين والعميان القادمين من ساحات القتال . وكلهم من الشبان الاقوياء الاصحاء عقلاً وجسداً

كيف يعد المشوهون للعمل

تختلف درجات التشويه اختلافاً عظيماً ولا بد في كل حادث من استعمال وسائل خاصة ملائمة له. ولكن هناك مبادئ عامة تسري على جميع الحوادث وقد لخصها احدهم بقوله : يجب قبل كل شيء اجراء فحص جسدي عام (القلب والرئتين والحواس الخ . .) لا سيما فيما يختص بالمفاصل وسلامتها والحركات التي يمكن المقعد القيام بها . ثم لا بد من



مزارع ذو رجل واحدة

اعتبار القوى الادبية بجانب القوى الجسدية وفحصها . وعلى هذا الاساس يمكن تركيب الاعضاء الناقصة او تكميلها ثم تعيين العمل الملائم لكل واحد

ولا يبرح من الذهن ان هؤلاء المشوهين كانوا اصحاء فلا بد لهم من مدة يقضونها في التمرين ليتعودوا حالتهم الجديدة كما يتعود الطفل استعمال اعضائه . ويمكننا ان نقسم اصحاب العاهات الى ثلاثة اقسام كبرى حسب درجة اصابتهم :

(١) ذوي الجروح العرضية التي يمكن مداواتها

(٢) المشوهين الذين يفتقرون الى اضافة اعضاء او اجزاء اعضاء ولا بد لهم من مدة يقضونها في التعليم والتمرين

(٣) المشوهين الذين لا يمكن استخدامهم مطلقاً

ولنبحث الآن في كل من هذه الاقسام على حدة :

(القسم الاول) ان الداخلين في هذا القسم هم المصابون بجروح يمكن مداواتها مع الوقت بدون فقد عضو من الاعضاء كالاصابات في المفاصل مثلاً وغيرها من الاصابات التي يتسبب عنها عجز عن القيام بالحركات الاعتيادية . وهي تداوى إما بالتمرين على آلات ميكانيكية خاصة او بالرياضة او بالدلك او بالكهرباء او غير ذلك حتى يعود العضو المصاب الى حالته الاصلية او ما يقرب منها

(القسم الثاني) يدخل فيه الذين فقدوا عضواً من اعضائهم كاليد او الرجل او حاسة من حواسهم كالبصر وهم احوج الى العناية والاهتمام من غيرهم وذلك يشمل ثلاثة امور متتابعة :

اولاً : يجب تهيئتهم جسدياً للعمل الذي يصلحون له بمعالجة اعضائهم المصابة وبتركيب الاعضاء الصناعية على انواع مختلفة يضيق المقام عن التوسع في وصفها وانما نكتفي بان نقول انها يجب ان تكون خفيفة بسيطة التركيب دقيقة الصنع

ثانياً : يجب تمرينهم على استعمال اعضائهم بعد ما طرأ عليها من التغيير ووضعهم في مدارس ومصانع خاصة لهذا الغرض ولا بد في هذه المدارس من المحافظة على الشروط الصحية والادبية ومراقبة التلاميذ مراقبة متواصلة

ثالثاً : واخيراً يجب وضعهم نهائياً في عمل دائم يرتزقون منه ويعيلون اهلهم اما في المخازن التجارية او المصانع او البنوك او غير ذلك حسب الاحوال . فمن كان فاقداً رجله مثلاً يمكنه ان يكون كاتباً او صرافاً او حاسباً وقس على ذلك اشغالا اخرى عديدة

(القسم الثالث) ويدخل فيه اصحاب العاهات الخطيرة فهؤلاء لا يرجى فائدة منهم للهيئة الاجتماعية فقد اصبحوا رغم ارادتهم ولسوء حظهم عالة على غيرهم

أول جيش استعمل التلغراف اللاسلكي هو الجيش الروسي في الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٦

***

في سنة ١٩٠١ لم يكن عند الانكليز غواصات مطلقاً وقد كان عددها في بدء هذه الحرب نحو الثمانين

العميان يبصرون

بواسطة آذانهم

لا يكاد يمر يوم من غير ان تأتينا الصحف العلمية بخبر مدهش حتى اصبحنا لا نرى حداً لهذه المعجزات العلمية التي تتوالى على العالم بفضل العلم الحديث القادر على كل شيء . وآخر ما سمعنا به من عجائب الاختراع آلة تجعل العميان يبصرون . . . ولكن عن طريق آذانهم . وكأننا بالقارىء لا يفقه معنى لهذا الكلام المتناقض ظاهراً . ولكن متى أتى على آخر هذه المقالة اتضح له القصد من ذلك



كيفية استعمال العين الميكانيكية

والاساس الذي بنوا عليه هذا الاختراع خاصة من خواص معدن السلينيوم الذي اكتشفه الاستاذ برزليوس في سنة ١٨١٧ [١] وهو نادر في الطبيعة ولا يوجد فيها الا مركباً مع الكبريت ممزوجاً بمعادن اخرى . وقد استفردوه فوجدوه يشبه الكبريت من حيث اختلاف خصائصه وتقلبها باختلاف طرق معالجته فيكون بعد استفراده إما صفائح شفافة ويعد عند ذلك من اشباه المعادن او يخرج قطعاً سوداء او سمراء غير شفافة تقبل التطريق ويشبه مكسرها مكسر الحديد . وآخر ما وصلوا اليه في هذا الباب انهم استفردوه

---

(١) على هذا المعدن أيضاً يتوقف نقل الصور عن بعد بالتلفون (التليفوتوغراف) . وقد فصلنا ذلك في الهلال سنة ١٨ ص ٢٩١

بشكل بلورات وهو الشكل المستعمل في الاختراع الذي نحن بصدده الآن

والخاصة التي تميز هذا المعدن عن سواه هي انه شديد التأثر من النور وانه يحول اشعة النور التي يمتصها الى اشعة كهربائية تسير على الاسلاك وتنتقل بواسطته من مكان الى آخر

فعلى هذا المبدإ تمكنوا من صنع آلة اذا وقع عليها النور حولته بواسطة المجرى الكهربائي الى اصوات ونقرات تختلف باختلاف قوة النور فاذا وضعت الآلة على كتاب ووضعت السماعة في اذن الاعمى سمع لكل حرف صوتاً مختلفاً لان تأثير النور المنعكس من الحروف يختلف باختلافها فاذا تمرن على ذلك مدة من الزمن اصبح في امكانه ان يقرأ بسهولة ما يقدم له من الكتب او الجرائد

ولم ينشأ هذا الاختراع دفعة واحدة بل تدرج شيئاً فشيئاً في سبيل التحسين — شأن معظم الاختراعات . وترجع الفكرة الاصلية لعالم فرنساوي اسمه فورنيه دالب Fournier d'Albe وهو اول من صنع آلة تتأثر من اشعة النور وتحول هذا التأثير الى اصوات يمكن تمييز بعضها عن بعض الا ان هذه الآلة في اول امرها لم تكن شديدة التأثر حتى تميز الفروق الطفيفة بين الحرف والآخر وانما كان حاملها يعرف بواسطتها هل كان في مكان مظلم ام في مكان منير ويميز طلوع الشمس ومجيء الليل ونحو ذلك . ولذلك فان هذا الاختراع مع اهميته لم يعم استعماله في الواقع

ومنذ سنة وبعض السنة حسن فورنيه دالب المتقدم آلته بحيث اصبح الاعمى اذا استعملها يميز الاحرف الكبيرة التي لا يقل حجمها عن خمسة سنتيمترات فاجتاز بذلك الخطوة الكبرى ولم يبق الا ان تزاد حاسة الآلة بحيث تصبح تميز الاحرف العادية التي لا تزيد طولها (نعني الاحرف الافرنكية طبعاً) على مليمتر ونصف مليمتر

وقد تمكن من ذلك الدكتور برون Dr. C. F. Brown الاستاذ في جامعة ولاية ايوا من الولايات المتحدة باميركا فاخترع آلة يتمكن الاعمى بواسطتها من قراءة المطبوعات الاعتيادية . ومحور هذه الآلة بضع بلورات من السلينيوم الصافي . والدكتور برون هو اول من تمكن من استفراد السلينيوم في شكل بلوري وقد كان قبلاً بشكل صفائح كما ذكرنا في ما تقدم . والبلورات اشد احساساً من الصفائح نحو مئة ضعف . ولكي نقدر النتائج العملية المؤملة من هذا الاختراع لا بد لنا من ذكر بعض التجارب التي قام بها مؤخراً الاستاذ برون في اميركا فنقول :

في اليومين الاولين من شهر يوليه (تموز) الماضي عرض المخترع آلته على مؤتمر

الجمعية الاميركية لمحبي العميان في سان فرنسيسكو . وقد جربت بنحو ثلاثين ضريراً فتمكنوا كلهم بعد استعمالها مرتين او ثلاث مرات من تمييز الحروف الآتية : A. W. L. O. I وقد تمكن احدهم واسمه ويدر في مدة قصيرة من قراءة بعض الكلمات القصيرة نحو at, the, nine ثم ان ويدر هذا ضرب على الارغن امام الحاضرين الاصوات التي تقابل كل حرف من الحروف كما يسمعها بالآلة فالحرف W مثلاً يسمع كالعلامات الموسيقية الآتية me-do-me-do-me والحرف A يشبه do-me-do . وتقدر المدة اللازمة للضرير حتى يتمكن من قراءة الصفحات بسهولة نحو شهرين من الزمن

تركيب العين الميكانيكية

ويطول بنا الشرح اذا اردنا وصف دقائق هذه الآلة العجيبة التي سميت بالعين الميكانيكية وانما نكتفي بكلمة اجمالية فنقول :



اجزاء العين الميكانيكية

اذا نظرت الى هذا الشكل وجدت ان الالة تتألف من ثلاثة اجزاء هامة وهي :

اولاً (على اليسار) الآلة الحساسة التي فيها بلورات السلينيوم

ثانياً (في الوسط) الآلة التي تلتقط المجرى الكهربائي ثم تحوله الى السماعة

ثالثاً (على اليمين) السماعة التي تُسمع بها الاصوات المتقطعة التي تقوم مقام الحروف

فالقسم الاول مؤلف اولاً من قنديل كهربائي صغير ينير الحروف الواحد بعد الآخر . فاذا انير الحرف الواحد مرت اشعته ببلورة محدبة تجمعها وتجمعها قبل ان تقع على بلورات السلينيوم لتكون اشد تأثيراً فيها . وعدد البلورات يختلف بين اثنتين او ثلاث او اكثر ولنفرض الآن ان الآلة فيها ثلاث بلورات فكل منها تتأثر بدورها .

فواحدة تتأثر من اقسام الحروف العليا والثانية تتأثر من الاقسام المتوسطة والثالثة تتأثر من الاقسام السفلى . فاذا مرَّ حرف A مثلاً امام الآلة تأثرت البلورة الثالثة في الاول لان اول ما يظهر منه قسمه السفلي ثم الثانية ثم الاولى ثم الثانية ثم الثالثة بالتتابع . وقس على ذلك سائر الحروف لكل منها تأثير مختلف على البلورات حسب شكلها الهندسي . وكل بلورة من البلورات تولد مجرى خاصاً ويسمع صوته بواسطة السماعة . ويجوز استعمال سماعتين لكل اذن سماعة او الاكتفاء بسماعة واحدة

ويبلغ وزن الآلة كلها بجميع اجزائها ٣٥ ليبرة . اما القسم الاول الذي يحتاج الى الانتقال على الصفحات فلا يزيد وزنه على ليبرتين اي اقل من كيلوغرام ولا شك انه مع تقدم هذا الاختراع سوف يقل وزن الآلة حتى يسهل نقلها

هذا وصف اجمالي لتلك الآلة الغريبة . فماذا يا ترى يجيء لنا الغد من الاختراعات الاخرى المدهشة ؟

في مدينة بور اليزابث بمستعمرة الرأس بجنوبي افريقيا تمثال اقيم خصوصاً لتخليد ذكر الخيول التي استخدمت في حرب الترنسفال سنة ١٨٩٩ — ١٩٠٢ وهو التمثال الوحيد من نوعه في العالم

***

من اغرب ما يروى عن منافع الطيور في هذه الحرب انها تنبيء الجنود في خنادقهم بقدوم غيوم الغازات الخانقة التي يرسلها نحوهم الالمان . فان الطيور حالما تشعر بها تفر من وجهها زرافات سواء في الليل او في النهار

***

الجنرال هندنبورغ من اشد المغرمين بلعبة الشطرنج

***

يبلغ عدد مكاتب البريد بالمانيا ٥٠٠٠٠ مكتب

***

يستهلك العالم كل يوم نحو اربعة ملايين ريشة من ريش الفولاذ التي تستعمل للكتابة

***

تقدر قيمة الخسارة الناجمة عن الجرذان بانكلترا بخمسة عشر مليوناً من الجنيهات سنوياً

اي اقوى البوارج الحربية ؟

سئلت مجلة السينتفيك اميركان وهي من اشهر المجلات العلمية عن رأيها في اقوى البوارج الحربية العائمة على سطح البحار فنشرت جواباً على ذلك فصلا مسهباً قابلت فيه بين اربع بوارج من طرز سوبر دردنوط وهي « كوين اليزابت » الانكليزية التي ذاع صيتها في ضرب قلاع الدردنيل والبارجة « كاليفورنيا » الاميركية « وفوزو » اليابانية « ونورفيل » الفرنسوية . وجميع هذه البوارج العظيمة (ما عدا كوين اليزابت) لا تزال في دور الصنعة ولم تنجز حتى الآن . واليك خلاصة ما قالته السينتفيك اميركان :

ان آراء المهندسين البحريين تختلف في نوع المقياس الذي يجب اتخاذه لمعرفة قوة السفن الحربية . فبعضهم يقول ان نوع المدافع وعددها هو اساس قوة السفينة . وبعضهم يقول ان تدريعها هو المقياس الصحيح . وذهب آخرون الى انه السرعة . وزعم فريق رابع انه حجم السفينة وضخامتها . وهاك جدولاً بهذه المقاييس : —

	كاليفورنيا	كوين اليزابت	نورفيل	فوزو
المدافع	١٢ عيار ١٤ بوصة	٨ من عيار ١٥ بوصة	١٦ من عيار ١٣ بوصة	١٢ من عيار ١٤ بوصة
التدريع	١٥ بوصة	١٣ بوصة	١٢ بوصة	١٢ بوصة
السرعة	٢١ عقدة	٢٥ عقدة	٢٣ عقدة	٢٣ ½ عقدة
المحمول	٣١٥٠٠ طن	٢٧٥٠٠ طن	٢٩٥٠٠ طن	٣١٠٠٠ طن

وقد وضع المهندس كرشمر الالماني قاعدة للمقابلة بين قوة البوارج الحربية وهي القاعدة التي تسير عليها معظم الدول وقد بنت السينتفك اميركان حكمها بموجبها

وللمقابلة بين قوة بارجتين حربيتين يجب فرض ثلاثة امور رئيسية وهي :

(اولا) ان البارجتين واقفتان وجهاً لوجه

(ثانياً) ان البعد بينهما نحو عشرة آلاف ذراع وهو متوسط مرمى القنابل التي تخترق الدروع (١)

(ثالثاً) ان مقدرة رجال المدفعية على اصابة الهدف متساوية في البارجتين

(١) ان مرمى المدافع البحرية الكبرى قد يبلغ الاربعين ميلا اي نحو سبعين الفاً واربع مئة يرد ولكن الخطر يقل كلما كان المرمى بعيداً

فاذا اعطينا للبارجة الكاملة رقم مئة وجب تقسيم هذا الرقم كما يأتي :

٤٠ لقوة المدافع
٣٠ لقوة التدريع
٢٠ للسرعة
١٠ للمحمول

١٠٠ المجموع

فقوة المدافع في نظر معظم المهندسين البحريين هي اهم من سواها ولذلك اعطيت المقام الاول وجعل لها (اصطلاحاً) رقم ٤٠ وسبب ذلك ان تدريع البارجة مهما كان قوياً يمكن اختراقه . وقد اعطى بعض المهندسين رقم ٦٠ لقوة المدافع و١٠ للتدريع وفضل بعضهم السرعة على قوة المدافع والتدريع فجعل لها رقم ٤٠ او ٥٠ وقلل من اهمية الاعتبارات الاخرى . وعلى كل فان قياسنا مبني على اجماع معظم المهندسين البحريين وخلاصته جعل الاهمية الاولى للمدافع فالتدريع فالسرعة فالمحمول

ولننظر في هذه الامور الاربعة بالتفصيل

اذا فرضنا ان ٢٥ في المئة من القنابل تصيب الهدف كان من ذلك ان طلقتين فقط من مدافع كوين اليزابث تصيب وستة تخطيء (لان عدد مدافعها الكبرى ثمانية) واربع طلقات من البارجة تورفيل الفرنسوية تصيب واثنتي عشرة تخطيء (لان عدد مدافعها الكبرى ستة عشر) ثم ان ثقل قنبلة كوين اليزابث ١٩٢٥ رطلاً فثقل القنبلتين اللتين تصيبان الهدف ٣٨٥٠ . وثقل قنبلة البارجة تورفيل ١٣٣٢ فثقل الاربع القنابل التي تصيب الهدف ٥٣٢٨ رطلاً . وهذا يجعل الافضلية في الظاهر للبارجة تورفيل ولكن الحقيقة خلاف ذلك لان هنالك امراً مهماً يجب اعتباره وهو ان قنبلة البارجة كوين اليزابث اكبر من قنبلة البارجة تورفيل بنحو ٥٠ في المئة كما رأيت فالمفرقعات التي فيها اكبر واهول فعلاً ولا يخفى ان العطل يزداد زيادة هندسية بنسبة حجم المفرقعات وسرعة اندفاعها وقوة اختراقها وبناء على هذه النسبة يعبر عن قوة الضرر الناشيء عن طلقتين مصيبتين من مدافع كوين اليزابث برقم ٥٥٦٤ . والضرر الناشيء عن اربع طلقات مصيبة من مدافع البارجة تورفيل برقم ٥٣٢٨ . وعلى هذا القياس يكون لكل من البارجتين فوزو اليابانية وكاليفورنيا الاميركية رقم ٤٤١٤

ينتج عن ذلك ان البارجة كوين اليزابث تنال رقم ٤٠ لقوة مدافعها (وهو الرقم الكامل كما بينا سالفاً) وتليها البارجة تورفيل ولها رقم ٣٨٣٠ . ثم البارجتان كليفورنيا

الاميركية وفوزو اليابانية ولكل منهما رقم ٣١٧٣

أما في قوة التدريع فالبارجة كليفورنيا تفوق البوارج الاخرى لان ثخن درعها ١٥ بوصة وتليها البارجة كوين اليزابت ثم البارجتان تورڤيل وفوزو وهما متعادلتا الدروع

أما في السرعة فالبارجة كوين اليزابت تسبق الجميع ولذلك يجب اعطاؤها الرقم (العلامة) الكاملة وهي ٢٠ كما فرضنا سابقاً . وتليها البارجة تورڤيل ورقمها ١٨٫٤ . فالبارجة فوزو ورقمها ١٨ . فالبارجة كليفورنيا ورقمها ١٦٫٨

بقيت مسألة المحمول وهي الاخيرة في اعتبار المهندسين البحريين . والبارجة كليفورنيا الاسبقية فيها وتليها البارجة فوزو فالبارجة تورڤيل فالبارجة كوين اليزابت

والخلاصة اننا اذا جمعنا الاعتبارات الاربعة المذكورة بحسب الارقام (العلامة) المفروضة كان لنا من ذلك ما يأتي :

كوين اليزابت	٩٤ ٧٧
تورڤيل	٩٠ ٠٦
كليفورنيا	٨٨ ٥٣
فوزو	٨٣ ٥٧



البندقية المنحنية

اخترع احد سكان مدينة فيلادلفيا بندقية منحنية اذا صحت كان لها شأن عظيم في هذه الحرب . وهي عبارة عن بندقية اعتيادية طويلة مائلة في طرفها بحيث تصعد الرصاصة عمودياً ثم تسير افقياً . ومن اجزائها الهامة بريسكوب يرى الجندي بواسطته جهة العدو وحركاته بدون ان يعرض نفسه للخطر اذ يكون هو في اسفل خندقه لا يراه احد في الخارج



البندقية المنحنية

حصة المرأة

في هذه الحرب

ان الرأي السائد على عقول معظم البشر هو ان المرأة لا تصلح الا لاعمال معينة لا يجب ان تتعداها الى سواها . وفي مقدمة المهن التي احتازها الرجال مهنة السيف . غير ان التاريخ ينبئنا بانه قام في ما مضى غير امرأة نبغت في مهن الرجال منذ اقدم ازمنة



مدام كوكوفتسيفا كولونل (أميرالاي) احدى فرق القوزاق

التاريخ وقد جاءت هذه الحرب تؤيد ذلك وتبرهن أن بعض النساء يقدرن على السير جنباً الى جنب مع الرجال في اشد المواقف خطراً — نعني الحرب

في روسيا اليوم نحو ٤٠٠ امرأة يحملن السلاح على رغم ان القانون يمنع تجنيد

النساء وكثيرات منهن اخفين جنسهن حتى عرف امرهن بعد موتهن او عند اصابتهن .
وفي مقدمة النساء المتجندات مدام كوكوفتسيفا من نساء موسكو وقد كان زوجها جندياً في احدى فرق القوزاق فلما نشبت الحرب دخلت فرقته نفسها وما زالت تتقدم في مراتب الجيش حتى عينت كولونيلاً (اميرالاي) على الفرقة السادسة من فرق قوزاق الاورال وقد جرحت مرتين في معارك بروسيا الشرقية ونالت صليب القديس جورج جزاء شجاعتها واستبسالها

ومن افضل ما جرى في هذا الباب قصة فتاة انتظمت في احدى فرق القوزاق ايضاً اسمها الكسندرا افيموفنا لاكاريفا اتت من الاعمال الباهرة ما يعجز عنه اشجع الرجال .



زوجات سائقي القطارات في المانيا يأخذن الدروس عن ازواجهن ليقمن مقامهن اثناء الحرب

من ذلك ان الالمان قبضوا عليها يوماً وسجنوها مع عدد قليل من رفاقها في كنيسة فقاموا في الليل وكسروا احدى النوافذ وتمكنوا من الفرار بعد ان قتلت الفتاة الحارس بحجر رمته به . ثم استولوا على خيلهم وساروا نحو معسكرهم وفي طريقهم اسروا عدداً من الخيالة الالمان المستكشفين يزيد على عددهم وضبطوا معهم اوراقاً هامة

وقس على المثلين المتقدمين امثلة أخرى كثيرة ومما يساعد على نشر الروح العسكرية بين نساء روسيا كون الفوارق بين الجنسين طفيفة جداً وقد تعود الرجل والمرأة ان يشتغلا جنباً الى جنب في الحقول وفي المدارس حتى كان بين طائفة الفوضويين قبل الحرب عدد كبير من النساء

هذا شيء قليل جداً مما ناب المرأة في هذه الحرب غير اننا لا نظن ان التجنيد يمكن

ان ينتشر بين النساء انتشاراً يذكر وانما تبقى حصص النساء المتجندات من باب الشواذ المدهشة . على ان هناك مهناً وصنائع مختلفة تلائم المرأة اشد الملاءمة ويمكنها ان تنوب فيها عن الرجل وقد بدأت النساء في معظم الدول المتحاربة بالقيام مقام الرجال في كثير من الاعمال — ومن اكثرها شيوعاً اليوم سوق القطرات الكهربائية وقطع التذاكر والتفتيش في العربات ونحو ذلك . وقد كان في انكلترا قبل الحرب عدد من النساء المستخدمات في السكك الحديدية . غير ان اعمالهن كانت قاصرة على الحسابات وتقديم المرطبات في المحطات وتنظيف العربات ونحو ذلك



فوهة مدفع من المدافع الضخمة

يرى القارىء في هذا الشكل صورة فوهة مدفع من المدافع البحرية التي عيارها ١٣ بوصة ومما يجدر الانتباه اليه (وقد ذكرناه في بعض الاجزاء الماضية من الهلال) الاضلاع اللولبية في الداخل وبها تتمكن القنبلة من الدوران قبل الخروج من الفوهة فتزداد بذلك قوتها

ومن الامور الثابتة ايضاً ان في الجسم غدداً صغيرة متصلة بالكليتين تفرز مادة تسمى ادرينالين وظيفتها ابادة السموم المنتشرة في الجسم

وهذه الغدد تهيج بفعل المنبهات المختلفة كالقهوة والكحول والشاي والتبغ التي يتخذها الناس لترويح هومهم ولكن اذا زادت المادة التي تفرزها فهي تضر بالجسم

وهنالك ثلاثة انواع من اصحاب الهموم :

(١) فريق لديه بواعث حقيقية للهم كمسؤولية الاعمال وخوف الفشل او الافلاس او نحو ذلك

(٢) فريق يهتم لامور تافهة او وهمية لا تستدعي الالتفات . وانما يدل اهتمامهم هذا على حالة مرضية ناشئة عن تسمم كما في حالة عسر الهضم المزمن

(٣) فريق اصبح الاهتمام فيه ملكة يتعذر التخلص منها وان تكن الاسباب التي دعت اليها في الاصل قد زالت تماماً

علاج الهم

فمن ذلك يتبين انه لا يمكن معالجة هذا الداء بعلاج واحد يصلح لجميع الاشخاص المصابين به ولا بد من البحث في مقدمات هذه الحالة والبواعث التي ادت اليها . فقد يتعذر علاجها في بعض الاحيان كما اذا كان هنالك سبب جوهري يستدعي الاهتمام . فالرجل الذي قضى حياته في سبيل عمل مثلاً ثم وجد ان عمله هذا في خطر الاضمحلال لا يأمن شر الاهتمام الا اذا زال الخطر . وقس على ذلك امثلة اخرى

غير ان اغلب الحوادث يمكن معالجتها باهون السبل . واهم علاج الالتهاء بامور تلذ وتشوق والانصراف الى موضوع او عمل يشغل الفكر والارادة . وافضل شيء من هذا القبيل الاعمال اليدوية والرياضة البدنية على انواعها لا سيما اذا كانت مقرونة بالهواء المطلق . وقد اصبح تأثير الاعمال اليدوية اكيداً حتى ان مستشفيات الامراض العصبية تخصص اليوم اقساماً خاصة للتمرين على التجارة او صنع السلال او الحياكة او غير ذلك . ومن اهم المسكنات ايضاً التدين والايمان الحقيقي فانه لا يترك مجالا لهموم هذه الدنيا

لماذا ينحط الجسم بعد الاربعين ؟

ان هذا السؤال يفرض انا قد اجبنا بالايجاب على سؤال آخر وهو : هل ينحط الجسم حقيقة بعد الاربعين ؟ فقد دلت الاحصاءات التي جمعها احد الاطباء في الولايات المتحدة على ان الوفيات قبل الاربعين تقل تدريجياً كلما تقدمت المدنية حالة كون الوفيات

فوق الاربعين آخذة في الازدياد . فما سبب ذلك ؟

يقول احد كبار اطباء الاميركان وعنه اخذنا هذه المقالة ان من الاسباب الباعثة على ذلك كون الوفيات من الاطفال قد اخذت تقل بفضل الاحتياطات الصحية التي يتخذها اهل هذا العصر بحيث اصبح الضعيف يبقى حياً ولو ترك للطبيعة لابادته . فان هؤلاء الضعفاء مهما يبالغوا في المحافظة على انفسهم لا بد ان يكونوا اول المولين من هذا العالم . وهكذا نرى ان جميع المساعي في سبيل وقاية الاطفال تأول من الجهة الاخرى الى ازدياد نسبة الوفيات بين الكهول

ولكن هذا السبب الاول لا سلطة لنا عليه بل الافضل ان يبقى الاولاد احياء مدة قصيرة من ان يموتوا وهم في مهدهم . فهناك اسباب اخرى يمكن ملافاتها ولا بد لنا قبل كل شيء من القاء نظرة على الامراض التي تنجم عنها معظم الوفيات بعد الاربعين فاهمها امراض القلب وتصلب الشرايين والبول الزلالي وبعض امراض الجهاز العصبي

وهذه الامراض متصلة بعضها ببعض وترجع الى اسباب متشابهة في الغالب واهمها : ادمان الكحول والتدخين . السموم الناشئة عن داء الزهري والروماتزم والنقرس وغيرها من الامراض . الشره في الاكل . التعب العصبي وغيرها من الاسباب

ولسوء الحظ ان هذه الاسباب آخذة في الانتشار بين طبقات الناس بانتشار المدنية ومما يستدعي الاسف ان الصحف تتجنب الخوض في بعض الامراض الفاتكة واهمها داء الزهري خوفاً من تخديش مسامع القراء مع ان الصراحة في هذا الباب اضمن واسلم من الغموض

ثم ان اغلب الناس لا يتعالجون الا متى ظهرت فيهم الاعراض المرضية . وقد يأول هذا الاهمال الى أسوإ العواقب لان المرض اذا تدورك امره في اوله سهل استئصاله ومداواته ولكنه اذا تمكن من الجسم فلا امل بالشفاء . ومما يدل على اهمال الناس من هذا القبيل ان احد الاطباء في نيويورك (واهل اميركا كما لا يخفى امامنا بمراحل في المسائل الصحية) فحص ٧٠٠ شخص جازوا الثلاثين فوجد ان نصفهم تقريباً معرض لبعض الامراض وانه يحتاج الى اتخاذ التدابير الصحية التي تقيهم من تأصل تلك الامراض فيهم

فالدرس الذي يجب ان نستفيده مما تقدم هو ان نفحص انفسنا من مدة الى اخرى لاتخاذ الطرق اللازمة لمنع الامراض من التأصل فينا . فان الطبيب يرى ما لا يراه الرجل العامي وفي امكانه ان ينبئنا عما نحن معرضون له من المخاطر

بقي علينا قبل الختام ان نقول كلمة في الشره فان اغلب الناس يأكلون أكثر مما تحتاج اليه أجسامهم واليك النصيحة التي قدمها احد كبار الاطباء قال: « على كل عاقل جاوز الخمسين ان يقلل تدريجاً من كمية اكله حتى ينتهي حيث ابتدأ »

الضحك يسهّل الهضم

وظيفة الهضم تقوم بعملين: عمل ميكانيكي وعمل كيمي. أما العمل الميكانيكي فهو حركة المعدة وحركة الامعاء وأما العمل الكيمي فهو اتحاد المواد التي نأكلها بالعصيرات المختلفة التي تتولد في الجهاز الهضمي. ولا يقتصر العمل الميكانيكي على حركة المعدة والامعاء بل هناك غشاء يسمى الحجاب وهو يفصل المعدة عن القلب ولهذا الغشاء اليد الطولى في تسهيل وظيفة المعدة بضغطه عليها ضغطاً متقطعاً. وعمل الحجاب الحاجز يتوقف على التنفس فكلما تنفس الواحد ضغط الحجاب على معدته وساعد على مزج المواد التي فيها وهيأها للهضم. واذا كان التنفس ضعيفاً فعمل الحجاب على المعدة ضعيف أيضاً. هذا هو السبب الذي يجعل الاكل يمكث في المعدة اثناء النوم مضاعف المدة التي يمكثها في اليقظة لان التنفس في النوم ضعيف جداً

وبعكس ذلك الضحك فانه يزيد حركة الحجاب الحاجز مع ازدياد حركة التنفس. هذا فضلاً عن ان العقل اذا كان مستريحاً والصدر منشرحاً فسائر اعضاء الجسم تكون على ما يرام

فوائد

ان الشاي هو سم للطفل الصغير

لا يسوغ اعطاء اللحم لطفل دون الرابعة من العمر

ان قطع البطاطا النيئة هي افضل الذرائع لتنظيف قناني الحليب التي يرضع منها الاطفال

اذا دخلت هامة ما الى الاذن امكن التخلص منها بتنقيط قطرات قليلة من زيت الزيتون الحار

لا يستحسن نوم الاطفال على ارض الغرفة. لان الهواء الثقيل والفاسد يكون في الطبقات الملاصقة لارض الغرفة (الصحة)

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في السنة الماضية من الهلال)

في ٢٣ يونيو — سقطت لمبرج بيد الالمان

في ٢٦ منه — أغرقت غواصة المانية بقرب سواحل هولندا

في ٢٧ منه — القى طيار فرنساوي القنابل على مستودع البلونات الالمانية في فردريكهافن

في ٢٨ منه — استولى الالمان على هاليس في الميدان الشرقي

في ٣٠ منه — بدأ الالمان يتوغلون في بولندا الروسية

في اول يوليو — القى طيارو الحلفاء قنابلهم على بروج وزيبروج

في ٦ منه — استولى البريطانيون على مئتي يرد من خنادق الالمان شمالي ابير

في ٨ منه — اعلن الروس انهم اسروا من النمسويين في جنوبي بولندا خمسة عشر الف اسير

في ٩ منه — سقطت مستعمرة جنوب غربي افريقيا الالمانية بيد الجنرال بوتا وهاجم الفرنسويون الالمان في الفوج واسروا منهم ٨٢١ رجلاً

في ١١ منه — أغرقت السفن البريطانية البارجة كونكسبرج في سواحل افريقيا الالمانية الشرقية

في ١٣ منه — كسر جيش ولي العهد الالماني في الارجون

في ١٤ منه — تقهقر الروس الى خط الدفاع الثاني

في ١٥ منه — تقدم الحلفاء ٤٠٠ يرد في غاليبولي واحتل الالمان حصن برزنيش الذي يبعد عن وارسو ٥٣ ميلاً الى الشمال

في ١٨ منه — نسفت البارجة غاريبالدي الايطالية

في ١٩ منه — تقهقر الروس على نهر بزورا واتخذوا لانفسهم مواقف على بعد ١٦ ميلاً من وارسو

في ٢٠ منه — احتل الانكليز ١٥٠ يرداً من خنادق الالمان بقرب ايبر واحتل النمسويون رادوم جنوبي وارسو

في ٢٣ منه — احتل الايطاليون مونتي سان ميشال بعد معركة شديدة وارسلت اميركا مذكرة اخرى الى المانيا بخصوص حرب الغواصات

في ٢٦ منه — انتصر الانكليز على الاتراك في العراق

في ٢٧ منه — انتصر الفرنسويون في الالزاس انتصاراً باهراً واحتل الايطاليون مونتي سي بوزي على نجد كارسو

في ٣٠ منه — القى الطيارون الفرنسويون القنابل على عدة محطات ومدن المانية وضربت غواصة المانية السفينة ايبريان فاغرقتها وغرق معها ثلاثة اميركيين

في اول اغسطوس — احتل الالمان ميتو على سواحل البلطيك واحتل الايطاليون مونتي ميديا

في ٢ منه — أغرقت غواصة بريطانية مدمرة المانية على السواحل الالمانية وأغرقت غواصة بريطانية اخرى سفينة عثمانية في بحر مرمرا

في ٤ منه — بدأ الالمان بمهاجمة وارسو

في ٥ منه — اخلى الروس وارسو وايفانجورود

في ٨ منه — نسفت غواصة بريطانية البارجة خير الدين بربروسا العثمانية في بحر مرمرا

في ٩ منه — نسفت غواصة بريطانية مدفعية ومدمرة تركيتين

في ١٠ منه — اغرقت غواصة ايطالية الغواصة نمرة ١٢ النمسوية في الادرياتيك

في ١١ منه — أغرقت السفينة المسلحة ميتيور الالمانية مركب خفر في بحر الشمال فاغرقت هي ايضاً

في ١٢ منه — اغرقت غواصة بريطانية مدفعية عثمانية وهاجمت بلونات تسبلن المسيرة انكلترا فقتل ستة اشخاص وجرح ٢٣

في ١٣ منه — اخلى الروس سيدليتز

في ١٥ منه — القى ١٩ طياراً فرنسوياً القنابل على المستودعات الالمانية على الحديد . واجتاز الالمان نهر بوج في مطاردتهم للروس

في ١٧ منه — احتل الالمان كوفنو

في ١٩ منه — تقدم الانكليز ٥٠٠ يرد في غاليبولي من جهة خليج سوفلا

في ١٩ منه — انسحب الاسطول الروسي الى خليج ريغا امام قوة تفوقه ونسفت غواصة المانية السفينة « ارابيك » بقرب سواحل ارلندا

في ٢٠ منه — احتل الالمان نوفوجورجوفيسك

في ٢١ منه — اعلنت ايطاليا الحرب على تركيا وانتصر الاسطول الروسي على الاسطول الالماني ونسفت غواصة بريطانية الدردنوط مولتكي في بحر البلطيق واحتل الالمان بلسك

في ٢٣ منه — ضرب اسطول الحلفاء مراكز الالمان على سواحل البلجيك واغرق الفرنساويون مدمرة المانية بقرب اوستند واحتل الالمان اوسوفيش

في ٢٤ منه — اخلى الروس كوفل

في ٢٩ منه — اغرق طيار انكليزي غواصة المانية بقرب اوستند واحتل الالمان برست ليتوفسك والقى الطيارون الفرنساويون القنابل على مصانع الذخيرة الالمانية في دلنجن

في ٢٧ منه — احتل الالمان حصن اوليتا على نهر النيامن

في ٢٩ منه — انتصر الروس في غاليسيا واخذوا ٣٠٠٠ اسير

في اول سبتمبر — اعتذرت المانيا لاميركا عن اغراق السفينة ارابيك ونال الروس انتصاراً آخر في غاليسيا واسروا ٧٠٠٠ اسير

في ٢ منه — سقطت حصون جرودنو الخارجية واغرقت الغواصات البريطانية اربع سفن عثمانية في بحر مرمرا

في ٤ منه — اغرقت غواصة المانية السفينة هسبريان البريطانية بدون انذار وسافر قيصر روسيا الى ميدان الحرب ليأخذ القيادة العامة

في ٧ منه — ضرب اسطول الحلفاء مراكز الالمان على سواحل البلجيك

احتلال الفرنساويين جزيرة ارواد

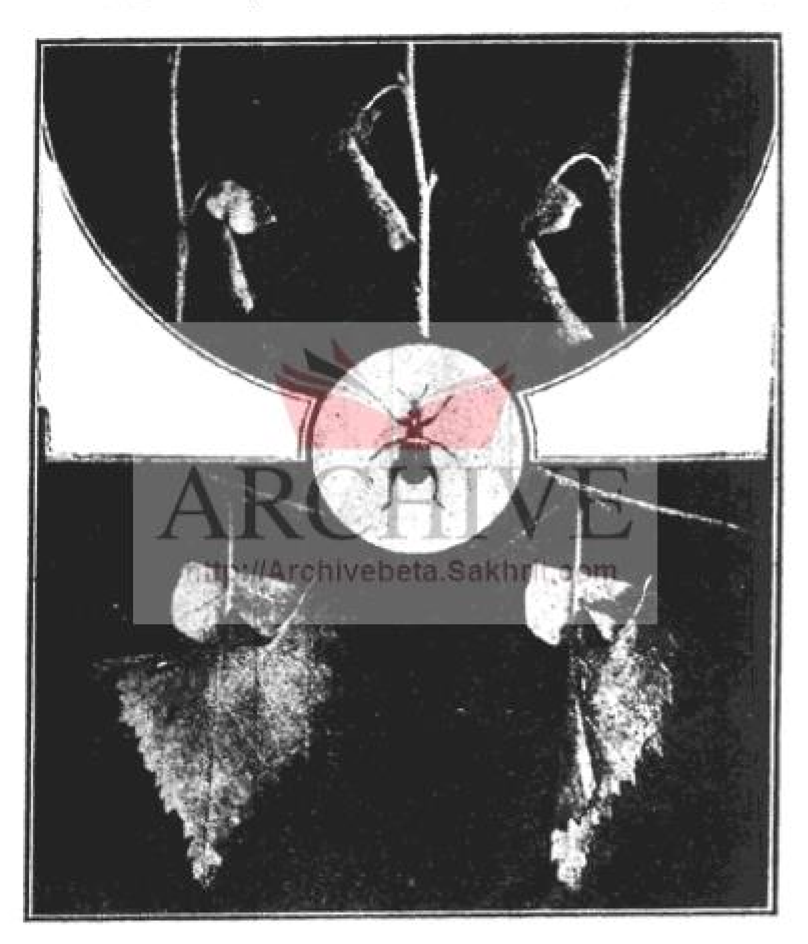
نشرت وزارة البحرية الفرنساوية في ٣ الجاري البلاغ الآتي :

احتلت فصيلة من جنود السفن البحرية التي تحصر سواحل سوريا جزيرة ارواد الواقعة بين اللاذقية وطرابلس الشام ورفع العلم الفرنساوي فوقها في اول سبتمبر عند الساعة التاسعة صباحاً ولم تبد مقاومة وقابل الاهالي الجنود البحارة مقابلة حسنة . اه

عجائب المخلوقات

حشرة تلف الاوراق

ماهي الغرائز ؟ سؤال كرره المفكرون والعلماء منذ اقدم الازمنة من غير ان يتوصلوا



في اعلى الصورة امثلة من الورق الملفوف وفي منتصفها صورة الحشرة مكبرة وفي اسفلها ادوار لف الورقة

الى جواب شاف فذهبوا مذاهب مختلفة تصح في تعليل بعض الحوادث ولكنها لا تكفي لتعليلها جميعاً

ان من امراض العقل البشري التي قلما يتخلص منها انسان انه يقيس جميع الظواهر

التي يراها في عوالم الحياة على ما يجري فيه من العوامل والدوافع المتنوعة كان الطبيعة جملته مركز الكائنات ومرجعها ومقياسها مع انه قد يكون لدى الحيوانات الاخرى قوى لا توجد عندنا او تكون فينا اقل ظهوراً — نقول ذلك تمهيداً لما سنذكره عن طبائع حشرة غريبة تلف اوراق الاشجار لفاً هندسياً محكماً بشكل سيكار حتى تتمكن من ان تضع فيها صغارها بعد ولادتهم . فان من يطلع على كيفية قيامها بمهمتها لا بد ان يسائل نفسه ما هي تلك القوى الخفية التي تمكنها من اتقان عمل قد يعجز عنه العقل المفكر مع كل حيله وتفننه . ولا بد لنا قبل السعي في التعليل من وصف الحشرة وبيتها فنقول :

هذه الحشرة هي نوع من السوس يعيش على اوراق الاشجار لا سيما ورق العنب وينتشر احياناً انتشاراً هائلاً فيضر بالكروم ضرراً بليغاً . وهي اجناس مختلفة لكل منها طريقة خاصة للف الورق ولنكتفِ الآن بدرس نوع منها اسمه Rhynchites betulæ

اول ما يبدو من هذه السوسة عند شروعها بالعمل انها تطوف حول الورقة التي اختارتها كأنها تتحصها فاذا راقت لديها رأيتها تنتقل الى جنب الورقة على مقربة من الساق فتشرع في قطع الورقة بفكيها على شكل مستدير (كما ترى في الشكل) الى منتصف الورقة ثم تنتقل الى الجهة الثانية فتكرر العمل نفسه . وهي تستغرق عادة لقطع جهتي الورقة بين عشر وخمس عشرة دقيقة

وبعد ذلك تستريح السوسة هنيهة حتى تلين الورقة من نفسها . ولا نرى بدأ هنا من الاشارة الى ان قطع الورقة يكون بشكل هندسي مضبوط بحيث يسهل لفها في ما بعد ولولا ذلك لتعذر احكام هذا العمل . ثم تنتقل الحشرة الى ظهر الورقة وتبدأ بلفها لفاً محكماً بواسطة ارجلها الى ان تبلغ منتصف الورقة ثم تنتقل الى الجهة الاخرى وتلفها حول القسم الملفوف بحيث انها متى انتهت من عملها تصبح داخل الورقة

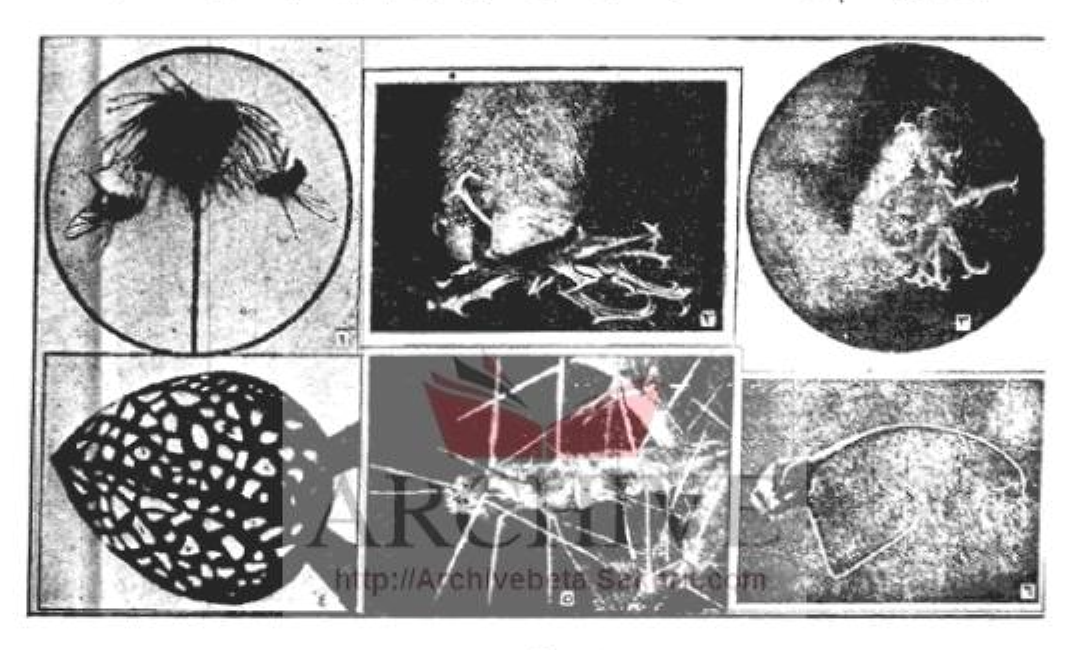
وعندئذ تضع بيضها بين هذه التلافيف ثم تنتقل الى الطرف الاسفل من الورقة فتلفه بحيث يحكم القفل ثم تصعد الى الساق فتجرحه بفكيها حتى يتوقف نمو الورقة وتبدأ في الذبول وهكذا ينمو الصغار ويعيشون على انحلالها

وهناك رأيان لتعليل هذا الحادث وامثاله : اولهما يقول بان هذه الحركات الغريزية كانت في الاصل نتيجة التفكير وانها مع تكرارها اصبحت غريزة يتناسلها الجيل عن الآخر . ولكن هذا التعليل يفرض ان « الصفات المكتسبة » تتناسل . وهذا كما لا يخفى على كل راغب في علم الحياة امر مختلف فيه بل ان معظم العلماء في هذا العصر لا يعتقدون بصحة هذا الرأي

أما التعليل الثاني ولعله اقرب الى العقل فانه ينسب هذه الاعمال الى الانتخاب الطبيعي . أي ان الطبيعة تنمي في كل جنس الحركات الملائمة لبقائه

نباتات بلا شفقة

يعلم قراء الهلال ان بعض النباتات تفترس الحشرات والهوام لتتغذى من موادها النيتروجينية . ثم ان تلك الضحايا لا تموت موتاً سريعاً بل انها في اغلب الاحيان تتعذب



امثلة من نباتات لا تعرف الشفقة

عذاباً أليماً قبل ان يأتي اجلها . وقد جئنا هنا ببعض الامثلة الغريبة من هذا القبيل :

اولها نبات يسمى دارلنكتونيا Darlingtonia (أنظر شكل ٤) وورقه مقفل بشكل بيضوي تقريباً فان هذا النبات يجذب الحشرات بمادة عسلية يفرزها في داخل اوراقه ولا وصول اليها الا من مدخل صغير في اسفل الاوراق . وعلى سطح كل ورقة منافذ شفافة يدخل منها النور الى الداخل فاذا دخلت الحشرة في الفخ ثم ارادت الخروج فاول ما يخطر لها ان تخرج من المنافذ المنيرة لانها تظنها مفتوحة ولا يخطر على بالها ان تخرج من حيث اتت لان المدخل مظلم فتظل تتخبط بين نافذة واخرى مدة طويلة تبلغ احياناً بضع ساعات ولكن بلا جدوى ولا بد في الآخر من سقوطها وموتها

ومن ذلك ايضاً ثمرة نبات يسمى جيوم Geum (انظر شكل ١) فهذه الاثمار

التقريظ والانتقاد

انتشار الخط العربي

في العالم الشرقي والعالم الغربي

اشرنا في الهلال الاخير من السنة الماضية الى صدور هذا الكتاب النفيس لمؤلفه عبد الفتاح افندي عباده وهو ليس بالغريب على قراء الهلال . وقد منعنا اذ ذاك ضيق المقام عن التوسع في وصفه وذكر مباحثه والاتيان بمقتطفات تبين قيمته وما عاناه المؤلف في سبيله لا سيما وان هذه المباحث جديدة في اللغة العربية قلما يجد لها الكاتب مصادر يرجع اليها وموارد يستقي منها — اللهم الا شذرات مبعثرة هنا وهناك في مظان المؤلفات القديمة يستدعي استخراجها ما لا يستهان به من العناء والتعب

واول ما يلاحظ قارىء هذا الكتاب انه حسن التبويب والترتيب وانه مزين بالرسوم التي لا غنى عنها في مثل هذا الموضوع — شأن المؤلفات الافرنكية الحديثة وانه مختوم بفهرسين فهرس في ابواب الكتاب حسب ترتيبها الذي كتبت فيه والآخر فهرس ابجدي عام استغرق عشرين صفحة للمواد والاعلام المهمة . وياحبذا لو اتبعت هذه الطريقة في جميع المؤلفات التي تصدر باللغة العربية فانها بلا ريب تضاعف فائدة الكتاب

ويسرنا ان نقول في هذا المقام ان عبد الفتاح افندي عباده كان في مقدمة التلاميذ الذين تخرجوا في الجامعة المصرية وقد رأينا من باكورة اعماله ما يؤملنا خيراً في الجامعة ان شاء الله . ومما يجدر ذكره هنا ان المؤلف عرض كتابه على اساتذته في الجامعة بعد تأليفه فلما اطلعوا عليه ارسلوا اليه رسالة بامضاءاتهم (وهم الاساتذة الشيخ محمد المهدي واسماعيل بك رأفت ومحمود افندي فهمي) يشكرون فيها همته ونشاطه ويمتدحون كتابه النفيس بما هو جدير بالمؤلف

ويفهم القارىء نسق الكتاب وتبويبه من قراءة الخلاصة الآتية التي هي عبارة عن هيكل الكتاب :

يتبين للقارىء اللبيب مما ذكرناه عن انتشار الخط العربي انه لم يكن معروفاً قبل الاسلام الا عند افراد قليلين جداً في الحجاز وكان غير مضبوط عندهم حتى جاء الاسلام فاحياه ونشره بين المسلمين بعد ان نرقى وتنا فتفرعت منه الفروع وضبط بالنقط والشكل

الكامل ، وحينئذٍ اخذ ينتشر في غير جزيرة العرب بانتشار الاسلام على هذا الترتيب :

اولا : في البلدان الاسلامية المعروفة بالعالم العربي الذي يتكلم اهله باللغة العربية ويقدرون باكثر من ٦٠ مليوناً من الانفس

ثانياً : في البلدان الاسلامية التي لاهلها لغات حية تعرف بلغات العالم الاسلامي فانها اخذت تكتب به دون غيره وقد قسمنا هذه اللغات الى اربع مجاميع :

(المجموعة الاولى) وهي اللغات التركية وقد ذكرنا منها اكثر من ١٢ لغة تكتب به في بقاع تمتد من تركستان الصينية الى غربي الاستانة والبحر الاسود

(المجموعة الثانية) وهي اللغات الهندية وذكرنا منها ٨ لغات تكتب به ، تشتمل على ماليزيا وماوراء تمتد من شرق الهند الى غرب السند ، ومن اعالي جبال حملايا الى جنوب شبه جزيرة الدكن

(المجموعة الثالثة) وهي اللغات الفارسية وتكتب به منها ٤ لغات تشتمل على كل هضبة ايران

ثم (المجموعة الرابعة) وهي اللغات الافريقية ويكتب به منها اكثر من ٧ لغات متفرقة في شمالي افريقية وغربها وتشتمل على شرقيها واواسطها . فاللغات التي تكتب به في هذه الاربع المجاميع تبلغ ٣١ لغة . وباضافة اللغة العربية اليها يقدر عدد المتكلمين بهن جميعاً بنحو ٢٤٣ مليون نسمة ، وعلى الجملة فانه انتشر بين سائر الامم الاسلامية فصارت تكتب به لغة كل بلد انتشر فيها الاسلام

ومن الشواهد التي اتى بها المؤلف على اثار اللغة العربية في اللغات الاوربية وهي جديرة بالذكر قوله :

(اللغة الاسبانيولية) وقد دخل الخط العربي في هذا القسم الاخير ايضاً في اللغة الاسبانيولية قديماً . فلقد كان بعض العرب حينما دالت دولتهم بالاندلس يكتب علومه ومعارفه ومنها الفقه والحديث والتصوف وقصص الصالحين بل ترجمة القرآن نفسها بحروف عربية (انظر الشكل) والكلام كله اسبانيولي قديم (قشتالي) وهؤلاء العرب كانوا يفعلون ذلك لانهم كما يقول بعض المستشرقين دانوا بالنصرانية مكرهين بعد زوال دولتهم في الاندلس فلم يكونوا يستطيعون ابداء اسفهم الا سراً ، وفي هذه الكتب العربية المكتوبة بالعجمية دليل على تعلق أولئك المتنصرة بقومهم . ولا تزال بقايا هذه الكتب محفوظة في مكاتب اسبانيا وقد طبع القوم منها اشياء كثيرة وتسمى هذه اللغة «الخميادو Aljamiado» تحريفاً للكلمة « الاعجمية » ووجه هذه التسمية أن العرب يسمون كل ما ليس بعربي

اعجمياً وجرى على منوالهم الاندلسيون فكانوا يسمون اللغة القشتالية اي الاسبانية باسم الاعجمية ثم انتقلت هذه اللفظة الى اللغة الاسبانية بغير حرف العين لان العين ليست في لغات الافرنج وكذلك الهمزة المتوسطة فاضطروا ان ينطقوها « أجمى » ثم تداولوها فقالوا « ألجمى » بسكون اللام والاسبانيون ينطقون الجيم خاء في احايين كثيرة فقالوا


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم ملك
يوم الدين اياك
نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم

الجميادو (الاسبانيولي)

« الجمى » ثم اضافوا اليها علامة النسبة عندهم do فقالوا aljamiado أي « الاعجمي ».
وكتبت اللغة البرتغالية بالخط العربي وسميت ايضاً بالجميادو البرتغالي Aljamia Portuguesa

(اللغة الهولندية) وقد دخل كذلك في اللغة الهولندية الآن فان المسلمين في مستعمرة الكاب بجنوب أفريقيا يكتبون اللغة الهولندية بالخط العربي وقد طبعوا به كتباً دينية

كثيرة . وهؤلاء المسلمون هم من مهاجري الملايو

(اللغة السلافية) وقد دخل ايضاً في اللغة السلافية فان مسلمي البوسنة والهرسك وهم لا يقلون عن ٦١٢٠٠٠ نسمة يكتبون به الآن لغتهم الوطنية (السلافية) وقد كانوا قبل الاحتلال النمسوي لبلادهم يكتبون بالعربية او التركية لاختلاطهم بالاتراك وبالحياة العقلية التركية ولكنهم بعد ذلك صاروا يستعملون لغتهم الوطنية في الاعمال العلمية والادبية وقد نشأت حركة في السنوات الاخيرة وخصوصاً بين وسط « الخوجات » غرضها جعل المباحث الادبية في المواضيع الدينية تكتب على الاقل باللغة السلافية والحروف العربية . وقد جعلوا حروف الهجاء العربية تناسب حاجات اللغة السلافية ، وجريدة « معلم » لسان حال جمعية اتحاد علماء وائمة سارايفو تظهر بهذا الخط

وختم المؤلف كتابه بقوله :

فمن كل ذلك يظهر لنا جلياً ان اللغة العربية كانت تسير في نموها وانتشارها مع فتوحات العرب فاين حل العرب حلت لغتهم وابادت اللغة الاصلية للاقليم الجديد كما رأيت ، وكذلك الخط العربي فقد كان يسير في انتشاره معها جنباً لجنب ولكنه تجاوزها وسار مع الاسلام فاين حل الاسلام حل الخط العربي وأباد خط الاقليم الجديد الاسلامي وهذه الخصيصة لم توجد الا في اللغة العربية وخطها وذلك كما قلنا بفضل الاسلام فكم من امة علا شأنها في مجتمع الامم ودوخت البلدان ولم تستطع ان تقيم للغتها او لخطها شأناً وبقي هذا الشأن بعدها الى الآن :

ما علمنا لغيرهم من لسان زال اهلوه وهو في اقبال

بليت هاشم وبادت نزار والكسان المبين ليس ببال

والخلاصة ان هذا الكتاب جدير باهتمام الادباء ونحن على يقين ان الامثلة التي اوردناها منه هي افصح ناطق بغزارته وفوائده الجمة

رواية هذه السنة

نقدم الى قراء الهلال مع هذا الجزء رواية تاريخية من انفس الروايات اسمها فرخ النسر (والنسر هو نابليون بونابرت كما لا يخفى) عربها للهلال حضرة الكاتب البارع يوسف افندي البستاني ولهذه الرواية اهمية خاصة في هذا الوقت لانها تبين ما لاقاه ابن نابليون من صنوف العذاب في البلاط النمسوي مع ذكر اهم رجال ذلك الزمن

ما بين النهرين

مهد البشرية

تاريخ البلاد وأهلها وسائر أحوالها

اختلف علماء البلدان في تحديد ما بين النهرين فذهب بعضهم الى انها تمتد جنوباً الى



موقع جنة عدن

حسب احدث آراء علماء الآثار وهو ينطبق على ما جاء في معظم التقاليد

خليج العجم وزعم البعض الآخر انها تنتهي حيث يبتدئ العراق العربي . وقد ورد ذكر هذه البلاد في اقدم الاسفار والاساطير فسمتها التوراة آرام النهرين وفدان آرام

ودعاها المصريون قديماً « نهرينا » اي بلاد النهرين وهو الاسم الذي وردت به في نقوش مصرية ترجع الى المئة الثامنة قبل الميلاد . وكان اسمها بالآرامية « بيث نهرين » اي البلاد التي بين النهرين

وتقسم البلاد باعتبار تربتها الى قسمين يمتد احدهما من شواطئ الفرات الى نهر الخابور (وهو القسم الاخصب تربة) . ويتناول الآخر ما بقي من البلاد حتى يجيئك الى شواطئ دجلة . وقد زعم كثيرون من علماء الاقاليم (الجغرافيا) ان البلاد المعروفة



حمورابي امام الاله الشمس

اليوم بما بين النهرين لا تشمل بالضرورة كل البلاد الواقعة بين دجلة والفرات بل تتناول الاقاليم الواقعة بين الفرات والخابور فقط لان ما دونها بلاد قاحلة لا يصلح معظمها للسكنى . وفي الواقع انه لما دخلت البلاد في حوزة الرومانيين (في سنة ١٥٦ قبل الميلاد) كانت حدودها السياسية تمتد من الفرات الى الخابور . اما القسم الواقع في اقصى الشمال اي عند اعالي دجلة والفرات وبالقرب من مصادرها فيعتبرها معظم علماء الاقاليم جزءا من ارمينيا بخلاف من جعلها جزءا من ما بين النهرين . وبناء عليه تعتبر حدود هذه



البلاد الشمالية الجبال التي يخترقها دجلة والفرات في الشمال وينحدران منها الى السهل الخصب الذي في الجنوب بحيث تكون جبال الطور او الطوروس[1] داخلة ضمن الحدود الشمالية . اما جنوباً فتنتهي الحدود عند القادسية حيث يتقارب دجلة والفرات ثم ينفرجان . وكان البابليون قديماً قد حفروا هنالك ترعاً عديدة واقنية منظمة لري البلاد حتى اشتهرت بالخصب وصارت تضرب بها الامثال . ويؤخذ من درس طبيعة التربة

---

(١) كانت هذه الجبال تسمى قديماً جبال ماسيوس وتعرف اليوم باسم قرجه داغ (والطاء تلفظ كالضاد) وطور عابدين

وخصائص طبقاتها ان البحر المعروف اليوم بخليج العجم كان في العصور الجيولوجية يبتدئ من تلك الحدود

والخلاصة ان حدود البلاد الشمالية تتراوح بين درجة ٣٣ ودرجة ٣٨ من خطوط العرض الشمالية وبين درجة ٣٨ ودرجة ٤٦ من خطوط الطول شرقاً ومساحة ذلك كله زهاء خمسة وخمسين الف ومئتي ميل مربع . ويبلغ اعلى ارتفاع يخترقه دجلة والفرات الفاً ومئةً وخمسين قدماً وذلك عند الحدود الشمالية ثم تنخفض البلاد تدريجاً بحيث لا يزيد ارتفاعها في الجنوب عن ١٦٥ قدماً



اغراق مدينة بابل

كانت بابل شريكة في جذب اشور وكثيراً ما حاولت هذه اخضاعها فلم تفلح . وفي سنة ٦٨٩ ق . م . غزاها سنحاريب واطلق عليها نهر الفرات فاغرقها ولم يسلم منها الا الابنية الكبيرة الشاهقة

اقسام البلاد وتاريخها

قلنا ان البلاد تنقسم باعتبار تربتها الى قسمين ولكن هنالك فريقاً من علماء الاقاليم قسموها الى ثلاثة أقسام وهي (١) البلاد الشمالية الى غربي نهر الخابور (٢) البلاد الشمالية الى شرقيه (٣) البلاد الواقعة الى الجنوب . فاما القسم الاول فيتناول على الارجح البلاد الوارد ذكرها في أسفار التوراة باسم ارام النهرين او فدان ارام . وكانت على عهد السلوقيين خلفاء الاسكندر تعرف باسم اوزر حونة أو اور حونة وقد تعاقب عليها دول

مختلفة كانت عاصمتها مدينة أديسا (وهي المعروفة اليوم بمدينة أورفا او الرها)

وأما القسم الثاني من البلاد (أي الجزء الواقع غربي نهر الخابور) فهو داخل في المملكة الاشورية القديمة وقد كانت عاصمته مدينة نينوى الواقعة على ضفة دجلة قبالة مدينة الموصل الحديثة وسيأتي عليها الكلام

وأما القسم الثالث فيتناول أقصى ما وصلت اليه حدود المملكة البابلية القديمة وكانت عاصمته مدينة بابل الواقعة على ضفاف الفرات جنوبي بغداد كما سترد الاشارة اليه



خارطة العالم

حسب تصور البابليين القدماء

هذا أهم تقسيم جغرافي لما بين النهرين ولكن هنالك تقسيماً اهم ونعني به تقسيمها سياسياً باعتبار الممالك التي نشأت فيها منذ اقدم الازمنة حتى الآن . ولما كان استيفاء الكلام في هذا الموضوع يقتضي المجلدات الضخمة رأينا ان نلخص هنا تاريخ اهم الممالك التي ظهرت هنالك ثم نشير في ختام الكلام الى أشهر مدن ما بين النهرين فنقول :

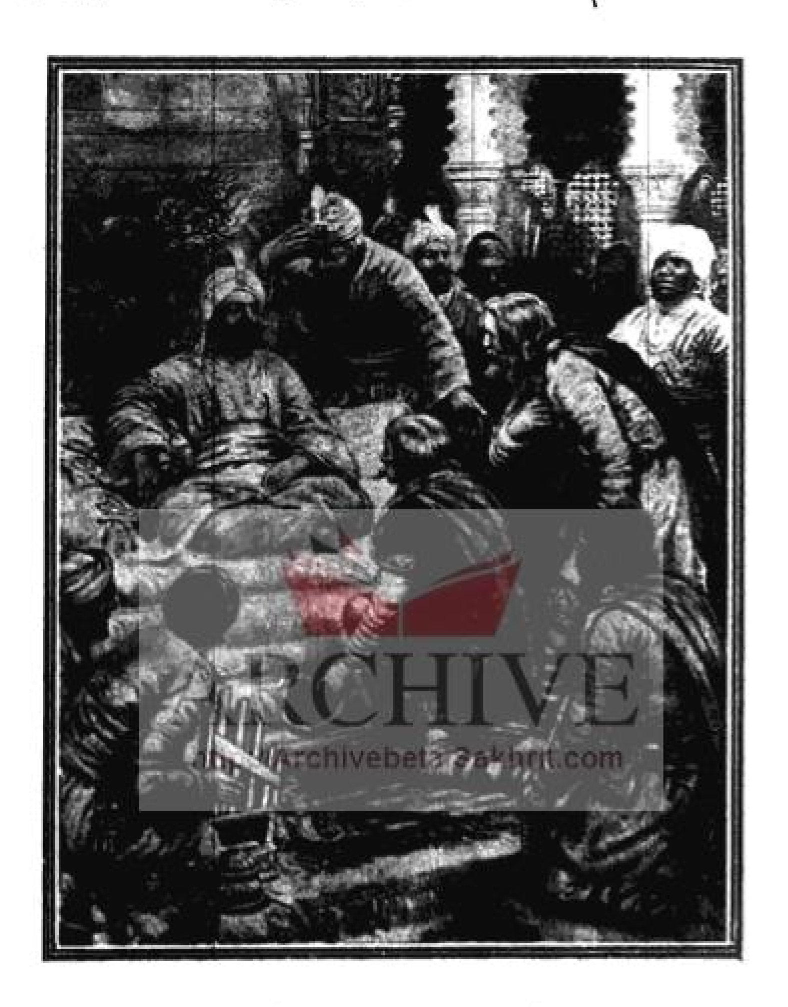
المملكة البابلية

كانت هذه المملكة أشهر الممالك التي ظهرت في ما بين النهرين وكثيراً ما استعمل اسمها للدلالة على البلاد كلها . وفي الواقع ان تاريخها يشمل تواريخ سائر الممالك التي ظهرت على ضفاف دجلة والفرات . وكانت حدودها تمتد من مدينة حث الواقعة على نهر الفرات شمالاً الى نقطة جنوبي مدينة سامرّا الواقعة على نهر دجلة جنوباً . وكانت

عاصمتها مدينة بابل التي لم تبلغ ذروة شهرتها الا قبل المسيح بنحو الفي سنة . ويؤخذ من الآثار العديدة التي عثر عليها الباحثون ان أقصى ما يرجع اليه تاريخ بابل القديم هو سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد . ولا يسعنا هنا ان نذكر أصل الشعب البابلي منذ فجر التاريخ وانما نقول انهم كانوا جنسين مختلفين . والارجح انهم طردوا القبائل السامية التي وجدوها في البلاد وحلوا محلها في نحو سنة ٥٠٠٠ قبل المسيح . وقد كانوا اهل حضر يقيمون في بيوت مصنوع اكثرها من الآجر النيء ومبنية حول معبد من المعابد وكانوا يحرثون الارض ويصيدون الوحوش ويعبدون الوثن . ولعل اقدم الدول المعروفة آثارها التاريخية هنالك هي التي ظهرت في اوبيس (القادسية) حوالي سنة ٣٠٥٠ قبل الميلاد على وجه التقريب . وقد استمرت هذه الدولة تسعاً وتسعين سنة حكم في خلالها ستة ملوك . ثم جاءت بعدها الدولة القيسية في سنة ٢٩٢٥ ق . م . فحكمت نحو مئة سنة وقام فيها ثمانية ملوك . ثم عقبتها الدولة الاريكية الاولى في سنة ٢٨٢٥ ق . م . فحكم فيها ملك واحد خمساً وعشرين سنة وهو الملك لوجال زاجيسي الذي احرق مدينة لجش او لجيش . ونادى بنفسه ملكاً على بابل . ثم عقبته الدولة المقادية في سنة ٢٨٠٠ ق . م . فحكمت ١٩٧ سنة وظهر فيها ١٢ ملكاً اولهم الملك شاروكين وزعم بعضهم انه الملك سرجون الوارد ذكره في التوراة وهو مؤسس أول دولة سامية حكمت على بابل وعيلام وسوريا . وفي سنة ٢٦٠٠ ق . م . ظهرت الدولة الاريكية الثانية فاستمر حكمها ستاً وعشرين سنة فقط حكم في خلالها خمسة ملوك لم يشتهروا بشيء من الفتوحات بل انتهى حكمهم بان تغلب عليهم الملك غوطة مؤسس الدولة الغوطية ثم جاءت الدولة الاورية فتغلبت على المقاديين وحكمت ١١٩ سنة ثم عقبتها الدولة الاسينية وهي عيلامية حكمت ٢٢٥ سنة ثم جاءت بعدها الدولة البابلية الاولى في سنة ٢٠٥٠ ق . م

اما مؤسس هذه الدولة فهو « سو ابو » ولكن اشهر ملوكها حمورابي الشهير حكم حوالي سنة ١٩٥٠ ق . م . فوحد البلاد وسن لها الشرائع والنظامات واهمها شريعة حمورابي الشهيرة . وفي ايام هذه الدولة غزا الحثيون البلاد فاخذوا بابل واحرقوها فسقطت بذلك الدولة البابلية الاولى وعقبتها الدولة البابلية الثانية فالثالثة فالرابعة وهي من اشهر الدول البابلية واشهر ملوكها نبوخذ نصر الاول حكم في سنة ١١٧٥ ق . م . فحرر بابل من سلطة العيلاميين وحارب الفلسطينيين ثم تتابعت الدول البابلية حتى بلغ عددها عشراً وبدأت بعدها الدولة البابلية الجديدة ومؤسسها نبوبولاسر الشهير وكان من الامراء الكلدانيين شق عصا الطاعة في سنة ٦٢٥ ق . م . واجتاح مملكة اشور بعد

سقوط نينوى في سنة ٦٠٦ ق . م . ثم تبعه نبوخذنصر الثاني فوحد المملكة ورفع شأنها وغزا مصر وحارب حروباً عديدة وبنى القصور الشهيرة ولكن الملوك الذين جاؤوا بعده كانوا ضعفاء السلطة فلم تأت سنة ٥٣٩ ق . م . حتى سقطت مملكة بابل في قبضة



هارون الرشيد ورسل شارلمان

بلغت الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد ذروة مجدها وشهرتها فذاع اسم الخليفة في سائر الامصار وارسل اليه الملك شارلمان رسلاً يحملون له التحف والهدايا ويطلبون منه تسهيل طرق الحجاج النصارى وضمانة متاجرهم

الفرس على عهد الملك كورش أو قورش العظيم . ويعرف هذا العهد من تاريخ المملكة بالدولة الاخمينية حكم فيها عشرة ملوك مدة ٢٠٨ سنين اشهرهم كورش المذكور وقمبيز وداريوس الاول وزركيس الاول

وفي سنة ٣٣١ ق . م . استولى الاسكندر على بابل وجانب كبير من ما بين النهرين فاسس فيها الدولة اليونانيـة او السلوقية التي استمرت ١٩٢ سنة وحكم فيها اربعة عشر ملكا اشهرهم الملك سلوقس الاول ونيقاتور . ثم جاءت الدولة البارثية وعدد ملوكها ستة وعشرون حكموا ٣٦٤ سنة اشهرهم ارشاقة السادس (ويسميه اليونان مثريداتس الاول) حكم في سنة ١٧٤ ق . م . فاستولى على ما بين النهرين

وجاءت بعد ذلك الدولة الساسانية او الفارسية الوسطى (في سنة ٢٢٦ للميلاد) فحكمت ٤١٠ سنين وظهر فيها ثمانية وعشرون ملكا اشهرهم اردشير الاول مؤسس الدولة ويزدجرد الثالث

العرب والمغول والترك

وفي سنة ٥٣٦ للميلاد غزا العرب ما بين النهرين في خلافة عمر فانتصروا على الفرس في بابل واخذوا المداين وحصون السلوقيين واخضعوا البلاد كلها . وفيها نشأت الدولة العباسية اشهر دول الاسلام وبقيت الى ان تغلب عليها هولاكو حفيد جنكيز خان الكبير فانه غزا بغداد في سنة ١٢٥٨ للميلاد فافتتحها وقتل المستعصم آخر خلفاء العباسيين وانشأ فيها الدولة التترية واشهر حكامها تيمور او دمرلنك توفي في سنة ١٤٠٥ فضعفت البلاد بعده وهاجمها الشاه اسمعيل الاول ملك الفرس في سنة ١٥٠٢ فافتتح بغداد ومن ثم نشأت منافسة شديدة بين الفرس والترك . وكان هؤلاء قد استولوا على القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ فلم يسعهم أن يكون الفرس شوكة في جنب سلطنتهم فسعوا لفتح بغداد وما بين النهرين وتم لهم ذلك في ايام السلطان سليمان الكبير في سنة ١٥٣٤ . ولكن الفرس اعادوا الكرة على الاتراك فانتزعوا منهم بغداد في سنة ١٦٢٠ في عهد الشاه عباس الاول الى ان جاء السلطان مراد الرابع ملك الاتراك فغزا بغداد وما بين النهرين واستولى عليها نهائياً وبقيت في يد الاتراك حتى هذه الحرب

هذا ملخص تاريخ الممالك التي ظهرت في ما بين النهرين ونأتي الآن على ذكر بعض المدن التي اشتهرت في ذلك الزمن

المدن

فنها مدينة اديسا او اورفا التي الى جنوبها خرائب حاران المشهورة في التوراة ويرجح أنها فقدت اهميتها منذ دخولها في حوزة المغول . وعلى مقربة منها مدينة سروج وقد ورد ذكرها ايضاً في التوراة ولما استولى عليها اليونان سموها بتنة ولكنها تُعرف اليوم باسمها القديم ويسمى السهل المحيط بها بسهل سروج

والى الضفة اليسرى من الفرات مدينة ابامية المعروفة اليوم باسم « بره جك » . والى الجنوب مدينة نيقافوردم التي ازدهرت في عهد الملوك السلوقيين وامتدت تجارتها وقد بناها الملك نيقانور السلوقي بامر الاسكندر الكبير واطلق عليها اسمه تذكاراً لانتصاراته وتسمى اليوم الرَّقّا . والارجح ان مدينة كرشميش او كركميش الوارد ذكرها في التوراة كانت في الموضع المعروف اليوم بقلعة النجم



قبر زبيدة

كانت زبيدة احب الزوجات الى هارون الرشيد ولها اليوم ضريح جميل على كثب من بغداد تحج اليه النساء من كل حدب وصوب

ومن اهم مدن ما بين النهرين الشمالية مدينة نصيبين وكان اليونان يسمونها نسيبيس واشتهرت بوفرة متاجرها وكانت على عهد الدولة الاشورية مركزاً سياسياً مهماً وبلغت اوج شهرتها في ابان الحروب التي قامت بين رومية والفرس فقد استولى عليها لوكاس الروماني ثم فقدها ثم استرجعها الامبراطور ادريانوس وحصّنها الامبراطور سفيروس واخيراً اصبحت عاصمة المقاطعة المحيطة بها وحصناً من اهم حصون الرومان الشمالية . وظلت كذلك الى زمن جوفيانوس فاستولى عليها الفرس وكان ذلك خسارة عظيمة على الرومانيين فاضطر الامبراطور انسطاسيوس في سنة ٥٠٧ للميلاد ان ينشئ

الى الشمال الغربي منها حصناً يضارعها هو حصن داراس الشهير المعروف اليوم باسم دارا وكان يسمى ايضاً انسطاسيوبولس . ثم انشأ ملوك الروم حصوناً اخرى على اقصى الحدود منها انطونوبولس التي حصّنها قسطنطين ودعاها باسمه ولا تزال آثارها باقية حتى هذا اليوم بقرب موضع يقال له تلا بين حاران ونصيبين

ومن تلك المدن ايضاً ماردين وكانت من اشهر الحصون الرومانية وفيها قلعة طبيعية من اشهر القلاع والمدينة مبنية على جبل يبلغ ارتفاعه ٤٢٦٥ قدماً عن سطح البحر وقد اشتهرت باعتدال هوائها وجمال الحدائق والبساتين المحيطة بها

ومنها ايضاً مدينة دياربكر وكانت اهم الحصون الرومانية في اعالي دجلة وكان الرومانيون يسمونها آميدا ولا تزال تسمى حتى اليوم « قره آميد » اي آميد السوداء بسبب لون حجارتها . وقد اهتم قسطنطين الاكبر بتحصينها ولكن سابور الثاني من ملوك الدولة الساسانية انتزعها منه حوالي منتصف القرن الرابع للميلاد ثم استرجعها الرومان في القرن الخامس ثم استردها الفرس فبقيت في قبضتهم زمناً وجيزاً اذ عاد الرومان فانتزعوها منهم وبقيت في يدهم الى ان انتزعها منهم العرب في سنة ٦٣٨ وبعد ان تقلبت عليها الدول انتزعها الاتراك في سنة ١٥١٧

ومن المدن المشهورة مدينة اورفا الحالية وكانت قديماً تسمى اديسا وقد اشرنا اليها سابقاً . قيل ان سلوقس الاول وسّعها وحصّنها وجعلها عاصمة البلاد المحيطة بها . وكانت مقر الدولة الابجرية التي خضعت للسلوقيين ثم للرومانيين . قيل ان الابجر الخامس عاصر المسيح وراسله وقد ترجم اوسيبيوس تلك الرسائل الى اليونانية ولكن ظهر فيما بعد انها مختلقة . وفي اوائل القرن الثالث للميلاد استولى الرومان على هذه المدينة واستعمروها ثم تعاقبت عليها الدول الى ان انتقلت الى يد العرب وفي سنة ١٠٩٧ استولى عليها الملك بلدوين الصليبي وسمى نفسه امير اديسا . وبقيت المدينة في يد الصليبيين الى منتصف القرن الثاني عشر للميلاد (سنة ١١٤٤) اذ استولى عليها امير زنجي خان سلطان الموصل . وفي سنة ١٥١٦ استولى عليها الاتراك في عهد السلطان سليم الثاني

ومن مدن اواسط ما بين النهرين مدينة الموصل المجاورة لمدينة نينوى القديمة الواقعة على ضفة دجلة اليسرى وكانت آخر عواصم الدولة الاشورية وبقيت كذلك الى سنة ٦٠٧ قبل الميلاد اذ خربت . ولا يزال سورها باقياً حتى هذا اليوم ويبلغ ارتفاعه من اربعين الى خمسين قدماً ومحيطه نحو اثني عشر ميلاً . وفيها جامع يسمى جامع النبي يونس ويقال ان فيه قبر النبي يونان . وكان اسنحاريب الاشوري فيها قصر فخم وعلى مسافة نحو عشرين

ميلاً الى الجنوب الغربي بقرب دجلة آثار نمرود المسماة في التوراة « كالح » (تكوين ١٠ : ١١) وقد بناها شلمناصر الاول في سنة ١٣٠٠ قبل المسيح

ولعل اشهر مدن ما بين النهرين قاطبة مدينة بغداد الواقعة على الضفة اليسرى من نهر دجلة (ويبلغ عرض النهر عندها نحو ٢٧٥ ذراعاً) وعدد سكانها اليوم نحو مئتي الف وهم خليط من المسلمين واليهود والمسيحيين . والمدينة مبنية على انقاض مدينة (بغدادو) البابلية التي لا تزال آثارها باقية حتى الآن واشهرها رصيف ميناء المدينة وكان مبنياً من الآجر المنقوش عليه اسم نبوخذنصر . اما مدينة بابل التي كانت عاصمة المملكة البابلية في ابان زهوها فتبعد عن بغداد ثلاثة وخمسين ميلاً وهي اليوم انقاض بالية وقد كانت



الجوفة

وهي نوع من القوارب المستعملة على نهري دجلة والفرات

في ما مضى من الاحقاب اكبر مدن اسيا واكثرها ازدحاماً بالسكان حتى انها فاقت مدينة طيبة نفسها . وقد ذكر هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير ان المدينة كانت كبيرة جداً يبلغ محيطها ٤٨٠ ستاداً اي نحو خمسة وخمسين ميلاً (وذلك يعادل محيط لندن وباريس معاً) وقال ان ارتفاع سورها يبلغ مئتي ذراع (اي نحو ٣٣٠ قدماً) وعرضه خمسين ذراعاً . ولكن لما دخلها الاسكندر كان محيطها قد تقلص الى تسعين ستاداً (اي نحو عشرة اميال) وهو محيط انقاضها الحالية . ويظهر ان النهر جرف جانباً منها . ومن اهم الآثار الباقية منها اليوم ما يُعرف « بالقصر » وهو قائم على هضبة تعلو خمسين قدماً

عن نهر الفرات وعلى الاحدور الجنوبي منها آثار قصر نبوخذنصر واهم ما قد بقي منه قاعة العرش او قاعة « منا — تقيل[1] » التي يبلغ طولها مئة وسبعين قدماً وعرضها نحو مئة وستين قدماً

وعلى الاحدور الشمالي من الهضبة المذكورة آثار قصر آخر من قصور نبوخذ نصر والى الشرق آثار معابد وابنية اخرى لا يسعنا شرحها في هذا المقام . وانما نقول ان على مسافة ميل وربع الى الشمال آثار الفراديس المعلقة التي كانت احدى عجائب الدنيا السبع وكان نبوخذنصر قد انشأها لزوجته سميراميس وعلى بعد نحو اثني عشر ميلاً الى الجنوب الغربي منها آثار « برس » او « برسيب » او « بورسيبا » ويقال انها بقايا برج بابل الشهير

أما جنة عدن فقد اختلف العلماء في حقيقة موقعها وأحدث الآراء في ذلك انها على مسافة خمسين ميلاً الى الغرب من بغداد . وكانت الحكومة العثمانية قد عزمت قبل الحرب الحالية ان تروي جميع الاراضي المجاورة لتلك الارض ومساحات أخرى واسعة من ما بين النهرين ولكنها عدلت عن تلك الفكرة او توقفت عن تنفيذها موقتاً

هذه اهم المدن التي ورد ذكرها في التاريخ القديم . وقد كانت البلاد المحاذية لنهر الخابور على طول مجراه حتى رأس العين بلاداً كثيرة الخصب والماء بخلاف البلاد المحاذية لمجرى الخابور السفلي وكان اليونان يسمونها جوزانيتس (وهي جوزان الوارد ذكرها في سفر الملوك الثاني ص ١٨ : ١١) أما الاراضي التي على الضفة الشرقية من اعالي الخابور فتشبه بلاد جوزان من حيث التربة والهواء

---

(١) جاء في سفر دانيال (ص ٥) ان الملك بيلشاصر بن الملك نبوخذنصر صنع مرة وليمة لعظمائه الالف وأمر باستعمال آنية الذهب والفضة التي كان ابوه قد أخذها من هيكل أورشليم . وبينما هو وعظماؤه وزوجاته وسراريه في غاية المسرة ظهرت اصابع يد وكتبت على الحائط كتابة لم يفهمها أحد فارتاع الملك ورجاله واستدعى السحرة والمنجمين ليقرأوا له الكتابة فلم يستطيعوا . فزاد خوف الملك وارتاع جداً فتقدمت اليه الملكة وقالت له ان في المملكة رجلاً يدعى دانيال يستطيع فك ذلك اللغز فللحال أمر باحضاره فحضر دانيال وقرأ له الكتابة وهي « منا . منا . تقيل وفرسين » . ثم قال دانيال : « وهذا تفسير الكلام . منا — أحصى الله ملكوتك وانهاه . تقيل — وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً . فرسين — قسمت مملكتك وأعطيت لمادي وفارس »

حينئذ أمر بيلشاصر ان يلبسوا دانيال الارجوان ويضعوا في عنقه قلادة من ذهب ونادوا عليه انه يكون متسلطاً ثالثاً في المملكة . وفي تلك الليلة قتل بيلشاصر فتولى المملكة داريوس المادي

الشعوب الشرقية

في الحرب الاوربية

تمهيد

كان الشرقيون والغربيون منذ اقدم ازمنة التاريخ في تنازع دائم على سيادة العالم لاختلافهم في الاخلاق واللغة والنسب والطبائع وقد أدت العصبية الوطنية بينهم الى زيادة الاختلاف والتباعد والتنافر على ما تقتضيه المصالح والمطامع . لكن الشرق سبق الغرب في المدنية فظهرت دول بابل واشور ومصر والهند وفينيقية وفارس وقرطاجنة وغيرها من الدول التي حاربت الغرب واستعمرته ودوخت اهله وهم في ظلمات الجهالة والهمجية . ولم نسمع في التاريخ ان الشرقيين قاتلوا في اوربا الا طلباً للفتح والظفر كما فعل الفرس في حروبهم مع اليونان وفتحهم بلادهم ودخولهم أثينا بقيادة زارس (كزرسيس) وكما فعل القرطاجيون في حروبهم مع الرومان في ايطاليا بقيادة هنيبال ، وأمة الهون في اكتساحها اوربا بقيادة ملكها اتيلا وكما فعل العرب وقت الفتح الاسلامي في حروبهم مع الروم وحملهم على الغربيين في بلادهم ففتحوا اسبانيا وجنوب فرنسا وبعض ايطاليا . وكالاتراك وقت استيلائهم على القسطنطينية والبلقان ومحاربتهم دول اوربا

أما الآن فقد احتك الشرق بالغرب احتكاكاً عظيماً وارتبط احدهما بالآخر ارتباطاً شديداً بعد ان تحضرت اوربا واخذت في استعماره وترقية شؤونه وتنظيم اهله وجنوده على النظم الحديثة في الجندية فاستحكمت عرى الروابط والاتفاق بين الطرفين وصار الشرقيون يحاربون الآن في اوربا ليس طلباً في فتحها او امتلاكها كما كان يحاول اجدادهم من قبل بل طلباً في نصرة مستعمريهم الذين يحاربون معهم جنباً لجنب دفاعاً عن مصالحهم وكيانهم . وقد أظهرت الحرب الحاضرة اهمية مساعدة الجنود الشرقيين وعظيم شأنهم في الجيوش الاوربية فرأينا من فعالهم في ميادين القتال ما أدهش اهل اوربا قاطبة حتى ميزوا عن سواهم من سائر الجنود وصارت الفرق الشرقية التي جندتها الدول الثلاث الكبرى من املاكها في الشرق موضع اعجاب الغرب بل هي زهرة جنوده . فكما ان فرسان القوزاق هم زهرة الجيش الروسي كذلك الجزائريون (التركو) في الجيش الفرنسوي والهنود في الجيش الانكليزي وما ذاك الا لتقاليدهم المجيدة في الحروب

وبسالتهم وما اشتهر عنهم من ضروب الشجاعة والفروسية ولا عجب فهم من سلالة الفاتحين وتاريخهم يشهد لهم بالفضل العظيم في الفتوحات العديدة والحروب القديمة والحديثة

وقد رأينا ان نبين في هذا المقال فضل هذه الجنود الشرقية في الحرب الاوربية الحاضرة ووصف فعالها في ميادين القتال وتاريخها وبسالتها واعتراف اهل اوروبا بذلك فنقول :

الهنود

الهنود من الشعوب العريقة في المدنية والحضارة وهم مشهورون منذ القدم بالقوة وشدة البأس لما لهم من الصفات الحربية والمزايا العسكرية التي كانت ولا تزال متوارثة



لورد كتشنر يحادث بعض الضباط الهنود

فيهم جيلاً بعد جيل . واشهر اصحاب السيوف منهم الراجبون وهم فريق المحاربين في الهند منذ الزمن القديم ومعنى اسمهم اولاد الامراء وكان لهم شأن عظيم في الزمن السالف اما اليوم فقد ضعف شأنهم بعد ان صارت الجنود تؤخذ من كل الطوائف وجميعها تدعى الرجيونية

وقد نظمت الحكومة الانكليزية الجيش الهندي على احسن نظام ودربته احسن تدريب فلما شبت الحرب الحاضرة أنجدت الهند الحكومة الانجليزية بجيش عظيم من الجنود الهندية التي كان لها الفضل المعظم كما قالت التيمس في اضرام نار الحمية في الجيش كله . ومن هؤلاء الجنود الذين امتازوا في هذه الحرب بالبسالة والحماسة الجنود المسلمون والسيخ والغوركا وغيرهم من الفرق الهندية . فالمسلمون هم من طوائف مختلفة ففيهم سلالات العرب والفرس والكيثيين والمغول والتتر والافغان فضلا عن الهنود الاصليين الذين اسلموا . وربع جنود الحكومة منهم وقد وصفهم العارفون بالشجاعة والثبات ولغتهم هي الهندستانية لكن المتعلمين منهم يحسنون العربية والفارسية . اما السيخ فهم من قبائل الهند الموصوفة بالشجاعة وقد ناوأوا المسلمين أيام حكمهم الهند كما ناوأوا الانكليز في العهد الماضي فقهرهم هؤلاء وادخلوهم في طاعتهم ونظموا منهم جنوداً ثبتت على ولائهم ابان الفتنة الكبرى سنة ١٨٥٧ كما ثبتت الان في هذه الحرب على قتال اعدائهم . وقد أتى السيخ والغوركا من ضروب القتال ما ادهش اعداءهم واضطرهم الى تغيير ظنهم فيهم فاعترفوا بشجاعتهم وثباتهم وشدة حملاتهم

وقد امتاز الهنود في هذه الحرب بامرين عظيمي القدر والشأن اولهما تيقظهم الدائم وانتهازهم الفرص . وثانيهما حسن رماية مدفعيتهم . وقد روى مكاتبو الصحف عنهم روايات كثيرة من هذا القبيل نورد منها ما يأتي :

طارت طيارة بريطانية من مواقع الجيش البريطاني وحلقت فوق رؤوس الالمان في خنادقهم المجاورة لخنادق البريطانيين فاتجهت اليها ابصار الالمان وشرعوا يطلقون عليها مدافعهم الضخمة وبنادقهم وكان جنود الغوركا الهنود يرقبون ما يجري فانسل جماعة منهم زحفا على الارض وهم حاملون مداهم العريضة التي يسمونها (ككري) وانقضوا على الالمان الذين كانت ابصارهم شاخصة الى الجو فلم يشعر هؤلاء الا ومدى الغوركا تعمل فيهم فاستحوذ عليهم الذعر وفروا هاربين وهم لا يصدقون بالنجاة وعاد الغوركا جذلين مسرورين وهم يقولون ان القتال حسن ولكن هذا احسنه

وجاء في الانباء البرقية غير مرة وصف قتال الهنود العجيب في الميدان الغربي مما كان له اعظم تأثير في الاستيلاء على الاماكن المحصنة والنصر في كثير من المواقع الكبرى التي نقلت الينا أخبارها فمن ذلك ما ورد في التيمس قالت : « كثيراً ما يطرح الغوركا بنادقهم ليلا ويتقلدون مداهم المعروفة بالككري ثم يتركون خنادقهم خلسة ولهم اسلوب خاص في الاشارات فيقتلون الحراس ولا يرى الناظر سوى كتلة سوداء تزحف من غير

ان يسمع لها صوت ثم تحمل على خنادق العدو من غير انذار سابق وهذه الحملات في الليل تفتح الطريق للجنود الانكليزية »

وجاء في امر عسكري نشر على الجنود الهندية بعد انتصارهم في احدى المواقع :

« لقد حاربتم في بضعة الايام الماضية حرباً لم يتح لكم الحظ مثلها من قبل فنازلتم عدواً عريقاً في التاريخ ولكنكم اعرق منه فانتم سلالة أولئك الذين كانوا ملوكاً عظاماً وابطالاً كباراً قروناً عديدة فاذكروا مفاخر امتكم عندما تقفون للحرب... واذكروا انكم تساعدون في تغيير تاريخ العالم وستكونون اول جنود الملك الامبراطور الذين يحوزون شرف إفهام اوربا ان أبناء الهند لم يضيعوا شيئاً من مزاياهم العسكرية القديمة وانهم اهل للثقة التي وضعت فيهم . الخ »

وقد ترنمت الجرائد في أنحاء العالم بذكر فعال الهنود في هذه الحرب واقدامهم واستبسالهم في ساحات القتال مما دل على انهم جنود مجربون ليس فوق الارض جنود اعظم منهم بأساً او اشد مراساً ولا يكاد يمر يوم من ايام الحرب

الا نرى من فعالهم مايثبت ذلك مما يضيق به المقام . وقد قدرت الحكومة الانكليزية اعمالهم حق قدرها فزار ملك انكلترا جرحاهم مرات عديدة اعترافاً ببسالتهم وانعمت الحكومة على كثيرين منهم بوسامات الشرف ونياشين الافتخار . ونكتفي الان بما تقدم من بيان مفاخر جنود الشرق الهندية ونتقدم الى الكلام عن اخوانهم القوزاق في الجيش الروسي فنقول

القوزاق

تاريخهم ووصفهم

القوزاق هم من التتر ومعنى اسمهم باللغة التترية « الجريء المقدام او البدوي » . وهم مسلمون ونصارى وبوذيون . فالمسلمون هم قوزاق الجراكسة واورال وسيبريا



القوزاق

والنصارى قوزاق الدون والبوذيون قوزاق المنول جهة بحيرة بيكال . وكل القوزاق شجعان بواسل أولو بأس شديد وبطش ولهم فروسية خارقة للعادة

وقد مضت عدة قرون وكلمة « قوزاق » تلقي في اهل ممالك الغرب رعباً لانها صارت مرادفة للشراسة والقسوة في الحروب ومما يدل على شدة ميلهم الى الطعان والكفاح انهم يتسمون باسماء الاسلحة والغزاة . فالقوزاقي هو جبار اوربا وبطل حروبها منذ الف عام يهلع له قلب عدوه اينما التقى به

واذا راجعنا تواريخ الحروب رأينا القوزاقي يقتحم ساحات الوغى فيحارب في جانب من شاء غير مبال لانه لا يطلب الا الحرب فسواء قاتل مع ملك بولندا او سلطان تركيا او قيصر روسيا او ملوك اسوج ونروج فانه يرهب اعداءه ويسطو عليهم سطو جبار عنيد

ففي عهد بطرس الاكبر كان القوزاق ساعده يضرب بسيوفهم ورماحهم وخناجرهم ذات الحدين فيؤتى النصر والظفر . وفي عهد كاترينا الثانية اجتاح القوزاق بروسيا ودوّخوها حتى ابواب برلين . ومنذ مئة عام ونيف خلّص القوزاق روسيا اذ كان لهم القسط الاكبر في اسقاط نبوليون الاول والتغلب عليه ولم يرو التاريخ ان قوماً اوقعوا في جيش ما اوقعوه بجيش نبوليون وهو عائد من موسكو . في تلك الصحاري التي كساها الثلج حلة بيضاء كانوا ينقضون على الجنود الفرنسوية عصابات ويلون بها البلاء الحسن ثم يتوارون عن الانظار في الحال ليتحفزوا لها في مكان آخر حتى لقد سمى الفرنسويون الطريق هناك (طريق الهلاك) وحسبنا دليلاً على شدة بأسهم ومراسهم ان جيش نبوليون الذي كان مؤلفاً من ست مئة الف جندي لم يرجع منه الى باريس الا ثلاثون الفاً !! وروسيا مديونة للقوزاق ديناً كبيراً في بسطتها وسعة املاكها ولا سيا املاكها المترامية الاطراف بين البحر الاسود والاوقيانوس الباسفيكي

عدد القوزاق وفرسانهم

والقوزاق هم فرسان الروس وفي روسيا الآن احدى عشرة جالية او جماعة من جماعاتهم يبلغ عددها كلها اكثر من مليوني نفس قليلاً . اما عدد الجنود التي يقدمها القوزاق الى الجيش الروسي في زمن الحرب فلا يقل عن مئة وثمانين الف فارس ينقسمون الى احدى عشرة فرقة تنسب الى اماكن اقامتها وهي دون وكوبان وتيرك واستراخان واورنبرج واورال وسيبريا وسميرتسك وترانسبيقالا وآمور واوسوري . وترى من هؤلاء كثيرين في سيبريا واواسط اسيا والقوقاس متقلدين وظائف كوظائف الجندرمة في تركيا لا عمل لهم الا تنفيذ الاوامر بقمع ثورات العاصين والقاء الرعب في قلوب الاهلين بحرابهم المخيفة وسياطهم الكثيرة الاذناب وهيئاتهم الراعبة

مزاياهم في الحرب الحاضرة وفروسيتهم

ولفرسان القوزاق شأن عظيم في الجيش الروسي وهم مقدمون على سواهم من سائر الجنود وقد ميزوا عنهم بامتيازات عديدة وما ذاك الا لتقاليدهم ومزاياهم العظيمة في الحروب ولما قدمناه من تاريخهم الجيد في الفتوحات الروسية . ولما شبت الحرب الحاضرة كان القوزاق في مقدمة الجنود التي عبأتها روسيا وارسلتها الى ميدان القتال وقد استغرقت

تعبيتهم بضع ساعات فقط وليس بين جيوش العالم كله جنود تسهل تعبيتها مثلهم . ومن اهم مزايا القوزاق التي اشتهروا بها في هذه الحرب فضلاً عن فروسيتهم فائدتهم العظيمة في الاستطلاع واقتفاء أثر العدو والضرب في ساقته والسرعة التي يحفرون بها الخنادق ويقيمون الاستحكامات واقتصاصهم الاثر وارشادهم الجيوش الى الطرق في الآجام والمستنقعات ومضايق الجبال ولهم في الاستطلاع حيل وخدع لا تخطر على بال سواهم . وقد صار اسمهم يوقع الرعب والذعر في قلوب النمسويين والالمان لما رأوه من فعالهم حتى انهم اطلقوا عليهم اسم « الابالسة » . وهم كالمناجذ في سرعة حفر الخنادق والتحصن فيها ومن جملة مزاياهم انهم تدربوا على خوض المياه بخيولهم ولو كانت عميقة مخافة ان تحول الانهر دون وصولهم الى مواقع الحرب . وقوزاق ولايتي الدون والنيبر من امهر جنود العالم في اقامة الجسور (الكباري) المؤقتة فوق الانهار . اما فروسيتهم فقد اجمع العالم على انهم امهر الفرسان وأحذقهم في ساحات القتال حتى يصح ان يقال ان القوزاقي مولود فارساً فهو يرضع حب القتال مع ابن امه . ومن غريب اطوارهم التي ظهرت في هذه الحرب وافاضت الصحف في وصفها انهم ينقضون على اعدائهم كالبرق الخاطف ثم يتفرقون جماعات في جهات مختلفة ولا يلبثون ان يجتمعوا ويعيدوا الكرة بعد الكرة غير مكترثين للموت كانهم مردة من الجن يظهرون هنا ويختفون ليظهروا في مكان آخر فهم في كل مكان حاضرون غائبون يقطعون المواصلات بين الاعداء هنا وهناك ويوردونهم موارد الهلاك . تراهم تارة في طلائع الجيش وتارة خلفه يحمونه ويردون عنه الاعداء . وقد قاموا بخدمات جليلة من هذا القبيل للجيش الروسي . ومن الغرائب التي اتوها في ميادين القتال ان فصيلة من فرسانهم ابصرت مرة قوة من جنود الالمان فساروا نحوها على مهل ورؤوسهم مدلاة الى احد الجانبين او الى الامام واجسامهم تتلوى تبعاً لحركات جيادهم فخدع الالمان بذلك وظنوهم مجروحين وطمعوا في اسرهم ثم تقدموا نحوهم ولم يكادوا يصلون اليهم حتى دبت الحياة فجأة في القوزاق فصاروا كالاسود الكاسرة واحاطوا باعدائهم الذين طمعوا فيهم واعملوا فيهم سيوفهم ورماحهم وكروا عليهم يثخنون فيهم قتلاً وجرحاً فشتتوا شملهم ومزقوهم كل ممزق

الجزائريون

الترکو والسباهي

لفرنسا من الجنود الشرقية المميزة مثل ما لحليفتيها السالفتين . فالجزائريون عندها بمثابة الهنود عند الانجليز والقوزاق عند الروس

وجنود الجزائر يعرفون «بالتركو» و«الزواف» ويعرف فرسانهم «بالسباهي» وهم موصوفون بالشجاعة والبسالة مثل أجدادهم العرب وقد أتعبوا فرنسا بقيادة الامير عبد القادر الجزائري قبل ان تستولي عليهم. وقد نظمت منهم الحكومة الفرنسوية جيشاً عظيماً بعد امتلاكها الجزائر. والمعروف عن جيش الجزائر انه كان مؤلفاً من اربعة آلايات من المشاة واربعة آلايات من الفرسان ومجموع هذا الجيش في زمن السلم ١٨ الفاً و٦٠٠ جندي و١٨٠٠ فارس من جند السباهي ويمكن ان يصل عدد هذه



جندي جزائري مع رفاق من الفرنساويين والانكليز

الجنود في زمن الحرب الى ٣٥ الف مقاتل كلهم من العرب والبربر. وقد جربت فرنسا في سنة ١٨٨٤ ان تجند من السنغال فجندت آلاياً منهم من حملة البنادق فصحت التجربة جداً لان للسنغالي كافة المزايا المطلوبة في احسن انواع الجنود فزادت على هذا الالاي حتى صار لها منذ ثلاث سنوات فقط من جنود السنغال مالا يقل مجموعه عن ٣٢ الف مقاتل فاذا اضيف الى جيش الجزائر بلغ مجموع الجيشين نحو سبعين الف جندي. هذا والجزائريون الآن يحاربون في صفوف الفرنسويين في اوربا بشجاعتهم وبسالتهم

المعروفة عنهم . وما هذه باول مرة يقاتل الجزائريون بجانب الجيش الفرنسوي . فقد جربتهم فرنسا في حرب السبعين المشهورة بينها وبين بروسيا فكانت لهم فيها اعمال عظيمة وافعال عجيبة لا تزال تذكر بالاعجاب . ومما روي عنهم في اخبار تلك الحرب انهم كانوا لا يبالون بهول المدافع الالمانية وكانوا يهاجمونها هازئين بالموت ويحملون على البروسيين حملات صادقة بالسيوف والحراب حتى ذكرهم القواد الالمان



جندي سنغالي

في مذكراتهم وفي الكتب والفصول التي نشروها عقب تلك الحرب . ذكرت جريدة مانشستر غارديان الانكليزية ان احد كبار ضباط الالمان قال في حرب السبعين عن جنود الجزائر أن الالمانيين كانوا يبذلون في قتال الاي منها ثلاثة اضعاف ما يبذلون في قتال الالاي الفرنسي من المجهود . فجنود الجزائر هذه المنظمة التي طالما شهد تاريخ الحروب بشجاعتها وهول هجماتها تمثل الآن ببسالة ومهارة في ميدان القتال ذلك الدور الذي مثلته مع الالمان في حرب السبعين . والجيش الموجود منها الآن في فرنسا يباهي به الفرنسويون ويهاب حملاته الالمانيون . وقد وقفنا على خطبة نفيسة عن مروءة الجزائريين القاها

حاكم الجزائر العام في يوليو الماضي نقتطف منها ما يأتي . « منذ الساعة الاولى من الحرب امتازت الجنود الافريقية باحتلال المراكز الاكثر خطورة فزادوا بذلك صحيفة على كتاب تاريخهم المجيد . وهم مستمرون بدون تردد كما ذكر ذلك قائد حملة الشرق عند كلامه على الفرقة الرابعة من الزواف إذ قال في ١١ مايو الماضي ما نصه :

بقيت هذه الفرقة مشتبكة منذ ثمانية ايام في معارك دموية يقضي رجالها الليل في الخنادق حتى اذا جاء يوم ٨ مايو اظهروا صبرهم وبسالتهم واخلاصهم . تلك الصفات التي ترفع من قدر الجيش وردوا العدو تحت نيران المتراليوز المميتة

وقد ارسل الجنرال داماد تلغرافاً الى الجنرال موانييه يقول فيه : انتهز فرصة عودتي الى فرنسا لاعرب لك عن اعجابي بالمجهود العظيم الذي ابدته جيوش افريقيا الشمالية في الايام الشديدة والعظيمة التي قضيتها معهم

وقال الجنرال موانييه : ان جيوش افريقيا الشمالية سوف تستخرج عواطفها من من المفاخر الحقة والثقة الثابتة في قيمتها التي تؤيد في كل يوم بطريقة ظاهرة واضحة في الشرق كما هو الحال في شمال فرنسا ولا شك ان هذه الامور ستكون خير مشجع للجزائريين على وطنيتهم الخالصة ونظامهم الحربي »

فترى من ذلك ومن شهادة كبار القواد ما لجنود الجزائر وفرسانهم من الاهمية العظمى في الجيش الفرنسوي ولولا خوف الاطالة لاتينا بالامثلة العديدة على حسن بلائهم في هذه الحرب . ويظهر لنا جلياً من كل ما تقدم ما اردنا بيانه في هذا المقال من مزايا هذه الشعوب الشرقية الثلاثة في الحروب الاوربية الكبرى وما لجنودهم فيها من المنزلة الرفيعة لما يظهرونه من ضروب البسالة والشجاعة التي امتازوا بها منذ اقدم ازمنة التاريخ

عبد الفتاح عباده

ما لا يستحيل بالانعكاس

أي ما يقرأ طرداً وعكساً

ساكب كاس * كل في فلك * ربك فكبر * كبر رجا اجر ربك * ابداً لا تدوم الا مودة الادباء * سر فلا كبا بك الفرس * دام علاء العماد * مودتي لحي تدوم * ارض خضرا * فيها احيف * ارانا الاله هلالاً انارا * صوت فمه مفتوح * رج احمر * كبر آيات ربك * عقرب تحت برقع * لبق اقبل * كن كما امكنك * كرم علمك يكمل عمرك * سور حماه بربها محروس

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

المرأة والاحسان

من خطبة القاها محرر هذه المجلة في حفلة جمعية الاتحاد والاحسان للسيدات في طنطا

سيداتي وسادتي

لم يصنع الله المرأة من رأس الرجل لئلا تسود عليه ولا من قدمه لئلا يعلو عليها بل صنعها من جنبه لتكون مساوية له ومن تحت ذراعه لتكون تحت حمايته ومن قرب قلبه لكي يحبها

ثم ان الخالق سبحانه وتعالى يحب التنويع فبدلاً من ان يجعل طبائع المرأة صورة ثانية من طبائع الرجل خصها بغرائز واخلاق تميزها عنه حتى يكون الرجل والمرأة مكملين الواحد للاخر

واول فرق بينهما انه جعل مركز قوة الرجل في دماغه ومركز قوة المرأة في قلبها. فمن الدماغ تصدر الاعمال والمشاريع العظيمة في الصناعة والعلم والادب ومن القلب يصدر العطف والحنان والحب والتضحية بالنفس. فليس الحب الا جزءاً من حياة الرجل ولكنه كل حياة المرأة

* * *

قد انصرف رجل هذا العصر الى الحياة المادية فاصبح لا يرى العظمة الا في استنباط الالات العظيمة والقيام بالمشاريع الضخمة ونسي لسوء الحظ الحياة المعنوية — حياة العواطف والشعور. ولكن ما اصدق فولتير اذ قال « ان كل تفكير الرجال واعمالهم وفلسفتهم لا تعادل عاطفة واحدة من عواطف المرأة »

ومن ميزات المرأة الغريبة انها تدرك بالبداهة في لحظة واحدة ما لا يدركه الرجل مع التفكير الطويل كأنها شريكة الانبياء في استجلاء المستقبل

* * *

من الاقوال الشائعة « فتش عن المرأة » يعنون فتش عنها في المساوىء والشرور ولكن اذا صح ذلك في بعض الاحيان فلا شك ان الاصح ان نفتش عنها في منشإ كل عمل عظيم ومشروع مفيد

ان في المرأة قوى كامنة تنفجر بزخم هائل كلما سنحت الفرصة الملائمة فتقوم

بالانقلابات العظيمة . ذلك لان المرأة مجموعة عواطف والعواطف اقوى محرك للطبيعة البشرية

لكن تلك القوة الهائلة المتدفقة من المرأة اما ان ترفعها الى اسمى ما تبلغه النفس او ان تدفعها الى مهاوي الشرور . فهي اما ان تكون افضل من الرجل او اردأ منه . قال تنيسن : قد يبلغ اقصى الفرق بين اخلاق الرجال ما بين السماء والارض اما في النساء فقد يبلغ الفرق ما بين السماء وجهنم

على انه مهما نعدّ ميزات المرأة ومهما نجد فيها من الفضائل فانها أمٌّ قبل كل شيء . فكما ان المعدن السائل يتخذ شكل القوالب التي يسكب فيها — وهذه القوالب تسمى ايضاً امهات في اللغة — كذلك الام تكيف ولدها بحسب ما عندها من المبادىء والاخلاق

ان المدنية الحاضرة تأول احياناً في بعض ظواهرها الى اضعاف عاطفة الامومة . ولكن الارتقاء الحقيقي لا يكون الا اذا زاد شعور المرأة بانها ام قبل كل شيء . ان كل خطوة ليست هذه وجهتها هي تقهقر بلا ريب . فليست عظمة انكلترا في قوة جيشها واساطيلها بل في متانة عائلاتها وتوثق عراها

ولا يقتصر تأثير المرأة على الاولاد بل يمتد الى جميع الطبقات والاعمار . فالرجل في أغلب الاحيان يكون كما تطلب منه المرأة ان يكون . ولله در من قال : يقول الرجل عن المرأة ما يريد أما المرأة فتفعل بالرجل ما تريد

* * *

هل خطر لكم يوماً ان تساءلتم لماذا خلقت الاحياء مقسومة الى ذكور واناث ؟ قد وضع المفكرون نحو خمسمئة تعليل لهذه المعضلة بدون ان يصلوا الى جواب مرض . ولا شك انه كان يمكن الطبيعة ان تجعل بقاء الانواع وتناسلها بغير انقسام كل جنس الى شطرين . فما السر في ذلك ؟

ان العلم الحديث يدلنا على ان لهذا الانقسام معنى ادبياً سامياً . فمن يمعن النظر في عوالم الحيوانات يجد ان الذكور اكثر قوة وحركة ونشاطاً حالة كون الاناث اكثر لطفاً وسكوناً وهدوءاً فهذه الفروق تدل على أن لكل فريق وظيفة خاصة في نشوءها ونموها . فعلى الرجل في الهيئة الاجتماعية الكفاح والجهاد للارتزاق . وعلى المرأة ان تعتني بأولادها وبيتها وتضحي بكل نفيس في هذا السبيل . وبعبارة اخرى ان وظيفة الرجل تنازع البقاء ووظيفة المرأة التنازع لاجل بقاء الغير . وكلا النزاعين ضروري لنشوء

الاجتماع . ولكن اسماها الثاني

فوظيفة الرجل وقتية ومحصورة اكثر من وظيفة المرأة . فهمّ الرجل الارتزاق اما المرأة فانها معينة الطبيعة في حفظ الجنس فالاجيال المقبلة لا تعيش ولا تنمو الاّ بعطف الامهات وعنايتهنّ . فان حياة المرأة مركبة من عطف وحنان وتضحية ومحبة . كأن الله لما خلق العالم واستراح جعل الامهات نائبات عنه على الارض ...

* * *

ما اكثر التاعسين والاشقياء على هذه الارض ! يظهر ان الله يحبهم حباً جماً حتى جعلهم السواد الاعظم من الجنس البشري

فما هو سبب ذلك الشقاء ؟ يجيب البعض ان هذه هي سنة الطبيعة التي تقضي على القوي ان يستأثر بالثروة ويورثها لنسله وعلى الضعيف ان يظل شقياً تاعساً او بعبارة اخرى ان تزاحم الناس المتكاثر عددهم على موارد الثروة المحدودة كميتها تجعلهم يتنازعون تنازعاً دائماً مستمراً

ولكن ما اشقى الحياة اذا لم يكن فيها غير النزاع والقتال والكفاح !

لا — والحمد لله — ان فيها غرائز اخرى سامية تجعل للحياة قيمة وتعطيها رونقاً وجمالاً . ان فيها عواطف المحبة والعطف والحنو والرفق والاحسان . فالتنازع يقابله التعاون وكلاهما سنة طبيعية . والانانية تقابلها الغيرية وكلاهما ضروري لحياة المجتمع الانساني

هذا ما اريد ان ابرهنه الآن فاطلب اليكم ان ترافقوني هنيهة في سياحة صغيرة في عوالم الطبيعة لنتحقق صدق هذا القول

ان امثلة التضامن والتعاون في الطبيعة كثيرة :

فاذا دققنا النظر في عالم النبات وجدنا ما يؤيد بأجلى برهان مبدأ التعاون بين الكائنات . فالنباتات الساكنة بطبيعتها تستعين بالكائنات المتحركة حولها كالهواء والهوام والطيور لتنقل اليها المادة الملقحة التي بها تحيا . وبعض الازهار الصغيرة التي لا تكفي وحدها لجلب نظر الطيور والهوام اليها تتجمع في جهة واحدة حتى تكفي معاً لهذه الغاية

ثم ان الشجرة عند ما تثمر لابد لها من نشر بذورها في اماكن مختلفة . فانها اذا وقعت كلها في مكانها انقرض النوع . فقد اخترعت الطبيعة طرقاً عديدة لسدّ هذه الحاجة فركبت للبذور اجنحة وشعراً لتنتقل مع الهواء او على اجنحة الطيور والهوام او مع تيار المياه الى سائر الجهات

واذا القينا نظرة اجمالية الى الطبيعة تيقنا صحة قول داروين : انه كلما زاد التكافل

والتعاون بين افراد النوع الواحد كان اشد ثباتاً واقوى على مقاومة اعدائه

ذكر هيرودوتس عند كلامه على مصر ان المصريين القدماء كانوا يخرجون الى الصحراء في وقت معين من كل سنة ثم يرجعون ومعهم اغصان النخل فيهزونها فوق اشجارهم . وكانوا يعتقدون انهم اذا لم يفعلوا ذلك ماتت اشجارهم . اننا نعرف اليوم ان شجر النخل كالناس منه ما هو مؤنث ومنه ما هو مذكر . فالغاية من هذا العمل الذي كانوا يعملونه من غير ان يفهموا حقيقته كان تلقيح تلك الاشجار

وفي الطبيعة ايضاً امثلة كثيرة للتضحية : اذا نظرنا بالمكروسكوب الى نقطة ماء وجدنا فيها احياء صغيرة واذا دققنا النظر وجدنا ان هذه الاحياء المركبة من خلية واحدة تتغذى من المواد الموجودة حولها الى حد محدود ثم تنشطر نصفين فتصبح الخلية الواحدة خليتين . انها تفقد جزءا من حياتها ومن ذاتيتها لتولد حياة اخرى وذاتية اخرى

انظروا الى الازهار كيف تذبل وتموت لتقوم مكانها الاثمار لان فيها البذور التي منها ستنشأ ازهار اخرى واثمار اخرى

فكل ما تقدم يدل على ان الطبيعة قد فسحت مجالاً للعواطف السامية وان التعاون سنة طبيعية كالتنازع . بل اننا اذا القينا نظرة على المخلوقات الحية وجدنا اننا كلما ارتقينا في سلم الحيوانات زادت مكانة الغيرية وقلت مكانة الانانية

ان اسمى مظاهر الطبيعة البشرية التضحية . فلا يكفي ان نحزن لما يحل بغيرنا من المصائب بل يجب ان نعمل لتخفيفها . فمجرد التأسف عاطفة انسانية اما السعي لتخفيفها فعاطفة الهية

ومن الاقوال المأثورة : الصلاة توصلنا الى نصف طريق السماء والصوم يوصلنا الى بابها وبالاحسان فقط يؤذن لنا في دخولها

ان الاحسان لا يفقد ابداً حتى ولو حل في غير اهله فانه يبعث المسرة والانشراح في قلب المعطي . ولا شك ان اعظم سعادة هي ان نسبب سعادة للغير

وأريد ان اختم خطابي بثلاث جمل مأثورة يصح ان تكتب بماء الذهب :

قال سقراط الحكيم اليوناني : اعرف نفسك

وقال ماركس اوريليوس الامبراطور الروماني : املك نفسك

اما المسيح فقال : ضحّ بنفسك

هذا هو المبدأ الراقي الذي تجسم في جمعية الاتحاد والاحسان اطال الله حياتها ونفع بها الناس

الغلط والفصيح

على ألسنة الكتّاب

(تابع لما في الجزء الماضي)

ويقولون أرعبه اي اخافه فهو مرعب والصحيح رعبه من الثلاثي كما نُصَّ على ذلك في كتب اللغة

ومثله قولهم أرعد وأبرق بمعنى صات ولمع والصحيح رعد وبرق. يقال رعد السحاب وبرق اي صات ولمع ورعد زيد وبرق اي تهدد واوعد . وقد انكروا على الكميت قوله

أبرقْ وأرعدْ يا يزيـ ـدُ فما وعيدك لي بضائرْ

ويقولون اهرق الماء واهرق دمه والصحيح هرق الماء وهرق دمه من الثلاثي المجرد . والعرب تقول ايضاً هراقَ الماء يُهَريقُهُ هراقة واصله اراقه يريقه اراقة أبدلت الهمزة هاء . والامر هرقْ او أرق

ومن هذا القبيل قولهم أبرده اي جعله بارداً ولم يسمع وزن افعل من هذا الفعل بهذا المعنى بل يقال بَرَدَه اي جعله بارداً

ومثله قولهم أجهد قريحته واجهد خياله وهي لغة رديئة والصحيح جَهَدَ قريحته وجهد خياله من الثلاثي المجرد بمعنى بلغ بها الجهد

ويقولون عَنَيت بهذا الامر وانا عانٍ به فيبنون الفعل للمعلوم وهو على ما في كتب اللغة مبنيّ للمجهول فيقال عُنيتُ بالشيء وانا معنيٌّ به . ومثل هذا كثير في كلام العرب يقولون بُهت الرجل وهُزل و نُكب وعُقمت المرأة وقس عليه

ومن اغلاطهم ايضاً قولهم ضيفته اي انزلته عندي والمأخوذ من كلام العرب ان قولك ضفته من الثلاثي يعني نزلت ضيفاً عليه بخلاف أضفته اي دعوته للنزول

ويقولون غلق الباب وقفله فهو مغلوق ومقفول . ولم يسمع الثلاثي من هذين الفعلين بهذا المعنى بل يقال اغلق الباب واقفله فالباب مغلق ومقفل . وقد عابوا على ابي الاسود الدؤلي قوله

ولا اقول لقدر القوم قد غَليت ولا اقول لباب الدار مغلوق

ويقولون غليتُ الماء وماء مغليّ وكلاهما غلط لان هذا الفعل يتعدى بالهمزة فيقال أغليتُ الماء وماء مغلًى

ويقولون كَرَى البيت والدابة وهو غلط والصحيح اكرى البيت والاسم منه الكراء

والكِروة بكسر الكاف في كليهما

ويقولون نصحته اي وعظته واخلصتُ له المودّة وقد نصت كتب اللغة على ان التعدية باللام افصح . يقال نصحت له فانتصح اي قبل النصح . وجاء في سورة هود قوله « إن اردت ان انصح لكم »

ويقولون عبأ الجيش اي هيّأه واعده (وهي لغة ابي زيد) والمنقول عن يونس ان الهمزة غلط والصحيح عبّى الجيش وقد عبّيته اي اعددته

ويقولون استعرض الجيش اي أمرّه امامه ونظر حاله . والصحيح عرض الجيش من الثلاثي المجرد . واما صيغة استعرض فقد وضعت في الاصل لغير هذا المعنى

ويقولون غفا زيد وقد غفوت عنه والصحيح أغفى زيد وقد أغفيتُ عنه من صيغة افعل . قال ابن السكيت وغيره « . . . ولا يقال غفوت » . وقال الازهري « . . . كلام العرب أغفيت وقلّ ما يقال غفوت » . على ان صاحب محيط المحيط اورد الثلاثي المجرد من هذه المادة فقال « غفا الرجل . . . (واويّ) وغفي . . . (يائيّ) . . . اي نعس ونام »

ويقولون ملّح الطعام وأملحه (من صيغة فعّل وافعل) بمعنى طرح فيه الملح بقدر . والصحيح ملَح الطعام من الثلاثي المجرد . فاذا اكثر من الملح حتى فسد الطعام يقال ملّحه وأملحه من الوزنين المشار اليهما

ومن هذه المادة قولهم طعام مالح اي فيه ملوحة والصحيح طعام مِلحٌ بكسر الميم . وجاء في قول عذافر

بصرية تزوجت بصريّا   يطعمها المالح والطريّا

وهي لغة رديئة

ويقولون اختفى زيدٌ من صاحبه اي استتر عليه والصحيح استخفى منه على وزن استفعل كما وردت في القرآن

ويقولون كُسفت الشمس وخُسف القمر وانكسفت الشمس وانخسف القمر وكل ذلك غلط لان هذين الفعلين وُضعا للمعلوم لا للمجهول ولم يردا على لسان العرب بصيغة المطاوعة بل يقال كَسَفت الشمس وخَسَف القمر بفتح فاء الفعلين وعينهما

ويقولون ارتُجّ على فلان في الكلام بتشديد الجيم اي لم يستطع النطق . والصحيح ارتِجَ عليه بتخفيف الجيم وبناء الفعل للمجهول

ويقولون قدّره حق قدره بتشديد الدال وهي لغة رديئة لم ترد في شيء من فصيح الكلام والصحيح قَدَره حق قدره وعليه قوله تعالى في القرآن « ما قدروا الله حقَّ قدره » اي ما عظّموه حق تعظيمه

ويقولون ارتاح من تعبه وهو من كلام العامة والصحيح استراح من تعبه . واما قول العرب ارتاح الى الشيء فمعناه سرّ به ونشط اليه

ومن هذا القبيل قولهم احتار في امره من وزن افتعل وهو غلط وصوابه حار في امره او تحير فيه اي لم يدرِ وجه الصواب . ومنه القول المشهور

تحيَّـر في الرياض فليس يدري أيجني الورد ام يجني الاقاحا

وقد عابوا على الشاعر قوله « الاقاحا » وصوابه الاقاحيّ بتشديد الياء او الاقاح بالوقف على الحاء

ومثل هذا جمعهم أوقية على أواق . وامنية على امانٍ . واضحية على اضاح . والصواب في ذلك كله اواقيُّ وامانيُّ واضاحيّ بتشديد الياء واسقاط التنوين

ويقولون خابره في الامر من وزن فاعل وهو غلط والصواب فاوضه في الامر او كاشفه فيه

ويقولون اصطنع الشيء وشيء اصطناعي وكلاهما غلط وصوابه صنع الشيء وشيء صناعي . اما اصطنع فتستعمل في المعروف

ويقولون أعدم فلان او حكم عليه بالاعدام وهو غلط لان الاعدام هو الفقر يقال زيد معدم اي لا مال له . والصحيح ان يقال حكم على فلان بالموت

ويقولون داينه وهو له مداين (اي له عليه دين) وهو من كلام العامة والصواب دانه من الثلاثي المجرد والرجل دائن

ومن اغلاط القوم في النطق — وهي كثيرة لا تحصى — قولهم الزُهْـرة باسكان الهاء وهو اسم الكوكب المعروف . وصوابه الزُّهَـرة بضم الزاي وفتح الهاء

وقولهم فَـوْهة المدفع وفَـوْهة البركان باسكان الواو وهو غلط وصوابه الفُـوَّهة بضم الفاء وتشديد الواو

وقولهم وفيّات في جمع وفاة بتشديد الياء وهو غلط وصوابه الوَفَـيَات بتخفيف الياء

وقولهم عرق النِّسا بكسر النون للمرض المعروف وصوابه عرق النَّسَا بفتح النون

وقولهم صِداق الزوج بكسر الصاد اي مهره . وصوابه الصَّداق بفتح الصاد

وقولهم ضِلْعه مع فلان اي ميله اليه بكسر الضاد والصحيح ضَلْعه بفتح الضاد

وقولهم شَمْع النحل باسكان الميم وهو غلط والصحيح شَمَع النحل بفتح الميم

وقولهم العَرْبُون بفتح العين واسكان الرّاء وهو غلط وصوابه العَرَبون بفتح العين

والرَّاء. اما اذا اريد اسكان الراء فيقال عُرْبون بضم العين

وقولهم الحرب خِدعة للحديث المشهود بكسر الخاء. والافضل ان يقال الحرب خَدْعة بفتح الخاء كما نقلت عن النبي وقد رواها ثعلب باللغات الثلاث وهو ضعيف

وقولهم خنقه خَنْقاً باسكان النون وصوابه خَنِقاً بكسر النون كلعب وضحك وكذب وكرش وفخذ وسفل وسقط وما جرى مجراه

وقولهم مِنْخل اسم آلة لما ينخل به وصوابه مُنخُل او مُنخَل بضم الميم ابداً وفتح الخاء او ضمها . ومثلها المُكحُلة اسم آلة لما يكتحل به او لما يجعل فيه الكحل . والمُسعُط اسم آلة لما يجعل فيه السعوط . والمُدهُن اي آلة الدهن وقارورته . والمُدُقّ اسم آلة لما يدق به

وقولهم الشَبَع مصدر شبع وصوابه الشِبَع بكسر الشين وفتح الباء لانه ليس من مصادر الطبائع اي الغرائز كالكرم ونحوه

وقولهم قَشْعريرة بفتح القاف واسكان الشين وهو غلط وصوابه قُشَعْريرة بضم القاف وفتح الشين وهو البرد الخفيف

وقولهم نِقاية الشيء اي حثالته بكسر النون والصواب بفتح النون أو ضمها

وقولهم التخْمة باسكان الخاء لداء يصيب الانسان من اكل الطعام . وصوابه التُخَمة بضم التاء وفتح الخاء

وقولهم لُقْطة او لَقْطة بسكون القاف وهو ما يوجد على الارض ولا يُعرف له مالك . وصوابه لُقَطة بضم ففتح

وقولهم حِمارة القيظ اي شدته بتخفيف الميم وصوابه حَمَّارة القيظ بالتشديد . ومثله صَبَّارة الشتاء بتشديد الباء

وقولهم اللثَّة بتشديد الثاء المثلثة وفتح اللام او كسرها وكلاهما غلط والصواب اللِثَة بكسر اللام وفتح الثاء المثلثة مخففة واصلها لثيَ مثل عنب فحذفت اللام وعوّض عنها الهاء

وقولهم لَبْوَة لانثى الاسد على وزن فَعْلة وهي لغة رديئة وافصح منها ان يقال لَبُؤة بفتح فضم او ضم ففتح مع الهمزة . وفيها لغات اخرى غير شائعة

وقولهم فعلت ذلك من جرَّائك اي من اجلك وهو غلط صوابه من جرَّاك بتشديد الراء واسقاط الهمز لانه على وزن فعلى من الجرّ

(البقية تأتي) سليم عبد الاحد

المبارزة

اصلها ونشوؤها ونظامها

حدث في السنين الاخيرة ان بعض الافراد المتشبعين من مساوئ المدنية الحديثة حاولوا ان يقلدوا الافرنج في المبارزات . وقد رأينا ان نورد هنا فذلكة عن هذه العادة وتاريخها ونظامها فنقول :

تعريف المبارزة ومنشأها

المبارزة هي نزال بين خصمين بسلاح معين وتعتبر بمثابة فصل الخطاب بين المتبارزين . ويرجح معظم المؤرخين ان المبارزة الحديثة نشأت عن عادة قديمة كانت شائعة بين شعوب اوربا الشمالية التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية . فقد كانت تلك الشعوب تفصل كل خلاف يقع بينها بمبارزات فردية تعرف بالمبارزات القضائية . وترجع هذه العادة الى الاعتقاد بان الاله ينصر صاحب الحق على خصمه

ومن اقدم الامثلة على المبارزات مبارزة داود وجليات الوارد ذكرها في التوراة فقد جاء ان داود وقف لجليات (جالوت) جبار الفلسطينيين الذي كان يعيّر بني اسرائيل ورماه بمقلاع اصاب منه مقتلاً فارداه صريعاً . وورد ايضاً في الخرافات الرومانية واليونانية اخبار مبارزات عديدة اهمها ما وقع بين ترنوس ملك ارديا واناس بن انكيز ملك الدردنوس من اجل لافينيا التي كانت عروس ترنوس وقد اغتصبها منه ايناس فوقعت بينهما مبارزة انتهت بقتل ترنوس

ومن ذلك ايضاً مبارزة ايتوقليس مع اخيه بوليديس وهما اولاد ملك طيبة وبوقسطة بلاد اليونان وكان ايتوقليس قد وعد اخاه عند موت ابيهما ان يعطيه عرش طيبة لمدة سنة من الزمن ثم اخلف وعده فوقعت بين الاخوين مبارزة قتل فيها بوليديس على ما ورد في اساطير اليونان

وهنالك اخبار مبارزات اخرى ورد ذكرها في التواريخ والاساطير ولا محل لبسطها هنا . وقد ذكر مونتسكيو ان القبائل التوتونية التي نشأت منها الشعوب الجرمانية هي التي ادخلت المبارزات القضائية الى غاليا (اي فرنسا) وكان الملك جندبو (ملك برغنديا) اول من اذن بها وسن لها قانوناً خاصاً في سنة ٥٠١ لا يزال يعرف بقانون جومبيت . ولم تكد هذه العادة تمكن من فرنسا حتى انتشرت في سائر ممالك اوربا . واهتم بها

ملوك فرنسا اهتماماً عظيماً ولعل اشهر المبارزات القضائية هي التي وقعت بين جان الجري وجاك كاروج (في سنة ١٣٨٥) وبين جي ديشابو سيّد جرناك (بفرنسا) ولاشاتنري (في سنة ١٥٤٧) . ومنذ ذلك الحين اي من منتصف القرن السادس عشر لم يعد يؤذن في المبارزات القضائية ولكن المبارزات الفردية كانت شائعة بين الاشراف شيوعاً كبيراً حتى اضطرت الحكومة الفرنسوية في عهد شارل التاسع ان تسن قانوناً لمنعها ولمعاقبة المبارزين باشد العقاب . ثم أهمل هذا القانون مدة من الزمن الى ان ارتقى هنري الرابع عرش فرنسا فجدد القانون ولكن المبارزات ظلت تجري على مرأى من رجال الحكومة الى ان جاء لويس الثالث عشر ووزيره ريشليو فسنا قانوناً شديد الوطأة وكثيراً ما حكم على المبارزين في عهدهما بالموت

على ان المبارزات لم تكن منتظمة حتى اواسط حكم الملك لويس الرابع عشر . فقد كانت قبلاً عبارة عن مخاصمات بالسلاح . وكان غرض كل خصم ان يقتل خصمه بغية الانتقام . فلم يكن سلاح الخصمين من نوع واحد وثقل واحد وحجم واحد . ولا كان المتبارزان يلبسان ثياباً متشابهة بل كثيراً ما كان احدهما يلبس شبه درع حالة كون خصمه عارياً من ذلك مما كان يجعل بينهما تفاوتاً عظيماً . ولكن في عهد لويس الخامس عشر بدأت المبارزات تجري بطريقة أتم نظاماً واقرب الى الانصاف . وكانت جميعها تتم بالسيف اذ لم تستعمل الطبنجات النارية الا بعد زمن الثورة الفرنسوية

المبارزات والقانون الحاضر

كان القانون الجنائي الفرنسوي (وهو أصل القانون المصري) يبرر المبارزات حتى سنة ١٨٣٧ . وفي هذه السنة نقح القانون فصار اذا قُتل احد المتبارزين او جُرح يعاقب الآخر بموجب نصوص القانون الجنائي . على ان المحاكم تعتبر وجهتين وهما :

(١) اذا ثبت ان احد المتبارزين كان يقصد قتل خصمه عوقب بموجب قانون الجنايات وعوقب الشاهدان ايضاً كشركاء في الجريمة

(٢) اذا ثبت انه لم يكن ثمت قصد بارتكاب الجريمة وأصيب احد المتبارزين عوقب الآخر باعتبار انه قصد جرح خصمه لا قتله واذا لم يحدث جرح ولا اصابة فلا محل للعقاب

هذا هو القانون نظرياً واما في الواقع فالمتبارزان يُبرءان بالكلية اذا تمت المبارزة باخلاص وبدون خيانة

اما العقاب فيختلف باختلاف الاحوال التي ادت الى المبارزة والشروط التي تمت بها وهو يتراوح بين السجن ستة ايام والسجن المؤبد مع الاشغال الشاقة · وبين غرامة ١٦ فرنكا ومئتي فرنك

في العسكرية

وتختلف المبارزة في العرف العسكري عنها في القانون المدني فانها ليست فقط مباحة في الجندية بل كثيراً ما تكون واجبة في احوال معينة . فقد يؤمر احد الجنود بمبارزة من اهانه بصفة كونه جندياً فاذا احجم عن المبارزة عوقب عقاباً شديداً ليس بسبب احجامه بل بحجة انه اذن لخصمه في اهانة الجندية

على ان المبارزة في الجندية لا تفرض الا على من يكون قد مارس استعمال السلاح مدة معينة من الزمن . ولا يخفى ان العساكر الفرنسويين يتعلمون استعمال السلاح ويدرسونه درساً خاصاً فاذا كان الجندي ممن قضى المدة المعينة في درس استعمال السلاح الابيض جاز لرئيسه ان يأمره بالمبارزة اذا قضت الاحوال بذلك . على ان الجنود لا يستطيعون ان يتحدّوا بعضهم بعضاً للمبارزة من تلقاء ذواتهم بل لا بد لهم من استئذان رؤسائهم فاذا رأى هؤلاء ما يوجب المبارزة اذنوا لهم والا منعوهم عن ذلك

والمبارزات العسكرية تقضي بوجود طبيب في موضع المبارزة ويجب ان يكون الطبيب مجهزاً بكل ما يحتاج اليه لاسعاف من يحتاج الى الاسعاف

وما يصدق على المبارزات في الجيش الفرنسوي يصدق ايضاً على المبارزات في معظم الجيوش الاوربية

شروط المبارزة

تكاد شروط المبارزات تتشابه عند جميع الامم . ولما كانت هذه العادة مأخوذة عن الفرنسويين رأينا ان نورد هنا شروطها عندهم

المبارزة بالسيف

تتم المبارزة بالسيف او الطبنجة · ويغلب السيف في العسكرية ويحق لغير العسكريين رفضه · ولا تباح المبارزة الا لمن تجاوز الحادية والعشرين من سنيه وكان دون الستين · فاذا تجاوز الستين وطلب المبارزة فعلى الشهود ان ينظروا في طلبه ويحكموا فيما اذا كانت بنيته الجسدية تأذن له في المبارزة وهل تمت داع يوجب المبارزة · ويجب ان يكون حكم الشهود بهذا الاعتبار فصل الخطاب · اما عدد الشهود فيجب ان يكون اثنين لكل من

الخصمين . وعلى الخصم الطالب المبارزة ان يرسل شاهديه الى خصمه ليطلبا منه اسمي شاهديه وعنوانيهما . ثم يجتمع الشهود الاربعة ويتفاوضون فيما بينهم ليروا هل ثمت داع للمبارزة . فاذا حكموا بوجوبها اتفقوا على تعيين المكان والزمان ثم اعلنوا ذلك للخصمين . ويجب على الشهود ان يكونوا ارقاء الخلق دمثي الطباع ولهم ان يختاروا من بينهم مديراً للمبارزة او ان يختاروا رجلاً خامساً . ويجب على الجميع ان يكونوا خفاف الحركة عند المبارزة لئلا يسوقوا المتبارزين او يكونوا عثرة في بينهما . ولا بد لهم ايضاً من الاتفاق على ايقاف المبارزة حالما يجرح احد الخصمين (مهما يكن الجرح بسيطاً) او استمرارها بشرط موافقة الطبيب . ولكن لا يسوغ لهم ابداً ان يأمروا باستمرار المبارزة الى ان يموت احد الخصمين . كما انه لا يسوغ للمتبارزين ان يتفوّها بشيء في اثناء المبارزة

ولا بد من تدوين واقعة الحال (اي محضر) قبل المبارزة وبعدها فيكتب فيها اسباب المبارزة واسماء الشهود الذين نظموها والشروط التي اتفقوا عليها ونتيجتها وهلم جراً . ويوقع المتبارزان والشهود على ذلك

قلنا ان المبارزة تتم اما بالسيف او بالطبنجة (الفرد) فاذا كان بالسيف وجب ان لا يزيد طوله على متر واحد وثلثة عشر سنتيمتراً وان لا يكون طول شفرته اكثر من تسعين سنتيمتراً وان لا يزيد ثقله على سبع مئة وخمسين غراماً . ويجب ان تكون الشفرة صقيلة مستقيمة وطرفها مثلثاً وان لا تكون مثلومة . ويجب ان يكون السيفان متشابهين تمام الشبه وان يفحصهما الشهود قبل المبارزة كما ان عليهم ايضاً ان يفحصوا المتبارزين لئلا يكون في احدهما عاهة تمنع من المبارزة . فاذا رفض احدهما الاذن للشهود بفحصه كان ذلك بمثابة رفض المبارزة

ومتى حان وقت المبارزة يقترب المدير من المتبارزين متناولاً طرفي سيفيهما ليصل احدهما بالآخر في خط عرضي ثم ينظر حوله نظرة اخيرة ليرى ان كل شيء في موضعه فمتى تحقق ذلك يصدر امره بيده المبارزة فيتناضل المتبارزان في الميدان ولا يجوز لهما استعمال اليد عزلاء من السلاح بل يجب استعمال السلاح فقط . وعلى مدير المبارزة ان يقف قريباً جداً من المتبارزين وبيده عصا فاذا لاح له ان احد المتبارزين هم باستعمال اليد العزلاء منعه من ذلك . ويجوز للمتبارزين ان يجول كل منهما حول خصمه بخفة ورشاقة وان يحني هامته او ركبتيه او يتطال لتجنب الضربة او للتمكن من الغريم . ومتى جرح احدهما صاح مدير المبارزة « أن قفا » . فللحال يقفان لكي ينظر الطبيب فيما اذا كان

الجرح يستوجب ايقاف المبارزة او يأذن باستمرارها

هذا والمبارزة بالسيف يجب ان تتم على ارض مستوية لا يقل كل من طولها وعرضها عن ثلاثين متراً فاذا حصر احد المتبارزين خصمه في اقصى حد الارض تعاد المبارزة من جديد من الموضع الذي بدئت فاذا حصر نفس المتبارز خصمه مرة اخرى عد ذلك فوزاً له

ولا يجب ان تستمر المبارزة اكثر من دقيقتين يليها استراحة دقيقة ثم تعاد لمدة دقيقتين اخريين وهكذا الى ان يجرح احد الخصمين

المبارزة بالطبنجة

المبارزة بالطبنجة كالمبارزة بالسيف في شروطها الجوهرية ويجب ان يفحص الشهود الطبنجتين ويضعوهما في صندوق يختمونه . ولا يجوز ان يكون احد الخصمين قد استعمل احدى تلك الطبنجتين . ومتى وقفا للمبارزة وجب ان تكون الذراعان مدلاتين وقبضة الطبنجة مماسة للفخذ وطرف الطبنجة على بعد نحو عشرين سنتمتراً عن القدم . ومتى وقف الخصمان هذه الوقفة يتقدم مدير المبارزة فيصيح صياح تنبيه ثم يأمر باطلاق العيارين قائلاً : « واحد ! اثنان ! ثلاثة ! » ويجب ان تلفظ هذه الاعداد ببطء معين سبق الاتفاق عليه بين الشهود ومدير المبارزة . والواجب ان تتراوح سرعة النطق بهذه الكلمات بين ستين دقة « مترونوم (١) » في الدقيقة ومئة واربعين دقة . اما المسافة بين المتبارزين فيجوز ان تتراوح بين ١٦ و ٢٥ متراً وذلك بحسب درجة الاساءة التي حصلت المبارزة بسببها . ولا يجوز لكل من الخصمين ان يطلق اكثر من ثلاث رصاصات على غريمه . وعلى مدير المبارزة ان يحشو الطبنجتين بيده ويسلمهما الى الخصمين . واذا خالف احدهما شرطاً من الشروط التي بسطناها تقف المبارزة ولا تتم ويعتبر الشخص الذي خالف الشرط مغلوباً

لابي الجوائز الحسن بن علي بن محمد الواسطي المتوفي سنة ٤٤٦ :

واحيرتا من قولها خان عهودي ولها (٢)
وحق من صيرني وقفاً عليها ولها (٣)
ما خطرت بخاطري الا كستني ولها (٤)

---

(١) المترونوم آلة لقياس النبرات الموسيقية (٢) من لها [illegible]
(٣) [illegible] (٤) من [illegible]

ثقاب النفط

أي عيدان الكبريت

أصل النار ونشوءها وتأثيرها في ترقية النشوء العمراني

ذكر بعض السياح الذين ارتادوا مجاهل الارض الشاسعة انه لا يزال في بعض اصقاع الكرة الارضية اقوام مغرقون في الهمجية لا يعرفون النار ولا سمعوا عنها شيئاً على الاطلاق . وسواء صدق اولئك السياح في كلامهم او وهموا في معتقدهم فلا جدال في ان النار مقياس المدنية وسبب من اسباب العمران . وليس في هذا القول شيء غريب اذا تذكرنا شدة حاجة الانسان اليها منذ اوائل عهد الخليقة سواء كان لاجل الدفء او طبخ الطعام او الدفاع عن النفس . ولقد كان الشائع على الاذهان ان النار وجدت مع الانسان الاول ولكن مباحث العلماء الحديثة واقوال بعض السياح التي اشرنا اليها تجعلنا اميل الى الاعتقاد بانه مرَّ على الانسان زمن طويل قبل ان اهتدى الى طريقة استخراج النار . ولا شك ان اهتداءه اليها كان بطريق الصدفة شأنه في سائر الاكتشافات والاختراعات التي اهتدى اليها . فقد اجمع معظم العلماء والباحثين على ان الانسان الاول وجد النار بطريق الاحتكاك اي بواسطة حك قطعتين من الخشب او الثقاب الناشفة . ولا يخفى ان النار كامنة في كل مادة في الطبيعة فاذا احتكت مادة باخرى مهما يكن نوعها لا بد من ان ينشأ عن احتكاكهما نار

ولعل اول فكرة تسربت الى الانسان عن النار نشأت عما كان يراه في اشعة الشمس من الحرارة ولا يبعد ان يكون قد شاهد الشمس في شدة صبارتها تلهب الهشيم وتحرقه كما تفعل احياناً في الاقاليم الحارة فرأى النار لاول مرة وعرف شيئاً من خصائصها ثم اخذ منذ ذلك اليوم يسعى لاخضاعها والانتفاع بها

وقد ذكر الاستاذ تيلر الانكليزي ان اشيع الطرق لاحداث النار عند الانسان في اوائل عهد البشرية كانت حك الثقاب الناشفة على قطع من الخشب الناشف المخدد . ثم ارتقى الانسان في طريقة استخراج النار فعمد الى عود مقوس يركز طرفه في بؤرة لوح من الخشب ويضغط على الطرف الآخر بيده ثم يدير القوس بيده الاخرى كما يدار المثقب بسرعة شديدة تتولد عنها الحرارة . ولا تزال هذه الطريقة شائعة حتى هذا اليوم بين هنود اميركا الشمالية

ولما تدرج الانسان قليلاً في سلم المدنية عثر على مصدر جديد للنار الكامنة وهو حجر الصوّان . وقد اختلف العلماء في تعيين العصر الذي اهتديَ فيه الى هذا المصدر ولكن اكثرهم اجمع على ان تاريخ هذا الزمن غير معروف وانه يرجع بلا شك الى اوائل فجر المدنية . ولذلك يعتقد فريق كبير منهم بان الحضارة بدأت منذ اكتشف الانسان النار وانه بمرور الزمن استحال على الانسان أن يستغني عنها اذ صارت من ضرورات المعيشة سواء كان للطبخ او الدفء او الإنارة او الدفاع عن النفس وما اشبه ذلك

وقد جاء في اساطير اليونان ان هفاستوس هو اله النار (ويقابله فولكانوس عند الرومان) وجاء في خرافاتهم ايضاً أن الجبار بروميثوس احد الهة البحر استوجب غضب زفس (اله الالهة) لسبب يطول بنا شرحه فغضب زفس على البشر وحجب عنهم النار . فانسلّ بروميثوس خفية الى جبل اوليمبوس (مقر الالهة) وسرق من هنالك جمرات نار خبأها في قصبة وعاد بها الى البشر . فانتقم منه زفس بان قيده بسلسلة من سلاسل الالهة وربطه الى جبل عال معرضاً لطيور الفضاء الى ان نقرت النسور بطنه

وفي رواية اخرى ان بروميثوس هو مؤسس مدنيـة البشر لانه سرق النار من هفاستوس اله النار (بجزيرة لموس) وان تلك النار اصبحت مصدر جميع الاختراعات والاكتشافات التي اهتدى اليها الانسان . وقد عوقب بروميثوس على سرقته النار فقيده زفس بسلسلة ضخمة وربطه بصخرة معرضاً اياه لنسور السماء

هذا اهم ما يقال في اصل النار ومنشئها . وقد ظل الناس حتى اوائل القرن التاسع عشر يوقدون النار بقدح الزناد أي بضرب قطعة من الفولاذ على حجر من الصوان بينهما ثقاب مغمسة بالنفط . فكان الشرر الناشيء عن الاصطكاك يتطاير ويقع على الثقاب القابلة للاشتعال فيلهبها . وكثيراً ما كان يستغنى عن الثقاب بالحَروق او الصوفان أو بنسائج قطنية او كتانية مكربنة (أي معالجة بالكربون) او بمواد اخرى قابلة الالتهاب

بدء عصر النفط

في سنة ١٨٠٥ اخترع المسيو شانسل احد اساتذة جامعة باريس جهازاً مؤلفاً من زجاجة صغيرة فيها كمية من الاسبستوس مشبعة بمحلول قوي من الحامض الكبريتيك (محلول الزاج) ومعها ثقاب مغمسة بالسلفور (أي الكبريت) واطرافها ملبسة بمزيج من كلورات البوتاس والسكر . فكانت الثقاب اذا مست حامض الكبريتيك اشتعلت

بقوة الفعل الكيمي فتحصل النار بذلك

ويظهر انه في تلك السنة عينها اخترعت ثقاب الفوسفور في باريس وكانت شديدة الالتهاب جداً وسريعة الاشتعال . وفي سنة ١٨٠٩ حاول الاستاذ دربا ان يخفف خطر ثقاب الفوسفور . ثم جاء بعده المسيو دبروزن فاخترع في سنة ١٨١٦ نوعاً من الكبريت المغمس بالفوسفور مما لا يشتعل الا بالاحتكاك . وفي سنة ١٨٢٣ اخترع احدهم نوعاً جديداً من ثقاب الفوسفور ولكنه أُهمل ولم يشع استعماله . وكانت مواده تتألف من اجزاء متساوية من الفوسفور والكبريت وقد اذيبا معاً بكل حرص في انبوب من زجاج ثم أحكم سدّ الانبوب . فاذا اريد النار غُمّست الثقاب في المزيج واخذ منه قليل بأطرافها فلا تكاد تعرض للهوآء حتى تشتعل

ولعل اقرب كبريت الى الانواع الحاضرة هو الذي صُنع في انكلترا في سنة ١٨٢٧ صنعه رجل يقال له جون ووكر وكان عبارة عن ثقاب من الورق المقوّى ملبّسة غشاء من السلفور (الكبريت) ومغمسة في مزيج من سلفات الانتيمون وكلورات البوتاس والصمغ وكانت كل علبة من هذه الثقاب (وفيها اربعة وثمانون عوداً) تباع بشلن ويباع معها قطعة من ورق الزجاج (الصنفرة) لتشعل بها الثقاب

وفي سنة ١٨٣٠ اخترع رجل من اهالي لندن يقال له مستر جونس نوعاً آخر من الكبريت سماه « ثقاب برومثيوس » وكان عبارة عن ملف من الورق في احد طرفيه قليل من مزيج كلورات البوتاس والسكر وبجانبه كُرية من الزجاج فيها كمية من الحامض الكبريتيك اذا اطبق على مزيج كلورات البوتاس والسكر التهبه

اما ثقاب النفط الحاضرة فلم يُبدأ باستعمالها الا في سنة ١٨٣٣ ويظهر انها ظهرت وشاعت في عدة أمكنة وفي وقت واحد . فكان للمسيو بريشيل النمسوي معمل تصنع فيه ثقاب الفوسفور على انواعها وللمسيو مولدنهور (من اهالي درمستاد بالمانيا) معمل آخر شبيه به . وظلت النمسا والممالك الالمانية الجنوبية مركزاً لهذه الصناعة مدة من الزمن ثم ظهرت معامل اخرى في جميع الممالك فحسنت هذه الصناعة وأتقنتها حتى اوصلتها تقريباً الى حالتها الحاضرة

اخطار هذه الصناعة

لا يخفى ان الفوسفور من أهم العناصر التي يتألف منها مزيج ثقاب النفط . على ان وجوده في هذا المزيج عقبة في سبيل هذه الصناعة لكونه سماً زعافاً يودي بحياة الكثيرين

من مزاولها حتى ان الكثيرين يستسهلون الانتحار به . ثم ان العمال في مصانع الكبريت معرضون دائماً للابخرة الفوسفورية وكثيراً ما يصابون بمرض مزعج يلحق بالفك ويسبب نخر العظم . على ان من الممكن اجتناب هذه الاضرار بالمحافظة على شروط النظافة وحفظ الهواء نقياً . وقد سعى الكثيرون من المخترعين الى استنباط نوع من الكبريت لا يكون في مزيجه شيء من الفوسفور ولكنهم لم يتوفقوا الى هذا الامر حتى الان . على ان اخطار الفوسفور قد قلَّت منذ اكتشف الاستاذ شروتر النمسوي في سنة ١٨٤٥ ما يعرف بالفوسفور الاحمر واستعمله في صنع الكبريت المعروف عند



في معمل الكبريت

ترى هنا الملفات تدور على الدواليب بعد ان تقع عليها الثقاب من فوق

الغربيين « بالكبريت الامين » ومخترع هذا الكبريت رجل اسوجي يدعى لندستروم وهو اخف انواع الكبريت ضرراً

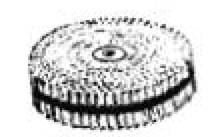
كيفية صنع عيدان الكبريت

رأينا مما تقدم ان ثقاب النفط في اوائل عهدها كانت غالية الثمن جداً . فقد كانت تباع العلبة بشلن وليس فيها سوى ٨٤ عوداً من عيدان الكبريت . اما اليوم فتستطيع ان تشتري من ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف عود بشلن . فضلاً عن ان باعة اللفائف (اي السجاير) يعطون الكبريت لزبائنهم مجاناً مما يدل على رخص هذه البضاعة رخصاً كبيراً

ومعامل اوربا واميركا تصنع اليوم انواعاً كثيرة من الكبريت لا يسعنا شرح صناعة

كل منها وقد رأينا أن نصف هنا طريقة صنع نوعٍ هو أهم تلك الانواع واشيعها فنقول :

اذا دخلت مصنعاً من مصانع الكبريت رأيت قسماً منه خاصاً بصنع المزيج القابل الاشتعال الذي تغمَّس فيه اطراف الثقاب . وهذا التغميس يجري في قسم آخر من المعمل حيث الآلات الضخمة لهذا الغرض . وفي هذه الآلات شريط طويل يبلغ عرضه نحو ثلاثة قراريط (بوصات) وهو يلف على بكرةٍ أو دولاب وفوقه وعاء مملوء بثقاب يبلغ طولها نحو اربعة قراريط . وفي أثناء التفاف الشريط على البكرة أو الدولاب تتساقط عليه الثقاب بسرعة معينة وبترتيب دقيق بحيث لا تتماس بل تقع كلها متوازية وعلى أبعاد متساوية . ومتى لُفَّ الشريط كله كان منه لفافة يبلغ قطرها نحو ثمانية عشر قيراطاً وفيها نحو اربعة آلاف من الثقاب قد برزت اطرافها من جانبي اللفافة كما ترى في الشكل . ثم تؤخذ اللفافات الى آلة لتسوية اطراف الثقاب حتى تصبح على مستوى واحد



لفافة من ثقاب الكبريت

ثم تمرُّ على صفائح محماة من الحديد لتسخين اطراف الثقاب وتنشيفها وبعد ذلك تُغمَّس في محلول شمع البرافين وهذه المادة تجعل اطراف الثقاب شديدة الالتهاب

وبعد تغميس الثقاب في هذه المادة ترسل الى حيث تلبس اطرافها بمزيج فيه مادة الاشتعال . وهذا المزيج كثيف كالعجين وموضوع في وعاء قليل العمق ومحميٌّ بالبخار فيأخذ العامل سكيناً ويمرّه على الوعاء ليجعل سطح المزيج الذي فيه مستوياً ثم يأخذ لفافة من لفافات الثقاب ويغمس اطرافها في المزيج دفعة واحدة . وبما ان الوعاء قليل العمق جداً فان اطراف الثقاب لا تغوص الا قليلا . ومتى فرغ العامل من تغميس اللفافة يعلقها لكي تنشف ويأخذ لفافة اخرى وهكذا الى ان يغمس جميع اللفافات من الطرف الواحد ومتى نشفت اعاد تغميسها من الطرف الاخر . وهو كلما فرغ من تغميس لفافة يعمد الى سكينة فيمره على سطح الوعاء ليسوي سطح المزيج الذي فيه

اما تنشيف اللفائف فيتم بوضعها في غرف معدة لها ذات هواء حار تحفظ حرارته بواسطة مراوح كهربائية خاصة . فتى نشفت اطراف الثقاب تماماً ترسل اللفائف الى قسم آخر من المعمل حيث تنثر فيجمعها العمال رزماً رزماً ويضعونها تحت مقصلة تقطع الثقاب انصافاً ثم تُملأ في علب مخصوصة

هذه خلاصة كيفية صنع الكبريت . وهنالك طرق اخرى لا يسعنا شرحها لضيق المجال

تموين المانيا

في زمن الحرب

لا شك ان الحرب الحاضرة قد اتخذت اليوم شكلاً غير الشكل الذي كان يتراءى لمضرميها في بادىء الامر . فقد نشأ عنها مشاكل لم يكن يحلم بها المتحاربون وكل يوم يمر يفتق معضلة جديدة

ليس من ينكر شهرة الالمان في التدقيق والنظام فان معيشتهم الاجتماعية أشبه بالميكانيكيات منها بالنظام الطبيعي ومع هذا فقد اعترضهم في هذه الحرب ما افسد نظامهم وانشأ لهم مشاكل لم يكونوا يحلمون بها على الاطلاق

واول تلك المشاكل مشكلة عدد الجيش اذ لا يخفى انه ما من امة تستطيع ان تجند اكثر من سبع اهلها لاجل الحرب فيكون معظم ما تستطيع المانيا تجنيده تسعة ملايين من الرجال . ولا جدال انها قد خسرت اليوم ما يزيد على ثلث هذا العدد بين قتلى وجرحى عدا الاسرى والتائهين الذين لا يقلون عن المليون وكل ذلك زهرة الجيش الالماني ونخبة رجاله . ولا يخفى ان مجموع سكان التحالف الجرماني (اذا استثنينا تركيا) لا يتجاوز المئة والعشرين مليوناً بخلاف مجموع سكان التحالف الرباعي فانه يناهز الثلاث مئة مليون (بقطع النظر عن مستعمرات بريطانيا وفرنسا وعن اليابان) فاذا فرضنا جدلاً انه عن كل رجل يخسره التحالف الجرماني يخسر التحالف الرباعي رجلين فان كفة النصر تظل راجحة لهؤلاء فكيف بك والامر بالعكس أي ان لكل رجل يخسره التحالف الرباعي يخسر التحالف الجرماني رجلين (اولاً) لان الاحصاءآت الرسمية تثبت ذلك (وثانياً) لان العقل يؤيده فقد كانت المانيا هي المهاجمة في هذه الحرب والمهاجم كما لا يخفى اشد تعرضاً للخسارة من المدافع

على ان المانيا لا تزال على جانب عظيم من القوة والمنعة وقد نظمت موارد قوتها وبأسها بحيث تستطيع الاستمرار على هذه الحرب مدة أخرى . وهي تعلم اليوم علم اليقين ان استمرارها هذا وان ابعد عنها ساعة الخطر لن ينجيها من المقدور

قلنا ان الامة الالمانيـة امة ترتيب ونظام . وقد ساعدها هذا الامر كثيراً على الاستمرار في هذه الحرب . وتظهر شدة دقتها في النظام من كونها تنتفع اليوم باعمال جميع اهاليها سواء كانوا من أصحاء البنية او من اصحاب العاهات فقد اوجدت لهؤلاء

أيضاً اشغالاً ينفعون بها الوطن ويساعدون الحكومة ولا يخفى ان جميع القواد الالمان والمؤلفين الحربيين كانوا يقولون دائماً ان اقرب طريق لانتصار المانيا هو ان تضرب أعداءها بشدة وبسرعة . ولذلك كانت منذ بدأت في تنفيذ فكرتها الحربية قد وضعت هذا الامر نصب عينيها ولم يخامرها قط شك في نتيجة الحرب . فلما شبت الحرب ظهر لها فساد حسابها ولعل أكبر اسباب خطأها شدة تعويلها على النظام الى درجة الافراط حتى كانت كل حركاتها واعمالها اشبه بنظام ميكانيكي . ولا يخفى ان اتفه الاشياء واصغرها قد تعرقل سير الالات الميكانيكية فاذا تعرقل جزء منها تعرقل كلها وفسد نظامها

ولكن على رغم ما بوغتت به المانيا من صلابة عود اعدائها وما هي اليوم فيه من ضيق السبل والموارد فانها لا تزال تظهر من الضعف قوة ولا تدع فرصة الا اغتنمتها لتمويه الحقيقة على شعبها حتى انها تدعي بان موارد العيش عندها لا تنضب مهما تطل الحرب . على ان الشعب الالماني قد استيقظ اليوم من حلمه الهائل ورأى ان ذلك الادعاء لا ينطبق على الواقع لان موارد العيش قد ضاقت وسبل الارتزاق قد اوصدت والجانب الاكبر من المواد الخام التي تحتاج اليها الصنائع الالمانية قد اصبح في خبر كان على رغم ان علماء الالمان قد استجمعوا كل قواهم ووجهوها لتلافي هذه الحالة الحرجة . وقد نشرت جريدة برلنر تاجبلات الالمانية مقالة في شهر مايو الفائت اتت فيها على احصاءات تدل دلالة واضحة على ما الم بالصناعة الالمانية من البوار فان معظم المعامل التي كانت تضم نحو ثلاثة آلاف من العمال قبل الحرب لا تضم اليوم اكثر من النصف فضلا عن ان كثيراً منها اقفل لعدم ورود المواد الاولية اليه وما لم يقفل منه قد حول الى معامل حربية يشتغل فيها النساء والاولاد والشيوخ . اما الشبان الذين في السن العسكرية فليس في تلك المعامل احد منهم لان الحكومة قد ساقت جميعهم الى ميادين القتال . وسيكون قحط الرجال في المانيا أول سبب من اسباب انكسارها

قلنا ان المانيا كانت قبل اقدامها على هذه الحرب قد اتخذت احتياطات كثيرة لتموين البلاد فجمعت المقادير الهائلة في مخازنها لتتقي بها الحاجة وكانت تعتمد على ما تستغله في بلادها من بقية لوازم المعيشة . ولا يخفى ان مساحة المانيا والنمسا معاً تبلغ ١١٧٠٠٠٠ كيلومتر مربع وهي تشتمل على بقع من اخصب بقع الارض فكانت الحكومة تعتمد عليها اولاً وعلى الممالك المحايدة ثانياً

خذ سويسرا مثلاً . ففي اليوم تعترف بانها ارسلت الى المانيا والنمسا مقادير عظيمة من الارز مقابل اعطائها لها السكر الذي تحتاج اليه معامل الشكولاتة والبطاطس التي

يحتاج اليها الشعب . وقد بلغ ما استوردته من البطاطس في الاربعة الاشهر الاولى من هذه السنة ١٥٨٧٠٠ كيلوغرام مع انها لم تستورد في الاربعة الاشهر الاولى من السنة الماضية سوى ٢٨٣٨٠٠ كيلوغرام اي بزيادة نحو ستة اضعاف

وما يصدق على سويسرا يصدق على ايطاليا ايضاً الى حين شهرها الحرب على النمسا . فقد كانت كلتا المانيا والنمسا تستوردان منها الشيء الكثير وايطاليا لا تستطيع ان تمنع ذلك لانها كانت لا تزال على الحياد

وهكذا قل في هولندا فقد ارسلت الى المانيا والنمسا الجبن واللحوم والاسماك والفواكه وبزر الكتان وزيت بزر الكتان والدقيق والقطن وهلم جراً . ولا تزال امستردام مسرحاً لعمال الحكومة الالمانية يعملون ليل نهار على تموين مملكتهم وامدادها بجميع ما تحتاج اليه

أما البلاد السكندنافية (اي اسوج ونروج) فقد اصبحت عبارة عن ثغور المانية اذ بلغ ما استوردته المانيا بواسطتها من اميركا عشرة اضعاف ما تستورده تلك البلاد عادة . وقد نشرت حديثاً مجلة التريبون النيويوركية فصلاً في هذا الموضوع ذكرت فيه اسماء العملاء الالمان الذين يشتغلون لحساب حكومتهم في الثغور والمدن السكندنافية

وقد استوردت المانيا القمح ايضاً من رومانيا بل من قمح روسيا عن طريق رومانيا وذلك بفضل النظام الدقيق الذي يجري بموجبه عمال الحكومة الالمانية في تلك البلاد

ويؤخذ من الاحصاءات الدقيقة التي قد اجراها كبار علماء الاقتصاد ان المانيا في اشد سني خصبها لا تستطيع ان تعول اكثر من خمسين مليوناً من اهاليها اذ لا يجب ان يبرح من البال ان جانباً كبيراً من تربة البلاد هو صخري لا ينفع للزراعة ولا سيما الاقاليم الجبلية في الجنوب والغرب فضلاً عن ان جانباً من السهول الشمالية هو رملي ولا يزال نحو عشر مساحة المملكة من الاراضي البائرة . اضف الى ذلك ان الاحراج تشغل جانباً آخر من مساحة المملكة فيكون مجموع مساحة الاراضي الزراعية او القابلة للزراعة نحو ثلثي مساحة المملكة كلها لا يصلح في الغالب الا لزراعة « الجاودار » والشعير والبطاطس . ويؤخذ من اقوال كبار الزراعيين ان نفس هذه الحاصلات لا تكون على ما يرام الا باستعمال ما قيمته نحو خمس مئة مليون مارك اي نحو خمسة وعشرين مليون جنيه من المواد الكيمية كل عام

فالمانيا مضطرة كل سنة لاستيراد ما قيمته نحو ثلاثة مليارات من الفرنكات (اي نحو

مئة وعشرين مليون جنيه) من المؤون من البلاد الاجنبية يوزع كما يأتي : —

١٣٠٠٠٠٠٠٠٠	فرنك	من الحبوب على اختلاف انواعها
٦٠٠٠٠٠٠٠٠	«	من الماشية للذبح
١١٠٠٠٠٠٠٠٠	«	من المواد الغذائية المختلفة
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠		المجموع

والمعروف ان موسم الربيع الفائت لم يكن جيداً في المانيا ويقدر العارفون ان ما استغلته المانيا في بلادها لا يكفي اكثر من نصف سكانها عادة ولذلك اتخذت الحكومة اشد الاحتياطات وادقها لتنظيم معيشة الاهالي فمنعت كل تبذير وحتمت على كل فرد ان يأكل ويعيش بمقدار معين ! ! والحق ان النتيجة قد كانت مرضية فان الحكومة احتازت (احتكرت) الحبوب والقمح واخذت على عاتقها ان تبيع للاهالي ما يحتاجون اليه من الخبز فكان المانيا كلها قد اصبحت ثكنة عسكرية والحكومة توزع الجراية على كل فرد من الافراد

ولكن على رغم جميع ذلك وعلى رغم الاحتياطات التي اتخذتها الحكومة لتهدئة خواطر الامة فان الاهالي يوجسون خيفة من مصير الاحوال بعد ان كانت الحكومة قد منتهم بانتصار عاجل حاسم . ويؤخذ من اقوال مراسلي الصحف الاجنبية ان الشعب قد بدأ يتذمر من طول هذه الحرب ومن قلة الجراية التي ينالها . ولما كانت حاجة الجيش فوق كل حاجة سواها فقد وضعت الحكومة يدها على جميع موارد المؤونة حتى نضبت نفس مؤونة الماشية ويقال ان جانباً كبيراً من الخيول والدواب هزل ومات . ونظراً لقلة الشعير اصدرت الحكومة امرها بعدم اعطاء معامل الجعة (البيرا) اكثر من اربعين في المئة من الشعير الذي كانت تستعمله قبلاً لصنع البيرا

اما الخضراوات فمع وفرتها في المانيا لا تزال اسعارها مرتفعة ارتفاعاً هائلا . وكانت الحكومة تنوي احتيازها (احتكارها) ولكنها عدلت عن ذلك لما يعترضه من العقبات وامرت بذبح نصف الخنازير الموجودة في المملكة حرصاً على البطاطس . ولكن هذا الاحتياط لم يأت بالفائدة المطلوبة لان اللحوم التي تؤكل قد قلت بسبب قلة المرعى والشعب الالماني مغرم بأكل اللحوم على انواعها ولا سيما لحم الخنزير . ويقدر الباقي من الماشية التي تصلح لحومها للاكل بنحو عشرين مليون رأس وهو مقدار لا يكفي لمملكة كبيرة كالمملكة الالمانية ولذلك يبذل عملاؤها جهداً عنيفاً لشراء اللحوم من البلاد السكندنافية ومن هولندا وسويسرا ويدفعون عنها اثماناً باهظة . وقد قابل رئيس نقابة الجزارين بالمانيا

وزير الداخلية وحادثه بشأن حرج الحالة . وذكرت جريدة فورفارتس الاشتراكية الشهيرة ان غلة البطاطس في هذا العام قد خيّبت جميع الآمال

وكثيراً ما سمعنا بان علماء الكيمياء الالمان قد توصلوا الى صنع نوع من العلف فيه كمية كبيرة من الالبومين . وكان الشائع انهم صنعوا هذا العلف من سلفات الامونيا والسكر والخمير . ولكن ثبت اليوم ان الاشاعة عارية عن الصحة . على ان اعداء المانيا لم تموههم هذه الخزعبلات وامثالها ونفس الشعب الالماني لم تموه عليه الحقيقة والحزب الاشتراكي الذي اظهر حماسة شديدة في اول الحرب قد بدأ يحتج بشدة على اعمال الحكومة ويطالبها بالسعي لخفض اسعار المواد الغذائية التي قد ارتفعت الى درجة لا تطاق . زد على ذلك ان النساء الاشتراكيات رفعن حديثاً الى مجلس الرشستاغ احتجاجاً على اسعار مواد الغذاء ورداءة انواع تلك المواد وعدم وجودها في البلاد بكميات كافية حتى اصبحت الصحة العمومية تقلق البال من جراء تلك الحالة

ولم تحصر الشكوى في النساء الاشتراكيات فقط بل كانت اشد منها بين النساء العمال اللواتي قمن بمظاهرات عديدة طلبن فيها النظر في امر المواد الغذائية وتحديد اسعارها ومنع التجار من احتيازها والاستبداد بها

وذكرت غازت كولون وهي من ابعد الجرائد الالمانية شهرةً ان القوم في المقاطعات الغربية يطالبون الحكومة ان تزيد الجراية من الخبز والدقيق وان تحدد اسعار اللحوم والدهون والخضراوات لانها قد ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً

وقد قررت لجنة الميزانية في مجلس النواب البروسي وجوب وضع اليد على جميع انواع الحبوب وتسعير المواد الغذائية بناء على كون الحرب ستستمر سنةً اخرى

هذا والجرائد الالمانية كلها تحرّض الامة على التمسك بعروة الصبر والاستسلام الى حكمة الحكومة

قال احدهم :

خليليَّ ان قالت بثينة ما له	اتانا بلا وعد فقولا لها لها
اتى وهو مشغول بعظم الذي به	ومن بات طول الليل يرعى السُّها سَها
بثينة تزري بالغزالة في الضحى	اذا برزت لم يبق يوماً بَها بها
لها مقلة كحلا وخدٌ موردٌ	كأن اباها الظبي او أمها مها
دهتني بودٍ قاتل وهو متلفي	وكم قتلت بالمزح من ودها دها

نبوغ الاولاد

امثلة غريبة على الذكاء المفرط

يعتقد فريق كبير من الناس ان الذكاء فطري يوجد مع الطفل منذ ولادته ثم ينشأ بنشؤ قواه العقلية الى ان يعوق سيره ما يوقفه عن النمو . على ان التجارب التي اجراها حديثاً علماء الطبائع البشرية قد اثبتت بوجه لا يقبل الشك ان من الذكاء ما هو اكتسابي في المرء ويمكن ترقيته بحسب البيئة المحيطة به حتى لقد يبلغ شأواً من الارتقاء يجوز نعته بقولنا انه من خوارق الطبيعة . وقد نشرت احدى المجلات العلمية الاميركية فصلاً



ونفرد ساكفيل ستونر

اوردت فيه بضعة امثلة تأييداً لما قلناه من ان من الذكاء الخارق ما هو اكتسابي يناله الطفل بواسطة التلقين والتعليم . فقد اوردت المجلة المشار اليها ذكر فتاة صغيرة تدعى ونفرد ساكفيل ستونر قد اصبح اسمها على كل شفة ولسان في اميركا واشتهرت بذكاء يندر وجود مثله بين الشيوخ والحكماء على رغم كونها لا تزال في العقد الثاني من سنيها . وكان ابواها قد باشرا تعليمها وهي بعد في السنة الاولى من حياتها فلم تكد تناهز خمس

سنوات حتى كانت تقرض الشعر الانكليزي وتنظم القصائد الحسان . وكانت الجرائد تنشر اشعارها وهي بعد في تلك السن ومنها قصيدة نالت شهرة عظيمة في الولايات المتحدة عنوانها : « دع النحلة وشأنها »

ولم يكن نبوغ هذه الفتاة في الشعر فقط بل في امور اخرى عديدة . فقد كانت تكتب يوميها قانونياً وهي في الثانية من عمرها . وفي الثالثة كانت تكتب لامها رسائل على الآلة الكاتبة (تيبريتر) وفي الرابعة كانت تحسن قراءة الاسبرنتو وكتابتها جيداً . وفي الخامسة كانت تتكلم بثماني لغات وتوقع اصعب الانغام على الآلات الموسيقية



وليم جيمس سيديس

وفي اميركا ولد آخر يدعى وليم جيمس سيديس وهو ابن الدكتور بوريس سيديس احد مشاهير العلماء الاميركيين . ومن غرائب هذا الولد انه دخل المدرسة في السنة السادسة من عمره فاجتاز الصفوف كلها وأتمها في مدة ستة اشهر ثم درس في بيته سنتين فلما كان في الثامنة من عمره دخل مدرسة عالية وانتقل منها الى جامعة هارفرد باذن خاص اذ كان في الحادية عشرة من عمره . ومن آيات نبوغه في المسائل الحسابية انه وهو بعد في العاشرة من عمره كان قد اتقن الجبر والهندسة وحساب المثلثات وحساب التكامل والتفاضل . وفي السنة الاولى من اقامته بجامعة هارفرد القى خطبة شهيرة في الجمعية الرياضية موضوعها المقاسات الاربعة

ومن هذا القبيل أيضاً أولاد الاستاذ وينر (احد اساتذة جامعة هارڤرد) واولاد القس برل فانهم نبغوا نبوغاً يصح ان يسمى خارقاً للطبيعة

وقد نشر الهلال في الجزء السابع من السنة الثانية والعشرين صورة ولد صغير يدعى ويلي فريرو وهو نابغة في فن الموسيقى فانه لم يكن قد تجاوز السابعة من عمره حتى كان مديراً لجوقة موسيقية عدد اعضائها ثمانون موسيقياً . وقد لعب هو وجوقته أمام قيصر روسيا فسرّ به القيصر وهنأه وهو لا يكاد يصدق ما رأى وسمع



نوربرت وينر

ونذكر انه كان في المدرسة الكلية ببيروت منذ نحو خمسة عشر عاماً غلام ارمني في العقد الاول من سنيه يدعى ديكران . . . وكان يجيد اللغة الفرنسية كأنه احد ابنائها ويحسن العربية والانكليزية والتركية والارمنية وكان نابغة في فن الموسيقى يوقع على البيانو والكمنجة أصعب الانغام وقد سمعناه يوقع على البيانو في بعض الحفلات في مدينة بيروت ثم بلغنا انه ذهب الى اكسفورد لاتمام دروسه في جامعتها الشهيرة فكان ذكاؤه موضوع دهشة الجميع

ونذكر ايضاً اننا حضرنا منذ نحو عشر سنوات مسابقة شهيرة في لعب البلياردو بين الحدث ويلي هوب الاميركي والمسيو ڤينيو الفرنسوي في ملعب الاولمپيا بباريس .

وقد كان المسيو ڤينيو حتى تلك السنة يلقب بملك البلياردو وقد انتصر في جميع المسابقات الدولية التي حدثت في اهم ملاعب البلياردو في العالم لمدة نحو عشرين سنة . وكان الولد ويلي هوب من تلاميذه فلما اشتد ساعده طلبه للمبارزة في حفلة عمومية حضرها جمهور لا يحصى من اهل باريس وبلغت المراهنات على اللاعبين مبالغ فاحشة وكانت النتيجة ان التلميذ غلب استاذه وانتزع منه لقب ملك البلياردو . على ان زمن هذه السيادة لم يطل لويلي هوب فان رجلاً آخر انتزعها منه ثم جاء الولد جورج غراي الاوسترالي فاظهر من المقدرة في لعب البلياردو ما يكاد يشبه المعجزات



ويلي فريرو

وهنالك امثلة عديدة على نبوغ الاولاد وبلوغهم في الذكاء مبلغاً بعيداً ولا شك ان للوراثة شاناً كبيراً في الامر ولكنها ليست كلها السبب في ذلك النبوغ الغريب فان هنالك امثلة عديدة تثبت ان ذكاء الوالدين او خمولهما لا ينتقل بالضرورة الى الاولاد . والرأي الاصح اليوم هو ان الذكاء الفطري اذا لم يكن مقروناً بوسائل التعليم والتهذيب قلما يبلغ من الارتقاء شأواً بعيداً

الى حضرات المراسلين

لا تقبل ادارة الهلال ما يرسل اليها من الرسائل او القصائد بقصد النشر على صفحات الهلال الا اذا كان ممضياً بامضاء صاحبه . ويجوز عند نشره الرمز الى اسم الكاتب بحرف او حروف او اسم مستعار حسب الطلب

استطيع ان انهي الحرب

اسمع تفرح جرّب تحزن

قد دفعت هذه الحرب عقول المفكرين الى استنباط الوسائل التي بها ترجح كفة احد الفريقين على الآخر فكانت اكبر منبه لاهل العلم والفطنة واعظم محرض للاختراع والابتكار . وقد تراكمت الاختراعات على حكومات الدول المتحاربة تراكماً عظيماً حتى اجبر وزير حربية روسيا ان ينشر اعلاناً يطلب فيه من اصحاب الاختراعات ان لايضايقوا وزارة الحربية باقتراحاتهم الكثيرة

واكبر دليل على ذلك انه بين اول اغسطس سنة ١٩١٤ واول يوليه سنة ١٩١٥ اي في اقل من سنة تقدم لوزارة الحربية الروسية ١٧٠٠٠ اختراع واقتراح لم تنظر الوزارة الا في مئة منها ورمت بكل الباقي عرض الحائط لان معظمها كان مبنياً على الاوهام والتخيلات البعيدة . وقس على روسيا سائر الدول الاخرى . وقد رأينا ان نورد هنا امثلة من هذه الاقتراحات الغريبة على سبيل الفكاهة

وفي مقدمتها مشروع رجل روسي اسمه بوريس فويفتش من اهل مدينة قازان في روسيا فانه في يوم من الايام استدعى رجال السلطة العسكرية في المدينة الى منزله ليطلعهم على طريقة اخترعها لابادة الالمان والنمسويين والاتراك بحفر نفق تحت ارض العدو للوصول الى اسلاكه التلفونية والتلغرافية ثم ارسال مجرى كهربائي قوي جداً في تلك الاسلاك بحيث يتطاير منها الشرر الكهربائي كالبرق الخاطف فيصرع الاعداء ويذيب بطارياتهم الخ . . . ولكن المثال الذي صنعه ليبرهن به على صحة اختراعه لم ينجح حتى ان امرأته نفرت منه وفرت من وجهه بعد ما لحق به من العار

اما المانيا فمخترعوها الذين من هذا الطرز كثيرون ايضاً ولكن بينهم عدداً كبيراً من رجال العمل الحقيقيين . ويقال انهم توصلوا اليوم الى طريقة للاقتصاد في وقود الغواصات بحيث اصبحت تسير ٧٠٠٠ ميل من غير ان تحتاج الى التموين ويقال ايضاً انهم اخترعوا طريقة لتجديد الهواء في داخل الغواصات بالطرق الكيمية حتى اصبحوا قادرين على البقاء تحت سطح الماء ثلاثة ايام

اما مخترعو المانيا الوهميون فاكثرهم من اهل بافاريا واختراعاتهم متنوعة . فمنها طريقة لابادة فرق العدو بمقذوفات مركبة تركيباً كيمياً خاصاً . ومنها طريقة لحمل الاسطول الانكليزي على النزول الى عرض البحر في بقعة معينة حيث يبيده الالمان بالطوربيد وقس

على ذلك . ومن اغرب تلك الآراء اقتراح للهر اكرمن من سكان مونيخ بالمانيا يقصد منه اكتناف الجيش الروسي وقطع خط الرجعة عليه . ومحور ذلك آلة لحفر الانفاق تحت الارض يمكنها ان تتقدم خمسة اميال في النهار لا سيما في ارض بولونيا الرخوة فاذا حفر الالمان ثلاثين ميلاً تحت ارض العدو تمكنوا من الوصول الى مكان امين وراء جيوش الروس فيهاجمونهم من الامام ومن خلف في آن واحد

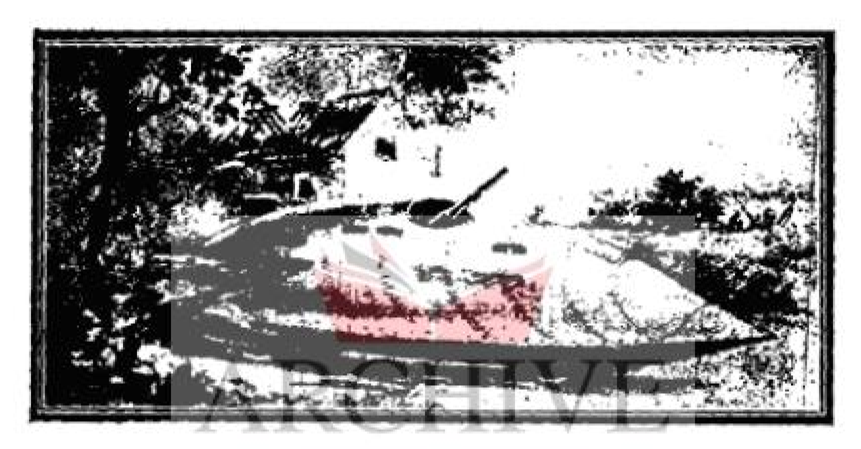
وقد صنع اكرمن المذكور مثالاً من آلته هذه وهو يقول انها تزن عند اتمامها نحو ٣٠٠ طن اي ٣٠٠٠٠٠ كيلوغرام ولذا فالخبيرون لا يعلقون اهمية على هذا الاختراع الذي يصح على الورق اكثر مما لو انتقل الى حيز العمل لضخامة الآلة وصعوبة نقلها وما يعترض سبيلها عند استعمالها من الصخور والعثرات الطبيعية . ويظن البعض ان لدى الالمان الآن آلة لحفر الانفاق تحت الارض اصغر من تلك الآلة وانها قد استعملت في الميدان الغربي بدليل ما وجدوه من الآثار التي تبعث على هذا الظن

ومن اغرب الاقتراحات ما قدمه الدكتور ليونارد مينيك الكيمي الالماني الذي كان سابقاً من موظفي معامل كروب ويقال انه كان من واضعي رسوم المدفع الذي قطر فوهته ١٧ بوصة . اما اقتراحه الذي نحن بصدده فهو عبارة عن مدفع حصار هائل قطر فوهته ٣٦ بوصة ! فتأمل ما يكون فعل هذا المدفع وقد رأينا ما أتاه مدفع ١٧ بوصة من الفتك والتخريب . وقد افاض الدكتور مينيك المذكور في وصف اختراعه وبيّن امكان صنعه ومما قاله في هذا الصدد : انه يوجد مانعان مهمان يعترضان تكبير حجم المدافع وهما اولاً صعوبة النقل وثانياً اتلاف الانابيب الداخلية بفعل الغازات والحوامض الآكلة . والتاريخ الحديث يدلنا على ان المصانع الحربية قد تلافت هذين المانعين بعض التلافي . فمنذ سنوات قليلة لم يحلم احد بانه يمكن صنع مدافع يتجاوز قطر فوهتها اثنتي عشرة بوصة . وكان اليابانيون اول من استعملوا مدافع بهذا الحجم في الحرب الروسية فادهشوا العالم حينئذ . وقد رأينا مدافع ١٧ بوصة في هذه الحرب . فما المانع من مواصلة التقدم في هذا السبيل ؟ ولا يخفى ان قنبلة مدفع ١٧ بوصة تزن اربعة اضعاف قنبلة مدفع ١٢ بوصة . اما مدفع ٣٦ بوصة فتكون قنبلته ثلاثين ضعف تلك القنبلة ويكون مرماه ٤٥ ميلاً . وتقدر نفقات المدفع الواحد من هذا الطرز بنحو ٣٠٠٠٠٠ جنيه

ومن اغرب المشروعات التي ولدتها هذه الحرب مشروع المهندس النمسوي يسليك الذي اقترح على حكومته تغريق سهول بولونيا الروسية كلها بحيث يستحيل استيلاء الروس عليها مرة أخرى وذلك بتحويل مجرى نهر الدنستولا من مجراه في جهة نهر ناريف

حتى تفيض مياهه على سهول بولونيا وتولد بحراً صغيراً يمتد من جرودنو الى لومزا تكون فيه الحصون المرتفعة شبه جزر محاطة بالماء من كل جانب . وتقدر نفقات هذا المشروع بنحو عشرين مليون جنيه اي ما تنفقه المانيا والنمسا للحرب في اسبوع واحد

هذا قليل من كثير لا محل لذكره هنا . ولا بد لنا في الختام من ان نقول انه مهما تكن هذه الاقتراحات وامثالها غريبة فلا يجب أن يبرح من ذهننا ان الحقيقة كثيراً ما تنشأ عن وهم او تخيل يقع في بادئ الامر موقع الاستغراب ثم يتدرج شيئاً فشيئاً في حيز العمل



اوتوموبيل مدرع جديد

اظهرت هذه الحرب فوائد الاوتوموبيلات باجلى بيان وقد اخترع احد الاميركان طرزاً من الاوتوموبيل المدرع وجهزه تجهيزاً تاماً واتقن صنعه من جميع الوجوه حتى تواترت الاشاعات في اميركا بان مندوبي بعض الدول المتحاربة يتفاوضون مع المخترع لشراء اختراعه . وجسم هذا الاوتوموبيل مدرع تدريعاً متيناً بشكل اهليلجي يتراءى للناظر كأنه حيوان غريب . وسطح الاوتوموبيل محدب تحديباً هندسياً بحيث اذا وقعت عليه القنبلة تزحلقت وحادت عن مرماها . وعجلات هذا الاوتوموبيل محاطة ايضاً بالدرع ولا يظهر منها الا قسم صغير جداً في اسفلها . وفي اعلى الاوتوموبيل مدفع فوهته ٤ بوصات وعلى جوانبه بنادق وهو يسع اربعة اشخاص . والشكل المرسوم يوضح جميع هذه الجزئيات

حرب الالغام البرية

العراك تحت الارض

كثيراً ما نسمع بين اخبار الحرب الحاضرة عن استيلاء الجيوش على خنادق الاعداء واستحكاماتهم بواسطة الالغام البرية وقد رأينا ان نتبسط في وصف هذه الالغام وطرق وضعها وكيفية استعمالها تتمة للفائدة فنقول

كان المتحاربون الاقدمون يعمدون في كثير من الاحيان الى حفر السراديب والدهاليز تحت الارض للوصول الى مراكز اعدائهم اذا كان هؤلاء داخل حصون منيعة فيباغتونهم فيها ويستولون عليها . فلما اخترع البارود وصنعت المدافع وتيسر للجيوش بواسطتها دك الحصون والاستحكامات لم يعد للسراديب الاهمية التي كانت لها فصارت نسياً منسياً حتى وقعت حرب القرم والحرب اليابانية الروسية فعادت الجيوش الى استخدامها فصارت فنا من الفنون الحربية الخاصة بفرقة المهندسين في الجيش واطلق عليها اسم حرب الالغام البرية . واكثر ما تظهر اهميتها في ميادين القتال المنبسطة حيث يتيسر حفر الانفاق والوصول الى خنادق الاعداء فيسهل للجيوش الاستيلاء الاعداء من الخارج بعد نسفها بالالغام من داخل الارض . واعظم حرب الالغام في حفر حفرة عمودية ثم دهاليز افقية تتراوح بين متر ومتر ونصف عرضاً وبين متر ونصف ومترين علواً . وتتفرع من هذه الدهاليز شعب اقل اتساعاً تتجه في جهات مختلفة وفي نهاية هذه الشعب تركب الالغام وهي عبارة عن مستودعات من البارود تنفجر في الغالب في الجهة العليا التي يراد نسفها حيث خنادق العدو واستحكاماته فتنسف الارض وتترك نقرة كبيرة على هيئة القمع يهبط فيها كل ما للعدو هناك من جنود ومهمات وقد يوجه انفجار اللغم الى غير الجهة العليا من الارض والقصد من ذلك تخريب معدات العدو وسراديبه التي قد تكون تحت اللغم او على مقربة منه

ومهمة فرقة الالغام في الجيش من اشد المهمات خطورة وصعوبة فان افرادها فضلا عن المشقة التي يلاقونها في الحفر يكونون في كل لحظة عرضة لخطر النسف من الغام العدو المتيقظ الذي لا ينفك يقوم بنفس العمل من جهة مقابلة ولا يظن القارىء ان مهمة هذه الفرقة تنتهي بمجرد وضع اللغم في نهاية الدهاليز بل يبقى عليها لدرء اخطار الانفجار الرجعي ان تقيم وراءه بناء مرصوصاً من الاحجار تدعمه الالواح الغليظة ثم يخلى الدهليز

وتعطى الاوامر باشعال الفتيل وعندها يخال انه انفجار بركان ثائر فتندلع النيران وتتقاذف الاحجار والاتربة وتصبح كل الاستعدادات والاستحكامات التي اقامها العدو انقاضاً واكداساً ولا يبقى هناك سوى فوهة كبيرة يتصاعد منها التراب والدخان . عندئذ تبادر المشاة من الخارج الى الهجوم للاستيلاء على الموقع المنسوف قبل ان يفيق العدو من دهشته

كل ما تقدم وصف خيالي اذا فرضنا نجاح المهمة ولكن كثيراً ما يأتي الامر على غير المنتظر فان العدو ليس بغافل عما يفعله هؤلاء وهو بدوره دائب على حفر السراديب وبث الغام مقابلة بقصد ملاشاة الغامهم ونقض اعمالهم وهنا منتهى الخطورة والمشقة التي تنفرد بهما حرب الالغام الخفية . فان الجندي الذي يحفر لا يفتأ يتلصص واذنه على جدار السرداب علّه يسمع صوتاً آتياً من جهة العدو وعندما يتبين هذا الصوت يبادر الى حيلة تنقض عمل العدو ونجاح احدهما يتوقف على من هو اكثرهما دربة وسرعة فيفاجيء خصمه بلغم يخبله ويورده حتفه قبل ان يتيسر لهذا مبادأته بالضربة القاضية ولا يفوت القارئ ان اقل خلل في سد موضع اللغم يترتب عليه انفجار رجعي كما انه لو انطلق البارود من خزنة المدفع بدلاً من ان يخرج من الفوهة فيصيب من بديره

لغم تحت خنادق الاعداء (١) التل (٢) التجويف الذي نشأ عن الانفجار

شواهد تاريخية

كان اليونان والرومان القدماء يستخدمون السراديب للوصول الى مواقع الاعداء عندما يتعذر الاستيلاء عليها بالهجوم وذلك قبل اختراع البارود والالغام بزمن طويل فقد روى المؤرخون ان القائد سرفيليوس حاكم الرومان حاصر في سنة ٤٣٠ ق م . بلدة فيدين من اعمال تسكانيا في ايتاليا ولما عجز عن

اخذها بالهجوم استولى عليها بواسطة سرداب حفره تحت اسوارها . وذكر ايضاً ان الملك فيليب والد اسكندر ذي القرنين لما حاصر بلدة تدعى باليه امر بحفر سرداب تحت اسوار المدينة ودعم اساس هذه الاسوار بالاخشاب ثم وضع النار فيها فاحترقت وانهدمت الاسوار فوقها لعدم وجود ما يسندها

ولم تعمد الجيوش الى استخدام البارود في لغم الارض الا بعد اختراعه بما ينيف على ٢٥٠ سنة ووصلت حرب الالغام الى اعظم درجات الاتقان في اثناء حصار الترك لمدينة كانديا في جزيرة كريت اذ كانت تدافع عنها جمهورية البندقية في منتصف القرن السابع عشر للميلاد فقد ذكر المؤرخون ان الالغام التي استعملت في هذه الحرب كانت تحتوي على كمية هائلة من البارود بلغت في بعض الاحيان ١٨٠٠٠ رطل واحصى ما استهلكه اهل البندقية من البارود في مدة سنة من هذا الحصار بما يقرب من ٣ ملايين رطل . وحدث حادث في هذه الحرب يدل على عظم التأثير الذي يولده ذكر الالغام في مخيلة الجنود ولو كان وهماً وهو ان جيشاً فرنسوياً مؤلفاً من ٥٠٠٠ جندي كان قد ارسلهم لويس الرابع عشر لشد ازر المحاصرين خرجوا من المدينة لمهاجمة الاتراك واخرجوهم من خنادقهم وعندما هموا باحتلال هذه الخنادق لعبت النار باحد براميل البارود هناك فخيل للفرنسويين انه لغم على وشك الانفجار وسرعان ما لاذ هؤلاء الشجعان بالفرار جزعاً بعد ما كانوا على وشك اجتناء ثمرة انتصارهم

وفي حصار سباستبول اثناء حرب القرم المشهورة سنة ١٨٥٤ — ١٨٥٥ استخدم الفريقان المتحاربان الالغام في جملة مواقع نذكر منها اثنين هما اهمها :

اولهما الاستيلاء على الخط الرابع من خنادق الروس المنيعة حول البلدة . فقد قام الجيش الفرنساوي بحفر الدهاليز اللازمة ووضع ٢١ لغماً تحت الارض المراد الاستيلاء عليها ونتج من الانفجار ان فتحت فوهة في الارض على مسافة ٦٠ قدماً من خط الروس طولها ١٧٠ متراً وعرضها ١٥ متراً وعمقها من اربعة امتار الى خمسة وقد بادر الفرنساويون الى احتلالها بالرغم من مقاومة العدو الشديدة

والموقعة الثانية انه بينما كان الجنود الروسيون يحفرون الانفاق شعروا بدنو اعدائهم الفرنساويين في نفق مقابل لهم فتركوهم حتى قربوا ثم وضعوا لغماً ثقله ١٩٧ كيلوغراماً من البارود وتركوه ينفجر في جهة نفق الفرنساويين فنشأ عنه تخريب كل ما قام به هؤلاء وقتل اكثر الجنود الذين كانوا هناك وقت الانفجار . وقد حصل ما يشبه هذا الحادث في الحرب الحاضرة في شمبانيا امام مزرعة (الجبر) حيث نسف الفرنساويون

لغماً في جهة سرداب حفره الالمان تحت دهليز للفرنساويين وقتلوا من كان فيه من الجنود

ولعبت الالغام البرية في الحرب الروسية اليابانية دوراً شديد الاهمية سواء في حصار بور ارثر او في غيره من ميادين القتال هناك . وقد حدث في احد الميادين ان الروس شاهدوا اليابانيين يخرجون الاتربة اكواماً من خنادقهم التي تبعد ٣٠٠ متر عن خط الروس وكان يتطرق الى مسامعهم اصوات متقطعة عند سكون القتال فتبادر الى ذهنهم حالاً ان اليابانيين يحفرون الدهاليز ليلغموا الارض تحتهم فاخذوا هم بحفر دهاليز مقابلة حتى وصلوا الى منتصف الطريق التي تفصلهم عن العدو ولما لم يعثروا على شيء عمدوا



لغم الحصون

نفقان تحت حصن اعلاها حفره العدو لالغم الحصن واسفلهما حفره جنود الحصن للغم نفق العدو : (١) خندق خلفي (٢) خندق امامي (٣) خنادق الاتصال بين الصفين الاولين (٤) نفق لاجل اللغم (٥) الحصن المراد لغمه

الى حفر شعبة على احد جانبي الدهليز وما عتموا ان رأوا في احدى الليالي قضيب لغم ياباني قد برز من اعماق الشعبة على حين غفلة حتى بادروا الى وضع الالغام في الجهة التي جاء منها القضيب ونسفوا دهليز الاعداء.

وقد تنبأ احد الكتاب العسكريين منذ بضع سنين عن حرب الالغام بقوله اذا وقعت حرب في اوربا في المستقبل فمن المرجح ان يكون لحرب الالغام دور مهم فيها. وقد جاءت نبوءة هذا الضابط صادقة فانك اذا اجلت النظر في خطوط القتال الآن سواء في فرنسا او في الميادين الروسية تجد حفر الدهاليز والانفاق ووضع الالغام جارياً على قدم وساق

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في الاجزاء الماضية من الهلال)

في ٨ سبتمبر — غزت البلونات المسيرة الالمانية سواحل انكلترا الشرقية ومدينة لندن فبلغت الخسائر ١٠٦ من الانفس . وعين الغرانذوق نقولا حاكماً على القوقاس وتولى القيصر قيادة الجيش الروسي العليا . وانتصر الروس في تارنوبول بغليسيا انتصاراً باهراً

في ٩ منه — صد الفرنسويون جيش ولي عهد المانيا في الارجون واستمر الروس في انتصارهم في غليسيا

في ١٠ منه — أسر الروس ٥٠٠٠ من النمسويين في غليسيا . وسلمت المانيا لاميركا مذكرة بخصوص اغراق السفينة ارابيك . وطلب الرئيس ولسن من النمسا ان تسترد سفيرها الدكتور دوما من وشنطن

في ١١ منه — حاولت بلونات تسبلن الالمانية الغارة على سواحل انكلترا ولكنها اضطرت للنكوص

في ١٢ منه — غارت بلونات تسبلن على سواحل انكلترا فلم تلحق ضرراً ما . وزحف الالمان على فلنا

في ١٣ منه — جددت بلونات تسبلن غارتها على انكلترا فلم يحدث ضرر . والقت الطيارات الفرنسوية مائة قنبلة على مدينة تريف الالمانية

في ١٦ منه — تقدم الالمان على ضفاف الدوينا واحتلوا بنسك الواقعة في آجام بريبت . وغرقت الغواصة البريطانية نمرة ١٧ في الدردنيل . وبلغت خسارة الحلفاء في الدردنيل ٨٧٦٣٠ نفساً

في ١٩ منه — سقطت فلنا الروسية بيد الالمان . وضرب الاسطول البريطاني سواحل البلجيك . وهاجم الالمان الصرب على ضفاف الدانوب

في ٢٢ منه — بدأت بلغاريا بتعبية جيشها . والقت الطيارات الفرنسوية القنابل على

قصر ملك ورتمبرج في مدينة ستوتجارت واحتل الالمان قريتين بجوار دفنسك

في ٢٣ منه — القت الطيارات الفرنسوية القنابل على عدة محطات ومستودعات المانية

في ٢٤ منه — اصدرت حكومة اليونان امرها بالتعبئة العامة واسترجع الروس فليكا ولونسك وانتصروا على الالمان في ثلاثة مواقع

في ٢٥ منه — هجم الحلفاء على الالمان في الميدان الغربي هجوماً عاماً فانتزع البريطانيون استحكامات لوس وهلوك الالمانية جنوبي ترعة لاباسي وتقدموا ميلين ونصف على خط طوله خمسة اميال . وانتزع الفرنسويون استحكامات وخنادق عديدة في شمبانيا وشمالي اراس وتقدموا ميلين ونصف ميل على خط طوله ١٧ ميلاً . وبلغ عدد الاسرى الذين وقعوا بيد الانكليز الفين وست مئة ومعهم تسعة مدافع ميدان . وبلغ عدد الاسرى الذين وقعوا بيد الفرنسويين عشرين الفاً لم يصابوا بجرح ومعهم اربعة وعشرون مدفعاً ضخماً . واسر الروس ٣٠٠٠ من النمسويين في غليسيا

في ٢٧ منه — استمر الحلفاء في هجومهم على الالمان في الميدان الغربي فبلغ عدد الاسرى الذين سقطوا بيد الانكليز من الالمان ٢٨٠٠ وثلاثة وخمسين ضابطاً ومعهم ثلاثة وعشرين مدفعاً ضخماً وبلغ عدد المدافع التي استولى عليها الفرنسويون ٤٧ مدفعاً . ورد الفرنسويون الالمان في الارجون بخسارة فادحة

في ٢٨ منه — والى الحلفاء هجومهم في الميدان الغربي فوصل الانكليز الى الخط الثالث من خطوط الدفاع الالمانية جنوبي لوس وبعث السر ادوارد غراي انذاراً الى بلغاريا

في ٢٩ منه — تقدم الفرنسويون في ارتوا واستولوا على التل نمرة ١٤٠ وهي أعلى قمة في جبال فيمي وبلغت خسارة الالمان في الخمسة الايام الاخيرة نحو مئة وعشرين الفاً بين قتيل وجريح . واعلن المستر تشامبرلن ان الانكليز اكتسحوا الاتراك في قوت العمارة التي تبعد مئة ميل عن بغداد

في ٣٠ منه — اخترق الفرنسويون في شمبانيا خطوط الالمان في بضعة نقط وغزت الطيارات الفرنسوية مستودعات السكك الحديدية الالمانية واحتل الالمان مدينة لوتسك الروسية مرة أخرى

في اول اكتوبر — اعلن الجنرال فرنش ان الالمان هاجموا الانكليز الى الشمال الغربي من هلوك وبالقرب من هوج فاستردوا ١٥٠ يارداً من الخنادق التي كانوا قد خسروها . والقت الطيارات الفرنسوية القنابل على مستودع فوزيه وهو مركز جيش

ولي العهد الالماني في الارجون

في ٢ منه — استرد الانكليز خندقين من الخنادق التي كان قد استردها الالمان وأعادت ٦٥ طيارة فرنسوية الكرة على فوزيه وفشل هجوم الالمان شرقي فيلنا فشلاً تاماً وعاد الاسطول البريطاني الى اطلاق مدافعه على سواحل البلجيك

في ٣ منه — ارسلت روسيا بلاغها النهائي الى بلغاريا وامهلتها اربعاً وعشرين ساعة لقطع كل صلة بينها وبين المانيا . والقى الطيارون الفرنسويون القنابل على المستودعات الالمانية العسكرية في لكسمبرغ

في ٤ منه — اعلنت بريطانيا العظمى وفرنسا بأنهما ستنزلان حملة عسكرية في سالونيك لمساعدة الصرب

في ٥ منه — قطعت العلاقات السياسية بين روسيا وبلغاريا . واعتزل المسيو فنزيلوس رئيس وزراء اليونان منصبه

في ٦ — منه نزلت الجيوش الفرنسوية في سالونيك وتقدم الفرنسويون في شمبانيا فاستولوا على قرية تاهور واسروا الفاً من الالمان واستولى الروس على عدة قرى على خط دفنسك

في ٧ منه — اعلن الالمان ان جيوشهم اجتازت نهر الدانوب ودخلت في حدود سربيا

في ٨ منه — هاجم الالمان لوس فردهم الفرنسويون بخسارة فادحة . وخسر الالمان والنمسويون في سربيا خسارة عظيمة جداً وقطع الحلفاء علاقاتهم مع بلغاريا

في ٩ منه — تقدم البريطانيون الى الشمال الشرقي من لوس فالحقوا بالالمان خسائر كبيرة . واعلن الالمان احتلالهم لمدينة بلغراد عاصمة الصرب

في ١١ منه — اعلن الجنرال فرنش ان الالمان جنوبي لاباسي اصيبوا بخسائر عظيمة جداً اذ تركوا ثمانية آلاف قتيل على ساحة القتال

في ١٢ منه — شدد البريطانيون الهجوم على الاسونزو واقصوهم عن عدة مواقع

في ١٣ منه — بدأ البلغار بتنفيذ فكرة الوصول الى نيش وانتصر الروس في غليسيا الشرقية انتصاراً جديداً

في ١٤ منه — اعلنت ايطاليا انها ستنضم الى الحلفاء في حرب البلقان

مطبوعات جديدة

جرائد ومجلات

(الامة) هي جريدة يومية حرة المباحث ظهرت في الاسكندرية في اول الشهر الماضي لمدير سياستها المسئول حضرة الكاتب المعروف توفيق افندي طنوس وهي حافلة بالمباحث السياسية والادبية متقنة الطبع مرتبة الابواب . ادارتها في شارع استانبول بالاسكندرية وقيمة اشتراكها السنوي ١٢٠ قرشاً في مصر و٤٠ فرنكا في الخارج

(المنبر) صارت هذه الجريدة يومية بعد ان كانت نصف اسبوعية وهي تصدر في القاهرة لمدير سياستها المسئول حضرة الكاتب الفاضل جورج افندي طنوس ومن ميزاتها انها تهتم اهتماماً خاصاً بالامور القضائية وتزان بالرسوم عند الاقتضاء . ادارتها بعمارة المؤيد وقيمة اشتراكها السنوي في مصر مئة غرش فقط

(المجلة) صحيفة جامعة تصدر مرتين في الاسبوع في بونس ايرس عاصمة الارجنتين لمنشئها حضرة الكاتب الفاضل الدكتور خليل سعادة نزيل مصر سابقاً . ونهج هذه المجلة هو « سياسة بلا تحزب علم بلا تعصب انتقاد بلا محاباة » بدل اشتراكها في خارج الارجنتين ٣٥ فرنكا

(الشرائع) ظهر العدد الاول من السنة الثالثة لهذه المجلة الراقية التي يديرها حضرة الفاضل قسطنطين سعاده بك المحامي بطنطا وهي حافلة بالمباحث الاقتصادية والتشريعية بقلم نخبة من افاضل رجال القانون في القطر المصري وفي كل عدد اهم الاحكام الصادرة من المحاكم المصرية . قيمة اشتراكها خمسون قرشاً في مصر

(فتاة الشرق) وصل الينا العدد الاول من السنة العاشرة لهذه المجلة المفيدة حافلاً بالمباحث الادبية والعلمية والتاريخية التي تهم المرأة الشرقية على الخصوص مكتوبة بقلم منشئها حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم . وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشاً في مصر و١٣ فرنكا ونصف في الخارج

(روضة المدارس) طالما شعرنا باحتياج البلاد الى مجلة مدرسية تكمل ما يتلقنه التلميذ في المدرسة وقد ظهرت هذه المجلة مؤخراً في اللغتين العربية والانكليزية لرئيسة تحريرها المسؤولة المس بري وفيها مباحث مدرسية وادبية ومسابقات وفوائد شتى وهي تظهر مرة في الشهر وقيمة اشتراكها ١٢ قرشاً فقط في السنة

(الروايات الكبرى) هي مجلة روائية تاريخية ادبية عصرية مصورة لمنشئها وصاحبها مراد افندي الحسيني قيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً في السنة

الكتب

﴿ العناية بالطفل ﴾ كتاب صحي مفيد يبحث في طرق العناية بالاطفال في حالتي الصحة والمرض بقلم الدكتور محمد زكي شافعي وهو يحتوي على كل ما يحتاج اليه الوالدان من النصائح التي لا غنى لهما عن معرفتها لا سيما في هذه البلاد حيث لا تزال المباحث الصحية في طفولتها

(ديوان غصن النقا) من نظم الشيخ رشيد مصوبع اللبناني نزيل باريس سابقاً وقد قدمه الى المسيو دلكاسه وزير خارجية فرنسا (سابقاً) ومما جاء في تقدمته قوله « هو ديوان شعري عربي نسجت معظمه في عاصمتكم الزاهية باريس المدينة التي أنمت قريحتي ورقمت خاطري وأعلت نفسي وأكبرت همتي واطالت عمري »

﴿ ديوان عبد الرحمن شكري ﴾ صدر الجزء الثالث من هذا الديوان لناظمه عبد الرحمن افندي شكري مصدراً بهذين البيتين للناظم :

وما الشعر الا القلب هاج وجيبه ... وما الشعر الا ان يثير مثير
والريح هبات والنفس مثلها ... تغني رخاء فيهما ودبور

﴿ فلسفة الحياة ﴾ هو احد كتب الفيلسوف الروسي الشهير الكونت لاون تولستوي ترجمه ياوي افندي غالي اللوزي . وهو يبحث عن معنى الحياة الصحيحة والطريق الى السعادة الحقيقية وعن الحب على انواعه ومعنى الموت ونحو ذلك من المباحث التي تلذ مطالعتها وربما عدنا الى اقتطاف فقرات منه في الجزء التالي من الهلال وثمن النسخة ٦ قروش

﴿ السلطة والحرية ﴾ هو كتاب آخر للفيلسوف تولستوي وتعريب ياوي افندي غالي ايضاً ويبحث في علاقة الفرد بالمجتمع . ثمنه ٣ قروش

﴿ منتخبات نصر الله ﴾ هي مجموعة مقالات علمية واجتماعية وتاريخية وانتقادية نشرها في جريدة الهدى الاميركية نصر الله افندي الياس فارس وقدمها لنعوم افندي مكرزل صاحب الهدى

﴿ الافادة لنوال السلامة ﴾ مجموعة اشعار مكتوبة باللغة العاميـة السورية من نوع القرادي نظمها المرحوم جرجس بشاره وطبعتهـا مطبعة النجمة في مدينة لورنس ماس في الولايات المتحدة

﴿ بلايا الهوى ﴾ رواية ادبية ممتعة مترجمة عن الانكليزية بقلم انيس افندي خليل بقاعه ومطبوعة بمطبعة النجمة في لورنس بالولايات المتحدة

﴿ بدرية الانكليزية ﴾ رواية ادبية معربة عن الانكليزية بقلم انيس افندي بقله ومطبوعة في مطبعة النجمة ايضاً

﴿ عقيدة الثالوث القويمة ﴾ هو كتاب جدلي ديني يبحث في عقيدة الثالوث بحسب الآراء العلمية و « يثبت أن عقيدة الثالوث والتجسد والكفارة لا تناقض العقل بل تكمله وتؤيده » بقلم حضرة المحترم السكانن ولم تمبل جردنر رئيس الارسالية الاسقفية الانكليزية بمصر

﴿ Le Pangermanisme ﴾ هو حلقة جديدة من سلسلة الكتب التي تصدرها اللجنة المؤلفة من اكابر علماء فرنسا لتبرئة فرنسا وحلفائها من سبب الحرب والقاء تبعتها على المانيا وهذا الجزء يبحث في حركة الجامعة الجرمانية والطرق التي كان يستعملها الالمان لنشر نفوذهم في العالم ثمن النسخة ٥٠ سنتيماً في فرنسا

﴿ الاكتشاف الثمين ﴾ اصدر حضرة الدكتور لويس الصابونجي نزيل مصر الان انموذجاً لكتاب شرع في طبعه عنوانه الاكتشاف الثمين لاطالة العمر مئات من السنين يدل اسمه على موضوعه . وسيقع هذا الكتاب في نحو ٣٠٠ صفحة مزينة بالرسوم وقد شهد بغزارته وفائدته نفر من افاضل الاطباء في مصر . قيمة الاشتراك في هذا الكتاب الآن ريال مصري وسيكون ثمنه بعد صدوره ريالين

جميع هذه الكتب تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

فوائد

لدى المسيو بوانكاره مجموعة ثمينة مؤلفة من كتب ومخطوطات قديمة تبحث في آنية البيت وفرشه وتقدر باكثر من عشرة آلاف جنيه

* * *

اكبر الجنود الفرنسوية سناً اليوم المسيو ساروج الذي تجاوز السبعة والسبعين وقد كان في فرقة المهندسين في سنة ١٨٧٠ وهو اليوم مع الجيش في جهة أراس

* * *

يبلغ عدد الاجزاء المتطايرة من القنبلة التي وزنها ٧٠ ليبرة عند انفجارها نحو ١٢٠٠ قطعة

* * *

في جزيرة مداغسكر فرقة من الجيش تستعمل الثيران بدلاً من الخيل لان هواء البلاد حار جداً لا تعيش فيه الخيل . وهذه الفرقة فريدة في بابها

ارمينية

والمسئلة الارمنية

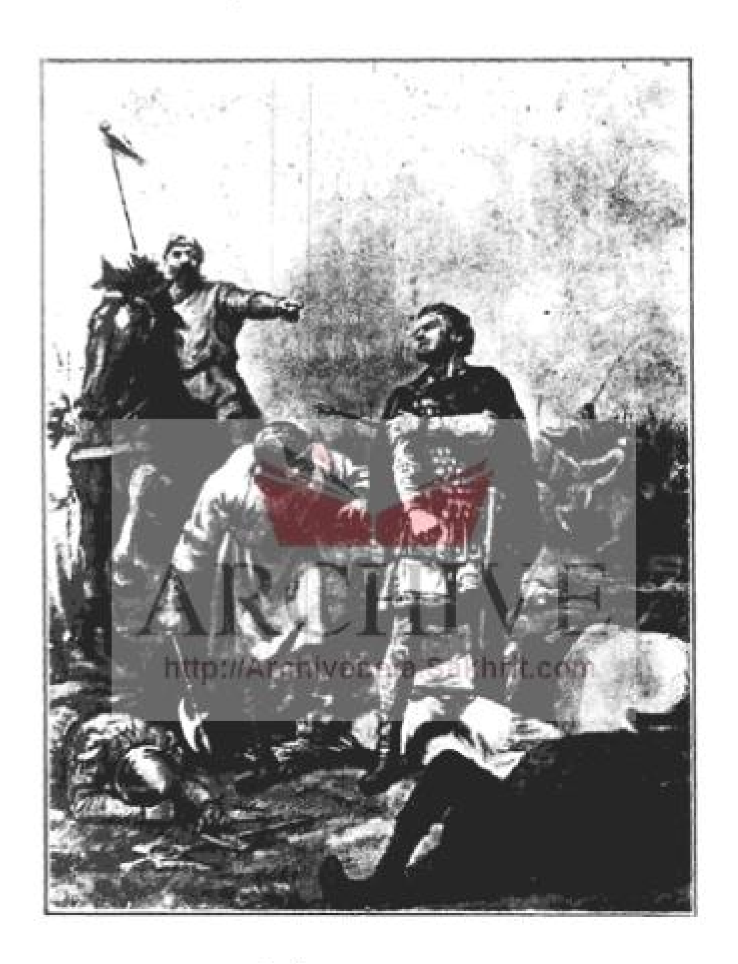
ارمينيا اوارمينية بلاد واسعة الى الشمال الشرقي من شبه جزيرة آسيا الصغرى يحدها شمالاً البحر الاسود والقوقاز وشرقاً بحر قزبين وجنوباً كردستان وغرباً آسيا الصغرى . وهي ثلاثة اقسام اكبرها خاضع لتركيا واصغرها للفرس وما بقي لروسيا . وقد اختلف الاحصائيون في تقدير عدد الارمن فقال البعض انهم يزيدون قليلاً على المليونين وقال غيرهم انهم يناهزون الخمسة الملايين . والارجح انهم لا يزيدون كثيراً على ثلاثة ملايين منهم مليونان في تركيا والباقون في روسيا وفارس . وهم قوم اشداء البأس معروفون بجدهم وشجاعتهم واقدامهم وفيهم ذكاء فطري يصل ببعض افرادهم الى درجة النبوغ

وقد اختلف المؤرخون في اصل الشعب الارمني فزعم الاقدمون انهم جاءوا من فريجية او تساليا وذهب غيرهم الى انهم من كيليكية او من البلاد الواقعة على شمال البحر الاسود . وسواء كانوا من هذه البلاد او من تلك فانهم من اقدم الشعوب التاريخية بدليل انهم كانوا معروفين لدى الاشوريين الذين كانوا يسمونهم «ناري» او «اورارتو» اي «اهل اراراط» الوارد ذكرهم في التوراة . ويظهر انهم كانوا في الاصل يعبدون إلهاً اسمه «كلديس» ولذلك كانت الشعوب الاخرى تسميهم احياناً كلديين (وهم غير الكلدان او الكلدانيين) .

ومهما يكن اصلهم فاننا لا نكاد نعرف عنهم شيئاً يذكر قبل القرن السابع قبل الميلاد يوم اجتاحت القبائل «الهندوجرمانية» بلاد ارمينية فتشتت الارمن شذر مذر ولم نعد نعرف عنهم شيئاً الا في القرن الخامس قبل الميلاد

وفي الواقع أن تاريخ ارمينية لا يمكن غربلته بحيث ينفصل عن تاريخ الممالك التي خضعت لها البلاد ولذلك يعتبره المؤرخون جزءاً من تاريخ ممالك مادي وفارس وورومية وبيزنطة وتركيا . ولما كان الارمن يرجعون اصلهم الى ابن يافث صعب فصل تاريخهم الحقيقي عن التاريخ الخرافي . اما الحقيقي فيبدأ على الارجح من سنة ٥٤٦ قبل الميلاد يوم غزا الملك كورش بلادهم وتغلب عليهم . وكان لملكهم ولد يدعى ديكران قيل انه كان رفيقاً لكورش في المدرسة وقد اشتهر في محاربته للفرس وما اتاه من الاعمال حتى سارت بذكره الركبان واصبح اسمه مضرب الامثال . وفي التقاليد الارمنية انه غزا بلاد مادي

وتغلب عليها ثم قام بعده ملوك آخرون وسعوا مملكة الارمن وثبتوا دعائمها الى ان جاء الاسكندر في سنة ٣٢٨ قبل الميلاد فاجتاح ارمينية وكان عليها ملك من سلالة ديكران يقال له « واهي » او « ڤاهي » ولم تسترد ارمينية استقلالها منذ ذلك اليوم الا في عهد اردشاتيز القصير فان الملوك السلوقيين كانوا يقيمون عليها الولاة ويحكمونها بالاستبداد



الامبراطور الروماني رومانوس ديوجينيس يقع أسيراً في يد الاتراك السلجوقيين في بلاد ارمينيا في سنة ١٠٧١ وكان من الذين امتلكوا ارمينيا

والارمن يترقبون الفرص للثورة عليهم والتملص من حكمهم الى ان سنحت لهم الفرصة في سنة ١٩٠ قبل الميلاد . ذلك ان سكيبو افريقانوس القائد الروماني الشهير انتصر على انطيوخوس الكبير ملك السلوقيين وكان زارياديس وارتكسياس الارمنيان يحكمان على ارمينية الغربية والشرقية فاستغنما الفرصة وشقا عصا الطاعة على انطيوخوس معلنين

استقلالهما . ولكنهما لم يتمتعا بذلك الاستقلال طويلاً فان انطيوخوس ايفانيس الرابع اصلاهما حرباً شديدة فاسر ارتكسياس واسترد البلاد الى حكم السلوقيين . وفي منتصف المئة الثانية قبل الميلاد غزا « ارشاقة » الرابع (ملك الفرثيين — ويسميه اليونان مثريداتس الاول) بلاد ارمينية فاخضعها واقام اخاه فالارساس (« وغرشاق » الاول) ملكاً عليها فحكمت أسرته على ارمينية من سنة ١٤٩ قبل الميلاد الى سنة ٤٢٨ بعد الميلاد . وفي ايام ديكران الثاني [1] حفيد « وغرشاق » الاول بلغت ارمينية اوج مجدها وضُمت اليها ارمينية الغربية وخضعت لها جميع الاقاليم المجاورة . ويظهر أن التقاليد قد خلطت بين ديكران الاول وديكران الثاني فنسبت الى كلٍّ منهما اموراً تتعلق بالآخر . ولا شك ان ديكران الثاني كان اعظم ملوك الشرق في ايامه ولكن صلته بحميه مثريداتس الكبير كانت شؤماً عليه وعلى مملكته فان رومية حاربته وتغلبت عليه ففقدت ارمينية جانباً كبيراً من املاكها وعادت في سنة ٦٦ قبل الميلاد الى الحدود التي كانت عليها قديماً . ولما ملك ارتافاسداس ابن ديكران الثاني اخذ يدس الدسائس على رومية متآمراً عليها مع مرقس انطونيوس فسيق الى رومية وامرت كليوباطرة بقطع رأسه (في سنة ٣٠ ق . م .) ومنذ ذلك الحين أصيبت ارمينية بالنكبات المتوالية فان كلا الفرثيين والرومانيين حاولوا الاستيلاء عليها . وفي سنة ١١٤ للميلاد غزاها الامبراطور تراجانوس بجيش كبير فاخضعها واقام عليها ملكا من اهلها . واتفق في سنة ٢٣٨ للميلاد ان رجلاً من الارمن قتل كسرى الكبير ملك الفرس ومنذ ذلك الحين دخلت ارمينية في حوزة الفرس . وفي سنة ٢٥٩ للميلاد ارتقى تيريداتس الثالث ابن كسرى الى العرش . وكان قد تهذّب في رومية وتخلّق باخلاق اهلها . وساعدته رومية للحصول على العرش فبدأ حكمه باضطهاد المسيحيين ولكنه اهتدى اخيراً الى الديانة المسيحية فصرف كل همته ووجه كل قواه لتحسين حال المسيحيين واصلاح ما افسده عليهم بالاضطهاد حتى كانت ارمينية اول مملكة في التاريخ دانت بالديانة المسيحية . ومنذ ذلك الحين تمكنت ربط الصداقة بين تيريداتس واليونان ولكنها توترت بينه وبين رومية وفارس حتى كانت سنة ٣٨٧ للميلاد اذ ضُمَّت مقاطعات ارمينية الشرقية الى فارس والغربية الى رومية . وفي سنة ٤٢٩ سعى الارمن لعزل ارتحشستا الرابع (ارتاكسيس) وهو آخر سلالة الارشاقيين فتم لهم ذلك وضمت البلاد الى فارس لعهد الملك بهرام شاه الخامس فحكمها المرازبة حتى سنة ٦٣٢ للميلاد . وكان معظم أولئك المرازبة من اصل ارمني . على ان سياستهم كانت شؤماً على البلاد اذ

(١) حكم من سنة ٩٠ — ٥٥ قبل الميلاد

وقعت فيها الاضطرابات العديدة في الداخل وفي الخارج وعانى المسيحيون اشد انواع الاضطهادات وافظعها وحدثت الثورات العديدة واهمها ثورة فارثان

وفي سنة ٦٢٤ للميلاد غزا هرقل ملك الروم بلاد أرمينية وعقبه المسلمون في سنة ٦٣٧ فاجتاحوها واخضعوها حتى سنة ٨٥٥ للميلاد اذ استردت ارمينية شيئاً من استقلالها بهمة البغراتيين (١) ثم عاد الروم في الربع الاخير من القرن الحادي عشر فاستولوا على قسم منها واستولى الاتراك السلجوقيون على القسم الآخر . واتفق ان الارمن الذين هربوا من ظلم الاتراك عبروا نهر الفرات واستعمروا منحدرات جبال الامانوس والطورس وأنشأوا لهم دولة مستقلة لم تلبث ان اتسعت حتى ضمت كبدوكية



نساء ارمنيات يحكن السجاد

وكيليكية حتى سواحل البحر المتوسط . وكانت هذه المملكة (وتعرف بارمينية الصغرى) آخر حصن للمسيحيين في الشرق وقد لعبت في حروب الصليبيين دوراً مهماً . وعقدت مع المغول محالفة لمحاربة دولة المماليك في مصر . ولكن المغول لم يلبثوا ان دخلوا في الاسلام ثم دالت سلطة الصليبيين فبقيت ارمينية الصغرى عرضة لانتقام المماليك فلم ينقض القرن الرابع عشر للميلاد حتى خضعت لهم . وفي سنة ١٦٠٤ اجتاح الفرس البلاد وسبوا أربعين الفاً من الارمن الى بلادهم ومنذ ذلك الحين لم تقم للدولة الارمنية قائمة فامتزج تاريخها بتاريخ الاتراك والفرس والروس

(١) قيل انهم من سلالة أمير يهودي

المسئلة الارمنية

كانت المسئلة الارمنية من جملة المسائل التي شغلت دول اوربا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر لان الاتراك كانوا ولا يزالون كلما أرادوا الانتقام من المسيحيين أو من الدول المسيحية عمدوا الى اضطهاد الارمن وذبحهم بالالوف

والمقصود من المسئلة الارمنية السياسة التي جرت عليها تركيا منذ اوائل عهد عبد الحميد حتى هذا اليوم . وقد تقلبت هذه المسئلة في ادوار واطوار مختلفة ولكن الاعراض التي كانت ترافقها في جميع حالاتها هي واحدة ونعني بها ظهور الحكم الاستبدادي باشد ظواهره وافضائه الى سفك دماء الابرياء من رجال ونساء وأطفال

وتختلف المسئلة الارمنية عن أخواتها من المسائل التي نشأت في تركيا — كالمسئلة الكريتية والمسئلة المكدونية وخلافهما — باعتبار مركز الارمن في تركيا وموقفهم الحرج فيها . ذلك انهم ليس لهم دولة تنظر اليهم وتحميهم من ظلم الاتراك . وهذا الذي شجع الاتراك على اضطهادهم وهدر دمائهم . فالبلغار في تركيا مثلاً كانوا ينظرون الى صوفيا . واليونان الى اثينا . والصربيين الى بلغراد . والرومانيين الى بخارست . وأما الارمن فلم يكن لهم دولة ينظرون اليها او يعتمدون عليها فهم أشبه بالالبانيين والفرق بينهم وبين هؤلاء ان الالبانيين لم يكونوا يثقون بوعود الاتراك ولا القوا عنهم أسلحتهم حالة ان الارمن كانوا كلما طلبت الحكومة اسلحتهم خضعوا لاوامرها خوفاً من نقمتها الا جماعات منهم كانوا لا يركنون الى وعودها ولا يثقون باقوالها . ومما ضر الارمن وسهل على الاتراك اضطهادهم الاسباب الآتية : —

(١) ان الارمن لم يكن لهم دولة يلتجئون اليها

(٢) ان الارمن ينقسمون الى ثلاث طوائف وهم : الكاثوليك والغريغوريون والبروتستانت وكثيراً ما كانت آراء هذه الطوائف متناقضة

(٣) ان الارمن مشتتون في تركيا وروسيا وبلاد فارس وليس من مصلحة الروس او الفرس مساعدة الارمن الذين في تركيا لنيل الاستقلال الذي ينشدونه

(٤) ان معظم الارمن مشتتون بين قبائل الاكراد المتوحشين فكانت الحكومة كلما ارادت الانتقام منهم هاجت عليهم الاكراد وكثيراً ما سلحت بعض الطوائف للانقضاض عليهم ومحاربتهم

ولما رأى الارمن حالتهم هذه رفعوا الى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ عريضة يلتمسون بها منحهم استقلالا ادارياً وانشاء ولاية يحكمها حاكم مسيحي ويكون نظامها شبيهاً بنظام

جبل لبنان . فكان جواب مؤتمر برلين على هذه العريضة وعوداً عرقوبية مؤداها ان الدول ستهتم بالمسئلة الارمنية وتلح على تركيا باجراء الاصلاحات المعقولة التي يطلبها الارمن . وعلى أثر ذلك ارسلت بريطانيا العظمى مندوبين للاطلاع على حالة الارمن وارسال تقرير مستوفى عنهم . ولكن انكلترا لم تلق تعضيداً من الدول فاضطرت الى اغفال المسئلة الارمنية لا سيما وان بسمارك سعى لحمل الدول على عدم التعرض لشؤون تركيا



راية الصليب الاحمر الذي انقذ مهاجري الارمن في بورسعيد ويبلغ عددهم نحو خمسة آلاف

وفي سنة ١٨٨٩ ظهرت بوادر المذابح الارمنية فوصلت اخبارها الى انكلترا وأحدثت في الشعب الانكليزي استياء عظيما . ووجهت انكلترا انظار عبد الحميد الى تلك الفظائع فوعدها بارجاع الامن الى نصابه وانصاف الارمن . الا ان وعده هذا كان كسائر مواعيد الدولة التركية . واذ الحت انكلترا بوجوب الاسراع في انصاف الارمن وايقاف المذابح عند ذلك الحد تنصلت تركيا من تبعة تلك الاضطهادات وألقت اللوم على الاكراد . ثم تظاهرت بالاهتمام بالامر فامرت بالقاء القبض على موسى بك زعيم الاكراد وبدأت بمحاكمته . فظنت انكلترا وسائر دول اوربا ان الامر قد انتهى . ولكن محاكمة موسى بك اسفرت عن تبرئته الامر الذي اثار ثائر انكلترا مرة أخرى فتلافت تركيا المسئلة بان نفت موسى بك

على ان نفي موسى بك كان بمثابة ذر الرماد في عيون اوربا فان بعض الاتراك الذين كانوا قد نزحوا من البلقان على أثر حوادث سنة ١٨٧٨ كانوا لا يفتأون حاقدين على المسيحيين يتلمسون فرصة للانتقام ولم يجدوا سنداناً لمطرقتهم افضل من الارمن . وكان الاكراد ايضاً حاقدين على هؤلاء بسبب نفي زعيمهم موسى بك فلم تأت سنة ١٨٩٤ الا ونار المذابح الارمنية قد اشتعلت مرة أخرى فظل الارمن ثلاثة أسابيع متوالية عرضة لخناجر الاكراد وسيوف الباشبزق بقيادة زكي باشا فدمرت المدن والقرى وذُبح الارمن كما تذبح الاغنام وارتكب الاتراك من الفظائع ما تشمئز منه نفس نيرون . ولما احتجت اوربا على هذه الفظائع كان جواب عبد الحميد ان قلد زكي بك الاوسمة على ما « أدّاه من الخدمات الجليلة لتركيا » . واذ ذاك طلبت بريطانيا العظمى من تركيا ان تؤلف لجنة لتحقيق اسباب تلك الفظائع يكون فيها مندوبون من قبل انكلترا وفرنسا وروسيا . ولكن تركيا ضربت تقرير تلك اللجنة عرض الحائط . ففرضت الدول المذكورة على الباب العالي لائحة لاجراء الاصلاحات في الولايات الارمنية وعقد الارمن المؤتمرات العديدة في لندن وباريس وقاموا في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩٥ بمظاهرة في الاستانة كانت نتيجتها تسويد سمعة الارمن امام دول اوربا اذ وجدت تركيا عذراً لتأديبهم قادتهم الى حد الانتقام الهائل واثارت عليهم الجنود والاهالي في الاستانة وطرابزون وغيرها

وفيما كان السفراء في الاستانة يعدون مشروعاً لاجراء الاصلاحات في الولايات الارمنية وقعت مذابح جديدة في اسيا الصغرى فاقت كل ما سبقها في هولها وشدتها . فقام الاتراك والجنود والاكراد على الارمن المساكين وحزّوا اعناقهم كما تحز اعناق الاغنام حتى جرت دماؤهم انهاراً وذُبحت الالوف من الرجال والنساء والاطفال بطرق تقشعر منها الابدان . وكان انتهاك اعراض العذارى امام آبائهم وأمهاتهم وعلى قوارع الطرق اهون تلك المصائب . واستمرت المذابح في شهري اكتوبر ونوفمبر من تلك السنة حتى تكردست اشلاء الارمن على بطاح آسيا الصغرى وتعالى صراخهم الى السماء . وكان موظفو الباب العالي يديرون تلك المذابح بدقة وشدة لا مزيد عليهما وشاكر باشا يصدر اوامره بالذبح والقتل وعدم التراخي . قال السفير الانكليزي في تقرير رفعه الى حكومته ان بلاداً تزيد مساحتها على مساحة الجزائر البريطانية قد اصبحت قاعاً صفصفاً خالياً من السكان وقد صُبغت تربتها بالدماء وان عدد الذين ذُبحوا من الارمن في خلال ستة اسابيع لا يقل عن ثلاثين الفاً من الرجال والنساء والاطفال وان المذابح كانت لا تزال سائرة سيرها الفظيع وانه بلغ عدد الذين ذُبحوا داخل كنيسة اورفا فقط ثلاثة آلاف

نفس عدا الذين ذُبحوا في مواضع اخرى ولا تزال جدران هذه الكنيسة ملطخة حتى هذا اليوم بدماء الذين ذبحوا داخل الكنيسة

كل ذلك والدول صامتة لا تحرك ساكناً خوفاً من فتح المسئلة الشرقية وكان كل ما فعلته أنها حذرت الباب العالي من ايقاع الاذى باحد رعاياها ولم يكن يصعب على الباب العالي اجتناب المشاكل الدولية لان المذابح كانت منظمة تنظيماً دقيقاً بحيث لا ينكب



عائلة ارمنية من المهاجرين في مضارب بورسعيد

بها الا الارمن ومما يثبت ذلك كثرة الالوف الذين ذُبحوا من الارمن مع عدم وقوع الحيف على احد من الرعايا الاجانب

ولما ضاقت السبل بوجه الارمن دفع اليأس بعضهم ممن يقيمون بالاستانة الى ركوب متن الشطط فهجموا على البنك العثماني وتهددوا ان ينسفوه ما لم يتولّ السفراء حمايتهم . فوُعدوا بذلك واقلتهم سفينة فرنسوية لم تكد تبارح مياه الاستانة حتى عمد السلطان الى

الانتقام من ابناء جنسهم الابرياء قام بمذبحة عامة في ٢٧ اغسطس سنة ١٨٩٦ فعادت الاستانة وتخضبت بدماء من كان قد بقي من الارمن المساكين وكانت العساكر تدخل بيوتهم عنوة فتخرجهم هم ونساءهم واولادهم واطفالهم الى الشوارع وبعد ان ينتهكوا أعراض نسائهم وبناتهم على مرأى منهم يحزون اعناقهم بفظاعة ما انزل الله بها من سلطان . قيل انه بلغ عدد الارمن الذين ذبحوا في الاستانة في يومي ٢٧ و٢٨ اغسطس من تلك السنة ستة آلاف نفس على أقل تقدير

فلما رأى السفراء حرج الموقف خافوا لئلا يجيء دورهم ودور رعاياهم ايضاً فاجتمعوا وتفاوضوا في الامر ثم ارسلوا مذكرة شديدة الى الباب العالي الحوا فيها بوجوب ايقاف تلك الفظائع في الحال . ويظهر ان السلطان انس من لهجة مذكرتهم في هذه المرة شيئاً من العزم فامر بايقاف المذابح للحال . ولما وصلت اخبارها الى أوربا هاج لها رجال السياسة وماجوا وكان اشدهم عطفاً على الارمن المستر غلادستون ولكن وقوف روسيا والمانيا في وجهه غل يديه (١) فلم يستطع ان يخرج وعيده الى حيز العمل وكان جل ما اتاه انه القى في ليفربول خطبة سياسية سمى بها عبد الحميد بالقاتل السفاح « والسلطان الاحمر »

على ان الدول وجدت بعد ذلك من المشاكل ما الهاها عن المسئلة الارمنية لا سيما وان الاختبار علمها باستحالة الاتفاق على اتباع سياسة التشديد مع تركيا فان الدول ذات المطامع كانت تأبى اغضاب تركيا وهكذا اهمل الارمن وتركوا ليحلوا مسئلتهم بانفسهم

وفي سنة ١٩٠٩ تجددت المذابح الارمنية على أثر اعلان الدستور في تركيا فوقعت الفظائع العظيمة في ولاية ادرنة ولكنها لم تطل مدتها ولا اتسع نطاقها والارجح ان السلطان عبد الحميد هو الذي أثارها كما أثار المذابح التي سبقتها . غير ان جميع ما وقع في الثلاثين السنة الماضية من المذابح ليس شيئاً يذكر في جانب الفظائع التي تجري اليوم في بلاد الارمن المساكين فان الاخبار مجمعة على وقوع مذابح تهون في جنب اصغرها افظع المذابح السابقة واهولها . ونحن نمسك القلم عن تفصيلها لانها مما يفتت الاكباد وسيميط التاريخ اللثام عن مرتكبيها والمحرضين عليها ويفضح اسراراً كانت تفضل المانيا وحليفاتها لو بقيت في زوايا الكتمان

---

(١) كانت المانيا تتوقع الحصول على امتيازات في اسيا الصغرى فلم يكن من مصلحتها مناكفة تركيا . واما روسيا فكانت كلما طلبت منها انكلترا معاونتها لتحرير الارمن تقول « انني لا اريد ان اخلق في الاناضول بلغاريا اخرى »

الاساطير والخرافات

علاقتها بالتاريخ وتأثيرها في المجتمع العمراني

يصعب تعيين الزمن الذي بدأت فيه الخرافات ان تمحص وتنفصل عن وقائع التاريخ لان الانسان في عصره الاول كان يجهل القراءة والكتابة فلم يكن يدوّن وقائع التاريخ أو يسطر أخبار السلف بل كان الابناء يتناقلون اخبار آبائهم ويورثونها لاولادهم فوصلت الينا تلك الاخبار بطريقة النقل والتواتر

وقد كان لاساطير الاقدمين تأثير عظيم في نظام المجتمع العمراني وتكوين مبادئه فان الامم الغابرة كانت تكيف احوال معيشتها بمقتضى تلك الخرافات . ومن العبث ان نقول ان جميعها كانت من اختراع المخيلة أو من بنات الاوهام فان العلماء قد وجدوا ان لجانب كبير منها اثراً من الصحة يسهل تتبعه

ولا يخفى ان التاريخ لا يذكر شيئاً عن احوال العصور الخالية والشعوب التي عاشت في القرون الغابرة . فلم يبق أمامنا والحالة هذه مجال لمعرفة شيء من تلك الاخبار سوى التقاليد والاساطير . واذا وضعنا هذه الاساطير موضع النقد المدقق امكننا ان نخترق لنا فيها سبيلاً للوصول الى بعض الحقيقة

ولسنا نقصد ان غربلة الاساطير من الامور السهلة على طالب التاريخ فان تداول الافواه لها عصوراً عديدة ابعدها عن الحقيقة وألبسها ثوباً من الوهم تسخر منه عجائز هذا العصر . لذلك يجدر بالباحث ان يتروى ولا يتسرع في قبول التقاليد والاساطير والتسليم بصحتها

اعتبر ذلك في الياذة هوميروس التي سارت بذكرها الركبان فانها تشتمل على تقاليد وأساطير ممزوجة بالتاريخ مزجاً يصعب معه غربلتها وفصل الواقع فيها من الخرافي . فخرب تروادة التي هي محور الالياذة هي من الامور التاريخية الثابتة ولكن هوميروس قد البسها ثوباً من الخرافات يصعب معه فصل الحقيقة عن غير الحقيقة . وكثيراً ما عمد هوميروس في الياذته الى المجاز والكناية فذكر اسماء سفن عديدة رمزاً الى تجارة البحر المتوسط . واشار باساليب الاستعارة الى المصريين واراضيهم الخصبة ومهارتهم في الطب ولمح الى الفينيقيين واشتهارهم بتجارة الارجوان وذكر ملكهم « قدموس » واشار الى مدينة طيبة ذات السبعة الابواب ململحاً الى اعتقاد القوم بشأن الرقم سبعة وكونه مأخوذاً

عن عبادة السبعة الكواكب في بابل . اما وصفه للهاوية فدليل على ما كان القوم يعتقدونه في الحياة بعد الموت

ومن الناس من لا يرى في هذه الاساطير سوى خزعبلات واوهام يجب ان يضرب بها عرض الحائط . ولكن علماء التاريخ يقرأون بين سطورها اخباراً يتوصلون اليها بالاستنتاج ويغربلونها حتى تبدو بثوبها الحقيقي وتحل المحل الذي لها بين حقائق التاريخ . وهذا ما يعبر عنه العلماء بعلم الميثولوجيا . فالميثولوجيا اذاً علم يبحث فيه عن اصول التقاليد والاساطير لمعرفة صحيحها من فاسدها . ويدخل تحتها الاساطير الدينية لانها اول ما يتبادر اليه ذهن الانسان في المجتمع العمراني . ولما كانت عبادة الابطال من اركان العبادات القديمة وجب اعتبارها فرعاً من فروع الميثولوجيا

مرجع الميثولوجيا

اذا دققنا النظر في علم الميثولوجيا بفروعه المختلفة نرى انه يرجع في اصل مباحثه الى نشوء الكائنات وكيفية وصولها الى حالتها الحاضرة ولا يمكن تجريد احد نظامات الميثولوجيا من هذه الفكرة الا ما كان منها مأخوذاً عن احط الشعوب في المدنية الحالية فقد تخلو ميثولوجيتها من بسط تلك النشوء . فالخرافات الشنتية (اليابانية) ترجع الى اصل الكائنات وتشير الى زمن كانت السماء والارض فيه ملتحمتين جسماً واحداً نشأ منه الآلهة ثم البشر نشوءاً تدريجياً . وقد جاء في اساطير الهنود الحمر ان الكائنات هي من صنع خالق كان موجوداً منذ الازل واما الارض فحديثة العهد . وكلا الاساطير الشنتية والهندية تشبه رواية التوراة شبهاً كبيراً حتى ان البعض يعتقدون ان موسى كتب ما كتبه عن بدء الخليقة وهو متشرب من روح الاساطير التي كان قد اطلع عليها ودرسها في اثناء اقامته بمصر

ويظهر ان مشاهد الطبيعة قد كانت مصدراً لمعظم الاساطير الحالية فان الانسان في فجر المدنية لم يكن يستطيع تعليل تلك المشاهد تعليلاً علمياً فكان يلجأ الى صور وافكار تستنبطها له المخيلة . فكان الرومان كلما سمعوا هزيم الرعود قالوا ان جوبيتر (اي « المشتري » وهو اله الآلهة عند الرومان) كان نازلاً من مستقر الآلهة الى الارض . واذا ابصروا البروق زعموا انها وهيج الصواعق التي ينزلها بالارض . واذا رأوا بركاناً ثائراً قالوا ان اله الحدادة ينفخ كوره في بطن الارض . واذا شعروا بزلزلة قالوا ان اله الجبابرة ينبض قلبه في جوف الارض . وكان اليونان يعتقدون ان النوم والموت سيان

ولهما اله يقد على البشر بصورة جبار منتقم اوكائن يريح الانسان من اتعابه ومشقاته

وقد نشأ عن هذه الاعتقادات خرافات واساطير لا تحصى لا سيما بعد ان رسخت اسماء الآلهة المختلفة في اذهان الناس وكان اليونان والرومان ومعظم الامم الخالية تنبت الصفات البشرية للآلهة كالحب والغضب والرحمة والعدل والقوة والعظمة وهلم جراً . وقد استعاروا معظم تلك الصفات أو كلها من مشاهد الطبيعة وقواها المختلفة ثم الهوها بحسب اهوائهم وصاروا بمرور الزمن يقدمون لها فروض العبادة

النظرية اليوهمرية

على ان بعضهم لم يكتفوا بمشاهد الطبيعة فقط بل عمدوا الى تأليه البشر فكانوا يغالون في تكريم الابطال وينسبون اليهم الافعال العظيمة وتلك الافعال تكبر وتزداد ضخامة بمرور الزمن وبهذه الكيفية نشأت عندهم آلهة الحرب وآلهة الصيد وآلهة الشر وهلم جراً . واول من قال بهذا القول يوهمروس الفيلسوف اليوناني الذي عاش في المئة الرابعة قبل الميلاد . ومن الامثلة على صحة كلامه ان طائفة « بيرونوس » الذين اشار اليهم هوميروس في الياذته لم يكونوا الهالهة نازلة من السحب كما صورهم الوهم بل كانوا بشراً اشداء بأس ومراس . ولكن مرور الاحقاب الطويلة رفعهم الى مصاف الآلهة

ومن احسن الامثلة على صحة نظرية يوهمروس اساطير الهنود القاطنين في مقاطعة مونتانا بالولايات المتحدة وقد جمعها الاستاذ سلبنز مدير المتحف الكولومبي بشيكاغو ومعظمها دائر على محور البأس الذي اشتهر به آلهة أولئك الهنود الاقزام . وخلاصة اساطيرهم انه كان في الاحقاب الخالية شعب من الاقزام يسكنون في الوعور ولا يعرفون النار . وكانت أوتار قسيّهم من جلد الايل وسهامهم من حجر الصوان . وكانوا اقوياء جداً يحملون الجواميس الكبيرة على مناكبهم . وقد أتوا من الافعال العظيمة ما لا يستطيع احد من البشر اتيانه اليوم . لذلك نرى هنود مونتانا حتى هذا اليوم كلما مروا بالوعور التي يقال انها مسكن أولئك الاقزام صوَّب كل منهم سهماً اليها وصلى الى إلهه ليمدليه قوة أولئك الاقزام الجبارة ويجعل سهامه صائبة كسهامهم

وفي مقاطعتي « نوفاسكوتيا » الكندية « وماين » الاميركية قبائل من الهنود الاميركيين يعتقدون ان سكان البلاد الاصليين كانوا اقزاماً يسكنون الجبال . والتاريخ ايضاً يؤيد هذا القول فان الشعوب السكندنافية التي غزت تلك البلاد في القرن الحادي عشر

وجدوا الاهالي اقزاماً يسكنون المغاور والكهوف ولم يكن الهنود الحمر قد وصلوا يومئذٍ الى سواحل الاتلانتيك

فترى من هذه الاساطير ان البلاد كان يسكنها في الاصل شعب اصلي يرجح انه شعب الاسكيمو الذي لا يزال يستعمل القوس والنشاب والسهام الصوّانية . فالاساطير التي ألّهت أولئك الاقزام هي مؤسسة على حقائق تاريخية يجهلها أولئك الشعوب انفسهم

ومن الغريب ان حكاية هؤلاء الاقزام شائعة في اساطير متعددة فهي في اساطير الهند واوربا وبريطانيا العظمى وبريطانيا الصغرى [1] واميركا وهلمَّ جراً . والتعليل الوحيد لها هو ما ارتاه يوهمروس على ما اشرنا اليه

وقد جمع العلماء اساطير الاقدمين تحت هذه الابواب وهي السامية والهندية والمصرية واليونانية الرومانية والشمالية

الاساطير السامية

كانت بابل ونينوى اقدم مراكز العبادات السامية كالاشورية والكلدانية والعبرانية وغيرها . والارجح ان بعض ما في هذه الاديان مأخوذ عن الشعوب غير الساميين كالعقاديين والسومريين الذين كانت حضارتهم سائدة على مملكة بابل حتى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد وهو الزمن الذي حل فيه الساميون محل السكان الاصليين وانتزعوا منهم السيادة . فالثالوث البابلي (اي « انو » — « بل » — « هيا ») هو نفس الثالوث السومري (اي « انا » — « انلل » — « انكي ») وكانت مدينة اريك مقراً لعبادة الاله « انو » وله فيها هيكل فخم . وكان « لبل » هيكل في مدينة « نيبور » و « لهيا » هيكل في مدينة « اريدو » على ساحل خليج العجم . وكان العقاديون يعتقدون بوجود إله فوق الثلاثة الآلهة المذكورين ويسمى « دنجرا » . فلما جاء الساميون واخذوا عنهم الثالوث اخذوا ايضاً الاله « دنجرا » وسموه « ايلو » وسموا عاصمتهم « باب ايلو » (بابل) باسمه . ومما يستحق الاعتبار في جميع هذه الاساطير ان القوم كانوا يعتقدون بوجود كائن ازلي هو العلة الاولى . ولا نعلم هل كان هذا الاعتقاد سابقاً عند البابليين لعبادة الطبيعة ام لاحقاً لها . وعلى كل فقد كان لكل مدينة من مدن المملكة إله خاص غير الآلهة المذكورة كما كانت الحالة عند المصريين

(١) ومن امثال اهلها قولهم « اقوى من القزم » ولا شك ان اصل هذا المثل ما ذكرناه من الاساطير

الاساطير الهندية

زعم الاستاذ كولان من كبار الباحثين في اصل الاساطير ان الميثولوجيا الهندية مأخوذة كلها او بعضها عن الميثولوجيا البابلية وذهب الدكتور غوستاف اوبرت الى ان ميثولوجيا القبائل الآرية التي غزت الهند منذ اقدم الازمنة طرأ عليها تغيير عظيم وأضيف اليها كثير من معتقدات الشعوب الدراقيدية التي كانت تسكن بلاد الهند في العصور الخالية . ويظهر ان الميثولوجيا الهندية ليست كثيرة التعقيد كغيرها من الميثولوجيات القديمة فخلاصتها ان « فاروتا » هو إله الآلهة ويليه ثالوث مؤلف من « فشنو » او « سوريا » (الشمس) و« اجني » (إله النار) و« اندرا » (إله الهواء) . وكان « اندرا » متحداً « بقايو » إله الريح . اما « اجني » فكانوا يقيمون عبادته باستخراج النار من عودين بواسطة حك احدهما بالآخر مما يدل على ان عبادة « اجني » من العبادات النارية . اما اليوم فقد نزل « اجني » ليقيم بين البشر وهو رئيس كهنتهم الذي يشفع بهم لدى الآلهة ويحرسهم من الارواح الشريرة

وبمرور الزمن اصبح عند الهنود ثالوث مؤلف من « براهمه » و« فشنو » و« سيفا » وكان معظمهم يعبدون الالهين الاخيرين ويعتقدون ان « فشنو » تقمص واتخذ شكلاً آخر فصار يُسمى كرشنا اما عبادة سيفا فمن العبادات القبيحة الباطلة

الاساطير المصرية

ان الميثولوجيا المصرية مأخوذة في الاصل عن الميثولوجيا البابلية والكلدانية وقد كانت في الاصل قائمة على عبادة إله واحد تقول بوجود كائن روحي ازلي غير منظور خالق لكل الاشياء . ولكن المصريين بمرور الزمن لجأوا الى تأليه صفات ذلك الاله فاكثروا بذلك آلهتهم وصار عندهم اله للعدل وإله للقوة وإله للزرع وإله للحصاد وإله للخصب وإله للشر وهلم جراً وصاروا يرمزون بالشمس الى الكائن الازلي الذي سموه فيما بعد « اوزيرس » ونسبوا اليه زوجة تسمى « ايزيس » وجعلوا لهما ولداً يسمى « اوروس » . قال بلوطرخوس « كان اوروس اول نسل فيه حياة وقد رتب الاله اوزيرس ان يتناسل البشر مثله . وعلى كل فان الثالوث المصري يشبه في جوهره الثالوث الهندي والثالوث السامي والارجح انه مأخوذ عنهما او عن الثالوث السامي فقط وقد اوحت هذه الثواليث بصور خيالية للمصورين والرسامين في العصور المتوسطة فصوروا ايزيس ترضع طفلها اوروس . وكرشنا في ذراعي امه ديفاكي . وغيرها من الصور الشبيهة بصور

الايطاليين عن المسيح والعذراء . والغريب ان جميع هذه الرسوم مزدانة بهالة من النور حول هامة الطفل مما حمل بعضهم على الاعتقاد بان اصل تلك الصور هو العبادة الشمسية .
وقد كان للاساطير المصرية تأثير كبير في الميثولوجيا اليونانية الرومانية فان « جونو » (زوجة المشتري وحامية النساء) و « منرفا » (إلهة الحكمة) و « ديانا » (إلهة الصيد) « وبروسربينه » او « برسيفونه » (ابنة جوبيتر وإلهة العالم السفلي اي الهاوية) وفينوس (الزهرة إلهة الجمال) و « سيريس » (إلهة الزرع) و « هيكات » (نائبة الالهة والهة الليل والنهار) وغير هذه من الالهة المتعددة هي في الحقيقة نفس الالهة « ازيس » باعتبار من الاعتبارات المختلفة فقد كان نظام الميثولوجيا المصرية يشمل آلهة عديدة كما ذكرنا وكان المصريون يعبدون العجل (ابيس) ويعتقدون ان نفس اوزيرس حالة فيه كما ان نفس ازيس حالة في البقرة . ولهذا كان لاوزيرس وازيس وسرابيس معابد عديدة في جميع بلاد مصر

على ان المصريين اخذوا بتمادي الزمن يعبدون الغنم والبقر والكلاب والقطط والتماسيح والحشرات والنباتات وغير ذلك من الخلائق العاقلة وغير العاقلة حتى كان ما لا يعبدونه اقل كثيراً مما يعبدونه

الاساطير اليونانية الرومانية

ان الميثولوجيا اليونانية الرومانية مأخوذة في الاصل عن الميثولوجيا المصرية ومنقحة بحيث تنطبق على حالة الشعب والبلاد . فزفس او جوبيتر عندهم هو نفس اوزيرس المصريين وجونو انما هي ازيس . وهكذا قل في بقية الالهة . ولما كانت اسماء هذه الآلهة والالهات متداولة على السنة الكتاب رأينا ان نذكر هنا اهمها مع ضبط النطق بها بالاحرف الافرنجية

ادونيس (Adonis) عشيق الزهرة إلهة الجمال

اياكوس (Eacus) ابن زفس اله الالهة من زوجته الالهة اجينا عند اليونان

أيتيس (Eetes) ابن الاله هليوس (الشمس) والالهة برسيس احدى الهات البحر عند اليونان

أجينا (Ægina) ابنة اسوبس احد آلهة الانهار

اينياس (Æneas) ابن انكيز وافروديت (إلهة الشهوات) عند اليونان

اغثوديمون (Agathodaemon) احد آلهة الحقول والكروم عند اليونان

اجيوس (Agyieus) هو نفس الاله ابولو أو ابلون باعتباره اله الشوارع والطرق

الكمينه (Alcmene) احدى بنات زفس اله الالهة

الكيونيوس (Alcyoneus) ابن الاله اورانوس من زوجته الإلهة جيا وهو من الالهة الجبابرة لم يكن الموت يستطيع ان يغلبه طالما كان مقيماً في مسقط رأسه

الامازون — اي الفاقدات الثدي — (Amazons) هن إلهات محاربات يعشن في الانهر ويقتلن كل ذكر يولد لهنّ ويستبقين البنات فيحرقن ثديهن اليمنى ليتمكنّ بذلك من تداول القسي

امفيون وزيتوس (Amphion, Zethus) توأمان من أولاد زفس اله الآلهة عند اليونان وامهما الإلهة انتيوبة

انيوس (Anius) اله الكهانة وكان ابن الاله ابولو — أو ابلون —

انتيوبة (Antiope) ابنة اسوبس احد الهة الانهر واحدى زوجات زفس

ابولو — أو ابلون — (Apollo) اله النور وهو ابن الاله زفس من زوجته ليتو او لاتونة

اريستاوس (Aristæus) احد آلهة الاحسان عند اليونان

ارطاميس (Artemis) هي ابنة الاله زفس العذراء من زوجته لاتونة وهي إلهة الصيد ويسميها الرومان ديانا

ابولو

اسكولابيوس (Esculapius) اله الطب عند اليونان والرومان

استريا (Astræa) احدى الهة النجوم عند اليونان

اتلانتة (Atlante) احدى إلهات الصيد عند اليونان وتشبه ارطاميس

اثينا (Athene) إلهة الحكمة عند اليونان وتقابلها منرفا عند الرومان

اوتوليخوس (Autolycus) اله اللصوص وقطاع الطرق عند اليونان

ايليثيا (Eilithyia) إلهة الولادة عند اليونان والرومان وابنة زفس وهيرا

آرين (Eirene) إلهة السلام عند اليونان والرومان

ايوس (Eos) اله الفجر عند اليونان

أرينيس (Erinyes) إلهة الانتقام عند اليونان

اريس (Eris) إلهة الخصام والنزاع عند اليونان
اروس (Eros) اله الحب عند اليونان
ادمون (Idmon) ابن ابولو اله النور عند اليونان
افروديت (Aphrodite) إلهة الحب والشهوات عند اليونان
ايون (Ion) ابن ابولو من زوجته كروزا
اورخوس (Orcus) احد آلهة الاموات عند الرومان
اورانيا (Urania) لقب افروديتي الهة الشهوات
اورانوس (Uranus) ابن جيا (الهة الارض) وزوجها معاً
بلونة (Bellona) إلهة الحرب عند الرومان
بونا ديا (Bona Dea) إلهة البركات والخيرات عند الرومان
بورياس (Boreas) إلهة الريح الشمالية عند اليونان
باليس (Pales) إلهة الرعاة عند الرومان
باركي (Parcae) الهة النصيب عند الرومان
باكس (Pax) إلهة السلام عند الرومان
پيثو (Peitho) اله الاقناع عند اليونان
بكنوس (Picumnus . اله الزرع عند الرومان ومستنبط طريقة استعمال السماد
بيكوس (Picus) اله آخر من آلهة الزرع والسماد عند الرومان
بيتاس (Pietas) إلهة الحنان العائلي عند الرومان
بومونا (Pomona) إلهة أثمار الاشجار عند الرومان
بورتونس (Portunus) اله الموانىء عند الرومان
بوسيدون (Poseidon) اله البحر وكل ما هو سائل عند اليونان
بريابوس (Priapus) اله المواشي والقطعان والحقول المثمرة عند اليونان
بروميثوس (Prometheus) احد آلهة النار وقعت حرب بينه وبين زفس الاله
بسيكة (Psyche) الهة النفس وحبيبة اروس عند اليونان
بوديستيا (Pudicitia) إلهة الظرف والعفاف عند الرومان
تالاسيو (Talassio) اله الزواج عند الرومان ويقابله هيمناوس عند اليونان
تلوس (Tellus) إلهة الارض او التربة عند الرومان
تيميس (Themes) زوجة جوبيتر الثانية وإلهة النظام عند اليونان

جيا (Gæa) إلهة الارض عند اليونان

جلوكس (Glaucus) او بونتيوس وهو اله البحر المتصف بالنبوة

جانوس (Janus) اله بدون وظيفة عند الرومان وكان في الاصل اله الابواب ثم عينوه رقيباً على الالهة

جونو (Juno) زوجة جوبيتر وحامية الارض والسماء

جوبيتر (Jupiter) اله الالهة عند الرومان ويقابله زفس عند اليونان

جوتورنا (Juturna) إلهة الينابيع واحدى عشيقات جوبيتر عند الرومان

دفنة (Daphne) ابنة بنيوس احد الهة الانهار ومحبوبة ابولو

دردانوس (Dardanus) ابن زفس الاله

ديا ديا (Dea Dia) احدى الالهات الحاميات رومية

ديمتر (Demeter) إلهة الزراعة والحضارة عند اليونان

ديفرّا (Deverra) إلهة الاطفال الرضع وحامية امهاتهم من غضب الاله سلفانوس عند الرومان

ديانا (Diana) الهة القمر والجلد والهواء والفضاء والجبال والاحراج والينابيع والجداول والهة الصيد والولادة عند الرومان

الاله زفس

ديونه (Dione) ام افروديتي إلهة الشهوات واحدى زوجات زفس عند اليونان

ديونيسوس (Dionysus) اله الكروم والخمور عند اليونان

ديس باتر (Dis Pater) اله العالم السفلي عند الرومان

ديوس فيديوس (Dius Fidius) اله الاقسام والايمان عند الرومان

دوريس (Doris) ابنة اوسيانوس وزوجة نيريوس احد الهة البحر

رادامنتيس (Rhadamanthys) ابن زفس واوربة واحد آلهة الحكمة والتقوى والعدل

ريا (Rhea) ابنة اورانوس وجيا . تزوجت اخاها فولد لها منه زفس اله الالهة وهاديس اله الهاوية وبوسيدون اله البحر وهيرا حامية السماء وهستيا الهة الارض والعائلة وديمتر الهة الزراعة والحضارة

روبجوس (Robigus) الاله الحامي القمح من الفح عند الرومان
زفس (Zeus) اله الالهة عند اليونان
سلاكيه (Salacia) إلهة الماء الملح عند الرومان
سالوس (Salus) إلهة الصحة عند الرومان
سلينا (Selene) إلهة القمر عند اليونان
سلفانوس (Silvanus) اله الاحراج والحقول والبساتين وحامي حدود الحقول عند الرومان
سمنوس (Somnus) اله النوم عند الرومان
ستاتا ماتر (Stata Mater) الإلهة الحامية من النار والحريق عند الرومان
سپس (Spes) الهة الرجاء والحصاد وحامية العواقر عند الرومان
سيريس (Ceres) احدى الهات الزرع عند الرومان
سومانوس (Summanus) اله الرعد في الليل عند الرومان
فونوس (Faunus) اله الحقول والاثمار والنبوة عند الرومان
فيرونيا (Feronia) إلهة الازهار عند الرومان
فلورا (Flora) هي نفس الالهة فيرونيا عند اليونان
فورتونا (Fortuna) إلهة البخت عند الرومان

افضل تمثال للزهرة موجود الآن في اللوفر واسمي فينوس ميلو

فوبتور (Phobetor) اله الاحلام عند الرومان
فورسيس (Phorcys) احد آلهة البحر عند اليونان
ڤينوس (Venus) الزهرة وهي الهة الجمال عند اليونان

كابيري (Cabiri) آلهة قوى الطبيعة المباركة
كاكوس (Cacus) احد الهة النار عند الرومان
كارديا (Cardea) الهة المعيشة العائلية عند الرومان
كارمنته (Carmenta) الهة النبوة وحامية النساء في النفاس عند الرومان
كاربروس (Cerberus) اله العالم السفلي عند اليونان وهو كلب ذو ثلاثة رؤوس وله شعر كشعر الحيات يرحب بكل داخل الى الهاوية ويمنع الخروج منها
كلورس (Chloris) إلهة الازهار عند اليونان ومثلها فلورا
كوتيس (Cotys) احدى آلهة الزافيين وكانت تقام عبادتها بالزناء
كرونس (Cronus) اصغر اولاد اورانوس وجيا ووالد زفس
كوبيدو (Cupido) اله الحب عند الرومان
كيوريتيس (Curetes) أنصاف آلهة عند اهل كريت
لخيسيس (Lachesis) احدى إلهات البخت الثلاث عند اليونان
لادون (Ladon) اله بهيئة تنين ذي مئة رأس يحمي ابواب فردوس الهسبريد
ليبتينيا (Libitinia) إلهة اللذة عند الرومان واحدى إلهات الخمر

الهة الدهر

لونا (Luna) إلهة القمر عند الرومان
مانيا (Mania) إلهة الموتى عند الرومان
مارس (Mars) اله الحرب عند الرومان
ماتوتا (Matuta) إلهة الفجر والموانئ والبحر والولادة عند الرومان
مجيرا (Megæra) احدى إلهات الانتقام عند اليونان
مركوري (Mercury) اله التجارة عند الرومان ويقابله هرمس عند اليونان
منرفا (Minerva) إلهة الحكمة والاختراع عند الرومان
موري (Mœrœ) احدى إلهات البخت عند اليونان
مورفيوس (Morpheus) اله الاحلام عند اليونان

نبتونس (Neptunus) اله البحر عند الرومان
نيكي (Nice) إلهة الظفر عند اليونان
هاربي (Harpyiae) الهة الزوابع والاختطاف عند اليونان
هيبه (Hebe) ابنة زفس وهيرا والهة الشباب الدائم
هيكات (Hecate) نائبة الالهة والهة الليل والنهار والقوى المقدسة عند اليونان
هليوس (Helios) اله الشمس عند اليونان
هيفستوس (Hephaistos) اله النار عند اليونان
هيرا (Hera) اخت زفس وزوجته الشرعية وحامية السماء
هستيا (Hestia) الهة الارض وحامية العائلة عند اليونان
هوري (Horae) الهة النظام في الطبيعة عند اليونان
هيجيا (Hygieia) الهة الصحة عند اليونان
هيمن (Hymen) اله الزواج عند اليونان

الملوك وشركات التأمين على الحياة

تتلقى شركات التأمين بالامتعاض طلبات الملوك التأمين على حياتهم لاسباب منها ارتفاع القيمة التي يرغبون ان يؤمنوا بها على نفوسهم ومنها تعرضهم للاخطار والمصاعب من كل نوع . ومن الدلائل على ذلك أن اسكندر صاحب مملكة الصرب لم يتمكن قط من التأمين على حياته منذ أعلن زواجه بالسيدة دراجا ماشين لعلم الشركات بان مثل هذا الزواج لا بد ان يغضب عليه الشعب فيقوم لينتقم منه . اما قيصر روسيا فقد امن على حياته بمبلغ قسطه السنوي ١٦ الف جنيه وهو ما برح يدفع هذا القسط بانتظام منذ شبيبته حتى الآن والمؤكد انه اذا مات تدفع الشركة لورثته تسعة عشر مليوناً من الفرنكات . وأمن ملك ايطاليا على نفسه بمبلغ ٥٠٠ الف جنيه وكان والده الملك همبرت مؤمناً على نفسه بضعف هذا المبلغ فلما قتل في سنة ١٩٠٠ دفعت الشركة لورثته مليوناً من الجنيهات . وكان الملك ادوارد السابع مؤمناً على نفسه ولكنه لم يمض عامان من تاريخ هذا التأمين حتى ادركته الوفاة فاضطرت الشركة التي أمن على نفسه فيها ان تدفع لورثته ١٨ مليوناً فرنكاً . فليس بغريب بعد هذه الخسائر البالغة اذا كانت الشركات لا تتلقى بقبول حسن الطلبات المقدمة من الملوك اليها بالتأمين على حياتهم

(عن تقويم مسعود)

ورق البنك

ماهيته وفوائده وشروط اصداره في الدول الكبرى

زادت اهمية البنكنوت (أي ورق البنك) زيادة عظيمة بعد نشوب الحرب فاصبحت تتناقله الايدي بدلاً من النقود الذهبية والفضية . ولا بد لمن يستعمله من ان يتساءل كيف يجوز ابدال النقود بهذا الورق ؟ وهل من خطر ينشأ عن اصداره ؟ وما هو الحد الذي يجب الوقوف عنده ؟ وما هي قوانين ذلك في الدول الكبرى ؟

هذه هي بعض الاسئلة التي تخطر للجمهور في مثل هذه الايام . وقد رأينا ان ننشر مقالة في هذا البحث المفيد اللذيذ تضم اطرافه وتجمع اشتاته بقدر ما يسمح المقام فنقول :

ان الاوراق التي تتداول بمثابة النقود على ثلاثة انواع اصلية :

اولاً : الاوراق الرمزية اي التي ترمز الى مبلغ من المال مودع فعلاً في مصرف او مكان آخر . كالشيكات مثلاً . فانها رمز الى مبلغ من النقود اودعه صاحبه في احد البنوك ليستجر منه حاجته عند الاقتضاء

ثانياً : الاوراق المالية المختلقة وهي عكس النوع الاول تماماً وتصدرها الحكومات احياناً عند الضيق الشديد فيلتزم الناس ان يتعاملوا بها وان قلت ثقتهم بالحكومة ولم يكن لهم امل بابدالها نقوداً . واشهر الامثلة على هذا النوع . الاوراق التي اصدرتها الحكومة الفرنسوية ابان الثورة . على ان الدول اليوم قلما تلتجأ الى هذه الوسيلة لما يطرأ على تلك الاوراق في الغالب من الانخفاض الهائل الناشئ عن خوف الناس من تقلب الاحوال وتجنبهم لاستعمالها بقدر الامكان . والتاريخ اكبر شاهد على ذلك . فهي تفضل وساطة مصارفها الكبرى في اصدار ورق البنك وهو من النوع الثالث كما سترى لانها احرص من الحكومة على اموالها وسمعتها فتعرف كيف تقف عند حدها حالما تبدو علائم الخطر

ثالثاً : الاوراق التي يتوقف تبادلها على الثقة بالمصرف او بالمعهد المالي الذي يصدرها . وورق البنك (البنكنوت) من هذا النوع . فهو عبارة عن تعهد مصرف معروف بدفع المبلغ المرقوم عليه عند الطلب . ومما يوطد ثقة الجمهور به ان الحكومات لا تأذن للبنوك ان تجاوز حداً محدوداً في اصداره وتجبر كل بنك ان يحفظ في خزائنه كمية معينة من النقود لضمان قيمة الورق في نظر الجمهور كما سترى . ولولا ثقة الناس بثبات هذا البنك ما كان لورقه قيمة . فاذا تزعزعت الثقة على اثر ازمة او حرب مثلاً

تواقع الناس على المصرف لابدال اوراقهم نقوداً . ولا يخفى ان الحكومات في مثل هذه الاحوال تمنع صرفها وتجبر الناس على قبضها وتداولها خوفاً من افلاس المصرف المكلف باصدارها . وسنقصر بحثنا في هذه المقالة على هذا النوع من الاوراق المالية (البنكنوت). واول من فكر في اصداره واخرج فكرته الى حيز العمل بالمستروخ مؤسس بنك ستوكهلم في اسوج في سنة ١٦٥٦

ورق البنك وفوائده

لا يخفى ان للمصارف وظيفتين رئيسيتين : الاولى جمع الودائع المالية والثانية استثمار هذه الودائع لاسيا في «خصم» الحوالات التجارية . فاشغال البنك ومكاسبه تتوقف على مقدار ما يتوافر بين يديه من المال . ولكن لنفرض انه بدلا من ابدال الحوالات نقوداً يبدلها اوراق بنكنوت اي تعهدات مكتوبة بدفع المبلغ المطلوب فلا شك انه يتمكن بهذه الطريقة من التوسع في اعماله توسعاً عظيماً لان اصدار البنكنوت لا يكلفه شيئاً يذكر حالة كون الحصول على مال الجمهور ليس بالامر السهل

هذا هو المبدأ الاساسي الذي تعمل بموجبه المصارف العظمى اما صفات البنكنوت الرئيسية التي يجب ان يستوفيها ليضمن نفعه فهي :

(١) انه يدفع لحامله اياً كان — كالعملة الفضية او الذهبية تماماً

(٢) انه يدفع حال ابرازه للبنك في اي وقت وبدون تحديد اجل معين

(٣) ان قيمته لا تتغير . وما ذلك الا لانه يمكن قبض قيمته حال ابرازه

فما زالت الثقة بالبنك متينة فالجمهور لا يفكر في استبدال البنكنوت بل يعتبره مساوياً للنقود . غير ان البنك يحتفظ دائماً بمبلغ من المال تلافياً للطوارئ. اذ لا يخفى ما يحف بالبنوك من الاخطار لا سيما لما تتزعزع ثقة الجمهور ويتقاطر الناس لاستبدال الورق نقوداً

قد فهمنا ماهية ورق البنك وفوائده وما يحف باستعماله من المخاطر ولا بد لنا هنا من السؤال : هل يجب ان يؤذن باصدار البنكنوت لاي بنك شاء ام يجب تخصيص هذه الوظيفة ببنك معين ؟ ينقسم الاقتصاديون عند الرد على هذا السؤال الى فريقين فريق يقول باحتكار الحكومة لهذا العمل او تخصيصه بمصرف معين بحجة ان البنكنوت يجب ان يشبه النقود من جميع الوجوه فكما ان اصدار النقود من الوظائف التي احتكرتها الحكومة كذلك يجب ان يكون الامر في اصدار ورق البنك . وفريق آخر يكره التقييد والاحتكار ويطلب ان يباح اصدار البنكنوت لاي بنك شاء ويدعي ان لا خوف من

التطرف في ذلك فان السنن الاقتصادية تتكفل بارجاع المياه الى مجاريها اذا اختلت الموازنة

على ان التاريخ الاقتصادي يدلنا على ان التقييد مفيد في هذا الباب واكبر دليل على ذلك ان الدول التي كانت تبيح اصدار ورق البنك لمن يشاء قد اخذت تعدل خططها شيئاً فشيئاً حتى اصبحت هذه الوظيفة محتكرة فيها تقريباً . واهم هذه الدول انكلترا والمانيا والولايات المتحدة . اما سائر الدول الاخرى فانها لا تأذن بذلك الا لمصرف واحد له صفة رسمية أو شبه رسمية

مصارف الدول الكبرى

تنقسم البنوك التي يؤذن لها باصدار البنكنوت الى قسمين : البنوك الرسمية التي تحت تصرف الحكومة . والبنوك الحرة التي تربطها بالحكومة اتفاقات وروابط مختلفة . ولكي نميز النوع الواحد عن الآخر يجب ان نبحث عن رأس المال فاذا كان من مال الحكومة كله او جزء منه على الاقل كان من النوع الاول واذا كان مؤلفاً من اكتتاب نفر من الاهلين فهو من النوع الثاني . واهم البنوك الرسمية بنوك روسيا واسوج وسويسرا . ومعظم البنوك في الدول الاخرى من نوع البنوك الحرة كما في فرنسا وانكلترا . وسنقتصر في كلامنا هنا على ثلاثة بنوك كبرى نعني بنك فرنسا وبنك انكلترا والبنك الالماني الامبراطوري مع كلمة عن البنك الاهلي المصري

﴿ بنك فرنسا[1] ﴾ هو بنك حر الا ان مديره ونائب مديره تعينهما الحكومة لا المساهمون . وقد انشأ هذا البنك نابليون في سنة ١٨٠٠ ولم يؤذن له باصدار اوراق مالية الا في سنة ١٨٠٣ ولكنه لم يمتز حينئذ عن سواه فقد منحت الحكومة نفس الاذن لغيره من البنوك الى سنة ١٨٤٨ اذ احتكر هذه الوظيفة على اثر ازمة مالية . وقد تجدد امتيازه غير مرة بعد تلك السنة وكان آخر تجديد له في سنة ١٨٩٧ وتنتهي مدته في سنة ١٩٢٠ . وقد فرضت الحكومة على البنك مقابل هذا الامتياز واجبات شتى اهمها :

(١) انه لا يجوز لبنك فرنسا ان « يخصم » سفاتج (كمبيالات) الا اذا كان عليها ثلاثة امضاءات[2] وكانت مسحوبة لمدة اقل من ٩٠ يوماً

(٢) لا يجوز له ان يعطي رباً على النقود المودعة فيه

(٣) لا يجوز له ان يقرض الا على رهن ثابت — ما عدا معاملته مع الحكومة فانه مجبور ان يقدم لها مبالغ معينة تحت شروط معلومة

---

(١) Banque de France

(٢) كلما زادت الامضاءات على السفاتج زاد ضمانها لان كل الممضين مسؤولون عنها

(٤) لا يمكنه ان يصدر من البنكنوت ما تفوق قيمته مبلغ ٦٨٠٠ مليون فرنك

(٥) للحكومة مقدار معين من ربح البنك

﴿ بنك الامبراطورية الالمانية (١) ﴾ هو بنك حرٌّ ايضاً اسس في سنة ١٨٧٥ ولكن للحكومة سلطة كبيرة على شؤونه تفوق سلطة الحكومة الفرنسوية على بنك فرنسا من ذلك : (١) ان الحكومة الامبراطورية تعين جميع اعضاء مجلس الادارة فضلاً عن المدير ونائبه وليس للمساهمين حق التصرف في شؤون البنك

(٢) ان الحكومة ينالها الجزء الاكبر من المكاسب — نحو ثلاثة ارباعها

(٣) انه يجوز للحكومة ان تشتري اسهم المساهمين وحقوقهم في اي وقت شاءت

ولم تخصص الحكومة الالمانية هذا البنك باصدار البنكنوت فهناك اربعة بنوك اخرى في عواصم الدول الالمانية الكبرى لها هذا الامتياز

﴿ بنك انكلترا (٢) ﴾ لا يخفى ما لهذا البنك من الشهرة الطائلة حتى انه يسمى « بنك البنوك » ويرجع تأسيسه الى سنة ١٦٩٤ اسسه رجل اسكتلندي اسمه وليم باترسن وهو بنك حرٌّ حرية تامة ولا تتعرض له الحكومة الانكليزية في شيء من شؤونه الداخلية بعكس البنكين السابقين . فهو عبارة عن شركة مالية حرة وليس له ميزة اصدار البنكنوت فان ذلك مباح لغيره من البنوك في المقاطعات الانكليزية المختلفة وقد كان عدد البنوك اصحاب هذا الامتياز ٢٧٩ في سنة ١٨٤٤ ولكن الحكومة سنت قانوناً في تلك السنة يقضي بعدم منح امتيازات جديدة وبجعل بنك انكلترا وارثاً في هذا الحق لكل بنك يتنحى عنه اما لسبب افلاس او اختلال او عن طيب خاطر . حتى ان عدد هذه البنوك نقص نقصاً عظيماً وينتظر في المستقبل القريب ان يصبح بنك انكلترا فريداً في هذا الامتياز

﴿ البنك الاهلي المصري ﴾ يحسن بنا الآن بعد ان تكلمنا على اهم بنوك اوربا ان نقول كلمة عن البنك الاهلي المصري صاحب الامتياز في اصدار البنكنوت في هذا القطر

منحت الحكومة المصرية هذا البنك حق اصدار البنكنوت بموجب ديكريتو بتاريخ ٢٥ يونيه سنة ١٨٩٨ ولم يكن البنكنوت معروفاً في القطر المصري قبل تلك السنة وقد تعهدت الحكومة ان لا تمنح الامتياز لسواه . ويشبه نظام البنك الاهلي المصري نظام بنك انكلترا تمام الشبه فكلاهما مقسوم الى قسمين مستقلين قسم مخصص لاصدار البنكنوت والقسم الآخر لسائر اعمال البنوك . ويجب على البنك ان يحفظ في خزائنه من الذهب

---

(١) Reichsbank (٢) Bank of England

ما يساوي نصف قيمة الاوراق المالية المتداولة وان يضمن النصف الآخر منها بسندات واوراق مالية معينة . وللحكومة ايضاً ان تعين مقدار البنكنوت الذي يجب ان يصدره البنك من الفئات المختلفة حسب الاقتضاء (فئات ورق البنك الاهلي هي : ٥٠ قرشاً و ١٠٠ قرش و ٥٠٠ و ١٠٠٠ و ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠)

ولا بد من موافقتها لتعيين مدير البنك ونائب مديره ولها فيه مندوبان من قبلها لمراقبة اعماله ولهما الحق في حضور جلسات مجلس الادارة . وقد عينت الحكومة الحدود التي يجب ان لا يتحداها البنك في اعماله لتوطيد الثقة فيه منها انه يجب ان يقصر اعماله التجارية والمالية على القطرين المصري والسوداني فقط . ويشترط في اعضاء مجلس الادارة ان يكونوا قد اقاموا بمصر خمس سنوات على الاقل ما عدا اربعة منهم يقيمون في لندن ويؤلفون فيها لجنة خاصة وعدد الاعضاء يتراوح بين اثني عشر واثنين وعشرين عضواً

شروط اصدار ورق البنك

كان لهذه المسألة شأن عظيم في تاريخ اوربا الاقتصادي فتضاربت فيها الاراء وانقسم الاقتصاديون الى فريقين مهمين متناقضين فريق يقول بعدم تقييد اصدار ورق البنك بشرط banking principle وفريق يقول انه لا يجب ان يصدر البنك ورقة واحدة ما لم يكن عنده في الخزينة ما يعادل قيمتها ذهباً currency principle . وليس هذا مقام التوسع في شرح هذين المذهبين لان ذلك يخرج بنا عن الغرض من هذه المقالة وانما نكتفي بالقول ان معظم الدول اليوم قد اختارت حلا متوسطاً لهذه المشكلة فهي تستلزم ان يكون لدى البنك كمية من الذهب تضمن للمتعاملين بورق البنك ابدال ورقهم نقوداً اذا اقتضت الحال ولكنها تقبل على الاجمال ان تكون قيمة الذهب المخزون اقل من قيمة الورق الصادر على شرط ان تحفظ بينهما نسبة معينة

وتقسم الدول من حيث شروط اصدار البنكنوت الى اربعة اقسام كبرى يستعمل كل فريق منها طريقة خاصة

﴿ الطريقة الاولى ﴾ تقضي بان تتعادل قيمة الورق الصادر وقيمة الذهب المخزون اي ان كل جنيه ورقاً يجب ان يقابله جنيه ذهباً في خزينة البنك ففي هذه الحال يصبح ورق البنك من نوع الاوراق الرمزية التي اشرنا اليها في اول هذه المقالة اي ان كل ورقة هي رمز الى مبلغ يساوي القيمة المرقومة عليها مودع في خزينة البنك

الا انه لو تمسك البنك بهذا المبدإ فانه لا يجني ثمرة تذكر من عمله ما زال يجب ان يحفظ من الذهب مقدار ما يصدر من الورق تماماً . والواقع انه ليس بين البنوك اليوم

من يعمل به الا بنك انكلترا . ولكنه في الحقيقة لا يحافظ عليه تمام المحافظة فانه يجوز له أن يصدر من البنكنوت ما يساوي المخزون عنده من الذهب مع زيادة ١٨٤٤٥٠٠٠ جنيه . وهذا المبلغ يمثل رأس مال البنك ولكنه مبلغ وهمي لان الجزء الاكبر منه هو عبارة عن دين قديم للبنك على الحكومة الانكليزية . فان الحكومة لما أذنت بانشائه في سنة ١٦٩٤ اشترطت عليه ان يعيرها رأس ماله ولم تفِ دينها هذا الى اليوم . فنرى من ذلك ان البنكنوت الصادر من بنك انكلترا يجوز ان يفوق قيمة الذهب المخزون فعلاً لحد قيمة رأس المال المتقدم . ولولا ما لبنك انكلترا من الصيت البعيد وما حازه من الثقة المتينة ما كانت طريقة اصداره البنكنوت المتقدمة كافية لتوطيد الثقة به لان رأس المال ليس ضماناً كافياً لقيمة الاوراق لاسيا وانه فيما يخص بنك انكلترا عبارة عن دين قديم على الحكومة

زد على ذلك ان تحديد حد معين لاصدار الورق يأول الى اضرار كبيرة . وقد اضطر بنك انكلترا ثلاث مرات في القرن الماضي ان يحيد عن القانون ويزيد قيمة الاوراق على الذهب المخزون . واذا اراد اجتناب خرق القانون فيمكنه ان يستعين ببنك آخر كما فعل في سنتي ١٨٩٠ و١٩٠٨ اذ لجأ الى بنك فرنسا الذي اسعفه المرة الاولى بأن اعاره ٧٥ مليون فرنك ذهباً والمرة الثانية بان « خصم » له حوالات تقدر بثمانين مليون فرنك

﴿ الطريقة الثانية ﴾ وهي تقضي بان يحتفظ البنك بنسبة معينة (عادة ١ : ٣) بين الذهب المخزون والورق المتداول اي انه اذا كان لدى البنك ١٠٠ جنيه ذهباً امكنه ان يصدر ٣٠٠ جنيه ورقاً وقس على ذلك . ولعل هذه الطريقة اعدل سائر الطرق وابسطها وهي متبعة في المانيا والنمسا وروسيا وايطاليا واسبانيا وغيرها

﴿ الطريقة الثالثة ﴾ وهي تقضي بتعيين حد اقصى لا يجوز ان يتعداه البنك وهي الطريقة المتبعة في فرنسا فانه لا يجوز لهذا البنك في حال من الاحوال ان يصدر من البنكنوت ما تزيد قيمته على ٦٨٠٠ مليون فرنك بقطع النظر عما في خزينته من الذهب . ولكن هذا البنك في الواقع كثير الحذر لا يفرط في امتيازه ابداً فانه يحتفظ عادة بنسبة ٨٠ في المئة بين الذهب والورق

﴿ الطريقة الرابعة ﴾ وهي متبعة في الولايات المتحدة الاميركية تقضي على البنك ان يضمن قيمة الاوراق المالية ليس بالذهب بل بما يعادل قيمتها من الاوراق المالية الثابتة لا سيا ورق دين الحكومة . وهي في الحقيقة وسيلة تسهل على الحكومة الاستدانة من البنوك الكبرى ولا يخفى ان ضمانة الحكومة واهنة لا سيا في ايام الضيق

فلسفة الاعلانات

اركان علم جديد

خاض علماء الاقتصاد والفلسفة الغربيون في امر الاعلانات فكتبوا الفصول والّفوا الكتب والقوا الخطب في هذا الموضوع الخطير مما يدل على شدة اهتمامهم به اهتماماً لا مزيد عليه . اما اللغة العربية فلا تزال محرومة من مثل هذه المباحث لاننا متأخرون في هذا الباب كما في غيره عن معاصرينا من سكان اوربا واميركا . وقد ادركت اميركا خاصة ان الصحافة فنٌ قائم بنفسه فانشأت لها منذ بضع سنين مدرسة خاصة تعلم فيها علوم اللغة على انواعها والتاريخ والسياسة والفلسفة وهلم جراً مما لا مندوحة للصحافي عنه ثم زادت على ذلك فرعين آخرين وهما فن نشر الاعلانات وفن التصوير الهزلي . وقد رأينا ان نسوق في هذا الفصل بعض ما بلغ عندهم الفن الاول وما كان لهم وراء ذلك من المكاسب الطائلة

ولما رأت الحكومة الانكليزية من تكاثر الاعلانات ورواج الصحف بسببها ما لم يكن في الانتظار انتهزت الفرصة لجر مغنم لها من جرائها فضربت ضريبة على الاعلانات واوجبت على اصحاب الصحف ان يلصقوا على كل نسخة من صحفهم طابعاً بقيمة زهيدة . اما الضريبة فكانت في سنة ١٨٣٣ ثلاثة شلنات ونصفاً على كل اعلان سواء كان كبيراً او صغيراً وقد بلغ دخل هذه الضريبة في ذلك العام ١٧٠٦٤٩ ليرة استرلينية . وفي سنة ١٨٣٣ حطت تلك الضريبة الى شلن ونصف في بريطانيا والى شلن واحد في ارلندا وبعد ٨ سنين اي سنة ١٨٤١ نقص دخل الحكومة من الاعلان فنزل الى ١٢٨٣٠٠ ليرة ولكن لا يخفى على اللبيب ان هذا الدخل مع نقص الضريبة لا يزال يدل على زيادة انتشار الاعلانات حتى انه في سنة ١٨٥١ بلغ دخل الضريبة المذكورة ١٧٥٠٩٤ ليرة فتكون قد ازدادت الاعلانات الى اكثر من ضعفيها . وفي سنة ١٨٤٣ أُلغيت هذه الضريبة بتاتاً وكان الغاؤها بعد الغاء الطوابع على نُسَخ الصحف مما صادف ارتياح الجمهور لانها كانت عقبةً في سبيل انتشار الصحافة

وتعتبر صحف الولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا اغنى صحف العالم بالاعلانات . واصحاب المتاجر والاعمال هناك يسخون على اعلاناتهم جداً حتى ان بعض الشركات الكبرى تنفق في الاسبوع الواحد نحو الف ليرة استرلينية على الاعلانات لكي تطلع الجمهور على ما عندها من لوازمهم وتذكرهم به . وكثير من الشركات يُعزى نجاحها الى

مواظبتها على اعلان مزاياها للجمهور واستعدادها لسد نوع من حاجاتهم

وقد ارتقى شأن الاعلانات في اميركا ارتقاء غريباً حتى انشئت له مدارس هناك يتلقن فيها الطلبة قواعد فن الاعلان ويتمرنون على التفنن في كتابة الاعلانات ورسمها وتلوينها وطرق اذاعتها . ثم انشئ مثل هذه المدارس في انكلترا اخيراً . وقد نبغ بعض خريجي هذه المدارس ونالوا شهرة واسعة في فنهم واستخدمتهم بعض الشركات والصحف .

وقد تعود الافرنج ولا سيما الاميركان ان يخلقوا من العرض جوهراً ويستنبطوا من الخسيس نفيساً . ثم استقلت صناعة الاعلان هذه بنفسها وصار لها عمال خصوصيون برواتب كبيرة حتى انتبه بعضهم الى اكثر من ذلك فانشأوا وكالات خصوصية للمعاملة في الاعلانات بالوساطة بين المعلنين والصحف . فالمحلات التجارية الصغرى التي لا تقدر ان تستخدم علماء الاعلان تكلف احدى تلك الوكالات ان تصوغ اعلاناتها وتنشرها في الجرائد المشهورة التي يؤثرها المعلن فجاءت هذه الوكالات وتلك المدارس ممهدة لجميع سبل الاعلانات واتت عاملاً آخر جديداً لتوفيرها وتقوية الصحافة بسببها

اركان الاعلان

نجاح الاعلان يتوقف على ثلاثة امور جوهرية

اولاً — ان يسترعي الانتباه

ثانياً — ان يكون استرعاء الانتباه مدة تكفي لطبع صورة الاعلان على الدماغ بحيث تحدث فيه أثراً يولد الرغبة في ما يقضي به الاعلان

ثالثاً — ان تعمل هذه الرغبة في الانسان حتى تدفعه الى طلب الحصول على الشيء المرغوب

طبّق هذه الشروط الثلاثة على أي اعلان فاذا اخلّ بشرط منها فسد الاعلان وضاعت فائدته

فاقد يقع تحت النظر كثير من الاعلانات التي لا تسترعي الانتباه او اذا استرعته فلا تسترعيه طويلاً . هناك اعلانات لا تهتم بتوطيد الرغبة في الشيء — مع ان توليد الرغبة اهم اركان الاعلان

وقد يخطئ المعلن احياناً في الوصف والتعبير فبدلاً من ان يعلن عن نفسه يعلن عن غيره . فقد رأينا مثلاً احدى شركات السياحة الاوربية تعلن عن نفسها فتشوق الاوربيين للسياحة بان تصف لهم احسن مناظر مصر مثلاً وصفاء سمائها وطيب هوائها

وجودة مائها وعظمة آثارها وشائع اهرامها الى غير ذلك من ضروب الوصف — فلا يفرغ المطالع الغربي من قراءة الاعلان الا وبه من الشوق للسياحة ولا سيما في مصر ما لا يطيق معه مغالبة النفس . وعند ما تحين الفرصة لسياحته يذهب الى اي شركة سياحة قريبة منه ويبتاع تذكرته — وما ذلك الا لان الاعلان الذي كان قد اطلع عليه لم يبق في مخيلته منه الا جمال البلاد ولم يصف له مثلاً الراحة العظيمة والاعتناء التام ونظافة البواخر وغير ذلك من مشوقات السفر مع الشركة — وبعبارة أخرى ان المعلن عرف المعروف وترك غير المعروف فلم يكن ثمت فائدة من اعلانه

عنوان الاعلان

يجتهد المعلن عادة ان يجعل عنوانه جذاباً للانظار بقدر الامكان . فبعضهم يعنونه بجملة مأثورة او حكمة مشهورة او بشيء عن الحوادث اليومية بصرف النظر عما اذا كان لتلك الجملة علاقة بالموضوع او لا كقولهم مثلاً « أهم اخبار الحرب » في الاعلان عن نوع من الاحذية . وقولهم « اكتشاف عجيب » في الاعلان عن البضائع الشتوية وهلم جرا

ولو علم المعلن تأثير اعلان كهذا في الجمهور لاقلع عن هذه الطريقة في الحال — فانها طريقة مكر للفت نظر القارىء . وقد ثبت بسيكولوجيا ان الانسان يمقت من يغشه ولا يحب من يخدعه ومتى شعر بذلك قام في نفسه عامل كره لمن غشه . وما يقال عن الفرد يقال عن مجموعه . فليحذر المعلنون من غش الجمهور فان النتيجة في غالب الاحيان عكس المطلوب

الاعلانات المطولة المملة

التطويل الممل في الاعلان والاكثار من ذكر فوائد البضائع مما يمل ولا يبقى منه أثر في ذهن المطالع . واحسن اعلان هو ما توخى فيه المعلن البساطة والايضاح والاختصار بدون اقتضاب مخل . هذا وان كتابة الاعلان بخط صغير جداً مما لا يرتاح اليه النظر فخير لمن ينشر مثل هذه الاعلانات ان لا يفعل اذ ان السواد الاعظم لا يقرأها

الاعلان المصور

لاحظ بعض علماء الفلسفة العقلية أن الاعلانات المصحوبة بصور او رسوم لها تأثير خاص في استرعاء الانتباه فانها توضح غاية الاعلان بسهولة . اما مركز وضع الصورة فيقول الدكتور ستروبح الاستاذ بجامعة كلومبيا ان نصف الجمهور يميل لوضعها في اعلا

الاعلان والنصف الآخر في اسفله . وعلى كلٍّ ان الجمهور عموماً متفق على وجوب الصورة في الاعلان . ولكن ليس كل الصور تليق للاعلان وانما اللائق منها ما يفشي رغبة او استحسانا فان مثل هذه الصور تبقى ذكراها في الذهن اكثر من غيرها وقوتها افعل في توليد الرغبة . ويجب تحاشي ما يولد الاشمئزاز من الاعلان فلا تكون الصورة ممثلة لشكل قبيح او هيئة غير لطيفة المنظر لئلا تنفر الجمهور من الاعلان

منذ سنة او اكثر اعلنت احدى الشركات عن الحلويات التي تصنعها باعلان يمثل هيئة عفريت فظيع المنظر ذي قرون واظافر طويلة وانياب حادة وهو يأكل شيئاً من تلك الحلويات ومغزى الصورة انه حتى الجن يحبون تلك الحلويات . وقد سألت كثيرين ممن كانوا يبيعون تلك الحلويات هل كانت رائجة فكانوا يهزون رؤوسهم دلالة على اليأس ولما سألتهم عن السبب قالوا لا ندري . ولو ادرك مصور ذلك الاعلان ان معظم مبيع الحلويات هو للسيدات والاولاد وان هؤلاء اسرع تأثيراً من الرجال ما رسم تلك الصورة التي تنفر منها النفوس

اعلانات المأكولات

ثبت بالاستقراء ان معظم الاعلانات عن المأكولات تذكر نظافة السلعة وفائدتها الطبية ومساعدتها على الهضم وتجديدها للقوى وتقويتها للدماغ . فكل ذلك براهين حسنة على جودة البضاعة وربما ساعدت على ترويجها ولكنها غير كافية لتوليد الرغبة عند الجمهور . فقد صرح الاستاذ جيمس احد علماء البسيكولوجيا بان الانسان يأكل ويشرب لمجرد اللذة التي يجدها في الاكل والشرب وليس لتقوية الدماغ وتجديد القوى والدليل على ذلك انه يأكل ويشرب ما يعلم يقيناً انه يضر بقوته ويضعف عقله ولا يمتنع منه ، وقد استنتج الاستاذ الآنف الذكر ان الاعلانات التي تهيج الشهية وتسيل اللعاب تصادف اقبالاً من الجمهور يفوق اقباله على المأكولات المعلن عنها بمنافعها الصحية

الخلاصة

فاهم الاعتبارات الواجب مراعاتها في كل اعلان هي :

اولا — استرعاء الانتباه مع توليد الرغبة في الشيء المعلن عنه

ثانياً — ان ذكر ما ليس له تعلق بالاعلان او ما ليس له فائدة يضر بالاعلان لانه يحول الانتباه عن الامر الجوهري فيه الى امور اخرى

ثالثاً — توليد الرغبة في الانسان يتم بالامور الآتية :

(ا) الحجة والبرهان (ب) التلميح والايعاز (ج) الاستعانة بأميال الانسان وفطرته ومصالحه — وهذا فعال للغاية — وينطوي تحت اميال الانسان وفطرته صفات الطمع وحب الشهرة والرفعة والكبرياء والمزاحمة وطلب موافقة الهيئة الاجتماعية وحب الاستطلاع والميل الى الالعاب والصيد ومشاركة الآخرين في شعورهم واشباع النفس في مطالبها وسائر انواع الغرائز القوية . فاذا نجح المعلن بتحريك واحدة فاز بمرغوبه

رابعاً — توخي البساطة في الاعلان واجتناب المماطلة في التركيب بحيث يكون الكلام قليلاً ودالاً فان الاختصار روح الاعلان (ولكن حذار من الاقتضاب)

خامساً — تحاشي ما يسبب الاشمئزاز سواء كان بسبب عدم الترتيب او رداءة الخط او صغره او بسبب قبح الصورة وما اشبه

سادساً — ترتيب الاعلان بوضوح وبهيئة جالبة للابصار بقدر الامكان

سابعاً — الاعلان المؤثر هو ما يصحبه في الغالب رسم ايضاحي جميل (مع مراعاة التناسب بين الكلام والرسم) ويجب ان يمثل الرسم حركة لها علاقة بالاعلان

ثامناً — ذكر شيء عن البضاعة من الوجهة الصحية ومتانتها وثقة الجمهور بالشركة او بالمحل التجاري ومدة تأسيسه قد يكون من المفيد ويعود بنتيجة اذا ذكر بترتيب ولكن الافراط في تأكيد رخص البضاعة وتوزيع الهدايا والمكافآت ونشر رسائل المديح وذكر مكاسب الشركة الهائلة كل هذا من دواعي عدم التصديق وكراهة المحل عند الطبقة الراقية من الجمهور

تاسعاً — الجرائد اليومية والمجلات اهم الوسائط للاعلان اذا استثنينا الاعلانات الملونة التي تعلق على الجدران — اما تفضيل احداها على الاخرى فلكل فرد راي خاص به

عاشراً — البضاعة التي هي سقط المتاع لا يفيدها الاعلان بشيء لانه لا يأتي بالعجائب ولا يخلق شيئاً من لا شيء — وما الاعلان الا واسطة لتعريف محاسن البضاعة . وان غش الجمهور بذكر منافع وحسنات غير موجودة في الحقيقة يعود باسوإ العواقب ولو راجت البضاعة مدة وجيزة فانه يتبع ذلك رد فعل هائل لان الجمهور اذا خدع مرة لا يخدع اخرى

عزيز يوسف عبد المسيح

العطور

قديماً وحديثاً

العطور عند الاقدمين

ذهب بعض الباحثين الى ان العطور نشأت عن زيوت كانت تمزج في الاصل بالروائح الطيبة وان اول من استعملها سكان الاقاليم الحارة اذ كانوا يضمخون بها اجسامهم للوقاية من لسع البعوض والهوام . ولسنا نعلم ما في هذا القول من الصحة ولكن اجمع علماء التاريخ على أن استعمال العطور كان شائعاً عند جميع الشعوب القديمة ولا سيما عند المصريين والهنود والصينيين والاشوريين والبابليين والعرب واليهود واليونان والرومان

وقد ثبت اليوم ان العطور كانت تستعمل قديماً في الفروض الدينية فقط ثم شاع استعمالها بمرور الزمن حتى اصبحت اليوم من لوازم زينة المرأة التي لا يستغنى عنها في المجتمع النسائي . اما استعمالها في الفرائض الدينية فقد اخذ في الاصل عن المصريين القدماء . والارجح ان اليهود والهنود والفرس اخذوا هذه العادة عنهم فكانوا يحرقون البخور امام مذابحهم اكراماً لآلهتهم واستجلاباً لرضاها عنهم

وقد وجد العلماء في قبور المصريين القدماء زجاجات وقوارير عديدة كانت تستعمل لحفظ العطور على اختلاف انواعها ومنها قارورة من المهاء (الالبستر) نقلت الى متحف « النك كاسل (١) » بانكلترا ويقدر العلماء عمرها بنحو ثلاثة آلاف سنة وفيها عطر لا يزال اريجه باقياً حتى هذا اليوم (٢) . وقد وجد الاستاذ لايرد في خرائب نينوى قوارير من المهاء كان القوم يستعملونها لحفظ المراهم والعطور ولا يزال العطارون في بعض الاماكن يستعملونها حتى هذا اليوم

وكان صنع العطور عند معظم الشعوب الغابرة سراً من اسرار الكهنة والعرافين فلم يكن يؤذن لاحد من العامة باستعمالها لانها كانت موقوفة على خدمة الالهة . ولكن هذا القيد زال بمرور الزمن فان اليونان والرومان وغيرهم من الشعوب كانوا يضمخون اجسادهم بالاطياب ويتعطرون بها من قبيل الزينة

---

(١) مقر الدوق اوف نورثمبرلند (٢) انظر الجزء الثاني ص ٣١٤ من كتاب تاريخ [illegible]

وقد كانت الاطياب على انواعها ثمينة في الازمنة القديمة بحيث لم يكن يتأتى لاحد استعمالها الا اذا كان من الاغنياء . قيل ان ثمن قارورة الطيب الذي مسحت به مريم قدمي المسيح لم يكن يقل عن عشرة جنيهات وهو ثمن فاحش في ذلك الزمن

قلنا ان استعمال الاطياب نشأ في الاصل عن الفرائض الدينية عند المصريين ثم اقتدى بهم بقية الامم . فقد كانوا عند مبايعتهم العرش مثلاً يمسحون رأس الملك بالدهن المطيّب فاخذ اليهود عنهم هذه العادة وصاروا كلما ارادوا تنصيب ملك مسحه رئيس الكهنة بالدهن المطيّب اشارة الى تقديسه . وقد وجد العلماء في الآثار المصرية نقوشاً تمثل الكهنة يمسحون الملك وهو نفس ما كان يفعله اليهود عند تنصيب ملوكهم حتى كانوا يسمون الملك «مسيح» الله اي الممسوح بالدهن الطيب وكان ذلك الدهن مزيجاً من المر والسليخة (كاسيا) والقرفة وقصب الذريرة (القاموس) وزيت الزيتون . ولم تكن طريقة صنع هذا الدهن سراً بل كانت معروفة فقد جاء في سفر الخروج (ص ٣٠ : ٢٢ — ٢٥) قوله : «وكلم الرب موسى قائلاً : وانت تأخذ لك افخر الاطياب . مراً قاطراً خمسمئة شاقل . وقرفة عطرة نصف ذلك (مئتين وخمسين) وقصب الذريرة مئتين وخمسين . وسليخة خمسمئة شاقل القدس . ومن زيت الزيتون هيناً . وتصنعه دهناً مقدساً للمسحة . عطر عطارة صنعة العطار . دهناً مقدساً للمسحة يكون»

على ان استعمال العامة لهذا العطر كان محرماً وذلك لقصره على الفروض الدينية ولجعل الاسرائيليين اشد تعلقاً بشعائر عبادتهم

اما الزمن الذي بُدئ فيه باستعمال العطور في غير الفرائض الدينية فغير معروف بالتمام والارجح انه قديم جداً فقد كان الرومانيون القدماء يمسحون ارجل الضيوف بالعطور والاطياب علامة على الاحترام ولا شك انهم اخذوا هذه العادة من غيرهم فقد وردت الاشارات العديدة اليها في الزبور وغيره من الاسفار المنزلة وفي اساطير الامم المختلفة . وقد ذكر الاستاذ ولكنسون في الجزء الرابع من كتابه «تاريخ المصريين القدماء» ان المصريين القدماء كانوا يمسحون ارجل ضيوفهم بالعطور دلالة على الترحيب بهم والاحترام لهم . وكانوا اذا ارادوا زيارة احد يتضمخون بالاطياب الثمينة ويحسبون ذلك من اسباب الزينة اللازمة . وقد اخذ اليهود واليونان والرومان عنهم هذه العادة واكثروا من استعمالها حتى اصبح اهمال التضمخ بالعطور عند اليهود علامة على الحزن (انظر سفر صموئيل الثاني ص ١٤ : ٢ وسفر دانيال ١٠ : ٣ وعاموس ٦ : ٦ وهلم جراً)

وكان الفرس يكثرون من التضمخ ولم يكن لزوجات الملك او محظياته ان يهملن التعطر بل كنّ يجرين في ذلك على سنن معينة وهي انهن يتعطرن اثني عشر شهراً قبل ان يدخل الملك عليهن فيقضين ستة اشهر في التعطر بزيت المر وستة اشهر بالاطياب وادهان النساء وكان يقدم لهن كل ما يطلبنه من العطور مهما يكن ثمينا (انظر سفر استير ٢ : ١٢ الخ)

وكان العرب ايضاً يكثرون من التضمخ ويدهنون اجسامهم بالعطور والادهان لغرضين احدهما الزينة والاخر الوقاية من لسع البعوض . قال الاستاذ نيبور بعد ان طاف كثيراً بلاد العرب وخبر احوال اهلها ان اهل اليمن كانوا ولا يزالون يدهنون اجسامهم بالادهان المطيبة ويعتقدون ان ذلك يقيهم لسع البعوض ويمكنهم من احتمال حرارة الشمس فانهم لا يلبسون الا الثياب الخفيفة ويعتقدون ان الادهان تسد مسام الجسم فتحول دون افراز العرق ومنهم من يفعل ذلك لمجرد الزينة فقط

وذكر شاردن [1] الرحالة الفرنسوي الشهير ان الهنود من اكثر الناس استعمالا للعطور واورد في كتابه المعنون « بسفرات الشفاليه شاردن » الحكاية الآتية قال :

« دعيت الى زفاف ثلاث من اميرات الاسرة المالكة في غولكوندة [2] ولم يكن لابن الملك ولد سواهن فلزم ان يزوجهن في يوم واحد من عام ١٦٧٩ . وكان كلما اقبل احد الضيوف بثياب بيضاء يرشون عليه الاطياب النادرة واذا كان بثياب ملونة اعطوه قارورة الطيب بيده حرصاً على ثيابه . وكانوا ايضاً يدلكون اعضاء الجسم الظاهرة بالعطور الفيحاء وذلك بان يرشوا عليها اولاً ماء الزهر ويدلكوها ثم يرشوا عليها ماء الزعفران ثم يغطسوها بعطر الرند والعنبر ويدلكوها مرة اخرى ثم يقلدوا العنق باكاليل من زهر الياسمين . وعادة تعطير الضيوف على هذه الصورة شائعة جداً عند القوم فانني لم ازر بيتاً الا وقع لي مثل ذلك »

قلنا ان معظم الشعوب القديمة كانت تستعمل العطور فقد ذكر هوميروس الشاعر اليوناني ان اليونان كانوا شديدي الشغف بالاطياب . وذكر المؤرخون ان ابقراط انقذ اثينا من وباء قتال باحراق الاخشاب العطرية ونثر الازهار الطيبة الرائحة في شوارع المدينة . على ان الاثينيين اسرفوا في استعمال الاطياب الى درجة حملت صولون الحكيم على سن قانون يحظر به استعمال العطور . وكان سقراط ايضاً يقاوم عادة التضمخ

(١) هو السر جون شاردن (سنة ١٦٤٣ — ١٧١٣) ولد في باريس وجال في الشرق كثيراً لشراء اللآلئ والجواهرات الثمينة ثم عاد الى لندن ودخل بلاط الملك شارل الثاني ونال منه لقب « سر » (٢) من ممالك الهند غربي حيدر اباد

والتعطر . على ان الاثينيين لم يعبأوا بشريعة صولون ولا بمقاومة سقراط بل ظلوا يفرطون في ذلك والارجح انهم كانوا يشترون الاطياب الشرقية من الفينيقيين والقرطاجنيين الذين كانوا يتاجرون بها تجارة عظيمة . ولما جاء الرومانيون اخذوا عنهم عادة التضمخ وفاقوهم في الافراط بها وكانوا يصنعون الصابون المعطر في بعض مقاطعات فرنسا ويستعملونه لغسل الابدان في حماماتهم المشهورة . ومن الذين افرطوا في التضمخ الامبراطور نيرون الظالم وزوجته بوبيه فانهما اسرفا في شراء الاطياب النادرة حتى كادت خزينة المملكة تنضب . قيل ان ما انفقاه في سبيلها كان يكفي لاعالة فقراء رومية كلهم طول مدة حكم نيرون . وكانت بوبيه شديدة الولع بنوع من الادهان العطرة يصنع من دقيق « الجاودار » المعالج بالزيوت المعطرة فكانت تدهن به وجهها عند الصباح وتغسله بالحليب عند ما تذهب للنوم

العطور والاموات

اعتاد المصريون القدماء ان يحنطوا امواتهم بطريقة غير معروفة اليوم تماماً والثابت انهم كانوا يستعملون العطور والبهارات وغيرها لحفظ الجثة من الفساد . وقد اخذ عنهم اليهود ايضاً عادة التحنيط ولكنهم لم يتقنوها مثلهم ومن هذه العادة نشأت عادة مسح الاموات عندهم وقد اشار اليها كتبة الانجيل وذكروا ان يوسف الذي من الرامة ونيقوديموس الحبر الاسرائيلي الشهير لفا جثة المسيح بعطور وبهارات كثيرة حسب عادة قومهم في ذلك الزمن

اما اهم العطور التي كانوا يستعملونها فهي ماء الورد والياسمين والناردين والمر والبلسم والبان والبهار والقرفة والمسك والرند والنعنع واليانسون وماء زهر اللوز وماء زهر النار والعنبر وخلاف ذلك من العطور المتنوعة وكانت اغلب هذه العطور كثيرة الثمن لا يستطيع الحصول عليها الا الاغنياء . وكان جانب كبير منها يرد من بلاد العرب ولذلك اشتهر المشرق منذ القدم بعطوره واطيابه واشتهر ملوك الشرق باسرافهم في التضمخ في الحياة وفي الممات قيل ان ما كان يستعمل من العطور فقط لتحنيط جثث بعض الملوك كان يبلغ احياناً ما قيمته نحو اربع مئة جنيه

صناعة العطور وتجارتها

قلنا ان مصر هي على الارجح اقدم الممالك التي ظهرت فيها العطور وقد كانت تجارتها رائجة رواجاً عظيماً جداً ولا سيما في عهد البطالسة فقد كانت عطور الاسكندرية

ضالة الملوك والملكات . وكان في الاسكندرية عدة مصانع للعطور واكثرها على جانب عظيم من الاهمية لما كانت ترسله من المقادير الكبيرة الى سائر بلاد المشرق والمغرب من جزائر بريطانيا غرباً الى حدود الهند شرقاً . وكان للفينيقيين القدح المعلى في نقل تلك العطور وبيعها لما اشتهروا به من الاسفار في البحار . ومما يدل على غلاء عطور الاسكندرية انه لم يكن يؤذن لعامل من عمال مصانعها بالخروج من المصنع قبل تفتيش جيوبه لئلا يكون قد اخذ معه شيئاً من تلك العطور وقد قلنا سابقاً ان العطور كانت في ذلك العهد محصورة في ايدي الكهنة فقط اذ لم يكن احد غيرهم يعرف سر صناعتها . ولهذا السبب ايضاً كانوا هم الذين يتولون امر تحنيط الموتى . وكانت نساء الاشراف يسرفن في التضمخ بالاطياب ودهن الجسم بالادهان المعطرة ومنهنّ كليوباطره الشهيرة فقد كان للعطور التي تضمخ به جسمها اقوى تأثير في نفس مرقس انطونيوس حتى وقع في حبال غرامها . ومما كانت تستعمله نوع من الدهن المعطر يعرف بدهن الدب . وكانت الاسرائيليات ايضاً يتضمخن بالاطياب ويدلكن اجسامهن بالادهان المعطرة ويسرفن في ذلك حتى اخذ الانبياء يبكتون الشعب على تلك الغواية ويحذرونه من عاقبة الامر

وظلت صناعة العطور على احسنها في الشرق الى ان جاءت الحروب الصليبية . فنقلها اهل جنوى والبندقية وغيرهم من الافرنجة الى بلادهم . ويؤخذ من كلام بعض المؤرخين ان ايطاليا واسبانيا في مقدمة الممالك التي تسربت اليها صناعة العطور ثم انتقلت من اسبانيا الى فرنسا قبل عهد الصليبيين اي في ايام الدولة الاندلسية . وقد لعبت هذه الصناعة دوراً مهماً في تاريخ فرنسا التجاري حتى سنت لها الحكومة في ايام الملك فيليب اغسطوس (في سنة ١١٩٠) قوانين خاصة . ونجحت هذه الصناعة في ايام هنري الثاني . ولما جاءت كاترين دي مديسي استقدمت الى البلاط بعض الصناع الخبيرين في صناعة العطور وانشأ احدهم (رني الفلورنتيني) مستودعاً لبيع العطور والسموم فكان عليه اقبال عظيم . وظلت تجارة العطور رائجة رواجاً عظيماً حتى اواخر حكم لويس الرابع عشر . ثم طرأ عليها بعض الانقلابات التي ادت الى تقلص ظلها . وجاءت بعد ذلك الثورة الفرنسوية فجرفت الصنائع على اختلاف انواعها ولا سيما صناعة العطور لان العطور كانت مقصورة على الاشراف فقط والاشراف كانوا سندان مطرقة الثورة ولكن الاحوال تحسنت بعد ذلك فبلغت تجارة العطور في فرنسا في سنة ١٨١٢ نحو ثلاثة عشر مليوناً من الفرنكات

وفي سنة ١٨٣٠ بدئ في استعمال الالات البخارية في صناعة العطور والادهان المطيّبة فاحدث ذلك انقلاباً عظيماً في التجارة بها وكثرت المصانع كثرة مدهشة فاصبحت قيمة ما صنعته من العطور في سنة ١٨٥٩ خمسة وسبعين مليوناً من الفرنكات وبلغت في السنة الماضية نحو مئة وعشرين مليوناً من الفرنكات . وقد استفادت هذه الصناعة من تقدم علم الكيمياء تقدماً عظيماً فاصبحت فناً منظماً مؤسساً على المبادئ الكيمية الحديثة

واهم مصدر للعطور هو الازهار والنباتات . على ان من العطور ما يستخرج من الحيوانات ايضاً كالمسك والزباد والعنبر وخلافها . ومن خصائص العطور المستخرجة من الحيوانات انها قوية جداً تنفر منها حاسة الشم الا اذا كانت مخففة

وهنالك اربع طرق لاستخراج العطور من الازهار والنباتات اهمها التقطير والنقع. اما التقطير فيتم بان توضع الازهار او البراعم او النباتات المطلوب تقطيرها في الماء ثم يتم التقطير بحسب الطرق الكيمية فيتصاعد البخار المعطر ويتسرب الى وعاء معين حيث يتحول الى سائل على وجهه طبقة من شبه بخار هي جوهر العطر . ثم يستنزف الماء من الوعاء من قعره فيبقى الجوهر العطري وهو قابل الانحلال في الكحول وتمتصه الادهان والزيوت بسهولة

اما طريقة النقع فاسهل من طريقة التقطير بكثير وتتم بتغميس الازهار في الكحول او في مسحوق النشا المبتل بالكحول الى ان تنفصل الرائحة العطرية عن تلك الازهار ثم تعالج بطريقة يطول بنا شرحها

هذا ولعل فرنسا واليابان والمكسيك اوسع الدول في تجارة العطور . وقد كانت المانيا تزاحمهنّ عليها قبل الحرب ولا شك ان مصانع عطورها قد تحوّلت اليوم الى مصانع للقنابل فاستعيض عن المسك برائحة البارود وعن نقع الازهار بنقع السيوف

نصائح صحية

التدخين القليل نافع على شرط ان لا يتجاوز الثلاثين غراماً في اليوم

البيضة نافعة والبيضتان انفع اما الثلاث فضارّة لان فيها الافراط

من كان عسر الهضم فلا يأكل غير الفواكه الناضجة

الجعة (البيرة) مسمنة الا انها لا تكسب الجسم قوة المقاومة

من اكل اكثر من حاجته تغذى اكثر من حاجته

(عن تقويم الشرق)

التناسل الغريب

ماذا يحل بالعالم لو نما جميع افراد النباتات والحيوانات ؟

لا يخفى ان تزاحم النباتات والحيوانات المتكاثرة على موارد العيش المحدودة يأول الى تنازع دائم مستمر بين الانواع والافراد يسمى في عرف علماء الطبيعة « تنازع البقاء ». فهل خطر لك ايها القارئ ان تتساءل ما هي نسبة الاحياء الذين يقضى عليهم في هذا النزاع الى الذين يبقون وينمون ؟ ان هذه النسبة عظيمة جداً تفوق كل تصور ولا بد ان تعرو القارئ الدهشة عند ما يطلع فيما يلي على ما كان يحل بالعالم لو نمت النباتات والحيوانات بدون رادع قوي يوقفها عن التكاثر ويبيد منها اكثر كثيراً مما يبقى

تحمل السمكة الواحدة من سمك القد (في الدائرة) سبعة ملايين بيضة لو فقست كلها لما وسعها بحر المانش (في الصورة السفلى)



ولنبدأ بالارنب مثلاً فانه من ابكر الحيوانات في التناسل اذ يبدأ في هذه الوظيفة وهو في الشهر السادس من حياته وتتوالى اعقابه بمعدل ثمانية ولادات او اكثر في السنة وقد حفظ احد العلماء زوجاً من الارنب سنة واحدة فبلغ صغارها في آخرها ٥٨ وحسب عالم آخر انه لو تناسل زوج واحد من الارنب وتعاقب نسله تعاقباً مستمراً لاصبح عدد هذا النسل بعد ثلاث سنوات ١٣٧١٨٠٠٠ ارنب فتأمل !

ولا يخفى ما تأتيه بعض الحشرات من الاضرار بالزراعة ولكننا اذا فكرنا فيما كانت تصير اليه الحال لو لم يتوقف نمو هذه الحشرات وتناسلها لدهشنا من هول تلك النتيجة ولنكتف هنا بان نتخذ الفراشة البيضاء مثلاً فان هذه الفراشة تضع في المرة الواحدة

اربعين بيضة والغالب انها تلد مرتين في الصيف الواحد فاذا فرضنا ان نصف هذا العدد ذكور والنصف الآخر اناث وفرضنا ان كلاً من الاناث تلد مثل هذا العدد بدون انقطاع بلغ عددها في آخر السنة الثالثة الف مليون فراشة ! فليتصور القارىء الضرر الذي كان يحلّ بالعالم من هذه الفراشات وهي في الطور الدودي caterpillar لو صح هذا الحساب . ثم انها لو طارت كلها دفعة واحدة فوق سماء لندن لحجبت نور الشمس عن المدينة وجعلها في ظلام دامس

ولننتقل الآن الى الاسماك وهي مشهورة بكثرة نسلها فقد حسب احدهم بالتدقيق عدد البيض الذي تحمله سمكة واحدة من سمك القد (الذي يستخرج منه زيت السمك) فوجد انه لا يقل عن سبعة ملايين بيضة فاذا فرضنا ان هذا العدد كله نما وعاش وان

اذا تناسلت شجرة الخردل (في الدائرة) ثلاث سنين متوالية بلا توقف كان منها ما يملأ الى ضعف القارات الخمس



كل سمكة من هذه الملايين السبعة وضعت مثل هذا العدد ايضاً فان بحر المانش يضيق عن ان يسع هذا السمك كله . هذا على فرض اننا اخذنا سمكة واحدة وان افراخها تعاقبت مرة واحدة فقط ولو تناسلت مدة ثلاث سنوات متوالية لضاقت عنها مياه البحار كلها

اقتصرنا فيما تقدم على الحيوانات واذا انتقلنا الى عالم النبات زادت دهشتنا . فان احد علماء النبات بحث في تناسل نوع من انواع شجرة الخردل فاتى على هذه النتيجة الغريبة وهي انه اذا تناسلت هذه الشجرة بلا توقف ونمت جميع بزورها مدة ثلاث سنوات كان منها ما يملأ الى ضعف الاراضي اليابسة على الكرة الارضية

ومن النبات نوع لا زهر له يعرف بالخنشار يتناسل بحبيبات صغيرة متجمعة على ظهر ورقه وهي بعيدة الانتشار لخفتها . فعدد هذه الحبيبات عظيم جداً يتراوح بين

الخمسين مليوناً والمئة مليون للنباتة الواحدة في نوع الخنشار الاعتيادي وفي بعض الانواع الاخرى يبلغ عددها بضعة آلاف الملايين . فاذا فرخت جميعها احتاجت الى مساحة من الارض لا تقل عن مليوني فدان

واغرب من الخنشار النباتات الفطرية (fungi) وقد قدر عدد الحبيبات المتولدة على نباتة واحدة منها بنحو ٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ واذا نظرنا الى نباتة القطر الاعتيادية mushroom لم يقلّ عدد الحبيبات في الواحدة عن الفي مليون . وقس على ذلك أمثلة كثيرة من العالم النباتي

الا ان بعض النباتات والحيوانات ابطأ كثيراً في التناسل من الامثلة المتقدمة . خذ شجرة السنديان اوالبلوط مثلاً فلو فرضنا ان جميع أثمارها (وعددها لا يتجاوز ١٠٠٠٠) نمت وفرخت فانه يتكون منها غابة لا يزيد حجمها على الف فدان

ومثل السنديان في عالم النبات الفيل في عالم الحيوان فهو من ابطإ الحيوانات تناسلاً فالفيلة الواحدة لا تلد قبل سن الثلاثين ولا تضع اكثر من ستة افيال في حياتها وقد حسب دارون الشهير مستنداً على ما تقدم انه لو تعاقب الافيال بلا توقف وعاش كل واحد مئة سنة لاصبح نسل الفيلة الواحدة الباقي حياً بعد ٧٥٠ سنة ١٩٠٠٠٠٠٠ فيل . وهو عدد كبير الا انه لا يجب ان يبرح من ذهننا اننا فرضنا التناسل مدة سبعة قرون ونصف

فماذا نستنتج من كل ما تقدم ؟ ولماذا تفرط الطبيعة كل هذا الافراط في النسل ثم تقضي على معظمه ؟ لا شك ان المانع الاكبر لنمو جميع الافراد هو مسألة الغذاء فان الارض اضيق من ان تسع كل ما تقدمه لها الطبيعة من طالبي البقاء نباتاً وحيواناً . فلكل مكان يفرغ يتقدم الوف لاملائه فلا يفوز الا الاصلح

لاحمد ابن محمد المقري في وصف رياض :

ورياض تختال منها غصون في برود من زهرها وعقود
فكأن الادواح فيها غوان تتبارى زهواً بحسن القدود
وكأن الاطيار فيها قيان تتغنى في كل عود بعود
وكأن الازهار في حومة الرو ض سيوف تسل تحت بنود

الغلط والفصيح

على ألسنة الكتّاب

(تابع لما في الجزء الماضي)

ويقولون رشّه بالماء يريدون رش الماء عليه لان الماء هو المرشوش والشيء هو المرشوش عليه

ويقولون اضطَرَّ الى هذا العمل بصيغة المعلوم والصحيح ان هذا الفعل يبنى دائماً للمجهول يقال اضطُررت الى هذا العمل

ويقولون اعتنق فلان الاسلام اي انتحله او دخل فيه . ولم تسمع صيغة اعتنق بهذا المعنى في شيء من كلام العرب

ويقولون تضامنا على العمل وفعلا هذا الشيء بالتضامن وهو غلط اذ لم تسمع صيغة تفاعل من هذه المادة والصحيح ان يقال تعاونا على العمل وفعلا هذا الشيء بالتعاون . وقد يجوز استعمال تكافل ايضاً بهذا المعنى يقال تكافلوا اي كفل بعضهم بعض

ويستعملون من مادة ضمن ايضاً لفظة الضمانة اي الكفالة وهي غلط وصحيحها الضمان بصيغة المذكر

ويقولون خصَم له من الثمن وخصَم له الكمبيالة ولم تسمع هذه المادة بمعنى من هذين المعنيين لان خَصَمه مرادف لغلبه . والصحيح في العبارة الاولى ان يقال انقص له الثمن . واما في العبارة الثانية فلا بد من الاتفاق على تركيب افصح

ويقولون حظي بالشيء اي ظفر به ولا معنى لحظي هنا لان الحظوة هي المكانة والمنزلة

ويقولون هو يفعل هكذا دوماً اي دائماً ولا معنى لاستعمال المصدر في هذا المقام

ويقولون هذا العمل يكفي له كذا من المال فيعدّون الفعل باللام وهو غلط لانه من الافعال التي تتعدى بنفسها مباشرة يقال كفاه الشيء اي حصل له الاستغناء به عن غيره

ويقولون قمت بالامر بدلاً عنه وهو غلط والصحيح بدلاً منه لان هذه المادة إما ان تتعدى بنفسها او بمن

ويقولون ربح فلان ارباحاً طائلة فيجمعون المصدر والمصدر كما لا يخفى لا يثنى ولا يجمع لانه جنس والجنس يدلّ بلفظه على ما دلّ عليه الجمع من الكثرة فلا فائدة في

جمعه . فان كان عدداً كالضربات او نوعاً كالعلوم والاعمال جمع وجمع المصدر موقوف ابداً على السماع

ومن هذا القبيل جمعهم بحث على ابحاث والصحيح مباحث

وكذلك جمعهم خسارة على خسائر وهي ايضاً من المصادر التي يجب ابقاؤها على صيغة المفرد لانها تدل بلفظها على ما يدل عليه جمعها من الكثرة

ويجمعون محل على محلات وهو جمع غريب لا وجه له من الصحة والصواب محال وهو جمع قياسي واما محلات فجمع محلة على القياس

ويجمعون بائس على بؤساء مع ان بؤساء جمع بئيس والبئيس الرجل الشجاع اي صاحب البأس

ويجمعون حليف على وزن احلاف وتلميذ على وزن تلامذة وكلاهما غلط لان جمع الاول حلفاء على القياس وجمع الثاني تلاميذ . وقد عثرنا على قولهم تلامذة في كلام أحد الائمة ولعلها زلة قلم

ويجمعون عطر على عطورات وقطار على قطورات او قطارات وكل ذلك غلط والصحيح في الاول عطور وفي الثاني قطرات

ويقولون فلان من ذوي الحيثيات وقرأ القاضي حيثيات الحكم وكلاهما غلط والصحيح في الاول «من ذوي المقامات» وفي الثاني «اسباب الحكم»

ويقولون هذا الشيء ملذ اي لاذ ولم تسمع صيغة الذ من هذه المادة فلا يجوز بناء اسم الفاعل منها . وقد اخطأ فيها صاحب محيط المحيط فقال في مادة حَبَبَ : «والمحبة ميل الطبع الى الشيء الملذ»

ويقولون محصول الارض أي حاصلها أو غلتها لان المحصول مصدر حصل الشيء أي بقي وثبت وهو غير المعنى المقصود

ويقولون هذا مشروع نافع أي امر نافع . والذي في كتب اللغة ان المشروع هو الرتم المسدّد

ويستعملون من هذه المادة لفظة التشريع فيقولون النظام التشريعي والجمعية التشريعية وكلاهما غلط والصحيح النظام الاشتراعي والجمعية الشرعية او الاشتراعية

ويستعملون من هذه المادة ايضاً لفظة متشرع بمعنى مشترع وهي ايضاً لا تخرج عن الحد الذي ذكرناه من الوجه الصحيح

ويقولون سأنظر في امكانية هذا الامر فيأتون بمصدر امكن على صيغة التأنيث ولم

يُسمع في شيء من كلام العرب والصحيح بناء المصدر للمذكر يقال سأنظر في امكان هذا الامر

ويقولون ان الملح يحفظ الطعام من الفساد وهو ضعيف وان لم يكن غلطاً لان الغالب في الملح التأنيث يقال فسدت الملح والملح تحفظ الطعام من الفساد وهلم جراً. واشتهر قولهم ملح اجاج اي شديد الملوحة

ويقولون حمامٌ زاجلٌ او الحمام الزاجل على النعت وهو غلط مشهور والصحيح حمام الزاجل باضافة الاول الى الثاني من زجل الحمام اي دفعه

ويقولون قصر نخيم والحضرة الفخيمة وكلاهما غلط والصواب قصر فخم وزان فَعْل بفتح فاسكان ومعناه العظيم او الجليل القدر

ويقولون مرسح التمثيل ومرسح السياسة وهو غلط والصحيح مسرح التمثيل ومسرح السياسة اسم مكان من سرح يسرح

ويقولون فلان عديم النظير اي ليس له نظير والذي في كتب اللغة ان العديم الرجل الاحمق فلا معنى اذاً لقولهم عديم النظير

ومن هذه المادة ايضاً قولهم حُكم على فلان بالاعدام اي الموت . والصحيح ان الاعدام في اللغة الفقر فلا معنى لقولهم حُكم بالاعدام

ويقولون دخل فلان في طور الكهولة بتأنيث مصدر كهل ولم يسمع في شيء من كلام العرب فان المصدر الثلاثي من هذه المادة يبنى عندهم للمذكر يقال دخل فلان في طور الكهول

ويقولون جبن حلّوم اضرب من الاقط وهو غلط والصحيح جبن حالوم

ويقولون عائلة ملوكية ومجلة اخلاقية وكلاهما غلط لانه اذا اريد النسبة الى الجمع ردّ الى المفرد يقال عائلة مَلَكيّة ومجلة خُلُقيّة

ومن هذا القبيل قولهم مجلة قصصية واقوال شفاهية وحكايات صبيانية وطقوس كنائسية واعمال ملائكية وما جرى مجراه مما يجب رد النسبة فيه الى المفرد . فيقال مجلة قصّيّة واقوال شفهيّة وحكايات صبيّة وطقوس كنسيّة واعمال مَلَكيّة

ويقولون اوّاه من هذه المصيبة وهو غلط والصحيح آه من هذه المصيبة لان الاوّاه هو الرجل المتأوّه أي الذي يقول آه

ويقولون رفات بالية زعماً منهم انها جمع رفة والصحيح انها بصيغة المفرد كحطام ورياش

ويقولون رأيته اكثر من مرة يعنون غير مرة . وقد نبه اللغويون الى وجه الغلط

في هذه العبارة ومع ذلك لا يزال جمهور الكتاب يستعملونها . وقد استعملها صاحب محيط المحيط ايضاً في مادة غير فقال « وقولهم غير مرةٍ أي أكثر من مرة واحدة »

ويقولون ايضاً الغير المعروف امره أو الغير معروف امره وكلاهما غلط وصوابه غير المعروف امره على الاضافة ولا يخفى ان المضاف لا يجوز تعريفه بأل . وقد غلط صاحب محيط المحيط في هذا التركيب في مادة خسر فقال : « والخاسرة . . . من الاموال والفعال الغير النافعة » . وكذلك في مادة هيض اذ قال : « الهيضة . . . عند الاطباء حركة من المواد الفاسدة الغير المنهضمة » . مع انه نبه رحمه الله الى ان لفظة غير لا تتعرف بالاضافة لشدة ابهامها وعليه قوله « صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم »

ويقولون سأكلمه لما اراه فيدخلون لمّا على المضارع وهي تدخل على الماضي فقط يقال كلمته لما رأيته

ويقولون سأفعل هذا مهما حصل ومهما كان فيدخلون مهما على الماضي وهو ضعيف لان مهما تختص بالمضارع يقال مهما يكن من الامر . وعليه قوله

ومهما يكن عند امرئٍ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ويقولون لو لم يشتمني لما ضربته بادخال اللام على جواب لو المنفي وهي لغة ضعيفة والافضل اثبات اللام للجواب المثبت فقط يقال لو جاءني لاكرمته ولو لم يشتمني ماضربته

ويقولون لولا زيد قائم والصحيح لولا قام زيد الا اذا كان الخبر من فعل الكون تقول لولا زيد موجود او كائن . ولا يجوز اضافة لولا الى ضمير جرّ فلا يقال لولاك ولولاه ولكن سمعت معطوفاً عليها اسم ظاهر نحو لولاك وزيد

ويقولون هل زيد جاء فيدخلون هل على الجملة الاسمية وهو غلط وصوابه هل جاء زيد ؟ اما اذا اريد ادخال الاستفهام على الجملة الاسمية للتخصيص او لغرض آخر فتستعمل الهمزة بدلاً من هل

ويقولون ثلاثة شهور وسبع نفوس وعشر عيون وما جرى مجراه فيستعملون صيغة جمع الكثرة لما دون العشرة وهو غلط شائع والاصح ان يقال ثلاثة اشهر وسبع أنفس وعشر اعين وهلم جراً

ويقولون العشر وصايا والسبعة رجال بتعريف العدد وتنكير المعدود والصحيح تعريف كليهما او تنكيرهما معاً يقال العشر الوصايا والسبعة الرجال

(لها بقية) سليم عبد الاحد

الخسارة

في الحروب القديمة والحديثة

قد اختلفت نسبة القتلى والجرحى لدى المتحاربين اختلافاً كبيراً مع مرور الاجيال وتقدم الفن الحربي . فان خسارة المغلوب في الحروب القديمة كانت دائماً اكثر بكثير من خسارة الغالب وكانت قاصرة على القتلى لان اصحاب الجراح الخفيفة كانوا يهربون اما اصحاب الجراح البليغة فكان العدو يقضي عليهم

وقد حسب احدهم عدد القتلى في المواقع التي اشتبكت فيها رومية مع اعدائها بين سنة ٢١٧ وسنة ٤٥ قبل الميلاد واليك بعض ما وجد :

موقعة فارسال	: ٢٠٠	قتيل روماني	و١٥٠٠٠	قتيل من العدو	
« تابسي	: ٥٠	«	«	و١٠٠٠٠	« «
« زاما	: ٢٠٠٠	«	«	و١٠٠٠٠	« «
« بدنا	: ١١	«	«	و٢٠٠٠٠	« «
« مندا	: ١٠٠٠	«	«	و٣٣٠٠٠	« «
« سينوسيفال	: ٧٠٠	«	«	و٨٠٠٠٠	« «
« شيرونه	: ١٤	«	«	و١١٠٠٠	« «

وتعليل ذلك ان عبء القتال كان يقع على الصف الاول وحده واما الصفوف الاخرى فكانت وظيفتها سد الفراغ الذي يحصل في الصف الاول . ولذا كانت الخسارة قليلة عند اشتباك الفريقين لاقتصار القتال على جزء صغير من الجيشين . ولكن اذا فرضنا ان التوازن اختل بينهما وان احدهما اركن الى الفرار لسبب من الاسباب فان الآخر ينقض على أثره ويمعن فيه قتلاً ومن ثمَّ الفرق العظيم بين قتلى الغالب وقتلى المغلوب

ومن الفروق بين الحروب القديمة والحديثة ان القتلى في الاولى هم اقل الجنود جرأة وشجاعة اما في الثانية فالحالة على عكس ذلك فالجندي الذي يخرج من مخبإه ويظهر للعدو يذهب قتيلاً في الغالب حالة كون الجندي الذي يختبئ في خندقه يكون آمناً على حياته . ولما كان النصر لا يأتي الا للجيش الذي يعرض جنوده للخطر مهما يقتل منهم فالقتلى اليوم في الجيش المقدام المنتصر اكثر منهم في الجيش المكسور على الاجمال

قلنا انه في الحروب القديمة كان عدد الجرحى قليلاً جداً لان المعركة كانت عبارة

عن مجزرة يقتل فيها الصحيح والجريح على حد سوى بعكس اليوم فان الجرحى لايقتلون بل يعتنى بهم لاي فريق انتسبوا وقد اخذ عدد الجرحى يزيد بالنسبة لعدد القتلى في الحروب الحديثة (منذ منتصف القرن الثامن عشر) حتى اصبح اربعة اضعافه تقريباً . ونقصت ايضاً نسبة الخسارة على الاجمال لعدد الجيوش . والجدول التالي يبين هذه النسبة بوضوح :

حرب السبع السنين (١٧٥٦ — ١٧٦٣)	٤٢	في المئة
حروب نابليون	٣٥	«
حرب القرم	١٥	«
« السبعين	١٤	«
« الترنسفال	٩	«
« الروس واليابان	٣٥	«
« البلقان : البلغار ضد الترك	١٢	«
الصرب « «	١٠	«
اليونان « «	٥	«

فنرى مما تقدم ان نسبة الخسارة نقصت تدريجاً بعد استعمال الاسلحة النارية (ما عدا حرب الروس واليابان فانها ارتفعت لاسباب خاصة اهمها كثرة المعارك وطول مدتها)

ويتضح لنا هذا النقصان بجلاء اذا اخذنا المواقع الحربية بمفردها بدلاً من الحروب بمجملها فنرى ما يأتي :

أسترلتز	٢٥ في المئة	سادوفا	٩ في المئة
ليبسك	٢٠ «	مكدن (الروس واليابان)	٢٠ «
واترلو	١٧ «	لولو برغاس	١٢ «
لوتزن	١٢ «	شاتلجه	١٠ «
سولفرينو	١٢ «		

ولكن لا يجب ان يبرح من الذهن انه في الحرب الروسية اليابانية وفي حرب البلقان كانت المعارك تدوم بضعة ايام او اكثر (فمعركة مكدن مثلاً استغرقت ١٥ يوماً) فعلى هذا البناء نجد ان خسارة اليوم الواحد منها لم تجاوز على الاجمال ٣ في المئة

والنتيجة من كل ما تقدم ان الاسلحة النارية قد انقصت عدد القتلى والجرحى في كل ساعة وقد لخص احدهم ذلك بالجدول التالي :

حروب فريدريك الكبير	نسبة الخسارة في الساعة	٦ في المئة
حروب نابليون	«	٣ «
حرب سنة ١٨٦٦ (بروسيا والنمسا)	«	١ «
حرب سنة ١٨٧٠	«	٢ «
حرب الروس واليابان	«	– «

ويتعذر علينا ان نقول كلمة عن الحرب الحاضرة في هذا الصدد لاننا مفتقرون الى الاحصاءات الصريحة وانما نكتفي بايراد تقدير اجمالي لاحد ضباط الجيش الاميركي عن خسارة جميع المتحاربين في الاربعة عشر شهراً الاولى من هذه الحرب وهو ان القتلى بلغ عددهم مليونين والجرحى اربعة ملايين والاسرى مليونين

قصيدة عصماء

لشاعر القطرين

جاء في العدد الاخير من مجلة سركيس ما يأتي :

نكبت في الايام الاخيرة عائلة في القاهرة بالفاقة المرّة وكانت مؤلفة من الرجل وزوجته وابنة لهما وحيدة ذات جمال بارع لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها . وهي فضلاً عن جمالها الفتان ذات أدب ولسان تحسن التكلم بعدة لغات

فغاب الاب عن القاهرة من زمن بعيد وانقطعت اخباره وبقيت الام وابنتها القاصرة الحسناء تلعب بهما أيدي الحاجة ويعضهما الفقر بانيابه . وصارت الفتاة عرضة للشرّ الذي يتهدد نظيراتها وهي واقفة على طرف هاوية السقوط المعيب

واتصل خبر هذه الفتاة بعقيل المبرّات حضرة ميشيل بك لطف الله فرثى لحالها وأشفق عليها من سوء المصير بما هو معلوم من ضعف قوّة الفقيرات وعجزهن عن دفع هجمات السافلين فما لبث ان استدعاها الى داره وبعد ان خبر حالها ووثق من صحة ما قيل له بشأنها كفلني فاخذتها الى مدرسة الراعي الصالح للراهبات الفرنساويات في شبرا

فلما ذاع خبر هذه المأثرة الحسنة وتناقلها الالسن بالحمد والاستحسان وقع العمل الخيري موقعاً كبيراً من نفس الشاعر الحساس شاعر العواطف والوصف خليل مطران فنظم هذه القصيدة الغراء التي ننشرها مع الشكر لمجلة سركيس التي تفضلت علينا بها :

كانت عيون الريب الساهره ترمق تلك الطفلة الطاهره

من هي ؟ بنت من بنات الأذى معروضة للصفقة الخاسره

يطمع فيها حسنها والصبى والفاقة العضاضة الساخره

مازال غرساً قلبها لاهياً عما يهيج الشهوة الخادره

أبأس ما سارت بأطمارها لم تك إلا بهجة سائره

تحس للأبصار في ثغرها وقع الندى من نبتة ناضره

وتلتقي كل ابتسام كما تلقى الشعاع الدرة الزاهره

وتقبل المدح على أنه مصداق ما في المقلة الناظره

جاهلة ما في قلوب الورى تأثمهم من شيمة غادره

لا تنفر المرأة في زعمها شيئاً وراء الصورة الظاهره

* * *

ويح الفقيرات الجميلات من حبائل القناصة الماكره

كالورد لا يحميه شوكه إذا دنت منه يد جائره

تمر بين الناس ذات الغنى تقلها جوابة طائره

فتتعب الأبصار شوطاً بها ثم تني ظالعة حاسره

والحسن إن لم يرتج يملك كما يملك حسن الأنجم السائره

أما ابنة البؤس فهيهات أن … تملك دفع القوة القاهره
أنى تكن تلحقها بكل لفظة … مريبة او لحظة فاجره
او عدة فاتنة للنهى … او حيلة خلابة ساحره
لا تفتأ الخدعة في إثرها … ساعية او حولها دائره
حتى اذا ما أضرمت قلبها … فشبت كالمجمرة الثائره
أشبعت الفساق من لحمها … وسفكت هدراً دم العاهره

⁂

تلك التي سقت على ذكرها … تفصيل هذي العظة الزاجره
كانت على وشك السقوط الذي … تسقطه المسكينة العاثره
قد أحدق الفقر بها منذراً … بالويل مما تزر الوازره
لولا فتى جمّ مروءاته … شيمته في عصره نادره
لا يكبر الدهر بأحداثه … يعيا على همته الصابره
أنقذها محتسباً ربه … خيراً ونعمت حسبة الآخره
أدخلها معهد علم به … تحفظ حفظ القنية الفاخره
تتم بالآداب في عصمة … جمال تلك الصورة الباهره
أعظم بلطف الله عوناً على … صيانة البائسة القاصره

خليل مطران

اختراعات حربية جديدة

احدث طرق القتال

نشرنا في الجزء الماضي من الهلال فصلاً بعنوان « أستطيع ان انهي الحرب » ذكرنا فيه بعض الاختراعات التي عنَّت لاهل العلم والاستنباط لتقصير اجل الحرب وكلها مما لا يخرج عن حد الاقتراح المحض . على ان المخترعين لم يكتفوا بابتكار الافكار فقط بل هم منصرفون بكل قواهم لاخراج تلك الابتكارات الى حيز العمل . ولا يكاد يمر الان اسبوع حتى نسمع باختراع جديد يزيد في فظاعة هذه الحرب وهولها او يسعى لتخفيف بلواها وتقصير اجلها

ولقد فوجئت الامم في هذه الحرب بحرب الخنادق التي وان كانت معروفة عند



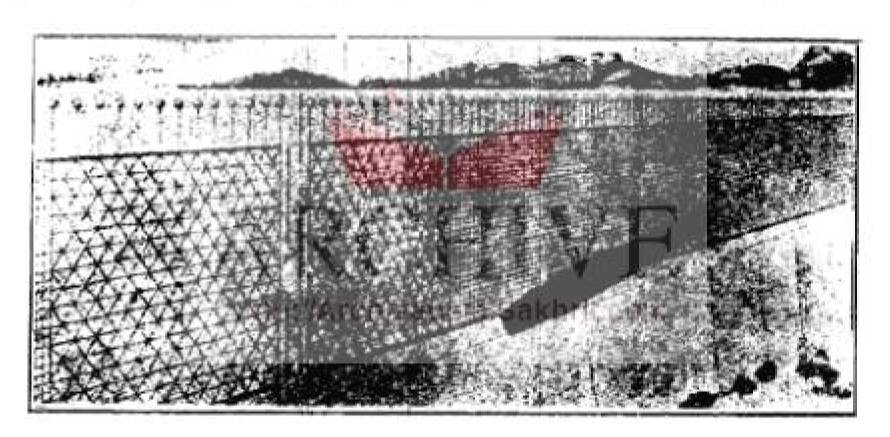
الاسطوانة الواقية

الاقدمين الا انها لم تبلغ ما بلغته اليوم من الاهمية العظيمة . والدليل على ذلك ما نشاهده من حالة الفريقين المتحاربين في الميدان الغربي حيث تكاد القوتان تتكافآن وحيث الخنادق تحل محل الحصون والمعاقل . وقد مرت عدة اشهر على هذه الحالة وكل من الفريقين يحاول ان يزحزح خصمه من خنادقه فلا يستطيع واذا استطاع فبس تقدمه بالاذرع والقراريط . ولما كان لا بد للحرب التي على هذا المنوال ان تطول ويمتد بها الزمن صار كلٌ من الفريقين يوجه قواه لجعل خنادق خصمه اقل مناعة واسهل منالا وقد خطت انكلترا خطوة في هذا السبيل فاخترعت اسطوانة مخروطة احد الطرفين يدخلها الجندي متخذاً اياها كترس يقيه رصاص البنادق والشرابنل عند الهجوم على خنادق الاعداء . وهي تسير عرضياً على دواليب كما في الشكل الاول وبها عند طرفها المخروط كوة يستطيع ان يرى منها الجندي ما امامه ويطلق بندقيته . والاسطوانة

مصنوعة من الفولاذ (الصلب) المسقى فاذا سقطت الرصاصة عليها تزحلقت ومرّت بدون ان تؤذي الشخص الذي في داخلها . اما تسيير الاسطوانة على دولابيها اودواليبها الاربعة فيتم بدفع الارض باحدى القدمين كما ترى في الصورة . ومتى وصل الجندي الى نقطة معينة خرج من اسطوانته وهجم على عدوه بسلاحه العادي

***

ولما عزم الحلفاء على مهاجمة مضيق الدردنيل عمد الاتراك الى شبكة هائلة من الحديد جعلوها في عرض المضيق ليحولوا دون دخول الغواصات الانكليزية والفرنسوية الى بحر مرمرا اذ لا يخفى ان الغواصات لا تستطيع ان تغوص الى مدى عميق خوفاً من تزايد ضغط الماء . وتمتد هذه الشبكة من حصن جناق قلعه سي على الساحل الاسيوي الى قلعة تمازيه على الساحل الاوربي وهي مؤلفة من عدة شباك يبلغ طول كل منها نحو ست مئة قدم وقد ضمت بعضها الى بعض وركزت على عوّامات كبيرة وهي تمتد الى عمق



شباك الدردنيل

خمس وسبعين قدماً تحت الماء . اما القسم الاوسط منها فهو من شباك الطوربيد التي كانت حول البوارج الالمانية والعثمانية . وقد جيء بالعوّامات من بحر مرمرا والبحر الاسود . ويبلغ قطر الاسلاك الحديدية المنسوجة منها الشبكة نحو ⅛ قيراط وهي تبتدئ على مسافة مئة قدم من الساحل الاسيوي وتنتهي على نحو تلك المساحة من الساحل الاوربي

على ان هذه الشبكة وان تكن خطراً على الغواصات فقد نجحت بعضها في الغطس الى ما تحتها والاجتياز الى بحر مرمرا . وليس فيها خطر على البوارج

***

عندما نشبت الحرب الحاضرة كان معظم الناس يعتقدون ان سيادة البحار ستكون

للغواصات وان عهد البوارج الهائلة قد انقضى . ولكن وقائع الحرب البحرية قد اثبتت فساد هذا الرأي فان الغواصات الالمانية مثلاً لم تقم حتى الان بعمل حربي ولا استطاعت سوى مهاجمة بعض البواخر التجارية الامر الذي لا قيمة حربية له على الاطلاق . وبعبارة اخرى ان الاهمية التي كان يعلقها الكثيرون على الغواصات في الحروب البحرية قد زالت ولم يبق لها اثر . ولعل الشباك الواقية التي اشرنا اليها في احد اجزاء الهلال الماضية من اكبر العوامل التي ذهبت بقيمة الغواصات



آخر طرز من الجهازات الواقية من الغازات الخانقة

ان شبكة الدردنيل التي اشرنا اليها قد افادت بعض الفائدة في منع بعض الغواصات من اختراق الدردنيل . والذي يعين الشبكة على هذا ان ذلك القسم من البحر ليس معرضاً لعوامل المدّ كثيراً بخلاف الحالة في الخليج الانكليزي (المانش) مثلا حيث تختلف الحالة الجوية من حالة الدردنيل كل الاختلاف . ولذلك عمدت وزارة البحرية البريطانية الى طريقة فعالة لاتقاء شرّ الغواصات الالمانية التي قد تنساب الى ذلك المضيق . فقد ثبت من التقارير الرسمية ان المانيا خسرت في شهري مايو ويونيو الماضيين اكثر من ستين غواصة من غواصاتها واشهرها الغواصات رقم ٢ و ٤ و ٥ و ٧ و ٩ و ١٥ و ١٦ و ١٨ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من طرز حرف U

وقد تمكنت انكلترا من اقتناص هذا العدد الكبير من الغواصات باستعمال شباك حديدية ضخمة يبلغ طول كل منها نحو مئة وسبعين قدماً وعرضها نحو سبع وعشرين قدماً واضلاع خروبها (اي عيونها) خمس عشرة قدماً . وتنصب هذه الشباك تحت

الماء بين مقدمي نسافتين من النسافات التي تستعمل زيت الغاز فاذا علمت النسافتان بقدوم غواصة اسرعتا للوقوف بالشبكة في سبيلها فتقتنصانها قبل ان تتمكن الغواصة من اجتنابهما ومما يسهل عليهما اقتناصها ان الغواصة في بحر المانش لا تستطيع الانتفاع بمنظارها الى ابعد من ميل واحد وذلك بسبب هياج البحر . ولهذا لا بد لها من الاقتراب من العدو كثيراً اذا ارادت مهاجمته ولكن العدو يستطيع مباغتها قبل ان تتمكن من ا لملص

* * *

على ان الاختراعات البرية هي اكثر واهم من الاختراعات البحرية . فالمدافع السريعة الطلقات قد ظهرت فائدتها في هذه الحرب على اتمها . ولما كان صنعها يقتضي النفاقات الطائلة اضطرت الدول الى عدم الافراط في صنعها اقتصاداً في النفقات . على ان



استعمال الطلمبات المنتقلة في الخنادق

الفرنسويين قد رأوا ان يستعيضوا عنها بما يكاد يضارعها قوة وفائدة وذلك بان يضموا كل عشرين او ثلاثين بندقية معاً فيركزوها عرضياً على اعلى الخنادق ثم ينظموا الزناد جميعها بقضيب افقي اذا جرّ ضغط على الزناد فتنطلق البندقيات دفعة واحدة كأنها مدافع رشاشة او سريعة الطلقات . ولا يخفى ان كل بندقية من تلك البندقيات تطلق نحو اربعين رصاصة في الدقيقة الواحدة فاذا ضمت ثلاثون بندقية مثلاً معاً انطلق من فوهاتها ألف ومئتا رصاصة في الدقيقة وهو مبلغ هائل . نعم ان تعبئة ثلاثين بندقية يقتضي وقتاً اكثر من تعبئة مدفع واحد سريع الطلقات ولكن اذا نظرنا الى النتيجة تجاوزنا عن ضياع جانب يسير من الوقت

كان الالمان اول من استعمل الغازات السامة في هذه الحرب . واستعمال هذه الغازات مناف للقوانين الدولية ونجاحه يتوقف على هبوب نسيم لطيف لا على ريح شديدة . على انه ما كاد الالمان يبدأون باستعمال هذه الغازات حتى اخترع الحلفاء وسائل لاجتنابها واهمها كامة يضعها الجندي على فمه وانفه فلا تؤثر فيه هذه الغازات . وهنالك طريقة اخرى لطرد الغازات وهي عبارة عن مراوح تدار باليد من داخل الخنادق فتبدد الغازات وتطردها (انظر الجزء الاول من هلال هذه السنة صفحة ٧٧)

* * *

وقد اخترع الالمان طريقة لهداية طيارهم في الليل وهي عبارة عن منارة ذات نور ساطع يصل الى مسافات شاسعة فيهتدي به الطيار في صعوده وهبوطه

* * *

ولا يخفى ان من اشد ما يعانيه المحاربون في الخنادق هو ان تلك الخنادق تنز وتمتلئ



مدرعة تقيم امامها حجابا من الدخان

ماء يحول دون الانتفاع منها . وقد اخترع الانكليز آلة لامتصاص الماء وتنشيف الخنادق بواسطة خراطيم قوية متصلة بطلمبات مصاصة كما ترى في الشكل السابق

* * *

ومن طرق الوقاية للبوارج الحربية توليد الدخان الكثيف وهذا الدخان ثقيل يرسب على الماء ويحجب السفينة الحربية عن ابصار العدو

* * *

ومن طرق الوقاية من الطيارات آلات دقيقة للسمع اذا وقف الانسان بجانبها سمع ازيز الطيارات عن بعد

ومن الاختراعات الحديثة مدفع تسلح به الغواصات يطلق من تحت الماء بحيث لا تضطر الغواصة ان تصعد الى سطح الماء . وهذا المدفع هو لمقاتلة الطيارات فقط لانها كما لا يخفى اكبر واش بالغواصات



آلة السمع لازيز الناطيد والطيارات

وقد اشرنا في احد اجزاء الهلال الماضية الى الطيارات الحديثة التي تصعب رؤيتها على بعد وهي مصنوعة من نوع من مركب خلات السللوز الشفاف وهو اختراع فرنسوي يرجع الى سنة ١٨٩٩ وقد استعمله اليوم الالمان في صنع بعض طياراتهم

يقال ان بطاقات البريد (الكارت بوستال) ظهرت اولاً في بلاد النمسا في سنة ١٨٦٩

في الجيش البريطاني عشرون الف متطوع من اليهود

يقدَّر معدل ثمن كل حصان في الجيش الانكليزي من اربعين الى خمسين جنيهاً

تستخدم انكلترا ٢٣٠٠ مركب لالتقاط الالغام من بحر الشمال

يبلغ عدد الجيش الاسوجي في زمن السلم نصف مليون مقاتل

تستخدم بلدية برلين السيدات ليقمن باعمال البوليس في الشوارع ولكلٍّ منهنَّ كلب يعاونها على حفظ النظام

يبلغ عدد النساء العاملات في مصنع كروب الالماني خمسة الاف وكان عددهن قبل الحرب قليلاً جداً لا يذكر

الغنائم البحرية

حسب العرف والاتفاقات

كثر ذكر الغنائم البحرية في هذه الحرب فرأينا ان ننشر فذلكة وجيزة في شروطها وقوانينها المتعارفة والمتفق عليها بين الدول لا سيما وانه قد انشئ في الاسكندرية محكمة انكليزية للغنائم

ان بين قوانين الحربين البرية والبحرية فرقاً رئيسياً وهو ان الحرب البرية انما تدور رحاها بين جنود الدولتين المتحاربتين ويتحاشى فيها الفريقان (بقدر الامكان) الاضرار بغير المتحاربين وارزاقهم وسائر ممتلكاتهم . اما الحرب البحرية فانها تمس غير المتحاربين وممتلكاتهم مباشرة اذ يجوز حجز السفن التجارية المعادية واسر بحارتها والاستيلاء على ما تحمله بصفة غنيمة . الا ان الشارعين والسياسيين قبل نشوب هذه الحرب كانوا مائلين اجمالاً الى الغاء هذه الفروق وتسوية الحربين البرية والبحرية من هذا القبيل تمام المساواة

كيفية الاسر والحجز

يجب على كل سفينة ماخرة في عرض البحر ان ترفع في أعلى ساريتها علماً يدل على جنسيتها ولكل بارجة حربية الحق بأن تكلف اي سفينة تجارية رفع علمها مهما تكن جنسيتها ولها الحق ايضاً في اتخاذ الطرق اللازمة للاستيثاق من صحة الراية والتثبت من حياد شحنها . ولذا اجازوا لكل محارب تفتيش كل سفينة تجارية ماخرة في عرض البحر

تلك عادة قديمة الزمن لم يعترض عليها احد . والغاية من تفتيش السفن امران : الاول اثبات صحة تابعية تلك السفينة حتى اذا كانت تابعة للعدو أسرت والثاني للبحث فيما اذا كانت محافظة على شروط الحياد فان كانت محافظة اطلقت والاَّ حجزت

وكيفية هذا التفتيش ان تتقدم البارجة الحربية اولاً نحو السفينة المراد تفتيشها ثم تطلق مدفعاً محشواً بالبارود فقط انذاراً للسفينة بالوقوف ورفع علمها الوطني . فاذا كان الوقت ليلاً رفع فوق العلم مصباح . فاذا وقفت السفينة وقفت البارجة أيضاً على مسافة تختلف باختلاف الأحوال وتبعاً لحالة البحر وقوة المدافع . اما اذا ظلت سائرة في طريقها فيحق للبارجة مطاردتها واطلاق بعض القنابل عليها تهويلاً فاذا تشبثت بفرارها جاز

اسرها عنوة والمسئولية على ربانها بكل ضرر يصيبها . فاذا قابلت القوة بالقوة اصبح اسرها حلالاً لارتكابها فعلاً عدائياً

واما العادة الشائعة فانه متى اشارت البارجة الى السفينة التجارية بالوقوف تمتثل هذه فيرسل ربان البارجة نفراً من ضباطه وبحارته اليها للبحث عن اوراقها وسجلاتها . فاذا ثبت حياد السفينة وشحنها وان ليس فيها ما يخالف شروط الحياد قيدوا كل ذلك في دفتر السفينة اليومي المسمى (جورنال) وانقلب المفتشون الى بارجتهم . اما اذا وجد في السفينة امر يخالف ما تقدم اعلن اسرها وحجزت بضاعتها . فعلى الاسر في هذه الحال واجبات اهمها :

١ الاستيلاء على اوراق السفينة وسجلاتها وختمها بحضور ربان السفينة بعد تدوين بيانها في قائمة خاصة

٢ تدوين واقعة الحال (محضر) مع بيان حالة السفينة باختصار

٣ معاينة البضائع المشحونة واقفال عنابر السفينة والصناديق ومخازن المؤونة وختمها بعد اخراج ما يلزم من المطعوم والمشروب مدة الابحار

٤ تدوين ما يختص بضباط السفينة وبحارتها

وبعد ذلك تساق السفينة المأسورة الى اقرب ثغر خاص بالآسر فاذا حدثت احوال اوجبت تعريج السفينة أو دخولها الى مرفأ دولة محايدة لاصلاح ما تعطل بها أو للتزويد والتموين جاز ذلك على ان لا تقيم مدة تزيد على الوقت اللازم

التحقيق والحكم

وحالما تصل السفينة الى الثغر المقصود يشرعون اولا في اجراء التحقيقات الاولية اما بواسطة المحاكم أو على يد مفوض خاص . فمتى تم التحقيق واتخذت جميع الاحتياطات الموقتة لحفظ السفينة ومشحوناتها من التلف أو الضياع رفعت الدعوى الى محكمة الغنائم التي لها وحدها حق التصرف بالغنائم . فان الآسر لا يصبح مالكاً شرعياً الاَ بعد صدور الحكم بصحة الاسر

اما تأليف هذه المحاكم فلكل دولة قوانين وعادات خاصة ولكن هناك امراً متفق عليه عند الدول جمعاء وهو ان محاكم الغنائم لا تعمل الاَ في زمن الحرب ولا تكون مراكزها الاَ في مدن المتحاربين ولا يجوز وجودها في ارض المحايدين . والغريب في هذه المحاكم انها الخصم والحكم في آن واحد . ولكن الدول لم تتفق على طريقة أخرى

لغاية الان . الاَّ انها قد اتفقت في مؤتمر الهاي الثاني سنة ١٩٠٧ على انشاء محكمة دولية للغنائم مركزها في مدينة الهاي لتعيد النظر على قرارات محاكم الغنائم التابعة للدول المختلفة اما قضاة هذه المحاكم فتعينهم الدول المتعاقدة حسب ترتيب معين وعددهم خمسة عشر قاضياً ولا بد من حضور تسعة منهم للحكم

مصير الغنائم

يجب ان ننظر في مصير البحارة اولاً وفي مصير السفينة ومحمولها ثانياً . اما البحارة فانهم يعدون اعداء محاربين فيؤسرون ويجوز حجزهم مع سائر أسرى الحرب ولكن مؤتمر الهاي الثاني سنة ١٩٠٧ خفف وطأة هذا الحكم فاجاز افلاتهم على شرط ان يتعهدوا تعهداً كتابياً بان لا يشتركوا في الاعمال الحربية وان ترسل الدولة الآسرة قائمة باسماء هؤلاء المتعهدين الى الدولة التابعين لها لتكون على بينة من امرهم

واذا كانت السفينة التجارية تستخدم بحارة تابعين لدول محايدة فتطلق لهم الحرية على شرط ان يتعهدوا كتابة بان لا يستخدموا ثانية في سفينة تابعة للدولة المعادية

واما السفينة ومحمولها فانهما يصبحان ملك الدولة الآسرة ولها حق التصرف التام بها ويخرج عن حكم السفن التجارية :

اولاً : سفن الصيد الصغيرة التي لا تبتعد عن الشاطئ

ثانياً : سفن الاستكشاف والبحث العلمي

ثالثاً : السفن التي ترمي الى اسعاف الجرحى

رابعاً : ويدخل ايضاً في حكم ما تقدم البريد سواء كان على سفينة معادية او على سفينة محايدة فلا يجوز حجزه مطلقاً واذا حجزت السفينة التي تحمله وجب ارساله بلا تأخير

ثم انه لا يجوز حجز السفن المحايدة الا في احوال استثنائية وذلك

اولاً : اذا اخلت باحكام الحياد واشتركت في الاعمال الحربية مع الدولة المعادية

ثانياً : اذا تعاطت تهريب الذخائر والمؤن للعدو

ثالثاً : اذا حاولت ان تخترق منطقة الحصر البحري

رابعاً : اذا رفضت ان تخضع لحق التفتيش المخوَّل للسفن الحربية المحاربة في وقت الحرب بمقتضى العرف الدولي

السؤال والاقتراح

القذائف المعمية

﴿ دمنهور ﴾ صبحي افندي متى

انتشرت هنا اشاعة مؤداها ان المتحاربين قد اخترعوا قذائف كيمية تعمي كل من تمر بقربه فبدلاً من أن يصاب المتحارب بقنبلة تجرحه يصاب بالعمى وهو مفتوح العينين وليس بهما أثر لذلك فهل اتصل بكم شيء من هذا القبيل ؟ وهل يوجد ما يؤثر في اعصاب النظر فيصيبها بالعمى بمجرد مروره بقرب الانسان ؟

﴿ الهلال ﴾ اصابات العين في هذه الحرب على نوعين اصابات خارجية تنشأ عن تأثير الغازات السامة في الملتحمة فتلتهب وربما فقد البصر بسبب ذلك . واصابات داخلية كالتي ذكرتموها تنشأ عن تأثير ارتجاج الهواء الهائل في عصب العين بفعل القنابل الذريع وقد فقد كثيرون الحياة بسبب هذا الارتجاج واصيب آخرون بامراض عصبية مختلفة . ولا يوجد اختراع خاص يؤثر في عصب العين خلاف ما ذكرنا

الزائدة الدودية وحركة الامعاء

﴿ دنبري . اميركا ﴾ شكري افندي جرجي مسعود

هل يؤثر قطع الزائدة الدودية في حركة الامعاء وحالة الجسم على العموم ؟

﴿ الهلال ﴾ تحسن حال الامعاء بعد الاستئصال ويبقى الجسم على ما كان عليه سابقاً اذ لا يعرف للزائدة وظيفة في الانسان . اما في الحيوان فهي اكبر حجماً وتساعد على الهضم

علاج البلهارزيا

﴿ ابو كبير الشرقية ﴾ الشيخ ابو هاشم علي قريط

اخبرني طبيب ثقة ان احد اطباء الاسبتالية اليونانية بالقاهرة اكتشف علاجاً شافياً لداء البلهارزيا فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ ادعى كثيرون في اوقات مختلفة انهم توصلوا الى اكتشاف دواء يشفي من البلهارزيا ولم يف ولا دواء من تلك الادوية بالمقصود . ولعل هذه الادوية مركبة من اجزاء معروفة ولها بعض التأثير في البلهارزيا فيعطونها اسماغريباً للمتاجرة او تطلباً للشهرة

خواص الصندل

﴿ ومنه ﴾ ما هي خواص الصندل ؟

﴿ الهلال ﴾ له تأثير حسن في الامراض الجلدية المزمنة وامراض مجرى البول

المباركة ضد سم الافاعي

﴿ تابانذكا . سان باولو . البرازيل ﴾ الياس عطا الله

من عادات هذه البلاد عادة منتشرة بين العامة وبعض الخاصة وهي ان المباركة تفيد ضد سم الافعى . وقد حدثت بعض اصابات لاصدقاء لنا خبرناها بذاتنا كان ينجو الملدوغ فيها بواسطة المباركة وهي من خصائص افراد معروفين في البلاد ومدارها ان هؤلاء الافراد يسقون الملدوغ كاساً من الماء بعد ان يباركونه ويصلون عليه صلاة خاصة . فما قولكم في هذه العادة وهل تظنون ان هذه المباركة تأتي بفائدة حقيقية ؟

﴿ الهلال ﴾ ما كل افعى سامة . وما كل لدغة سامة تؤدي الى الموت اذ من الممكن ان الافعى لسبب ما لا تمكن من ادخال سمها في جلد الملدوغ فينجو . والمعالجة تكون باستعمال مصل خصوصي او بحقن محلول برمنجانات البوتاس في الجرح لاجل تحليل السم الى عناصر غير ضارة مع اعطاء المقويات . اما المباركة على ما نظن فينحصر فعلها في لدغ الافاعي غير السامة او التي لم يتسرب سمها الى الدم . اما اذا تسرب السم الى الدم فيكون فعل المباركة وهمياً

طنين الاذن

﴿ ميت غمر ﴾ دافيد وهبه

تطن الاذن اليمنى او اليسرى احياناً فما هو تعليل ذلك ؟ وهل هو منذر بوقوع شر كما تقول العامة ؟

﴿ الهلال ﴾ طنين الاذن ينشأ في اكثر الاحيان عن تجمع الافرازات ومتى ازيلت زال الطنين . وللرطوبة ودخول الماء الى الاذن تأثير في ذلك وليس للطنين علاقة بالخير او الشر

مدة الحمل

﴿ عابدين مصر ﴾ لطيف نجيب

قال الاسيوطي في الكنز المدفون « اكثر مدة الحمل اربع سنين واقله ستة اشهر وقد ولد الضحاك بن مزاحم لستة عشر شهراً وولد شعبة بن الحجاج لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين ومالك بن انس حمل به اكثر من ثلاث سنين والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهراً والشافعي حمل به نحو الاربع سنين ومحمد بن عجلان حمل به اربع سنين والامام ابو حنيفة ثلاث سنين والوليد بن عقبة سنتين » والمعروف اليوم ان مدة الحمل عادة تسعة اشهر فما رأيكم في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ لا يدلنا شيء على ان هذه الامور في الماضي كانت تسير على ناموس مختلف عما هو الآن . وعليه فاما ان حساب الشهر والسنة عندهم كان يختلف عن حساب الشهر والسنة الان او ان ذلك ناتج عن عدم التدقيق في توقيتهم

رشق العرائس بالاحذية

﴿ هاليري اميركا ﴾ شكري الياس نعمة

من العادات الشائعة عند الغربيين رشق العرائس بالاحذية ونثر الارز عليهم وقت الزواج فما أصل هذه العادة الغريبة ؟

﴿ الهلال ﴾ اما العادة الاولى فقد اطلعنا على تعليلها وخلاصته انه جرت العادة منذ اقدم الازمنة ان يؤدب الوالدون اولادهم بضربهم بالاحذية . ثم صاروا متى ازوجوا بناتهم يقدمون الحذاء للعريس رمزاً الى صيرورته اهلا لتأديب العروس اذا لم تحسن السلوك . ثم تدرج القوم من هذه العادة الرمزية الى رشق العروسين بالاحذية . اما نثر الارز عليهما فلا نعلم أصله

المناظرة والمراسلة

الغلط والفصيح

حضرة محرر الهلال

دخل الهلال في السنة الرابعة والعشرين وهو لا يزال يخدم اللغة العربية بعناية خاصة فاستحق كل ثناء وشكر . ورحم الله فقيدنا العلامة جرجي بك زيدان فقد سمعته يقول في محفل غاص بالادباء « جعلت قلمي ولساني ومجلتي وقفاً على خدمة اللغة العربية فهي أوسع اللغات وارقاها » ولئن اغتالته يد المنون فلازال هلاله ساطعاً يجري في ميدانه الذي خصص له لا تسبقه فيه مجلة من المجلات . هذه كلمة جرى بها القلم لا دخل لها فيما أريده من رسالتي ولكن أملاها عليّ شعوري ووجداني فاثبتها في صدر المقال

ان نكبة اللغة العربية بابنائها فهم عاقوها ومهملو امرها وتاركو شأنها وجاهلو مخبآتها حتى ظنوا خطأ انها تقصر عن تناول المخترعات الحديثة وما اقتضته سنة الارتقاء . ثم اعتقد بعض الكتاب ان ما وصلت اليه يد الانسان في هذا الزمان لا يوجد في اللغة العربية ما يدل عليه ويصلح ان يكون اسماً له وما ذلك الا من نقص في الاطلاع وتقصير في البحث والتنقيب . ولطالما نادى كثيرون منا بعقد مجمع علمي يضم بين جناحيه العلماء والادباء وهم بحمد الله لا يحصيهم العد ليظهروا لنا دقائق اللغة ويكشف ما استعصى على البعض منا تبيانه ويدرأ عنها تلك العيوب التي نلصقها بها ظلماً . وما الذي يمنع شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية من القيام بهذا العبء والدعوة اليه وهما أحق بتعضيد ذلك المجمع من غيرهما وما لنا نرى كبار الادباء يتهافتون على مدح فلان مثلا ويتقاعدون عن مثل هذا المشروع العظيم الفائدة ؟ لو كان هناك مجمع علمي لتكفل بتصحيح ما نرتكبه الآن من الاغلاط الشائعة على ألسنتنا ويتخبط فيها جمهور الكتاب . ورضي الله عن شيخنا اليازجي فانه كتب الفصول المطولة في بيان ما يقع فيه الكتاب من الخطإ ولكن المنية لم تدعه يتم جهاده العظيم . ويظهر ان الدهر لم يضن بخلف لليازجي (وان كنت لا أرى مثله أحداً) فقام سليم افندي عبد الاحد مشمراً عن ساعد الجد يندد بكتاب اليوم ويبين لهم اغلاطهم فكتب في مجلة الهلال الصادرة في شهري اكتوبر ونوفمبر مقالاً تحت عنوان « الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب » ولا يزال لمقاله بقية ستنشر

في الاعداد التالية . وانا نحمد له تلك الغيرة الشريفة والنهضة العالية ونرجو منه الاستمرار على ذلك العمل النافع . غير اني رأيت بعض اغلاط وقع فيها حضرته في خلال تنبيهاته على الخطإ والصواب فأحببت التنبيه عليها اذ السكوت ضار باللغة لان فيه طمساً لمعالمها وحقائقها وضار بالقراء والمطالعين لان فيه تضليلاً لهم وكنت اودّ ان اتتبعه من اول مقاله غير ان هلال اكتوبر فقد مني فلذا كان ردّي قاصراً على ما جاء في هلال نوفمبر ولا ادعي العصمة لنفسي ولتتقبل ملاحظاتي عليك يا حضرة الفاضل قبولاً حسناً

صريح كلامك في مادتي رعد وبرق انه لا وجود لارعد وابرق بمعنى التهديد ولذا قلت وانكروا على الكميت قوله

ابرق وارعد يا يزيد   فما وعيدك لي بضائر

والحقيقة بخلاف ما ذكرت قال في القاموس وارعد اوعد او تهدد . وبرق الرجل تهدد وتوعد كابرق وعلى ذلك فالكميت لا ينكر عليه استعمال صيغتي الامر في بيته

منعت الكتاب من استعمال عُني مبنياً للمعلوم وقلت ان كتب اللغة لم تنص الا على بنائه للمجهول وليت شعري كيف تدعي ان كتب اللغة لم تذكره الا مبنياً للمجهول مع انه يقال عناه الامر يعنيه ويعنوه وعني بالضم وعليك بالقاموس ليتبين لك مبلغ دعواك من الصحة

عبت على الكتاب استعمالهم غلق الباب وقفله فهو مغلوق ومقفول لانه لم يسمع الثلاثي من هذين الفعلين بهذا المعنى وعابوا على ابي الاسود قوله « ولا اقول لباب الدار مغلوق » ولتعلم انه يقال غلق الباب يغلقه الا انها لغة ضعيفة ولكنها مسموعة فدعواك عدم سماع الثلاثي من هذه المادة بالمعنى المذكور غلط ويمكن تصحيح قفل الباب بتخريجه على قولهم قفل الطعام اي احتكره على نوع من التوسع والتساهل

قلت ان الاسم من اكرى البيت الكراء والكروة بكسر الكاف فيهما — وليس كذلك لان الاسم من اكراني دابته او بيته الكَروة والكَرو بالفتح فيهما وبالضم واما الكِروة والكِراء بكسرهما فمعناهما أجرة الشيء المستأجر

قلت ان كتب اللغة نصت على ان تعدية نصح باللام افصح من تعديته بنفسه مع ان المحيط وهو من امهات كتب اللغة لم يذكر ذلك ولا يفوته التنبيه على مثل هذه النكتة وهذا نص عبارته : نصحه وله كمنعه . فانت تراه سوّى بين المتعدي بنفسه وبغيره

حكمت على الكتاب بالغلط في استعمالهم عبأ الجيش ارتكاناً منك على ما نقلته عن يونس من ان الهمزة غلط والصحيح عبّى الجيش ولو رجعت الى القاموس لوجدت عبارته هكذا : عبأ الجيش وزان منع وعبأه بتشديد الباء تعبئة وتعبيئاً فيهما بمعنى جهزه

والفيروزابادي من اساطين اللغة لا يعادله يونس ولا غيره

ولأيّ شيء تنكر على الكتاب استعمالهم غفا زيد وغفوت وتشير عليهم باستعمال اغفى واغفيت مع انه غَفا غَفواً وغُفُواً نام او نعس كاغفى ويقال غَفى وغَفِيَ كرضي غفية نعس وما نقلته عن محيط المحيط يساعد الكتاب على استعمالهم

انكرت على الكتاب استعمال اختفى بمعنى استتر وادعيت ان الصحيح استخفى على وزن استفعل وانكارك غير صحيح لانه ورد اختفى بمعنى استتر وتوارى ولو بحثت في كتب اللغة لرايت ما نقلناه اليك

حكمت على الكتاب بالغلط في استعمالهم انكسفت الشمس وانخسف القمر لان صيغة المطاوعة لم ترد على لسان العرب . وحكمك بالغلط على وجه العموم هو الغلط اذ يقال كسفت الشمس والقمر احتجبا كانكسفا وكذلك وردت صيغة انخسف مبنية للمعلوم وقرىء بها في القرآن مبنية للمجهول غير اني لم ارها بهذا مسندة للقمر

انكرت على الكتاب استعمالهم ارتجّ بتشديد الجيم لان الصحيح ارتج بتخفيف الجيم والبناء للمجهول . وانا انكر عليك ان الصحيح ما ذكرته فقط . حكى التوزيّ انه يقال ارتج عليه اي وقع في رجة واختلاط . نعم ان ما ذكرته هو المعتمد عليه غير ان ما سواه ليس بخطإ كما تدعي

قلت ان من اغلاط الكتاب جمع اوقية على اواق والكتاب لا حرج عليهم ولو كلفت نفسك البحث قليلاً لما تسرعت في الحكم ولعلمت ان اوقية تجمع على اواق ووقايا واواقي

قلت ان من اغلاط الكتاب استعمالهم « صداق الزوج » بكسر الصاد والصواب فتحها . وفي هذه المرة لم تصب كبد الحقيقة ايضاً اذ استعمال الكتّاب جائز لغة لانه يكون على وزن كتاب وسحاب كما ذكرت وله اوزان اخرى فارجع اليها ان اردت معرفتها

قلت ان الصواب تخمة بفتح الخاء لا سكونها . ولا اعارضك فيما قلت غير ان بيانك ناقص اذ لا يمتنع الاسكان بالمرة بل يجوز شعراً

قلت ان من اغلاطهم استعمال لقطة بضم اللام وسكون القاف . ويظهر انك لم تتوسع في الاطلاع اذ ما انكرته وارد لغة كورود لُقطة وزان هُمَزة

زعمت ان استعمال جرائك بالهمز غلط والصواب جرّاك باسقاطها . ويعلم الله ان الكتاب لم يخطئوا لانه يقال جرائك وجرّاك بتشديد الراء وتخفيفها ايضاً وجريرتك والكل بمعنى من اجلك فانت ترى ان الكتاب مصيبون فيما استعملوه

هذا ما اردت نشره على صفحات الهلال الاغر استدراكاً على ما نشره سليم افندي

عبد الاحد ويعلم الله ان ليس قصدي الا بيان الحقيقة كما هي فإن كان ما ورد صحيحاً فهذا ما اريد وان كان خطأ فلترده عليّ يا حضرة الفاضل رداً جميلاً

طهطا محمد محمد عبد الرحيم

اشكر لحضرة الاستاذ الفاضل حسن ظنه بي وفرط تأدبه في المقال وآسف انه لم تجمعني به صلة معرفة حتى الآن . على ان صلة الادب خير شفيع بين الادباء . ولقد بالغ حضرته في التلطف بحسن الاشارة اليّ بما يشف عن صدر رحب وادب رائع ووافقني على ما اقترحته من دعوة العلماء ورجال الادب لانشاء مجمع دائم يهيمن على اللغة ويذود عن حياضها قبل ان يستفحل د ؤها بتطفل طغمة الكويتبين على موائدها

اما انكاره عليّ بعض ما نبهت اليه من اغلاط الكتاب ففيه نظر يطول بنا امره اذ مجال الاخذ والرد واسع على الكاتب . ولا يأذن لي المجال ان اسهب البحث في تخطئته اياي في بعض الالفاظ التي نبهت اليها وانما اقول ان ما اورده بخصوص ارعد وابرق في محله (وان تكن كتب اللغة قد اهملت صيغة افعل من هاتين المادتين دلالة على ان العرب لم تستعملها) . واما قوله ان عني تستعمل للمعلوم ايضاً بحيث يقال عناه الامر الخ ففيه نظر ولو راجع حضرته عبارتي في الاصل ما تسرع بالحكم وهاك نص كلامي : « ويقولون عَنيت بهذا الامر وانما عنى به فيبنون الفعل للمعلوم وهو على ما في كتب اللغة مبني للمجهول الخ » فانا لم انكر صحة استعمال « عناه الامر » ولا تعرضت لهذه الصيغة وانما قلت ان استعمال « عنيت بالامر » ببناء الفعل للمعلوم مع تعديته بالباء غلط ولا اظن حضرة الاستاذ يخالفني في هذا الرأي

اما قوله بجواز استعمال الثلاثي من قفل وغلق فلا اسلم به لا سيما وان حضرته قد اعترف بان قفل وغلق لغة ضعيفة

وقال ان الاسم من اكراني دابته او بيته الكَرْوة والكُروة بالفتح والضم . ولو راجع حضرته ما قلته لاتضح له انني لم اقصد ضبط حركة الكاف بل قلت ان استعمال الثلاثي من كرى غلط والصحيح اكرى

اما كون تعدية نصح باللام افصح من تعديته بنفسه فتؤيده كتب اللغة ولا عبرة بسهو صاحب المحيط عن التنبيه الى ذلك فقد نقل محيط المحيط قوله : « نصحه ونصح له . . . وعظه واخلص له المودة وهو باللام افصح » . والاية في سورة هود تؤيد ذلك

وكذلك القول في عبأ الجيش فقد اوردت رواية يونس فقط ولم أؤيدها ولا نقضتها . والقول في « غفا يغفو » فقد اوردت رواية ابن السكيت والازهري وكلاهما من اساطين

اللغة وما ناقل الكفر بكافر

اما استعمال اختفى بدلاً من استخفى فلم اجده في شيء من فصيح الكلام وليت الاستاذ اتى بشاهد على صحة قوله اللهم الا بيت الشيخ عمر الفارض

اخفيت حبكم فاخفاني الاسى حتى لعمري كدت عني اختفي

وقد اضطره الوزن والقافية لاستعمال هذه الصيغة · وقد جاء في الصحاح قوله : « استخفيت منك تواريت ولا تقل اختفيت »

وقد نبهني الاستاذ الى صحة استعمال صيغة المطاوعة من كسف وخسف ولم يأت بشاهد على ذلك سوى قوله « يقال كسفت الشمس والقمر احتجبا كانكسفا » ومحصل كلامه ان تفسير كسف بانكسف دليل على صحة استعمال الصيغتين وهي مسألة فيها نظر

وقال حضرته ان استعمال أُرِخّ بالتشديد جائز وان يكن التخفيف هو المعتمد · فلماذا لا نستعمل الفصيح المعتمد عليه ونهجر ما سواه

وكذلك القول في تخمة ولقطة فقد اعترف حضرته بان ما اوردته هو الوجه الصحيح فليس بيني وبينه خلاف وان اجاز البعض روايات اخرى

هذا ما اردت تعليقه على رد حضرة الفاضل ولم يشجعني على ذلك الا ما انسته من خلال سطوره من اللطف الكبير والادب الرائع والله حسبي ونعم الوكيل

سليم عبد الاحد

التشابه في التاريخ

حضرة محرر الهلال

رأيت في باب المناظرة والمراسلة من الهلال الماضي كلمة عن مقالتي « التشابه في التاريخ » المنشورة في العدد العاشر من السنة الماضية قال حضرة كاتبها انه ابهم عليه فهم الفقرة المعنونة (بالتمسك بالدين) لا سيما الجزء الخاص منها بريشليو ومزران ثم اخذ في ابداء رأيه فانكر تعصبهما لمذهبهما لانه ظن انما قلناه عن تعصب ريشليو ومزران لمذهبهما وتمسكهما بدينهما كان سبباً في المنازعات الدينية في عصرهما وشتان بين هذا وما قصدناه وهو ظاهر جلي لا يحتاج الى تأويل . ولا ندري كيف غاب عن فطنته ذلك فحمل كلامنا على غير ظاهره واليك نص عبارتنا بالحرف :

« لا شك في ان كلا منهم كان متعصباً لمذهبه متمسكاً بدينه ولا غرو فان ريشليو ومزران كانا كاردينالين ومكانهما في الدين سام . وكذلك ابن العميد وابن عباد فانهما

لا تقل محافظتهما على الدين والتمسك به منهما . وفي عصرهم كثرت المشاحنات والمنازعات الدينية فما كان في ايام ريشليو ومزران من المخاصمات بين الكاثوليك والبروتستانت حتى سالت الدماء انهاراً وحمي وطيس الحرب والجدال بين الطرفين كذلك كان في ايام ابن العميد وابن عباد من المجادلات والمخاصمات بين اهل السنة والشيعة في بغداد وغيرها من البلاد لان الشيعة كان لهم بعض القوة في ايام بني بويه لان دولتهم كانت شيعية الخ . . . »

فيرى القارئ من ذلك انه ليس فيما قلناه علاقة بين وصف اخلاق الرجلين وبين المنازعات الدينية حتى يلتبس امرها اذ لم نقصد بهما الا بيان اوجه المشابهة فقط لا الاستطراد الى ذكر العلاقات . فوصف اخلاقهما الشخصية وعلى الاخص ريشليو ليس من الامور المستنتجة او غير المحققة بل هو ثابت محقق ليس في التاريخ ما ينقضه ومن يطلع على تاريخ حياتهما يتبين له ذلك باجلى بيان . بل ان هذا الوصف من اظهر اوصاف اخلاقهما الحسنة التي اتينا بهما في مقالتنا وكثيراً ما كانا يظهران به نظراً لمركزهما الديني الهام . فمن ينكر تعصبهما للكثلكة وتمسكهما بالمسيحية وهما من اكابر رؤسائها لانهما كاردينالان اعني من السبعين حبراً الذين ينتخبون البابا ومن وزرائه ومشيريه فالتعصب للمذهب والتمسك بالدين والمحافظة عليه من الصفات اللازمة لامثالهما من اكابر رجال الدين ولو كانا على رأس مناصب سياسية لا سيما في عصرهما الذي كان يحمل كلامنا في وصفه انه تغلب عليه الصبغة الدينية كالذي عاش فيه ابن العميد وابن عباد . فان كان حضرته ينكر تمسك ريشليو ومزران بدينهما او تعصبهما لمذهبهما او ينكر المنازعات الدينية التي كانت بين الكاثوليك والبروتستانت في ايامهما فالتاريخ لا ينكر ذلك بل هذه المسألة قد ملئت بها صحفه واسهب المؤرخون في تفصيلها وسنأتي بعد على شيء من ذلك

اما ما جاء به حضرته من الحوادث يبين فيها عدم تعصب ريشليو فهي لا تؤيد قوله لانه نظر اليها من وجه غير وجهها الصحيح كما انه لا يمكن الحكم بها على اخلاقه الشخصية . فانتصاره للبروتستانت في حرب الثلاثين ضد النمسا (الكاثوليكية) لم يكن سببه حب ريشليو للبروتستانت ولا حباً في نصرتهم كما توهمه حضرته واستدل به على عدم تعصبه وانما انتصر لهم رغبة في كسر شوكة النمسا لانه كان يتبع في سياسته الخارجية سياسة هنري الرابع وهي اضعاف النمسا وتحقير عائلتها المالكة ومقاومة مطامعها المؤسسة على حب التسلط فكانت النمسا وقتئذ اشد خطراً على فرنسا من البروتستانت ولذلك استعان ريشليو بهؤلاء وهم العدو الضعيف على ضربها (أي النمسا) وهي العدو الاقوى حتى اذا فاز على القوي كان الضعيف تحت رحمته تبعاً للسياسة الماكيافيلية

(ماكيافيلزم) التي كان يحداها وهي تقضي بذلك . فهذا هو سر انتصار ريشليو للبروتستانت في حرب الثلاثين الذي ظن حضرته منه ان ذلك دليل على عدم تعصبه والامر بالعكس فانه لم يكن مسوقاً الى هذه الحرب بعواطفه بل دخلها لصالح فرنسا واعلاء كلمها في الخارج باضعاف عدوتها النمسا وقد تم له ذلك بحسن سياسته

أما ما ذكره حضرته عن اعماله الداخلية ونسبها كلها للسياسة بقوله : « انحصرت سياسة ريشليو في غرضين عظيمين وهما تطهير المملكة من اعداء العرش الملكي وبالتالي توحيد فرنسا لان الاشراف كانوا مستأثرين بالسلطة الخ » فنقول لحضرته ان غرض ريشليو لم يكن قاصراً على توحيدها في السلطة والضرب على ايدي الاشراف فقط بل كان غرضه ايضاً توحيدها في الدين اذ كان مذهب فرنسا الرسمي المذهب الكاثوليكي فقد كان مذهب سواد الامة الفرنسوية فلما جاء عهد الاصلاح كما قال الدكتور سينيوبس نشأ المذهب البروتستانتي فكان اذ ذاك حديث العهد في فرنسا ولذلك كان سواد الامة وهم كاثوليك يعدون ظهوره فيها بدعة كما كانوا يعدون المتمسكين به من الخارجين على الدين فكان العداء مستحكماً والمنازعات الدينية على اشدها بين الطرفين رغم مرسوم نانت الذي هدأ به هنري الرابع الحروب الدينية في عهده ومنح فيه البروتستانت عدة امتيازات فلما قام ريشليو بالامر في ايام ابنه لويس الثالث عشر كان من اهم مقاصده وحدة فرنسا الدينية حتى تنتهي هذه المنازعات الشديدة الا انه لم يكن يتسنى له ذلك الا بازالة امر البروتستانت اعداء الحكومة الكاثوليكية والقضاء عليهم

فيتضح من ذلك أن محاربة ريشليو للبروتستانت هذه لم يكن القصد منها كبح جماح فتنة سياسية كما قال حضرته بل كان غرضه منها توحيد الدين في فرنسا وابطال هذه المنازعات الدينية التي كاد ينكر وجودها حضرته وينكر علينا القول بها وهي حقيقة ثابتة عن عصر ريشليو افاض المؤرخون في تفصيلها . قال الدكتور سينيوبس في كتابه تاريخ التمدن تحت عنوان الحروب الدينية بعد كلام طويل على هذا العداء وهذه المنازعات : « كان العداء مبدأً عاماً للكاثوليك والبروتستانت في القرن السابع عشر (عصر ريشليو ومزران) وقد قال بوسيه ان البروتستانت يوافقوننا في القول بان الامراء المسيحيين لهم الحق في استخدام قوة السلاح واعمال السيف في اعداء الكنيسة والمذهب المقدس من رعاياهم »

هذا ونكتفي الان بما تقدم خوف التطويل بعد أن تبين للقراء صدق روايتنا التي لم نأت بها الا ونحن على ثقة من انها حقيقة تاريخية اذ لا غرض لنا الا تقرير الحقيقة

عبد الفتاح عباده

اليونان

مجدها الماضي وانبعاثها الحديث

شخصت أبصار العالم في بضعة الاشهر الماضية الى دولة اليونان ترقب الخطة التي تتخذها أزاء هذه الحرب . ويرى كبار الساسة انه يتعذر على اليونان الاحتفاظ بحيادها مدة طويلة وقد اضطرمت النار حولها من كل جانب وانه لا بد لها من خوض ساحة الوغى عاجلاً أو آجلاً . ان هذا الموقف الحرج الذي وقعت فيه بلاد اليونان يذكرنا بماضيها المملوء حوادث تاريخية منذ فجر المدنية الى هذا اليوم وما تقلب عليها من الدول والممالك يونانية وغير يونانية الى ان بعثت ثانية من رقدتها وتم لها الاستقلال في سنة ١٨٣٠



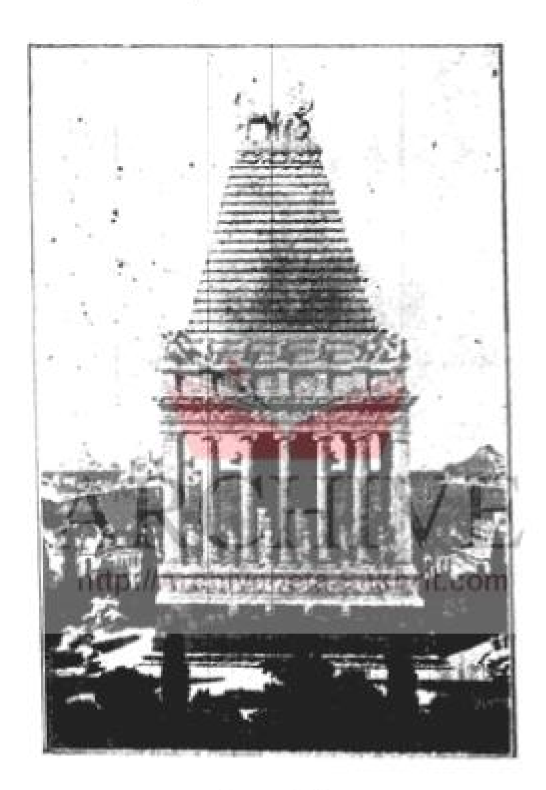
هوميروس الشاعر الشهير — هيرودوتس ابو التاريخ

قال أحد مشاهير المؤرخين : « يشبه اليونان الاسرائيليين بمحافظتهم على جنسيتهم وروحهم الوطنية بالرغم من كل ما تقلب عليهم من صنوف الحاكمين وما اعتراهم من الاضطهاد والتشتيت مع مرور الاجيال » ولا يختص تاريخ اليونان بدولة واحدة — كتاريخ فرنسا او انكلترا مثلاً — بل هو تاريخ دول صغيرة شتى قد كان لكل منها حكومة خاصة ودستور خاص حتى ان ارسطو لما ألف كتابه في تكوين الدول اليونانية اضطر الى ذكر مئة وثماني وخمسين نظاماً مختلفاً لها . ثم ان التاريخ اليوناني لا ينحصر في شبه جزيرة اليونان فقط فقد انتشر هذا الشعب النشيط من جبال البرينه الى جبال القوقاس ومن جنوبي روسيا الى شمالي افريقيا

غيران اليونان وان لم ينالوا الوحدة السياسية (الا اتحادهم كلما وقعوا في خطر مشترك) فقد حصلوا منذ نشأتهم على الوحدة الادبية والدينية

علاقة يونان اليوم باليونان القدماء

ولا بد لنا الآن من درس نسبة يونان هذا العصر الى اليونان القدماء. فقد ذهب جماعة من الكتاب الى ان الشعب اليوناني القديم واللغة اليونانيـة القديمة قد انقرضا



ضريح الملك موزوليوس

تمثل هذه الصورة ضريح الملك موزوليوس الذي بنته له زوجته وكان يعد من العجائب السبع في العالم القديم

وانهما مختلفان كل الاختلاف عن الشعب اليوناني الحديث واللغة اليونانية الحاضرة . ولكن جميع المباحث الحديثة تأول الى نقض هذا الرأي وتبين متانة الصلة بين الشعبين واللغتين . ولا شك انه طرأ على كليهما بعض التغيير مع مرور الاجيال وتوالي الدول والعناصر المختلفة ولكن هذا التغيير لا يخرج عن كونه نتيجة لسنة النشؤ والتدرج الطبيعية الشاملة لجميع الاحياء وما يتعلق بهم . قال احد الثقات في هذا الموضوع : « ان

الفرق بين يونان اليوم واليونان في ايام زينوفون اقل من الفرق بين انكليز القرن الرابع عشر وانكليز اليوم »

ان للشعب اليوناني مقدرة غريبة على الاحتفاظ بكيانه على رغم صروف الزمان وامتزاجه بالشعوب المختلفة . بل ان اليونان بدلاً من ان يندمجوا مع فاتحي بلادهم ويتشربوا من مشاربهم وعاداتهم كانوا يؤثرون فيهم ويحولونهم شيئاً فشيئاً الى آدابهم واخلاقهم . وقد قال أحد المؤرخين : « اصبحت الامبراطورية الرومانية بعد فتح بلاد اليونان يونانية في الروح والآداب وان تكن اليونان رومانية في الظاهر » وقد سمّى رينان هذه الميزة « بالعجيبة اليونانية »

ولا شك ان لطبيعة البلاد اليونانيـة وموقعها الجغرافي القسط الاكبر في تكوين



صولون الشارع الاثيني — الفيلسوف ديوجينس

الروح اليونانية وحفظها مع مرور الاجيال . وقد جاء تاريخ اليونان برهاناً ساطعاً على رأي الفيلسوف القائل « تتكون الامم كما تشاء الشمس والارض والمياه والزوابع » وكل من يزور شبه جزيرة اليونان لابد ان تتجلى له الصلة المتينة بين اطوار الشعب اليوناني وطبيعة تلك البلاد . انظر الى كثرة جبال شبه الجزيرة هذه وتفرقها والى قلة سهولها واوديتها وما يحيط بها من الجزر الجبلية كانها حلقات موصلة الى آسيا وتأمل في انقسامها الى قسمين يفصلهما خليج كورنتس ولا يجمع بينهما الا عنق ضيق من الارض يتضح لك ما امتاز به التاريخ اليوناني من انقسام الاهلين الى مدن عديدة مستقلة وتفوّق الشعب اليوناني في اتقان النظامات والدساتير وحبهم للاسفار والاستعمار — بل ان آثار طبيعة البلاد بادية في تعدد آلهتهم وفي سائر ظواهر حياتهم الادبية والفنية والاجتماعية كما يتضح لكل من يدرس التاريخ اليوناني

اجمال تاريخي

ينقسم تاريخ البلاد اليونانية بطبيعته الى ستة اقسام كبرى :

أولاً : من الازمنة الخرافية الى حروبهم مع الفرس أي من سنة ٢٠٠٠ الى ٤٩٢ ق . م .



امثلة من الفنون اليونانية

وفيها النقود والاقراط والحجارة الثمينة والعقود والاواني المزخرفة

جملة على انواعها

ثانياً : من حروب الفرس الى الاسكندر اي من سنة ٤٩٢ الى ٣٣٦ ق . م .

ثالثاً : من الاسكندر الى الفتح الروماني اي من سنة ٣٣٦ الى ١٤٦ ق . م .

رابعاً : من الفتح الروماني الى الفتح العثماني اي من سنة ١٤٦ ق . م . الى ١٤٥٣ م

خامساً : دور السيادة العثمانية من سنة ١٤٥٣ الى سنة ١٨٣٠

سادساً : دور الاستقلال او الانبعاث من سنة ١٨٣٠ الى هذا اليوم

وسنلقي فيما يلي نظرة عامة على هذه الاقسام فنقول :

تدل احدث الاكتشافات في جزيرة كريت على ان اهلها بلغوا درجة رفيعة من المدنية والحضارة قبل بدء الدور التاريخي في شبه جزيرة اليونان بالف سنة على الاقل . وقد قطن بلاد اليونان في هذه الاثناء اقوام خرافيون لا يعرف عنهم الا القليل لان تاريخهم ممزوج بالخرافات والاساطير المختلفة نكتفي منها بذكر « الحملة الارغونوتية » [١] وحرب تروادة [٢] . ويظن اكبر الثقات في التاريخ اليوناني اليوم ان لهاتين القصتين الخرافيتين اصلاً تاريخياً حقيقياً وهما تدلان على رغبة اليونان منذ القدم في الفتح والاستعمار وفي سنة ١١٠٤ ق . م . بدأ نزوح القبائل الهيلانية الى تلك البلاد وبهم يبدأ تاريخ اليونان الحقيقي



بركليس المصلح الاثيني — اسكندر المقدوني

وبالاختصار فقد كانت البلاد في هذا الدور الاول مقسومة الى قسمين رئيسين (يقابلان انقسام البلاد الى شطرين عند خليج كورنتس) القسم الجنوبي ومركزه سبرطة والقسم الشمالي ومركزه اثينا . وقد شغلت منازعات هاتين المدينتين للحصول على السيادة الجزء الاكبر من تاريخ اليونان القديم . وكانت سبرطة تمثل الروح العسكرية المحضة واثينا تمثل الحضارة والرقي الادبي

---

(١) وملخصها ان اميراً يدعى ياسون سافر بحراً في جملة من اصحابه الى كولشس الواقعة شرقي البحر الاسود بقصد التفتيش عن حمل عجيب له صوف من ذهب

(٢) كانت تروادة هذه مدينة عظيمة على شواطىء آسيا الصغرى وسبب تلك الحرب ان باريس ابن ملك تروادة اختطف امرأة ميناوس احد امراء اليونان فتحد كل ملوك اليونان لمقاصته فساروا بحراً الى تروادة في الفي شراع واستولوا على المدينة بعد حصار عشر سنوات (نحو سنة ١١٨٤) وقد وصفها شعراً هوميروس في الياذته الشهيرة

ولم يمض مدة طويلة على استقرار اليونان في شبه جزيرتهم حتى ضاقت عنهم فبدأوا يهاجرونها الى البلاد المجاورة لا سيما من سنة ٨٠٠ الى سنة ٦٠٠ ق . م . فشادوا المدن المختلفة على شواطئ البحر الاسود وآسيا الصغرى وسائر جهات البحر المتوسط ونشروا تجارتهم وآدابهم في العالم كله . واليونان من اشد الشعوب تعلقاً بوطنهم مهما ابتعدوا عنه تراهم يحافظون على ودّه ويسعفونه بكل ما في طاقتهم اذا داهمه خطر اووقع في شدة — هكذا كانوا في قديم الزمن ولا يزالون الى يومنا هذا

ولا حاجة بنا الى الافاضة في ذكر الشأو البعيد الذي بلغه اليونان في رقيهم ومعيشتهم الاجتماعية فهي اشهر من ان تحتاج الى التكرار . وكيفما ادرنا الطرف في حياتنا الحاضرة —



الاله هرمس يحمل الطفل ديونيس
صنع هذا التمثال النحات اليوناني بركسيتلس وهو من افضل الامثلة على رقي الفنون الجميلة عند اليونان

في نظامنا السياسي والاجتماعي وفي آدابنا وفنوننا وسائر احوالنا وجدنا آثار المدنية اليونانية ظاهرة جلية

خذ مثلاً على رقيهم الدرجة التي بلغوها في حياتهم السياسية فكانوا في هذا المضمار معلمي سائر الشعوب ومؤسسي النظامات الحديثة . وقد كانت فكرة « الجمهورية المثلى » تحوم ابداً في مخيلة الشعب اليوناني ولعله اقترب من تحقيقها في عصر بريكليس الشهير (٤٦٦—٤٣١ ق . م .) الذي ازدهرت فيه العلوم والفنون ونبغ نفر من اعاظم الرجال الذين يندر ان يجتمعوا معاً في عصر واحد نذكر منهم سقراط وسوفوكليس واوريبيدس

واريستوفانس وتوسيديدس وهيرودوتس وابقراط وفيدياس . وقد ادرك ساسة اليونان منذ ذلك الزمن ان موقعها الجغرافي يستدعي ان يكون لها اسطول كبير لحمايتها وكان تميستوكليس — رجل اثينا الكبير — لا يفتأ ينصح الاثينيين ان يزيدوا اسطولهم . ثم جاءت معركة سلاميس البحرية التي انتصر فيها على الفرس (٤٨٠ ق. م.) تبين حكمته وصحة نظره





في اعلى الشكل تمثال الفيلسوف سقراط وهو اول القائلين بوجود الله وفي أسفله صورة السجن الذي سجن فيه وقتل بسبب « تعاليمه الفاسدة »

ولكن النزاعات الداخلية لا سيما بين اثينا وسبرطه ما برحت تشتت شمل المدن اليونانية وتحول دون اجتماعها تحت حكومة واحدة ونظام واحد فسهل انقسامها هذا فتح الاسكندر المقدوني لها وهيأ له عمله . وما برحت المدنية اليونانية منذ ذلك الحين كالخميرة

تلحق الجيوش اليونانية حيثما سارت فتنشر في العالم آداب اليونان وفنونهم وعلومهم — حتى انه لما اخضعت رومية شبه جزيرة اليونان كان النصر الادبي في الحقيقة لليونان فقد تغلبت روحهم ومدنيتهم على الروح الرومانية والمدنية الرومانية ومنذ ذلك الحين نشأت الآداب الرومانية كانها تكملة للاداب والفنون اليونانية — ثم ان سلطة اليونان المعنوية على العالم لم تصدر من اثينا فقط فقد جاءت بعدها مدينة الاسكندرية التي كانت مناراً للعالم في ذلك العصر

بقيت اليونان اربعة قرون بعد الفتح الروماني وليس لها تاريخ خاص اللهم الا مساع قليلة للاستقلال كان مصيرها الفشل . ولكنها رغم كونها مقاطعة رومانية فقد كانت على شيء يذكر من الاستقلال الذاتي حتى كان يصح ان تعد حليفة لرومية لا خاضعة لها .



ملعب ايبدورس كما هو اليوم وهو مثال حسن للملاعب اليونانية

لا سيما في ايام الامبراطور هادريانوس الذي كان شغفاً بالمدنية اليونانية وقد شيد في اثينا القصور والمساجد ليحسنها ويزيد في جمالها

ولما اجتاحت الشعوب الجرمانية وغيرها الامبراطورية الرومانية أصاب اليونان شيء من فتحهم وتخريبهم وقد رد الامبراطرة الرومان بعض تلك الشعوب عن البلاد اليونانية ولكن بعض القبائل السلافية واخصها البلغار تمكنوا من توطيد اقدامهم فيها حول منتصف القرن السادس للميلاد واصبحت تلك الجهة منذ ذلك الحين ميداناً للنزاع والقتال غير ان البلغار حازوا النصر اخيراً وبقيت البلاد في حوزتهم نحو ثلاثة قرون ونصف

وفي سنة ١٠٥٣ حدث الانشقاق الشهير بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية

فكان منشأ النزاع بين الشرق والغرب . وفي سنة ١٢٠٤ وجه الصليبيون قواتهم نحو الاستانة ودخلوها . ثم استولوا على معظم اليونان واقاموا فيها ممالك صغيرة مختلفة يطول بنا تفصيل امرها . ولكنها اضمحلت جميعاً سنة ١٢٦١ برجوع سلطة الدولة البزنطية على عهد ميخائيل باليولوغس . وظلت اليونان تحت سيطرة عائلة باليولوغس هذا لغاية سقوط الاستانة في يد الاتراك سنة ١٤٥٣

ومن نتائج الفتح التركي الكبرى انه أدى الى مهاجرة طائفة كبيرة من علماء اليونان الى الغرب فحملوا معهم علومهم وآدابهم وكانوا مؤسسي النهضة الاوربية الكبرى التي تعرف عند الافرنج بالرينسانس Renaissance . ثم ان الاتراك انفسهم استعانوا بعلم اليونان واستخدموهم في الوظائف الادارية والسياسية نظراً لاقتدارهم وحنكتهم في هذا المضمار حتى ان البعض منهم تولوا الصدارة العظمى وانصرفوا هم الى الحروب والفتوحات

وكانت البندقية في ذلك الزمن في ابان زهوتها فزاحمت الاتراك مدة قرنين ونصف تقريباً على بلاد اليونان وجزرها واستولت على اجزاء منها فترات من الزمن . وحصل في هذه الاثناء (سنة ١٦٨٧) ان « الضرورة الحربية » اقتضت تدمير « البرثينون » وهو اجمل بناء شيد فوق وجه الارض على يد جنود البندقية

ثم قام للدولة العثمانية بعد البندقية مناظر عظيم ما برح يناهضها الى يومنا هذا — نعني الدولة الروسية. ففي سنة ١٧٧٠ ارسلت الامبراطورة كاترينة الثانية حملة الى اليونان تحرضهم على التخلص من نير الاتراك (ولا تخفى الصلة الدينية التي تربط روسيا باليونان) فثار اليونان ففشلوا وعوقبوا عقاباً شديداً ولكنهم ما زالوا يترقبون الفرص للنهوض . وقد كانت الثورة الفرنسوية من اكبر عوامل التحريض على الاستقلال

ومنذ ذلك الحين اهتم الاوربيون بامر اليونان وقام نفر من كبار الادباء يطالبون بحريتهم . وفي مقدمتهم الفيلسوف فولتير والشاعر بيرون الشهير . وقد بلغ حب اليونان من هذا الاخير ان حارب معهم في حرب الاستقلال وقتل سنة ١٨٢٤

اما حرب الاستقلال فبدأت في سنة ١٨٢١ بمساعدة روسيا وقيادة الامير اسكندر ايبسيلانتي . وكانت قد تأسست في سنة ١٨١٤ في مدينة اودسا بروسيا جمعية هيتريا السرية اسسها ثلاثة من تجار اليونان فنمت وقويت وكان لها اليد الطولى في حرب الاستقلال

واخذت الحركة الثورية تنتشر في بلاد اليونان شيئاً فشيئاً حتى اضطر السلطان ان يستعين بمحمد علي فارسل اليه ابراهيم باشا فاخمد الثورة وانتصر في معركة ميسو لونغي . ولكن الدول الاوربية جاءت حينئذ لانقاذ اليونان فارسلت حملتين واحدة برية وواحدة

بحرية ووقعت معركة نافارين الشهيرة التي انكسر فيها الاسطول العثماني المصري شر كسرة ثم اجلت الجيوش الفرنسوية الاتراك عن المورة . واصبحت اليونان اذ ذاك جمهورية حرة وكان رئيسها الاول الكونت حنا كابودستريا واعترفت تركيا بهذا الاستقلال سنة ١٨٢٩

الا ان رئيس الجمهورية اليونانية المتقدم قتل سنة ١٨٣١ على اثر نزاعات وخلافات ووقعت البلاد في فوضى فلم تجد الدول سبيلاً للتخلص من هذا المأزق الا بجعل اليونان مملكة وتصيب ملك اجنبي عليها فوقع الخيار على الامير اوتو البافاري وكان شاباً يبلغ الثامنة عشرة من العمر على انه لم تكن فيه المقدرة لارضاء الشعب فانزل سنة ١٨٦٢ وبقيت اليونان مدة قصيرة تحت حكومة وقتية



معبد « تيسيون » ولا يزال محفوظاً بتمامه الى اليوم

وفي سنة ١٨٦٣ اهتم اليونان في انتخاب ملك بالتصويت العام فانتخبوا البرنس الفرد ابن الملكة فكتوريا. غير ان انكلترا وفرنسا وروسيا كانت قد تعاهدت ان لا تنصب أميراً من عائلاتها المالكة على العرش اليوناني . فانتخب اليونان ابن ملك الدانمارك فجاء الى بلاد اليونان في نوفمبر سنة ١٨٦٣ وتسلّم زمام الاحكام ودعي جورج الاول . وقد كانت الجزر اليونانية منذ سنة ١٨١٥ تحت حماية الانكليز فاهدوها الى الملك الجديد

وقد حكم الملك جورج خمسين سنة (١٨٦٣ — ١٩١٣) تقدمت البلاد في اثنائها تقدماً محسوساً رغم بعض المواقف السياسية الحرجة مع الدول الاوربية التي اضطرت مرتين الى اعلان الحصر التجاري على سواحلها ورغم انكسارها في حربها التي اثارتها ضد تركيا سنة ١٨٩٧ . ولا تزال حوادث الحربين البلقانيتين في ذهن القراء وقد خرجت اليونان منهما ظافرة . وارتقى الملك قسطنطين الحالي العرش في ١٨ مارس سنة ١٩١٣ خلفاً لابيه الذي قتل غدراً في سالونيك

كيف تقترض الدول ؟

طرق الاقتراض وشروطه وانواعه

ان القروض التي تقترضها الدول في هذه الحرب تفوق بعظمتها كل ما اقترضته في ما مضى والارجح انها لا تأتي على آخر هذه المأساة الدولية حتى ترى كل منها دينها متضاعفاً مرتين أو ثلاث مرات او اكثر . ولا بد لنا قبل النظر في الاقتراض وشروطه وانواعه من الاجابة على هذا السؤال وهو : هل للدول حق الاقتراض وهل من العدل ان تلقي على الاجيال المقبلة عبئاً ثقيلاً قد يعوقها عن التقدم والارتقاء ؟ يعتقد فريق من الاقتصاديين انه على كل جيل ان يفي القروض التي عقدها وان لا يخلف بعده احمالاً تئن تحتها الاجيال القادمة . اما الفريق الآخر فيرى ان كل جيل يرث عن سلفه الحسنات والمساوىء معاً فكما يرث الحضارة والارتقاء لا بد له من ان يرث ايضاً بعض المساوىء الملازمة لكل مدنية — كالديون مثلاً — لا سيما اذا عقدت في سبيل المحافظة على كيان الدولة

ثم ان القروض ما زالت ضمن حدود معقولة فالخطر الناجم عنها لا يخشى منه كثيراً . لنأخذ فرنسا مثلاً صاحبة اكبر دين بين الدول الاوربية فقد كان دينها قبيل الحرب ٣٣ مليار فرنك [١] وهو مبلغ عظيم بلا ريب الا اننا اذا قارناه بدخل الشعب الفرنسوي في السنة ويقدر بنحو ٣٠ ملياراً من الفرنكات (اي ما يعادل كل دينها تقريباً) وبثروة فرنسا التي تقدر بنحو ٢٥٠ ملياراً من الفرنكات اتضح لنا ان لا خطر عليها من جرّى ذلك — كصاحب المال الذي تبلغ ثروته ٢٥٠ الف فرنك ودخله السنوي ٣٠ الفاً لا تكون ماليته مهددة اذا اقترض ٣٣ الفاً

(١) اليك ديون الدول الكبرى قبيل الحرب وما كان يلحق كل فرد من سكانها :

فرنسا	٣٣	مليار فرنك يلحق الفرد منها	٨٤٠	فرنك
المانيا	٢٥	»	٣٨٠	»
روسيا	٢٤	»	١٤٤	»
النمسا	١٩	»	٣٧٣	»
انكلترا	١٨	»	٤٠٠	»
ايطاليا	١٤	»	٤٠٠	»
الولايات المتحدة	١٤	»	١٥٠	»

الفرق بين قروض الافراد وقروض الدول

بين قروض الدول وقروض الافراد فروق شتى اهمها ما يأتي :

أولاً : ان الدول لا تساوم مع مداينيها مقدار الدين وفوائده كما يفعل الافراد بل تصدر سندات بقيمة معلومة ذات دخل معين تحدده هي بحسب ما يأذن به السوق المالي ولا يخفى انه اذا لم تكن شروطها مرضية لا تجد من يقرضها من الاهلين

ثانياً : ان رأس مال الدين الذي تستدينه الدول لا يرد لاصحابه في الغالب ولذا تسمى هذه الديون ذات الدخل الدائم Rente perpétuelle وقد يستغرب القارىء لاول وهلة كيف ان اصحاب الاموال يقدمون على الاشتراك في قرض ولا أمل لهم في الحصول على رأس مالهم . فالجواب ان اصحاب الاموال غالباً انما يهمهم ان يستثمروا ثروتهم وان يضمنوا لانفسهم دخلاً سنوياً معلوماً . ثم انه على فرض انهم احتاجوا الى رأس مالهم فيمكنهم بيع سنداتهم بسهولة في البورصة بالسعر الجاري

ثالثاً : للدولة الخيار في وفاء دينها في اي وقت تشاء وان تكن غير مجبورة على ذلك كما رأينا . ومن الواجب على الدول تخفيف عبء ديونها بقدر الامكان كلما اذنت لها حالتها المالية بذلك

رابعاً : تقبض الحكومة من دائنيها أقل من القيمة المرقومة على السندات . واليك تفصيل ذلك :

لنفرض ان دولة من الدول تريد اقتراض مبلغ من المال وانه لا يمكنها ذلك بفائدة اقل من ٥ في المئة فاسهل الطرق وابسطها هي أن تصدر سندات قيمة كل منها مئة فرنك مثلاً بفائدة ٥ في المئة وان تبيعها بقيمتها المذكورة — وهذا ما تفعله بعض الدول . الا ان اغلبها تطرق المسئلة بطريق آخر فتصدر سندات قيمتها الاسمية (اي المرقومة عليها) مئة فرنك مثلاً بفائدة ثلاثة في المئة وتبيعها بستين فرنكاً فقط ولا يخفى انه اذا كانت فائدة الستين فرنكاً ثلاثة فرنكات كان ذلك باعتبار خمسة في المئة

فما الفائدة اذن من هذه الحيلة ؟ اما من جهة الدائن اولا تزيد رغبته في قرض الدولة لانه مقابل الستين فرنكاً يأخذ صكاً قيمته المرقومة عليه مئة فرنك ويبقى عنده الامل بارتفاع سعره الجاري الى هذا المبلغ اذا توطدت الثقة بمالية الدولة . وقد حصل ذلك فعلاً غير مرة في تاريخ اوربا الحديث . اما من جهة الدولة فقد يتبادر الى الذهن ان الاستدانة بهذه الكيفية خطر عظيم عليها لانها اشبه باستدانة بعض الابناء الضالين من

المرابين الذين لا يقرضون مالهم الا مقابل تعهد بدفع ضعف المبلغ المقروض فعلاً . ولكننا اذا امعنا النظر في المسئلة وجدنا ان الذي يهم الدولة حقيقة انما هو الاقتراض باقل فائدة ممكنة وقد رأينا ان رأس المال لا يرد لاصحابه . فهذه الوسيلة تجعل الدائن اكثر تساهلاً لانه يُؤمل دائماً ارتفاع سعر سنداته فيقبل بفائدة اقل قليلاً مما لو لم يكن له هذا الامل

هذه هي الطريقة المتبعة في الغالب وقد قاومها معظم الكتاب الاقتصاديين بحجة انها غير عادلة لانها تحمل الدول احمالاً تئن تحتها الاجيال القادمة وهي تتزايد مع مرور السنين بدلاً من ان تنقص وقد فضلوا عليها القروض التي يستهلك رأس مالها تدريجاً . وهذا الاستهلاك امر سهل لا يستدعي نفقات باهظة لا سيما اذا كانت المدة التي سيتوزع عليها طويلة . وكيفية ذلك ان الحكومة تخصص مبلغاً صغيراً من المال لاستهلاك بعض السندات غير المبلغ المخصص لفوائد القرض ثم تسحب ارقام الاوراق الهالكة باليانصيب وتسد قيمتها لاصحابها . ثم ان الفوائد التي كانت مخصصة لهذه الثمر الهالكة تستعمل لاستهلاك اوراق اخرى وهلم جراً تزيد كمية الاوراق الهالكة في كل سنة بازدياد الفوائد التي كانت مخصصة لها الى ان يستهلك القرض كله

وهناك طريقة ثالثة للاقتراض لعلها افضل من الطريقتين السالفتين وهي تقضي بادىء بدء باعتبار رأس المال هالكاً وليس على الحكومة المستدينة الا دفع الفوائد في مدة معينة من الزمن كثلاثين سنة مثلا او خمسين او مئة سنة فلما تنتهي هذه المدة يصبح الدين ملغًى . وقد استعملت انكلترا على الخصوص هذه الطريقة غير مرة

اما الديون العادية التي يدفع رأس مالها في اجل معين — كمعظم الديون التجارية بين الافراد — فقلما تستعملها الدول الا ان حكومة الولايات المتحدة قد استعملتها مراراً واستعملتها ايضاً بعض الدول الاوربية في بعض الاحيان

كيفية الاقتراض

للدولة التي تريد الاقتراض الخيار في احدى الطرق الآتية :

(١) يمكنها اولاً ان تستخدم بعض المصارف الكبرى لهذا الغرض فتجعلها الواسطة بينها وبين الجمهور . اي ان الحكومة تبيع الاوراق للبنك بسعر معلوم والبنك يتولى تصريفها بين الاهلين . ولا يخفى ان البنوك التي تتكفل بهذا العمل لا تقبله الا بعد ان تضمن لنفسها ربحاً اكيداً منه

(٢) تكتفي الحكومة في بعض الاحيان ان تبيع سنداتها مباشرة في البورصة بالتدريج كما شعرت باحتياج الى مبلغ من المال بدون تحديد مبلغ القرض بادئ بدء

(٣) ولكن الطريقة الشائعة اليوم في معظم الدول المتمدنة هي طريقة « الاكتتاب العمومي » ومؤداها ان الحكومة تحدد اليوم الذي تبدأ فيه الاكتتابات واليوم الذي تنتهي فيه فيكتتب الجمهور بين هذين اليومين وتتمكن الامة بهذه الطريقة من اظهار ثقتها بالحكومة ومشاركتها في خطتها كما فعلت الامة الفرنسوية بعد حرب السبعين اذ اكتتب الجمهور بثلاثة عشر ضعف المبلغ الذي طلبته الحكومة . وكما فعل شعوب الحلفاء في القروض الاخيرة

تخفيف وطأة الديون

لا يخفى انه اذا ظلت الديون تتراكم على الحكومات بدون تخفيفها او ايفائها لكان مصيرها الى الافلاس مؤكداً . الا انه امام الدول طريقتان لتخفيف ديونها ومن الواجب على كل حكومة ان تترقب الفرص التي تأذن بتخفيف عبء ديونها على ماليتها . اما الطريقتان فاحداهما لتخفيف رأس مال الدين نفسه والاخرى لتخفيف فوائده وهما :

﴿ الاستهلاك ﴾ رأينا ان بعض انواع الديون تستهلك من نفسها واستهلاكها ملازم لها . اما الاستهلاك الذي نحن بصدده فانه اختياري يجوز للحكومة استعماله كلما سنحت لها الفرصة لتخفيف رأس مال دونها . اذ لا يخفى ان الحكومة — وان تكن غير مجبورة على ارجاع رأس المال لدائنيها كما رأينا — فلا مانع يمنعها من ذلك متى رأت الفرصة ملائمة

ولكن الحكومة لا تدفع ثمن سنداتها مباشرة لحامليها لانها اذا فعلت وجب عليها ان تدفع المبلغ المرقوم على السندات بل تفضل ان تشتريها في البورصة بالسعر الجاري وهو غالباً اقل من السعر المرقوم فتصبح الحكومة بهذا العمل الدائن والمدين في آن واحد فيلغى الدين بطبيعة الحال . غير ان هذا الاستهلاك يستدعي من اول الامر ان تزيد دخل الحكومة على نفقاتها والواقع انه ينقص عنها في اغلب الاحيان ولذا قلما يستعمل الاستهلاك في هذا العصر . واذا استعمل كان للتمويه على الشعوب لان الحكومة التي تستهلك جزءاً من دينها من جهة تقترض اضعاف المبلغ المستهلك من الجهة الاخرى فالحكومات تفضل اليوم كلما سنحت لها الفرصة تخفيض فوائد قروضها بطريقة التحويل الآتية

﴿ التحويل Conversion ﴾ قلنا ان الحكومة يمكنها ان تخفض رأس مال ديونها

او ان تكتفي بتخفيض الفوائد التي تبلغ مقداراً عظيماً في كل سنة . لا سيما وان العبء الثقيل الدائم في ديون الدول انما هو الفوائد التي يجب دفعها في كل سنة اما رأس المال فيمكن ارجاؤه الى ما شاء الله . ولكن كيف يجوز تخفيض الفوائد ؟ ان أول ما يتبادر الى الذهن ان ذلك امر مستحيل لان الحكومة قد تعهدت بدفع فوائد معينة فكيف يمكنها نقض تعهدها هذا ؟ ان الامر ابسط مما يظهر لاول وهلة

لنأخذ مثالاً حقيقياً يوضح لنا كيفية ذلك : في سنة ١٩٠٢ حوّلت الحكومة الفرنسوية دينها الذي كانت فائدته ٣ ½ في المئة الى دين فائدته ٣ في المئة فقط وقد تمكنت بهذه الطريقة من اقتصاد ٣٤ مليون فرنك كل سنة . وكان سعر السندات يومئذ في السوق المالي ١٠٢ فرنك اي انه زاد عن سعرها المرقوم عليها بفرنكين . فاغتنمت الحكومة هذه الفرصة وقالت لدائنيها : « يجب ان تختاروا احد الامرين : اما ان تقتنعوا بفائدة ٣ في المئة بدلاً من ٣ ½ او ان تقبضوا قيمة الصكوك التي تعهدت بدفعها لكم اي مئة فرنك عن الصك حسب ما هو مرقوم عليه » ولا يجب ان يبرح من ذهننا ان للحكومة الحق في اي وقت شاءت ان تدفع لدائنيها ما لهم عليها اي القيمة المرقومة على السندات بالضبط . وقد فضل معظم الدائنين حينئذ تخفيض الفائدة على قبض مئة فرنك لان في ذلك اولاً خسارة فرنكين وخصوصاً لان الامل كان معقوداً على دوام ارتفاع سعر هذه الصكوك . لا سيما وانه كان يتعذر على اصحاب المال في تلك السنة استثمار اموالهم في امور ثابتة بفائدة تزيد على ثلاثة في المئة

فنرى مما تقدم ان التحويل غير ممكن الا اذا توافر شرطان : اولهما يجب ان يزيد السعر الجاري لسندات الدين على سعرها المرقوم لان الدائنين لا يترددون في قبض مئة فرنك مثلاً اذا كان سعر الاوراق في البورصة اقل من هذا المبلغ وثانيهما يجب ان تكون فوائد المال في الاسواق التجارية في انخفاض حتى يتعذر على الدائنين ان يجدوا طرقاً لاستثمار اموالهم افضل من الشروط التي تقدمها لهم الدولة

* * *

هذا كلام اجمالي عن قروض الدول ينطبق على وقت السلم ووقت الحرب وقد كان بودنا ان نقول كلمة خاصة عن قروض الدول المتحاربة الا انه يتعذر كشف الغيب في هذا المضمار ونحن نسمع في كل يوم عن القروض الجديدة التي تقترضها تلك الدول ولا يعلم احد الحدّ الذي تقف عنده فحسبنا الاكتفاء بما نعلم

الحرية عند التوتون

كيف يعيش الناس في المانيا

المستر ريموند فوزديك مستشار بلدية نيويورك ومراقب حساباتها هو من اوسع الاميركين علماً وخبرة بانظمة البلديات الاجنبية المختلفة وكان معهد روكفلر قد اوفده في سنة ١٩١٣ الى اوربا لدرس نظامات البوليس فيها . وقد نشرت له مجلة الاوتلوك الاميركية فصلاً عما رآه في المانيا من هذا القبيل . قال ما خلاصته :

ليس كلامي عن المانيا مبنياً على احوالها الحاضرة فان هذه الاحوال هي غير الاحوال الطبيعية العادية نظراً للحرب الناشبة الآن لان للحرب احوالاً ومقتضيات يجب مراعاتها ليس في المانيا فقط بل في جميع الممالك . لذلك اقتصر على الكلام عن المانيا في زمن السلم اذ تكون البلاد في حالها الاعتيادية . ولا شك ان بحثاً كهذا يهمنا نحن معشر الاميركين اذ ليس فينا من لم يسأل نفسه هذا السؤال وهو « اذا اتيح لالمانيا ان تنتصر في هذه الحرب فما هي الحرية التي ستتمتع بها رعيتها اي ما هو نوعها ومقدارها ؟ »

لو فرضنا ان جماعة من الاميركين الذين رضعوا لبان الحرية ونشأوا في رياضها نزحوا الى المانيا فاقاموا بها وتجنسوا بجنسيتها . فالفرق الذي يشاهدونه بين حالتهم الماضية في اميركا وحالتهم الحاضرة في المانيا ؟

حرية القول والقلم

يرون قبل كل شيء انهم قد اضاعوا حرية الكلام . لان الالماني لا يستطيع ان يعبر عن افكاره وآرائه بنفس الصراحة والحرية اللتين هما من حقوق الاميركي — ليس على منابر الخطابة فقط بل على صفحات الجرائد والمجلات عامة . وسبب ذلك ان قانون المطبوعات الالماني يحتم على كل جريدة او مجلة او صحيفة ان ترسل نسخةً من كل عدد يصدر الى « قسم البوليس » التابعة له تلك المجلة او الصحيفة . ولكل « قسم » دائرة خاصة بالمطبوعات والمنشورات على اختلاف انواعها وهي تقوم بوظيفتها باسرع من البرق الخاطف ولها سلطة مطلقة لمعاملة اصحاب تلك المطبوعات والمنشورات بما يتراءى لها . فاذا شاءت حجزت تلك المطبوعات (اي صادرتها) ومنعت تداولها واقامت دعوى جنائية على صاحبها وهو ما يقع غالباً . اما الحجز (المصادرة) فلادارة البوليس سلطة على اجرائه بدون حكم قضائي وبدون اذن من المحكمة اذا شاءت . والغالب ان ادارة البوليس اذا انست من المحكمة عدم ميل الى اعطاء ذلك الاذن عمدت الى اجراء الحجز

مباشرة حتى اذا اشتكى المجني عليه فيما بعد لا تكون فائدة لشكواه . ثم ليس في القانون الالماني ما يمنع المجني عليه في مثل هذه الاحوال من المطالبة بالتعويض عما لحقه من الضرر وقد تصدر المحاكم حكماً في مصلحته ولكن العبرة بتنفيذ الحكم وهذا لا يتم واذا تم — وهو نادر — فليس من اتمامه فائدة على الاطلاق بسبب التأخير والمماطلة المشهورتين في مثل هذه الاحوال

اما الاسباب التي يحق للبوليس ان يتشبث بها اذا اراد حجز صحيفة ورفع الدعوى على صاحبها فهي كثيرة سهلة التأويل واشيعها الاحتجاج بكون تلك الصحيفة او المجلة تحتوي على ما يضر بالوطن او يسوء الامبراطور او يحرض على الثورة او يسبب الشقاق في الامة . ويكاد هذا يكون نص المادة التي يلتجئ اليها البوليس في طلب معاقبة المدعى عليه . ولا شك ان مجال التأويل واسع امام البوليس فهو وحده الخصم والحكم — الامر الذي يشق على الاميركي ويمس بكرامته . ففي شهر ابريل سنة ١٩١٣ مثلاً نشرت جريدة « فورفرتس » الاشتراكية (وهي من اكبر صحف برلين) مقالة افتتاحية انتقدت بها سلوك الكرونبرنس (اي ولي العهد) في مسرح « ونترجارتن » لانه دعا اثنتين من الممثلات الى مقصورته فقضى ليلة معهما في الضحك والمنادمة . وختمت الجريدة المذكورة مقالها بقولها : « هذا هو الشاب الذي ستلقى اليه مقاليد الشعب الالماني في الجيل الآتي » فلما انتهت الجريدة الى قسم البوليس بادر الى حجزها وتغريم صاحبها غرامة باهظة بحجة ان المقالة تسوء الامبراطور — ولعلها ساءته حقيقة !

والمشهور عن البوليس الالماني انه يتوسع كثيراً في تأويل الحقوق التي يخولها له القانون فيعاقب كل من تجاسر ان ينتقد نظام المملكة المدني والاجتماعي بكل شدة . ولما كانت الحكومة الالمانية تمنع نشر الاحصاآت التي تدل على حوادث من هذا القبيل فلا سبيل لمعرفة ذلك . ولكن قانون المطبوعات النمسوي كثير الشبه بالقانون الالماني والاحصاآت تدل على انه في الخمسة الاشهر الاولى من سنة ١٩١٣ بلغت حوادث الحجز في فينا وحدها سبعين حادثة واكثر المقالات التي تم بسببها الحجز او الحجز والعقاب معاً كانت تتعلق بالبلقان بمعنى ان اقدام البلاد على اي عمل حربي في البلقان خارج عن حدود الحكمة والتعقل

حرية المجتمعات

وما يقال عن مقدار الحرية التي تتمتع بها الصحافة يصدق ايضاً على حرية المجتمعات . فالقانون الالماني الامبراطوري بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٠٨ يحتم على كل جمعية او ندوة

لها علاقة بالامور السياسية ان تقدم لدائرة البوليس في خلال الاسبوعين الاولين من انشائها بياناً باسماء موظفيها واعضائها ونسخة من قوانينها . وكلما أدخل تغيير على تلك القوانين او وقع تبديل في الموظفين يجب تنبيه البوليس الى ذلك . والقانون يقضي بان توضع لغة قوانين الجمعية او الندوة باللغة الالمانية فقط الا في احوال استثنائية تبيح فيها الحكومة استعمال لغة اجنبية

ويجب على كل من اراد عقد اجتماع عمومي لالقاء خطبة سياسية او للبحث في المواضيع السياسية ان يطلب اذناً خطياً بذلك قبل عقد الاجتماع باربع وعشرين ساعة على الاقل . ويجب ان يذكر في الطلب اسم رئيس الاجتماع والخطباء المعينين . وللبوليس سلطة مطلقة لاعطاء الاذن او رفضه او الاعتراض على تعيين شخص ما لرئاسة الاجتماع . ويكون الرئيس مسئولاً عما يقع في الاجتماع من المناقشات السياسية او ما ينشأ عنه من الاخلال بالنظام . والبوليس يوفد من قبله مندوبين لحضور كل اجتماع من هذا القبيل ولهذين المندوبين سلطة مطلقة على ابطال الاجتماع واجبار المجتمعين على التفرق كما يحدث مراراً اذا خاض الخطباء في كلام يعده المندوبان من قبيل التحريض على ارتكاب ما يخالف القانون — وهذا التقييد واسع التأويل وهو سلاح قوي في يد المندوبين لابطال كل اجتماع لا يروقهما

وفضلاً عن ذلك يجب ان تكون كل الخطب والمناقشات باللغة الالمانية فقط وذلك لكي يفهم المندوبان جميع الاقوال التي يقولها الخطباء.

الحرية الاجتماعية

ولا يسع السائح في المانيا الا ان يدهش لكثرة ما يراه من القوانين والنظامات التي يسن البوليس جانباً كبيراً منها بدون عرضه على مجلس الامة . في سنة ١٩١٣ مثلاً اصدر مدير بوليس برلين امراً يحظر به استعمال الاوتوموبيلات الملونة بالوان معينة في مقاطعتي « تيرجارتن » و « انتردن لندن » لغير علة سوى اعتقاده بان الالوان المشار اليها لا تتفق مع الوان ما يحيط بها من المشاهد الطبيعية او الصناعية

وكذلك اصدر امراً يحظر به استعمال صفارة ذات صوت معين لان تلك الصفارة تستعمل في اوتوموبيل الامبراطور

ومن قوانين بوليس برلين ما يمنع النساء من استعمال دبابيس برانيط طويلة . واذا اراد رجل ان يشتري سمكاً فلا يجوز له ان يمس السمك بيده ليرى هل فيه بطارخ

ام لا . ولا يجوز له ان يمس الدجاج اذا اراد شراءها . ولا يؤذن لسائق عربة او مركبة في بعض المدن ان يقرع سوطه في الهواء . ولا يجوز لمن يأكل في مطعم (رستوران) ان ينعس كما انه لا يجوز ذلك للكليل المتعب الجالس على كرسي في احدى الحدائق العمومية . واذا امر البوليس حوذياً ان ينتقل الى الموقف الفلاني او الى احدى محطات السكك الحديدية فلا يجوز للحوذي ان يحيد عن تلبية الامر قيد شعرة . ولا يجوز له ان يتداول اعنّة الخيل كما يشاء بل يجب ان يفعل ذلك بمقتضى الطريقة التي تعينها له دائرة البوليس . ولا يجوز للمسافر ان ينزل من القطار بعيداً عن رصيف المحطة او في حالة سير القطار . ولا يجوز للاولاد ان يسيروا على « المماشي » الصقيلة المزحلقة

ولا يتوهمن احد ان امثال هذه القوانين هي مجرد حبر على ورق بل ان البوليس الالماني شديد المحافظة عليها لا يتوانى لحظةً عن معاقبة كل من يخالفها . وهي لا تنحصر في النواهي فقط بل كثيراً ما تكون بقالب اوامر ايضاً كقولهم مثلاً ان كل مالك بيت مضطر ان يرش الماء على الشارع الذي امام بيته اذا امره البوليس بذلك

والحق انه يشق على الاميركي الناشىء في مهد الحرية ان يخضع لمثل السلطة التي للبوليس الالماني ويكره الطرق التي يستعملها هذا لمعاقبة من يخالف اوامره ونواهيه لاسيما وان تلك المعاقبة لا تتخذ شكلاً قانونياً فان المتهم لا يؤذن له بالدفاع عن نفسه ولا باستحضار شهود لتأييد براءته . فالبوليس الذي يهمه يرفع الامر الى رئيسه فيعين هذا نوع العقاب ومقداره بدون ان يؤذن للمتهم في تبرئة نفسه مع ان رئيس البوليس الذي يصدر مثل تلك الاحكام لا يرى وجه المتهم ولا يسمعه ولا يفعل شيئاً للتثبت من شكوى البوليس . وكثيراً ما يمر اسبوع او عشرة ايام قبل ان يصدر الحكم فيتوهم المتهم انه قد نُوسي امره ثم اذا بالبوليس يبلغه ذلك الحكم فيقع عليه وقع طارىء مفاجىء . ومن عادات بوليس برلين ان يرسل الى المتهم « حافظة » ارسال نقود ليسهّل عليه ارسال ما يحكم به عليه من الغرامة ! فاذا مر اسبوع ولم يسدد الغرامة اسرع البوليس لالقاء الحجز على املاكه ومقتنياته تسديداً لما يطلب منه او للقبض عليه وزجه في السجن . واشد ممالك المانيا محافظة على هذه القوانين بروسيا . واما في الولايات الجنوبية فالحمل اخف وطأةً على المتهم كما في ورتمبرج مثلاً اذ يؤذن للمتهم (نظرياً) ان يدافع عن نفسه واما عملياً فالمفهوم انه قد دافع عن نفسه امام البوليس قبل وقوفه امام مدير البوليس . فاذا اتهم البوليس حوذياً او سائق مركبة بكونه نعسان وناقض الحوذي البوليس بقوله انه ليس نعسان فلا يؤخذ بكلامه ولا يؤبه له . وقد قال لي مدير بوليس ستوتجارت : اننا

نأخذ اقوال البوليس حجةً في المانيا باسرها

ومما يدل على تمادي البوليس هنالك في مضايقة الافراد ان عدد « المخالفات » التي وقعت في مدينة ستوتجارت المذكورة بلغ الاربعين الفاً في هذه السنة مع ان عدد اهاليها لا يتجاوزون الثلاث مئة الف . اي ان من كل سبعة اشخاص هنالك قد عاقب البوليس شخصاً واحداً وهو مقدار هائل اذا قارناه باحصاءات مدن الولايات المتحدة

حرية المنازل

ومن قوانين بوليس برلين الغريبة انه لا يجوز لعائلة ان تستعمل علّية المنزل لاجل النوم . وقد عنّ لبوليس برلين اخيراً ان يكبس بعض تلك المنازل ففعل وصعد الى علّيات بعضها وعطّل آلات الدفء ليمنع الناس من النوم هنالك . ومن اعمال البوليس ايضاً انه كبس مخزناً وحجز ما فيه من متاع بحجة أن صاحبه لم يراع قانون ساعات الشغل

ولبوليس برلين سلطة غريبة على الاهالي فهو يستطيع ان يكبس كل منزل ولا يحق لصاحب المنزل او سواه ان يعارضه واذا عنّ له أن يرفع الدعوى على البوليس فلا يؤبه لكلامه . وقد قال لي احد مديري البوليس « اني استطيع ان اكبس اكبر منزل في برلين واسجن صاحبه اربعاً وعشرين ساعة وان يكن بريئاً كالحمل »

ومن نظامات البوليس انه لا يؤذن لاحد ان ينقل منزله او يغير محل اقامته الا بعناء عظيم . وقد كانت الحكومة تمنع هذا الامر حتى عهد قريب فاباحته مؤخراً بشرط ان يعلن المنتقل لادارة البوليس خبر انتقاله قبل مضي اربع وعشرين ساعة . ولا بد ان يذكر اسمه وسنه وصناعته وتاريخ انتقاله مع تعيين اليوم والشهر والسنة وتاريخ ميلاده ومحل ولادته وديانته وعنوانه القديم والعنوان الجديد وهل هو متزوج ام عازب ام ارمل وهل هو اجنبي ام من اصل الماني محض الى غير ذلك من الاسئلة التي لا نهاية لها

وهكذا الحال عند قدوم رجل غريب الى مدينة من مدن المانيا فانه يجب ان يعلن عن وصوله بالطريقة المار ذكرها فضلاً عن انه يُطلب منه شهادة بحسن سلوكه . وكثيراً ما يبحث البوليس عن سيرته السابقة من المدينة التي هو قادم منها . وقد بلغ عدد الذين عاقبهم البوليس لاهمالهم هذا الامر في سنة ١٩١٣ في مدينة همبرغ وحدها ٢٦٨٧٦ نفساً . وللحكومة جيش جرار من رجال البوليس السرّي يشون بكل اهمال . وقد بلغ عدد البطاقات (الكارتات) المسجل فيها اسماء الافراد المولودين في مدينة برلين او الذين قدموا اليها منذ سنة ١٨٣٦ نحو اثني عشر مليوناً . وهذه الكارتات منسقة تنسيقاً عجيباً

بحيث تستغرق مئة وثلاثين غرفة يدير عملها مئتا عامل وهاك ما هو مسجل في كل بطاقة : —

اسم الشخص المولود في برلين او القادم اليها
مسقط رأسه الاصلي اذا لم يكن من مولودي برلين
تاريخ ولادته
اسماء والديه وصناعتهما
صناعته هو
الاعمال التي اقام بها بعد ولادته حتى وصوله الى برلين مع ذكر تاريخ كل سفرة
متزوج ام عزب ؟
تاريخ زواجه
اسم زوجته قبل زواجها (براجع الاسم في البطاقة المختصة بعائلتها)
اسماء خدمه واتباعه
اسماء اولاده وتاريخ ولادة كل منهم
تاريخ التوقيفات في العائلة
الديانة
هل صدرت عليه احكام سابقة ؟

هذه هي الاسئلة التي يجب الجواب عليها في نظام البطاقات وهو نظام يختلف عن نظام كل مملكة اخرى على وجه الارض . وهو عبارة عن جاسوسية متقنة

الحرية السياسية

اما من الوجهة السياسية فان ما يتمتع به مجلس الرشستاغ الالماني من الحرية لا يبلغ جزءًا مما تتمتع به المجالس النيابية الاخرى لان السلطة محصورة في مجلس البوندسرات (اي المجلس الاعلى) الذي ينتخب اعضاءه ملوك الدول الالمانية وامبراطور المانيا وحده ينتخب سبعة عشر من اعضاء هذا المجلس للنيابة عن مملكة بروسيا [1] . وبناء عليه فان كلمة القيصر هي النافذة في طول البلاد وعرضها اذ يكفي اربعة عشر صوتاً لاحباط اي مشروع يرفع الى المجلس . والحق ان مقام مجلس الرشستاغ بازاء مجلس البوندسرات يدل على انحطاط وهوان عظيمين على رغم ان اعضاءه ينتخبون بالحرية التامة ولكن نفس نظام الانتخابات فاسد من اصله لاسباب يطول بنا شرحها في هذا المقام . والامبراطور من اشد المعارضين في اصلاح ذلك النظام خوفاً على سلطته من الضياع . فضلاً عن ان له سلطة مطلقة لحل مجلسي الرشستاغ والبوندسرات لاية علة كانت وفي اي وقت شاء . وقد حصل هذا الامر مراراً لاسباب عسكرية ومالية

فترى مما تقدم ان المانيا ليست بلاد حرية بل بلاد نظام ميكانيكي

(١) يبلغ عدد اعضاء هذا المجلس ثمانية وخمسين

اللحن او الرموز الاصطلاحية

تاريخ الكتابة السرية المعروفة بالشفرة

لا يخفى ما لكتمان الاسرار من الاهمية في مجال السياسة فقد قضي الحكمة بالحذر واخفاء الامور عن عيون الرقباء ومسامعهم وكثيراً ما يتوقف الانتصار في الحروب والمعارك على حذر القائد واستطاعته ان يخفي خطته عن عدوه وهذا لا يتم الاّ بالالتجاء الى رموز اصطلاحية تعرف في الاصطلاح المتداول « بالشفرة » وعند العرب باللحن وعند الافرنجة بالكربتوغرافية أو البوليغرافية . اما « الشفرة » فتعريب لفظة (Cipher) أو (Chiffre) أو هي نفس المراد من لفظة الجفر في اللغة العربية وهو فن الرموز الاصطلاحية . ويسميه العرب فن اللحن ايضاً وهو ضربان لفظي وكتابي . وقد جاء في كتب اللغة قولهم « لحن فلان لفلان لحناً قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره » . قال الفزاريّ :

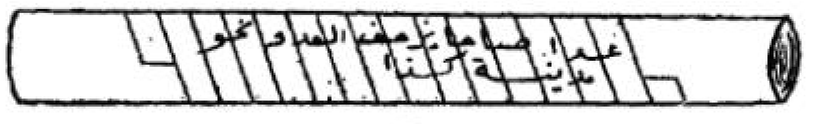
وحديثٌ ألذّهُ هو مما ينعت الناعتون يُوزَن وزنا
منطقٌ رائع وتلحَنُ احيا ناً وخير الحديث ما كان لحنا

يريد انها تتكلم وهي تريد غيره وتعرّض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها . وقال أحد الظرفاء :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا واللحن يفهمه ذوو الالباب

نظرة تاريخية

اللحن الكتابي قديم يرجع الى ايام الاسبرطيين . قيل انهم اخذوه عن الفرس او الماديين وهو قول لا نعلم مبلغه من الصحة وانما نعرف ان اللحن كان شائعاً عند اليونان يستعملونه في قضاء المهام السياسية . وقد ذكر بلوطرخوس انه كان لاهل اسبرطة



مخصرة الكتابة السرية

طريقة بسيطة في ذلك وهي ان يؤتى بمخصرتين (اي عصوين قصيرتين) مستويتين في الغلظ والطول تُعطى احداهما للقائد او الشخص المراد مخاطبته لتكون عنده بمثابة مفتاح للرموز السرية وتحفظ الاخرى في خزانة سجلات المملكة . فاذا ارادوا مخاطبة القائد

جاءوا بسير من جلد ولفوه على مخصرتهم لفاً لولبياً ثم كتبوا عليه ما يريدونه اسطراً موازية لطول المخصرة من احد طرفيها الى الطرف الآخر كما ترى في الشكل . ثم يحلون السير ويرسلونه الى القائد فلا يظهر منه بعد حله الا احرف متقطعة لا يُهتدى الى طريقة ضمها معاً الا اذا أعيد لف السير على مخصرة مماثلة للاولى كل المماثلة في الطول والغلظ . فمتى انتهت الرسالة الى القائد لفها على مخصرته فيتضح له المراد

وقد ذكر سوتينيوس [١] واولوس جليوس [٢] ان يوليوس قيصر واوغسطوس قيصر كانا يستخدمان طريقة سرية في مراسلاتهما فكان يوليوس يعبر عن كل حرف بالحرف الرابع مما يليه في ترتيب حروف الهجاء فيعبر مثلاً عن الالف بالثاء وعن الباء بالجيم وهلم جراً . وكان اوغسطوس يستبدل كل حرف بما يليه في ترتيب حروف الهجاء فيعبر عن الالف مثلاً بالباء وعن الباء بالتاء وعن الكاف باللام وهلم جراً

وتفنن الناس بعد ذلك فعمدوا الى اصطلاحات شتى لا تكاد تقع تحت حصر . ومن اشهرها في العصور المتوسطة استعمال الارقام السرية واستبدال احرف العلة اللاتينية بنقط او رموز معلومة . ولا تزال بعض السجلات التي انتهت الينا من تلك العصور موقعاً عليها بحسب الاصطلاح الثاني (اي باستبدال احرف العلة برموز معينة) . وقد ثبت ان حكومة البندقية كانت تستعمل الكتابة السرية منذ القرن الثالث عشر فان في احد سجلاتها التي ترجع الى سنة ١٢٩٠ للميلاد نصوصاً لاتينية تخللها احرف ورموز يونانية وعبرانية غايتها التعمية . وفي اواسط القرن الرابع عشر ظهر في البندقية كتاب كثيرون وضعوا طرقاً شتى للكتابة السرية فاقتبست الحكومة بعض طرقهم واستخدمتها في مكاتباتها السياسية . ومما يثبت ذلك سجل تاريخي مؤرخ في ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٥٠ وفيه اوامر صريحة اصدرتها حكومة البندقية لسفرائها الموفدين الى بلاط ملك هنغاريا بان يعمدوا الى التعمية في جميع مراسلاتهم السياسية فيعبروا عن الدوج مثلاً بحرف الباء (B) وعن الملك بحرف الفاء (F) وهلم جراً . وفي سجل آخر مؤرخ في سنة ١٣٥٨ للميلاد اوامر من حكومة البندقية الى سفيرها لدى البلاط النمسوي ان يعبر في رسائله السياسية عن دوق النمسا بلفظة انطونيوس وعن الامبراطور بلفظة نيقوليتو وهلم جراً

---

(١) هو مؤرخ روماني شهير عاش من سنة ٧٥ — ١٦٠ للميلاد وكتب « تاريخ القياصرة الاثني عشر » وكتباً أخرى . وكان صديقاً لبلينيوس وسكرتيراً للامبراطور ادريانوس

(٢) فيلسوف ومؤرخ روماني ولد في افريقيا بين سنة ١٢٥ و ١٣٠ للميلاد وهاجر الى رومية في السادسة عشرة من عمره حيث تخرج في العلوم على احسن اساتذة العصر ثم الف كتباً عديدة في مسائل شتى تاريخية وفلسفية ولغوية

ولعل اقدم السجلات المكتوبة بالارقام السرية رسالة من ميشيل ستانو دوج البندقية الى سفرائه لدى البابا بتاريخ ٢٨ يونيو سنة ١٤١١ للميلاد . وفي خلال القرن الخامس عشر عمت الكتابة بالارقام السرية وتنوعت الطرق الموضوعة لذلك ولكن لم تكن بعد موضوعة بقالب علمي . واول من سعى لذلك الاب جان تريتم رئيس دير مار يوحنا في ورتزبورج الذي توفي في سنة ١٥١٦ للميلاد فانه وضع في ذلك كتابين شهيرين عنوان أحدها « كتاب البوليغرافية » أي مكاتبات الدول السرية وعنوان الآخر « الرموز المختزلة الاصطلاحية »

وفي النصف الاخير من القرن السادس عشر نشر رجل من اهالي نابولي يدعى بورتا كتاباً في فن الكريبتوغرافية ثم تبعه بلايز دي فيجنير (الذي توفي في سنة ١٥٩٦) فوضع كتاباً آخر في فن المراسلات السرية وكان واسع الحيلة في هذا الفن استخدمته الحكومة الفرنسوية يومئذ لقضاء عدة مهام سياسية . على ان احسن من كتب في هذا الفن هو الدوق اوغست دي برنزويك لونبرغ [١] وقد بناه على كتاب جان تريتم السابق ذكره

الطرائق الحديثة

أما الكتابة السرية المستعملة اليوم فقد تعددت طرائقها وتفنن القوم في استخدامها فهي اما ان تكون بالحروف أو بالارقام او برموز متواطأ عليها وربما دفع الحرص بعضهم الى الجمع بين الحروف والارقام والرموز . وقد يعبرون عن الحروف بارقام تتبدل للحرف الواحد حتى اذا عرف بعضها في بعض الكلمات التبس في غيرها فلا يمكن حلها

وهناك طريقة أخرى للكتابة السرية تتم بان تؤخذ قطعة من المقوّى تسمّى بالشبكة وتخرّم تخريماً على سطور متفرقة . فاذا أريد الكتابة وضعت الشبكة على الورق وكتب ما يراد في مواضع التخريم ثم تُرفع الشبكة وتملأ مواضع التخريج أي الفسح التي لا كتابة فيها بكلمات أخرى تلتئم في معناها مع الكلمات التي كُتبت من خلال خروم الشبكة بحيث لا يشك ان الكتابة الاولى والثانية عبارة واحدة . فاذا انتهت الرسالة الى المرسل اليه يضع شبكة شبيهة بالشبكة المذكورة على الكتابة فيقرأ من خلالها الكلمات المقصودة فقط أي التي تبدو للعيان من خلال الخروم كما ترى في الشكل التالي فان العبارة الاصلية بسيطة لا تدعو الى ريبة ولكن اذا انتهت الى المرسل اليه وضع عليها

---

(١) من امراء المانيا عاش من سنة ١٥٧٩ — ١٦٦٦ واشتهر برحلاته العديدة وسياحاته الشاسعة واكرامه للعلماء . وكان كاتباً بارعاً الف كتباً عديدة منتحلا امضاء غوستاف سلينيوس

واذا عملت بحسب مشورتي [تجدني] اساعدك بكل قواي على امل ان اراك [غداً]
رجلاً عظيماً تلهج الناس بذكره صباح [مساء] وله [في] الامة [منزل] رفيع والسلام
من [اخيك] فلان

الشبكة المخرمة

الشبكة فلا يقرأ منها الا هذه العبارة وهي : « تجدني غداً مساء في منزل أخيك »

على ان اهم طرائق الكتابة السرية هي المعتمد فيها على الاحرف او الارقام وهي عديدة لاتكاد تقع تحت حصر وقد رأينا ان نثبت هنا بعضها فمن ذلك انهم يكتبون الحروف الهجائية باسطر افقية وعمودية معاً كما ترى في الشكل :

١	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
٢	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا
٣	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب
٤	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت
٥	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث
٦	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج
٧	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح
٨	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ
٩	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
١٠	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ
١١	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
١٢	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز
١٣	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س
١٤	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش
١٥	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
١٦	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض
١٧	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط
١٨	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ
١٩	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع
٢٠	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ
٢١	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف
٢٢	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
٢٣	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك
٢٤	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل
٢٥	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م
٢٦	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن
٢٧	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه
٢٨	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و

جدول الاحرف الهجائية

ولا بد للفريقين المتكاتبين من التواطؤ على كلمة او عبارة يسمونها « المفتاح » . فاذا فرضنا مثلاً ان المفتاح هو كلمة « كتاب » واردنا ان نرسل الرسالة البرقية الآتية : « نحن في خطر » فطريقة كتابتها بالحروف السرية تكون كما يأتي :

يُكتب المفتاح فوق الرسالة بحيث يقع كل حرف من احرفها تحت حرف من احرفه . وتكرر كتابة المفتاح فوق الرسالة اذا اقتضى الامر لكي يكون لكل حرف من الرسالة حرف يقابله من احرف المفتاح كما ترى :

المفتاح	=	ك	ت	ا	ب	ك	ت	ا	ب
الرسالة	=	ن	ح	ن	ف	ي	خ	ط	ر

خذ الحرف الاول من الرسالة وهو « النون » وانظر ما يقابله فوقه من احرف المفتاح وهو الكاف . ثم انظر الى الجدول الى السطر الذي يبدأ بحرف النون (وهو السطر الخامس والعشرون) فترى ان حرف الكاف هناك يقع في العمود الذي اوله حرف الهاء . فالهاء اذاً أول حرف من حروف الرسالة السرية

ثم خذ الحرف الثاني من الرسالة وهو « الحاء » وانظر ما يقابله فوقه من احرف المفتاح وهو التاء . ثم انظر الى الجدول الى السطر الذي يبدأ بحرف الحاء (وهو السطر السادس) فترى ان التاء في هذا السطر تقع في العمود الذي يبدأ بحرف الهاء ايضاً . فتكون الهاء الحرف الثاني من الحروف السرية المطلوبة

ثم خذ الحرف الثالث من الرسالة وهو « النون » ويقابله فوقه الالف من احرف المفتاح . ثم انظر الى الجدول الى السطر المبدوء بحرف النون (أي السطر ٢٥) فترى ان الالف في هذا السطر واقعة في العمود الذي اوله حرف الجيم . فتكون الجيم اذاً الحرف الثالث من الرسالة السرية

وهكذا الى ان تعبر عن جميع احرف الرسالة باحرف سرية فتقرأ الرسالة هكذا :

«ههج زل نصق »

هذه هي اشيع الطرائق السرية واسلها عاقبة ولا خوف من وقوع الجدول بيد الاعداء فان العبرة « بالمفتاح » دون سواه ولا أسهل من التواطؤ على تغيير المفتاح باسرع من لمح البصر فيتواطأ على كلمة حسام اوحصان اوشجرة او قصر او بحر او اي كلمة من كلمات اللغة على الاطلاق سواء كانت اسماً او فعلاً او حرفاً

طريقة هويتستون

وهنالك طريقة أخرى تعرف بطريقة هويتستون (Wheatstone) وهي عبارة

عن قرص مستدير اشبه بوجه الساعة قد رسم عليه دائرتان متحدتا المركز وكل منهما مقسمة الى « خانات » ترسم في الكبرى منهما حروف الهجاء بترتيبها الطبيعي (مع ترك « خانة » بيضاء تسمى خانة الصفر) وترسم في « خانات » الدائرة الصغرى حروف الهجاء على غير ترتيبها الطبيعي كما ترى في الشكل . وهنالك عقربان كعقربي الساعة تماماً يدوران كدورتهما اي ان اطولهما يدور حول القرص دورة تامة قبل ان ينتقل اقصرهما من « خانة » الى « خانة » كما ترى في الشكل :



طريقة هويتستون

اما ترتيب الحروف في الدائرة الصغرى فليس ترتيباً طبيعياً بل هو متوقف على « المفتاح » المصطلح عليه . فاذا فرضنا ان المفتاح هو كلمة «حسام» كان ترتيب حروف الدائرة الصغرى كما يلي : —

ح	س	ا	م	
ب	ت	ث	ج	
خ	د	ذ	ر	بقية حروف الهجاء
ز	ش	ص	ض	بترتيبها الطبيعي بعد
ط	ظ	ع	غ	حذف الاحرف
ف	ق	ك	ل	ح س ا م
ن	ه	و	ي	

والترتيب هذه الحروف في الدائرة الصغرى تقرأ (اي الحروف) عمودياً مبتدئاً من

العمود الايمن فما يليه هكذا : ح ب خ ز ط ف ن س ت د ش ظ ق هـ أ ث ذ ص ع ك و م ج ر ض غ ل ي — وهو الترتيب المرسومة بموجبه في الدائرة الصغرى من الشكل . ولا بد من تواطؤ الفريقين على النقطة التي تبتدئ منها الدائرة الصغرى وهي في الشكل تبدأ عند حرف الحاء من الدائرة الكبرى . فاذا أريد ارسال رسالة سرية كقولنا مثلاً « سنزحف غداً من الشمال » يحرك العقرب الكبير حتى يقع على حرف السين في الدائرة الكبرى فيقع العقرب الصغير على حرف النون من الدائرة الصغرى . ثم يدار العقرب الكبير حتى يعود الى « الخانة » البيضاء . ومنها يدار حتى يقع على الحرف الثاني من الرسالة السرية اي حرف النون . فيقع العقرب الصغير اذ ذاك على حرف السين من الدائرة الصغرى ثم يدار العقرب الكبير حتى يعود الى الخانة البيضاء وتعيد العمل على هذا القياس حتى يتحصل عندك مجموعة حروف تنوب عن حروف الرسالة

ويمكن استعمال هذه الطريقة مع تغيير طفيف وذلك بان ترسم الحروف الهجائية في دائرتين متحدتي المركز احداهما تنسق فيها الحروف على ترتيبها المتعارف كما في الطريقة السابقة والثانية يخالف فيها ترتيبها على ما اتفق من غير مراعاة ترتيب او اصطلاح كما ترى في الشكل :



وعند الكتابة تأخذ عوض كل حرف من الدائرة الخارجية الحرف الذي يقابله في الدائرة الداخلية او الحرف الذي يليه وهي طريقة بسيطة قلما يعتمد عليها احد اذ لا يوثق معها من كتمان السر . وقد اصطلحوا لزيادة التعمية ان ترسم كل من الدائرتين مستقلة عن الاخرى على قرصين من المقوّى احدهما اكبر من الآخر ثم ترسم الحروف على

الكبرى بحسب ترتيبها المتعارف وعلى الصغرى بدون مراعاة ترتيب او اصطلاح . ثم توضع الدائرة الصغرى على الكبرى بحيث يتحد مركزاهما بغرز دبوس او مسمار في المركز وبحيث يمكن ادارة كل قرص على حدة فيسهل بذلك نقل كل حرف من الدائرة الخارجية الى محاذاة كل حرف من الداخلية

هذا وانا نجتزىء عن شرح طرق اللحن العديدة بما اوردناه ونختم هذا المقام بشيء مما انتهى الينا عن اللحن عند العرب

اللحن عند العرب

ولا نرى خيراً من ان نقتبس هنا ما جاء بهذا الصدد في الجزء السادس من مجلة الضياء لسنتها السابعة فقد جاء فيه ما نصه :

اما اللحن الكتابيّ عند العرب فكان قليل الاستعمال وما نقل الينا منه لم يكن مبنياً على قاعدة ولا سبق تواطؤ وانما كان ينوب فيه عن التواطؤ ذكاء الفطرة وحدّة الذهن . فمن ذلك ما حكي عن بعض الملوك انه عزم على قصد عدو له فارسل رجلاً خبيراً يتجسس له فلما دخل الرجل بلد العدو وجده في غاية التحصن والقوة وشعر به الملك فقبض عليه وامره ان يكتب كتاباً الى مرسله يذكر له انه وجد القوم ضعفاء ويطمعه فيهم ويزيّن له الخروج من محله وتهدده بالقتل ان لم يفعل فلم يستطع الا الامتثال فكتب اليه بما صورته :

« أما بعد فقد احطت علماً بالقوم واصبحت مستريحاً من السعي في تعرُّف احوالهم واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم . وقد كنت اعهد من اخلاق الملك المهلة في الامور والنظر في العاقبة ولكن ليس هذا وقت النظر في العاقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله وقد رأيت من احوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحتُ فدَع ريبك ودَع مهلك والسلام »

فلما انتهى الكتاب الى الملك قرأه على رجاله فطالت اعناقهم وقويت قلوبهم ثم ان الملك خلا بكبرائه وقال اريد ان تتأملوا هذا الكتاب فاني شعرت منه بامر واني غير سائر حتى انظر في امري . فقال بعضهم ما الذي لحظ الملك في الكتاب فقال ان فلاناً من الرجال ذوي الحصافة والرأي وقد أنكرت ظاهر لفظه فتأملت فحواه فوجدت في باطنه خلاف ما يوهم الظاهر . وذلك في قوله اصبحت مستريحاً من السعي فيريد انه محبوس . وقوله استضعفتهم بالنسبة اليكم يريد انهم ضعفنا لكثرتهم . وقوله انكم الفئة

الغالبة باذن الله يشير الى قوله تعالى وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . وقوله رأيت من احوال القوم ما يطيب به قلب الملك فاني تأملت ما بعده فوجدت انه يريد بالطلب العكس لان الجملة الآتية مما يوهم ذلك نقلبت الجملة وهي قوله « نصحت فدع ريبك ودع مهلك » فاذا مقلوبها « كلهم عدو كبير عدّ فتحصّن »

وكانوا احياناً يتلاحنون بالتصحيف وهو تبديل النقط في الخط ومن امثلة ذلك ما ذكره صاحب نفح الطيب قال ان المعتمد مرّ مع وزيره ابن عمار ببعض ارجاء اشبيلية فلقيهما امرأة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء . وكان ذلك بموضع الجيّاسين الذين يصنعون الجيس والجيّارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيارين وقال يا ابن عمار الجيارين . ففهم مراده وقال في الحال يا مولاي والجياسين . فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمار فقال له المعتمد لا تبعها منهم الاغالية . وذلك ان المعتمد صحف « الحيا زين » بقوله « الجيّارين » اشارة الى ان تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت . فقال له « والجياسين » وتصحيفه « والخنا شين » اي هي وان كانت جميلة لكن الخنا شانها . وهذا شأوٌ لا يلحق

وربما استعملوا اللحن في غير لفظ ولا خط وذلك كما جاء في ديوان الصبابة لابن ابي حجلة قال ومن احسن ما سمعته في الرسائل والتلطف في الوسائل ما حكي عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان في ايام ابيه قد احبّ قينةً وشغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه ومضى على ذلك مدة ايام فسيرت اليه مع خادم كرةَ عنبر فكسرها فوجد فيها زرّ ذهب فلم يفهم مرادها وجاء القاضي الفاضل فعرفه الصورة فقال في الحال

احدت لك العنبر في وسطه زرٌّ من التبر دقيق اللحام
فالزر في العنبر تفسيره زُرْ هكذا مستتراً في الظلام

واخذ قوله « زُرْ » من اسم الزرّ ومعنى الظلام من لون العنبر . ومن تفقد كتب الادب وجد غير ما ذكر ولكنا اقتصرنا على هذا القدر حب الاختصار

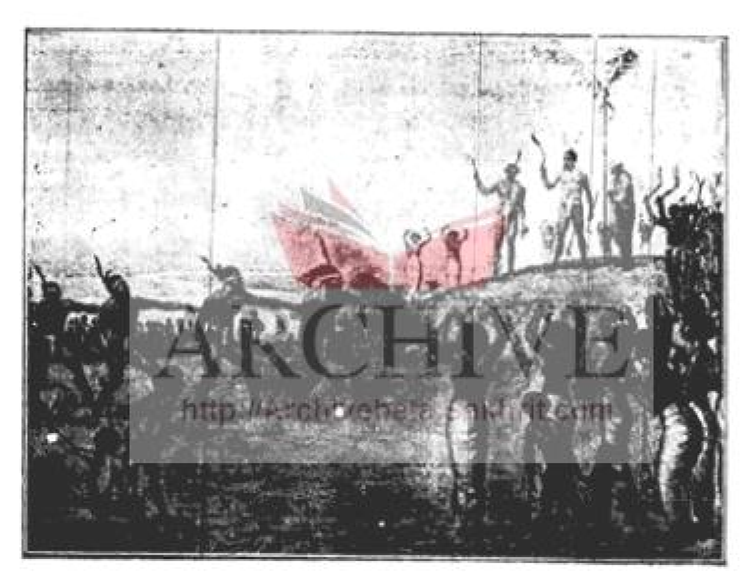
روّح العمر ما استطعت فيها ت تلاقي يوماً من العيش خفضا
افبعطيك في مشيبك يوماً ما تمنى من الشباب فترضى

السيد عبد الغفار الاخرس

الرقص

منشأه عند الاقدمين وانواعه المتعددة

جاء في كتب اللغة ان الرقص مشية فيها تفكك وخطران وخلاعة يتنقل بها الراقص متردداً في وقت الطرب . وهو تحديد لا يتناول الوجهة الفلسفية ومفادها ان الرقص حركة ناشئة عن تراكم القوى الحيوية في الجسم وتزايدها الى درجة يحملها على طلب منفذ لتخفيفها . وبناء عليه فالحركات التي يأتيها الطفل هي من قبيل الرقص لانها تؤدي الى تخفيف القوى المتجمعة فيه



الرقص الديني عند قدماء المصريين

والرقص من اقدم العادات التي الفها البشر ومن أندر الامور التي يشترك فيها المتمدنون والمتوحشون . وهنالك شواهد متعددة تدل على ان القبائل المتوحشة التي لا تزال باقية حتى اليوم تمارس الرقص كما كان يمارسه آباؤها واجدادها وان هذه العادة من اقدم عاداتها الباقية حتى الآن

واذا تدبرت نظام الامم المتوحشة علمت ان الرقص عندها انما هو مظهر حربي يكاد يكون ملازماً لها في حالة الحرب وثورة العواطف وا كثر ما يكون ذلك عند القبائل الحمراء اللون . وقد اشتهر « الماوري » أي سكان جزيرة نيوزيلندا برقصة حربية شهيرة

شهدناها في معسكر الحلمية منذ بضعة اشهر فرأيناها مثيرة للنخوة تدفع باجبن الجبناء الى الامام وتصيره بطلاً مغواراً في وسط صراخ وصياح يبلغان عنان السماء . ولا تزال رقصة الحرب شائعة بين العرب والشعوب القوقازية وهي مثيرة للنخوة ومستنهضة للهمم . وتمتاز الرقصة الحربية من غيرها عند الامم المتوحشة بقصرها على الرجال فقط دون النساء . وهنالك رقصة أخرى مقصورة عليهم وهي رقصة الصيد والغرض منهما اظهار المقدرة والشجاعة اللتين لا بد منهما للصياد . على ان هذه الرقصة نادرة لا أثر لها الا عند بعض القبائل المتوحشة

الرقص في التاريخ

ولا شك ان اعم انواع الرقص ما اشترك فيه الرجال والنساء حتى لقد اصبح من مكملات الاجتماع عندنا وقد كان شائعاً عند الاقدمين شيوعاً تاماً كما يؤخذ من آثارهم وتواريخهم . ويكاد المجال يضيق عن تعداد اغراض الرقص قديماً وحديثاً . فمنه ما كان لغرض حربي كما رأينا ومنه ما كان لاظهار الفرح اوالتعبد ومنه ما كان لاغراض اخرى . ولعل الرقص الديني اقدم انواع الرقص حتى عند القبائل المتوحشة . والمأخوذ من كتب الوحي انه كان شائعاً عند الاسرائيليين قديماً فكانوا يرقصون في حضور الله والامثلة على ذلك متعددة كرقصة مريم اخت موسى (سفر الخروج ص ١٥ : ٢٠) ورقصة داود امام تابوت العهد (سفر الملوك الثاني ٦ : ١٤) وهلم جراً . ويؤخذ من نص آية الخروج ان رقصة مريم كانت شبيهة بالرقص الشرقي اليوم فقد جاء انها اخذت الدف في يدها وخرجت النساء كلهن وراءها بدفوف ورقص

والارجح ان الاسرائيليين اقتبسوا عادة الرقص من الوثنيين عامة والمصريين خاصة فقد كان الرقص عند المصريين طقساً دينياً ثم انتشر بمرورالزمن حتى اصبح من العادات المرعية عند القوم . وقد كان لليونان القدح المعلى في الرقص فكانوا يمارسونه في احوال كثيرة . ويظهر انه كان ذا مقام رفيع عندهم فان ابناء الامراء وبناتهم كانوا يمارسونه في الاعياد الوطنية والاحتفالات الرسمية . وكان للرقص عندهم نظام يختلف عن نظام اليوم فقد كانت غايته تشريف القوى الجسدية والمباهاة بها وتحسين شكل الاعضاء . وكان ملازماً للموسيقى لا ينفك عنها مطلقاً ثم طرأت عليه بمرور الزمن تغييرات مهمة جعلت حركاته اشبه بالحركات الميكانيكية وكان القوم يمارسونه على انظمة مختلفة فكان لكل مدينة رقصة خاصة

ويظهر ان نظام الاداب اليونانية لم يكن يأذن للنساء والرجال ان يرقصوا معاً الا في

احوال نادرة وصل الينا بعضها ومنها الرقصة المعروفة عندهم برقصة «هورموس» (Hormos) اي السلسلة وكان يقوم بها الشبان والشابات معاً ممسكين بعضهم بايدي بعض على شكل حلقة او سلسلة فيأتي الشبان حركات حربية وتقوم الشابات بحركات تدل على التناهي في الرشاقة والكياسة . وكذلك رقصة الجرانوس (Geranos) اي طير الكركي وكانت تختص باهالي ديلوس . قيل انه جاء بها ثيسيوس احد ابطال الاساطير اليونانية على اثر نجاته من اللابيرنث (التيه) هو والاولاد والبنات الذين انقذهم . وكانت حركات هذه الرقصة معقدة رمزاً الى تعقيد شعب التيه وممارّه . وكان اهل اسبرطة يعلمون اولادهم



أحد امراء الهند يحتفل بانتصاره بالرقص وعلى جانبيه امرأتاه .
وقد رسمت هذه الصورة بحسب بعض النقوش المحفوظة منذ ذلك الزمن

وبناتهم الرقص معتبرين ذلك من قبيل الرياضة البدنية وقد اشتهروا على الخصوص بنوعين وهما « الكرياتس » (Caryatis) والجيمنوبيدي (Gymnopœdia) . اما الرقصة الاولى فكانت مختصة بعيد ارطاميس الهة الصيد وكان يقوم بها اشرف عذارى الاسبرطيين واغناهنّ . واما الثانية فكان يقوم بها الشبان والعذارى معاً في احد الاعياد الخاصة

اما الرومان فلم يكن للرقص عندهم ما كان له عند اليونان من المقام . نعم ان العادات الرومانية القديمة كانت تقول بوجوب رقص الكهنة في اثناء اجراء الشعائر الدينية وكانت عامة الرومانيين تميل اليه ولكن الطبقة العليا من القوم كانت تعتبره من الامور الحقيرة التي لا تليق بالاشراف . وظل هذا الكره متأصلاً عند طبقة الاشراف الى ما بعد الحرب الفينيقية الثانية . ثم اخذت العادات والآداب اليونانية تتسرب الى رومية ومن

جعلها الرقص ومنذ ذلك الحين بدأ الفتيان والفتيات في الطبقة العليا بممارسته وممارسة الغناء . ومع ذلك لم يبلغ الرقص عندهم ما بلغه من الاهمية عند اليونان ولا كان يباح للاشراف بممارسته في الاعياد الوطنية او الاحتفالات العامة بل كان ذلك من وظائف فئة معينة من الرقاصين

اقسام الرقص اليوناني الروماني

ينقسم الرقص اليوناني الروماني الى اربعة اقسام رئيسية يتفرع من كل منها انواع متعددة . وهي : — الرقص الديني والرقص التمثيلي والرقص الموسيقي والرقص الخاص

١ ـ الرقص الديني

اما الرقص الديني فقد أخذه اليونان والرومان عمن سبقوهم من الامم الغابرة واهمه ما كان يمارس في عبادة الإلهين ابُولو وديانا . وكان الكهنة يرقصون حول المذابح على عزف آلات الطرب وقد جاء في الاساطير اليونانية ان الكوريبنتيين والكوريتيين (وهم كهنة سيبيلا قديماً) كانوا اول من جاءوا بالرقص الديني على اصوات الموسيقى . اما عند الرومان فقد كان الرقص الديني ملازماً للغناء (لا لآلات الموسيقى) من اول عهده . فكانوا يرقصون ويغنون في عيد « ثولا » إلهة الطرب و « فولوبيا » الهة الشهوات و « مارس » اله الحرب و « هرقل » اله القوة وهلم جراً

وفي حوالي المئة الثانية قبل الميلاد بدأ الرومان ان يدخلوا الموسيقى على الرقص الديني وكانوا يفعلون ذلك خاصة في عيد أتيس [1] وكان لابسيس كهنة يطوفون بازقة رومية يطلبون الزكاة والصدقات وهم يرقصون في الازقة ويغنون ويعزفون على الجنك . وقد ذكر المؤرخ تيتليف ان بعض العذارى الرومانيات من خدمة المعابد كن يجتمعن معاً ويؤلفن جوقات للرقص ثم يطفن بالبلاد يرقصن ويجمعن الصدقات

(١) هو كائن وهمي في الاساطير اليونانية وخلاصة حكايته ان الالهة سيبلا اوجستيس كان لها ابن جبار يخشى الآلهة بأسه فاجتمعوا عليه وقتلوه وقطعوه ارباً ارباً وقذفوا به في أحد الامكنة المقفرة فنبتت هنالك شجرة لوز اكلت منها نانا ابنة أحد آلهة الانهر فولدت ابناً ذا جمال ساحر لم تكد عينا اوجستيس تقعان عليه حتى فتنت بحبه ولكنه كان مفتوناً بحب غيرها فسحرته حتى جن وهرب الى جبل ونديموس حيث القى نوى رجولته وسقى التربة بدمه فنبتت هنالك زهرة البنفسج . ثم سألت الالهة اوجستيس الى زفس اله الالهة ان لا يدع جثة محبوبها تفسد فستجاب صلاتها وأقامت لاتيس ضريحاً على قمة جبل ونديموس وأمرت كهنتها ان يخصوا أنفسهم ويقيموا لها معبداً هنالك وان يحتفلوا كل عام بعيد اتيس فينوحوا عليه يومين وينثروا البنفسج على قبره وفي اليوم الثالث يحتفلوا بقيامه من الموت بالرقص والموسيقى والغناء

٢ — الرقص التمثيلي

أما الرقص التمثيلي فمنه ما هو من نوع التراجيدي (أي الروايات المحزنة) ومنه ما هو من نوع الكوميدي (أي الروايات الهزلية) ومنه ما كان من نوع الستير (أي الروايات الانتقادية)

ويقال ان هذا الرقص مأخوذ عن الرقص الديني فقد ذكر لوسيانوس المؤرخ ان اول من جاء به ثلاثة من كهنة الاله ديونيسيوس ثم استقل بمرور الزمن حتى اصبح فرعاً قائماً بذاته. اما الرقص التراجيدي اي المحزن فيعزى الى اسخليس وقد ذكر هيرودتس ان شاباً يونانياً يدعى هيبوقليدس كان رقاصاً تراجيدياً في بلاط كليستينس حاكم سيقونة المستبد (حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد) وكان الشاب يرقص على صوت الناي. وكان اهم انواع الرقص التراجيدي رقصتان تدعى احداهما «اميلي» والاخرى «زفسموس»

اما الرقص الكوميدي (اي المضحك) فمن اصل يوناني محض وكثيراً ما كان يخرج به الراقص عن حدود الادب زعماً منه ان الاندفاع في الخلاعة والتفكك مدعاة للضحك. وقد اقتبس الرومان هذا النوع عن اليونان فكان احسن ما اتقنوه من انواع الرقص

اما الرقص الستيري (الانتقادي) فمقتبس عن الرقص الديني. قيل ان مخترعيه كهنة ديونيسيوس وقيل كهنة باخوس سابازيوس. واكثر شيوعه في مقاطعة فريجية حيث نشأ لاول عهده. ومنها انتقل الى رومية في عهد ملوكها الاولين المعروفين باسم التراكنة (Tarquins)

٣ — الرقص الوسيقي

يمتاز هذا الرقص عند اليونان القدماء بكونه ملازماً لالات الطرب لزوماً لا ينفك عنه ولا تكاد تلك الآلات تخرج عن حد القيثارة بانواعها. وكان اغلبه من قبيل الرقص الديني وغايته تكريم ابولو او مارس او جوبيتر. وكان يباح للذكور والاناث ان يرقصوه معاً. وهو ثلاثة انواع: الحربي (Pyrrhique) والنشيدي (Hyporcheme) ورقص العراة (Gymnopédique) فاما الرقص الحربي فاشد ما كان شائعاً في اسبرطة وكان الاسبرطيون يلقنونه لاولادهم من السنة السابعة من اعمارهم. وكان الراقص يحمل عادةً سيفاً او نصلا ثم يطفر ويقفز قفزاً متقطعاً مائلاً بهيئة مهدد او متوعد. وقد ذكر بعض المؤرخين ان هذا الرقص كان مختصاً بكهنة ديونيسيوس وقلما كانت تقوم به النساء. ولكن بعض المقاطعات كانت تبيحه للبنات والاولاد معاً وكان يتألف منهم جوقة تقوم بهذه الرقصة

اما الرقص النشيدي فهو اهم انواع الرقص الموسيقي وكان معظمه يقام لتكريم الاله ابولو . وفي الياذة هوميروس اشارة اليه فقد جاء ان بعض الشبان كانوا يرقصون على اصوات القيثارة ونشيد المغنيين . ولم تبلغ هذه الرقصة ذروة مجدها الا في عهد زنوديم وبندار الشاعرين الشهيرين وذلك لما نظماه من النشائد للرقص . وقد قسم الرقص النشيدي في ايامهما الى ثلاثة اقسام وهي(١) الرقص الفردي كان يقوم به رجل او امرأة على صوت نشيد (٢) الرقص المزدوج ويقوم به اثنان معاً (٣) الرقص الجوقي وتقوم به جوقة مؤلفة من شبان وعذارى . وكانت هذه الجوقة ترقص حول المذبح عند تقديم ضحية فتسير اولاً من اليسار الى اليمين ثم من اليمين الى اليسار ثم تعود الى الحركة الاولى وهكذا الى ان تتلاشى الضحية

٤ — الرقص الخاص

كان بين اليونان القدماء طائفة من الناس مهنتهم الرقص في الاحتفالات الخصوصية كالاحتفالات العائلية واعياد الولادة وحفلات الزواج والمآتم وما اشبه . ولا يسمح لنا المجال لذكر الراقصين الشهيرين الذين ذاع اسمهم في تاريخ تلك العصور فقد وصلت الينا اسماء الكثيرين منهم وكان لهم طرق خاصة في الرقص لو شئنا حصرها لضاقت بنا صفحات المجلة

الرقص في العصور المتوسطة

كانت الكنيسة المسيحية في اوائل عهدها تبيح الرقص في الاعياد والاحتفالات الدينية وتبني هذه الاباحة على العادات اليهودية وعلى بعض اشارات وردت في الكتاب المقدس كرقص مريم اخت موسى ورقص داود امام تابوت الله . وقد جاء في سفر المزامير (١٤٩ : ٣) قوله « ليسبحوا اسمه برقص » وقوله في مزمور (١٥٠ : ٤) « سبحوه بدف ورقص » ويقال ان غريغوريوس التوماترجي [١] اول من اباحه في العادات الكنسية ولكن الاباحة كانت مقيدة فكان الرقص يجوز في الاحتفالات الدينية فقط ويمتنع في الافراح وحفلات الزواج . وقد ذكر ثيودوسيوس [٢] ان المسيحيين الاولين في انطاكية كانوا يرقصون في الكنائس وامام اضرحة الشهداء

---

(١) هو من اباء الكنيسة الاولين عاش سنة ٢١٠ — ٢٧٠ ميلادية وكان من تلاميذ اوريجانوس

(٢) هو ثيودوسيوس الاول احد ملوك الامبراطورية الرومانية الشرقية كان ابوه قائداً رومانياً شهيراً ودعي هوليتولي العرش بعد موت الامبراطور فلنس . وكان من اشد المقاومين للبدع الضلالات الكنسية . عاش من سنة ٣٤٦ — ٣٩٥ ميلادية

وكان لكل يوم وعيد عندهم ترانيم ورقصات خاصة . وفي ليالي الاعياد الكبرى كانوا يجتمعون امام ابواب الكنائس فينشدون ويرقصون . وتمادى بعض اباء الكنيسة الاولين في تكريم الرقص حتى قال مار باسيليوس انه اهم ما يشغل الملائكة في السماء والحق انه كان للرقص فضل عظيم في اجتذاب الوثنيين الى الديانة المسيحية

على ان اباحة الرقص لم تجاوز القرن الرابع للميلاد فان القوم افرطوا في ممارسة هذه العادة الى درجة تسربت منها الشكوك الى نفوس اباء الكنيسة فبدأوا يحرمون الرقص وقد اصدر مؤتمر سنة ٦٩٢ منشوراً نهى به المسيحيين ولا سيما النساء عن الرقص في الاحتفالات والاعياد بحجة انه مما يحول العبادة المسيحية الى شعائر وثنية . ولكن المسيحيين لم يعبأوا بذلك التحريم بل ظلوا يمارسون الرقص الى ان جاء البابا غريغوريوس وخليفته البابا زكريا (في منتصف القرن الثامن للميلاد) فمنعا ذلك الرقص منعاً باتاً وحرضا جمهور الكتاب على ذمه والتشهير به . ومنذ ذلك الحين دالت دولة الرقص الديني ولم يبق له اثر الا في الاحتفالات العادية

اما العرب فقد كان الرقص شائعاً عندهم في جاهليتهم واسلامهم الا انه كان في الاسلام ارقى منه في الجاهلية وذلك تبعاً لرقي الحضارة والمدنية فكان الرقص مثل سائر الملاهي التي لا يستغنى عنها في الافراح والاحتفالات ومجالس الطرب عند الملوك والامراء . وكانوا يعلمون الجواري واتقان الرقص ابان التمدن الاسلامي كما كانوا يعلمونهن سائر فنون الموسيقى وقد حفظ التاريخ اسماء كثيرات من الراقصات في دور الخلفاء و بلاط الملوك . ولم يكن الرقص عند الرجال قاصراً على العامة فقط بل كان شائعاً ايضاً عند الخاصة فقد ذكر المقريزي ان الامراء المماليك كانوا يرقصون في الاحتفالات التي يقيمها سلاطينهم

اما الرقص في العصور الحديثة فقد اصبح فناً قائماً بنفسه وقد تفنن الناس فيه تفنناً غريباً وبعضهم يعتبره من مكملات المدنية الحاضرة . ولما كان البحث في هذا الموضوع يستغرق المجلدات الضخمة فاننا نوقف القلم عن الخوض فيه

لابي الصلت امية بن عبد العزيز :

وقفنا للهوى فهفت قلوب	اضرَّ بها الجوى وهمت شؤون
يناجي بعضنا باللحظ بعضاً	فتعرب عن ضمائرنا العيون
فلا والله ما حفظت عهود	كما ضمنوا ولا قُضيت ديون
ولو حكم الهوى يوماً بعدل	لانصف من يفي ممن يخون
امرّ بداركم واغض طرفي	مخافة ان تظن بي الظنون

اول امرأة تطوف حول العالم

وتكتسب نفقات سفرها في طريقها

يتعجب الشرقي عند ما يسمع بما تأتيه النساء الغربيات من الاعمال التي قد يعجز عن انجازها الرجال لانه لم يألف ذلك في بيئته التي نشأ فيها . ولا يخفى انه قد نال المرأة قسط وافر من اعمال هذه الحرب بل ان حصتها فيها اشرف الحصص واسماها . وآخر ما بلغنا خبره من الاعمال النسائية المجيدة طواف امرأة اميركية حول الارض قياماً بشرط بينها وبين احد الاميركيين مؤداه ان تبرح من نيويورك وليس معها اكثر من اربعين جنيهاً وترجع اليها ومعها المبلغ نفسه على الاقل . وقد تم لها ذلك بل انها رجعت ومعها اكثر



البارونة بيار سيلفين صاحبة الرحلة بين نساء الملك لادوا الثاني

من المبلغ المطلوب بكثير — فضلاً عن كونها وفقت في سفرها الى التزوج من احد اشراف فرنسا وهو البارون بيار سيلفين بطريق الصدفة كما سيأتي . وقد نشرت مجمل رحلتها في احدى المجلات الاميركية فآثرنا نقلها الى القراء لما فيها من العبرة واللذة والفائدة . قالت :

دعيت في اوائل سنة ١٩١١ الى وليمة في منزل كاتب اميركي في ولاية كاليفورنيا ضمت نفراً من الاصدقاء والادباء فدار الحديث على السفر والسياحة وما اتاه بعض السائحين (الرجال) من الطواف حول الارض مع جمع نفقات سفرهم في طريقهم فقال احد الحاضرين : « ان الطواف حول الارض بهذه الكيفية يتأتى لاي رجل مقدام ذي ثقة بنفسه ولكنه يتعذر على النساء » فعارضه صاحب المنزل وقال مشيراً اليَّ انه

يمكنني القيام برحلة كهذه وانه يدفع الف جنيه اذا عجزت عن هذه المهمة ـ وكان يعرف اني اجيد ركوب الخيل واحب المجازفة والمخاطرة . فتمت المراهنة وبعد بضعة ايام اشتريت تذكرة السفر الى لندن فاستنفد ثمنها معظم الاربعين جنيهاً التي كانت معي حتى انني لما نزلت في لندن لم يبق معي الا نصف جنيه ـ اللهم ما عدا الثقة الكبيرة في نفسي

واخترت للاقامة في لندن « اوتل سسل » وهو من اعظم فنادق لندن واكثرها ثقة . وقد اخترت هذا الفندق لان الفنادق الصغيرة تقدم حسابها في كل آن وآخر واذا داخلها ريب في حالة ضيوفها او تأخروا عن تسديد ما عليهم تلجأ الى الطرق العنيفة لاسترجاع حقها . أما الفنادق الكبرى فلا تسرع في طلب حسابها بل تمهل زائريها ولا تشدد في معاملتهم

وكنت اظن انني اجد عملاً بسهولة في تلك المدينة العظيمة ولكن خاب ظني في بادىء الامر : فان الايام الطويلة مضت بدون ان اوفق الى شغل ينقذني من الورطة التي اوشكت ان أقع فيها . فانني ما فتئت منذ قدومي اتردد على ادارات الجرائد واقرع مكاتب التوظيف وادارات التياترات بلا جدوى . وفي ذات يوم اطلعت على اعلان يطلب صاحبه امرأة لتربية بعض الاسود فلم اتردد في تقديم نفسي لهذا العمل ولكن سروري لم يطل بمزيد الاسف فان مدير الجوق اخبرني بعد مدة وجيزة انه عدل عن فكرته

ولما ضاق بي الامر لم أر بداً من بيع ثيابي الثوب بعد الآخر حتى فرغت حقيبتي ولم يبق عندي الا الثوب الذي عليّ . وقد بلغ مني الضيق انني اضطررت الى بيع ثوب كلفني في نيويورك خمسة عشر جنيهاً بنصف جنيه لا غير

اخيراً خطر لي أن استخدم قلمي فكتبت بعض القصص الصغيرة وقدمتها لاحدى المجلات فقبلها المحرر واعطاني مقابلها اربعين جنيهاً . الا ان ديوني كانت تفوق هذا المبلغ فولجت باب التمثيل لعلي انجح فيه فانتخبت لتمثيل احد الادوار وربحت قليلاً من المال . وفي هذه الاثناء ربحت عشرة جنيهات من كوني اذنت بنشر صورتي على اعلان بعض المحلات فكنت ارى وجهي في المحطات والمحلات العمومية على ذلك الاعلان

ولكن نفقات الفندق الهائلة كانت تذهب بكل ربحي . وفي ذات يوم علمت ان احدى السيدات المثريات تطلب رفيقة تسليها في سفرها الى فرنسا والمانيا فاغتنمت الفرصة وعرضت نفسي بسرور لا سيما وان مثل هذا السفر يسهل عليّ اتمام المراهنة فسافرنا الى باريس اولاً ثم الى برلين . وكنت أقرأ لها الكتب في الطريق ولا اخفي على القارىء ما الم بي من المضايقة في أثناء هذه السفرة حتى انه خطر لي مراراً ان ارمي بالكتاب

من النافذة واهجر المكان ولكني تغلبت على طبعي وحجزت حريتي مضطرة

وبعد دخولي الى برلين كان معي من المال ما يكفي لرجوعي الى باريس فرجعت اليها وقد هيأت نفسي لكسب المال بطريق غريب . وهو اني كنت انزل في كل ليلة الى القهوات والمطاعم ومعي مندولين اعزف عليه بعض الاغاني وفي آخر كل دور كنت ارسل ولداً هندياً مرتدياً رداء شرقياً ليجمع ما يجود به الحاضرون . وقد يستغرب البعض سلوكي هذا المسلك الا انني لم ارَ لنفسي بداً من سلوكه تنفيذاً لمأربي . ولا يخفى ان المرأة في مثل موقفي وفي مدينة كباريس تكون عرضة للظنون والشبهات الا انني في طول المدة التي مارست فيها مهنتي هذه لم يحدث لي الا حادث واحد آلمني في اوله ولكنه اسفر عن احسن النتائج واليك خلاصته :

كنت في ذات مساء اعزف على المندولين فداهمني احد الحاضرين (وانا آسف لكونه من الاميركيين) وابتدرني بالكلام السفيه فقام للحال رجل آخر انقذني من هذه الورطة واخرجني من ذلك المكان . فعلقت به وعلق بي وتعاهدنا على الزواج . واقول هنا بطريق العرض ان ذلك الشهم واسمه البارون بيار سيلقين هو احد نبلاء فرنسا الحقيقيين

ولكن زواجي لم يمنعني من تكملة رحلتي فاخبرت زوجي بالامر واتفقنا على ان اعود اليه في باريس حالما تتم المراهنة فتركته ورجعت الى لندن للاشتغال بالتمثيل او التحرير في احدى الجرائد وعزمت اخيراً على السفر الى مدينة رأس الرجاء الصالح بصفة ممثلة مع جوق من الممثلين وهناك لقيت اقبالاً يفوق ما كنت آمله . ويظهر اني اعجبت اهل تلك المدينة فجمعت من المال ما كفاني لشراء جواز رجوع الى الولايات المتحدة عن طريق استراليا والهند والصين . ولكني لم اشأ مغادرة افريقيا قبل التعرف الى قبائل الزنوج القاطنة تلك الجهات . فرحلت وحدي في رفقة دليل الى احدى القبائل في جنوبي افريقيا فبلغنا المكان بعد يومين . وحال وصولي طلبت مقابلة ملك تلك الجهة واسمه الملك لادونا فطرقت بابه فقيل لي ان انتظر قليلاً ريثما يلبس ثيابه . وبعد هنيهة اذن لي بالدخول فرأيته جالساً في مؤخر القاعة على عرشه — وكان ذلك العرش كرسي مطبخ ! فاستقبلني بابتسامة واشار اليّ ان اجلس على الارض ولكنه ما لبث ان رجع عن قوله هذا وقدم لي كرسيه . ثم تعرفت على نسائه الثمانية وجالستهم مدة من الزمن

ثم تركت مدينة الرأس قاصدة استراليا ومنها رجعنا الى الهند وفي طريقي عرفت

بعض السائحين الذين قدموني الى احد امراء الهند وكان شاباً كامل التهذيب تربى في جامعة اكسفرد الشهيرة فدعاني الى قصره على مسافة يومين من بومباي فذهبت برفقته وقضيت في ضيافته بضعة اسابيع اظهر في اثنائها من الكرم وحسن الضيافة ما طبع في ذهني ذكرى هذه الزيارة لطول حياتي

ثم قصدت كلكته ومنها ذهبت الى اجرا وفيها اصبت بالحمى التيفوئيدية وكدت اقضي نحبي فيها ولكني نجوت بفضل بنيتي القوية . وحالما شفيت قصدت هونغ كونغ على الباخرة لياسونغ الانكليزية . وكانت الحرب الاوربية قد نشبت في هذه الاثناء والطراد « امدن » الشهير يوقع بسفن الحلفاء شر ايقاع حتى اصبحت الملاحة خطرة في تلك الجهات . ففي ذات صباح سمعت طلقة مدفع وللحال رأيت الخدم يسرعون الى غرف الركاب ينذرونهم بالاستعداد لترك السفينة لان الطراد امدن اسر باخرتنا فللحال صعدت الى ظهر الباخرة فرأيت ذلك الطراد على مسافة ١٠٠ ياردة فقط . وكان البحارة قد شرعوا في انزال سفن النجاة والركاب في هرج مرج . ومما يجدر ذكره هنا انني كنت المرأة الوحيدة بين كل الركاب . وخطر للقبطان عندئذٍ ان يخبر ربان الطراد الالماني ان على باخرته راكبة اميركية الجنس . فكان الجواب لدهشة الجميع الاذن بمواصلة السفر فاكملنا سياحتنا ونحن لا نصدق اننا نجونا سالمين

ومن هونغ كونغ خطر لي ان ازور ميناء فلاديفوستك في سيبريا فذهبت اليها وكان قد كلفني احدهم ان ابلغ امرأته فيها امراً هاماً وان اخبره بالتلغراف عن الرد واصطلحنا على كلمتي « سبعين » و « اربعة وخمسين » الاولى للدلالة على نجاحي في مهمتي والثانية للدلالة على عدم نجاحي فيها . فلما بلغت المدينة قمت بالمهمة واردت ان ارسل اشارة برقية حسب الاتفاق واذا بالبوليس الروسي يلقي القبض عليَّ ظناً منه انني جاسوسة . ولكني بعد اللتيا والتي تمكنت من اثبات براءتي

فرجعت تواً الى الباخرة وسرت الى اليابان ومنها الى سان فرنسيسكو وها انا الآن في نيويورك حسب الاتفاق

اركان الحياة المعنوية التي تطمح اليها كل نفس راقية ثلاثة : الحقيقة والفضيلة والجمال

هوى النفس مشعل ملتهب يعمي البصر بدلاً من ان يضيء له

اذا تكلم الضمير تكلم فالمصلحة تصرخ

كل رأي او فلسفة تتحدى ادراك العامة تعدُّ كفراً وضلالاً

الغلط والفصيح
على ألسنة الكتّاب

(تابع لما في الاجزاء الماضية)

ويقولون هذا خاصة فلان وهو غلط والصحيح هذا ملكه

ويقولون خلَّفَ فلان بمعنى ولَدَ ومنه القول المشهور

مات كلب في المحلّة فنجونا من عِواه
خلَّف الملعون جرواً فاق في النبح أباه

والذي في كتب اللغة قولهم خلَّف القوم اثقالهم اي خلّوها وراء ظهورهم وخلف فلان فلاناً جعله خليفته

ويقولون اختليت بزيد وهو غلط اذ لم تسمع صيغة افتعل من هذا الفعل والصحيح ان يقال خلوت بزيد اي اجتمعت به في خلوة

ويقولون خلَصَ الزاد وخلص الرجل من العمل وكلاهما من اوضاع العامة والصحيح في اولهما ان يقال فرغ الزاد وفي ثانيهما انتهى من العمل

ويستعملون من هذه المادة ايضاً صيغة فعّل ويبنونها للازم فيقولون خلّصَ الرجل اي نجا . والذي في كتب اللغة ان معنى خلَّص فلان اخذ الخلاصة وخلَّص الشيء صفاه وميزه

ويقولون فلان يسعى لنوال المراد وهو غلط والصحيح لنيل المراد . لان النوال بمعنى العطاء . وقد اخطأ في استعمالها صاحب محيط المحيط في مادة خلب حيث قال في تفسير المثل «اذا لم تَغلُبْ فاخلُبْ اي اذا لم تنل حاجتك بالغلبة فتسبب لنوالها بالخديعة»

ويقولون زيد يتكتّم اي لا يبوح بسر وهو غلط اذ لم تسمع هذه الصيغة من مادة كتم وانما يقال كتم السر وربما عدّي الى مفعولين فيقال كتمته الحديث

ويقولون لي خاطر في كذا واخذ فلان على خاطره وفلان مكسور الخاطر وجميع ذلك غلط فالاول بمعنى المشيئة والثاني بمعنى العتب والثالث بمعنى الذل والمسكنة

ويقولون فلان يزيدني ثروةً اي ان ثروته تزيد على ثروتي وهو غلط والصحيح فلان يفوقني ثروة

ويقولون وفى دينه واوفى عهده وكلاهما ضعيف والاصح في الاول ان يقال وفّى دينه على صيغة فعّل بتشديد العين وفي الثاني اوفى بعهده

ويقولون جاءنا بضع رجال ورأينا بضعة نساء وكلاهما غلط لان بضع وبضعة تجريان مجرى العدد المفرد بحيث يجب التذكير مع المعدود المؤنث والتأنيث مع المعدود المذكر يقال بضعة رجال وبضع نساء

ويقولون اتقن فلان صنعته وهو غلط والصحيح صناعته بمعنى حرفته لان الصنعة هي المرّة وعمل الصانع يقال هذا صنعته حسنة اي متقن

ويقولون تصاحب زيد مع فلان او تصاحب زيد وفلان يريدون صار صديقه وهو من اوضاع العامة والذي في كتب اللغة ان تصاحب بمعنى ترافق

ومن هذه المادة ايضاً قولهم الصاحب بمعنى الصديق . والذي في كتب اللغة ان الصاحب هو المالك او من يملك التصرّف كقولهم صاحب الجيش . وليس في اصل هذه المادة ما يدل على الصداقة الا اذا حملناها على محمل الملازمة او المعاشرة . اما الحديث المنقول عن عائشة « انتن صواحب يوسف » فالاشارة فيه الى غير ما ذكرنا

ويقولون سكة حديد الاسكندرية وسكة حديد بغداد وكلاهما غلط لان الحديد نعت للسكة فلا يجب أن يفصل بينها وبين ما هي مضافة اليه والصحيح ان يقال سكة الاسكندرية الحديدية او السكة الحديدية البغدادية او ما يقابل ذلك من التعابير

ويقولون رأيت سائر الناس مجتمعين وجلت في سائر انحاء العالم وكلاهما غلط لان السائر بمعنى الباقي يقال رأيت سائر الناس أي ما بقي منهم

ويقولون سبّبت له تعباً وهو مسبب هذا الشيء وكلاهما غلط لان استعمال سبّب بمعنى تسبب (اي كان سبباً) من اوضاع العامة والذي في كتب اللغة أن سبّبه بمعنى شتمه شدد للمبالغة وسبّب الاسباب وجدها

ويقولون صادرت الحكومة الجريدة الفلانية وصادرت املاك فلان اي منعت التصرف بها . اما صادر في اللغة فمعناها طالب بالشيء يقال صادره بكذا من الدنانير اي طالبه بها ملحفاً

ويقولون ضاع عليه ربحه وضاع عليه الوقت اي ذهب سدى وهو من اوضاع العامة والصحيح ترك حرف الجر يقال ضاع ربحه وضاع وقته

ويقولون استقلّ فلان المركبة أي ركبها وهو غلط شائع ولعل الوجه الصحيح فيه أن يقال استقلت المركبة فلاناً أي حملته ورفعته

ويقولون تداخل في الامر وهو غلط لان صيغة تفاعل من هذه المادة موضوعة قياساً للمشاركة يقال تداخل الشيء أي دخل بعضه في بعض

ويقولون تخاطفته الايدي ولم تسمع صيغة تفاعل من هذه المادة وانما يقال اختطفته الايدي

ويقولون لم يك الرجل في البيت ولم يك المراد منه كذا بجزم الفعل وهي لغة رديئة والاصح ان يقال لم يكن الرجل في البيت ولم يكن المراد كذا باثبات النون وانما يجوز حذف النون اذا لم يكن بعدها همزة وصل يقال لم يك زيد قائماً ولم يك في البلد وقرىء شاذاً لم يك الذين كفروا . واجاز يونس حذفها مع الحركة وأنشد

اذا لم تك الحاجات من همة الفتى فليس بمغنٍ عنك عقد الرتائم

ويقولون دَشّن الملك البناء ودشن فلان المدرسة يريدون بالتدشين افتتاح الشيء او استعماله ابتداء وهو من كلام العامة

ويقولون فلان يتكلم بالدارج اي بكلام العامة . ويسمون كل ما كان مستعملا عند الجمهور دارجاً وهو غلط مشهور

ويقولون تمعن في الامر بمعنى تدبره وهو غلط اذ لم تسمع صيغة تفعل من هذه المادة بهذا المعنى في شيء من فصيح كلام العرب

ويقولون في معرض الاستفهام هل جاء زيد أم خالد فيذكرون معادل المسئول عنه وهو غلط لان هل تستعمل لطلب التصديق فقط نحو هل جاء زيد ويكون جوابها بنعم او لا فيمتنع معها ذكر المعادل

ويقولون الحالة الراهنة وهي من اوضاع المولدين يعنون بها الحالة الحاضرة وانما الراهنة في اللغة مؤنث الراهن

ويقولون الق فلان محاضرة يعنون خطاباً وانما المحاضرة في اللغة هي ما بين القوم ان يجيب الواحد غيره بما يحضره من الجواب . وعلم المحاضرة من فنون الادب

ويقولون يبلغ ايراد فلان كذا من المال أي دخله او ريع عقاره ولم تسمع لفظة ايراد بهذا المعنى في شيء من كلام العرب

ويقولون هوَّى المتاع اي عرضه للهواء ويصوغون منه مصدراً فيقولون التهوية وكله من اوضاع المولدين

ويقولون تصبَّحت بفلان أي لقيته صباحاً وهو من كلام العامة ولم يرد في شيء من كلام العرب

(البقية تأتي) سليم عبد الاحد

الطبيعة وهندسة البناء

تأثير العوامل الطبيعية في طرق البناء

كانت الطبيعة ولا تزال مصدراً يستقي منه الناس في جميع انحاء الكرة الارضية امثالا ونماذج يسيرون عليها في اعمالهم ومعاملاتهم وكل ما من شأنه تسهيل معيشتهم على وجه البسيطة

واشد مؤثرات الطبيعة ظهوراً في الانسان مساكنه الاولى لما كان لا يزال في طور الهمجية فكان اقرب الى الحيوان منه الى الانسان ففي هذه المساكن نرى جلياً تقليد الانسان للحيوانات والطيور واخذه اخذها في تكوين مكان يجعله مأواه فيقيه شرّ الحيوانات الضارية ويجعله بمأمن من التقلبات الجوية . فكان الحيوان استاذ الانسان في اختيار المغاور والكهوف أو في تلقنه كيفية اذلال الصخور الطبيعية لحاجته فيعمل فيها مأوى يشتغل في حفره . وكان الطير استاذه في اتخاذ مساكنه في الاحراج والغابات وفرش هذه المساكن والمساكن السابقة بالحشائش واوراق الاشجار وجعلها وثيرة دافئة

ولم يقتصر الانسان على اتخاذ الطبيعة استاذاً اكبر في تعليمه تدبير مسكنه في زمن الهمجية بل لا تزال الطبيعة مرشداً له في سائر اطوار تقدمه ورقيه . . ولم يك تقدمه الا لزيد اخذه على هذا الاستاذ الصامت الناطق فاخذ يهذب ما اخذه عنه في دور همجيته ويجعله اكثر مناسبة لاحواله وحاجاته الجديدة . فبعد ما كان في بادىء الامر تكفيه حجرة ضيقة يحتفرها بشق النفس في صخر او يبنيها في غابة اصبح يطلب القاعات والدهاليز والشرفات وغرفاً يتناول فيها طعامه ويستريح من تعب نهاره . وبعد ما كان لا يريد من وكره اكثر من ان يقيه تأثير العوامل الجوية اصبح يطلب ان تدخل هذه الغرفة اشعة الشمس وحرارتها صباحاً او مساء او طول النهار

وكان للمعابد الحظ الاوفر من هذا التقدم فالمعابد كانت ولا تزال موضع احترام الناس الاكبر وملجأ آمالهم

مواد البناء

وبالتدريج المستمر اخذ الانسان يستعين بالمواد التي وهبتها الطبيعة له وجعلتها تحت مطلق تصرفه . فحيثما كثرت الاشجار استعملها في بناء مسكنه ومن ذلك نشأت المباني الخشبية . وحيث قلّت الاشجار عمد الى الصخور فاستخدم احجارها المتنوعة في بناء

بيته فكانت له المنازل الحجرية . وحيث قلت الاخشاب والصخور التي تصلح احجارها للبناء عمد الى الطين والتراب فصنع منه اللبن والآجر وبنى بها مأواه

ويظهر تأثير توزيع الطبيعة لمواد البناء لأول وهلة عند مقارنة الابنية بعضها ببعض في انحاء العالم او في اجزاء المملكة الواحدة او الامة الواحدة . وعلى ذلك كان استعمال اليونان القدماء للرخام في ابنيتهم شائعاً لكثرته في بلادهم وجزائرهم المنتثرة في الارخبيل اليوناني وكذلك استعمال البزنطيين للبن والرومانيين للخرصانة [1] وهكذا

الاقليم

ويضاف الى تأثير المواد البنائية تأثير الاقليم او المناخ فحيثما كانت العوامل الجوية تتغير وتُحدث تأثيراً عظيماً كان الانسان يختار من المواد ما من شأنه مقاومة تأثيرات هذه العوامل الطبيعية . وحيثما كانت التغيرات الجوية قليلة لم يدقق في تعيين المواد التي يستعملها في البناء

ولهذا السبب كان المصريون القدماء يبنون اجزاء الجدران الداخلية لبعض معابدهم بالآجر واجزاءها الخارجية بالحجارة القوية . فكان الحائط كان مركباً من مادتين الاولى قوية متينة وهي الخارجية المعرضة لتأثير الشمس والامطار والرياح والاخرى ضعيفة وهي الداخلية وكانت هذه في الغالب تطلى بالجير وتنقش عليها النقوش اوتكتب الكتابات الهيروغليفية . ولذا نرى اليوم في بعض الآثار المصرية القديمة التي لعبت بها يد الدهر اجزاء جدران المعابد الخارجية في حالة حسنة بينما الاجزاء الداخلية قد تساقطت ومحت آثارها

واستعمل البزنطيون الطريقة عينها فكانت جدران كنائسهم تبنى بالآجر القليل الثخن ثم « تبطن » بالرخام فلا يرى الناظر اليها الا جدراناً من الرخام تأخذ بجمالها الابصار

الشمس والسماء

والشمس وشدة اشعتها وحرارتها تأثير كبير وكذا للسماء اذا كانت صافية رائقة خالية من الغيوم على مدار السنة او بالعكس اذا كانت مظلمة اكثر ايام السنة

---

(١) تتألف الخرصانة من الحجارة الصغيرة والرمل والجير أو الاسمنت . والاسمنت الذي استعمله الرومانيون كان طبيعياً ويعرف بالبزولانا Puzzolana

في الحالة الاولى جعلت النوافذ صغيرة ضيقة كالنوافذ التي استعملها المصريون القدماء في ابنيتهم او كالنوافذ التي استعملها العرب في الابنية العربية في بلاد العرب ذاتها او في املاكهم في آسيا وافريقيا . او النوافذ الشائعة في ابنية الايطاليين واهل جنوب فرنسا في الاجيال المظلمة حينا بلغت الهندسة القوطية قمة الكمال والجلال

أما في شمال فرنسا وانكلترا والمانيا وبلاد الفلمنك فان سماءها المظلمة — بالنسبة لسماء ايطاليا واليونان وسوريا ومصر — كانت سبباً في النوافذ الكبيرة بل الهائلة في بعض الاحيان التي تعد من اكبر مميزات الهندسة القوطية في هذه البلاد

ولا تزال قاعدة تصغير النوافذ في البلاد الشديدة الحرارة والضوء بالنسبة لامثالها في البلاد الاخرى متبعة لليوم ينظر اليها المهندسون بعين الاهمية والاعتبار

وكانت المعابد في بلاد اليونان قديماً تحاط باروقة مفتوحة ترتكز على جوانب المعبد من جهة وعلى الاعمدة الجميلة من جهة أخرى وذلك لحفظ داخل المعبد من الحرارة الخارجية

وبالعكس نرى اهل البلاد الباردة ينزلون الشمس المنزلة الرفيعة من الاهتمام فيوجهون جل عنايتهم الى الاستفادة من اشعتها الدافئة وذلك بان يجعلوا غرف النوم والغرف التي يستعملها اهل البيت اكثر اوقات النهار متجهة الى الجنوب فينتفعون اكبر انتفاع بحرارة الشمس لانها تظل تسطع في هذه الغرف طول النهار . يعرف ذلك كل من قصد البلاد الاوربية والاميركية

ولقد بلغ من حذق اهل جنوب فرنسا في اكتساب حرارة الشمس والانتفاع بها شتاء والتخلص من حرارتها صيفاً في بيوتهم انهم يقيمون الاعمدة الخشبية او غيرها على مسافة قصيرة امام واجهات بيوتهم الجنوبية ويركزون على هذه الاعمدة بعض الاخشاب بحيث تكون مرتكزة من جهة على واجهة البيت الجنوبية ومحمولة من الجهة الاخرى على الاعمدة بواسطة خشبة كبيرة ممتدة على رؤوس الاعمدة . فكأنهم يكونون بذلك امام البيت سقيفة من الاخشاب ولكنها مفتوحة للسماء . ثم يزرعون دوالي العنب امام البيت بحيث تنتشر فروعها فوق هذه الاخشاب او السقيفة . فاذا جاء الصيف بحرارته الشديدة وقفت اوراق الدوالي حاجزاً بين حرارة الشمس ونوافذ المنزل لان اوراق الدوالي تكون صيفاً في تمام نموها . واذا جاء الشتاء ببرده تكون قد سقطت اوراق الدوالي فتجد اشعة الشمس طريقاً لها من السقيفة المفتوحة الى نوافذ البيت فغرف البيت نفسه فيتمتع اهله بها وينتفعون بحرارتها . وقد قيل : البيت الذي تدخله الشمس لا يدخله الطبيب

النسيم

وللنسيم تأثير عظيم في بناء البيوت لا يزال الى اليوم حافظاً درجته من الاهمية وهذا التأثير يقتضي جعل الغرف الهامة في المنزل والتي يكثر استعمالها نهاراً مقابلة للجهة التي يهب منها النسيم . ولذا نرى المصريين والعرب في مصر اهتموا بهذا الامر اهتماماً كبيراً . فالنسيم في مصر يهب من شمالها بمجيئها من البحر الابيض المتوسط فيلطف حرارة جوّها صيفاً . فلذلك جعلوا لواجهات البيوت الشمالية الاهمية الكبرى فجعلوا فيها الشرفات البارزة والتي بمستوى واجهة البيت وكذا جعلوا افضل الغرف تطل على الشمال ولا يزال هذا الامر حتى اليوم من أهم النقط التي تتبع في بناء البيوت في مصر وأول ما يسأل عنه مستأجر البيت في القاهرة الواجهة البحرية أو الشمالية

وفي البندقية جعل أهلها افضل واجهات بيوتهم وفيها الشرفات والفتحات تطل على الترع والقنوات التي تخترق المدينة كالشوارع والغالب في هذه البيوت أو القصور مما يراه كل من يزور هذه المدينة الجميلة أن يكون للقصر جناحان بينهما شرفة كبيرة في مستوى الجناحين وهي مسقفة تحملها الاعمدة البيزنطية وتطلّ من جهة على الترعة ومن الجهة الاخرى على صحن البيت . وبهذه الطريقة اذا هب النسيم اخترق واجهة البيت الكائنة على القناة الى صحن الدار فتنال كل اجزاء البيت نصيبها منه

وللنسيم فائدة اخرى لا تقل أهمية عن الفوائد المتقدمة وهي جعل الحمامات والمطابخ وغيرها من اجزاء البيت التي تتصاعد منها الغازات والروائح الكريهة في جهة البيت المقابلة للجهة التي يهب منها النسيم اكثر ايام السنة وذلك ليحمل النسيم معه — بعد ما يمر بالبيت وغرفه — هذه الغازات والروائح بعيداً عن البيت فيبقى أهله من استنشاق تلك الغازات والروائح وهو ما يعبر عنه في هندسة البناء بتهوية البيوت واهميته الصحية لقاطنيها لا تقدر

المملكة الحيوانية والنباتية

تأثير هاتين المملكتين لا سيما الاخيرة ظاهر جداً في القسم التزييني للابنية كالتماثيل وجميع انواع النقوش. وما على المرء الا ان يمعن نظره في بيته أو بيت جاره او المتاحف ودور التمثيل وبيوت الحكومات وغيرها ليرى استعانة الانسان بالمملكة النباتية في نقش هذه الاماكن وزخرفتها وبالمملكة الحيوانية في تزيينها بتماثيل الاشخاص والحيوانات . واكثر الامم استعمالاً للحيوانات في تزيين بيوتها ومعابدها وغيرها المصريون

والاشوريون والهنود واليونان والرومان

وقد استعملت التماثيل البشرية كل الامم تقريباً سوى العرب لتحريم الديانة الاسلامية ذلك . اما النقوش والزخارف المأخوذة عن المملكة النباتية فاستعملتها كل الامم بلا نزاع وتفننت فيها . فبعد ما كانت بسيطة غير متقنة تنم عن سذاجة صانعيها بلغت درجة من الاتقان اصبحت فيها تنطق بالكمال والجمال . ومن النقوش النباتية البسيطة انتقل العرب الى استعمال الاشكال الهندسية المركبة المعقدة والجميلة في الوقت عينه

وتقدم نقوش المملكة النباتية وزخرفها التدريجي ينطبق على تماثيل الحيوانات والتماثيل البشرية فاين نقاشو العصور الاولى من نقاشي اليوم ؟

الخلاصة

من هذه الامثلة جميعها نرى عظم تأثير الطبيعة في مسكن الانسان منذ كان همجياً الى ان اصبح اليوم يرفل بثياب المدنيـة الحاضرة واصبح كل فرد يستطيع ان يسكن بيتاً او قصراً اجتمعت فيه اسباب الراحة الى اسباب الصحة وهدو البال

نقولا قبعين

خواطر

ان من يفكر في الانتقام ويحمل الحقد يبقى دامي الجراح دائماً (باكون)

ما معنى تلك الصلبان الذهبية المملوءة بالحجارة الثمينة وقد صلب المسيح على خشب (مونتسكيو)

الغادة غير الفتاة جديرة ان تعتاض من سحر الجمال وفتنة الحسن فضيلتي : التعقل والحرص على سرور الناس (اديسن)

الحسد كاللهيب يلطخ كل ما فوقه بالسواد اذا لم يستطع ان يحرقه (قيصر)

الهناء هو ان يسلم المرء من امرين مخافة الموت والرغبة في الموت (شاعر لاتيني)

حاسب امي على نقص اخلاقي لانها هي التي صيرتني ما انا (آدمز)

متى اعترى القيصر برد حمت روسيا كلها (مثل روسي)

ابو تيج امين غالي

الصليب الازرق

والصليب البنفسجي

وتطلب منك ايضاً ايها الرب ان تشمل بعنايتك وحنانك هذه المخلوقات الوضيعة التي تتحمل معنا مذاق الحياة وتضحي بحياتها في سبيل الدفاع عن الوطن لانك وعدت بالرحمة للناس والحيوانات وعظيمة هي محبتك !

« فقرة من صلاة الفارس الرامي »

يعلم القراء ما هو الصليب الاحمر وقل من سمع شيئاً عن الصليب الازرق والصليب البنفسجي فرأينا ان نورد هنا كلة وجيزة عنهما لاهميتهما المتزايدة في هذه الحرب فنقول :



معالجة فرس مصاب في ميدان القتال

الصليب الازرق والصليب البنفسجي جمعيتان غايتهما معالجة الخيل الجريحة والمريضة في ساحات الحرب . والفرق الوحيد بينهما ان الاولى تابعة لجمعية الرفق بالحيوانات الانكليزية والثانية مستقلة عنها ولها ادارة خاصة . اما رئيسة الصليب الازرق فهي اللادي سميث دورين ورئيسة الشرف مدام ميلران وزير الحربية السابق . اما الصليب البنفسجي فرئيسته مس لند اوف هيجي الانكليزية

واول من فكر في انشاء مستشفيات للخيل في ساحات القتال المسيو ديكروا الطبيب البيطري الفرنسوي منذ نصف قرن . وكان قد دعاه الجنرال ديفو بعد موقعة سلفرينو ليجوب ساحة القتال ويأتي بالخيل الجريحة التي يمكن شفاؤها ويقضي على التي لا امل

بشفائها . ومنذ ذلك الحين اهتم اصحاب الشأن بأمر الخيل في الحرب وطرق العناية بها ويرجع الفضل للانكليز في اخراج هذا الفكر الى حيز العمل ولهم القسط الاوفر في انشاء المستشفيات البيطرية في ميادين القتال في فرنسا . والجمعيتان اللتان نحن بصددهما تأسستا في انكلترا

وقد قام الصليبان الازرق والبنفسجي بأجل الاعمال في هذه الحرب والفضل في ذلك يرجع الى حسن تدبير القائمين بهما . اما الاغراض التي ترميان اليها فاليك اهمها :

(١) اسعاف الخيل المصابة اسعافاً اولياً عند خط القتال

(٢) نقلها بواسطة العربات والاوتوموبيلات الى المستشفيات الثابتة وراء خط القتال

(٣) معالجتها في تلك المستشفيات

(٤) ارجاع الخيل بعد شفائها الى خط القتال

(٥) ارسال عدد من الاطباء البيطريين الى ساحات القتال لقتل الخيل التي لا امل من شفائها لئلا تحمل صنوف العذاب قبل ان تقضي نحبها

(٦) مساعدة القرويين وجميع الاهلين في العناية بخيلهم وارشادهم الى اقرب الطرق وانجعها

ولا يخفى ما للخيل من الاهمية في الحرب . قال احدهم « ما الفائدة من المدافع اذا لم نجد من ينقلها ؟ فالخيل تنقل المدافع والذخائر والمؤن الى حيث تقضي الحاجة سواء كان على قمم الجبال والاودية او في الغابات والاحراج وعبر الانهر مثقلة بالاحمال والرجال بعكس السيارات التي لا يمكنها السير الاَّ في الارض السهلة المستوية »

وقد تبين للدول المحاربة ان عدداً كبيراً من الخيل كان يموت بسبب الاهمال فقد كانت الخيل قبل انشاء هذه المستشفيات اذا اصيبت بجراح بليغة اثناء احدى المواقع تترك وشأنها في الميدان وربما مكثت بضعة ايام تعالج سكرات الموت . بل ان انكلترا وفرنسا خسرتا في بادىء هذه الحرب عدداً وافراً من خيولها قبل تنظيم الجمعيتين المتقدمتين . خذ مثلا على ذلك ما اصاب الخيل في مسرح همشير وحده في انكلترا فقد بلغ ما كان يموت منها بسبب الامراض الوافدة مائتان في الاسبوع الواحد

اما الان فالخيل تعالج بكل عناية وقد قدر احدهم ان من ١٥٠٠ فرس دخلت مستشفيات الصليب الازرق تمكن ١١٠٠ من الرجوع الى ساحة القتال

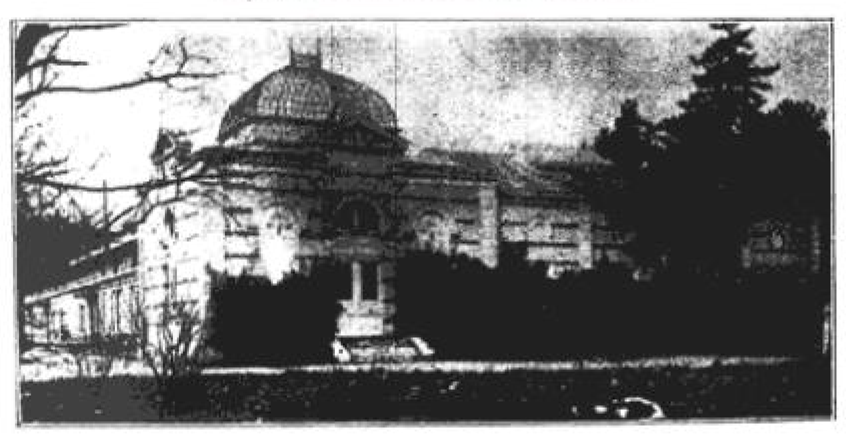
ولا شك ان الاهتمام بأمر الخيل ليس من قبيل الواجب الادبي فقط بل ان مصلحة الانسان تتطلب الاعتناء بهذه المخلوقات التي تخدمه بلا مقابل وتحارب عدوه وتهلك

في سبيل الدفاع عن وطنه بلا ادنى ثمرة تجنيها لنفسها وقد قال احد الكتاب الحربيين « يجب ان نعتني بالفرس بقدر ما نعتني بالفارس نفسه »

وامانة الخيل اشهر من ان تذكر فانه يضرب بها المثل وانما نقتصر هنا على حادثتين وقعتا في اثناء هذه الحرب على سبيل التفكهة :

روى جندي انكليزي اسمه و. جرين القصة التالية التي شهدها بعينه قال : عرفت فرساً تستحق وسام الشرف اذا منحت الاوسمة يوماً للحيوانات . وذلك ان راكبها اصيب في احدى المعارك برصاصة افقدته رشده ورمته عن ظهر فرسه فما كان من الفرس الا ان حملته باسنانها من ثيابه وذهبت به الى بعض رفاقه فاسعفوه للحال وارسلوه الى المستشفى ليعالج فيه . وقد قال الطبيب الذي فحصه انه لو بقي الجندي مدة وجيزة ملقى على الارض بلا علاج لمات بلا ريب

وذكر اليوتنان مارسل ديون في يومياته ما يأتي : رجعت يوماً بعد قتال عنيف الى المعسكر فابتدرني احد الجنود قائلاً « يا أيها اليوتنان ان فرسك جريح جرحاً بليغاً » فنزلت عنها للحال فلم أتمالك من ان ادمعت عيناي لما رأيت هذا الصديق الامين وقد اصيب بثلاث رصاصات في فخذه وجنبه ولم يمنعه ذلك من مواصلة المسير بدون ادنى اشارة فلم يكد يبلغ المعسكر حتى خارت قواه وخرَّ مغمىً عليه . ياليتك كنت تدري ايها الصديق الامين ما احس به الآن من الانعطاف والحنان نحوك !



عناية الحلفاء بمستعمراتهم

هذه صورة المستشفى الفخم الذي بنته فرنسا في مدينة نوجان على المارن لجنودها المسلمين من جزائريين وتونسيين وغيرهم

العلم في خدمة الحرب

كيف يستخدم الالمان علم الكيمياء

قبل نشوب الحرب بخمس او ست سنوات نشر مدير المعهد الصحي في برلين بعض النتائج التي وصل اليها مع زملائه في درس فعل الغازات السامة المختلفة وتأثيرها في الانسان بدعوى الاستفادة من هذا الدرس في تطهير المعامل والمصانع الكبيرة واتخاذ التحوطات اللازمة . وطلب من الكيماويين في سائر الدول ان يفيدوه عن تجاربهم واختباراتهم في هذا الموضوع فكتب اليه الكثيرون يفيدونه عما وقفوا عليه خدمة للعمال والمعامل



توليد الغازات السامة : ١ الوعاء الممتلئ سوائل سامة ٢ انبوب الضغط ٣ الغازات الخانقة

وفي سنة ١٩١١ اهتمت مصلحة السكك الحديدية الالمانية في اكتشاف انجع الطرق لابادة النباتات التي تنمو على جوانب الخطوط الحديدية حتى لا تعوقها في سيرها فجعلت جائزة لافضل اختراع يفي بهذا الغرض فقدمت آلات مختلفة تنبعث منها السوائل المحرقة والنار الملتهبة . وفي السنة نفسها ايضاً اهتمت مصلحة الغابات الالمانية بايجاد سموم قوية بلا رائحة ولا طعم لابادة الحيوانات المفترسة كالذئاب والثعالب وغيرها القاطنة في تلك الغابات . وقد اهتم بهذا الامر كثيرون من علماء الدول الاوربية وشاركوا علماء الالمان في البحث وارسلوا اليهم جميع اختباراتهم ومعلوماتهم

واخيراً في سنة ١٩٠٢ توصل الاستاذ استوالد بعد البحث الطويل الى صنع

اسطوانات مؤلفة من مواد كيماوية تلتهب بسهولة تامة

فكانت جميع هذه المباحث مقدمة لما سمعنا به مراراً منذ نشوب هذه الحرب من استعمال الالمان للغازات الخانقة والسوائل الملتهبة والمقذوفات النارية وغير ذلك من الوسائل التي تعهد الالمان انفسهم في معاهدة لاهاي سنة ١٩٠٧ أن لا يستعملوها . وسندرس اهمها في ما يلي بالتتابع

الغازات والمقذوفات الخانقة

في شهر مارس الماضي امر الامبراطور غليوم جيوشه في الميدان الغربي ان تستولي على مدينة كاليه مهما يكلفها ذلك فاخفقت — كما هو معلوم — رغم الجهود العظيم الذي بذلته في هذا السبيل . وفي هذه الاثناء رأت الجيوش الانكليزية ذات يوم وهي في خنادقها غيماً لونه بين الاخضرار والاحمرار يزحف الى جهتهم على الارض فاضطروا للحال الى الرجوع القهقرى خشية الموت الذي لا مناص منه وكان ذلك في ٢٢ ابريل سنة ١٩١٤ وهو يوم تاريخي لانه اول يوم استعملت فيه احدى الدول الاوربية المتمدنة هذه الغازات الخانقة في القتال رغم كل الاتفاقات الدولية والعواطف الشريفة . وقدفهم الحلفاء في ذلك الحين معنى التجارب التي اقامها الالمان قبل الحرب والتي ساعدهم فيها علماء اوربا كلهم بصفاء نية

ان هذه المباغتة المؤلمة اضطرت الحلفاء الى الرجوع نحو كيلومترين ولكنهم في مساء ذلك اليوم نفسه بعد ان تبددت الغيوم السامة حملوا على الالمان بالسلاح الابيض فاسترجعوا مراكزهم السابقة بل وصلوا الى خنادق الالمان الامامية فوجدوا فيها الالات التي انبعثت منها تلك الغازات الجهنمية وبين الواحدة والاخرى منها نحو خمسة وعشرين متراً

ان فكرة استعمال الغازات الخانقة قديمة فقد ذكر بوليبيوس المؤرخ انه بينما كان احد الجيوش الرومانية يحاصر مدينة امبراسيا سنة ١٨٩ قبل الميلاد رأوا الغيوم تنهال في خنادقهم التي كانوا قد احتفروها للوصول الى المدينة . وقد ذكر تيتليف وغيره حوادث اخرى من هذا النوع

وفي الاجيال الوسطى استعملت ايضاً انواع مختلفة من الغازات منها غازات الكبريت ودخان القش المبلول ودخان الصوف المشرَّب شحماً وغيرها . ولكن الدول الحديثة رأت ان هذه الوسائل تحط من قدرها فاتفقت على عدم استعمالها

وليس توليد الغازات الخانقة اليوم سرٌّ اختص به الالمان دون سواهم فكل كيماوي

يعرف الاساس العلمي البسيط الذي عملوا به . وانما المسألة مسئلة استعداد ومباغتة ويعلم الجميع اليوم ان الحلفاء قد توصلوا الى انجع الطرق الواقية من فعل هذه السموم الغازية واستعدوا لمقابلتها بمثلها

ويكفي لهذا الغرض اما استخدام بعض الغازات السامة التي يمكن تحويلها الى سوائل بفعل التبريد والضغط الشديد وتبخرها ثانية عند رفع الضغط كالكلور مثلا او بعض السوائل السامة التي تتبخر بسهولة عند تعرضها للحرارة الاعتيادية كالبروم مثلاً . ولا بد من ان تكون الغازات المولدة بهذه الكيفية اثقل من الهواء حتى لا ترتفع عن سطح الارض ولهذا السبب لا يجوز استعمال الحامض الكربوني (وهو غاز سام) لانه اخف من الهواء ويتبدد فيه بسرعة

أما الالمان فقد استعملوا عنصري الكلور والبروم فالاول غاز سام والثاني سائل سام وهما موجودان بكثرة في البلاد الالمانية : فالكلور يستخرج بسهولة عند معالجة الملح الاعتيادي (واسمه العلمي كلورات الصودا أي انه مركب من عنصري الكلور والصودا) بالكهربائية فانها تحله الى عنصريه ولما كان الكلور غازاً فانهم يحولونه الى سائل كما ذكرنا ويضعونه في آلات خاصة مضغوطاً عليه لئلا يتبخر (انظر الشكل) ويكفي عند استعماله رفع الضغط لينبعث الغاز من الآلة . اما البروم فيستخرج من بعض الاملاح التي يدخل في تركيبها . ومن خصائصه انه يذوب بسهولة في الكلور السائل ولهذا السبب فان الالمان يستعملون هذين العنصرين ممزوجين معاً . ويبلغ وزن الآلة المستعملة لهذا الغرض ٦٥ كيلو غراماً عند امتلائها

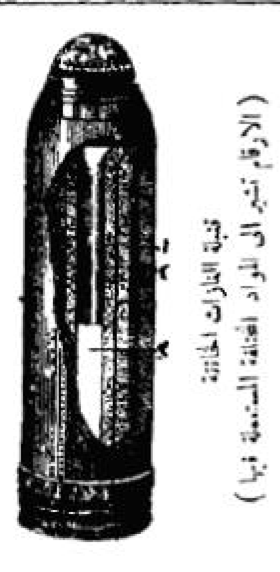
قنبلة يدوية تصعد منها الغازات عند انفجارها

ولا يخفى ما يترتب على هذا الاختراع من الخطر على مستعمليه فقد ينعكس الهواء فجأة ويحول الى مرسليه فيفتك فيهم بدلاً من ان يفتك في اعدائهم . ولذا يفضل استعمال غازات ذات لون واضح للبصر حتى اذا ما رجعت عن غرضها الاصلي اتخذت الوسائل اللازمة لتجنبها

وقد ابتكر الالمان اختراعاً آخر لتلافي الاخطار المتقدمة وهو انهم صنعوا قنابل زجاجية ترمى باليد من خندق الى آخر وفيها سوائل سامة (كالبروم) تحول الى غازات حالما تتعرض للهواء . واخترعوا ايضاً قنابل ترسل بالبنادق والمدافع القريبة المرمى

فتنفجر حال وصولها الى المكان المقصود وتنبعث منها الغازات الخانقة . ولكن هذه المقذوفات لم تأت بنتائج مرضية

اما طرق الوقاية من هذه الغازات فبسيطة جداً وهي مبنية على كون المواد القلوية تمتص الكلور والبروم وتحوله الى مواد اخرى لا خطر منها فاذا وضعت على وجه الجندي كامة فيها هيبوسلفات الصودا او كربونات الصودا فانها تمتص الكلور والبروم بسهولة . وقد صنع الحلفاء اجهزة مختلفة لهذا الغرض واصبحوا لا يخشون خطر الغازات الخانقة مطلقاً



قنبلة الغازات الخانقة
(الارقام تشير الى المواد الخانقة المستعملة فيها)

قذف النار

لدى الالمان آلات مختلفة لقذف النار فمنها ما يرسل سوائل ملتهبة لمسافة ٢٥ او ٣٠ متراً . ومنها ما يرسل سوائل قابلة للالتهاب تلتهب بواسطة جهاز مخصوص عند خروجها من فوهة الانبوب . ولكن احدثها هي التي تشتعل فيها السوائل حال خروجها من الانبوب بمجرد تعرضها للهواء . واهم السوائل التي لها هذه الخاصة الهيدروجين المفسفر ومركب فسفوري آخر اسمه دعبتلفسفين

الرمي بالزاج (Vitriol)

لا يخفى ما لزيت الزاج المعروف علمياً باسم الحامض الكبريتيك من التأثير في الانسجة الحيوية فانه يأكلها ويعيبها للحال وكان العلماء الالمان قد درسوا فعل هذه المادة بقصد ابادة النباتات والحشائش التي تنمو على جوانب السكك الحديدية تمهيداً لاستعمالها في القتال

ويرى القارىء في الشكل الآتي صورة الآلة المستعملة لهذا الغرض وهي عبارة عن وعاء معدني متين فيه زيت الزاج او الصودا الكاوية مضغوطاً عليها . فاذا اريد استعمالها فتحت الحنفية فينتشر السائل الكاوي على العدو بزخم . الا ان هذه الآلات ثقيلة الوزن صعبة النقل . ولذا فالالمان يستعملون بدلاً منها احياناً زجاجات بسيطة ملأى بالزاج ويرمونها على اعدائهم فاذا انكسرت واصابت مرماها اتت بالغرض المطلوب



آلة لرش زيت الراح

الحريق

ومما امتاز به الالمان في هذه الحرب احراق الابنية والمدن بواسطة مواد كيمية تلتهب في احوال معلومة وطريقتهم التي يستعملونها في الغالب هي التالية :

يذهب بعض الجنود الى الابنية المراد احراقها فيدخلونها ويرشون غرفها بالبنزين او البترول ثم تأتي بعدهم عربة عليها مضخة يرش بواسطتها خارج البيت وظهره بالبترول ايضاً . وعند ذلك توضع في داخل البيت اقراص صغيرة سوداء تلتهب بسرعة . وهذه الاقراص مركبة من مادة الترميت التي توصل الى اكتشافها أحد علماء الالمان واسمه الدكتور هانس جولدشميت وهي مؤلفة من أكسيد الحديد والالومنيوم المسحوق وقد كانت معروفة لدى جميع الكيماويين قبل الحرب . ومن خصائصها انها تولد حرارة شديدة جداً تبلغ ٣٠٠٠ درجة سنتيجراد وهي كافية لاذابة الحديد

ويستعمل الالمان ايضاً مادة الترميت المتقدمة في قذائف خاصة لاضرام النار ويستعملونها ايضاً في تركيب القنابل التي يرمونها من مناطيدهم على المدن

هذه اهم الاختراعات التي باغت بها الالمان الحلفاء ولكن زمن المباغتة قد انقضى فالحلفاء اليوم يعرفون كل ما اعده لهم الالمان من وسائل الشر والدمار وقد استعدوا

عجائب المخلوقات

الحيوانات التي تحتفر الخنادق

من اعظم المباغتات التي اتتنا بها هذه الحرب حفر الخنادق والانفاق في الارض . واذا امعنا النظر في عوالم الحيوانات وجدنا ان هذه الطرق شائعة بين انواع كثيرة منها وقد رأينا ان نأتي هنا ببعض الامثلة على ذلك لبيان الارتباط المتين بين الانسان والحيوان والوسائل المتشابهة التي يستعملانها في تنازع البقاء المستديم بين جميع الكائنات الحية

ان حفر الخنادق خاصة يشترك فيها كثير من الحيوانات على اختلاف درجاتها — من احط الانواع الى ارقاها . فبين ذوات الثدي منها عدة امثلة على ذلك . واشهر الانواع من هذا القبيل الخلد (Taupe) انظر شكله في الصورة التالية



خلد في حفرته وعلى يمين الصورة هيكل يده التي يحفر بها خنادقه

وقد منحت الطبيعة هذا الحيوان يدين مسلحتين باظافر قوية تمكنه من حفر الارض بسرعة عظيمة جداً حتى انك لو أخرجت خلداً من حفرته ووضعته على سطح الارض وجدت انه بعد هنيهة وجيزة جداً قد احتفر حفرة واختفى عن بصرك . ولا يكتفي هذا الحيوان بحفر نفق بسيط تحت الارض بل هو يتفنن في عمله هذا ويشعب من نفقه الاصلي انفاقاً أخرى عديدة على شكل غريب تعد بجانبها صفوف الخنادق والانفاق التي يحتفرها الجنود في ساحات القتال في غاية البساطة . ثم ان الخلد يحتفر فضلاً عن هذه الانفاق غرفة مستديرة يجعلها مركز اقامته العادي ويبلغ قطرها بين ثماني وعشر سنتيمترات ويحفر حول هذه الغرفة المستديرة نفقين بشكل دائرتين الواحدة على مستوى الغرفة والثانية فوقه . والغرفة متصلة بهذين النفقين بواسطة عدة ممار حتى يجد لنفسه منفذاً من اي

جهة بداهمه الخطر . وفي داخل الغرفة شبه سرير من الاوراق والقش لينام عليه الخلد
والثعلب ايضاً يقضي جزءاً من حياته داخل الارض لا سيما في النهار . وهو في الغالب يستولي على حفرة حيوان آخر بدلاً من ان يحتفر حفرة خاصة له وحفرته عبارة عن ردهات عميقة تنتهي جميعها في غرفة كبيرة لا يقل عمقها عن ثلاثة امتار . وهذه الردهات متصلة بعضها مع بعض بممار عديدة

واشد ذوات الثدي مهارة في حفر الخنادق واكثرها توسعاً فيها حيوان بين ابن عرس والدب فاتح اللون في الاعلى وقاتمه في الاسفل يسمى عناق الارض او التقه وهو من الحيوانات الليلية ويصرف الشتاء نوماً فان له براثن قوية يحفر بها الارض بسرعة غريبة . وكيفية ذلك انه ينبش الارض بيديه القويتين فاذا تراكم التراب استعمل يديه الخلفيتين لدفعه الى الوراء . ثم يرجع الى خلف بين آن وآخر ويجر بجسمه التراب المتراكم الى خارج الحفرة . ولنفق هذا الحيوان ابواب عديدة تبعد الواحد عن الآخر نحو ٣٠ قدماً وكل نفق من انفاقه يبلغ طوله بين السبعة والعشرة امتار وتنتهي في غرفة كبيرة على عمق متر او مترين تحت الارض يجعلها مقره العادي

هذه بعض الامثلة من الحيوانات الثدوية التي تحفر الارض وهناك امثلة اخرى كثيرة يضيق عن ذكرها المقام . والاغرب من ذلك ان بعض الطيور — والطيور عشيقة الهواء المطلق عادة — تحفر مثل هذه الانفاق والحفر . فمن انواع الطير الخطاف نوع يحفر انفاقاً على شاطئ البحر يبلغ طولها متراً وعدة احياناً ويضع عشه في داخلها . ولا شك ان مثل هذا الامر من الغرابة بمكان لا سيما اذا امعنا النظر في تركيب هذا الطير ونحافة جسمه . وهناك طائر آخر يسميه الاسبان (Carita) اي البنّاء الصغير يضع وكره في حفرة عميقة طولها متران او اكثر . ومثله طير ازرق صغير يسمى عند الفرنسويين (Martin-pêcheur) اي الخطّاف الصيّاد يصطادونه من البحيرات حيث يعيش في وكر له منفذان

اما في عالم الحشرات فان مهارة بعض العناكب في حفر الانفاق غريبة جداً يقف عندها المرء وقد اخذت منه الدهشة كل مأخذ . وهي على انواع تحفر انفاقاً ودهاليز مختلفة وقد نشرنا في السنة الماضية من الهلال فصلاً عن طبائع العناكب ذكرنا فيه مهارة بعض العناكب في هذا الباب ومما قلناه عندئذٍ ولا بأس من تكراره الآن :

ومن اغرب انواع العناكب نوع يبني وكراً غريباً في هندسته وهو عبارة عن حفرة عميقة مبطنة بنسيج حريري خشية ان تهبط جدرانها وفوقها باب يقي من المطر ومن

الضيوف الثقلاء . وهذا النوع ينتخب عادةً لحفرته مكاناً محاطاً بالحشائش حتى لا يظهر باب بيته للغادي والرائح . اما الباب فانه جميل الهندسة كامل الصورة يشبه الابواب التي تنقفل وحدها بزنبلك لمرونة مفاصله . ولهذه العناكب مقدرة كبيرة للدفاع عن اوكارها فاذا سعى احد في فتح الباب تشبثت به العنكبوت من الداخل حتى انه يلزم قوة كبيرة لفتحه



نوع من الجنادب في حفرته يقطع جذور الاشجار

وهناك حشرات اخرى كثيرة منها نوع من الجنادب نشرنا صورته هنا وهو يقطع جذور الشجر والنبات ويتغذى منها . ولا يجب ان يبرح من ذهننا مهارة النمل في هذا الفن فانها اشهر من ان تحتاج الى التذكير

قوة الحشرات

اذا درسنا قوة الحيوانات بالنسبة الى حجم جسمها وجدنا ان الانسان من اضعفها واخفها . فان المحار او البطلينوس مثلاً (Oyster) يحمل ثقل ٣٧ رطلاً . ومن السرطان أنواع يحمل الواحد منها ٤٩٢ مرة وزنه وعلى هذا المعدل كان يجب ان يحمل الانسان المعتدل الجسم ٧٣٨٠٠ رطل

وفي مقدمة الذين درسوا مقدرة الحشرات على حمل الأثقال فليكس فلانو العالم البلجيكي ومما قاله : ان حمل الذبابة لعود كبريت صغير بارجلها يعادل رفع الانسان برجله لعمود خشب طوله ١٤ قدماً ومساحته عند قطعه عمودياً قدمان و٦ بوصات مربعة .

ومن البق نوع يجر ست عيدان كبريت وهي تعادل للرجل ٣٣٠ عموداً من الخشب بحجمه . وطريقة العالم المتقدم في درس قوة الحشرات أنه ربطها الى ميزان دقيق ثم يجزها فالماً تمشي تحرك عقرب متصلة بالميزان فتدل على قوة تلك الحشرة

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

(تابع لما في الجزء الماضي من الهلال)

في ١٦ نوفبر — بدأ البلغار بالزحف على موناستير وتراجع الصرب عن مضيق بابونا وصد الفرنسويون هجوم البلغار

في ١٧ منه — غرقت سفينة محوّلة مستشفى في الخليج الانكليزي بانفجار لغم فغرق معها ٨٥ نفساً

في ١٨ منه — انتصر الانكليز على الاتراك في قربتية بغاليبولي فانتزعوا منهم ٢٨٠ ذراعاً من الخنادق وظهرت طلائع البلغار بقرب مناستير

في ٢٠ منه — اذيع ان الحلفاء عزموا على حصر بلاد اليونان تجارياً واقتصادياً. وزار اللورد كتشنر الملك قسطنطين باثينا واحتل البلغار برليب شمالي موناستير وسقطت البلاد المعروفة بصربيا القديمة في يد الاعداء وعاد الروس فاستولوا على زارتورمسك على الضفة الغربية من نهر ستير

في ٢١ منه — احتلت القوات النمسوية نوفي‌بازار واحتل الايطاليون احدالمرتفعات الحصينة الواقعة الى الشمال الغربي من غوريزيا

في ٢٢ منه — هاجت الطيارات الانكليزية بالدودنيل مدينة اينوس ودنا البلغار من برشتينا واذيع ان اسطولاً صغيراً من الغواصات البريطانية تمكن من دخول بحر البلطيك

في ٢٣ منه — نفت نظارة الخارجية الانكليزية وجود حصر على بلاد اليونان وانتصر الصرب على البلغار شرقي سهل قوصوه ونقلت عاصمة صربيا من متروفتزا الى برزرند واعلن الفرنسويون ان طياراتهم قد انزلت سبع طيارات المانية في الميدان الغربي

في ٢٤ منه — سقطت متروفتزا وبرشتينا في يد البلغار والنمسويين وقدم الحلفاء مذكرة جديدة الى اليونان يطلبون منها عدم نزع سلاحهم فيما لو التجأ الجيش الصربي الى حدود اليونان وانتصر الانكليز في العراق على الاتراك وتراجع الالمان في عدة

مواضع على خط ريغا واسترجع الروس برسمند من الالمان وانتصر الايطاليون على النمسويين على قمة سان ميشيل وعزمت اوستراليا ان تجند جيوشاً جديدة للقتال

في ٢٥ منه — اخترقت فصيلة من الجيوش البريطانية خنادق الالمان بقرب غابة جكورت بفرنسا ونسفت خندقاً منها وارجع الروس النمسويين على نهر ستريبا (بغاليسيا) وهزم الحلفاء العثمانيين ثلاث مرات في غاليبولي وحدثت مناوشة بين الانكليز وطلائع الاتراك بقرب القنطرة (عند ترعة السويس)

في ٢٦ منه — هاجم الفرنسويون البلغار شرقي كريشولاك واحتلوا برسنك وقدم الحلفاء مذكرة جديدة لليونان ونسف الحلفاء عدة مستودعات حربية للالمان في الميدان الغربي ووصل اللورد كتشنر الى رومية وزار مركز القائد العام

في ٢٧ منه — القى الطيارون البلجيكيون القنابل على ستة معسكرات المانية

في ٢٨ منه — اغرق طيارات من الحلفاء غواصة المانية على سواحل البلجيك وانزلت طيارة بحرية بريطانية طيارة المانية من طرز الباتروس بقرب وستند واغرقتها وأنزلت طيارة اخرى المانية في وستند بفعل القنابل ونشطت حرب الطيارات في الميدان الغربي عموماً فكانت الاسبقية فيه للحلفاء . واخترقت فرقة سيرية خنادق الالمان وطردت منها الاعداء وانتصر الروس على الاتراك في القوقاس وفي بلاد العجم

في ٢١ منه — اسر الروس قائدين المانيين برتبة جنرال وردوا الالمان على خط دفنسك وانتصر الايطاليون على النمسويين في مرتفعات غوريزيا وسافر الامبراطور غليوم الى فينا للاجتماع بامبراطور النمسا

في ٣٠ منه — احتل البلغار برزرند على حدود البانيا واقفلت رومانيا الدانوب من اقصى شرقيه وضرب الاسطول البريطاني ساحل البلجيك من زيبروج الى اوستند

في اول ديسمبر — رد جنود الجبل الاسود الجيوش النمسوية الى البوسنه ونشطت مدافع الحلفاء في الميدان الغربي فالحقت عطلاً كبيراً بالاعداء وحدث انفجار في احد مصانع الذخيرة في اميركا

في ٢ منه — استعفى ثلاثة من وزراء النمسا

في ٣ منه — اعلن البارون سونينو وزير خارجية ايطاليا ان ايطاليا امضت اتفاقاً مع الحلفاء ان لا تعقد صلحاً منفرداً . وسقطت مناستير في يد الالمان والنمسويين

في ٤ منه — طلبت الولايات المتحدة من المانيا سحب الكابتن بوي اد والكابتن فون بان الملحقين بالسفارة الالمانية واخلى الجبليون بلفلى بدون قتال وارتدوا الى

حصون دفاعية وعُين الجنرال جوفر قائداً عامًا للجيوش الفرنسوية

في ٦ منه — ارتد البريطانيون في العراق عن بغداد الى قوت العمارة بكل نظام ناقلين معهم جرحاهم وبلغت خسارتهم ١٥٠ بين قتيل وجريح وباخرتين نهريتين

في ٧ منه — نسفت غواصة بريطانية مدمرة عثمانية في بحر مرمرا تسمى يار حصار واتخذت اثنين من ضباطها واربعين من نوتيتها ووضعتهم في سفينة شراعية . ثم اطلقت طوربيدها على السكة الحديدية بازمير واغرقت باخرة حمولتها ثلاثة آلاف طن واربعة مراكب شراعية تحمل ذخائر . وعبر النمسويون حدود الجبل الاسود

في ٩ منه — انتصر الروس على القوات الموالية للالمان في بلاد العجم والحقوا بها خسارة عظيمة في همذان . واطلق الاتراك المدافع بشدة على خط الانكليز في غاليبولي

في ١١ منه — اصطدمت غواصة المانية بطراد الماني في بحر البطليك فانكسر مقدم الغواصة وخُرق مؤخر الطراد وحصدت مدافع الحلفاء ثمانية آلاف من البلغار

في ١٢ منه — الحّ الحلفاء على اليونان باخلاء سالونيك منعاً لعرقلة اعمالهم وانسحبت القوات الفرنسوية والانكليزية من نهر الوردار نحو سالونيك . واشتد اطلاق القنابل في شمبانيا وعُين الجنرال كاستلنو رئيساً لاركان حرب الجنرال جوفر

وفي ١٣ منه — سحبت اليونان عساكرها من سالونيك اجابةً لطلب الحلفاء . ودمّر الحلفاء بعض الخنادق الالمانية شرقي ابر وشمالي لاباسي وفي غابة بوشو وحصلت مناوشات مع العرب الثائرين في مرسى مطروح (على حدود مصر الغربية)

في ١٤ منه — احتلت الجنود الفرنسوية البريطانية المعادن الصربية ووردت أخبار بحدوث شغب في برلين عند افتتاح مجلس الرشستاغ

جلوس عظمة مولانا السلطان

وافق عيد جلوس سلطاننا المعظم اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر الفائت فاحتفلت مصر والسودان بهذا العيد السعيد وكانت الزينات التي أقيمت في العاصمة والاسكندرية من ابهج ما قرّت به العيون

وقد تفضل عظمة مولانا السلطان فاستقبل في القصر السلطاني وفود المهنئين وكان حاكم السودان العام قد ارسل الى عظمته تلغرافاً يهنئه فيه بهذا العيد السعيد فارسل عظمته يشكر له وللموظفين الملكيين والعسكريين في السودان اخلاصهم وولاءهم والمقلال يغتنم هذه الفرصة ليرفع الى عظمته اخلص التهاني بعيده السعيد

الصين

بين الجمهورية والملكية

« لا تكون الصين جمهورية ما لم يكن الصيني جمهوري الروح »
سيلي

تمهيد

قد انقضى الزمن الذي كان يقتصر فيه درس التاريخ على الشعوب القوقاسية التي عاشت حول البحر الابيض المتوسط ولا بد للباحث اليوم من استقصاء خبر الشعوب التي عاشت في سائر جهات الكرة الارضية — يضطر الى ذلك بالنظر الى احكام الروابط المادية والادبية التي تربط جميع اطراف العالم بعضها ببعض . وليس بين الامم الحية أمة تستغني عن غيرها . وقد تحدثت الصحف اخيراً — على رغم انهماك الناس في الحرب واخبارها — عن مجرى الحوادث في بلاد الصين والانقلاب الدستوري الذي اوشك ان يتم فيها . فرأينا ان نسرد هنا ما جرى في الصين بعد اعلان الجمهورية لا سيما وان ما نعلمه من هذا القبيل قليل وغامض

لا مشاحة في ان الصين اقدم مملكة من الممالك الحية فقد عاشت نحواً من خمسة آلاف عام عاصرها في خلالها دول شتى ذالت وانقرضت والصين لا تزال باقية . وقد ذكرنا في الجزء الثامن من السنة العشرين للهلال مجمل تاريخ تلك الدولة العظيمة وما تقلب عليها من صنوف الحاكمين الى ثورة سنة ١٩١١ واعلان الجمهورية فلا حاجة بنا الى تكرار ذلك . وانما غرضنا هنا ذكر تاريخ الصين من بدء الدور الجمهوري الى هذا العام — وقد يكون آخر عام من حياة الجمهورية الصينية — وما تم في هذه الاثناء من الاصلاح والتقدم على يد الرئيس يوان شي كاي

اعلنت الجمهورية في الصين رسمياً في ١٢ فبراير سنة ١٩١٢ فانقضت باعلانها سلطة الاسرة المنشوية التي حكمت اكثر من قرنين ونصف واضطر الامبراطور الغلام الى التنازل عن عرش اجداده وانتخب يوان شي كاي رئيساً للجمهورية . ويحسن بنا أن نقسم مدة رئاسته الى قسمين كان في القسم الاول (١٩١٢ — ١٩١٣) مقيداً وصار في القسم الثاني (١٩١٣ — ١٩١٥) مطلق اليد في شؤون الجمهورية

ولا بد لنا قبل ذلك من ادراك امرين :

اولاً : ان الامم الاوربية في الغالب جهلت حقيقة الثورة التي حدثت في الصين سنة ١٩١١ فشبهتها بالثورة الفرنسوية حالة كون الفرق بين الثورتين عظيماً جداً . فلم تكن الثورة الصينية ثورة من الشعب على حكومة قوية مستبدة كما كانت الثورة الفرنسوية بل انها ترجع في الحقيقة الى اصطدام حصل بين المدنية الصينية القديمة التي ما برحت منذ قديم الزمان قائمة بنفسها مستقلة عن غيرها والمدنية الغربية الحديثة . فالاولى مؤسسة على



الباغودا الحديدية في كاي فنغ

وهي مثال من الهياكل الصينية التي يبلغ عددها نحو الالفين في كل الصين ومن شروطها ان يكون عدد طبقاتها فرداً . وهي مصنوعة من الخزف الصيني وتعد من اطول هياكل الصين

العقل والتقاليد السلمية وليس لحب الاتساع والقوة المسلحة فيها المقام الذي لهما في المدنية الغربية . فلما استيقظ فريق من الصينيين وتثقفوا في المدارس الحديثة وفهموا حقيقة الحال في بلادهم ومطامع الدول الغربية فيها وما آلت اليه الحكومة من الضعف حتى اصبحت العوبة في ايدي الواشين والمتآمرين سرت في عروقهم الحمية الوطنية واتحدوا لقلب النظام القديم — لا لانه كان قوياً مستبداً بل لانه بالعكس كان ضعيفاً

عاجزاً عن حفظ كيان الدولة الصينية

ثانياً : ظن فريق من الاحرار الصينيين الذين تشربوا روح التمدن الاوربي ان اصلاح الصين لا يكون الا بابدال عاداتها وتقاليدها ونظاماتها السابقة والاحتذاء بالدساتير الاوربية التي اعتبروها سبب عظمة اوربا - كان تدوين الدستور يكفي لتغيير مجاري التاريخ وقلب الحياة العقلية والاجتماعية . ولهذا السبب نجد انه حالما استقرت الجمهورية واستتب الامن ظهر في الصين حزبان او بالحري مجريان سياسيان كبيران : (١) الاحرار المتطرفون من جهة وهم يريدون تقليد النظامات الاوربية حرفاً لحرف (٢) ومن الجهة الاخرى فريق الصينيين اصحاب الاختبار والحنكة في الامور السياسية الذين يتمنون الاصلاح لبلادهم ويطلبون النهوض بها ولكن من غير طريق هدم القديم والاستعاضة عنه بما لم تتشربه روح الامة الصينية . لانهم يعتقدون انه يستحيل ابادة المدنية الصينية



مدخل مدينة باكين

التي بلغت من العمر آلاف السنين وتأصلت في نفوس الاهلين بمجرد سن القوانين والدساتير . فان القوانين هي التي يجب ان تنطبق على حالة الامم وليس العكس . ولا بد من حفظ الاتصال بين ماضي الامة وحاضرها ومستقبلها

الى هذه الفئة المحافظة ينتمي الرئيس يوان شي كاي بل هو يمثلها احسن تمثيل . الا انه في بادىء الامر اضطر الى مراضاة الحزب الثائر وسن دستور جديد ونظامات جديدة منقولة عن النظامات الغربية

الازمة

فيرى القارىء بعد هذا البيان منشأ الاضطراب الذي استولى على الجمهورية الصينية في بادىء امرها فانه تعذر على هذين الحزبين مداومة الاتفاق ولم تمض السنة الاولى

لاعلان الجمهورية والدستور حتى بدأت القلاقل ثم حدثت أزمة صيف سنة ١٩١٣ . وما هي في الحقيقة الا رد فعل من الامة الصينية التي لم تستطع هضم النظامات الجديدة لعدم تهيئها لها — كالناقه الذي يأكل طعاماً ثقيلاً على المعدة فينتكس

والذي زاد الامور صعوبة انه التأم في باكين بمقتضى الدستور الجديد مجلسان واحد للنواب والثاني للشيوخ . ولكن اعضاء هذين المجلسين لم ينتخبوا بطريقة قانونية لا سيما وانه لم يكن في البلاد سجلات واحصاءآت رسمية يستعان بها على الانتخاب . فاغلب المنتخبين كانوا من المنتمين الى الحزب المتطرف الذي صرف كل جهده في جعل الانتخابات موافقة لمبادئه . فلا غرابة بعد ذلك اذا عاكس المجلسان كل مشروع كانت تقدمه الحكومة . وبلغت الازمة اشدها عند قتل سونغ كياوجن احد كبار الزعماء فتذرع الحزب المتطرف بهذا الحادث واتهموا به وزير الداخلية وحاشية يوان شي كاي واتخذوه وسيلة للفتنة على الحكومة . وكان بين اعضاء هذا الحزب جماعة من القواد الحربيين فاستعدوا جميعاً لقلب الحكومة . ولكن الحكومة اتخذت الوسائل الفعالة لاخماد الفتنة فعزلت القواد من مناصبهم وشتتت شمل المتآمرين فاسرع جميعهم الى الخارج خوفاً من الوقوع في قبضتها

الا ان المجلسين ظلا معقودين في باكين وان يكن بعض اعضائهما قد اتحدوا مع الثائرين . ولما كان المجلسان يعارضان كل حركة تبدو من الحكومة اضطر يوان شي كاي الى حل الحزب المعارض فلما انحل وتشتت اعضاؤه لم يبق في المجلسين العدد القانوني الكافي لاجتماعهما (quorum)

عند هذا الاضطراب تيقن يوان شي كاي فساد النظام الدستوري الذي سن عقيب اعلان الجمهورية وعدم ملاءمته للامة الصينية فشرع في ابداله بنظام اقرب الى طبائع الامة وروحها لاسيما وانه تأكد ان جل مايطمح اليه الشعب الراحة والسكينة والامان لانه سئم النزاع والشقاق . فزاد سلطة رئيس الجمهورية والحكومة وجعل مدة الرئاسة عشر سنوات بدلاً من خمس مع احتمال تجديد الرئيس نفسه . ثم جعل للرئيس حق انتخاب خلفه وذلك بان يكتب على ثلاثة اوراق اسماء ثلاثة اشخاص يرى فيهم الكفاءة لمنصب رئاسة الجمهورية ويضعها في حقيبة تختم بالشمع الاحمر . فعند ميعاد الانتخاب تفتح الحقيبة وتستخرج هذه الاسماء الثلاثة فيختار المنتخبون واحداً منها . وانشأ فضلاً عن الوزارات دائرة خاصة لمعاونته مباشرة يرأسها وكيل للدولة Sous-Secrétaire d'Etat وبجانبه معاونان ومجلس استشاري عام مؤلف من عشرة أعضاء . اما المجلسان النيابيان فانه

استعاض عنهما مؤقتاً بمجمع من اصحاب الاختبار والحنكة وكلفهم اعادة النظر على النظام الدستوري وسن نظام جديد مؤقتاً . فأتم المجمع العمل الذي عهد اليه ولا تزال الصين الى اليوم عاملة بهذا النظام المؤقت . ومن بنوده انه يقضي بانشاء مجلس تشريعي ينتخب نوابه بين اصحاب الاملاك والاختبار والعلم . ولم ينتخب هذا المجلس بعد لان قانون الانتخاب لم ينفذ وربما كان ذلك في وقت قريب . ويقضي النظام الجديد ان يكون بجانب هذا المجلس التشريعي مجمع استشاري يعاون الحكومة بآرائه . وقد التأم هذا المجمع الاستشاري قبل التئام المجلس التشريعي لان الحكومة تعين كل اعضائه مباشرة . وهذا المجمع قائم اليوم بوظيفة المجلس التشريعي ريثما يتم انتخاب اعضائه



نادي لشرب الافيون بالصين

اما المقاطعات فلم يطرأ على نظامها تغيير يذكر بل هي تشبه كل الشبه نظامها قبل اعلان الجمهورية . فلكل مقاطعة حاكم مدني وحاكم عسكري وهي مقسومة ادارياً الى اقسام كبرى فاقسام اصغر فاصغر

الاصلاح الذي تم على يد يوان شي كاي

حالما استتب الامن في الصين واطلقت يد الرئيس يوان شي كاي بدأ دور الاصلاح الحقيقي في جميع دوائر الحياة الصينية — في حياتها السياسية والاجتماعية والادبية — رغم العقبات والمشاكل الداخلية والخارجية . وقد كفت المدة الوجيزة التي تم فيها ذلك ليتحقق العالم مقدرة الرئيس على قيادة امته في سبيل التقدم . ونورد هنا برهاناً على ما قدمنا بعض الاصلاحات التي قام بها

من اول الامور التي اهتم بها الرئيس جرد موظفي الحكومة وتطهيرها من غير المقتدرين . فمن ذلك انه استدعى جميع الموظفين الكبار في الارياف الى العاصمة وخبرهم واحداً واحداً فنقل كثيرين منهم الى غير مراكزهم الاصلية وعزل غيرهم . ثم انه طلب من مديري المقاطعات ان يقدموا له اسماء اصحاب الكفاءة في مقاطعاتهم لتستفيد منهم الدولة . وادخل طريقة الامتحان والمسابقة لتعيين المستحقين في معظم الوظائف . والّف مجالس تأديبية في مصالح الحكومة وانشأ محكمة ادارية عليا لمعاقبة الموظفين الذين يسيئون التصرف . وقد عوقب بعض الموظفين عقابات صارمة جداً وحكم على عدد منهم بالموت ليكونوا مثالاً لغيرهم

وقد اصلح القضاء ايضاً . فسنت القوانين الجديدة وأنشئت المحاكم على النظام الجديد ولكن لا يزال النقص كبيراً في هذا الباب . لانه يستحيل ابدال القوانين والنظامات القديمة في لحظة . ومن الاصلاحات التي تمت الغاء العقوبات البدنية وانشاء السجون على النمط الحديث

اما في التعليم فقد اعلن مبدئياً التعليم الاجباري الا في احوال استثنائية . وانشأ الرئيس في باكين مدرسة ابتدائية على نفقته لتكون انموذجاً تقلده المدارس الاخرى . واهتمت الحكومة ايضاً في اصلاح الجيش وتنظيمه على النسق الحديث وانشاء المدارس الحربية . وهي تهم اليوم بسن قانون عسكري بالانم حالها . ومن الادلة على الاصلاح العسكري انه قد انشىء في الجيش الصيني فرقة خاصة الطيران

ولا يخفى ان المالية هي اساس كل اصلاح . وذلك لم يذهب عن بال الحكومة فانها نقحت ضرائبها . وقد قررت بعد الاختبار ان لا تقترض مالاً من الخارج وان تكتفي بالقروض الداخلية . وافتتحت بورصة في باكين اسوة بالدول الاوربية وتأسست شركات عديدة وطنية وغير وطنية لاستخراج ثروة الصين الطبيعية والحكومة تساعدها قدر طاقتها . وانشئت أيضاً الغرف التجارية في المدن الكبيرة واصبح لها شأن عظيم

وبالاجمال فان الحكومة الصينية فضلاً عما تقدم قد شرعت في الاصلاح من جميع ابوابه — من حيث الصحة العمومية والاشغال العمومية (واهمها انشاء القناطر والخزانات لمنع الفيضان الذي ينشأ منه خسائر عظيمة) والصناعة والزراعة والتجارة وجميع ظواهر الحياة الاجتماعية . وقد رجعت الحكومة الى بعض التقاليد القديمة كعادة التضحية للسماء ولكونفوشيوس ولإله الحرب . وقام الرئيس نفسه في السنة الماضية برسوم التضحية للسماء وقرأ الصلاة باسم الامة

الصين والحرب

لما نشبت الحرب الاوربية ادركت الحكومة الصينية الموقف الحرج الذي اصبحت فيه نظراً لتناقض مصالح الفريقين المتحاربين في الصين . ولكن ميلها الحقيقي لم يكن فيه شك فقدكان في جانب الحلفاء . الا انه طرأ عليها بعد اعلان الحرب بمدة وجيزة ما اوقعها في ارتباك عظيم من جهة اليابان . ولئن شعرت الصين مدة بالجفاء نحو جارتها فان هذا الجفاء لم يمتد الى بقية الحلفاء

واول ارتباك وقعت فيه الصين كان عندما حاصرت اليابان تسنغ تاو الالمانية . ولا يخفى ان هذا الحصر استدعي نزول اليابانيين في ارض صينية يقطنها صينيون . ولكن الاتفاق تم حينئذ على تعيين منطقة حربية لا يجوز للجيش الياباني ان يتعداها . فلما انتهى الحصار واستولت اليابان على المدينة ارادت الصين ان تلغي الامتياز الوقتي الذي منحته



مثال من الاقواس التذكارية في الصين

لليابان لاجل الضرورة الحربية وطلبت الى انكلترا وفرنسا ان تساعدها في تحقيق هذه الامنية . فكان رد الحكومة اليابانية تقديم لائحة طويلة مؤلفة من ٢١ مطلباً طلبت من الصين قبولها حالا ومن هذه المطالب خمسة في غاية الاهمية تجعل الصين تحت حماية اليابان تقريباً وهي :

(١) ان تتعهد الصين بشراء خمسين في المئة من ذخائرها ومؤونتها الحربية من اليابان . وان يكون لليابان حق انشاء مصنع حربي كبير في بلاد الصين نفسها

(٢) ان تكون ادارة البوليس في بعض المناطق مشتركة بين الصين واليابان

(٣) ان تعين الصين مستشارين يابانيين في بعض المصالح الكبرى

(٤) ان تمنح الحرية لليابان بنشر الديانة البوذية في الصين

(٥) أن تمنح حق بناء المعابد والمدارس والمستشفيات في امكنة معينة

فيرى القارىء حرج هذا الموقف — والدول الاوربية حينئذ منهمكة في الحرب — لا سيا وان اليابان طلبت من الصين كتمان امر المفاوضات كتماً تاماً . فقد كانت الحكومة الصينية بين نارين : لانها اذا رفضت مطالب اليابان شهرت عليها الحرب والصين لم تستعد لها ، واذا قبلت بها اثارت الرأي العام الصيني عليها . ولكن الحكومة عرفت كيف تتصرف بحكمة . فان المذكرة التي طلبت اليابان كتمانها والتعجيل في قبولها بلغت الدول الاوربية فقبلت اليابان ان يعقد في باكين مؤتمر لفض هذا الخلاف . فاجتمع المؤتمر وبعد الاخذ والرد قررت الحكومة اليابانية سحب مذكرتها الاولى وابدالها بمذكرة اخرى ارسلتها في ٢٦ ابريل سنة ١٩١٥ تحتوي ٢٤ مطلباً بدلا من ٢١ ولم تختلف عن المذكرة الاولى الا بكون المطالب الخمسة الهامة المتقدم ذكرها قد وضعت جانباً بصفة انها قابلة للمداولة

فردت الحكومة الصينية على هذه المذكرة بتاريخ اول مايو وقبلت معظم المطالب . ولكن الحكومة اليابانية لم تقتنع بهذا الرد ولكي تظهر استياءها رجعت عن وعدها بارجاع مستعمرة كياتشاو (تسنغ تاو) عند قبول الصين اقتراحاتها كما كان الاتفاق . ولكن في ٧ مايو ارسلت الحكومة اليابانية مذكرة نهائية وجدت الحكومة الصينية عند فحصها ان اليابان رجعت عن شدتها الاولى وخففت من مطاليبها . فقبلت بها الصين وابرم الاتفاق النهائي في ٢٥ مايو سنة ١٩١٥ وبمقتضاه نالت اليابان امتيازات خاصة في مقاطعة شان تونغ وفي منشوريا وغيرها من الاماكن وتعهدت بارجاع المستعمرة الالمانية الى الصين عند نهاية الحرب وتعهدت الصين ايضاً ان لا تأذن لدولة اجنبية ان تحتل شواطئها

المستقبل

فنرى مما تقدم ان الرئيس يوان شي كاي أهل لمنصبه وانه أتى من الاصلاح في المدة الوجيزة التي مضت على تنصيبه واظهر من المهارة والحنكة ما وطد ثقة الامة فيه . وقد قام فريق كبير من الصينيين يطلب اعلان الملكية . ومن هذا الرأي ايضاً الدكتور جودنو المستشار الاميركي في الصين . الا ان يوان شي كاي نفسه لم يبد رأيه من هذا القبيل بل قال في رسالة للمجمع الاستشاري انه يترك للامة ان تنتخب شكل الحكومة الذي تراه مناسباً

المترجم

او الكتابة السرية عند العرب

نشرتم في هلال الشهر الماضي فصلاً عن الكتابة السريّة المسماة الان بالشفرة فاتيتم على تاريخها بين الامم ثم تطرقتم الى ما كان منها عند العرب فذكرتم منه اللحن الكتابي وقلتم امثلة منه . ولا يخفى ان ما ذكرتموه وان عدّ في الجملة نوعاً من ذلك فانه لا ينطبق كل الانطباق على ما نسميه اليوم بالشفرة ويفهم منه أن العرب اقتصرت من هذا النوع الكتابيّ على هذا القدر ولم تزاول منه الا هذا الضرب مع أن الواقع خلافه . نعم قد يصدق عليهم ذلك في زمن جاهليتهم اذ لا آثار عندنا تشير الى غير ما ذكرتم ولكنهم لما استبحروا في المدنية بعد الاسلام اضطرت دولهم الى استعمال الكتابة السرية على ما هو معروف الآن اي بالتواطؤ على حروف او ارقام يتراسلون بها تخفى على غير المتواطئين عليها الا انهم لم يسموها باللحن ولو سموها به لكان حسناً ولكنهم اختاروا لها لفظ (المترجَم) و (فن الترجمة) واشتغل جماعة منهم بهذا الفن والفوا فيه وتفننوا في وضع اصوله وطرائقه وبرع بعضهم في حله وكشف معماه بغير مفتاح ووضعوا قواعد لتقريب ذلك وتسهيله

غير ان من دواعي الاسف ان اتى على هذه المؤلفات ما أتى على كثير مثلها من آثارنا الثمينة فلم يقع الينا منها ما ينقع غليلاً من قواعد هذا الفن الاهمّ الا ارجوزة العلامة عليّ بن الدريهم المتوفى سنة ٧٦٢ هـ عثرنا عليها في مجموع مخطوط عندنا فالفيناها تكاد تلحق بالالغاز لكثرة ما اعتراها من المسخ والتحريف الا انها على علاتها لا تخلو من فوائد في بيان نمط هذه الكتابة عندهم امكننا استخلاصها من ابيات تجاوزت عنها يد الماسخ

ومن العجيب اهمال اللغويين ذكر هذا الفن في كتبهم حتى من كان ضارباً فيه بسهم وافر كصاحب لسان العرب فانه مع اشتهاره باتقانه لم يذكره في مادته بل اقتصر على الاشارة اليه في المقدمة عند الكلام على القاب الحروف وطبائعها وخواصها بقوله « واما تقارب بعضها من بعض وتباعدها فان لها سراً في النطق يكشفه من تعناه كما انكشف لنا سره في حل المترجمات لشدة احتياجنا الى معرفة ما يتقارب بعضه من بعض ويتباعد بعضه من بعض ويتركب بعضه مع بعض ولا يتركب بعضه مع بعض الخ » . واعجب منه ان يسكت عنه من عانى التأليف في تعريف العلوم والفنون كصاحب كشف الظنون وطاشكبرى زاده في مفتاح السعادة واضرابهما والظاهر ان شدة احتفاظ الدول بهذا الفن

لكونه سرًّا من اسرارها دعا الى طيّ امره عن عامة الناس والضنّ بما صنّف فيه فظل مكتوماً حتى ذهب بذهاب اهله ولم يبقَ للدلالة عليه سوى شذرات يقع عليها المطالع بين تضاعيف الاسفار كقول صاحب آثار الاول في باب اصحاب البريد والاخبار والعيون « والمستحب ان يكون بين الملك و بين البريد وصاحب الخبر ترجمة لا يطلع عليها غيره ولكل واحد ترجمة مع صاحبه واذا اراد الملك ان يحتاط في ذلك فلا يقنع في الامور العظام إن كتب او كُتب اليه بالترجمة ولا بخط الكاتب ولا بالختم فان هذه ربما يجير عليها فاعلها أو يشابه بها بل يكون بينهما علامة لا يطلع عليها غيرهما »

وفي كتاب في الادب قديم الخط لم اقف على اسمه ولا اسم مؤلفه شذرة تتعلق بهذا الفن ساقها في باب ادب العلم عند الكلام على تحسين كتابة الحروف نصها « والوجه السادس تغير الحروف عن اشكالها وابدالها باغيارها حتى تكتب الحاء على شكل الباء والصاد على شكل الراء وهذا يكون في رموز التراجم لا يوقف عليه الا بالمواضعة »

وذكر ابن تغري بردي في المنهل الصافي في ترجمة القاضي شمس الدين محمد بن داود المتوفى سنة ٧٣٤ هـ انه كان عالماً بالرياضيات ماهراً في وضع الآلات والغالب عليه اعمال الحيل كجرّ الاثقال وغير ذلك ثم قال « وكان يحلّ المترجم بلا فاصلة سريعاً » ومراده بالفاصلة ما كانوا يتركونه من البياض بين كل كلمة واخرى لان الحروف اذا كتبت مقطعة تعسّر تمييز الكلمات بغير هذه الفواصل فكان هو لبراعته في الفن يحلها وان لم يفصل بينها

وقال ايضاً في ترجمة عفيف الدين ابي الحسن عليّ بن عدلان الربعيّ الموصلي المتوفي سنة ٦٦٦ هـ ما نصه « انفرد بالبراعة في حلّ المترجم والالغاز وله في ذلك تصانيف منها كتاب عقلة المجتاز في حل الالغاز ومصنف في المترجم للملك الاشرف موسى شاه ارمن » وهي عبارة ابن شاكر ايضاً في فوات الوفيات ولعل ابن تغري بردي نقلها عنه غير ان ابن شاكر نعت ابن عدلان بالمترجِم اي بكسر الجيم ومنه يفهم ان من كان يتولى حلّ المترجمات او يشتهر بها كان يلقب بذلك

اما ارجوزة ابن الدريهم التي سبقت الاشارة اليها فاولها

قال عليّ بن الدريهم اشتهر [1]	وهو الى الغنيّ ربه افتقر
الحمد لله العليّ الهادي	وهو المبين طرق الرشاد
وصلواته على رسوله	مبلّغ السائل كنه سوله
والآل والصحب هداة الامه	الكاشفين كل مدلهمّه

(١) لعل الصواب (قال علي بن الدريهم اشتهر) بتخفيف الياء من علي

وبعد فالعلم جمال وشرف | والسر منه الدرّ داخل الصدف
فان كشف السر كالمترجَم | من احسن العلوم للمستفهم
وعنه في الاوقات لا يستغنى | بذاك حذاق الملوك تُعنى
يستخرج المعلوم من مجهول | أكرم به من مطلب مأمول
وقد نظمت في اصول علمه | قواعداً تضبط حدّ رسمه
فان تكن في حجمها لطيفه | فانها مفيدة منيفه
نافعة لمن دعاها كافيه | في الحل اوفي الوضع وهي وافيه
وهي بنيل بغية جديده | يصر ذاك من له بصيره

وهي في ٢٢٤ بيتاً تخللها رموز اصطلاحية وضعت بدل الحروف الا ان غالبها مغلق مشوّه بالتحريف كما قدمنا لا تتضح به القواعد اتضاحاً كافياً فلنقتصر منها على ما امكننا فهمه من طرق التواضع التي كانت مألوفة عندهم

فمن ذلك طريقة ابدال حرف من حروف المعجم بحرف آخر منها يصطلح عليه اما على ترتيب الحروف المعروف او على الترتيب الابجدي وهي احدى الطرق المستعملة اليوم وقد نبه الناظم الى ان انواعها اكثر من ان تحصى وغالب الايات في هذا الموضع مضطربة كثيرة التحريف

ومنها طريقة قلب احرف الكلمة اما بالعكس او بالتقديم والتأخير على ما يتواضع عليه واليها يشير بقوله

اما الذي من المعمّى مصطلح | بغير تغيير الحروف قد وضح
منه ضروب انا منها اذكر | اصولَ وضعها فليس تحصر
فالاول المقلوب منهم منعكس | القاطه مثاله سعد دعس
او انه يقدم الاخيرا | في كلمة مثل براع عيرا
او يبدل الحرف بثانيه تبع | وهكذا في زوج كلمة وقع
او يبدل الاول منها عمداً | بآخر كمثل ابدع عبدا

الى ان يقول

او يبدل الاول من رابعها | يكتب في عابسها سابعها
او ثانياً برابع واولاً | بثالث مثل لاتف نقلا

الى آخر ما ذكره من هذه الانواع . ومنها ان يعمد الى كل كلمتين فينقل اول الاولى وآخرها الى الثانية واول الثانية وآخرها الى الاولى كما اذا اردنا ان نكتب « احمد

كتب » فانه يكون بهذه الطريقة « كحمب آمد » والى ذلك يشير بقوله

او اول الكلمة من اخرى بدل   اولها وآخر كذا انتقل

مثاله سعيد تاب عن رجب   نعيب ساد رب عجن يكتتب

ثم ذكر انواعاً اخرى من هذه الطريقة واشار الى انها كثيرة بقوله

ومثل ذي فروعها كثيره   يدركها ذو الفطنة المثيره

لحيث دارت بالحروف دارا   وحيث سارت بالكلام سارا

ومنها طريقة ابدال الحروف بما لها من الاعداد في حساب الجمل وفيها يقول

ومنهم من يبدل الحرف بما   له من الاعداد لفظاً علما

لواحد ثم ثمان عدداً   واربعين اربعا في احمدا

اي ان الالف بواحد والحاء بثمانية والميم باربعين والدال باربعة وقد شرح صفة الكتابة بهذه الطريقة بعد ذلك في ابيات افسدها التحريف

ومنها طريقة زيادة حرف بين كل حرفين من حروف الجملة ثم تصوير المجموع بصور ما يشاؤون من الكلمات مبالغة في التعمية والابهام والظاهر انهم كانوا يتوخون في زيادة الحروف ان يشتمل المجموع على كلام ذي معنى في الجملة مثال ذلك اننا اذا اردنا ان نكتب « سافر العدو » مثلا فاننا ندخل بين السين والالف حرفاً ثم بين الالف والفاء حرفاً وهلم جراً فتكون صورة ذلك بالحروف المنفصلة مع تمييز الاصلية من المزيدة باختلاف الحجم توضيحاً للقارىء

س ر ا ب ف ي ر ي ا ض ل م ع ي د ن و

فمجموع هذه الحروف تخرج منه هذه الجملة « سراب في رياض لمع يدنو » والى هذه الطريقة اشار بقوله

ومنهم من يجعل الحروفا   حرفاً وحرفاً دائماً مألوفا

مثاله محمد اخو علي   من حام قد بار خضوع عيل لي

فجملة « من حام قد بار خضوع عيل لي » اذا اسقطت منها الحروف المزيدة وهي الثاني والرابع والسادس الخ بقي منها « محمد اخو علي » وهو المقصود

ومنها طريقة وضع علم لكل حرف من حروف المعجم يدل عليه من اسماء الحبوب او الفواكه او الحيوان او غير ذلك . ومنها طريقة الدلالة على الحروف بالوان ستة ذكرها ولم نستطع تصورها لكثرة التحريف في هذا الموضع . ومنها طرق اخرى اضربنا عن ذكرها اجتزاء بما تقدم ولولا ما جناه الناسخ على هذه الارجوزة لحسن

نشرها برمتها لغرابة موضوعها وندرة المؤلفات فيه

ومما يحسن ايراده تتمة للموضوع وان لم يكن منه طريقة التخاطب بالخيوط الملونة وكانت معروفة بمصر حوالي القرن الثامن الهجري على ما يؤخذ من الاحكام الملكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر لمحمد بن منكلي نقيب الجيش المصري فقد ذكر في باب جواسيس الحرب انه ينبغي ان يكون مع الجاسوس خيوط ملونة بالحمرة والخضرة والسواد الخ يجعل كل لون رمزاً لامر من الامور كالنجاح او الاخفاق او التعسر أو فوات الفرصة او غير ذلك على ما يقرره مع الملك أو غيره في خلوة فاذا اراد اعلامه بشيء من ذلك عمد الى الخيط الدال على المقصود فلفه على شيء مطوي كورق او ثياب ثم احتال على ايصال ذلك اليه فيفهم منه ما وقع ويشبه ان تكون هذه الطريقة نوعاً من الاختزال في الكتابات السرية احمد تيمور

لحن الزهور

على ذكر اللحن الكتابي والرموز الاصطلاحية

يا ايدي الرواد ان تجهلي	لغات هذا الزهر لا تقطفي
سلي هزار الروض عن سرها	وسائلي العشاق واستكشفي
شقائق النعمان : سقم سرى	في الجسم محمود الهوى مدنف
والآس : اقرار الفتى بالجوى	كانما يصبو الى مسعف
والزنبق الاحمر في طيه	قول صريع الوجد يا متلفي
والسوسن الاصفر : يا شعلة	في القلب تهدي كل سر خفي
واحمر البلسم : صبر مضى	فيا ظباء القاع هيا اعطفي
والورد : اهواك فلا تنثني	وان منحت العهد لا تخلفي
لاتنسني : لا تنسيني واحفظي	عهود هذا الحب ان تنصفي
وزهرة التبغ : تركت الهوى	لما رماني بالقلى مجحفي
وزهرة النسرين : عود الى	مجاني الحب بقلب وفي
والسرو : حزن وحداد فيا	ربع غصون البان لا تقصفي
هذي فصول من كتاب الهوى	ملاك الحب ألا صنفي

بورت سعيد امين حمدي

الكهرباء في الحرب

والاغراض الغريبة التي تستخدم لاجلها

يكفي ان نلقي نظرة اجمالية على وظيفة الكهرباء بظواهرها المتعددة في هذه الحرب حتى يأخذنا العجب من استخدام الانسان لهذه القوة الغريبة وتفننه في الانتفاع بها لاغراض مختلفة ونفهم الفرق الشاسع بين الحروب الحديثة — ولا سيما هذه الحرب — والحروب السابقة التي نقل لنا التاريخ خبرها . وقد بلغت اهمية الكهرباء اليوم درجة قصوى حتى أصبحت عاملاً اولياً بين عوامل الحرب العديدة بل انهم اطلقوا على هذه الحرب اسم حرب الكهرباء كما قالوا قبلاً حرب الخنادق وحرب المال وحرب الذخائر والمدافع للدلالة على مكانة هذه العوامل فيها

ومن الغريب انهم يستخدمون الكهرباء لاغراض متباينة — بل نكاد نقول متناقضة . فانها من جهة تسهل على المتحاربين التخريب وسفك الدماء ومن الجهة الاخرى تعين الاطباء في تطبيب الجرحى وتعجيل شفائهم وتخفيف ويلات الحرب . وسنسرد في ما يلي أهم ما تستخدم له الكهرباء اليوم :

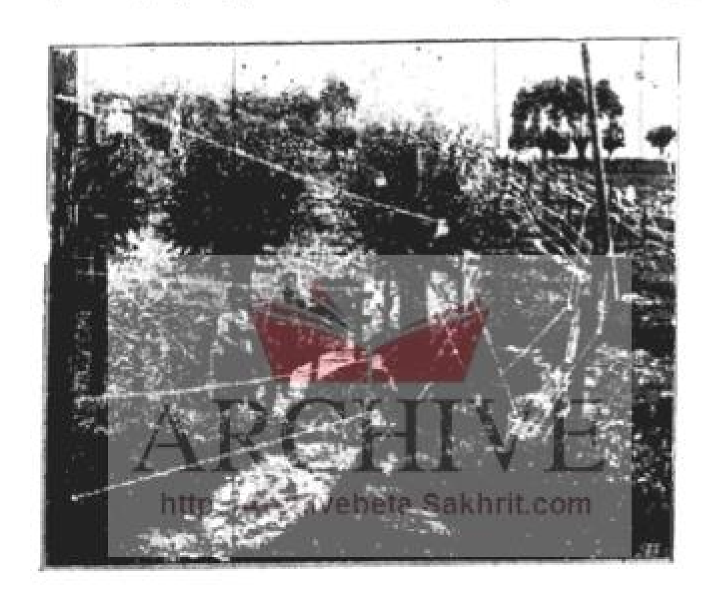
آلات توليد الكهرباء

من اول الامور التي يبحث عنها الجيش الزاحف عند الاستيلاء على مدينة او قرية معرفة المكان الذي تولد فيه الكهرباء واصلاح آلاته لانارة الشوارع والابنية . والجيش المنسحب في الغالب لا يترك تلك الالات على حالها بل انه في معظم الاحيان يهدم ويخرب كل ما يمكن العدو الانتفاع به — وفي جملة ذلك الكهرباء . ولذا نرى اكثر الجيوش الزاحفة تحمل معها مهمات توليد الكهرباء — كما فعل الالمان في بدء الحرب عند اكتساح البلجيك وشمالي فرنسا . وما هي الا ساعات قليلة حتى ترجع الكهرباء الى مجاريها . ويحمل الالمان عادة آلات ذات قوة متوسطة تكفي لحاجات الجيش والمدن الصغيرة

مصابيح الجيب الكهربائية

قد انتشر استعمال مصابيح الجيب الكهربائية انتشاراً عظيماً بين الجنود في الخنادق . يستدل على ذلك من النشاط الذي تبديه مصانع تلك المصابيح في عملها . وقد اخترعت

انواعاً خاصة لاجل الخنادق يتمكن الجندي بواسطتها من قراءة جريدة او كتابة رسالة بدون ان يُرى شعاعها من خارج الخندق لئلا تصبح هدفاً لرصاص العدو . وهي مسطحة الشكل في الغالب وفي طرفها معلاق (شنكل) تعلق به في ازرار الجندي . وتستعمل هذه المصابيح في احوال اخرى منها ما رواه ضابط غواصة انكليزية كانت في بحر مرمرا عن لغمه جسراً يمر عليه خط حديدي قال : تركت الغواصة وركبت طوفاً من الخشب دفعته رويداً الى المكان المطلوب ولبس معي الا سلاحي والمصباح الكهربائي وقد كان المصباح يرشدني في طريقي ولولاه لعجزت عن القيام بمهمتي التي كلفت بها



حاجز من الاسلاك المكهربة بين بلجيكا وهولاندا

النور الكشاف في الليل والنهار

لا يخفى ان من مميزات هذه الحرب انها تجري ليلاً ونهاراً بلا انقطاع وقد كانت الجيوش قبل حرب الترنسفال تقاتل نهاراً وتستريح ليلاً . ثم اخذ قتال الليل في الانتشار شيئاً فشيئاً الى ان بلغ ارقى درجاته في هذه الحرب بفضل الانوار الكهربائية القوية التي تحوّل الليل الى نهار . فعند كل جيش من الجيوش المتحاربة عدد وافر من الانوار الكشافة التي يمكن نقلها وتركيزها بسهولة . وهي في الغالب عبارة عن سيارة تحمل آلة لتوليد الكهربائية وتجر وراءها عربة صغيرة تحمل القنديل الكشاف . ويمكن تسيير هذه العربة من مركزها الى بضع مئات من الامتار في المرتفعات او الاودية حيث تعجز

السيارة عن التقدم . واحدث انواع الانوار الكشافة تدار بجهاز خاص من بعد عشرة امتار او اكثر لكي لا ينبهر مديرها من شعاعها القوي . ومدى هذه الانوار يتجاوز خمسة اميال

اما في النهار فانها تستعمل ايضاً وسيلة للتخاطب بعلامات يتفق عليها . وفي هذه الحال يوضع على وجهها صفائح حديدية تفتح وتقفل بسرعة على مفاصلها فتحجب النور تارة وتقلته تارة اخرى وهكذا يتخاطب الفريقان حسب الاصطلاح على مسافات بعيدة

الكهرباء افضل حارس

من اغرب ما استخدمه له المجرى الكهربائي حراسة الاسرى . فالمتحاربون يحوّطون اسراهم في كثير من الاحيان باسلاك تحمل مجرى كهربائياً قوياً بحيث لو مسه احدهم لمات لساعته . وقد استخدمت المانيا هذه الوسيلة نفسها لمنع البلجكيين من المهاجرة الى هولندا فاقامت حواجز من الاسلاك الكهربائية بين الدولتين . ولكي يقتصر خطر هذه الاسلاك على الذين يتعمدون الفرار اقاموا على كل جانب من جانبيها حاجزاً اعتيادياً من الاسلاك الشائكة بحيث لا يتعرض للخطر الا من جاوز ذلك الحاجز . وقد جهزت المانيا حراس الحدود بين بلجيكا وهولندا بصنادل خاصة غير ناقلة للكهربائية يجرون بها اجسام الفارين الذين يصرعهم المجرى الكهربائي

آلات كهربائية ترشد الى ما لا يرى بالعين

كانت الطيارات اذا اختبأت وراء غيمة منخفضة او طارت في يوم كثير الضباب تأمن شر العدو لانه يعجز عن توجيه القنابل اليها . اما اليوم فقد اخترعوا آلات حساسة تسمى ميكروفون (وقد وصفناها وصورناها في غير هذا المكان) تلتقط صوت الطيارة عند طيرانها وتدل على مكانها وان لم تكن ظاهرة للعين فتتجه نحوها للحال المدافع السريعة الطلق وترميها الى الارض

ويستعمل الميكروفون لغرض آخر تتعاظم اهميته في ميادين القتال وهو لغم الخنادق فان المتحاربين قد لجأوا اخيراً الى حرب الالغام لا سيما في الميدان الغربي بعد ان رأوا صعوبة اخذ الخنادق مواجهة وما يكابدونه في هذا السبيل . ففضلوا حفر الانفاق تحت خنادق العدو للغمها . فالميكروفون يستعمل لالتقاط صوت الحفر حتى اذا سمع اهل الخندق شيئاً من ذلك بادروا الى حفر نفق آخر لغم النفق الموجه ضدهم

ادارة الجيوش بالتلفون

قد اصبح التلفون اليوم من اهم عوامل هذه الحرب فبواسطته تصدر الاوامر من القواد الى اقسام الجيش وبه ترشد رجال المدفعية الى مراكز العدو . فقد كان مدير البطرية فيما مضى يبقى قرب بطاريته يرقب اعمال مدافعه . اما اليوم فانك تجده على شجرة او سطح او مرتفع او اي مكان يرى منه مراكز العدو ومعه تلفون يرسل بواسطته اوامره الى رجاله الذين قلما يرون انفسهم المكان الذي يضربونه . ولذا فكلا الفريقين اليوم يهتم اهتماماً كبيراً باكتشاف المواضع الخفية التي تشاهد منها حركات الجيوش لتصويب الرصاص اليها وقتل من فيها لانها عبارة عن « عيون المدفعية »



معرفة مكان الغواصة بواسطة الميكروفون

قلنا ان التلفون يستخدم لمفاوضة القواد مع اقسام جيوشهم . وقد بلغت اهمية التلفون في هذا الباب انهم اصبحوا يميزون بين نوعين من القواد : القائد التلفوني والقائد الفعلي . فالاول يكون على مسافة اميال من ساحة القتال بعيداً عن الضوضاء وامامه خريطة مفصلة يتبع عليها حركات جيشه فيصدر اوامره الى القواد الفعليين حسب الاقتضاء

التلغراف اللاسلكي

لم يستعمل التلغراف اللاسلكي في هذه الحرب بالدرجة التي كان يؤمل ان يستعمل بها . ولا شك ان السبب الاكبر في ذلك هو استقرار القتال في اغلب الميادين على حرب الخنادق حيث تفضل خطوط التلفون الثابتة . وميزة التلغراف اللاسلكي انه يلائم الجيوش المتنقلة . وقد جعلوا مهماته على ابسط الصور بحيث لا يستدعي نقلها اكثر من

سيارة . وهي تحمل ايضاً في بعض الاحيان على ظهر الخيل

وقد اتى التلغراف اللاسلكي بالمدهشات في التجسس فبه يتخابر الجاسوس مع زملائه مهما تكن المسافة بينه وبينهم ومن غير ان يفضح امره . وقد وجد البوليس الانكليزي اخيراً آلة لاسلكية في مدخنة احد المنازل المشتبه بها . ووجد نفر من الخيالة المستكشفين يوماً في بلجيكا سيارة وراء صفوف القتال عليها رجلان يتنزهان ففحصوها واوشكوا ان يتركوها وشأنها لولا ان بصر احدهم بسلك يصل بين داخل السيارة وسطحها فوجدوا بعد البحث انها تحمل مهمات التلغراف اللاسلكي وانه منصوب على سطحها سلك لالتقاط الاشارات اللاسلكية وارسالها . فعرفوا حينئذ كيف كان العدو يتوصل الى معرفة مكان البطريات الانكليزية رغم تنقلها واختفائها

وتستخدم المناطيد والطيارات التلغراف اللاسلكي ايضاً لارشاد المدافع الى مراكز العدو

الكهرباء في المستشفيات

كل الامثلة المتقدمة من باب استخدام الكهرباء لتسهيل القتل والتخريب الا انها كما ذكرنا سابقاً تستخدم لتخفيف آلام الحرب ومصائبها . ولا يخفى ما لاشعة رنتجن من الاهمية اليوم في معرفة حالة الجسم الداخلية فلدى معظم الدول المتحاربة سيارات مجهزة بما يلزم للفحص بهذه الاشعة حال نقل المصابين من صف النار . وبلغ اتقان هذا الفن ان الفحص الواحد لا يستغرق دقيقة حالة كونه كان يستغرق قبلاً ساعة تقريباً

وقد ذكرنا في بعض اجزاء الهلال الماضية انهم نجحوا في استعمال المغنطيس الكهربائي لاستخراج الشظايا الحديدية من العين والاعضاء وقد اسفرت التجارب التي اجروها على احسن النتائج

ولا يخفى ان من اشد المصاعب التي تلقاها الجيوش في اثناء تقدمها الحصول على ماء نقي صالح للشرب . اما اليوم فانهم يطهرون الماء بواسطة الاشعة تحت البنفسجية في مدة وجيزة . وتوليد هذه الاشعة لاجل تطهير الماء يتأتى بواسطة آلة كهربائية

الكهرباء على البحر

وللكهرباء في الحرب البحرية الاهمية التي لها على البر فانها تستخدم لانارة السفن والتخابر بالتلفون بين اطرافها وفي التلغراف اللاسلكي للمخابرة بين قطع الاسطول . والغواصات ايضاً عند غوصها تسير بالكهرباء حالة كونها وهي عائمة تسير بمحرك اعتيادي ولا بد لنا هنا من الاشارة الى الوسيلة التي سهلت على البحرية الانكليزية تطهير المتعلقة

البحرية الملاصقة للجزر البريطانية من الغواصات . وهي عبارة عن ميكروفونات صغيرة جداً توضع تحت الماء وقد ركبت عليها انابيب خاصة لا تلتقط من الاصوات الا الاهتزازات الصادرة من مسير الغواصة تحت الماء . وهذه الميكروفونات تلتقط الصوت على بعد ٥٥ ميلا . ويمكن معرفة موضع الغواصة من مقابلة الاصوات التي تلتقطها الميكروفونات في آن واحد

ومن الالغام البحرية نوع يتصل بسلك كهربائي الى مركز على الشاطىء حيث يكفي



اذان السفن

اختراع جديد يعرف به مكان السفن والجبال الثلجية العائمة على سطح الماء في الضباب

ان يضغط على زر لينفجر اللغم . ولم يستعمل المتحاربون هذا النوع كثيراً وفضلوا عليه الالغام التي تنفجر من مجرد اصطدامها باي سفينة على وجه الماء ولكن استعمالها خطر جداً لانها لا تميز بين العدو والصديق . اما الالغام الكهربائية فانها لا تنفجر الا متى استدعت الحال ذلك

وآخر اختراع استخدمت فيه الكهرباء على البحر آلة تقوم بوظيفة الآذان فترشد السفينة الى مكان السفن القريبة منها او تنذرها بوجود جبل من الثلج في جهتها. ولا يخفى ما لمثل هذه الآلة من الاهمية عند تكاثف الضباب

الحقيقة عند الانسان

والانسان عند الحقيقة (١)

ايها الاخوان

ان اركان الحياة المعنوية التي تطمح اليها كل نفس عاقلة مفكرة ثلاثة : الحقيقة والفضيلة والجمال — الحقيقة لنعرفها والفضيلة لنمارسها والجمال لنتمتع به . فهذا الثالوث المبارك هو الغاية القصوى التي تسعى الانسانية الراقية في الوصول اليها . وقد بلغ الامر باحد فلاسفة هذا العصر المتطرفين — واعني به الاستاذ ارنست هيكل الالماني — ان اله هذا الثالوث وقال بعبادته وبناء المعابد له بدلاً من الكنائس والمساجد

وقد اخترت لهذا المساء الركن الاول من هذه الاركان الثلاثة — ولعله اهمها — اعني الحقيقة . وموضوعي في الحقيقة مزدوج : فسأبحث من جهة في نظر الانسان الى الحقيقة وكيف يشوهها ويتلاعب بها لاغراضه وفي ما يبعده عنها وما يقربه اليها . ومن الجهة الاخرى سأخصص كلامي في حقيقة الانسان ومقامه في هذا الكون بين سائر المخلوقات . وبعبارة اخرى فبعد ان نتبين ماهية الحقيقة في نظر الانسان سنسأل الحقيقة عن ماهية الانسان في نظرها

الحوائل دون الحقيقة

ان من رام الحقيقة وجب عليه ان يقاوم عوامل عديدة تحول بينه وبينها . واذا كان من يطلب الشهد يتعرض لابر النحل فمن يرم الحقيقة يتعرض لسهام اعدائها وهم كثيرون ولكن اهمهم قائم في الانسان نفسه ومتحصن في داخله اعني عواطفه ومصالحه :

« ١ — العواطف » ان اول ما يعوق الانسان عن ادراك الحقيقة عواطفه واهواؤه — ويدخل تحتها الحب والبغض والغضب والالم وغيرها . او بعبارة أخرى اعني بالعواطف ذلك الجزء من حياتنا العقلية الذي فيه نحس ونشعر بدون ان نفكر ونستنتج . فان نظرنا الى الاشياء والحوادث يختلف باختلاف الانفعالات النفسية . وآفة الرأي الهوى . قال احدهم « هوى النفس مشعل ملتهب يعمي البصر بدلاً من ان يضيء له »

ان الانسان ميال بطبيعته الى تصديق ما يلائم مزاجه ويرضي كبرياءه . وقد قيل عن المرأة « ان اول شيء تعرفه انها جميلة وآخر ما تلحظه انها قد طعنت في السن » —

(١) من خطبة القاها محرر هذه المجلة في احد الاندية

يقولون ذلك للدلالة على ميل الطبيعة البشرية الى تصديق ما يسرها ويطربها وانكار ما يؤلمها — والحقيقة تؤلم الانسان في اغلب الاحيان. فان اكثر الحقائق ثبوتاً عجزه ونقصه

يؤثر عن داروين الشهير انه اجتمع يوماً بنفر من اعاظم الانكليز في حفلة علمية فبعد ان شرح قليلاً من مذهبه واتى بالادلة التي جمعها في أثناء حياته بما فطر عليه من الصبر والجلد قام احدهم وقال متهكماً : « اذا كان حضرة المتكلم يريد ان يرجع بنسبنا الى القرود او ما شاكلهم فاننا لا نأذن له ان يتكلم بالنيابة عنا جميعاً وليقصر كلامه على نفسه » . فاجابه داروين بروية وكبر نفس : « لست استحي ان يكون نسبي كنسب القرد وانما آسف ان يكون بين كبراء الامة الانكليزية رجل منحه الله مواهب ومناقب فاستعملها للتمويه والتضليل بالتهكم على باحث قضى حياته في خدمة العلم باخلاص وقد كان في امكانه ان يباحثه بحثاً خالياً من كل غرض » — لم اورد هذه القصة لتأييد مذهب داروين وانما اوردتها مثالاً على انكار الانسان لكل ما يخدش كبرياءه

﴿ ٢ — المصلحة ﴾ كثيرون من الناس ينكرون بعض الحقائق وليس لديهم حجة لانكارها وانما تدفعهم الى ذلك مصالحهم فيغشون ابصارهم حتى لا يروا نور الحقيقة ويجعلون اصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا صوت الحق . ولا شك ان اشد الناس صمماً من لا يريد ان يسمع . قال احدهم ولله دره « اذا كان الضمير يتكلم فالمصلحة تصرخ ويضيع صوت الضمير بين صراخها »

﴿ ٣ — العادة ﴾ من الاقوال الشائعة قولهم : « العادة طبع ثان » وقولهم : « كل شيء عادة حتى العبادة » وكلا القولين يدل على تأثير العادة في معيشتنا . ويكفي ان نلقي نظرة سطحية على حياتنا اليومية لنتأكد مكانة التعود في جميع امورنا . وقد وجد علماء الاخلاق ان الانسان كلما تقدم في السن تعذر عليه التطبع بطبائع جديدة وتغيير عاداته التي نشأ عليها . ولذا فالعادات الحسنة يجب ان تنطبع في الذهن ايام الطفولة والشباب . لان الانسان عندما يتعدى الخامسة والعشرين او الثلاثين يصبح عقله صلباً ويسميه الانكليز عندئذ old foggy اي انه صلب العقائد والاطوار ويتعذر ادخال عوامل جديدة في حياته . ولذا نرى ان التعاليم الجديدة على الاجمال يتبعها الشبان ويعاكسها الشيوخ لان عقل الشاب مرن يقبل انطباع الافكار الجديدة حالة كون عقل الشيخ يصعب عليه هضم ما لم يألفه

﴿ ٤ — التقاليد والرأي العام ﴾ ونعني بذلك المتعارف او المشهور بين الناس من

العقائد والاراء. وقد دلت احدث المباحث على ان للجماعات روحاً وعواطف كما للافراد ولكنها في الجماعات احط منها في الافراد. اي ان الانسان لما يجتمع مع غيره يختلط شعوره ومداركه فيعمل اشياء ويقول اقوالاً ما كان ليعملها او يقولها لو كان وحده . وما ذلك الا من تأثير التيار العام الجارف

ان تيار الرأي العام قوة عمياء تقاوم الحقيقة كما آمنها . والعامة عادة يعتبرون كل رأي او فلسفة تتحدى ادراكهم كفراً وضلالاً . والتاريخ ينبئنا عن كثيرين ذهبوا ضحية جهل محيطهم وماتوا شهداء العلم والحق . وتكفينا نظرة الى القرون الوسطى لنرى تأثير الجهل والتعصب في محاربة الحق والعلم . بل يكفي ان ننظر الى امسنا ويومنا . ولا شك انا لو امعنا النظر وجدنا ما تنفطر له القلوب حزناً لا سيما في هذا الشرق حيث التقاليد والرأي العام هي الحاكم المستبد والويل لمن يخدشها والهلاك لمن يقاومها

﴿ ٥ — الظواهر ﴾ اي ما يبدو لنا من الامور لاول وهلة . فقد قيل ان الانسان اسير الظواهر وكلما ارتقى نبذها وتمسك بالحقائق . فكل منا يتذكر ما كان عليه في اول امره من الغرور ببعض المسائل الجديدة عليه . فاول ما يتبادر الى الذهن مثلاً ان الشمس تدور حول الارض وان القمر اكبر من النجوم . فلا غرابة اذا ضل آباؤنا في هذا السبيل ولكن البحث المستمر جعلنا نكتشف الحقيقة ونترك الوهم

الوسائل الى الحقيقة

قد احطنا الآن باهم العوامل التي تبعد الانسان عن الحقيقة فماذا يقربه اليها ؟

﴿ ١ — العقل ﴾ يقربه اليها اولاً عقله ونعني بالعقل جميع القوى المفكرة التي تجعلنا نفهم الاشياء ونعلل الحوادث وننظر الى اسبابها ونتائجها وارتباطها

ان الدوافع الداخلية عديدة جداً تدفع الانسان لاتيان الامور المختلفة . ووظيفة العقل انه مستشار في كل رأي او عمل . فلا يجب ان نأذن لرأي او اعتقاد ان يدخل علينا ما لم يمحصه العقل ويوافق عليه . فهو الحارس يستشار قبل الدخول

﴿ ٢ — البحث والاختبار ﴾ ان البحث اكبر مساعد للعقل في الوصول الى الحقيقة وقد قيل « الحقيقة بنت البحث » اي انها تستلزم البحث والتنقيب واقتحام المصاعب . فهي لا تعرض جوهرها بل تقول « فتشوا عني » . ومن الامثال الفرنسوية « الحقيقة مخبأة في قعر بئر » اشارة الى بعدها عن نظر الناس . وانه اسهل على الانسان ان يكتشف الخطأ والوهم من ان يقف على الحقيقة لان الاوهام عائمة على السطح اما الحقائق فهي كالدرر التي لا يدركها الا من يغوص ويعاني المشاق في سبيلها . وافضل تعريف سمعته للعبقرية

(genius) انها صبر متواصل . ويؤثر عن اديسن الشهير انه عرف العبقرية كما يلي : Genius is 2% inspiration & 98% perspiration أي ان اثنين في المئة منها يرجعان الى المواهب الطبيعية و٩٨ في المئة تتوقف على العناء والاجتهاد

﴿ ٣ — التساهل واحترام آراء الغير ﴾ اخبرني صديق زار انكلترا حديثاً انه شهد يوماً في مجلس العامة احد ممثلي حزب العمال يخطب بتحمس للدفاع عن مصالح ممثليه . فكان فريق من النواب يقاطعونه بالضحك والاستهزاء لمنعه من مواصلة الكلام . فسكت الخطيب هنيهة الى ان سكنت العاصفة ثم ابتدر معارضيه قائلاً : « يمكنكم ايها الزملاء ان تقاوموا براهيني ببراهين أخرى ولكن لن يتسنى لكم اقناعي واسكاتي بالضحك والاستهزاء » فسكت الجميع عندئذ وواصل الخطيب كلامه

ان هذه القصة لا تستدعي الشرح والتعليق فمجرد ذكرها ابلغ من الخطب الطويلة

﴿ ٤ — الشجاعة الادبية ﴾ ولا يكفي ان ندرك الحق بل يجب ان يكون عندنا الجرأة الكافية للمجاهرة به والحقيقة . — كما قال احدهم — هي ان تقال لا أن تعلم . ورحم الله مؤسس الهلال الذي قال : الاعتراف بالخطإ صواب والاقرار بالعجز قوة

ان قبول الآراء والعقائد الجديدة يستدعي امرين :

اولاً : احترام آراء الغير مهما تخالف آراءنا لانه لا يعقل ان الله تعالى قد خص فرداً او افراداً بمعرفة الحقائق . فالحقيقة كالفضيلة لا وطن لها

ثانياً : الشجاعة الكافية لاستبدال ما عندنا من الآراء التي نجدها فاسدة بآراء افضل منها ولا نخشى في الحق لومة لائم — ولا يتم ذلك الا اذا كان عند الانسان مقدار كبير من الاقدام الادبي لانه ليس اصعب على الانسان من ترك العقائد والآراء التي تعودها

قال كولريدج : « ان الباحث الذي يتعصب لدينه على الحقيقة سوف يفضل ايضاً شيعته على دينه وحزبه على وطنه وينتهي بان يفضل نفسه ومصلحته على الجميع »

ان اجمل صفة تحلى بها الحقيقة انها عارية اي انها لا تقبل الزينة لان جمالها في حد نفسها

الانسان عند الحقيقة

انتهينا من القسم الاول من هذا الخطاب وهو الاهم . اما القسم الثاني فهو كما تعلمون « الانسان عند الحقيقة » او بعبارة اخرى ماهية الانسان ومركزه إزاء هذا الكون العظيم

لست ادعي بانه يمكنني حل هذه المعضلة الكبرى التي حيرت العقول منذ قديم الزمن فما تاريخ الفلسفة الا تاريخ مساعي الفكر البشري لمعرفة مقام الانسان في الكون ونسبته الى سائر المخلوقات . وانما اكتفي بان اورد لكم بعض النتائج التي بلغها العلم الحديث

ولكني قبل الابتداء في هذا الموضوع لا ارى لي بداً من لفت نظركم الى امرين

اولا : انني ابحث الآن بحثاً علمياً محضاً وابسط لكم الآراء العلمية كما هي. فالبحث العلمي يستدعي التجرد عن كل العوامل مهما تكن موطدة في الذهن

ثانياً : انني مع ذلك لا اعتقد اعتقاداً قاطعاً بثبات النتائج التي وصل اليها العلم بل اعتقد ان كثيراً من حقائق اليوم ستعد بين الخرافات والاوهام في الاجيال القادمة . ولكن ذلك لا يمنعنا من مداومة البحث لان الحقيقة لا تظهر لنا الا بعد العناء والمشقة فتطهر شيئاً فشيئاً من الخطإ والوهم اللذين يخالطانها

ما برح الرأي السائد على اذهان الناس منذ القدم ان الانسان مركز الكون وان جميع الكائنات من نجوم وسيارات وجماد وحيوان ونبات انما خلقت ليتمتع بها . فهو ملك الطبيعة ومركزها الذي تحوم حوله سائر الكائنات . ولا غرو اذا ساد هذا الرأي زمناً طويلاً فانه يشبع عاطفتي الكبرياء وحب الذات المستقرتين في اعماق الطبع البشري

ولكن العلم ما برح مع تقدمه ينكر على الانسان هذا المركز الفريد ويجبره على التواضع . وقد عانى العلماء كثيراً من الاضطهاد عند ما جاهروا بارائهم . ويكفينا ذكر كوبرنيكس وغاليليو مؤسسي علم الفلك الحديث وما لقياه من الاضطهاد والمطاردة لتحقق صدق هذا القول

ان اول صدمة لقيها الانسان في كبريائه كانت قول كوبرنيكس بان الارض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس . وما الارض الا كغيرها من السيارات التي تدور حول الشمس . ولا يخفى ان بعض العلماء اليوم يعتقدون ان في المريخ — وهو احدى تلك السيارات — مخلوقات تفوق الانسان رقياً

وكانت الصدمة الثانية أن النظام الشمسي ليس فريداً في الكون فان فيه شموساً لا تحصى تدور حولها السيارات كالارض ورفيقاتها . ومن يدري هل فيها مخلوقات أم لا ؟

اما الصدمة الثالثة فكانت مذهب النشوء والارتقاء الذي قال بهدم الحواجز بين الانسان وسائر الكائنات وبين ارتباطها وتدرجها في النشوء . ولابد لي هنا من الاشارة الى ان هذا المذهب اقل ثبوتاً من الحقيقتين المتقدمتين وهناك امور كثيرة يعجز عن تعليلها . الا انه في نظري معقول على مجمله ومدعم بادلة كثيرة

وسواء سلمنا بهذا المذهب او لم نسلم فما لا ريب فيه ان الانسان ما هو الا واحد من سكان احدى السيارات التي تدور حول احدى شموس الكون الذي لا نهاية له

الحروب والثورات

في العوالم الدنيا

مهما تنوع احاديث البشر في هذا الزمن يندر ان تنتهي بغير حديث الحرب او ان تخلو منه . وقد غلبت على الافواه الالفاظ الخصيصة بالحرب ولو على سبيل المجاز . فقنابل الالسنة اصبحت اقتل من قنابل اليد . وخنادق القهوات صارت اشد املاءً من قهوات الخنادق . وما كان الناس اولع في استطلاع الغريب منهم في التساؤل عن غرائب هذه الحرب من غازات خانقة وقذائف صاعقة ومدافع تمطر النيران وتصم الآذان . فلا بدع اذا غلب في مطبوعات هذا العهد ما يوافق رغبات الجمهور من احاديث الحروب

الحرب بأوسع معانيها

﴿ التنازع الطبيعي ﴾ اذا اشير الى قدم الحرب ذكر قتل قايين لهابيل لان التواريخ والاساطير لم تذكر قبله قتلاً ولا حرباً . على ان العلم الحقيق الدقيق يثبت لنا ان الحرب انما هي ارث ورثه الانسان من الاحياء الدنيا التي هي اسبق منه في سلم ارتقاء الاحياء. وما الحرب الا اسلوب صريح من اساليب تنازع البقاء او الجهاد في سبيل الحياة . فكيفما قلبت نظرك في مظاهر هذا الكون ترى صورة من صور التنازع . وما دامت القوة تلعب في المادة وتحول بها من صورة الى اخرى فلا بد من حدوث هذا التنازع . ولا ينتهي التنازع من الكون الا متى خمدت القوة وجمدت المادة واصبحت هذه ذات صورة واحدة فقط . وبعبارة اخرى ما دامت المادة صوراً مختلفة لا بد من تنازع هذه الصور لتسود واحدة منها وتلاشي الصور الاخرى دونها . فلجج البحار تنازع قمم الجبال وهي ترسل اليها مياهها بصورة البخار عن يد الحرارة لكي تبتلعها . وثوران المواد المصهورة في جوف الارض ينازع البحار فلا تبتلع هذه جبلاً حتى يكون ذاك قد انهض فيها جبلا

﴿ تمثيل دارون ﴾ وقد مثل دارون على التنازع في فصل خصص بهذا الموضوع في كتابه « اصل الانواع » فذكر ان الماشية كادت تقرض الشربين الاسكوتلاندي . فلما قلّ الشربين قلت الماشية . واتما نما الهشيم مكان الشربين وكاد يخنق ما ينبت منه . فالماشية جعلت حدًا لطغيان الشربين وتفوّقه على سائر انواع النبات والحشرات المختلفة في انحاء عديدة تضع حداً لنمو الماشية وتكاثرها كما هو الحال في باراغواي

حيث يندر وجود ماشية أو خيول أو كلاب وانما تتفرق هذه الحيوانات الى الشمال والجنوب حيث تكثر سائبة . وذلك لان ضرباً قاتلا من ضروب الذباب في باراغواي يبيض بيوضه في سرر هذه الحيوانات حين ولادتها فيهلكها ولا يعيش منها الا ما بعد عن منطقة الذباب . ولكن هناك بعض انواع الطيور تغزو هذا الذباب وكان ممكناً ان تمنع تكاثره وطغيانه لولا ان طيور الصقر وبعض الحيوانات المفترسة تغزو تلك الطيور غازيات الذباب وتقلل وجودها

فترى مما تقدم ان الماشية تنازع النباتات بقاءها والذباب ينازع الماشية والطيور تنازع الذباب والصقور تنازع الطيور والضواري تنازع الصقور

وعندنا من امثلة ذلك ان الدودة آفة القطن وبعض الطيور آفة الدودة والصيادون آفة الطيور . وكيفما التفت في الطبيعة تجد سلاسل من التنازع في اساليب مختلفة لا تكاد تعرف لها اولاً ولا اخراً . والحرب احد اساليب التنازع

على ان الفرق بين الحرب وسائر انواع التنازع كالفرق بين الاجتماعي وغير الاجتماعي . فهي تنازع اجتماعي ولكنها غير محصورة في البشر كما ان الاجتماعية غير محصورة في البشر ايضاً بل توجد في بعض طوائف الاحياء . وحيث وجد الاجتماع كان التنازع فيه حرباً فعلية او ضرباً من الحرب من غير مجاز . واليك بعض الامثلة على ذلك

حرب الخلايا والميكروبات

﴿ البدن امة ذات طوائف ﴾ لا يخفى ان الجسم الحيواني ولا سيما الاحياء العليا كالانسان واشباه الانسان وسائر الفقاريات الخ مؤلف من جماعات من الخلايا والحويصلات والخلية او الحويصلة انما هي جرثومة ميكروبية تشبه الميكروب في كثير من خواصها الحيوية . ولهذا تعد حيا قائما بنفسه وانما ترتبط بسائر اخواتها كارتباط افراد الامة بعضهم ببعض . ولذلك تعد خلايا الجسم شعباً او امة . والجسم او البدن يعد هيئة اجتماعية . وهذه الهيئة الاجتماعية مؤلفة من جماعات ولكل جماعة وظيفة تقوم بها لحفظ كيان الهيئة . كجماعة الخلايا الهضمية مثلاً التي تقوم بعمل الهضم وكجماعة الخلايا العصبية التي تقوم بعمل الاحساس والحركة وهلم جرا كما هو الحال في جماعات الهيئة الاجتماعية من جماعة صناعية واخرى تجارية واخرى عاملة

﴿ اعداء امة البدن ﴾ وهو معلوم ايضاً ان اعدى اعداء البدن الحيواني

الميكروبات المرضية التي اذا تطرقت الى الجسم ولم تصادف فيه المقاومة الكافية نمت فيه ونفثت سمومها القاتلة . وكثير من هذه الميكروبات سريعة الفتك ذريعته كميكروب الكوليرا وميكروب الدفتيريا

على ان امة البدن قد استعدت لمقاومة هذه الاعداء فانشأت منها جيوشاً للدفاع والمقاتلة . بعضها طواف في الجسم مع دمه وبعضها محلي يقيم في الحصون والاستحكامات والخنادق . وقد تسلحت هذه الجنود بسلاح وذخيرة للفتك بالعدو

﴿ جيوش امة الجسم ﴾ وهذه الجيوش مؤلفة من عدد لا يحصى من الجنود التي هي طائفة خاصة من الخلايا تسمى عموماً فاكوسيت Phagocytes (واللفظة يونانية الاصل معناها ملتهم الجراثيم) . وهي نوعان نوع نشيط صغير يدعى ميكروفاج Microphage ويتولد في مخاع العظام ويبرز الى الدم ويطوف معه في الاوعية الدموية حتى ادقها وهو قسم من كريات الدم البيضاء المسماة لوكوسيت Leucocytes وشكله بيضوي يسهل حركته وتجمعه وهو بمثابة « البيادة » في الجيش

والنوع الثاني كبير يسمى «ماكروفاج» (Macrophage) وبعضه نشيط يطوف في الدم كذلك وهو بمثابة البوليس والجندرمة . وبعضه مقيم في بطانة الاوعية الدموية (او بالاحرى مبطن لها) والاوعية الليمفاوية واغلفة الاعضاء الباطنة واكثر الغدد كالكبد والطحال ونحوها . وهو بمثابة الطوبجية التي تقيم في الحصون والاستحكامات وما شابهها

واما سلاح هذه الجنود فزوائد تنتؤ منها للقبض على عدوها او تغليفه او الالتفاف حوله . واما ذخيرتها فنوع من الخمير تنفثه فيخبل العدو ويصرعه

﴿ الجيش الطواف ﴾ مؤلف من نوعي الجنود البيادة والجندرمة . ولكل نوع وظيفة في الحرب فالجنود البيادة اي الميكروفاج ترصد الاعداء اي الميكروبات القاتلة التي تتطرق الى الجسم عن طريق القناة الهضمية او الاغشية المخاطية او الجروح او السجوح . وتهتدي اليها حين تلامس مفرزاتها السامة فتعرفها حالاً كأن لها حاسة كحاسة الشم او الذوق . وحينئذ تنشب المعركة بين الفريقين على الاسلوب الآتي :

تجمع جنود الميكروفاج صفوفاً وفرقاً حول كل مكان استعمرته الميكروبات القتالة ونفثت فيه سمومها . ثم تجعل ترميها بقذائف من خميرها حتى تصرعها . ثم تهجم عليها وتلتهمها بطرق مختلفة حسب نوع العدو . فاما ان تلتف كرية الميكروفاج المدافعة حول الميكروب المهاجم او ان تغلفه بنفسها وفي كلتا الحالتين تهضمه

﴿ البوليس ﴾ واما الماكروفاج (او الفاكوسيت الكبير) الطواف فوظيفته

منحصرة في امتصاص الدم المتكتل في الجروح او المحتقن في بعض الاوعية كاوعية الدماغ حيث يفضي الاحتقان الى الشلل او الفالج . وذلك ان الماكروفاج يجمع فوجاً بعد فوج حول كتل الدم ويمتصها تدريجاً حتى يعيد الحالة الى طبيعتها الاصلية . على هذا النحو تبرأ الجروح وهكذا يعلل شفاء الشلل التدريجي

فوظيفة الماكروفاج الطواف اذاً وظيفة البوليس الذي يقوم بمهمة حفظ النظام ورد الامن الى نصابه

﴿ الجيش المحلي ﴾ واما الجيش المحلي فمؤلف من الماكروفاج المبطن للأوعية الدموية والليمفاوية والغدد ووظيفته كوظيفة الجنود القائمة في الحصون والاستحكامات تمنع ايغال العدو وتصد هجماته . فاذا هاجمت الميكروبات جدران الاوعية او الغدد او الاعضاء الداخلية لكي تتطرق الى مجاريها الدموية تصدى لها هذا الجيش المحلي وقاتلها على حدّ مقاتلة الجيش الطواف لها

﴿ ضعف الجيش ﴾ على هذا النحو تقتتل الخلايا الدفاعية في الجسم مع الميكروبات المرضية المتطرقة اليه . والحرب بين الفريقين سجال فلا يندر ان تتغلب الميكروبات المرضية وتفوز اخيراً باهلاك امة الجسم كله . والذنب ذنب الجسم الذي لم يكثر جيوشه ويعد عدته

واليك ما كتبه الدكتور كارنجي ديكسون بهذا الموضوع في عرض كلامه عن مناعة الجسم ضد الميكروبات :

« ليست الامراض المعدية الا مثلاً من امثلة التنازع في الطبيعة حيث يسطو حي على حي آخر لينازعه الطعام . ولذا يجب على الجسم البشري ان يكون دائماً على استعداد لمدافعة عوادي الامراض . فان الجسم البشري تلقاء الميكروبات مثل الامة تلقاء غزاتها . فكما ان الامة التي اصبحت غنية مترفهة وقد لهت بترفها عن الاهتمام بحماية نفسها من اعدائها ولم تعد تهذب افرادها وتدربهم على القتال ولا استعدت الاستعداد اللازم للدفاع حتى في وقت السلم وفي عهد الامن — كما ان الامة في هذه الحالة لا تأمن هجوم امة اخرى عليها وسحقها هكذا الجسم البشري اذا لم تنم انسجته وخلاياه ولم تتدرب على ان تحارب اعداءها (غير المتظاهرة) المحيطة بها دائماً فلا بد ان تهاجمها هذه الاعداء قريباً او بعد حين وتتغلب عليها

« ولا يعد الانسان مريضاً حين تظهر اعراض المرض فيه فقط . اي حين يكون وطيس الحرب بين خلاياه واعدائها محتدماً . بل يعد مريضاً — وربما كان مرضه خطراً — قبل ان تبدو الاعراض اي في مدة الحضانة حين يكون العدو قد دخل الى الجسم وجعل

يتجسس ويبحث عن مواضع الضعف فيه لكي يهاجمها . حينذاك تكون حصونه اي جلده او أغشيته المخاطية قد امتلأت من الغزاة

« فاذا رام الجسم ان يحتفظ بسلامته او يستعيد صحته وجب ان يكون عنده تحت امره جيش نظامي شديد معبأ ومتأهب للهجوم على الاعداء في النقطة التي جعلت ميداناً للقتال . وهذا الجيش يؤلف من كريات الدم البيضاء الكبيرة والصغيرة . وكذلك على جنوده الحلية (الترتيوريال) اي خليات انسجته ان تقوم بنصيبها من الدفاع والقتال . والاوعية الدموية والليمفاوية انما هي الطرق والسكك الحديدية التي تنتقل فيها قواته المحاربة . واما مدارسه الحربية ومراكز معسكراته فانما هي في نخاع عظامه (حيث تنشأ معظم جنوده) وفي سائر الانسجة ايضاً . وطحاله وغدده الليمفاوية وغيرها من الغدد انما هي طواب واستحكامات تترصد فيها الجنود للعدو لتفتك به

« وكذلك على الجسم ان يكون قد اصطنع اسلحته وذخيرته ليس للدفاع فقط بل للهجوم ايضاً . فقنابله ومقذوفاته واسلحته انما هي الخمائر التي تصرع الاعداء والامصال التي تلاشي فعل سموم الميكروبات . فمنها الاجلوتينين الذي يشل الميكروبات والبكتيريولوسين الذي يذيبها ويحلها الى عناصرها فضلاً عن مئات من الذخائر التي لا يعرف حتى الآن عنها الا الشيء القليل

« وليس القتال بين الخصمين على هذا النحو خيالاً شعرياً بل هو قتال حقيقي عنيف لا رحمة فيه للضعيف ولا شفقة على الجريح . فالكريات التي انهكت قواها في القتال ولم يعد في وسعها أن تدافع تنهشها اخواتها في نفس ساحة القتال او في بعض الاعضاء التي تنقل اليها . او انها تفرز من الجسم مع عدد عديد من الاعداء (الميكروبات) ومع الانسجة التالفة بشكل جديد »

﴿ تمرُّد الجنود ﴾ وكما ان هذه الجنود تدافع عن امة البدن فيحتمل كثيراً ان تمرد عليه وتهاجم انسجته . فقد برهن متشنيكوف مكتشف الفاجوسيت على أن خلايا الماكروفاج تنقلب في عهد الشيخوخة على الخلايا الرئيسية لبعض الاعضاء كخلايا الدماغ ونحوها وتهتضمها وتبني مكانها نسيجاً آخر يدعى « النسيج الموصل او المتصل » (Connective tissue). فمن امثلة ذلك انها تقضم الانابيب الكلوية وتملأ مكانها « نسيجاً موصلاً » . وكذلك تفعل في بعض انسجة الدماغ . وقد علل متشنيكوف الشيب بهجوم هذه الخلايا على خلايا الشعور وامتصاصها المادة الملونة التي فيها والمهاجرة بها وتركها بلا لون اي بيضاء . وهو يعلل الشيخوخة والهرم بفعل هذه الجنود المتمردة على نحو

ما تقدم بيانه . ويعزو الى تأثير الخمور الرديء وميكروب الزهري معظم السبب في ضعف انسجة الجسم تلقاء جنودها المتمردة

ذلك مثال من امثلة الحروب في العوالم الدنيا واليك مثالاً آخر في طائفتين اخريين من طوائف الاحياء الاجتماعية وهما طائفتا النمل والنحل

حرب النمل

﴿ طوائف النمل ﴾ النمل والنحل من فصيلة واحدة وهما من اهم الاحياء الاجتماعية بعد الانسان لان كلاً منهما يعمل متعاوناً اعمالاً عديدة تشبه اعمال الانسان كبناء المنازل وعول الصغار وخزن الغذاء ومقاتلة الاعداء . اما النمل فكل نوع من انواعه تؤلف هيئته الاجتماعية من ثلاث طوائف على الاقل ولكل طائفة وظيفة . وهي الذكور والاناث والعمال العقيمة (اي لا ذكور ولا اناث) ٠ وطائفة العمال تقسم الى ثلاث فرق فرقة الجنود وفرقة العمال الكبار وفرقة العمال الصغار ٠ اما وظيفة الذكور والاناث فمحصورة في التوليد فقط ٠ واما سائر الاعمال الاخرى كعول الصغار وجمع الطعام وبناء المنازل والغزو والدفاع الخ فن واجبات فرق العمال

﴿ النمل الغازي ﴾ من اغرب اجناس النمل الجنس الحربي البريطاني المسمى فورميكا سنجوينا Formica sanguina فانه في اوقات معينة يسطو على اجناس اخرى من النمل ويغزوها وينتهب بيوضها وينقلها الى اوكاره حيث تنقف هناك فيربيها ويعنى بها كما يربي السيد عبده ٠ ومتى شبت استخدمها في بعض انواع العمل فتعمل معه ٠ والغريب ان هذا النمل الغازي لا يغزو الا حين يغلب ان تنتج بيوض النمل المغزو عمالاً ولكنه لا يتعرض لها متى كانت بيوضها تنتج ذكوراً واناثاً

وهناك نوع آخر من النمل الاوربي يدعى بولي ارغوس روفيسنس Polyargus rufescens يعتمد في كل حياته على عبيده من النمل الذي ينتهبه لانه لا يستطيع عملاً سوى الغزو والنهب فقط ولذلك اصبح على تمادي الزمان وليس له اداة لحفر الاوكار او قضم الحبوب وانما له حربة يطعن بها خصمه ٠ ولذلك اذا لم يتيسر له عبيد تخدمه فلا يستطيع ان يطعم نفسه بل يموت جوعاً ٠ والغريب ان عبيده تعودت العبودية له كما هو تعود السيادة اي ان الارستوقراطية اصبحت غريزة فيه كما اصبحت العبودية غريزة في عبيده

﴿ بقر النمل ﴾ واغرب من هذا وذاك ان النمل يغزو نوعاً من الحشرات مجنحاً كالبرغش يدعى « قمل النبات » (Aphide) ويحتلب منه عصيراً حلواً يستطيبه ٠ ولذلك تراه يقصد الى الانجم التي تكثر فيها هذه الحشرات الصغيرة ويحتملها الى اوكاره وهناك

يدغدغ بطونها فتفرز عصيرها . وقد سمي هذا النوع من الحشرات « بقر النمل » لانه الف النمل كما تألف البقر البشر واصبح لا يفرز عصيره الا اذا كان النمل يدغدغه

وقد امتحن هذا الامر العلامة داروين فمنع النمل عن ١٢ قملة برهة طويلة وكان يلاحظها تحت العدسية المكبّرة حتى رأى بطونها وقد انتفخت فجعل يدغدغها بشعرة على نحو ما تفعل النملة بها فلم تفرز عصيرها . ثم اطلق عليها بعض نملات فكانت تحتلب عصيرها على نحو ما تقدم وصفه وكان داروين يرى العصير يبرز منها كتلاً

وكثيراً ما يوجد في اوكار النمل خنافس مختلفة لوحظ انها تعيش مع النمل فكان النمل يسوقها وهو يهاجر من مكان الى آخر

عرب النحل

﴿ طوائف النحل ﴾ والنحل كالنمل ينقسم الى ثلاث جماعات ولكل جماعة وظيفة وهي الملكات (اي الاناث) والذكور والعمال العقيمة (لا ذكور ولا اناث) . اما الملكات ففي كل مستعمرة او مملكة (اي قفير) ملكة واحدة منهن فقط . ووظيفتها ان تبيض بعد اللقاح في كل خلية بيضة واحدة . والبيضة قد تنتج ملكة او ذكراً او عاملا

واما سياسة المملكة ففي يد العمال فقط فاذا كانت الملكة (قديمة او جديدة) باقية في مملكتها (قفيرها) اذن لها العمال ان تقتل جميع الملكات قبل ان تنقف من بيوضها لكي تبقى هي وحدها . ولا تخرج الملكة من مملكتها الا يوم عرسها . فتطير « طيران العرس » وتحلق في الجو ما استطاعت فتتبعها الذكور حائمة حولها . ولا يصل اليها الا اسرعها او اوفرها حظاً او اقصرها عمراً لانه بعد انتهاء العرس يموت العريس على الاثر وتعود الملكة الى قفيرها تتبعها الذكور . وتبقى الذكور لا عمل لها الى ان تبيض الملكة بيوضها فان رأت العمال ان معظم البيوض او كلها تنتج ذكوراً او اناثاً وقلت بينها بيوض العمال ابقت على حياة الذكور الى ان يحتفل بعرس ثان وان كان معظم البيوض بيوض عمال لم تبق حاجة للذكور ولهذا تسطو العمال على الذكور وتقاتلها حتى تفنيها

﴿ فتح مملكة جديدة ﴾ واذا رأت العمال ان المملكة ضاقت بشعبها لا تأذن للملكة ان تقتل سائر الملكات الاخرى بل تأذن لها ان تذهب بثلث العمال لكي تنشىء مستعمرة او مملكة جديدة . وحينئذ تقيم العمال الباقية في المملكة الاصلية ملكة

جديدة من الملكات التي خلفتها الملكة المهاجرة . ويغلب ان تتزوج الملكة المهاجرة ذكراً من ذكور مملكة اخرى

﴿ وظيفة العمال ﴾ وظيفة العمال نوعان داخلية وخارجية . اما الداخلية فهي تربية المواليد الجديدة وتغذيتها وتنظيف المنزل وتدبيره وتهويته بخفقان الاجنحة . وانما يقوم بهذه الوظيفة العمال الجدد . اما الوظيفة الخارجية فمن واجبات العمال القدماء . وهي محصورة في جمع الشمع والرحيق من الازهار

هذا مجمل القول عن حياة النحل وفيه يرى القارىء ضرباً من الحرب بين العمال والذكور وضرباً آخر بين الملكة ومناظراتها . على ان هذا الضرب اشبه بالاغتيال منه بالحرب السجال . وهناك بعض انواع الزرافط تشبه النحل في كثير من احواله الاجتماعية . وهي تسطو على بعض انواع العنكبوت وتقنصها . على ان كلا النحل والزرافط تحارب الحشرات والطيور التي تهاجمها وتقاتلها وتتغلب عليها بفعل حمتها السامة

﴿ اعداء النمل والنحل ﴾ واعدى اعداء النمل حيوان يدعى « آكل النمل » يكثر في اميركا الجنوبية وهو يسطو على النمل الابيض فيحتفر الارض حتى يبلغ الى اوكاره فيلتهمه بان يلحسه بلسانه المحتوي على لعاب لزج فيعلق هذا على لسانه ولا يستطيع الافلات منه . واما عدو النحل فطائر افريقي يدعى « آكل النحل » وهو يهاجر من افريقيا الى اوربا انتجاعاً للرزق فيعيش على الحشرات وخصوصاً على النحل . ولذلك سمي باسمه « آكل النحل »

الخلاصة

والخلاصة ان الحرب ضرب من ضروب التنازع الذي هو ناموس عام شامل لجميع مظاهر الكون . فهو بين الافراد يدعى تنازعاً . وبين الجماعات المتعاونة حرباً . وفي كلتا الحالتين يعزى الى عمل الطبيعة العمياء غير العاقلة . فاذا شبت الحرب بين الآدميين فهمنا ان بركة التمدن الحقيقي ونعمة العلم وهبة العقل والحكمة قد فارقتهم فعادوا الى الطبيعة الوحشية التي تسلسلوا منها . ولا يمكننا ان نتصور الحرب لازمة ولا خاصة من خواص المدنية لان المدنية الحقيقية كما نفهمها تقيم ميزان الحق وتنصب قبان العدل وترشد البشر الى ان الحروب لا تؤيد حقاً ولا تكثر رزقاً ولا تقنع ضميراً . والا فبئسها مدنية لا تستطيع ان تقي العالم ويلات الحروب

نقولا الحداد

التحصين الهوائي

كيف اصبحت باريس آمنة شر المناطيد والطيارات

قال احد الخبيرين بالفنون الحربية : ان كل تقدم في طرق القتل والتدمير يتبعه تقدم في طرق الوقاية والتحصين . وقد برهنت الحرب الحاضرة على صحة هذا المبدإ فبعد ان بلغنا خبر الوسائل الغريبة التي امتازت بها هذه الحرب عما تقدمها من الحروب رأينا



مدفع مخصوص لطاردة الطيارات

الاختراع يتلو الاختراع لمقاومة هذه العوامل الجديدة . فقد عرف المتحاربون اليوم كيف يتلافون أخطار الغواصات والغازات الخانقة والالغام والطيارات وغيرها من وسائل الشر والخراب المستجدة

وقد اصبحت باريس الآن بفضل الاحتياطات التي اتخذتها الحكومة الفرنسوية آمنة

خطر المناطيد والطيارات الالمانية واصبح التحصن ضد هذا السلاح الجديد فناً قائماً بنفسه وقد برز فيه الفرنسويون على سواهم . ولعلهم فاقوا الانكليز انفسهم في هذا المضمار . فبينما نرى باريس مع قربها من ميدان القتال مطمئنة على اهلها يخشى جوها طيارو الالمان نسمع من حين الى آخر ان بعض بلونات تسبلن حامت فوق سماء لندن والقت عليها القنابل . ولكن الحكومة الانكليزية وجهت اهتمامها في المدة الاخيرة الى هذا الامر واتخذت الوسائل الفعالة التي اتخذها الفرنسويون لتطهير الجو من السفن الهوائية الالمانية بل انها علاوة على ذلك قد كلفت بعض كبار المخترعين الاميركيين ان يعاونوها في مشروعها هذا

وقد رأينا ان نأتي هنا على وصف الطرق التي يستعملها الفرنسويون للدفاع عن عاصمتهم وسنكتفي بوصف اجمالي لان التفاصيل من الاسرار التي لا يأذن المراقب في افشائها . ولا بد لنا قبل ذلك من الاشارة الى ان جميع الطرق المستعملة الآن حديثة العهد فان التحصين الهوائي لم يكن يستحق الذكر قبل هذه الحرب



الميكروفون الذي يلتقط ازيز الطيارات

يتألف تحصين باريس الهوائي من سلسلة محطات للاستكشاف والمدفعية الهوائية منظمة تنظيماً دقيقاً تبدأ في وسط المدينة وتمتد منها في جميع الجهات على مسافات معلومة في داخل المدينة اولاً ثم في ضواحيها ثم في خارجها لغاية صفوف القتال

وكل مركز من هذه المراكز متصل تلفونياً بمكتب خاص في باريس تجتمع فيه جميع المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع . فحالما تبصر طيارة في احدى النقط او يسمع ازيزها يبلغ الخبر المكتب المذكور فيرسل امراً في الحال الى مراكز المدفعية الهوائية

فتصوب نيرانها نحو طيارة العدو ، ثم الى مواقف الطيارات فتبرز لها حالاً وتطاردها

ومحطات الاستكشاف مجهزة تجهيزاً تاماً للقيام بوظيفتها ليلاً ونهاراً فكل منها تشتمل على بطارية او بطاريتين او اكثر ذات مدافع خاصة لمطاردة الطيارات يمكن توجيهها بسرعة الى الجهة التي تظهر فيها الطيارة . وبقرب هذه المدافع ضباط يرقبون الجو بنظارات معظمة وبجانبهم آلات شديدة الاحساس تلتقط صوت الطيارة اثناء طيرانها من مسافة بعيدة قبل ان تظهر للعين . وفي هذه المراكز آلات خاصة لقياس بعد الطيارات بالضبط لتوجيه النار اليها وآلات لقياس سرعتها وارتفاعها وفيها ايضاً انوار كشافة قوية تحلق اشعتها في السماء للاستكشاف

اما الآلة التي تلتقط الصوت فانها في غاية الدقة والبساطة واسمها الميكروفون . ومن مزاياها ان الضباب والظلام لا يقللان من فائدتها وقد ذكرناها في غير هذا الجزء من الهلال وصورناها ولا بأس من ايراد الصورة ثانية لتوضيح المقالة (انظر الشكل السابق)



الطريقة الحديثة لمعرفة مكان الطيارة الخافية على العين (انظر الشرح)

وهي عبارة عن اربعة ابواق او اوعية مخروطية الشكل تلتقط الصوت وتجمعه في نقطة واحدة فيؤثر في آلة شديدة الاحساس تكبّر اضعف الاصوات ومنها ينتقل الصوت مكبراً الى السماعة . وكل هذه الاجزاء مركزة على محور ثابت في الارض تدور حوله بسهولة . فلما يبلغ الصوت اشده يعرف السامع ان آلته موجهة نحو الطيارة ثم يعرف ايضاً من الاصغاء للصوت هل هي قادمة نحوه ام مبتعدة عنه فيعطي الاشارات اللازمة لاتخاذ الاحتياطات الناجعة

وعندهم ايضاً آلات اخرى يعرف بواسطتها حالاً ارتفاع الطيارة وبعدها وسرعتها فضلا عن النظارات الخاصة لهذا الغرض — كل ذلك لارشاد المدفعية الى مكان الطيارة والى تعيين الوقت اللازم لانفجار قنابل شرابنل

وتدل آخر الاخبار على ان الانكليز يستعينون الآن بنفر من الطيارين الفرنسويين لمقاومة بالونات تسبلن وتختلف الطريقة الفرنسوية في المطاردة الهوائية عن الطريقة الانكليزية بان الطيارين الفرنسويين يتبعون طريق طيارة العدو ويرتفعون تدريجاً الى ان يعلوا عليها فيرمونها بالقنابل . اما الانكليز فقد كانت طريقتهم الارتفاع مباشرة من الارض الى ما فوق طيارة العدو ثم مهاجمتها فكانوا هكذا يمهلون طيارة العدو ويأذنون له ان يرمي القنابل على المدينة ثم يهرب قبل ان يدركوه



الآلات التي تعرف بواسطتها مسافة الطيارة وارتفاعها وسرعتها

وقد وجد احد الاميركان طريقة علمية بسيطة لمعرفة مكان الطيارة في الجو من غير ان تكون ظاهرة للعين وهي انه يوضع في زوايا مثلث كبير ثلاث آلات مكبرة للصوت كالتي سبق وصفها ويجانب كل منها رجل مكلف بتوجيهها نحو مصدر الصوت بحيث تلتقطه على اشده . فلما تضبط الآلات الثلاث بهذه الصورة يمكن معرفة مكان الطيارة بحساب هندسي بسيط . لأنه قمة الهرم الراكز على المثلث واضلاعه تعرف من اتجاه الآلات كما يتضح حالا من النظر الى الشكل السابق . ولتسهيل هذا الحساب صنعوا جداول حسابية تراجع بسرعة عظيمة وتبين الارقام المطلوبة

زد على هذه الاختراعات الغريبة أن الفرنسويين قد نظموا اساطيلهم الهوائية تنظيما تاماً يشبه تنظيم الاساطيل البحرية فكل اسطول مقسوم الى فرق فيها طيارات على انواع مختلفة تقابل المدرعات والطرادات والكشافات وسفن الطوربيل الخ . وهي تقوم بمناورات

حربية على قواعد معينة كما تفعل السفن على سطح البحر . وكل فرقة مؤلفة مبدئياً من ست طيارات للاستكشاف وطرادين سريعين يحمل كل منهما مدفعاً قطر فوهته ٣ بوصات وطيارة واحدة كبيرة تحمل مدفعين من قياس ٣ بوصات ومدفعاً رشاشاً . ويلحق بهذه الفرقة تسع أوتوموبيلات لنقلها عند اللزوم وثلاث اوتوموبيلات لنقل راكبيها وتسع خيماً كبيرة نقالة تلتجىء اليها الطيارات عند الراحة . اما الطيارة الكبيرة فلها ثلاثة سطوح بارتفاع ٣٠ قدماً وعرض ١٣٠ قدماً وهي تحمل ١٢ راكباً وتدار بمحركين او ثلاث محركات

وقبل الختام نأتي بقصة تدل على ذكاء الفرنسويين وتفننهم في طرق القتال وهي انهم اضطروا يوماً في مقاطعة شمبانيا الى نقل عدد كبير من الجنود الى مسافة نصف ميل بين خندقين من الخنادق الامامية ولما كانت الارض بين الخندقين مكشوفة يخشى عليها من الطيارات الالمانية امرت السلطة العسكرية بعض المصورين ان يرسموا شكل الطريق الموصلة بين الخندقين على قماش طويل فتم ذلك في بضعة ايام ثم نصبوا القماش على عواميد فوق الطريق الحقيقي بحيث ان الطائر فوقها لا يميز بينها وبين الطريق الاصلي وتمكن الجنود بهذه الطريقة من الانتقال بلا ادنى خطر . ولم تحلم الطيارات الالمانية بهذا الاستنباط الغريب

خواطر

بيت بلا امرأة كجسم بلا روح — مثل كورسيكي

دوام نظر المرأة في المرآة مجلبة للخراب وداعية البوار — مثل اسباني

لسان المرأة سيفها ولكنها لا تدعه يصدأ — مثل ياباني

حياة بلا امرأة كمصباح بلا نور — مثل فرنسوي

البخيل كالخنزير لا تنتفع به الا بعد موته

ان تفوق الانكليز هو نتيجة مثابرتهم ومواظبتهم على العمل وسر نبوغهم هو بنيان الحاضر على الماضي والتجديد من غير تخريب — بول بورجيه

ابو تيج — امين غالي

التصوير عند العرب

٢

نالت المقالة الاولى في هذا الموضوع استحسان القراء ونقلتها عنا بعض المجلات والصحف . ويسرنا اليوم ان ننشر مقالة ثانية في هذا البحث الهام

أتينا في مقالتنا الاولى عن التصوير في الاسلام على اثبات اجادة العرب لهذا الفن الجميل وبلوغه عندهم مبلغاً عظيماً من الاتقان وكثرة المصورين عندهم وتنافسهم في صنع انفس الصور على غير ما كان معروفاً قبلاً وأوردنا من الادلة التاريخية ما يثبت استعمالهم له على جميع ضروبه كالتصوير على الابنية بالالوان وتصوير الكتب وغيرها . وبقي علينا قبل ان نتناول البحث على التصوير عند غير العرب من الامم الاسلامية ابان حضارتها



صورة من تصوير العرب تمثل الرسول (صلعم) يحاصر حصن بني النضير وقد ظهر له الملك جبرائيل وهي مأخوذة من تاريخ خطي محفوظ في متحف لندن وهي من أقدم صور العرب (أنظر صفحة ٣٩٦)

ان نورد فذلكة تاريخية نرتب فيها عصور هذا الفن عندهم وأطواره التي تقلب فيها فنتكلم على تاريخه الخاص به كفن مستقل بنفسه على ما استقريناه من متابعة البحث في هذا الموضوع فنبين في كل عصوره ما بلغه من الرقي في كل دولة من الدول العربية وقد قسمنا الكلام في ذلك الى ثلاثة اقسام : (الاول) وهو ينقسم الى طورين (١) طور الاقتباس والتقليد (٢) طور الابتكار والممارسة (الثاني) طور الرقي والابداع (الثالث) طور الانحطاط . فنتقدم للكلام على كل من هذه الاقسام فنقول :

(١) طور الاقتباس والتقليد

يبتدىء هذا الطور من أوائل الاسلام الى أواخر القرن الثاني للهجرة ويشمل عصر الخلفاء الراشدين والدولة الاموية وأوائل الدولة العباسية . ففي أوائل هذا العصر شغلت قرائح العرب بالحروب والفتوحات ونشر الدين فلم يلتفتوا الى الفنون والصنائع لانها كا

لا يخفى من الكمالات لا تطلبها الامة في اول عهدها بالمدنية . فبقيت هذه الصنائع جميعها وعلى الاخص التصوير في ايدي الامم الخاضعة لهم ولم يكونوا يستنكفون في هذا العهد من اقتنائه واقتناء مصنوعات غيرهم من الامم وقد بينا في المقالة الاولى انه كان يرد على الصحابة أقمشة من بلاد الروم وفارس رسمت عليها الصور المختلفة فاستعملوها في البستهم وفرشهم . وقد استعمل في صدر الاسلام الرياش والاثاث المزركش وعليه الصور والرسوم . ولما لم يكن للعرب صنائع خاصة استخدموا بادىء بدء من ارباب الفنون والصنائع من وجدوه في البلاد التي فتحوها . ومن اشهر الامم التي استخدموا صناعها واخذوا عنها اليونان واليهود والفرس ، فمن هذه الامم ولا سيما اليونان اقتبس العرب فن التصوير ويؤيد ذلك انه لما اراد الوليد بن عبد الملك بناء جامع دمشق أرسل الى ملك الروم (امبراطور القسطنطينية) يأمره كما قال ابن بطوطة وغيره ان يرسل اليه الصناع فبعث اليه اثني عشر الف صانع . وذكر ابن بطوطة « ان هذا المسجد كان مزيناً بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء (الموزاييك) تخالطها انواع الاصبغة الغريبة الحسن . وبالرخام الملون قد صور فيه اشكال محاريب وسواها [1] » في وسط هذه الجاليات العديدة من العمال والصناع ، وباحتكاك العرب بالشعوب اليونانية التي لم يذهب بها الفتح الاسلامي من مدن سوريا الفت أنظار العرب شيئاً فشيئاً مصنوعات المصورين اليونانيين الذين اتوا بامر الخليفة الى قاعدة ملك الامويين . ولم يمض القرن الاول من الهجرة حتى اشتغل العرب انفسهم بالتصوير فوجد بجانب مصورون اليونان هؤلاء وغيرهم مصورين من العرب اصنعوا بعد قليل من الزمن أعمالاً شتى قلدوا بها ما وقع تحت أعينهم من مصنوعات الروم والفرس وخصوصاً بعد ان انتقلت الخلافة من بني امية الى بني العباس ونقلت العاصمة من الشام الى العراق فاسسوا بغداد وكثر اختلاط العرب بالاعاجم فتحضروا واخذوا باسباب المدنية فازدانت قصورهم بالنقوش وأعمال التزويق وكثرت الصور ولكنها كانت جميعها بيزنطية او تقليداً لها ولا غرو فهذا العصر كان عصر الاقتباس والتقليد عندهم

(٢) طور الحضارة والابتكار

ويبتدىء من أواخر القرن الثاني الى أواخر القرن الثالث للهجرة . وقد نقل لنا المؤرخون اخبار مصنوعات هذا العصر الزاهي بحضارة الدولة العباسية في بغداد ودولة بني طولون في مصر ودلت هذه الاخبار على ان فن التصوير ابتدأ ينضج عند العرب فانتقلوا به من طور التقليد الى طور الابتكار وسنتكلم على عصر هاتين الدولتين :

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٥٣ جزء ١

وبقي من مصنوعاته آثار سامرا التي اكتشفها الدكتور هرسفيلد وفيها من الصور البارزة والملونة والغرف التي زينت حيطانها بالتصاوير الشرقية المنقوشة نقشاً بارزاً او غائراً في الجص وهي في غاية البهاء والجمال ما تبين منه ان العرب اشتغلوا بالتصوير على الابنية بالالوان وقلنا في المقالة السابقة انهم عدوا هذا الاكتشاف خطوة مهمة في معرفة تاريخ فن التصوير عند العرب



صورة عربيان يحتلان جملاً — من تصوير العرب

ولم يبقَ لنا من اخبار التصوير في هذا العصر الا ما ذكره المؤرخون عن بساطي المنتصر وام المستعين فالاول ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب (١) انه كان في دار الخلافة ببغداد في ايام المنتصر العباسي المتوفى سنة ٢٤٨ بساط عليه صور ملوك شتى في جملتهم يزيد بن الوليد وشيرويه بن ابرويز . والثاني وهو بساط المستعين العباسي المتوفى سنة ٢٥٢هـ . ذكر الابشيهي في كتابه المستطرف « ان ام المستعين عملت بساطاً على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب واعينها يواقيت وجواهر » الخ قال وانها انفقت عليه مائة الف الف دينار وثلاثين الف دينار وسألت ابنها المستعين ان يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته وارسل نديمه احمد بن حمدون وأترجة الهاشمي ومعهما حاجبه للنظر اليه . قال ابن حمدون فمضينا ورأيناه فوالله ما رأينا في الدنيا شيئاً احسن ولا شيئاً حسناً الا وقد عمل فيه فمددت انا يدي الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته من كمي ثم جئنا فوصفنا له حسن ما رأينا فقال أترجة يا امير المؤمنين انه قد سرق شيئاً وغمزه على كمي فاريته الغزال فقال بحياتي عليكما ارجعا فخذا ما احببتما

(١) مروج الذهب ص ٣٢٣ ج ٣

ثم امر بعد ذلك بقية جلسائه ان يفعلوا مثل ذلك ايضاً وان ينتهب خدمه الباقي فانتهبوه فوجهت اليه امه تقول سر الله امير المؤمنين لقد كنت احب ان يراه قبل ان يفرقه فاني انفقت عليه مائة الف الف وثلاثين الف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه(١)

فيظهر من هذه الاخبار القليلة التي وصلت الينا مبلغ عنايتهم بالتصوير في هذا العصر وشيوع الصور عندهم على انواعها وتأنقهم في صنعها حتى استعملوها في آنيتهم وفرشهم فضلا عن ابنيتهم وقصورهم

وقد استدل المسيو هنري لافوا (Henri Lavoix) المستشرق الفرنسوي من حكاية السائح ابن وهب الرحالة العربي على كثرة شيوع الصور في هذا العهد وعلى الاخص صور الرسول (صلعم) وغيره من الرسل والانبياء وانتشارها في كل الشرق واختراقها البلدان الاسلامية والهند ووصولها الى مملكة الصين . فقد ذكر هذا الرحالة الذي جاب البلاد وتاجر فيها وزار كل اسيا الشرقية حتى وصل الى عاصمة مملكة ابن ماء السماء في اواخر القرن الثالث للهجرة واوائل القرن العاشر للميلاد ماجرى له في حضرة امبراطور الصين وذلك بعد عودته من سياحته الطويلة وسكنه مدينة البصرة فقد حكى ان الامبراطور سأله عدة اسئلة عن احوال المملكة الاسلامية وعادات هذه البلدان المتنائية ومن ذلك انه سأله اذا كان يعرف صورة الرسول (صلعم) فاجابه التاجر نعم . وحينئذٍ اسرع احد الضباط الى صندوق يحتوي على صور كثيرة وعرضها على السائح فعرف ابن وهب منها بالتتابع صور الرسل والانبياء صلوات الله عليهم كنوح وسفينته وموسى وعصاه وحوله اطفال بني اسرائيل وعيسى على حماره بين حوارييه الاثني عشر ثم قال عن الصورة التي سأله عنها الامبراطور « وها هي صورة الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمي » وعند ذلك بكى وقال كان الرسول راكباً على جمل واصحابه مجتمعين حوله وفي ارجلهم الاحذية العربية والمساوك في احزمتهم ، واخذ ابن وهب بعد ذلك يعدد بسهولة صور الانبياء الواحد بعد الآخر حسب مميزاتهم كرجل معروفة عنده هذه الصور ومألوفة جداً . قال المسيو لافوا فهذه الصور العديدة التي كانت تقع تحت اعين العرب لم تكن بلا شك الا نتيجة لكثرة نسخ الصور التي كانت شائعة في البلدان الاسلامية وكان تجار البصرة يجدونها في كل مكان بعيد عن اوطانهم(٢)

(١) المستطرف ص ١٣٤ ج ١

(٢) Revue de l'Orient des l'Algérie et de Colonies. IX. p. 353 – 360

عصر ابن طولون

كان التصوير شائعاً في عهد هذه الدولة ومستعملاً في اغراض شتى حتى في ايام مؤسسها احمد ابن طولون فمن ذلك انه لما اراد بناء جامعه قدّر له المهندسون ثلثمائة عمود فانكر ذلك وبلغ الامر الى الرجل الذي تولى له بناء العين فكتب اليه يقول انا ابنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد الا عمودي القبلة فاحضره وقال له ويحك ما تقول في بناء الجامع فقال « انا اصوره للامير حتى يراه عياناً بلا عمد الا عمودي القبلة فامر بان تحضر له الجلود فاحضرت وصوّره له فاعجبه واستحسنه [1] »

وكان باب الصلاة (من ابواب الميدان اي قصر ابن طولون) الذي يوصل الى هذا الجامع يسمى ايضاً باب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من الجبس [2] »

اما بيت الذهب الذي زاده خمارويه بن احمد بن طولون في قصر ابيه وذكرناه في المقالة الاولى فيدل على ما بلغه التصوير في عهدهم فقد جعل فيه كما قال المقريزي على مقدار قامة ونصف صوراً في حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصورة حظيته بوران وصور بقية حظاياه والمغنيات اللاتي تغنينه باحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤوسهن الاكاليل من الذهب الخالص الابريز الرزين والكوادن المرصعة باصناف الجواهر وفي آذانها الاجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهي مسمرة في الحيطان ولونت اجسامها اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة » وقال بعد ذلك المقريزي «ولما تكامل عز خمارويه وانتهى امره واسترجع منه الدهر ما اعطاه فاول ما طرقه موت حظيته بوران التي بنى من اجلها بيت الذهب وصور فيه صورتها وصورته كما تقدم [3] »

وكان خمارويه هذا الذي ملأ قاعات قصره بالصور على انواعها من اكابر غواة التصوير والمغرمين به والمغدقين على اصحابه العطايا والهبات الجزيلة . ويظهر ذلك جلياً من كثرة تردده على دير القصير ، ذلك الدير الحسن البنيان المحكم الصنعة النزه البقعة للنظر الى صورة لم يكن يمل من النظر اليها والاعجاب بها . وكانت هذه الصورة موضوعة في هيكله وهي صورة مريم عليها السلام في لوح وكان الناس يقصدون هذا الموضع للنظر اليها لما اكتسبته من الشهرة العظيمة عند المغرمين بالتصوير ورجال هذا الفن الجميل . قال المقريزي « وقد بنى ابو الجيش خمارويه بن احمد ابن طولون غرفة في أعلاه (أي دير القصير) لها اربع طاقات الى اربع جهات وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجباً بالصورة التي فيه يستحسنها و ... [4] »

---

(١) المقريزي ص ٢٦٥ ج ٢ (٢) المقريزي ص ٣١٥ ج ١

(٣) المقريزي ص ٣١٦ و٣١٩ جزء ١ — المقريزي ص ٥٠٢ جزء ٢

الطور الثاني : طور الرقي والابداع

ويبتدئ من اواخر القرن الثالث الى اواسط القرن السابع للهجرة وكانت الحضارة قد بلغت عند العرب في هذا العصر مبلغاً عظيماً من الرقي والارتفاع فارتقى التصوير عندهم وازهر تبعاً لذلك اذ انه كما قال ابن خلدون من الصنائع والفنون التي لا تكمل الا بكمال العمران الحضري وكثرته فاذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو اليه عادات الترف واحواله فعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع . وهكذا كان حال التصوير في هذا الطور ذلك العصر الذهبي الذي نضج فيه هذا الفن عندهم فاجادوه وابدعوا فيه . واذا وجهت نظرك الى أية مملكة من الممالك العربية سواء كان في الشرق أو بالاندلس ايام ان كانت حضارتها متألقة السنا رأيت ان التصوير كان زاهياً زاهراً يسير مع الحضارة فيها جنباً لجنب وقد كانت لبضاعته سوقاً رائجة في بغداد والقاهرة وقرطبة وغيرها فنبغ كثير من المصورين واشتهروا في سائر انحاء الشرق الادنى كابن عزيز المصور العراقي والقصير وأصله من البصرة ، والبصريون كانت صناعتهم مشهورة في ذلك العهد لايضارعها شيء من صنائع سواهم . وكالكتامي وهو الذي صنع صورة يوسف عليه السلام في الجب الذي رماه فيه اخوته وهو عريان والجب كله اسود اذا نظره الانسان ظن ان جسمه باب من دهن لون الجب . اما بنو المعلم فكانوا هم شيوخ هذا الفن وشيوخ كثيرين من المصورين المشهورين كالكتامي السالف الذكر والنازوك وغيرهما

وقد انشأوا في هذا العصر مدارس عربية للتصوير [1] والف المقريزي نفسه كتاب طبقات لهؤلاء المشاهير من المصورين سماه « ضوء النبراس وأنس الجلاس في اخبار المزوقين من الناس » وقد تكلمنا عنه سابقاً

عصر الدولة الفاطمية

هذا واشهر الدول التي ازهر فن التصوير في عهدها هي الدولة الفاطمية وقد كان التصوير من الصنائع التي نشط اصحابها المعز لدين الله اول خلفاء هذه الدولة في مصر فقد جعل كل ماهر في صنعته صانعاً للخاص وأفرد لهم مكاناً برسمهم وجرى على ذلك خلفاؤه من بعده وخصوصاً الظاهر لاعزاز دين الله وابنه المستنصر فقد تأنق الناس في زمانهما ومالوا الى التأنق في هذه الصناعة التي اقبل عليها الخلفاء واقتناها الامراء واغرم بها كثير من الوزراء وغيرهم من الخاصة ، وممن بلغنا اخبار ولوعه بفن التصوير في

(١) Gustave le Bon. La civilisation des Arabes. page 550

هذا العصر الوزير اليازوري الحسن بن علي بن عبد الرحمن الملقب بسيد الوزراء وكان قاضي القضاة ووزيراً للمستنصر الفاطمي وكان أحب ما اليه كما ذكر المقريزي كتاب مصور أو النظر الى صورة او تزويق وهو الذي استدعى بن عزيز من العراق الى مصر واكرم وفادته واجزل له العطاء وكان قد أتى به لمحاربة القصير لان هذا كان يشتط في أجرته ويلحقه عجب في صنعته . وقد علمنا من مناظرتهما بمجلسه ان مصوري العرب كانوا في هذا الوقت قد بلغوا من الحذق والمهارة في هذا الفن ما لم يبلغوه في وقت من الاوقات وقد وصف المقريزي ما صنعاه فقال انهما قد صورا صورة راقصتين في حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخلة في الحائط وتلك كأنها خارجة من الحائط . فصور القصير راقصة بثياب بيض في صورة حنية دهنها اسود اذا رآها الناظر ظن انها داخلة في الحائط او في صورة الحنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر في حنية صفراء اذا نظرها الناظر ظن انها خارجة من الحائط او كأنها بارزة من الحنية . فهذا يدلنا على ان مصوري هذا العصر كانوا على معرفة تامة بجميع طرق فن التصوير حسب رؤية العين (perspective) ويؤيد ذلك المدرج الذي بالمنظرة التي صنعها بنو المعلم فقد كان يتوهم المتطلع اليها انها سلم حقيقي

ولم يكن الامر قاصراً على ذلك بل كانت هذه الصناعة قد احتوت ايضاً على صور الخلفاء والقواد والشعراء والمشاهير وغيرهم وقد اخذت الحرف الاخرى هذه الصور لتنسج على منوالها وتحذوها في مصنوعاتها فانتشرت نسخ هذه الصور في معامل البهنسة وقلمون ودابق ودمشق حيث كانوا يصنعون انفس المنسوجات الحريرية والقطنية وافخرها فكانت عادة العمال في ذلك العصر ان يزيدوا جمال هذه المنسوجات بان يحلوها بهذه الصور المعروفة والمقبولة عند جميع معاصريهم لجمال رسمها وحسن الوانها وبهاء منظرها . وقد وجدوا وقت ان نهب قصر الخليفة المستنصر من الستور الحريرية المنسوجة بالذهب على اختلاف الوانها واطوالها عدة مئين تقارب الالف فيها « صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة ايامه وشرح حاله »

ووجدوا مقطعاً من الحرير الازرق غريب الصنعة منسوجاً بالذهب وسائر الوان الحرير كان المعز لدين الله قد امر بعمله سنة ٣٥٣ فيه « صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر ومكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر اسمه بالذهب او الفضة او الحرير وفي آخره مما امر بعمله المعز لدين الله الخ . »[1] ووجدوا ايضاً من الخيم والفساطيط المصورة بصور الحيوانات

(١) المقريزي ص ٤١٧ ج ١

والطيور والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة . ومن ذلك الفسطاط الكبير الذي صور في رفرفه كل صورة حيوان في الارض وكل عقد مليح وشكل ظريف الى غير ذلك مما كان يحتوي عليه هذا القصر من الاثاث والرياش المصور . وقد بلغنا مثل ذلك عن الخليفة الآمر بن المستعلي بن المستنصر فانه لما بنى المنظرة على بركة الحبش جعل فيها دكة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة البركة صوّر فيها كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح كتبها عند رأس ذلك الشاعر . وقد كان لهذا الخليفة كثير من الخيم التي جمعت جميع الصور الآدمية والوحشية

وقس على ذلك القول في سائر خلفاء هذه الدولة وغيرها من الدول في العراق والاندلس التي ارتقى على عهدها فن التصوير ولولا خوف الاطالة لاسهبنا في الكلام على ما بلغه من الشأن فيها

الطور الثالث : طور الانحطاط

ويبتدىء من اواسط القرن السابع للهجرة الى العاشر فقد تلى العصر السابق الذي زهى فيه التصوير عصور اخرى اخذ يضعف فيها هذا الفن عند العرب ويحط عن مرتبته الاولى لقلة من يهتم به من الملوك والامراء كسالف العهد ثم عقب ذلك عصور مظلمة اضمحلت فيها الحضارة والدولة العربية وزالت مدنيتها الزاهية وصادف ذلك شيوع القول بتحريم التصوير وتحظير استعماله وغلب على اذهان الناس ذلك فصاروا يكرهون النظر الى الصور ولم يكفهم ذلك بل ابادوا ما وجدوه من مصنوعات أسلافهم الفاخرة منها ولم يحافظوا عليها محافظة الامم الراقية على الآثار ولا عجب فقد كان الجهل ضارباً اطنابه وناشراً اعلامه ومخيماً على هذه العصور فضاعت المصنوعات النفيسة واندثرت الا ما شاء ربك ولم يبق لنا منها الا آثار طفيفة مما وجد مطموراً تحت الرمال كآثار سامرا[1] وغيرها بل ضاعت ايضاً اخبار التصوير وكل ما كتب فيه من كتب طبقات وتراجم المصورين واخبار هذا الفن في عهد الحضارة والمدنية العربية ولم يصل لنا منها الا نتف صغيرة واخبار مبتورة مما ذكر عرضاً في الكتب التاريخية التي وصلت الينا هذا فضلاً عن ان كثيراً من الكتاب والمؤرخين في هذه العصور المظلمة امتنعوا عن الكتابة فيه ولم يعتنوا باخباره عنايتهم بغيره . ولم يكن ضياع المصنوعات الفنية وكتب هذا الفن واخباره وقلة مصادره كل ما خلفته هذه العصور بل هناك أمر هام غير هذا وهو ما بقي الى الآن سائداً على اذهان الناس من ان التصوير والاشتغال به محظر ولم يستعمل في الاسلام

عبد الفتاح عباده

(١) المقريزي ص ٤٧٢ و٤٨٦ ج ١

اليهود والحرب

تأثيرهم فيها وتأثيرها فيهم

يمتاز الاسرائيليون عن سائر الشعوب بمحافظتهم على جنسيتهم وتقاليدهم وعاداتهم على رغم صروف الزمان وخضوعهم لدول مختلفة . والاسرائيلية هي في آنٍ واحد دين وجنسية بعكس المسيحية والاسلام . فاذا دهشنا من محاربة المسيحي للمسيحي في هذه الحرب فان دهشتنا اشد واعظم من محاربة اليهودي لليهودي

ومن غرائب الصدف ان يوم ٤ اغسطس وهو يوم نشوب الحرب وافق تذكار هدم الهيكل الاكبر عند اليهود وتذكار سبيهم للمرة الاولى على يد نبوخذنصر البابلي وللمرة الثانية على يد تيطس الروماني . وقد سمى بعضهم هذه الحرب سبي اليهود الثالث لانها زادت في تفرقهم وتشتيت شملهم بل انها اكثر ويلاً عليهم واشد قضاء على احلامهم



شيخ اسرائيلي يسأل نفسه : اين ارض الموعد ؟

وامانيهم . وقد نقلنا هنا صورة رمزية تمثل احد مشايخ اليهود وفي يده الكرة الارضية يبحث فيها عن مستقر يأمن فيه على شعبه وهو يقول لنفسه « في روسيا لا يريدونني . وكذلك في فرنسا وفي انكلترا واميركا وفلسطين ! ان هذه الدنيا واسعة وجميلة ولكن يظهر انه ليس لي فيها مكان »

ان اليهود ذاهبون بجريرة الامم المتحاربة اليوم فاكثر من ٥٥٠٠٠٠ منهم في ساحات القتال يقاتل الاخ اخاه . ويقدر عدد اليهود الذين اضطروا الى مهاجرة بلادهم واحتمال مشاق الاسفار البعيدة فراراً من وجه الجيوش الزاحفة والمدافع القاصفة نحو اربعة

ملايين على اقل تقدير شيوخاً ونساء واولاداً تركوا ديارهم وحقولهم ومنازلهم وممتلكاتهم في سبيل المحافظة على ارواحهم وحيثما حلوا وجدوا الخراب والجوع والفقر

وقد اطلعنا في احدى المجلات على درس مفيد لذيذ موضح بالاحصاءات في وصف حالة اليهود على أثر شهر الحرب فرأينا ان ننقل خلاصته . قال الكاتب :

لليهود قسط كبير في هذه الحرب في سياستها وماليتها وتنظيمها وجنودها وويلاتها. فان عشرة ملايين من اليهود (ويبلغ عددهم الاجمالي نحو ١٤٥٠٠٠٠٠) قد تأثروا منها بشكل من الاشكال اي اكثر من ٦٨ في المئة. وهي نسبة كبيرة جداً اذا قارناها بما طرأ على الامم الاخرى واليك البيان : يقدر عدد المجندين من اليهود ٥٥٠٠٠٠ اي ٣/٧ ٥ في المئة من مجموع اليهود في العالم حالة كون عدد الجنود في ساحات القتال يقدر بعشرين مليوناً اي ٦/١٠ ٢ في المئة من الامم المتحاربة

ثم اننا اذا نظرنا الى تأثير اليهود في هذه الحرب والوظائف الكبرى التي يشغلونها دهشنا من انقياد الامم الى سلطتهم وتقهم بمقدرتهم

في الجزر البريطانية وحدها ٢٤٥٠٠٠ يهودي كان منهم في صفوف القتال (منذ بضعة اشهر) ١٦٠٠٠ وقد نال مئات منهم « صليب فيكتوريا » مكافأة لهم على شجاعتهم واقدامهم . وفي الوزارة الانكليزية خمسة اعضاء من اليهود واحدهم لورد ريدنغ رئيس قضاة انكلترا (Lord Chief Justice) . وفي مجلس اللوردات خمسة اعضاء يهود . وفي مجلس الملك ستة . و ٢٦ منهم حصلوا على لقب بارون و ١٤ حصلوا على رتبة فارس (Knight) . ومنهم ١٨ عضواً في البرلمان

اما في فرنسا فيبلغ عدد اليهود نحو ١٠٠٠٠٠ وقد كان بين قواد الجيش الفرنسوي قبل الحرب ٨ قواد برتبة جنرال و ١٤ برتبة كولونيل. اما اليوم فعدد المجندين منهم ١٠٠٠٠ واحدهم الجنرال هيمانس قائد لاحدى الآلايات الكبرى corps d'armée. وقد كان في الوزارة خمسة اعضاء من اليهود . ومن مآثر اسرة روتشيلد الشهيرة (الاسرائيلية) انها ارجعت الى امبراطور النمسا عقب نشوب الحرب جميع الوسامات التي كان قد منحها اسلافه لافرادها منذ اكثر من قرن

وفي بلجيكا نحو ١٥٠٠٠ يهودي وقد كان اول بلجيكي اسره الالمان في افرس تحت الفدية احد افراد اسرة روتشيلد

ويبلغ عدد اليهود في ايتاليا نحو ٤٥٠٠٠ وقد كان احد رؤساء الوزارة الايطالية الحديثين منهم نعني السنيور لوتساتي (سنة ١٩١٠) الذي تقلب قبلاً غير مرة في مناصب

الوزارة لا سيا وزارة المالية . وفي البرلمان الايطالي ٣٠ عضواً اسرائيلياً ١٦ منهم في مجلس الامة و ١٤ في مجلس الشيوخ . وفي مقدمة الايطاليين الذين حرضوا دولتهم على دخول الحرب مع الحلفاء السنيور ملقانو الاسرائيلي رئيس مجلس شورى الدولة فانه قاوم اعمال البرنس بولوف اشد مقاومـة واحبط مساعيه حتى اضطر الى الرجوع الى المانيا مفشولاً . ومن اشهر وزراء ايطاليا اليوم المسيو سافاتور برزيلاي الذي عينه الملك اخيراً عضواً في الوزارة وهو اسرائيلي الاصل . وقد عين الملك ايضاً الجنرال اوتولنغي الاسرائيلي عضواً في مجلس الشيوخ وكان سابقاً وزير الحربية وله عند الجنود منزلة رفيعة

أما في المانيا فعدد اليهود ينيف على ٦٠٠٠٠٠ وليس لدينا عدد المجندين منهم ولا نظنه الا بين ثمن او عشر عددهم الاجمالي. وقد اوقفت الحكومة الالمانية بعد الحرب عدة جرائد معاكسة لليهود مىالاة لهم . ولا شك ان لهم مقاماً كبيراً في المانيا وبينهم نفر كبير من المعاكسين للحكومة واستئثارها بالسلطة . ولا يسهُ عن البال ان كارل ماركس وهو اكبر زعيم اشتراكي ظهر في القرن الماضي كان اسرائيلياً . ومثله ايضاً فرديناند لاسال مؤسس الحزب الاشتراكي الالماني (المعروف بالاشتراكي - الديموقراطي ocialdemocratic) وجميع رؤساء هذا الحزب بعد مؤسسه كانوا من اليهود ايضاً وآخرهم هوجو هاس الرئيس الحالي . وزعيم حزب تنقيح الدستور الالماني منهم ايضاً واسمه ادوارد برنستين وقد نفي من المانيا على اثر مجاهرته بارائه . ومن الغريب ايضاً ان الرجل الوحيد الذي تجاسر على اعلان استيائه في مجلس الريشستاغ من اقتراض الحكومة الالمانية هو الهر ليبنخت الاسرائيلي . واذا نظرنا من الجهة الاخرى الى اليهود الموالين للحكومة وجدنا في مقدمتهم الهر البرت بالين الذي عهد اليه الامبراطور بادارة جميع السكك الحديدية الالمانية في الحرب ونقل الجنود من ميدان الى ميدان . ولا يخفى ما لتنظيم النقل وسرعته من الاهمية في الحرب الحاضرة . وقد نال كثيرون من الجنود اليهود صلباناً حديدية مكافأة لهم على خدماتهم

وقد جندت النمسا من اليهود القاطنين في بلادها وعددهم يتجاوز ١٣١٣٠٠٠ نحو ١٨٠٠٠٠ وبلغ كثيرون منهم مراتب عالية في الجيش فان احدهم عين برتبة مارشال و٦ عينوا برتبة جنرال و١٧ برتبة كولونال وقس على ذلك

ولكن العدد الاكبر من اليهود موجود في روسيا حيث ينيفون على ستة ملايين جندت منهم الحكومة ٣٥٠٠٠٠ وقد اظهروا من الاستبسال في القتال ما انالهم الاوسمة والرتب الكثيرة وحسّن ظن الحكومة الروسية بهم فشرعت تحسن حالهم وترضيهم بعد ان

عاملتهم بالقسوة لا سيا في بدء الحرب اذ اجبرت جميع اليهود الساكنين في غاليسيا وبوكوفينا وبولونيا على ترك تلك المنطقة خوفاً من الخيانة . ولا شك انه نال يهود روسيا القسط الاكبر من العذاب والاضطهاد لان معظمهم يقطنون تلك الاصقاع

ويعلم القراء خبر الحركة الصهيونية التي قام بها نفر من زعماء اليهود لجمع اشتاتهم والمستعمرات التي انشأوها في فلسطين لتحقيق آمالهم وقد قدر احدهم مجموع ما انفق في سبيل الدعوة الصهيونية في بحر القرن الماضي بمئة مليون جنيه على اقل تقدير . ولا يعلم احد مصير المستعمرات التي انشأوها في فلسطين وعددها اربعون تقريباً . ولكن المفكرين من اليهود يرون ان هذه الحرب قد قضت على آمالهم لا سيا بعد ما رأوه من اضطهاد الحكام في تركيا حتى هاجر كثيرون منهم الى مصر

ومن غرائب التاريخ ان مصر اصبحت اليوم ملجأ لليهود القادمين من فلسطين وقد كانت فلسطين في قديم الزمن الملجأ الذي لجأوا اليه بعد خروجهم من مصر

ونختم هذا المقال بنشرة اذاعها يهود فرنسا الى يهود البلدان المحايدة لمساعدة الحلفاء وقد ذكروا فيها فضل فرنسا في تحريرهم واعلاء شأنهم واليك خلاصتها :

نحن اليهود الذين قضينا اجيالاً تحت نير العبودية والاضطهاد غير حاصلين على الحقوق التي تساوينا بالغير يحق لنا اكثر من سوانا ان نلعن باسم المبادئ الشريفة التي وضعها الانبياء الاعتداء الذي فاجأ به العدو بلادنا والفظائع التي ارتكبها ضد اخواننا

ان الحرب طرحت طرحاً على فرنسا المسالمة التي كانت لرغبتها في السلم وحبها لتعزيز المبادىء الديموقراطية الراقية تحتمل التهديدات الكثيرة التي كان يوجهها اليها عدو مستبد يستعد استعداداً طويلاً لمحو اسمها من عداد الدول الكبرى . ولما هوجمت على حين غرة هبت تدافع عن نفسها وتجاهد لحفظ كيان حريتها وحرية الشعوب التي تقاتل الى جانبها

فهل يمكنكم انتم ايها اليهود الساكنون في البلدان المحايدة ان تقفوا مشاهدين وتنظروا غير متأسفين الى الضربات التي يوجهها الاعداء الى الروح الديموقراطية الشريفة التي افادتكم كثيراً في الماضي ؟ ألا تعلمون ان الفضل في كسر نير الاستبداد عن اعناقكم راجع الى فرنسا بنت القرن الثامن عشر وانه بفضل جهادها أوجدت مثالاً للامم الاخرى فاخذت تقتدي بها وترفع تدريجاً نير العبودية عن اعناقكم وتعتبركم مثل الوطنيين ؟

نعم ان الشرائع الدولية تمنعكم من مساعدة فرنسا مساعدة حربية ولكن اعترافكم بفضلها عليكم يجعل من واجباتكم نشر الحقائق عنها وبث المبادىء التي تقاتل لاجلها وشجب الفظائع التي يرتكبها العدو في حربه معها لان هذا العدو يعتبر القوة وحدها حكماً

في الخلافات وان لها القول الفصل في تحديد الحدود وايجاد الفارق بين الحق والباطل

تذكروا الاضرار التي لحقت بالمبدإ اليهودي في سنة ١٨٧٠ فان المبادئ الديموقراطية التي أسست على الاخاء والحرية والمساواة بواسطة الثورة الفرنسوية حاولت المانيا المنتصرة قتلها واستبدالها بمبادىء البغضاء والتخريب الجنسي . ففي جامعتها أوجدت نوعاً من التعليم سمته فلسفة العناصر واخذت تحلل فيه أجناس البشر وتوجد فروقات بينها . وبثت في شعبها مبدأ فاسداً مفاده ان الالمانيين هم الوحيدون من الدم الآري النقي ويجب عليهم المحافظة على نقاوته

ومنذ ذلك الوقت نشأت في المانيا حركة اضطهاد اليهود المعتبرين من عنصر سامي واخذت هذه الحركة تمتد الى الغرب والشرق . ففي الغرب قتلتها المدنية الفرنساوية وفي الشرق نجحت قليلاً ولكن هذه الحرب ستغير الحالة هناك ايضاً . ولا شك ان انتصار الحلفاء ومعهم روسيا سوف يؤدي الى تحرير اليهود الروسيين واعطائهم الحقوق التي يطلبونها والتي تجعلهم مساوين لغيرهم

ان الثورة الفرنسوية حررت اليهود في الغرب . وانتصار الحلفاء اليوم يحررهم في باقي اقطار العالم ومن الحماقة ان ننتظر فائدة لليهود من انتصار الماني لان المانيا وحلفاءها دعاة القوة والاستبداد ومضطهدو الساميين وكل ما هو غير الماني ومعززو القوة العسكرية البروسيانية

فيا أبناء الايمان اليهودي القديم انا ننتظر على الثقة انتصار الحق والحرية

عمر ويمضي

مضى زمني وكنت اذا زماني	بصائب نبله يوماً رماني
جزعت فشددت عزمي الاماني	وقالت انه يوم ويمضي
فلما صار هـذا اليوم شهرا	واصبح فيه حلو العيش مرا
يئست من الحياة فقيل صبرا	عليـه فانه شهر ويمضي
وطال الشهر حتى صار عاما	فقلت الى متى صبري إلاما
ولكني نهيت الملاما	لعلمي انه عام ويمضي
وعودني الزمان على التأسي	ولولا حيلتي لقتلت نفسي
فصرت اذا يئست سألت كأسي	فقالت انه عمر ويمضي

طانيوس عبده

الالمان في الولايات المتحدة

من اول نزوحهم الى اليوم

اتجهت الانظار اخيراً الى النشاط الغريب الذي يبديه الالمان القاطنون في الولايات المتحدة والوسائل الثورية التي يستعملونها لاحباط مساعي الحلفاء ومنع الذخيرة والمؤن الاميركية عنهم فرأينا ان نأتي على فذلكة في تاريخ نزوح الالمان الى الولايات المتحدة نبين فيها مقامهم وعددهم وسائر احوالهم

يرجع عهد مهاجرة الالمان الى امريكا الى القرن السابع عشر للميلاد يوم كانت الاضطهادات الدينية تضطرهم لترك بلادهم والالتجاء الى امريكا ولكن لم يتسع نطاق المهاجرة الا في اوائل القرن التاسع عشر اذ اصبحت امريكا في عيون الاوربيين وجهة القصاد ومصدراً للثروة والخيرات . فبدأوا يتقاطرون اليها مدفوعين بعوامل الاثراء يساعدهم على ذلك التسهيلات التي كانت تقوم بها الحكومات وشركات الملاحة لتوفر اسباب الراحة للمسافرين منهم حتى بلغ معدل المهاجرين سنوياً حوالي ٢٠٠٠٠٠ في سنة ١٨٥٥ . ثم تلا ذلك نقص في عدد المهاجرين بسبب اشتغال الشبان في حروب المانيا مع النمسا وفرنسا . ولكن ما تم ان انتهت هذه الحروب حتى عادت المهاجرة الى الازدياد بسبب ضيق البلاد الالمانية عن سكانها وظلت هذه الحركة سائرة سيرها الى اواخر القرن الماضي فخمدت وقتئذ نظراً لاتجاه افكار الالمان الى استعمار املاكهم وتعمير البلدان الجديدة التي لم يفد اليها المهاجرون بكثرة

وقد أحصي سكان الولايات المتحدة المولودين في المانيا فبلغوا ثلاثة ملايين نفس . وبلغ الاشخاص المولودون في اميركا من والدين المانيين ١٥٠٠٠٠٠ نفس والذين من اب او أم المانية ستة ملايين . فاذا اضفنا الى هذه الاعداد عدد الاميركين الذين تسلسلوا من المستعمرين والمهاجرين الالمانيين الاصليين وجدنا الذين يجري في عروقهم الدم الالماني يقربون من عشرين مليون نسمة اي ربع سكان الولايات المتحدة

ويكثر الالمان في الولايات الشمالية لا سيما في نيويورك وبنسلفانيا ويطلقون على هذه الولايات اسم « المنطقة الالمانية » حيث يقطن ما ينيف على ٨٠ ٪ من الالمان المولودين في المانيا وعدد اولادهم يقرب من السبعة ملايين . وفي بلدة نيويورك وحدها نحو مليون شخص من اصل الماني . ناهيك بالولايات الواقعة في اعالي نهر المسيسبي حيث تقاطر الالمان وعمروها واثروا فيها لوفرة خيراتها وبكارة اراضيها وقطنوا البلاد الداخلة في

منطقتها كشيكاغو وسان لويس وغيرهما . وقد وصلوا بفضل اقدامهم ومجازفتهم الى شواطىء امريكا الغربية ونزلوا في ولاية كاليفورنيا . ومما يلاحظ في مهاجرتهم انهم لا يتفرقون في كل الجهات بل يتجمعون في الاقطار التي يجدون ان للعنصر الالماني فيها النفوذ والسلطة حتى يكوّنوا جامعة قوية تضعف بازاءها الاحزاب الاخرى

بدأ بالهجرة الالمان الفقراء واغلبهم من الفلاحين وكانوا يفدون جماعات ويقطنون مقاطعة واحدة ويوجهون هممهم الى الزراعة والفلاحة . ولكن لم يمض زمن قصير حتى لحق بهم ارباب الادب والصناعات والفنون ممن انتابتهم الاضطهادات وعضهم الفقر بنابه وضاقت سبل العيش في وجههم فبدأت نسبة المزارعين تقل بازاء ازدياد هذه الطبقات الاخرى حتى اضطر كثير من ارباب الزراعة الى تولية وجوههم شطر كندا والبرازيل وغيرها من البلاد الزراعية . ومما ضاعف ايضاً عدد الصناع والخدم لا سيما خدمة الفنادق وخادمات المنازل ارتفاع الاجور وعدم وجود العدد الكافي من العمال الوطنيين للقيام بما بقي حاجة البلاد من الاعمال والصنائع . وتبلغ الآن نسبة ارباب الصنائع من الالمان نحو ٦٥ في المائة من عدد جميع الالمان في الولايات المتحدة

واينما ادرت الطرف ترى الالمان في كل حرفة من الحرف وفي كل طبقة من الطبقات وقلما تجد بينهم من لم يصادف النجاح في اعماله بفضل مزاياه الشخصية التي تؤهله للعمل . ومنهم من اتخذوا الفلاحة وسيلة للعيش فحولوا القفار الى حقول خصبة ونشطوا الزراعة لا سيما زراعة الاشجار والفواكه والكروم واقاموا المراعي الواسعة لتربية المواشي والاغنام . ومنهم من عمدوا الى المناجم فحفروها واستثمروها بفضل استعمال الطرق الفنية الحديثة . كل هذه الاعمال كانوا يتوسعون فيها توسعاً هائلاً بفضل الاتفاقات التي كانوا يعقدونها بعضهم مع بعض لمنع المنافسات بينهم ولتحديد اسعار المبيعات مما يجعلهم يقضون على كل مزاحم خارج عن دائرة حزبهم

ومن يتتبع سلوك الالمان منذ بدء هجرتهم الى يومنا هذا يجدهم دائبين على السعي فيما يوثق بينهم روابط التعارف المتينة ويخلد فيهم الوحدة الالمانية . واينما ذهب الانسان يجدهم ملتئمين متحدين يؤلفون الجمعيات الادبية والاندية السياسية وينشئون المدارس الالمانية والمعاهد العلمية والدينية ويقيمون الاعياد الوطنية ويمثلون الروايات الالمانية . كل هذا يرمي الى غرض واحد وهو توحيد كلمة الالمان والمحافظة على علاقاتهم مع دولتهم الاصلية

وقد كان ولا يزال لمساعي الالمان هذه التأثير المحسوس في الوسط الموجودين فيه

واصبح لهم كلمة مسموعة في الحياة السياسية والاقتصادية بفضل تعاونهم ووحدتهم . وهم يسعون الآن لدى الحكومة لتسهل لهم سبيل المهاجرة الى الولايات التي لم يتم استعمارها بعد وفي ادخال اللغة الالمانية الى المدارس الامريكانية ونشر التربية البدنية على الطرق الالمانية وحرية بيع المشروبات والمسكرات في جميع انحاء البلاد حتى لا يزاحمهم فيها احد

وهناك غرض خفي للالمان يتوقون اليه وهو وضع اساس لمحالفة المانية امريكية قد تؤدي فيما بعد الى روابط تجارية بين الدولتين حتى تتضاعف اسباب المتاجرة والتبادل بينهما . وهم يسعون الآن لاستمالة الحكومة الامريكية نحو المانيا وتنفيرها من الحلفاء . ولكنهم لن يفلحوا مهما يدسوا من الدسائس ويثيروا من الاعتصابات والمؤامرات للايقاع بالحلفاء او بتجارتهم مع امريكا فانهم ليسوا الا الاقلية في الولايات المتحدة والامريكان واغلبهم من سلالة الانكليز يكرهون العنصر الالماني ويحسبون له حساباً لا سيما بسبب منافسته لهم في التجارة . وقد قلت ثقة الامريكان حديثاً في علوم الالمان وبعد ان كانوا يرسلون ابناءهم زرافات الى المانيا لاتمام علومهم اعتقاداً منهم أن المانيا منبع العلوم والفنون اصبحوا الآن على ثقة بتفوق الفرنسويين والانكليز في هذا المضمار

ورغماً من مساعي الالمان التي سبق التكلم عنها لتقوية الجامعة الالمانية في امريكا لا يعقل ان يثبتوا أمام التيار الانكليزي ولا بد ان تضعف جامعتهم أمام الجامعة التي تربط الامريكان بالانكليز . وقد بدأت أعراض هذا الضعف تظهر حديثاً واهمها انحطاط اللغة الالمانية أزاء انتشار اللغة الانكليزية . فكم من مدرسة ألمانية اقفلت ابوابها بعد ان كان يزدحم الطلاب عليها وكم من جريدة ألمانية كسدت بعد الرواج . وما ذلك الا لان الالمان بدأوا يخضعون لتأثير الوسط المؤلف من عناصر أقوى منهم ولا يمضي زمن حتى ترى امريكا خالية من نفوذهم وسلطانهم

كلمات لمركس اوريليوس

لا تصنع شيئاً الا وانت واضع نصب عينيك امكان مفارقتك هذه الحياة لساعتك

اقرب المخلوقات الى الكمال اسرعها في الاتحاد مع امثالها والانضمام اليها

من الحمق ان نغضب من الاشياء لانها لا تحسب لنا حساباً

ليس في العالم مكان اشد انفراداً من اعماق النفس

ما اسرع الاشياء الى الزوال ! الارض تلتهم مادتها والزمان يمحو ذكرها

شذرات عن الحرب

مجموعة من أدق المصادر واصحها

الامطار والحروب

ان الامطار الغزيرة التي تساقطت في اوربا في شتاء العام الماضي جعلت الكثيرين يتساءلون هل لها علاقة بنيران المدافع التي تطلقها الجيوش . وهاك من الايضاحات ما يساعد على فهم صحة هذه العلاقة :

لا يخفى ان الامطار بوجه العموم تتكون من تحول الابخرة التي في الهواء الى ماء . وذلك ان الهواء الساخن يتصاعد ليحل محل الهواء البارد فعند ما يلتقيان يتكاثف البخار الذي يحمله الهواء ويتساقط بشكل الامطار التي نراها . وقد عللوا امكان تأثير دخان المدافع في تكاثف الابخرة استناداً على هذه الحقيقة كما يأتي :

لنأخذ مثلاً مدفعاً بحرياً قطر فوهته ٣٠٥ مليمترات يطلق قنبلة زنتها ٥٠٠ كيلوغرام تحتوي على ٥٠ كيلوغراماً من المفرقعات ويقتضي لاطلاقها ١٣٠ كيلو غراماً من البارود أي ان كل طلقة تستنفد ما يعادل ٥٠ + ١٣٠ = ١٨٠ كيلو غراماً من البارود تنتشر في الهواء بعد ان يتحول البارود المحترق الى دخان . ولو فرضنا ان كل متر مكعب من هذا الغاز يزن كيلوغراماً (وهو افتراض معقول) يكون حجم الغازات المتصاعدة في الهواء على أثر كل طلقة من المدفع تساوي ١٨٠ متراً مكعباً . فاذا كان هناك عمارة مؤلفة من عشر مدرعات كل مدرعة منها تحتوي على عشرة مدافع وكل مدفع يطلق عشر قنابل في المعركة الواحدة بلغ مقدار الغازات المتصاعدة من جميع مدافع العمارة ١٨٠٠٠٠ متر مكعب او ١٨٠ مليون لتر (المتر المكعب الف لتر)

واما المدافع البرية فان صغر حجمها لا يمنعها من احداث نفس التأثير الذي تحدثه المدافع البحرية نظراً لكثرتها وسرعة انطلاقها . خذ لك مثلاً مدفع ٧٥ المشهور فانه يحرق في الطلقة الواحدة ١٥٥٠ جراماً من البارود او متراً مكعباً ونصف من الدخان . ومعلوم انه يطلق في الدقيقة ٢٠ قنبلة فاذا فرضنا ان عدد المدافع التي من هذا العيار في المعركة الواحدة الف مدفع وان كلاً منها يطلق ٥٠٠ قنبلة في اليوم بلغ مجموع ما يطلق من الجميع اكثر من ٧٠٠٠٠٠ قنبلة يتصاعد منها ما ينيف على مليون متر مكعب من الدخان . فضلاً عن البارود الذي تحرقه نيران البنادق والمتراليوز وغيرها

فما تقدم يتضح ان الكميات الهائلة من الدخان التي تنبعث من هذه الآلات الجهنمية تكفي وحدها لان تحول الابخرة التي تصادفها في الفضاء الى امطار بالكيفية السابق شرحها وكثيراً ما كانت الامطار تسقط رذاذاً اثناء المناورات البحرية للسبب نفسه

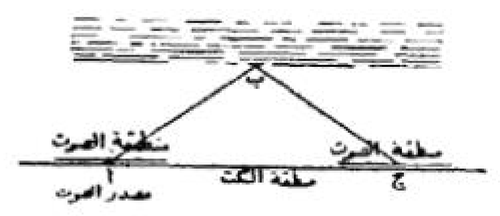
وفي عدة مقاطعات من فرنسا يستخدم ارباب الكروم دخان البارود لوقاية كرومهم من اضرار سقوط البَرَد في ايام الشتاء . وذلك بتركيب مدافع قصيرة ذات فوهة واسعة مخروطية الشكل متجهة الى الملاء ويسمونها « المدافع الواقية من البَرَد » وتركز عدة من هذه المدافع في طول الكروم وعرضها على شكل (٧) فتحشى بالبارود وتطلق معاً في الفضاء . والغرض منها اذابة الغيوم المتجمدة التي تحمل البرَد فتحولها الى مطر بفعل الدخان الساخن الذي يرتفع في الفضاء . وقد دلت التجارب التي أجريت من سنة ١٩٠١ لغاية سنة ١٩٠٦ ان الاضرار التي تنشأ عن تساقط البرَد في فرنسا أخذت تقل في المقاطعات التي يستخدم مزارعوها المدافع المار ذكرها وبعد ان كانت تقدر الخسائر بقيمة ١٢٠٠٠٠٠ فرنك سقطت الى ٣٠٠٠٠٠

مدى صوت المدافع

ادعى كثيرون من سكان البقع المجاورة لميادين القتال انهم سمعوا قصف المدافع من مسافات لا يستخف بها . وقد أكد بعض اهالي مدينة جنيف بسويسرا انهم سمعوا صوت المدافع التي اطلقت في مقاطعة الفوج قريباً من مدينة بلفور وهي تبعد عن جنيف نحو ٢٠٠ كيلومتر وقال آخرون انهم سمعوا في جرونانج من اعمال هولندا صوت المدافع التي اطلقت في مواقع الفلاندر بقرب انفرس أي على بعد ٢٧٥ كيلومتراً منهم . وكانت هذه المدافع من عيار ٤٢٠ مليمتراً . وقد ارتاب كثيرون من الناس في صحة هذا الخبر وتساءلوا عن اكبر مسافة يصل اليها دوي المدافع

ان انتقال الصوت الى هذه المسافات ليس فقط من المسائل الواقعية المتحقق امرها بل انه قد تقرر نظرياً امكان انتقال الصوت الى مسافات اكبر . ففي سنة ١٧٣٨ أقامت اكاذيمية العلوم في فرنسا عدة تجارب لقياس سرعة انتقال الصوت فاعدت لذلك مدفعين وضعت احدهما في مونليري والاخر في مونمارتر وبينهما ٢٩ كيلومتراً . وعلى رغم ان وزن القنبلة كان كيلوغراماً ونصفاً فقط كان دويها يسمع من كلتا النقطتين . فلا غرابة والحالة هذه اذا كان صوت مدفع عيار ٣٠٥ الذي زنة قنبلته ١٥٠ كيلوغراماً اي ماية مرة

اكبر من تلك يسمع على مسافة ثلاثمائة كيلومتر اي عشرة اضعاف المسافة التي بين موغارتر ومونليري فقط . انما الغريب ان لا تسمع هذه الاصوات من مسافات أبعد . والسبب في تلاشي الصوت عند هذا الحد انه يضعف تدريجاً عند اختراقه طبقات الهواء لا سيما اذا اعترضه في طريقه عقبات طبيعية كالغابات والجبال اوعقبات صناعية كالمنازل والجدران . وقد حسب أحد العلماء انه اذا لم يعترض الصوت عقبات وجب أن يسمع صوت سفارة تريتي هوس بجامعة اكسفرد التي تدار بمحرك قوته ٦٠ حصاناً على شواطئ البحر الاسود لان اذن الانسان شديدة الاحساس تلتقط أضعف التموجات الصوتية



كيف تنشأ منطقتا الصوت ومنطقة السكت

ومما يوجب الدهشة ايضاً ان الطريق الذي يمر منه الصوت ينقسم الى ثلاثة مناطق منها منطقتان تدعى كل منهما منطقة الصوت تخللهما منطقة تسمى منطقة السكت . قيل أن اول مرة تحقق فيها ذلك الامركان في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ عند وقوع حادثة انفجار ديناميت على سكة حديد جونغفرو فان دوي الانفجار سمع تماماً في دائرة قطرها اربعون كيلومتراً حوالي مكان الحادثة وسمع ايضاً على بعد مائة واربعين كيلومتراً منه ولكنه لم يسمع في المنطقة المتوسطة . وتحقق ذلك ايضاً في اوائل هذه الحرب عند حصار انفرس فان صوت المدافع كان يسمع داخل دائرة قطرها ١٦٠ كيلومتراً وسمع ايضاً في هولندا حتى شمال بحر زويدرزيه في دائرة اخرى تبعد عن الاولى ٦٠ كيلومتراً

ويسهل تعليل انتقال الصوت على هذه الصورة اذا سلمنا بآراء بعض العلماء الطبيعيين الانكليز الذين يقولون بان كثافة الجو تتغير تغيراً فجائياً على علو ٨٠ كيلومتراً حيث يعدم الهواء تقريباً ويتكون الجو من عنصري الهيدروجين والهليوم فقط . فعند ما تبلغ تموجات الصوت هذه المنطقة تنعكس بتمامها بدلا من ان توالي سيرها ـ كما تنعكس اشعة النور عند انتقالها من بيئة الى اخرى (من الهواء الى سطح الماء مثلاً) ـ فتسمع في منطقة الصوت الثانية . اما منطقة السكت التي تخلل منطقتي الصوت فانها مسببة عن كون التموجات السائرة على مستوى الارض تلقى في طريقها عقبات كثيرة تشتتها وتوقفها عند حدها . ويتضح ذلك جلياً عند مراجعة الشكل المتقدم

تحليل دوي المدفع

من الحقائق الشائعة المعروفة من زمن بعيد والمتداولة بين الجنود انهم اذا سمعوا طلقة المدفع أو البندقية علموا ان القنبلة أو الرصاصة اصبحت بعيدة منهم ولا يخشى منها عليهم . وتعليل ذلك ان سرعة انتقال القنبلة اعظم من سرعة انتشار صوتها في الهواء أي انها تصل الى مرماها قبل ان يصل دويها الى السمع . وتقدر سرعة انتشار الصوت بنحو ٣٣١ متراً في الثانية اذا كانت درجة الحرارة صفراً . وتزيد هذه السرعة كلما زادت الحرارة بمعدل ٦٣ سنتيمتراً في الدرجة الواحدة . أما سرعة قنابل المدافع والبنادق المستعملة اليوم فقد زادت زيادة عظيمة فقنبلة مدفع عيار ٧٥ تسير بسرعة ٥٢٩ متراً في الثانية . وقنبلة المدفع البحري الفرنسوي الذي من عياره ٣٠٥ صنع عام ١٩٠٦ تسير بسرعة ٨٥٠ متراً في الثانية . ورصاص البنادق على انواعها لا تكون سرعته اقل من ٧٠٠ متر في الثانية أي ضعفي سرعة انتشار تموجات الصوت ولم يبق الآن من الاسلحة التي تقل سرعة رصاصها عن ٣٠٠ متر في الثانية سوى المسدسات وبعض البنادق الصغيرة



تحليل الصوتين الناشئين من اطلاق المدفع

وقد لاحظوا ان صوت العيار الناري ليس صوتاً منفرداً كصوت الطلق المسبب عن انفجار بسيط بل هو يشبه صوت السوط الذي يخيل لسامعه أنه يسمع صوتين متتابعين بسرعة . والسبب ان هناك في الواقع صوتين يرجع احدهما الى طلق المدفع وينتشر بسرعة انتشار الصوت العادية وينشأ الثاني عن اختراق القنبلة طبقات الهواء . فالقنبلة تسير في الجو مثل السفينة في البحر فكما ان السفينة تترك خلفها أثناء مسيرها أثراً مستطيلا وتشق المياه بشكل يرى فيه الناظر موجتين تصحبان مقدم السفينة يميناً وشمالا مسترسلتين الى الوراء فالقنبلة أيضاً تسير دائماً في الجو ووراءها ذلك الخط المستطيل

(الذي يعبر عنه الافرنج بكلمة trajectoire) مصحوبة بموجتين من الهواء الى جانبيها .
وبالنظر لان القنبلة تنتقل باسرع من صوت المدفع فالشخص الذي يقف قريباً من مرمى القنبلة المرموز عنه في الشكل بحرف ش يسمع اولاً تموجات الصوت ا ب ج التي تصحب القنبلة ويسمع بعد ذلك صوت الموجة المستديرة الناشئة عن طلق المدفع وعلى ذلك يكون قد سمع صوتين متتابعين بسرعة

ولا بد ان نذكر هنا ان العالم الطبيعي الانجليزي المستر فرنر بويز قد تيسر له ان يصور القنبلة عند خروجها من فوهة المدفع باستخدامه نوراً كهربائياً شديداً وباستعماله آلة تصوير سريعة جداً تلتقط الصورة بسرعة جزء من عشرة ملايين من الثانية فظهر على لوح التصوير موجة الصوت المستديرة والخط المستطيل الذي تركته القنبلة وراءها وكذلك الموجات التي تصطحب القنبلة وقد سبق ان نشرنا صورة من هذا النوع في الهلال

أجراس الكنائس في الحرب

اشتهرت البلجيك بكثرة أجراس معابدها وهذه الاجراس ضخمة في الحجم والوزن ويفوق وزن بعضها ٨٠٠٠ كيلو غرام ويتراوح قطرها بين ثلاثين وستين سنتيمتراً. وقد دلت الاحصاءآت على ان وزن اجراس كنائس البلجيك ومقاطعات فرنسا الشمالية التي في قبضة الالمان اربعون طناً أي ٤٠٠٠٠ كيلوغرام ومن المحتمل ان تكون المانيا قد نزعت هذه الاجراس لاستخدامها في الحرب . فان ارادت نقوداً امكنها ان تصنع منها اربعين مليون قطعة من العملة الصغيرة (البرونز) التي توازي القطعة الواحدة منها اربعة مليمات تقريباً فيكون مجموعها اربعة ملايين من الفرنكات . ويمكنها ايضاً ان تصنع منها قنابل للمدافع او رصاصاً للبنادق

وليست هذه اول مرة تستعمل فيها الاجراس لاجل الحرب فان الفرنسويين استخدموا سنة ١٨٧٠ بعض اجراس كنائسهم في سبيل الدفاع عن وطنهم

واهم المدن البلجيكية من حيث وزن أجراسها هي :

انفرس	وعدد أجراسها	٨٠	ووزنها	٥٠٠٠٠	كيلو غرام
مالين	«	٤٥	«	٣٥٠٠٠	«
بروج	«	٤٧	«	٢٦٠٠٠	«
لوفان	«	٨٦	«	٢٥٠٠٠	«

تاريخ الشهر

اهم وقائع الحرب

في سنة ١٩١٥

قد رأينا ان نأتي في هذا العدد على خلاصة الحوادث الهامة التي وقعت
في سنة ١٩١٥ لتراجع عند الحاجة

﴿ يناير ﴾ في ١ منه — نسف الطراد فورميدابل في خليج المانش

في ١٩ منه — اغارة بالون تسبلن على يارموث وكينجس لين في انكلترا

في ٢٤ منه — معركة بحرية في بحر الشمال بين الاسطولين الانكليزي والالماني . غرق الطراد بلوخر الالماني

﴿ فبراير ﴾ في ٢ منه — انكسار الاتراك في قنال السويس

في ٥ منه — دعوة ثلاثة ملايين جندي لحمل السلاح في انكلترا

في ١٧ منه — تحطيم بالونين من طراز تسبلن على شواطئ الدانمارك

في ١٨ منه — اعلان المانيا الحصر البحري على الموانئ البريطانية

في ١٩ منه — اطلاق القنابل على الدردنيل

﴿ مارس ﴾ في ٢ منه — انتصار الروس في برازنيس

من ١٠ — ١٣ — معركة نوفشابل بفرنسا وانتصار الانكليز على الالمان

في ١٦ منه — غرق المدرعات ارزستبل واوشن وبوفيه بالالغام اثناء معركة الدردنيل

في ٢٢ منه — استيلاء الروس على برزميسل واخذهم ١٢٦٠٠٠ اسير و٧٠٠ مدفع ضخم . استرجاع الالمان لبلدة ممل على حدود روسيا الشرقية

في ٢٧ منه — استيلاء الفرنسويين على بلدة هرعانسفيلركوبف

في ٢٨ منه — نسف الطراد فالابا بقرب ميلفورد

﴿ ابريل ﴾ في ١٤ منه — اغارة تسبلن على ولاية التاين في انكلترا

في ١٦ منه — اغارة الطيارات الالمانية على ولايات كنت واسكس وسفولك بانكلترا

في ١٧ منه — استيلاء الانكليز على التل نمرة ٦٠ بفرنسا واختراق صفوف الالمان . استعمال الالمان للغازات السامة

في ٢٤ منه — محاولة الالمان الاستيلاء على ايبر . تفاني الكنديين في الدفاع عنها

في ٢٨ منه — تلاشي هجوم الالمان على ايبر وكاليه

في ٣٠ منه — اغارة جوية على ايسويتش بانكلترا

«مايو» في ٢ منه — استرجاع الالمان للتل نمرة ٦٠

في ٣ منه — انسحاب الروس من غرب غليسيا

في ٧ منه — غرق الباخرة لوزيتانيا

في ١٠ منه — اغارة جوية أخرى على سوث آند بانكلترا

في ١٢ منه — نسف الطراد جوليات في الدردنيل

في ١٣ منه — مظاهرة ضد المانيا في لندرة . قرار المستر اسكويث القاضي بسجن رعايا الاعداء الموجودين في انكلترا

في ١٧ منه — اغارة تسبلن على رامسجيت . استعفاء اللورد فيشر

في ١٩ منه — تأليف وزارة انكليزية من جميع الاحزاب

في ٢٣ منه — اعلان ايطاليا الحرب على النمسا

في ٢٦ منه — نسف المدرعة ترايمف في الدردنيل

في ٢٧ منه — نسف المدرعة ماجستيك

في ٢٩ منه — اغارة تسبلن على لندرة وقتل ستة اشخاص

«يونيو» في ٢ منه — نسف نقالة المانية في بحر مرمرة بطوربيد غواصة بريطانية

في ٣ منه — استيلاء الالمان على برزميسل

في ٤ منه — الهجوم العام على غاليبولي والاستيلاء على ٥٠٠ ياردة

في ٦ منه — اغارة تسبلن على شواطئ انكلترا الشرقية وقتل ٢٤ شخصاً وجرح ٤٠

في ٧ منه — تحطيم الطيارة ورنفورد لبالون تسبلن على علو ٦٠٠٠ قدم

في ٨ منه — تقدم الانكليز في فستوبرت وهوج بفرنسا . انسحاب الروس على نهر السان

في ٨ منه — انشاء وزارة جديدة للذخائر في انكلترا

في ١٦ منه استيلاء الانكليز على ١٠٠٠ ياردة من خنادق الالمان في هوج

في ٢١ منه — اتهام دي ويت البويري بالخيانة

في ٢٢ منه — استرجاع النمسويين لبلدة لمبرج

في ٢٧ منه — انسحاب الروس من نهر دنيستر

في ٢٩ منه — انشاء السجل الوطني في انكلترا

﴿ يوليو ﴾ في ٢ منه — نسف الطراد بومرن بطوربيد الغواصة E ٩

في ٩ منه — تسليم مستعمرة افريقيا الجنوبية الغربية الالمانية للجنرال بوتا

في ١١ منه — صد هجوم الالمان على ايبر

في ١١ منه — تدمير الطراد الالماني كونيكسبرج بمدافع بواخر مونيتور انكليزي على شاطىء افريقيا الشرقية

في ١٨ منه — غرق المدرعة الايطالية غاريبالدي

في ١٩ منه — احتلال الالمان لبلد برازنيس في بولونيا

في ٢٤ منه — استيلاء البريطانيين على مراكز الاتراك على نهر الفرات

في ٢٨ منه — تملك الايطاليين في وادي الايزونزو الجنوبي

في ٣٠ منه — اختراق الالمان لصفوف الانكليز في هوج باستعمالهم السوائل الملتهبة

﴿ اغسطس ﴾ في ٤ منه — سقوط وارسو في يد الالمان

في ٥ منه — سقوط ايفانجورد

في ٦ منه — نزول الانكليز في خليج سوفلا في غاليبولي

في ٩ منه — نسف المدمرة الانكليزية ليكس

في ١٦ منه — اطلاق قنابل من غواصة المانية على هوايتهافن

في ١٧ منه — استيلاء الالمان على كوفنو

في ١٩ منه — استيلاء الالمان على نوفوجورجيفسك

في ٢١ منه — اعتبار الحلفاء القطن من المهربات

في ٢٥ منه — استيلاء الالمان على برست ليتوفسك

﴿ سبتمبر ﴾ في ٢ منه — استيلاء الالمان على جرودنو

في ٥ منه — تقلد قيصر روسيا القيادة العليا للجيوش الروسية

في ٨ منه — اغارة تسبلن على لندن

في ١٨ منه — استيلاء الالمان على فيلنا

في ١٩ منه — تعبئة الجيش البلغاري

في ٢٥ منه — تقدم الانكليز في لوس وتقدم الفرنسويين في شامبانيا

في ٢٨ منه — انتصار الانكليز على الأتراك في كوت العمارة

في ٣٠ منه — انتهاء هجوم الحلفاء في فرنسا . خسارة الالمان ١٤٠٠٠٠

﴿ اكتوبر ﴾ في ٢ منه - حملة المانيا على الصرب بقيادة ماكنسن

في ٥ منه - نزول الحلفاء في سلانيك بدعوة من حكومة اليونان . استعفاء المسيو فينزيلوس . تعيين اللورد دربي مديراً لحركة التطوع في انكلترا

في ١١ منه — دخول الجيش البلغاري في الاراضي الصربية

في ١٢ منه — رفض اليونان مساعدة الصرب

في ١٣ منه — اغارة تسبلن على لندن

في ١٤ منه — اعلان بريطانيا الحرب على بلغاريا

في ١٩ منه — دعوة اللورد دربي لغير المتزوجين للتطوع اولاً

في ٢١ منه — ضرب ميناء دده اغاج

في ٢٢ منه — استيلاء البلغاريين على مدينة اسكوب

في ٢٤ منه — غرق المدرعة الالمانية برنس ادلبرت في بحر البلطيق بطوربيد غواصة انكليزية

في ٢٦ منه — اتصال الالمان بالبلغاريين

في ٢٩ منه — زيارة الجنرال جوفر للندن

في ٣٠ منه _ التقاء الانكليز بالبلغاريين في شمال سلانيك

﴿ نوفمبر ﴾ في ٣ منه _ انتصار الروس بقرب دفنسك

في ٥ منه - استيلاء البلغار على نيش . سفر اللورد كتشنر الى الشرق الادنى

في ٧ منه - اغراق الطراد الالماني اندين في البلطيق بطوربيد غواصة بريطانية اغراق الباخرة الايطالية انكونا بطربيد غواصة المانية

في ١١ منه - اجتماع المجلس الحربي في انكلترا . استعفاء اللورد تشرتشل

في ١٦ منه — استيلاء البلغار على برليب

في ٢٠ منه — هجوم الايطاليين على جوريزيا

في ٢٢ منه — معركة العراق بين الاتراك والانكليز . انسحاب الانكليز نحو كوت العمارة

في ٢٣ منه — تقهقر الصربيين الى الشواطئ الالبانية

في ٣٠ منه — استيلاء البلغار على برزرند

﴿ ديسمبر ﴾ في ٢ منه — استيلاء البلغار على مناستير

في ٣ منه — اغراق مدمرة عثمانية في بحر مرمره بطوربيد غواصة بريطانية

في ١٥ منه — استعفاء السير جون فرنش من قيادة الجيوش البريطانية في فرنسا وتعيين السير دجلاس هيج مكانه

في ٢٠ منه — اعلان انسحاب الجيوش الانكليزية من خليج سوفلا وأنزاك في غاليبولي

في ٢١ منه — اغراق الباخرة اليابانية يساكا مارو بالطوربيد

في ٢٤ منه — اغراق الباخرة الفرنساوية فيل دي لا سيوتا بالطوربيد

في ٢٨ منه — تقرير الخدمة الاجبارية في انكلترا على الشبان الغير المتزوجين

في ٢٩ منه — غرق مدمرتين نمساويتين في بحر الادرياتيك

في ٣٠ منه — غرق المدرعة الانكليزية ناتال على أثر انفجار داخلي

طلب الرديف المصري

للخدمة العسكرية

رفع حضرة صاحب المعالي السر اسماعيل سري باشا الى صاحب الدولة الرئيس حسين رشدي باشا المذكرة التالية :

« أتشرف بأن أعرض على مسامع المجلس أن قائد عموم القوات البريطانية بمصر يشتغل الآن بتنظيم فروع للتسهيلات اللازمة للدفاع عن القنال . وهو كما يعلم حضرات أعضاء المجلس قد نال معاونة كثير من فروع الادارة المدنية المصرية . وقد اخطرني الآن ان الضرورات التي يدعو اليها تنظيم تلك التسهيلات تجعله في حاجة الى طائفة من العمال متعودين النظام العسكري مثل الذين يمكن الحصول عليهم من افراد رديف الجيش

وقد استشرت حضرة صاحب المعالي السردار في هذا الموضوع . وبعد تمام الاتفاق بيني وبينه على ذلك أتشرف بان ارفع الى دولتكم برفق هذه المذكرة مشروع قرار وزاري بطلب افراد الرديف من جميع الفرق للخدمة العسكرية ما عدا الموجودين منهم في خدمة الحكومة راجياً عرض هذا المشروع على مجلس الوزراء

١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٤	وزير الحربية
٢٠ يناير سنة ١٩١٦	اسماعيل سري

عجائب المخلوقات

الانوار الكشافة في عالم الحيوان

اوردنا في الاهلة السابقة سلسلة مقالات بيّنا فيها بعض اوجه الشبه بين الانسان وسائر المخلوقات الحية من حيث الاسلحة والطرق التي يستعملها الفريقان للاحتفاظ بالحياة والمنازعة لاجل البقاء . ونحن اليوم نتبع تلك الامثلة التي اوردناها ببيان ما عند بعض الحيوانات من الانوار الكشافة التي تستعين بها في جهاد الحياة كما تستخدم الجيوش المتحاربة الانوار القوية لاستكشاف مراكز العدو



زنوج يخيطون على نور الحباحب

ان الحيوانات التي ينبعث من جسمها النور على اربعة اقسام كبرى :

(١) فمنها انواع يشع النور من سطح جسمها بصورة دائمة ومن جميع الجهات على السواء . واهمها بعض انواع البكتيريا التي تعيش في البحر وهي اجسام ميكروسكوبية ذات خلية واحدة

(٢) ومنها ما يكون النور فيها مبعثراً في بعض النقط لا يظهر الا عند تهييجها ويدخل في هذا القسم بعض الحيوانات ذات الخلية الواحدة وهي لا ترى الا بالميكروسكوب

(٣) ومنها ما يقتصر فيها النور على بقعة مخصوصة لا يرى في غيرها . ومن هذا القسم الحباحب وهي انواع كثيرة اشهرها عندنا «سراج الليل» وهو قلما يختلف في شكله وحجمه عن الزيزان التي تألف الحقول وتتسلق الاشجار او الخنافس الاعتيادية . وقد وصفناها في الهلال منذ عدة سنوات ومما قلناه حينئذٍ عنها ان للذكر منها بؤرتين في قسمي البطن الواحدة وراء الاخرى . كل منهما مؤلفة من طبقة عليا شفافة ينبعث منها النور وطبقة تحتها غير شفافة لا يعرفون لها فائدة . ولكنهم يظنون وظيفتها عكس النور . واما انثى الحباحب فيختلف شكلها عن الذكر وهي لا تنير . ولكن في ايطاليا نوعاً منه ينير اناه وذكره على السواء ويخرج النور من ظهره . وفي المكسيك دويبة ينبعث النور من عينين في صدرها وعين في بطنها



حشرة منيرة

واعظم انواع الحباحب واشدها نوراً دويبة في جزائر الهند الغربية باميركا الوسطى يسمونها « ذبابة المصباح » اشارة الى انها تنير كالمصباح ينبعث نورها من زائدتين بارزتين في اعلى الصدر . واهل تلك الجزائر في كوبا وجامايكا وسان دومينكو يستخدمونها للزينة وللاستضاءة

(٤) اما انواع القسم الرابع فانها تمتاز عن سواها بانها مجهزة باعضاء تولد النور واخرى تعكسه وغير ذلك مما يجعل الشبه تاماً بينها وبين الانوار الكشافة التي تستعمل لاضاءة سبيل العربات والاوتوموبيلات او لاكتشاف المراكز في ساحات القتال . وقد وجدوا ان اهم الاغراض التي تستخدم لاجلها هذه الانوار الكشافة في الحيوان هي اضاءة طريق صاحبها للبحث عن فريسة او تجنب عدو او نحو ذلك من الاغراض الشبيهة بالاغراض البشرية

واهم الحيوانات الداخلة في هذا القسم انواع بحرية منها الاخطبوط تسمى في الاصطلاح العلمي cephalopoda اي المترئسات الارجل وهي صنف من الحيوانات الرخوة من مميزاته وجود رأس واضح يحيط به زوائد مستطيلة الشكل يزحف ويقبض بها على المواد المغذية . وفي الشكل الآتي صورة نوعين منها لدى اعلاها (ويسمى علمياً Eunoploteuthis diadema) ٢٤ مصباحاً يستضيء بها وهي مرتبة ترتيباً هندسياً حول عينه وفي اطرافه من جهة البطن . وقد قال المسيو رفائيل دوبوا الذي درسه درساً دقيقاً ان الانوار المختلفة التي تنبعث من هذا الحيوان جميلة جداً لا يُعرف لها مثيل وهي كالاكليل المؤلف من حجارة مختلفة الالوان منها الازرق السماوي والاحمر الزبرجدي



نوعان منيران من الاخطبوط

وغيرها من الالوان الجميلة . وقد وجدوا هذا الحيوان على عمق ١٥٠٠ متر وصوروه بالفوتوغراف في الظلام بنوره . اما الحيوان الآخر المصور تحت الاول (واسمه العلمي Histioleuthys Rupelli) فطوله يبلغ متراً واطرافه متصلة عند جذعها بنسيج احمر جميل . وقد وصفه العالم فيراني قال : اتى لي بهذا الحيوان حياً صياد وجده معلقاً في شبكته فاخذته حالاً ووضعته في الماء فشاهدت منظراً لن يبرح من مخيلتي ابداً فان الانوار ذات الالوان البديعة التي رأيتها جعلتني اظن نفسي امام تاج مؤلف من ابهى انواع الحجارة واكرمها تتلألأ اشعته على ابهى صورة مما يعجز قلمي عن وصفه

وقد وجد العلماء من هذه الحيوانات المنيرة الى اليوم اربعين نوعاً ذات انوار جميلة الالوان

اما الاعضاء التي يولد فيها النور فانها على احسن نظام علمي وفيها العدسات التي تجمع اشعة النور بعد توليدها فترسلها مجمعة على مرآة مجوفة تعكسها الى الخارج . وهذه الحيوانات تولد النور عند ما تشعر بالحاجة اليه بفضل جهازها العصبي الذي يقوم مقام الاسلاك الكهربائية

وفضلاً عن انواع الاخطبوط المتقدمة فكثير من الحيوانات لا سيما البحرية منها مجهزة بمثل هذه الجهازات المنيرة مما يطول بنا شرحه هنا وانما اقتصرنا على ما تقدم مثالاً لما اردنا بيانه من تشابه طرق النزاع في الانسان والحيوان

كيف تتطبب الاشجار

للاشجار مقدرة غريبة على تطبيب نفسها عند اصابتها بجرح . فانها لا تلبث مدة قصيرة حتى يلتحم الجرح وترجع الامور الى ما كانت عليه . ولولا هذه الخاصة لتسربت الميكروبات الى جسمها ونشرت فيه الفساد . واليك كيف تعالج نفسها الشجرة المصابة : حالما تصاب الشجرة بقنبلة مثلاً او نحوها تزداد سرعة تنفسها في المكان المصاب ويتوافد اليه البروتيين بكثرة . ثم ان في بعض انواع الاشجار لا سيما شجر الصنوبر وما شاكله أقنية خاصة لحمل المواد الصمغية فتنتشر هذه المواد على الجرح لتقيه شر الميكروبات المفسدة . وفي الاشجار الاخرى يتغير لون الجرح حالاً فيسود تدريجاً بفعل مادة التنين والمواد الصمغية التي تقيم بين الشجرة والهواء حاجزاً منيعاً يمنع تسرب الميكروبات . وبعد ان تقي الشجرة نفسها من الطوارئ الخارجية تتناسل خلاياها بسرعة كبيرة لتوليد الانسجة اللازمة لسد الثلمة التي حصلت فيها

غرائب

﴿ نجل كبير ﴾ وجدوا في بلدة ويتر شام بانكلترا خمس نجلات تزن معاً ٢٢ ليبرة ووزن اكبرها ٤ ليبرات و١٣ اوقية

﴿ ثمن فارة ﴾ في سوق من اسواق الصليب الاحمر في برمنغهام بيعت فارة لونها من لون الخاكي بثلاثين جنيهاً

﴿ سرطان عظيم ﴾ وجد صياد انكليزي اخيراً في شبكته سرطاناً (جمبري) عظيماً طوله ٣١ بوصة

الشعوب البلقانية

حزازاتها الجنسية واما نيها الوطنية

ليس بين جهات الكرة الارضية مكان كشبه جزيرة البلقان تتزاحم فيه الشعوب المختلفة وتتنازع اللغات والاديان والعادات . فقد أصبح تحديد موطن كل شعب من هذه الشعوب المتنافرة المتداخلة من اعقد المشاكل السياسية والجغرافية لا سيما وانه ليس لدى الباحث المحقق احصاءات رسمية صادقة . لان معظم ما كتب في هذا الباب انما كتب لدعم دعوى كل فريق على جيرانه . والطريقة الوحيدة لدرس هذا الموضوع هي



الاماني اليونانية

تدبر الاماني الوطنية التي تطمح اليها تلك الشعوب ومقابلتها بعضها مع بعض . وسنقتصر في هذا الدرس على الشعوب الاربعة الكبرى القاطنة في شبه جزيرة البلقان — نعني اليونان والصرب والبلغار والرومانيين تاركين جانباً الدولة العثمانية التي لم يبق لها في أوربا ما يستحق الذكر

الاماني اليونانية

كانت مطامع اليونان عند اول يقظتهم بعد رقادهم الطويل واسعة جداً ترمي الى

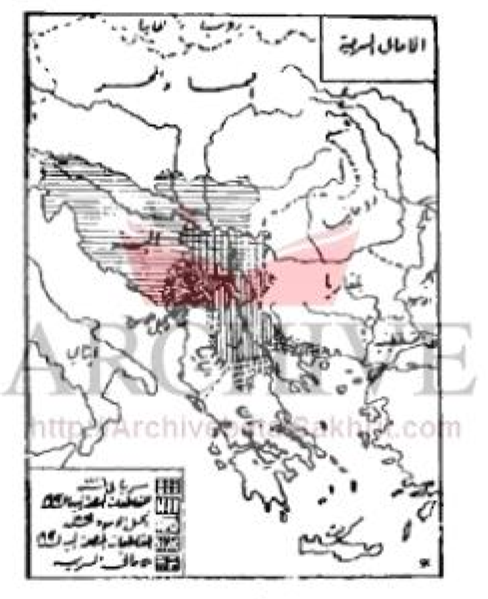
انشاء مملكة يونانية عظيمة تحاكي الدول اليونانية القديمة . فقد كانت مطامعهم تمتد من جبال الكربات الى بحر ايجه ومن البحر الادرياتيكي الى البحر الاسود . اما اليوم فقد انقضى زمن الاحلام وتقلصت مطامعهم بعد اصطدامها بمطامع الشعوب المجاورة لهم . غير ان اليونان وان لم تحقق امانيهم كلها فقد اتسعت مملكتهم اتساعاً لا يستخف به منذ تكونها الى اليوم . فقد كانت مساحتها في سنة ١٨٣٢ (اي سنة تكونها رسمياً بمقتضى معاهدة لندن) ٤٧٥٠٠ كيلومتر وعدد سكانها ١١٠٠٠٠٠ فقط فاصبحت مساحتها اليوم بعد معاهدتي لندن وبخارست (سنة ١٩١٣) اكثر من ضعفي تلك المساحة وبلغ عدد سكانها ٤٦٦٠٠٠٠ نفس وضمت اليها مدينة سلانيك الشهيرة وغيرها من المدن والمقاطعات فضلاً عن عدة جزر في جملتها كريت



امرأة يونانية

الا ان اليونان لم يكتفوا بذلك ولا يزالون يتطلعون بابصارهم وقلوبهم الى غايات اخرى . ولكن ما عسى ان تكون تلك المطامع وقد شملت اليونان معظم المقاطعات اليونانية الاصل ؟ يجيب اليونانيون ان الجنسية انما تتوقف على التاريخ والمدنية فاذا أردنا معرفة جنس أمة من الامم وجب ان ننظر الى خاصتها فنحكم على أولئك الخاصة بما بلغوه من الرقي والحضارة . فبناء على هذا المقياس نجد ان المملكة اليونانية يجب أن تشمل جميع الجهات التي تسلط عليها التمدن اليوناني من ايام اثينا وسبرطة

واسكندر المقدوني والدولة البيزنطية الى هذا اليوم . ولم تكن سيطرة الامة اليونانية في تلك الاجيال المتوالية ناشئة عن عددها وقوة بطشها وانما نجت عن رقي مدنيتها وتقدم معارفها . فلهذه الاسباب يشعر اليونان بان عليهم واجباً نحو اخوانهم المبعثرين ليس فقط في شبه جزيرة البلقان وعلى شواطئ مقدونيا وبحر مرمرا بل الساكنين ايضاً في آسيا الصغرى فهم يحسون بروابط متينة تربطهم بهم وان فصلت بينهم الحدود السياسية . ولكن الامة اليونانية تعلم انه يتعذر عليها تكوين مملكة واحدة تجمع جميع ابنائها . ولذا فقد اقتصرت مطامعها على السعي في تحرير اليونان المهاجرين من موطنهم الاصلي وانالتهم على الاقل استقلالاً ادارياً يوثق بينهم عرى الوطنية ويساعدهم على الاحتفاظ بادابهم



الاماني السربية

وعاداتهم واخلاقهم اليونانية . وهم يطلقون على امانيهم هذه اسم « الفكرة الكبرى » وغايتها حفظ المدنية اليونانية والروح اليونانية في كل جهة يقطن فيها يونانيون

فما تقدم نفهم الدافع الذي دفع اليونان للاحتجاج على معاهدة بخارست التي منحت بلغاريا جزءاً من شواطئ تراقية . لان تلك الشواطئ اما يونانية او تركية الاصل ولم يصل البلغار في زمن من الازمان الى شواطئ بحر ايجه

وما عسى ان نقول عن الاستانة ? ان في تلك المدينة العظيمة نحو ٣٥٠٠٠٠ يوناني من خيرة اهلها فضلاً عن كونها مركز البطريرك المسكوني الذي ما برح منذ فتح الاستانة ملجأ اليونان وشفيعهم لدى الباب العالي . لكن اليونان اليوم لا يؤملون الاستيلاء على تلك

المدينة التاريخية وتقتصر مطامعهم على طلب حياد الاستانة وبوغازي الدردنيل والبوسفور واستقلالها استقلالاً ادارياً . وهمّ اليونان الاكبر الآن هو منع اي دولة من الاستيلاء على هذه المدينة خلفاً للاتراك . ومتى تم لهم ذلك بقي عليهم الاستيلاء على شواطئ تراقية الواقعة في ايدي البلغار لحفظ الاتصال بينهم وبين الاستانة لانهم يعتبرون استيلاء البلغار على تلك الشواطئ خنجراً في قلب الجامعة اليونانية

فيتبين لنا الآن ان اعداء اليونان الحقيقيين هم البلغار فانهم حجر عثرة في سبيل آمالهم وتحقيق امانيهم الوطنية . زد على ذلك ان اليونان الخاضعين للبلغار اليوم يفوقون البلغار الخاضعين لليونان عدداً



فلاحون من الصرب

الاماني الصربية

كما ان البلغار واقفون في سبيل اماني اليونان فانهم يعرقلون أيضاً مصالح الصرب — ليس فقط مصالح الدولة الصربية بل اماني الشعب الصربي باسره . نعم ان الدولة الصربية قد اتسعت اتساعاً عظيماً منذ تكونها الى اليوم فتضاعفت مساحتها في اقل من نصف قرن (اي من سنة ١٨٧٦ — ١٩١٣) اذ كانت نحو ٤٣٥٠٠ كيلومتر مربع فاصبحت ٨٧٣٠٠ لكن ذلك لم يكف الصرب ولا تزال لهم امان حيوية اولاً من الجهة الاقتصادية وثانياً من حيث الجامعة الجنسية

فمن الجهة الاقتصادية نجد الدولة الصربية مفتقرة الى منفذ على البحر لانها محاطة

من جميع الجهات بدول اخرى تجعلها تحت رحمتها اذا ضيقت عليها الخناق . فكأنها بذلك لم تنل بعد استقلالها الاقتصادي الذي يُعتبر من بعض الوجوه اهم من الاستقلال المدني . ولا يتأتى لها ذلك الا اذا نالت من دولة النمسا والمجر منفذاً على البحر الادرياتيكي

وما برحت الصرب تطالب بهذا المنفذ ولكنها منعت عنه غير مرة . فمنذ سنة ١٩٠٨ عقب ضم البوسنه والهرسك الى النمسا على اثر اعلان الدستور العثماني طلبت الدولة الصربية ان تمنح قطعة مستطيلة من الارض تمتد من نهر الساف الى شواطئ البحر الادرياتيكي يحرر بها الصرب وجيرانهم اهل الجبل الاسود من الاستعباد الاقتصادي . وقد كررت طلبها هذا غير مرة فلم يتسن لها الحصول عليه او على بعضه . ولذا تراها غير راضية



الاماني الرومانية

بالنتيجة التي اسفرت عنها الحربان البلقانيتان لانه لا يزال الجزء الاكبر من امانيها غير محقق

هذا من الجهة الاقتصادية واذا نظرنا الى المسئلة من جهة الجنسية رأينا الصرب اشد جرأة في مطالبهم لأنهم يعدون انفسهم موكلين بضم جميع سلاف الجنوب اليهم ولا يخفى ان معظم اولئك السلاف من سكان المقاطعات النمساوية . والذي يزيد المسئلة صعوبة أنهم مشتتون في جهات مختلفة من بلاد النمسا والمجر فضلاً عن الساكنين منهم في مقدونيا البلغارية . قال احد كتاب الصرب « ان تلك الشعوب المشتتة اليوم هي في الحقيقة اقرب بعضها الى بعض جنساً ولغة وخلقاً من قرب السكسونيين والبروسيين والبافاريين وغيرهم من الشعوب التي تتكون منها الامبراطورية الالمانية »

الاماني الرومانية

لا يخفى ان اهالي رومانيا من اصل لاتيني وكانوا في اول امرهم منتشرين من جبال الكربات الى جبال البلقان ومن البحر الادرياتيكي الى البحر الاسود . وقد حافظوا على جنسيتهم وعاداتهم رغم صروف الزمان الا انهم انقسموا الى ثلاثة اقسام كبرى : (١) الرومانيين القاطنين في شمالي الدانوب ومنهم جزء كبير في اراضي النمسا (وهنا تحتك الاماني الرومانية بالاماني الصربية لا سيما في جهات تمسوار) وجزء آخر في روسيا (٢) الرومانيين المشتتين في تراقية ومقدونيا والبانيا (٣) الرومانيين الساكنين في جهات إستريا في النمسا على مقربة من ايطاليا



رجل وامرأة من اهل رومانيا

ولكن رومانيا اليوم لا تطمع بضم هذه الاقسام الثلاثة لانها على يقين من استحالة تحقيق هذه الامنية . فجل مطامعها متجهة الى المقاطعات المجاورة لها لا سيما في النمسا . اما ابناء جنسها الآخرون فانها تكتفي بان تطلب لهم الحرية المدنية والدينية . ويبلغ عدد الرومانيين القاطنين في مقاطعتي بوكوفينا وترنسلفانيا نحو سبعة ملايين وتبلغ مساحة هاتين المقاطعتين اكثر من ١٣٦٠٠٠ كيلومتر مربع . اما مقاطعة بسارابيا الروسية وهي ايضاً مطمح ابصار رومانيا فان سكانها الرومانيين لا يتجاوزون المليون . ومساحة رومانيا نفسها اليوم تبلغ ١٤٦٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها ٧٥٠٠٠٠٠ نفس

الاماني البلغارية

يقتضي تحقيق الاماني البلغارية الاستيلاء على اراض تخص اليوم ثلاثاً من الدول المجاورة لها نعني تركيا واليونان والصرب . ومما يجدر ذكره ان بلغاريا كانت اسرع الامم البلقانية نمواً فبعد ان كانت في سنة ١٨٧٨ امارة تابعة للدولة العثمانية لا تتجاوز مساحتها ٦٣٨٦٥ كيلومتراً اصبحت مساحتها ١١٤٠٠٠ كيلومتر وسكانها نحو ٤٧٤٠٠٠٠ نفس . وقد اختلف علماء الاجناس في اصل الشعب البلغاري ونسبته الى الشعوب المجاورة له ولكن مالا ريب فيه انه من الجنس السلافي وانه حافظ على قوته



الاماني البلغارية

الحيوية رغم تقلبات الايام — فلم تلبث ان تكونت الدولة البلغارية حتى تفجرت تلك القوة التي كانت كامنة في الحقول والجبال وتطلبت الاتساع. ويزعم البلغاريون أن موطنهم الحقيقي يمتد من حدود البانيا الى البحر الاسود ومن الدانوب الى بحر ايجه . ويدخل في ذلك سلانيك وقوله

ولا يخفى ان البلغار امضوا مرغمين معاهدة بخارست (سنة ١٩١٣) التي منحت رومانيا والصرب واليونان مقاطعات يقول البلغار انها بلغارية الاصل وهي : من جهة رومانيا مقاطعة دوبروجه ومن جهة اليونان والصرب مقدونيا التي يدعي البلغار انها بلغارية بتمامها . ويؤيدون دعواهم هذه بادلة تاريخية لا محل لذكرها . وهم يسلمون بان

شواطىء مقدونيا لا سيما سلانيك وقوله آهلة باليونان ولكنهم يدعون ان كل الاراضي التي وراءها هي ملك البلغار فما سلانيك وقوله الا ابواب مقدونيا وما زالت الاغلبية للشعب البلغاري فيها فمن كان له البناء وجب ان تكون له الابواب ايضاً

الخلاصة

نرى في ما تقدم شيئاً من المشكلة البلقانية ويتبين لنا من مراجعته ان اهم دواعي الخلاف في البلقان ثلاث :



رجل وامرأة من البلغار

(١) مقدونيا يتنازعها البلغار والصرب واليونان

(٢) مقاطعة دوبروجه (التي حصلت عليها رومانيا في معاهدة بخارست سنة ١٩١٣) تتنازعها بلغاريا ورومانيا

(٣) جهات تمسوار (التمساوية) ويدعي امتلاكها رومانيا من جهة والصرب من جهة اخرى

هذا فضلاً عن المنازعات الاخرى في البانيا وولاية أدرنه وغيرها مما يطول بنا شرحه . فعسى ان يسوّى هذا الخلاف بعد الحرب فيعيش اهل البلقان واهل اوربا جميعاً بسلام

بماذا يفكر الجندي؟

بحث نفساني مبني على مستندات ومحادثات وثيقة

ما الذي يشغل عقل الجندي وهو ذاهب الى ساحة القتال؟ وبماذا يحس في أثناء الايام الطويلة التي يقضيها في خندقه بين اليقظة والانتباه؟ وما هي الدوافع التي تدفعه الى الهجوم والاستبسال؟ وما الذي يشعر به عند ما يرمي عدوه بالرصاص او يطعنه بحربة بندقيته؟ تلك اسئلة تخطر ببال كل مفكر وقلما يجيب عليها احد جواباً شافياً. ولا شك ان هذا الدرس — درس الانقلاب العظيم الذي يطرأ على نفس الجندي وعلى ادراكه وشعوره وسائر ظواهر حياته العقلية — لمن ألذ المباحث واعظمها فائدة لا سيما في هذه الايام التي تشاهد من الجنود المجندة ما لم تشاهده الدهور الماضية ولم تحلم به

ولا بد لنا قبل الخوض في هذا البحث من الرجوع الى زمن السلم (وما ابعد ما يتراءى لنا ذلك الزمن!) لنتمكن من تتبع الانتقال النفساني من الحالة المدنية الى الحالة العسكرية ولنتبين لنا البون العظيم بين ادراك الرجل في حياته الاعتيادية وادراكه بعد ارتداء الثوب العسكري

***

نزلت هذه الحرب نزول الصاعقة — وخطة المانيا كما لا يخفى متوقفة على السرعة في العمل — فلم تمض مدة وجيزة حتى رأى العالم الجيوش الزاحفة تكتسح البلاد وتنشر فيها الخراب والدمار. غير ان الايام القليلة التي سبقت اعلان الحرب شهدت ضيقاً في نفوس الاهلين كان يتزايد في كل يوم مع اشتداد الازمة السياسية وتوتر العلاقات الدولية. فلما أعلنت الحرب وختمت بها الازمة السياسية أحسّ الناس بشيء من الانفراج وفارقتهم تلك الازمة النفسانية التي تسلطت على حياتهم وضيقت معيشتهم — لانه ليس اكره الى الطبع البشري من حالة الشك والتردد والانسان لا يستريح الا عند الاستقرار على حال من الاحوال. فلا غرابة إذن في قولنا ان اعلان الحرب اراح العقول لانه جاء يقيناً بعد شك وابدل الفوغاء والاشاعات بخبر اكيد تدبرته العقول واستكنت اليه

من ذلك الحين بدأ عهد جديد للحياة القومية فاصبح المجموع الشاغل الوحيد الذي يعمل له كل فرد والرابطة الكبرى التي تزول امامها جميع الفروقات والاعتبارات

الفردية — وبعبارة اخرى فقد اندغم الافراد من تلك الساعة اندغاماً تاماً في جسم الامة الشامل ولم تعد لهم — اياً كانوا — المنزلة التي كانت لهم قبل الحرب

* * *

ان اول انقلاب يطرأ على حياة المجند الحديث هو ان العالم الذي تركه ينمحي تدريجاً من مخيلته فلا يعير مهامه الدنيوية التفاتاً وقلما يفكر في اشغاله ومطامعه حتى وفي امرأته واولاده واصدقائه - وانما ينصرف بكليته الى ما هو فيه . انه يترك ماضيه ومستقبله جانباً ويصبح همه الوحيد حاضره — ذلك الحاضر الرهيب الذي لا مفر منه ولا عاصم . فكل العوامل التي تؤثر في حياته الجديدة تنبه تدريجاً المعيشة الراقية التي كان يعيشها وتنمي فيه غرائزه وطبائعه الاولى كأنها ترجع به الى زمن الطفولة — من نظام مشدد وحياة ميكانيكية خالية من كل تفكير وحركات متشابهة يكررها مرة بعد مرة وانصراف تام الى تقوية الجسد واهتمام بتمرين الحواس ونحو ذلك من العوامل التي لم يتعودها

تتكوّن شخصية الانسان من امرين : صفاته الموروثة وتأثير البيئة التي يعيش فيها فالعامل الاول ثابت في الفرد الواحد . اما الثاني فيختلف باختلاف البيئات . فمن المحتم اذن ان يحدث انقلاب في حياة الرجل المنتقل من مدينة الى معسكر او خندق — وشتان ما بين الجهتين ، بل العالمين — وقد يختلف مقدار ذلك الانقلاب وقوته ولكنه حادث لا محالة . فعندما يتجه الجندي الى منطقة الحرب يشاهد فروقاً كثيرة تتزايد كلما اقترب من خط النار : يجد النساء والاولاد ينقصون تدريجاً الى ان لا يبقى لهم اثر ويرى ايضاً حياة المدن تزول شيئاً فشيئاً وتقوم مقامها الحياة العسكرية التي تمتاز بالتشابه والتقليد . فالجميع فيها يفكرون في شيء واحد وبطريقة واحدة ويعيشون عيشة واحدة تتكرر كل صباح وكل مساء بعكس ما في المدن من تنوع وتزاحم وتبادل

ولكي يسهل علينا درس عقل الجندي يجب علينا ان نميز بين درجات ثلاث يمر فيها بالتتابع . فسندرسه (اولاً) في المعسكر (وثانياً) في الخندق (وثالثاً) في ساعة الهجوم

في المعسكر

يكفي ان نلقي نظرة سطحية على المعسكر ليتبين لنا انه افضل مثال واوفى الاشتراكية . فكل جندي يقوم فيه بعمل خاص حسب ادراكه ومعارفه لمنفعة الجميع — من البناء الى المهندس الكهربائي ومن الرسام الى الصحافي — يمارس كل منهم الحرفة التي يتقنها بلا

تميز بين الطبقات ومن غير انتظار مقابل . والذي يلاحظه الانسان لاول وهلة ان الجميع يتمون اعمالهم بسرور وفرح وضحك . ولكن تلك الحياة المتأججة والحركة الدائمة التي تشاهد في المعسكرات لا تتعدى دائرة معلومة وقلما يحدث حادث يغير شيئاً من تلك المعيشة المتكررة صباح مساء على نفس النغم ونفس الصورة — اللهم الا قدوم قائد او موظف كبير من حين الى آخر او ما شاكل ذلك

ثم ان الحياة العقلية مفقودة تقريباً من تلك المعسكرات وكل الاعمال فيها مادية تأول الى تقوية العضلات وتجعل مقام العقل ثانوياً بالنسبة الى مقام الجسد لاسيما في نظر الجندي البسيط الذي لا يفكر ابداً ويكتفي بان يطيع الاوامر طاعة عمياء . لان التفكير من خصائص الضباط . اما الجندي البسيط فانه ينقاد الى افكار رؤسائه وقلما يتباحث مع رفاقه في المسائل الحربية . وهذا الانقياد من الشروط الاساسية لنجاح الخطط الحربية

ان اعظم ثمرة للرياضة البدنية التي يمارسها الجنود ازدياد ثقتهم بانفسهم فكلما قوي جسم المرء تسلط على قواه ووثق من نفسه . ومن ثم تتبين لنا اهمية الخدمة الاجبارية والتمرين الطويل لان الجندي يسيطر بواسطتهما على قواه وتتوطد ثقته من نفسه

الا ان ذلك النشاط المتزايد لا بد ان يجد له منفذاً يتحول اليه . نعم ان الرياضة تستخدم شيئاً منه ولكنها لا تكفي لاستنفاد تلك القوة المتراكمة . ولذا قلما تتحول الى لعب وضحك وهزل . فمن امثلة ذلك الجرائد الهزلية العديدة التي يصدرها الجنود وهي على انواع كثيرة ولعل الفرنسويين ابرع من سواهم في هذا الفن . ومنها ايضاً الروايات الهزلية التي يمثلونها والالعاب التي يقومون بها وغير ذلك من طرق التسلية . ومما يجدر ذكره انه قد تكونت تدريجاً لغات خاصة بالجنود لا يفهمها احد سواهم ولهم فيها اصطلاحات وتراكيب غريبة — ولكن على رغم كل ذلك الفرح السطحي فان في داخل نفس الجندي شعوراً رهيباً مستقراً تحت ذلك السطح البهي

وبالاختصار فانا نستنتج مما تقدم ان عقل الجندي يحط انحطاطاً مؤقتاً ناشئاً عن خلوه مما يشغله فيصبح اشبه بعقل الطفل

في الخندق

واذا انتقلنا الى الخندق وجدنا عقل الجندي في حالة تنبه مستمر بين قصف المدافع ودوي القنابل وانفجار الالغام . وقلما يشعر الجندي فيه بالخوف او التردد فاذا داخله شيء

من ذلك زال للحال عند النظر الى رفاقه الذين بقربه . وكلما زادت الالفة بين اهل الخندق الواحد وتوثقت عرى المودة بينهم زال عنهم التخوف والشك وتوطدت الثقة والثبات . وما هي الا مدة وجيزة حتى يتعود الجندي بيئته الجديدة ويألف العيش فيها

ثم ان الجندي عند اقترابه من خط النار وتيقنه من احداق الخطر به يشعر شعوراً طبيعياً بضرورة حفظ النظام التام والخضوع للاوامر بلا تردد لانه يدرك بالبداهة انه بهذه الوسيلة يتقي شر الموت ويحافظ على حياته . ومن الغريب ان معظم الجنود يشعرون في اعماق انفسهم ان الموت لن ينالهم على رغم ما يشاهدونه حولهم من الاصابات ويعتقدون ان التقادير ستفتح لهم باباً للخلاص مهما تضق الحال

واول ما يخطر ببال الجندي عند انتقاله الى خندق امامي ان يلقي نظرة على المكان المخصص له ويفحص حالة الخندق . وهو في الغالب ينتقد ما يجده ويوجه اللوم الى من سبقه فيه على اهماله (على نحو ما يحصل للمنتقل الى منزل جديد !) . وبعد ان يستقر في مكانه ويرتب حفرته على هواه يشعر بتعطش شديد يدفعه الى استطلاع ما هو امام خندقه . ويبلغ هذا التشوق درجة بعيدة في بعض الجنود حتى انهم لا يتمالكون انفسهم من مخالفة القانون الذي يمنعهم من تعريض انفسهم ليسترقوا نظرة الى خندق العدو. وقد ذهب كثيرون منهم ضحية تسرعهم في ذلك

وتقتصر حياة الجندي في الخندق على تمرين حواسه بين مراقبة الطيارات والصغي لصوت القنابل والرصاص وغير ذلك حتى تصبح شديدة الاحساس لاضعف المؤثرات . اما الضباط فانهم ينوبون عن الانفار في امر التفكير وعليهم تقع المسؤولية

ويقضي كثير من الجنود اوقات الفراغ في الخنادق ببعض الاشغال او الالعاب اليدوية وقلما يلجأون الى المحادثة . لان الجندي في ذلك الموقف الحرج لا يفكر الا في نفسه وفي حاله التي هو فيها ولا يعير الامور الاخرى ادنى التفات حتى روابطه بعائلته او اعماله فانها لا تشغل عقله الا قليلاً واذا اتاه كتاب من امرأته او صديق له لم يترك في فؤاده الا اثراً موقتاً

ومن الغريب ان الجنود يندر ان يفكروا في عدوهم . وقد سأل احدهم عدداً كبيراً من الجنود عن هذا الامر فاتفق الجميع في انهم لا يفكرون بالعدو او يتحدثون عنه الا في ثلاثة احوال

(١) عند صدور امر بالهجوم

(٢) عند مقابلة هجوم العدو

(٣) عند رجوع بعض المستكشفين من الرفاق

في ساعة الهجوم

يتقدم ساعة الهجوم هياج شديد في نفس الجندي ولا شك ان تلك الساعة هي ارهب ساعات الحرب . فلا غرو اذا ظل تأثيرها باقياً في ذهن الجندي اكثر من سواها . ولكنك لو سألت جندياً ان يحلل لك بالتفصيل ما يحس ويفكر به في ساعة الهجوم لعجز عن الجواب — اللهم الا اشارته الى انشغاله بالهجوم وانصرافه بكليته الى الاحتفاظ بحياته . غير ان الفحص الدقيق يدل على ان الجندي يندفع في تلك الساعة بدوافع سامية (كعواطف الوطن والعائلة والله ونحوها) ولكن من غير ان تكون جلية في وجدانه (Subconscious) أي بدون ان تظهر صورتها لادراكه . لان عقل الانسان في تلك الساعة ينصرف الى فكرة بل غريزة واحدة هي غريزة الاحتفاظ بكيانه — فتملأه كله ولا تبقي محلا لغيرها . وبعبارة أخرى فان الانسان عندئذ يصبح حيواناً لا هم له الا المحافظة على حياته — نقول المحافظة على حياته ولم نقل التغلب على عدوه لانه قد تبين للفاحصين ان هم الجندي المهاجم وقاية نفسه اكثر من قتل عدوه

ومن الامور الاكيدة ان الجندي المهاجم لا يتأثر اقل تأثير عند طعن عدوه بحربته بل انه يعد هذا العمل قياماً بواجبه يستحق عليه الاطراء . فالعواطف الرقيقة كالحنو والشفقة والرحمة لا تجد الى عقله سبيلا في تلك الساعة الرهيبة لانه يشعر بالخطر المحدق من كل جهة ويعتقد ان كل عدو يقتله يضعف امكان موته هو

وبالاجمال فعقل الجندي عند الهجوم يمتاز بثلاثة امور :

(١) انشغاله بفكرة واحدة (الاحتفاظ بحياته) لا تترك مجالاً لغيرها :monoideism

(٢) اندفاعه بقوة هائلة

(٣) خضوعه للاوامر كأنه آلة لا شخصية لها

هذه نظرة اجمالية في عقل الجندي ومنها نرى ان شخصية الجندي هي غير شخصية الرجل في وقت السلم . فهذا الانقلاب يوضح لنا ما يريده العلماء من قولهم « تعدد الشخصية »

الاشتراكية في الاجتماع

حاضرها ومستقبلها

ماهية الاشتراكية

الاشتراكية مذهب يحاول اصلاح نظام الملكية حتى يضمن للافراد الاستقلال المادي والادبي ويخلصهم من مخالب رأس المال باعتباره نظاماً اقتصادياً . فرادها هدم ذلك النظام وكل ما بناه الاجتماع عليه . وبعبارة اخرى ان مقصد الاشتراكية الادنى تحرير العمال من قوة رأس المال المتزايدة وغايتها القصوى تحرير الافراد واستقلالهم

لا تزال الاشتراكية في دور التنازع والتقاتل . لا تزال حزب مقاومة ومناهضة فتراها تذب عن الحرية في ميدان السياسة والاجتماع والاداب كلما سنحت لها الفرص وتؤيد في المجالس النيابية كل القوانين والمشروعات والتدابير التي من شأنها تحرير الافراد المادي والفكري والادبي . ان دأبها تحطيم الطواق الماضي الادبية والاجتماعية التي يضيق بها على الناس . لذلك ترى في موضوع الاداب مثلاً اشتراكين كثيرين من القائلين بالقران الاختياري اي بان يتم القران بين الزوجين لا بعقد رسمي بل بعقد عرفي على شروطه كما يشاء الفريقان المتعاقدان من غير مداخلة الوازع في امره . فلا نزاع فيه ان الاشتراكية اليوم تمثل الفردية بل هي لها اقوى مثال مجسم في الاجتماع . لكن الامر الجوهري هو هل تظل الاشتراكية نصيرة الفرد والحرية اذا وصلت الى السلطة وقبضت على زمام الحكم ؟ هذه مسألة فيها نظر فقد تنمو الجرائيم المضادة للفردية الكامنة في الروح الاشتراكية وتكبر فتصبح الفردية عندها نسياً منسياً

معايب الاشتراكية

اما تلك الجرائيم فمنها ما هو ظاهر للعيان وقد اتخذه خصوم الاشتراكية سلاحاً للطعن عليها منذ عهد بعيد . مثال ذلك الولع بتكثير النظامات والقوانين الى درجة الافراط ، وادعاء الجماعة حق الاشراف على اعمال الافراد ومجهوداتهم ، وقوة الرأي العام الذي يصبح في عهد الاشتراكية العامل الادبي المعوّل عليه في اقرار الشرائع والتصديق عليها . ونحن نعلم اي مبلغ يبلغه الرأي العام في التعامي والاستبداد ومناهضة الافراد والاخذ بالمزاعم الوهمية

وهناك نقطة تباين أخرى بين الاشتراكية والفردية وهي الاشتراع الموحّد أي توحيد الاصول والنظامات بحيث تصبح الجماعة كآلة واحدة محكمة الاتصال والارتباط بين اجزائها او كالجوقة الموسيقية التي تندغم شخصيات اعضائها المختلفة في المجموع . ان اشتراكيين كثيرين (وفي جملتهم المرحوم جوريس الفرنسوي) يعتقدون بالوحدة النهائية اي بان مآل البشرية التوحيد في النظام الاقتصادي والنظام الادبي لكننا نعلم ان مذهب التوحيد هذا القائم بالاشتراع والتوافق الاجتماعي هو عنوان الاستبداد والتضييق ، هو حجر عثرة في سبيل التنوع الفردي لانه يمنع انطلاق الفرد واستقلاله ويرمي مباشرة او غير مباشرة الى التضحية بالفرد فداء للجماعة اذ يخول للوجدان الاجتماعي حق الاشراف القهري على الوجدان الفردي اعتماداً على اصول ونظريات يدعي لها العصمة

ان انصار الاشتراع الاجتماعي يذهبون الى ان وجود الجماعة سابق لوجود الفرد ويعلو عليه وهم في اثبات ذلك قسمان : قسم منهم استدلاليون وقسم استقرائيون . اما انصار القسم الاول فاقدم ممثل لهم واعظمهم شأناً هو افلاطون الذي لا يزال مثالاً خالداً لفلسفة الاجتماع التوحيدية . فافلاطون يعتمد على تصور الوحدة ويعتقد ان هذا التصور يحوم فوق الافراد فيتقدمهم ويسمو عليهم ومن ثم نرى ان «المدينة» اسمى من المدنيين وانها الكل في الكل وان الفرد لا شيء . وقد فند ارسطو حجة افلاطون هذه واظهر بأجلى بيان أن الاستدلال المنطقي المبني على تصور الوحدة يؤول بنا الى تفضيل الفرد على المدينة. فانهم يقولون أن غاية المدينة الوحدة المثلى ولكن ما هي المدينة ؟ هي جمهور مؤلف من عناصر مختلفة . فاذا شددنا في توحيدها تصبح المدينة عائلة . واذا طلبنا المزيد من الوحدة تنحصر العائلة في الفرد فلا وحدة حقيقية اذاً أتم من الفرد . وبناء عليه اذا اعتمدنا على مبادىء افلاطون ذاتها وجدنا الفرد احسن مثال مجسم للوحدة

وأما انصار الاشتراع الاستقرائيون فيدعون ان تابعية الفرد للجماعة قائمة على استقراء الواقع فيسمون خضوع الفرد الواقعي للجماعة ويعدونه ضرورة طبيعية قضت بها سنة الملاءمة للوسط التي تخضع الافراد لحكمها او سنة التضامن التي تربط اعضاء الجماعة الواحدة بعضهم ببعض أو غيرها من السنن . فليس الفرد في أعين أصحاب هذا المذهب الا ما أنتجته بيئته التاريخية

مقام الفردية

ان اقوى معارض لاصحاب هذا المذهب هو الفيلسوف نيتشه بلا جدال فهو الذي حاول اكثر من أي مفكر آخر ان يحرر الفرد من تلك الشبكة التي أرادوا طرحها عليه

والتي تؤلف خروجها من الوسط والوراثة والتقاليد والآداب المصطلح عليها

ان المبدأ الذي يعتمد عليه انصار الاشتراع الاجتماعي هو طاعة الفرد للجماعة طاعة مطلقة كان الفرد لا شيء في زعمهم . وقد فاتهم ان الفرد قوة بحد ذاته وانه عامل هام في وسعه فله ان يعصي بيئته ويغيرها كما له ان ينقاد اليها ويلتئم معها . قال سيجل في كتابه احوال العشائر النفسية « قد ثبت ان نوابغ الرجال ليسوا ممثلين فقط في المأساة البشرية بل هم مؤلفون ايضاً » وعندنا ان هذا القول يطلق على سائر الافراد في الهيئة الاجتماعية مع مراعاة النسبة بينهم

اذا نظرنا الى المجتمع في وقت معين من سيره نرى ان البيئة تضع لمجهودات الفرد حداً لا مناص منه . اما اذا نظرنا الى المجتمع نظرة مطلقة اي اذا نظرنا اليه وهو يتقدم بتطور اجتماعي دائم نرى الفرد حاصلاً على حقوقه لانه في هذه الحالة مصدر الابتكار وعامل الارتقاء ومكوّن التاريخ

ظاهر اذاً مما تقدم ان مذهب الاشتراع الاجتماعي استدلالياً كان او استقرائياً لا نصيب له من الصواب لانه مقاوم للفردية . وعلى الفردية تقوم فلسفة الاجتماع الحقيقية . ففي امكاننا الآن ان نرى ما في مذهب الاشتراكية من حق ومن باطل

رأينا في الاشتراكية

الاشتراكية مذهب شرعي صحيح ما دام يقاتل انتصاراً لتحرير الافراد واستقلالهم . وليست الاشتراكية والحالة هذه الا خطوة في سير الفرد الى الامام فلا غبار عليها ما دامت تؤيد الفردية . لكنها تخطىء اذا تحولت الى اشتراع اجتماعي وحاولت ان تقف عند تصور الوحدة او عند قانون جامد او امنية ثابتة لانها تتصف حينئذ بما يتصف به كل اشتراع فتكون للفرد قيداً وللانسانية جموداً

وقد انتبه اشتراكيون كثيرون الى هذا الخطر المحدق بهم فابوا ان يحصروا الاشتراكية في قواعد ثابتة لا تتغير فراهم ينشدون اشتراكية آخذة في تطور دائم لا تستقر على حال . فهم لا يرضون باكراه العمال على الثورة معتقدين ان سير الاشتراكية نحو غايتها النهائية يجب ان يتم بالوسائل المشروعة بل انكر بعضهم ان للاشتراكية غاية نهائية تقف عندها فقال « ان للاشتراكية اتجاهاً كما لكل حركة لكن الاتجاه شيء والغاية النهائية شيء آخر . فالاشتراكية سائرة بالمجتمع سيراً تاريخياً وليس في التاريخ غاية نهائية اذا وصل اليها الانسان لا يجد ما هو اقصى منها . فما كل غاية الا نقطة وقتية في خط سير الحركة .

فالحركة التاريخية وهي تتجه نحو الغاية النهائية تنتقل بها من غير انقطاع . فما يسمى منتهى كمال الحركة لا يوجد عند حدها النهائي بل يصطحبها في كل لحظة وينتقل معها . فاذا قصدت الحركة التاريخية الوصول الى غاية نهائية بحصر المعنى فهي سابقة لاوانها ومثلها مثل الاحداث تعيش في الاحلام . فطور الاحلام ضروري في الحياة لكن الولد اذا كبر طرح عنه طوق الاحلام . كذلك يأتي يوم تضحك فيه الحركة التاريخية من الآمال الصبيانية التي تكون قد جعلتها محطاً لرحالها »

هذه هي الاشتراكية في عصرنا وقد صادفت من افكارنا استصواباً ومن ضمائرنا ارتياحاً لانها لا تخضع لقواعد جامدة ولا تقف عند حال معينة ولا تعرف غاية لها الا السير بالانسانية الى الامام دائماً ابداً فهي في حال صيرورة الى الابد وهي اشتراكية أنشأها الافراد وهم يسيرون بها بمحض اختيارهم لا تقيدهم ولا تحكم فيهم

يخطئ من يتصور ان هذه الاشتراكية تطلب علاوة على حرية الافراد مساواة مطلقة فيما بينهم . فهناك تفاضل يمكننا منعه ونحن ساعون فعلاً الى ازالته وهو تفاضل الطبقات . اما تفاضل الافراد فليس في استطاعة الاشتراكية ولا في رغائبها أن تمحوه فقد يتيسر لها محو المراتب الاجتماعية والدرجات المتفق عليها ولكن سيبقى الى ما شاء الله بين الناس من يعمل ومن يتقاعد ومن يقود ومن يقاد . فليس في استطاعة احد ان يبطل تسلط نفس على نفس وتسامي فرد على فرد

بولس مصوبع

للشافعي :

من ذا الذي قد حاز راحة سره	في يسره ان كان أو في عسره
فلربما يلقى الغني بماله	أضعاف ما يلقى الفقير بفقره
فأخو التجارة خائف مترقب	مما يلاقي من نوائب دهره
وأخو الوزارة واجد متحير	مما يلاقي من نوائب عصره
وكذلك السلطان في أحكامه	رهن الهموم على جلالة قدره
ولقد حسدت الطير في أوكارها	فوجدت أكثرها يصاد بوكره

الفنون الجميلة في القصور

المصورون والأدباء من الملوك والامراء

في مقدمة ما يتفاخر به الملوك والامراء تكريمهم اهل الادب واصحاب الفنون الجميلة. ولكن منهم من تجاوزوا ذلك الى تقلد الريشة والقلم انفسهم. وقد رأينا أن نورد هنا بعض الامثلة على شغف امراء الاسر المالكة بالآداب والفنون

ولعل الملوك والامراء احوج من غيرهم الى التصوير او الشعر او ما شاكلهما من وسائل التسلية المقرونة بالفائدة. اذ لا يخفى اهمية الاثقال الملقاة على عاتقهم والمسؤولية التي تقع عليهم من جرَّا حركاتهم واعمالهم فلا غرو اذا طلبوا الراحة العقلية في الاداب والفنون وهي بلا شك افضل ما يصرف فيه الانسان وقت الفراغ

ومن تتبع تاريخ الاسر المالكة وجد انها ما برحت تزداد اهتماماً بالعلم والادب. فقد انقضى الزمن الذي كان يتباهى فيه الاغنياء باستغنائهم عن التعلم والتثقف واصبح الملوك والامراء اشد الناس اهتماماً بالعلم والعلماء. ولم يعرف التاريخ عصراً جمع في قصور الملوك عدداً كبيراً من غواة التصوير والرسم والموسيقى والشعر والادب مثل هذا العصر اذ لا يخلو بلاط في أوربا اليوم من متفنن ببعض الفنون الجميلة

ولكن كيف نكتشف البارعين في الفنون من اهل القصور؟ ان ذلك من اصعب الامور لا سيما وان كثيرين منهم يتحاشون الظهور والاعلان عن انفسهم. ولهذا السبب فما يكتب في هذا الموضوع لا بد ان يكون ناقصاً. الا ان ما هو معلوم منه يستحق النشر ولا يخلو من طلاوة

* * *

اذا القينا نظرة على تاريخ فرنسا وجدنا بين ملوكها وامرائها كثيرين برعوا في الآداب والفنون الجميلة — والفرنسويون بطبيعتهم يحبون الجميل ويتعشقون التفنن والذوق الحسن — فقد كان لويس الثالث عشر موسيقياً. وكان ريشليو الوزير الشهير ينظم الشعر ويؤلف الروايات التمثيلية وكثيراً ما كان يخيل هيكل الرواية ويقترح على بعض شعراء عصره ان ينسجوا عليه ويكملوه. ومما يؤثر عن لويس الرابع عشر (الكبير) انه جرب النظم غير مرة بدون ان ينجح كثيراً. ففي ذات يوم نظم قصيدة قصيرة وعرضها على الشاعر النقاد بوالو ليستطلع رأيه فيها مدعياً انها لبعض الشعراء فما كان من بوالو الا ان

اجابه « انها في الحقيقة ابيات سمجة » . ويؤخذ من التاريخ ان لويس الرابع عشر لم يغضب من تلك الصراحة المؤلمة

ومن النساء اللواتي شغفن بالتصوير مدام دي بومبادور عشيقة لويس الخامس عشر ولها صورة تمثلها رسمتها بيدها وهي محفوظة الى اليوم وفي اسفلها اربعة ابيات من نظم فولتير ومكتوبة بخطه [1]. وكانت ماري انتوانت امرأة لويس السادس عشر (التي قتلت بالمقصلة في ابان الثورة الفرنسوية سنة ١٧٩٣) تحب الرسم على الازرار فكانت ترسم عليها مناظر باريس وآثارها

اما في القرن الماضي فقد نبغ كثيرون من الاسر المالكة الفرنسوية في الفنون والاداب . ولا بد لنا هنا من الاشارة الى ان بعض نقاد الادب يعتقدون ان نابليون كان عنده استعداد فطري لفن الكتابة وانه لو لم ينصرف بكليته الى الحروب لعدَّ من أبرع الكتاب بدليل ما بقي من آثاره الانشائية لا سيما رسائله . وكانت الملكة هورتنس (ابنة الامبراطورة جوزفين من زوجها الاول) مولعة بتصوير الوجوه والازهار بالماء aquarelle . ولا يخفى ان ابنها الامبراطور نابليون الثالث الف في ساعات فراغه « تاريخ يوليوس قيصر » . وكان ابنه الوحيد (الذي توفي في زولولند متطوعاً في الجيش الانكليزي بعد سقوط والده) مغرماً بتصوير معارك نابليون الاول وغيرها من المناظر العسكرية

هذه امثلة من الاسرة البونابرتية واذا انتقلنا الى اسرة اورليان الفرنسوية ايضاً وجدنا كثيرين من افرادها نبغوا في الفنون . فمنهم دوق دومال Duc d'Aumale ابن لويس فيليب الاول ملك فرنسا الذي سقط من عرشه على أثر ثورة ١٨٤٨ فان ذلك الدوق صرف السنين التي قضاها في منفاه بانكلترا يكتب ويؤلف فابرز مؤلفات مختلفة أهمها « تاريخ امراء كونده » . ولهذا الدوق اخوان شغفا بالتصوير احدهما دوق نمور وله عدة مناظر عسكرية والآخر برنس جوانفيل الذي زين « مذكراته » بصور مرسومة بقلمه . وقد كان والد هؤلاء الامراء الثلاثة الملك لويس فيليب يصور ايضاً في بعض الاحيان وأهم ما صوَّره صورة نفسه وصورة اخويه

* * *

(١) وهاك الابيات :

Pompadour, ton crayon divin
Devait dessiner ton visage.
Jamais une plus belle main
N'aurait fait un plus bel ouvrage.

أي « يومبادور ان قلمك جدير بان يرسم وجهك فلم ترسم يد جميلة أجمل من ذلك الرسم »

أما ملوك المانيا وأمراؤها فانهم اقل شغفاً بالفنون والآداب ولكن بضعة منهم بلغوا في هذا المضمار درجة لا يستخف بها نذكر في مقدمتهم فردريك الثاني ملك بروسيا الشهير فانه يعد من افضل الكتاب السياسيين الذين ظهروا في اوربا . وقد كان يحب الادباء والشعراء حتى انه استقدم فولتير الى بلاطه وانزله ضيفاً عنده . واهم مؤلفاته السياسية « ضد مكيافلي » و « بحث في اشكال الحكومة وواجبات الحكام » وهما يعدان من أمهات الكتب في هذه المباحث . وقد نظم فردريك هذا قليلاً في اللغة الفرنسوية ولكن اشعاره كانت رديئة وكان فولتير يبين له أوجه الضعف فيها . ولكنه وان لم ينجح في الشعر فقد كان ميالاً الى الموسيقى والف فيها قطعاً حسنة كان ألذ شيء عنده ان يضربها على الناي ويستمع نغماتها وحده . وقلما كان يأذن لاحد ان يدخل عليه في تلك الساعة . ولم يرض فريدريك أن تنشر القطع الموسيقية التي الفها فظلت محفوظة في قصر بوتسدام ولم تنشر الا بعد وفاته بمدة



الخطر الاصفر من تصوير الامبراطور غليوم الثاني

والامبراطور غليوم الثاني (خلف ذلك الملك الكبير) معروف عند الجميع بمواهبه المختلفة فتارة نراه خطيباً وطوراً واعظاً ومرة مصوراً وأخرى موسيقياً او مؤلفاً روائياً او مهندساً او غير ذلك . واشهر ما انتجته قريحته صورتان موضوع اولاهما صورة « الخطر الاصفر » وهي تمثل المانيا تدعو الدول الاوربية الى الاتحاد تلافياً للخطر الاصفر القادم وحفظاً للمدنية . وموضوع الثانية « الخطر الاجتماعي » وهي تمثل المانيا تحمي الفنون

والمعارف من اعدائها . الا ان الامبراطور اكتفى بان رسم صورة مصغرة لهذين المشهدين وكاف الاستاذ ناكفوس الالماني ان يكبرها . وفضلا عن التصوير فان الامبراطور غليوم مؤلف موسيقي واهم ما انتجه في هذا الباب « نشيد ابجير » وطريقة تأليفه انه يصفر أمام احد ياورانه البارعين في الموسيقى النغم الذي يوحى اليه ويكلفه بان يوقعه على البيانو ثم يكتبه . وكذلك في الروايات التمثيلية فانه يستخدم كتاباً تحت يده لتدوين ما تلهمه اياه قريحته الوقادة

* * *

أما البلاط النمسوي فلم يرَ حديثاً سوى بضعة من افراده اهتموا بالتصوير منهم الاميرة ماري فليري ابنة الامبراطور فرنسيس يوسف . ومثل النمسا الدانمارك . أما بلجيكا فان ملكتها شغفة شغفاً شديداً بالتصوير وملكها الشهير مولع بالمباحث الفلسفية . وقد جاء في مقالة كتبها الفيلسوف الفرنسوي الكبير هنري برجسن عنوانها « تحية ملك البلجيك وشعبه » ما يأتي « . . وليأذن القارىء لاحد اساتذة الفلسفة (يعني نفسه) أن يقول انه يفتخر اليوم بدرسه الفلسفة لانها البحث الذي يفضله الملك البرت على سائر المباحث ولعلّ حبه لها جعله يخاطر بحياته وبملكته ويفقد كل شيء . . . الا الشرف »

اما ملكة الانكليز الحالية فانها تتقن تصوير الازهار ومما يؤثر عنها انها كانت تعرض صورها غير مرة في « أسواق الخير » حيث كانت تباع باسعار عالية

* * *

ايتاليا كما لا يخفى موطن الفنون الجميلة فلا غرابة اذا وجدنا بين امرائها واميراتها من يتقنون التصوير او الشعر نذكر في مقدمتهم الملكة مارغريت ارملة همبرتو الاول الملك السابق فقد نظمت اشعاراً كثيرة منها « صلاة لعذراء الثلوج » . اما الملك الحالي فانه مغرم بالعلوم وله كلف شديد بالتصوير الشمسي . ولامرأته الملكة هيلانة تعلق بالموسيقى والتصوير ويقال ايضاً انها نشرت في احدى المجلات الروسية تحت امضاء مستعار اشعاراً في اللغتين الروسية والفرنسوية (ولا يخفى انها ابنة ملك الجبل الاسود)

وقد كان الملك كارلوس البورتغالي والد الملك مانويل الثاني المعزول الآن يُعد من امهر المصورين ونال جائزة في معرض باريس العام . ومثله ارملته الملكة اماليا الفرنسوية الاصل

* * *

ولعل اشهر ملكات هذا العصر في مضمار الادب الملكة اليزابت ارملة ملك رومانيا السابق المعروفة في عالم الادب باسم كارمن سيلفا وهي من عائلة ويد الالمانية التي نبغ

منها كثيرون من عشاق الشعر والتصوير . والملكة المشار اليها متعلمة تعلماً مستوفىً فهي واسعة الاطلاع تجمع بين اللغات الميتة واللغات الحية . ولم تُعرف شاعرةً الا بعد وفاة ابنها التي كانت تحبها حباً مفرطاً اذ اوحى اليها شدة حزنها اشعاراً سامية تعد من ارق الاشعار — واجمل الشعر ما صدر عن قلب مصدوع على رأي الشاعر موسه . ومؤلفاتها مكتوبة بعضها بالالمانية والبعض الآخر بالفرنسوية ولها ايضاً روايات تمثيلية مثل بعضها في فينا فنال اقبالاً عظيماً

* * *

وهناك رجلان عظيمان اشتهرا بالشعر واتقناه كلٌّ في لغته أحدهما الغرندوق قسطنطين عم القيصر الحالي الذي ترجم حملت الى الروسية والآخر الملك اوسكار الثاني ملك اسوج وزوج السابق . ويجدر بنا ايضاً ان نذكر في هذا المقام قداسة ليون الثالث عشر البابا السابق فانه أتقن نظم الشعر باللغة اللاتينية وله فيها عدة منظومات دينية وكنسية

* * *

ونختم هذا المقال بخبر هام لا يعرفه الا القليلون في هذا القطر . وهو ان كريمتي عظمة السلطان متمرنتان بالتصوير ولهما آثار جميلة جداً تضاهي افضل ما صورته اميرات الغرب فيحق لنا أن نعجب باميراتنا ونفاخر بهن

كلمات للامام علي بن ابي طالب

ما احبتك احد قط الا احب الخلوة والعزلة

خير الناس من لم تجربه

المرأة اذا احبتك اذتك واذا ابغضتك خانتك وربما قتلتك فحبها اذى وبغضها داء بلا دواء — المرأة تكتم الحب اربعين سنة ولا تكتم البغض ساعة واحدة

اجل ما ينزل من السماء التوفيق واجل ما يصعد من الارض الاخلاص

شر من الموت ما اذا نزل تمنيت بنزوله الموت وخير من الحياة ما اذا فقدته ابغضت لفقده الحياة

ما وضع احد يده في طعام احد الا ذل له

الامرأة كالنعل يلبسها الرجل اذا شاء لا اذا شاءت

ابصر الناس لعوار الناس المعور

كيف نشأ الاتفاق الودي

مذكرات اميل لوبه رئيس الجمهورية الاسبق

من اغرب المشاهد التي شهدها التاريخ تآلف انكلترا وفرنسا بعد تمكن الجفاء والبغضاء بينهما وقد جاء هذا التآلف مصدقاً لقول ابقراط اليوناني « اذا احس الانسان في وقت واحد بألمين فاشدهما يمحو الآخر » فقد كان نفور كل من فرنسا وانكلترا تجاه الاخرى اضعف من نفورهما من المانيا التي ما برحت تهددهما منذ تكوّنها . فلا غرابة اذا انمحى ما بينهما من التجافي امام الخطر المشترك



جلسة تاريخية في قصر الاليزه عقب قدوم الملك ادوارد الى باريس
تمثل هذه الصورة الملك ادوارد والرئيس لوبه يتحادثان ويضعان اساس الاتفاق الودي

وقد وقفنا في احدى المجلات على محادثة دارت منذ نحو سنتين بين المسيو اميل لوبه رئيس الجمهورية الاسبق (من ١٨٩٩ — ١٩٠٦) واحد الصحفيين حول منشأ الاتفاق الودي الذي ما برح يتزايد قوة من ذلك الحين . وقد بين المسيو لوبه في ذلك الحديث كيف وُضع أساس ذلك الاتفاق بمعاونة الملك ادوارد السابق والعقبات التي اعترضته عند اول نشأته . فرأينا أن ننشر تلك المحادثة الثمينة لاهميتها في نظر التاريخ . قال الكاتب :

في شهر مايو من سنة ٩٠٣ زار الملك ادوارد مدينة باريس بصفة رسمية فحقق بذلك امنية طالما دارت في خلده . الا ان موقف الحكومة الفرنسوية كان حرجاً للغاية

لأنها قاومت تيار الرأي العام باستقبالها ملك الانكليز. فلئن كان شخص الملك ادوارد نفسه محبوباً عند اهل باريس منذ ولاية عهده فالشعب الانكليزي لم يكن كذلك لاسيما وان تذكارات حرب الترنسفال كانت لا تزال حاضرة في ذهن الشعب الفرنسوي مع ما تبعها من استقبال الرئيس كروجر والاحتفاء به في باريس

ولكن على رغم ذلك فان المسيو لوبه وجد انصاراً عديدين بين الكتاب والصحافيين ورجال السياسة الذين بينوا للامة الفرنسوية اتفاق مصالح الدولتين وما يتوقف على تحالفهما من المنافع المشتركة بينهما. فبينت الصحف ما كان لمدينة لندن من الفضل في اسعاف اهل باريس بعد حصار سنة ١٨٧٠، وذكرت قول الوزير دسرائيلي الشهير «انا نريد ان نرى فرنسا كبيرة عظيمة»، ولهج الناس بالايام التي قضاها الملك ادوارد ايام كان ولي العهد وما اشتهر عن شغفه بمدينة باريس واهلها. ومما روي عنه زيارته في حداثته الى الانفاليد (حيث قبر نابليون) برفقة والدته اذ قالت له «اركع يا بني امام قبر نابليون الكبير». وكان من عاداته التي لم يخلفها ابداً زيارته للجوكي كلوب Jockey Club كلما نزل في باريس حيث كان يبقى الى منتصف الليل يلعب لعبة الوست Whist بكل بساطة كأنه عضو بسيط في ذلك النادي

فكل تلك العوامل والتذكارات اتت بالنتيجة المطلوبة اذ جعلت الشعب الفرنسوي يستعد لاستقبال ضيفه بالحفاوة والاكرام. ومن الصدف ان الملك ادوارد اختار يوم أول مايو للقدوم الى باريس ولا يخفى ان ذلك اليوم هو يوم العمال وفيه يجتمعون ويقومون بمظاهرات شبه ثورية لتوطيد سلطتهم والمطالبة بحقوقهم. ولكن ذلك لم يحل دون الاحتفال بقدوم الملك فاستعد اهل باريس لاستقباله وزينت الشوارع وتزاحم الناس لمشاهدته عند مروره. وكانت النوافذ تؤجر تلك الساعة بلا أقل من ٣٠٠ و ٤٠٠ فرنك. ومن حسن الصدف ان ذلك اليوم كان من اجمل الايام فكانت الشمس ساطعة على المدينة والهواء خفيفاً والجو صافياً. وكان يرافق الملك في زيارته هذه السر شارل هاردنغ وكيل وزارة الخارجية فلما نزل الضيوف في محطة غابة بولونيا تقدم المسيو لوبه الى الملك وتصافحا طويلاً. وكان الملك في كل حركاته واقواله مثال البساطة واللطف. ثم سار الموكب في شارع الشانزليزه بين صياح الجماهير «ليحيى ادوارد»

قال المسيو لوبه: وبينما كان الملك يسلم على الجماهير بيده كان يردد قوله «كلما جئت باريس اشعر بسرور عظيم كأني في منزلي تماماً»

ومن الجمل التاريخية التي فاه بها الملك في أثناء زيارته هذه قوله في مأدبة السفارة

الانكليزية « لا أعرف دولتين في العالم مشتركتين في المنافع ومترابطتين في المصالح كفرنسا وانكلترا » وجوابه على خطبة المسيو لوبه في المأدبة الرسمية التي أقيمت له في قصر الاليزه اذ قال « اني مسرور لسنوح هذه الفرصة التي ستقرب دولتينا وتقوي الصداقة بينهما . وأسمى غرض نسعى اليه جميعاً هو ان نسير جنباً الى جنب في سبيل المدنية والسلام »

ويؤثر عنه انه لما شاهد سباق لونشان كان النصر لفرسين اسمهما « جون بُل » و « القيصر » فسرَّ كثيراً من هذه الصدفة وقال للمسيو لوبه متبسماً : « كيف لا أسر من هذا النصر فقد رأيت شعبي منصوراً مع « جون بل » واسرتي مع « القيصر » (يعني قيصر روسيا) وهو قريبي

قال المسيو لوبه : « ان الملك ادوارد كان يظهر ارتياحاً عظيماً حينما دعي حتى انه كان يقبل بعض الدعوات على رغم تعبه كما فعل عند حضوره تمثيل احدى الروايات في « الكوميدي فرنسيز » . ولا حاجة بي هنا الى تكذيب ما أشاعه احد المخبرين عن ان الملك طلب اليّ ان أنقذه من غفوته كلما استدعى المقام التصفيق . ولا أريد ايضاً ان يفوتني ذكر الشخصين اللذين كانا يرافقان الملك حيثما ذهب فانهما كانا مدعاة للظنون والاستهجان . فاحدهما شرقي اسمه ابراهيم كان يلبس لباساً خاصاً مبرقاً بالذهب وكانت وظيفته الوحيدة عمل القهوة على الطريقة التركية وكان الملك شغفاً بها . أما الثاني فنورمندي الجنس واسمه ملقيل وكان بوليساً سرياً يتقدم الملك دائماً حيثما قصد ومن أحسن الخدم التي اداها لسيده القبض على الفوضوي مونيه الذي كان يريد الايقاع بالملك »

وفي يوم ٤ مايو في الساعة الحادية عشرة غادر الملك باريس من المحطة التي قدمَ منها وكان الوداع أشد وداداً ومحبة من القدوم . وبعد ذلك بيومين كلّف الملك ادوارد سفيره في باريس أن يقدم الى الحكومة الفرنسوية والى الشعب الفرنسوي تشكراته القلبية على الاكرام الذي لقيه في أثناء زيارته

وهكذا تأسس الاتفاق الودي بين فرنسا وانكلترا

* * *

وتوطد الاتفاق الودي عند ما ردَّ المسيو لوبه زيارة الملك وكان سفره الى لندن في يوم ٦ يوليه . وحالما وصل المسيو لوبه قدم اليه الملك وليّ عهده (الملك جورج الحالي) ووزيريه المستر بلفور واللورد لانسدون . ثم تتابعت الاحتفالات والمآدب وفيها توطد الشعور الودي بين الدولتين . واهمها مأدبة قصر بكنجهام ، وحفلة الجلد هول حيث اطرى

محافظ لندن المسيو لوبه بين التصفيق الحاد المتواصل ، واستعراض الدرشوت اذ قدمت له التحية فرقة لانكشير بعلمها الممتلئ، ثقوباً وخروماً من ضرب الرصاص في حرب القرم التي حارب فيها الفرنسويون والانكليز جنباً الى جنب ، وحفلة الرقص الفخمة التي أقيمت في البلاط اكراماً له

وكان المسيو دلكاسه الذي رافق المسيو لوبه يتفاوض ملياً في هذه الاثناء مع زميله لورد لانسدون في وزارة الخارجية الانكليزية حيث كان ينضم اليهما أيضاً سفير روسيا وهكذا تمّ الاتفاق الثلاثي

ذكرى شكسبير

تألفت في جامعة لندن لجنة للاحتفال بمرور ثلاثمئة عام على موت شكسبير فطلبت الى كبار الشعراء في العالم ان يشتركوا معها في هذه الفكرة . وقد نظم الشاعر النابغة ولي الدين بك يكن قصيدة لهذا الغرض رأينا ان نقتطف منها بعض الابيات . قال في مطلعها

يا بلبل الشعر أطلت المنام استيقظ اليوم وعد للكلام
البلبل الشادي وباكي الحمام كلاهما يهديك أذكى السلام
لكن ستر القبر لا يرفع وأنت من مثواك لا تطلع

***

لكل قوم شاعر مفلق لسانه عن مجدهم ينطق
وأنت من سابقهم أسبق تفوت من فات ولا تلحق
كالبرق في عليائه يلمع وكل طرف إثره يظلع

ومنها :

الناس في أيامنا في حروب أعناقهم مثقلة بالذنوب
قد أوجدالله وأفنى (كروب) الله في ما بين هذي القلوب
تحت الدياجي أعين تدمع تفعل ما لا يفعل المدفع

***

الله خلاق الورى ناظر وكل عدوان له آخر
وكل قهار له قاهر هذا مقام الشعر يا شاعر !
غن ! فقوق الخلق من يسمع ان هجع الساهد لا يهجع

ولي الدين يكن

المحايدون

حقوقهم وواجباتهم

في اوربا احدى وعشرون مملكة منها احدى عشرة قد دخلت غمار الحرب الاوربية الحاضرة والعشر الباقية لا تزال على الحياد . ونظراً لما للممالك المحايدة من العلاقات المستمرة مع المتحاربين آثرنا الاتيان بمجمل واجبات هذه الممالك وحقوقها حسب المعاهدات الدولية لا سيما الاتفاقين نمرة ٤ و١٣ من اتفاقات مؤتمر السلام الثاني المعقود في الهاي (سنة ١٩٠٧) والذي حضره ٧٥ معتمداً نائبين عن ٤٤ دولة

حقوق المحايدين وواجباتهم في الحرب البرية

١ — الدول المحايدة

كانت اول قاعدة اساسية وضعها مؤتمر الهاي قاعدة احترام اراضي الدول المحايدة وقد وافق عليها مندوبو الدول كلهم ومنهم مندوبو المانيا التي ما عتمت ان خرقت حرمة الاراضي البلجيكية فنقضت بذلك عهدها وشرفها المتمثلين في شخص مندوبها في المؤتمر المتقدم الذكر

واستناداً على هذه القاعدة لا يجوز لاية دولة محاربة أن تنقل جنوداً او مهمات حربية على الاراضي الداخلة في منطقة الحياد ولا أن تنشئ بها محطة للتلغراف اللاسلكي او تستخدم محطة موجودة من قبل . وعلى الدول المحايدة من جهة اخرى أن تمنع اي عمل من هذه الاعمال وان لا تأذن بتجنيد الجيوش او تأليف الفرق لشد ازر احد المتحاربين ولكنها ليست مسؤولة عن تطوع افرادها من تلقاء ذاتهم في الجيش المحارب ولا عن الاسلحة والذخيرة التي يوردها رعاياها لفريق من المتحاربين . وهذا ما يسوغ شراء الحلفاء الذخائر والمهمات من معامل امريكا مما هاج سخط المانيا على الولايات المتحدة وملأت لاجله الارض والسماء احتجاجاً . والدولة المحايدة حرة في ان تضع الاسلاك البحرية او التلفونية او التلغراف اللاسلكي تحت تصرف المتحاربين سواء كانت هذه الادوات ملكاً لها او لرعاياها . وفي كل هذه الاحوال تقضي احكام المؤتمر ان لا يكون لاية دولة متحاربة امتياز على غيرها لدى الدولة المحايدة

وهناك مسألة لا تقل اهمية عما سبق وهي أن للدولة المحايدة حق الدفاع عن

املاكها حتى بالقوة لرد الدولة التي تبغي خرق حيادها . واذا فرض انها قامت بتعبئة جيوشها استعداداً لهذا الدفاع قبل أن تبادئها بالعدوان احدى الدول المتحاربة فلا يعتبر عملها هذا مناقضاً لعلاقاتها الودية مع تلك الدولة . واذا حدث ان جنوداً من المتحاربين دخلوا اراضي الدولة المحايدة فعليها ان تعتقلهم في مكان بعيد عن ساحة القتال . ويجوز لها ان تأذن بمرور المرضى والجرحى في اراضيها ولكن بشرط ان لا تحتوي المركبات التي تنقلهم على غير هؤلاء الجنود وهو ما تقوم به سويسرا في الوقت الحاضر

٢ — رعايا الدول المحايدة

كان هذا الموضوع من اهم ما عُرض على مؤتمر السلام في سنة ١٩٠٧ . ورغماً من المناقشات العديدة التي جرت وقتئذٍ لم يتمكن المندوبون من الاتفاق الا على شيء واحد وهو تعريف الاشخاص المحايدين بانهم افراد الدول غير المشتركة في الحرب . ويفقد هذه المزية كل فرد محايد يقوم بعمل عدائي ضد احد المتحاربين او يقوم بخدمة احدهم دون الآخر كان يندمج في خدمة جيشه . ولكن كثيراً ما تكون هذه الخدمات متفقة مع واجب الحياد فلا يعتبر صاحبها خارجاً عن الحياد كان يقوم الشخص المحايد باقراض فريق من المتحاربين او بتوريد المهمات اليه على شرط ان لا يكون قاطناً في بلاد الفريق الآخر او في الاراضي التي احتلها

ولم يتوصل مندوبو المؤتمر الى اتفاق مرضي لتحديد غير ما سبق من واجبات الاشخاص المحايدين وحقوقهم وذلك لان مندوبي المانيا اقترحوا وضع قاعدة تحرّم على المتحاربين الانتفاع بخدمات المحايدين وتقضي على الحكومات المحايدة بمنع رعاياها من خدمة المتحاربين منعاً باتاً ولكن مندوبي الدول الاخرى لم يوافقوا على هذا الاقتراح فاهمل

وقد اراد المندوبون الالمان ايضاً أن يقترحوا معاملة خاصة لاملاك المحايدين في البلاد المتحاربة بمعنى انه لا يجوز مسها باي وجه من الوجوه ولا ضبطها ولا هدمها او الاضرار بها ولكن باقي المندوبين عارضوا في ذلك وقالوا بوجوب معاملة هذه الاملاك أسوة باملاك افراد المتحاربين انفسهم من حيث تطبيق القوانين والضرائب والهدم والضبط وغير ذلك . أما مهمات السكك الحديدية التي تخص المحايدين في البلاد المتحاربة فقد تقرر أنه لا يجوز حجزها واستخدامها الا في الاحوال الضرورية جداً بل يجب ارجاعها باقرب ما يمكن الى بلادها الاصلية . وللدولة المحايدة ان تقابل المتحاربين بالمثل من حيث حجز المهمات الخاصة بهم . وفي كلتا الحالتين يجب على كلٍّ من

الفريقين ان يعوّض عن المهمات المحجوزة والهالكة . وكانت المانيا قد اقترحت ان تطلق للمحارب حرية التصرف بمهمات المحايدين وأن يقتصر هؤلاء على طلب التعويض عند نهاية الحرب ولكن المؤتمر لم يوافق على هذه الفكرة ولم يجز الاستيلاء على المهمات المشار اليها الا في احوال استثنائية جداً

حقوق المحايدين وواجباتهم في الحرب البحرية

يحتم على المتحاربين الامتناع عن أي عمل ماسّ حياد أية دولة داخل منطقة مياهها وهذه المنطقة تمتد من الشاطئ الى مسافة ثلاثة أميال بحرية في عرض البحر (أي خمسة كيلو مترات ونصف تقريباً) . وعليه فكل عمل عدائي يقوم به أي مركب حربي لدولة محاربة في هذه المنطقة يعتبر خرقاً لحرمة الحياد . ولا يقتصر ذلك على منع المراكب الحربية من القبض على البواخر وتفتيشها في المنطقة المشار اليها بل لا يجوز لها ان تتخذ مياه الدولة المحايدة ولا موانئها قاعدة لاعمالها الحربية وليس لها ان تمكث فيها اكثر من اربع وعشرين ساعة الا اذا كانت قد أصيبت بعطل أو كان البحر هائجاً فيجوز لها المكث بعد هذه المدة لحين ترميم العطل اوسكون البحر ويجب ان يجري الترميم باسرع ما يمكن وان يقتصر منه على ما يكفي لاتقاء اخطار الملاحة والغرق

ولا يسوغ ايضاً للمراكب المحاربة استخدام الموانئ والشواطئ المحايدة للحصول على مؤونتها او ذخائرها او لاتمام عددها من سلاح ورجال وذلك تطبيقاً للقاعدة السالف ذكرها التي تقضي بعدم اتخاذ هذه الشواطئ والموانئ قاعدة للاعمال الحربية . وقد اجاز المؤتمر للمركب الحربي ان يأخذ من الميناء المحايد كفايته فقط من المؤونة المعتاد اخذها في ايام السلم ومن الوقود والفحم ما يكفيه للوصول الى اقرب ميناء من موانئه . ولا يجوز في هذه الحالة للمركب ان يعود الى احد الموانئ المحايدة الا بعد مضي ثلاثة اشهر من تاريخ دخوله في المرة الاولى

وقد فرض مؤتمر السلام على الدولة المحايدة واجبات يجب عليها مراعاتها مقابل الواجبات المفروضة على الدول المتحاربة فلا يجوز لتلك الدولة أن تقدم للمتحاربين مراكب حربية ولا ذخائر . وعليها ان تمنع كل ما من شأنه تسليح المراكب التي يقصد استخدامها ضد احدى الدول المسالمة لها ولا يسوغ لها ايضاً ان تدخل في موانئها في وقت واحد اكثر من ثلاثة مراكب تابعة للدول المذكورة الا اذا نصت قوانينها خلاف ذلك . وفي حال ما اذا كانت هذه المراكب تابعة لدولتين متعاديتين يجب ان يراعى في ترتيب سفرها تاريخ دخولها في الميناء الا اذا اضطر احدها الى البقاء للترميم . ولا يجوز لاحد مراكب

الدولة المتحاربة ان يسافر قبل مضي اربع وعشرين ساعة على سفر مركب معاد لها

ولكن للدولة المحايدة حرية القيام باي عمل لا يشم منه رائحة الخروج عن موقف الحياد فلها ان تبيح اصدار الاسلحة والذخيرة اوتقلها لحساب احدى الدول المتحاربة وان تأذن بمرور المراكب والغنائم الحربية في منطقة مياهها وبوضع ربانيها (Pilotes) تحت تصرف الدول المذكورة . وللدول المحايدة الحق بان تمنع من دخول موانئها كل مركب محارب لم يراع قوانينها الخاصة او خرق حيادها ولها ان تنزع سلاح كل مركب يرفض مغادرة موانئها وان تعتقل الضباط والنوتية الموجودين فيه

التهريب

قد وفق مؤتمر لندن (سنة ١٩٠٩) في هذه المادة بين حقوق الدول المحاربة وحرية تجارة المحايدين :

يعد داخلاً في حكم « المهربات المطلقة » كل ما خصص للاعمال الحربية دون غيرها وهذه يجوز القبض عليها بدون قيد ولا شرط ولا يعتبر من المهربات ما يستعمل لعمل سلمي غير حربي . واما ما يجوز استعماله في كلتا الحالتين فيعد من « المهربات غير المطلقة » وهذه لا يصح ضبطها الا اذا ثبت انها مرسلة الى دولة معادية سواء كان ذلك مباشرة أو بواسطة ميناء محايد

وقد تقرر ان المراكب المحايدة (وهي الرافعة راية احدى الدول المحايدة) لا يمكن ضبطها الا اذا كانت تحمل اشياء مهربة او اذا قامت « بمساعدة عدائية » لصالح احدى الدول المتحاربة كتموين الغواصات ونقل الجيوش وغيرها فتؤسر بدون ان تدمر ثم تقاد الى احد موانئ الدولة الحاجزة وهناك ينظر في امر الاستيلاء عليها او اخلائها

اما البضائع المشحونة في باخرة معادية فاذا ثبت انها لاحد افراد الدول المحايدة لا يجوز ضبطها الا اذا كانت من المهربات واما نوتية المركب المعادي التجاري التابعون لاحدى الدول المحايدة فيجب اطلاق سراحهم

وقد وضع مؤتمر لندن قوانين عديدة فيما يختص بتفتيش بواخر المحايدين التجارية وضبطها نقتصر على ذكر الآتي منها لاهميتها :

(أولاً) لا يجوز مطلقاً تفتيش هذه البواخر اذا كانت يحرسها بوارج حربية تابعة لجنسيتها

(ثانياً) في حالة مقاومة الباخرة المحايدة لحق المراكب الحربية في وقفها وتفتيشها

يجب ضبطها ومعاملتها معاملة البواخر العادية

(ثالثاً) لا يجوز التعرض لمراسلات المحايدين على الاطلاق بصرف النظر عن جنسية المركب الذي يحملها وفي حالة حجز المركب يجب على الحاجز ارسال هذه المراسلات باقرب ما يمكن الى المكان الذي تقصده

وبوجه عام يجب تأييد ضبط الغنائم الحربيـة بحكم من المحاكم المخصصة لذلك في كل دولة من الدول المحاربة والا وجب دفع تعويض للدولة التي ضُبطت مراكبها او بضائعها

وكان مؤتمر الهـاي في سنة ١٩٠٧ قد قرر انشاء محكمة غنائم دولية تستأنف أمامها احكام الدول الخاصة بهذا الموضوع ولكن هذه المحكمة لم تؤلف قط نظراً لعدم موافقة الدول كلها على قرار انشائها رغماً من الحاجة الماسة اليها لما في انشائها من النتائج الحميدة وحفظاً لمصالح الافراد الذين ليس لهم ما يدرأ عنهم احكام محاكم الغنائم المجحفة

والخلاصة ان مؤتمري الهاي ولندن المتقدمين قد ملأا فراغاً كبيراً في القانون الدولي ووفيا الموضوع حقه . ومع ان دولتي المانيا والنمسا وقعتا على قرارات هذين المؤتمرين بامضاءات مندوبيهما نراهما من وقت الى آخر تنكران هذه القرارات بكل وقاحة وسوء نية حالة كون الدول المتحالفة تحترمها وتعمل على تنفيذها والمحافظة عليها . ولا يجب ان يتبادر الى الاذهان ان الحرب الحاضرة قد قضت القضاء المبرم على هذه الاتفاقات وعلى ما بين الدول من التضامن للدفاع عن الحقوق الدولية وعن الشعوب الحرة الضعيفة . فلا بد أن تظل نصوص المؤتمرات قاعدة المعاملات والعلاقات الدولية وأن يضاف اليهـا ما يكملها حتى تأمن الانسانية شر الويلات التي جرّتها عليها الحرب الحاضرة وما ذلك على الحق بعسير

من ادارة الهلال

نرجو من جميع المشتركين الذين يغيرون محل اقامتهم او الذين لا يصل اليهم الهلال بانتظام ان يخبرونا عن عنواناتهم المضبوطة بوضوح ولهم الشكر

الآثار المكتشفة

في اثناء حفر الخنادق

من حسنات هذه الحرب القليلة – ولأعظم الشرور والمصائب حسنات من بعض الوجوه – انها خدمت عفواً بعض العلوم والفنون وفي مقدمتها علم الآثار فقد وجد الحافرون في الخنادق عدة تماثيل واوانٍ مختلفة يجدر بنا ان نذكر بعضها هنا فنقول :

نشر أستاذ الماني موظف في متحف الآثار في برلين مقالة عن بعض الآثار التي وجدها الالمان في الميادين المختلفة عند احتفار الخنادق جاء فيها : من مدة قريبة رجع احد الضباط الالمان – الكونت سي – من الميدان الغربي الى برلين لتمضية اجازته فيها



امثلة جيدة من الاواني الخزفية ترجع الى القرن الرابع للميلاد
اكتشفها الالمان قرب سواسون

فجلب معه عدة أوانٍ مصنوعة من الطين الخزفي يرجع بعضها الى عهد الدولة المروفنجية في فرنسا وقدم تقريراً عن نواويس وآثار رومانية أخرى وجدها مع بعض رفاقه . وجاء تقرير آخر من الجهات الكائنة بين ليل واراس عن اكتشاف أنفاقٍ تحت الارض ترجع الى قبل زمن التاريخ ويظن انها حفرت للبحث عن حجر صواني . وكانوا قد اكتشفوا كثيراً من هذه الانفاق في بلجيكا وجنوب انكلترا

ومن أثمن ما ارسل حديثاً الى متحف نامو عدة اشياء وجدت في مقبرة لاتين

(la Tène) اكتشفها ضابطان مغرمان بعلم الآثار وكان اول ما اكتشفاه منها خاتماً من البرونز وجزءاً من جمجمة بشرية فحثهما ذلك على متابعة الحفر في تلك الجهة فوجدا عدة مقابر استخرجا منها فضلاً عن الجثث أدوات مختلفة للزينة من عقود وحلقات ونحوها وأوان خزفية سوداء الشكل . ووجدا في احد القبور ثلاثة رؤوس حراب . وقد نقلت هذه الآثار الى المتحف مع ما تيسر نقله من الجماجم والهياكل العظمية

اما في الميدان الشرقي فقد اكتشفت مقبرة كبيرة ترجع الى زمن الامبراطورية الرومانية وفيها نقود رومانية وآثار اخرى

ولا تقتصر الاكتشافات على قرب خطوط النار فقد اقتضت الاحتياطات الحربية الحفر في اماكن كثيرة داخل المدن والحصون فوجدوا فيها آثاراً مختلفة منها اوان خزفية وحلى وجدوها بقرب كونيكسبرج . والاسرى الفرنسويون في مندن بالمانيا يستخدمون اليوم لحفر بقعة واسعة من الارض يظن ان فيها مقابر وآثاراً مختلفة



تمثال الاله اروس (اله الحب) اكتشفه الجنود الفرنسويون في جهات سلانيك

هذا من جهة الالمان ولاشك ان جنود الحلفاء ايضاً قد اكتشفوا مثل هذه الاكتشافات ولكننا لم نطلع على تفصيل ذلك — اللهم الا رسالة نشرتها مجلة الالستراسيون الشهيرة أرسلها اليها ضابط فرنسوي ومعها الصور الفوتوغرافية (وقد نشرنا صورة منها هنا) عن اكتشاف الجنود الفرنسويين لتمثال الاله اروس (اله الحب) في مدينة باليوبوليس الكائنة في شمالي جزيرة لمنوس حيث كان الجنود يمرنون على حفر الخنادق . ويرجح ان مدينة باليوبوليس الحالية قائمة على انقاض مدينة هفستيا الشهيرة في التاريخ اليوناني

التي كان عدد سكانها يتجاوز الستين الفاً . قال الكاتب :

تباحثت كثيراً مع رفاقي عن سبب خراب تلك المدينة فكانت الآراء مقسومة الى حزبين حزب يقول انها خربت بفعل زلزال وحزب آخر يقول ان الاتراك خربوها . واتفق ونحن على هذا الاختلاف ان فريقاً من الجنود ذهبوا للتمرن على حفر الخنادق في الخلاء وكنت في رفقتهم مع صديق لي وبينا الجنود يحفرون في تلك الانقاض بادرني احدهم قائلاً : « اني اسمع صوت فراغ في هذا المكان » وعند البحث وجدنا ان الارض مكونة هناك من انقاض واخشاب مبعثرة . وبعد هنيهة وقف احد الحافرين وقال : « اني ارى حجراً ابيض عسى ان يكون جزءاً من عمود رخام » وما عتم ان حفر قليلاً حتى رأيت كتف تمثال فامرته أن يحفر باحتراس وما هي الا فترة وجيزة حتى اخرج التمثال من مستقره فوجدت انه تمثال اروس إله الحب وحجمه ثلثا حجم الانسان المتوسط . ولكن اطرافه لسوء الحظ كانت مشوهة . وقد ادى بنا هذا الاكتشاف الى حل الاشكال الذي كنا واقعين فيه بخصوص تاريخ مدينة هفستيا . وتحرير الخبر اننا بعد ان والينا التنقيب والحفر في المكان الذي وجدنا فيه التمثال انتهينا الى بقايا غرفة رأينا في وسطها بقرة كاملة وعلى وجهها علامات الذعر . فعلمنا من ذلك ان المدينة خربت على أثر زلزال ولا شك ان تلك البقرة لم تتمكن من الفرار فردمت تحت الانقاض

وختم الكاتب رسالته بقوله : ان ذلك التمثال ليس لنا وان يكن مكتشفوه جنوداً فرنسويين . فقد وجدناه في ارض الامة اليونانية أم الشعر والفنون الجميلة . وانه ليكفينا فخراً ان يذكر تحت هذا التمثال عند وضعه في متحف اثينا :

« وجده رجال البعثة الحربية الى الدردنيل في بليوبوليس بلمنوس »

الطفولة عند الحيوانات

يمتاز زمن الطفولة عند معظم الحيوانات باهمال الوالدين لصغارهما لا سيما في الحيوانات غير الفقرية . الا ان هناك شواذ كثيرة على الاخص بين الحشرات . فالنمل مثلا مشهود باهتمامه بامر بيضه وصغاره . اما ذوات الفقرات فكثير منها يهمل صغاره اهمالا تاما وفي مقدمتها الاسماك على انواعها والحيات وغيرها . ولا يخرج من هذا الحكم الا الطيور وذوات الثدي . فعنايتها بصغارها تميزها عن سائر الحيوانات



اغلفة سرطان واحد (ابو جلمبو) وتبدلها بالتتابع اثناء نموه

ويتبين من النظر الى تناسل الحيوانات ان مقدار ذلك التناسل ـ على الاجمال ـ يزداد كلما قلت العناية بالنسل . نقول على الاجمال لان هذا الحكم لا ينطبق حتما على جميع الانواع بصورة حسابية ثابتة ولكنه صحيح على جملته . انظر الى الاسماك التي تترك بيضها بالالوف سابحاً في الماء من غير ان تعيره ادنى التفات فيموت منه كثير ويبقى كثير وقابلها بالجنس البشري وعناية البالغين منه بالاولاد (الذين يندر ان يتجاوزوا العشرة) طول زمن الطفولة يتبين لك المراد من قولنا المتقدم

ان اهمال اغلب انواع الاسماك لنسلها عظيم جداً لا يسع الانسان عنده الا ان تأخذه الدهشة من بقائه او بقاء بيضه حياً مع تعرضه لجميع الطوارئ . لا سيما وان كثيراً من بيضها تراه خالياً من كل غلاف يقيه الاخطار المحدقة به . غير ان منها انواعاً قليلة بيضها محاط بغلاف صلب يحميها . ومنها ايضاً انواع تعلق بيضها على فرع نباتة او في حفرة صخر او نحو ذلك ريثما ينمو ويكبر

والزحافات مثل الاسماك في اهمال نسلها ولكنها بدلاً من ان تترك بيضها في الماء تضعه في حفرة او شق . غير ان اهمالها اقل من اهمال الاسماك فانثى التمساح مثلاً تجمع بيضها في حفرة رمل ثم تردمها وتستقر عليها تترقب نمو صغارها داخل البيض فتقضي ثلاثة

اشهر على هذا الشكل وعند حلول الميعاد تكشف الحفرة وتشاهد اولادها خارجين من البيض ثم تغادر المكان وقد انهت مهمتها . ومعظم الحيات تضع بيضها في الرمل ايضاً

أما السلحفاة فانها تهيء المكان الذي تضع فيه بيضها فتحفره ثم ترش بولها عليه ثم تردم الحفرة بعد ان تضع فيها البيض

فنرى مما تقدم ان في الزحافات تبدأ العناية بالنسل في ابسط صورها قاصرة على جمع البيض ومراقبة الصغار بعد التفريخ مدة وجيزة

وهناك انواع قليلة من السمك (الذي اتهمناه بالاهمال) تفوق تلك الزحافات عناية .



خذ مثلاً نوعاً يعيش في مياه الولايات المتحدة (اسمه العلمي Alma Calva) فان انثاه تضع البيض في حفرة مستديرة تحفرها فلما يفقس ذلك البيض ينفق الذكر وقته في الاهتمام بامر الصغار ووقايتها منعاً لها من ان تضيع او تذهب فريسة لسمكة اخرى . وقس على ذلك امثلة كثيرة يطول بنا ذكرها . وانما نكتفي بان نذكر ان في بعض الانواع يفقس البيض في داخل جسم السمكة وينمو فيه الى ان يبلغ الدرجة التي يمكنه فيها ان يعيش وحده . والتوليد بهذا الشكل من خصائص ذوات الثدي

وهناك نوع من السمك يضع بيضه في داخل الصدف فيعيش طفيلياً على المواد الغذائية الموجودة فيه

وتتخذ كثير من الحيوانات اشكالا خاصة في طفولتها تختلف عن شكلها عند تمام نموها وقد يكون الفرق عظيماً جداً لا سيما في الحشرات . فمن يظن لاول وهلة ان الدودة والشرنقة والفراشة هي اطوار نمو حشرة واحدة ؟ ومن هذا القبيل ايضاً السرطان

والحيوانات ذوات القشر. ويمتاز السرطان بان غلافه الخارجي صلب. ولذا فهو يبدله غير مرة في أثناء نموه فيخلعه كلما ضاق عنه ويبقى عارياً مدة قصيرة ريثما يفرز جلده غلافاً آخر

غير ان عناية الوالدين تبلغ أرقى صورها في الطيور وذوات الثدي — الا شواذ قليلة في عالم الحشرات لا سيما النمل والنحل. فالطيور تربي صغارها تربيـة تامة وتعتني بامر اكلها فتجلب لها الطعام وتطعمها ريثما تنمو وتتقوى



مثال من عناية الام بصغارها

البطة البرية تحمي صغارها تحت جناحيها من الامطار والصواعق

ونختم هذا الفصل بأمر غريب وهو ان صغار الحيوان تكون عادة اصغر منه عند تام نموه ولكن هناك نوعاً من الضفدع يوجد في جنوبي اميركا يسمى الضفدع المستهجنة يبلغ طول صغارهـا ٣٠ سنتيمتراً بينما طول تلك الضفدع لا يتجاوز ٦ أو ٧ سنتيمترات وليس ادهش من ملاحظة ذلك الحيوان ينمو فيتقلص شيئاً فشيئاً الى ان يبلغ حجم الضفدع وسبب ذلك الاختلاف في الحجم ان صغير الضفدع (ابي ذنيبة) يحمل في جسمه كمية كبيرة من المواد الغذائية التي يقتات عليها الى ان يبلغ كامل نموه

قال احدهم :

زوجت البطالة بالتواني   فأولدها غلاماً او غلامه

فاما الابن لقبـه بفقر   وأما البنت سماها ندامه

العذاب في سبيل الجمال

في مجاهل افريقيا كما في باريس

قضي على المرأة التي تريد مجاراة البدع والازياء المستجدة (المودة) ان تحمل شيئاً من العذاب في سبيلها . تلك قاعدة تسري على باريس كما تسري على مجاهل افريقيا . وحسب الجنس اللطيف عذراً في ذلك انه انما يتحمل هذا العذاب تطلباً للجمال (او ما يعتبر جمالاً) — ومن شروط الجمال على ما يقال التنويع والتغيير

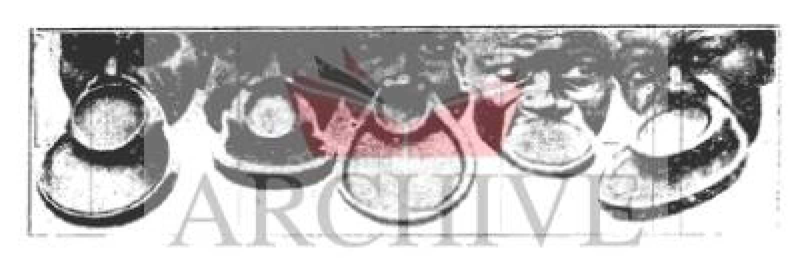


تفنن زنجي في نظم اللآلي واستخدامها للزينة

فالقبعات الثقيلة التي تحملها احياناً نساء العالم المتمدن على رؤوسهن والمشدات التي تضيقن بها خصورهن وصدورهن والاحذية الضيقة التي تضغط على ارجلهن وانواع الادهان والمسحوقات التي يتلفن بها وجوههن والشرائط والمصوغات و . . . الى آخر ما هنالك من مقتضيات الزينة والمودة (او سمِّها ان شئت صنوف العذاب) لها ما يقابلها او يقوم مقامها عند الزنجيات اللواتي لا يقل اهتمامهن بامر زينتهن عن اهتمام غانيات باريس

ان روايات السياح الدالة على اهتمام الشعوب المتوحشة بامر الزينة كثيرة جداً لا تقع تحت حصر وسنقتصر في ما يلي على امثلة منها . ولا يجب ان يبرح من ذهننا ان استهجاننا لعادات تلك الشعوب لا يقل عن استهجانها لعاداتنا وليس ادل على هذا الاستهجان المتبادل من صورة شهدناها تمثل زنجياً مع سائح اوربي وقد أخذت الدهشة الاول عند ما رأى الاكف في ايدي الاوربي وكان هذا يحملق بعينيه في مغرفة فضية كبيرة مربوطة على وسط الزنجي كالخنجر !

وفي مقدمة الآلام التي تحملها القبائل المتوحشة الوشم لا سيما وان معظمه عندهم من النوع البارز وليس فقط رسماً على الجلد . قال المصور كستلاني الذي كان مرافقاً لحملة الكولونل مرشان : « ان اغرب انواع الوشم التي شهدتها في افريقيا وشم قبائل البنجالا في الكونغو فان نساء تلك القبائل يزيّنّ وجوههنّ بصفٍ من الوشم البارز يمتد من مقدم الجبهة الى طرف الانف مكون من شبه لآلئ تبلغ غلاظتها سنتيمتراً تقريباً .



اسطوانات خشبية تعلق بالشفتين [illegible]

هذا فضلاً عن الرسوم المختلفة على الخدود . اما نساء قبائل السنغال فان جلد وجوههن شبيه بالجلد المشغول المزخرف لكثرة ما فيه من الوشم فضلاً عن الخطوط المتنوعة على ثديهنّ وصدورهن وظهورهن . وهذا الوشم يستدعي عذاباً اليماً ولكن النساء يحملنه بشجاعة تستحق الاعجاب . ومن النساء من يصنعن على جباههن خطوطاً أفقية وعمودية بمادة سوداء مؤلفة من الزيت وفحم القش . ومنهن من يبردن اسنانهن لفصلها بعضها عن بعض . وقس على ذلك طرقاً أخرى يستخدمنها رغم الالام المتأتية عنها بقصد الزينة فقط »

وقد اصبح صنع الوشم فناً قائماً بذاته وعملية الوشم تختلف شدة واهمية . فابسط صورها الوخز بالابرة واصعب اشكالها غمز مبضع او اسنان حديدية في اللحم بواسطة مطرقة كأن الجسم البشري حجر أو خشب يحتونه . وتكون العملية في هذه الحال خطرة تعرض صاحبها للموت . وقد وصفها أحدهم بقوله : يبدأ الجراح بتحديد

المكان المطلوب وشمه ثم يأخذ مبضعاً او قطعة صدف ذات أسنان محددة فيطرقها شيئاً فشيئاً في الجسم . وبعد ان ينشف الدم السائل من الجرح توضع المادة الملونة على اللحم بواسطة ريشة مغطسة في مزيج من الفحم والمنغنيز المذوبين في الماء

ويمتاز سكان جزر كارولين بانهم يرسمون على افخاذهم صور الجزر التي يسكنونها فكأنهم بذلك يحملون خريطة جغرافية معهم . اما نساء جزر ناهيتي فانهنّ يرسمن على افخاذهن اليمنى مربعات على شكل لعبة الدامة ويرسمن اشجاراً مختلفة على ايديهن وسائر اعضائهن ويبلغ حب الوشم بالبعض منهن انهن يرسمن قصة كاملة على جسمهن كتقديم ذبيحة او صيد حيوان اونحو ذلك

وقد زارت احدى السيدات (وهنّ أدرى من الرجال في فن الزينة) بلاد الكونغو ووصفت ما شاهدته فيها من أصناف الزينة فرأينا ان نقتطف من الكتاب الذي قصت فيه سياحتها ما يأتي :



امثلة من زينة الأنف

«يصنع اهل قبيلة باتيكيس من شعرهم وما يشدونه اليه من الجلود المقطعة شبه عمامة يضعونها على رؤوسهم كأنها تاج . اما قبيلة البودحبوص فرجالها يقلعون من اسنانهم القواطع العليا . ويخرقون آذانهم اليمنى ويعلقون فيها اشياء غريبة الشكل اغرب ما شهدته منها علبة حلويات كبيرة لا يستخف بثقلها. ولو كان لتلك العلبة لسان لكان اول ما تنطق به دهشتها من استعمالها بهذا الشكل ! اما نساؤهم فانهنّ يلبسن في اعناقهن ياقة من النحاس علوها ١٠ سنتمترات وهي اشبه بالغل منها بالياقة »

ولا يخفى ان السمن ليس مستحباً عند الجنس اللطيف على الاجمال ولهنّ في ازالته طرق شتى . فبينما بعض النساء الغربيات يشربن الخل لهذا الغرض نجد غانيات جزيرة جاوا يأكلن نوعاً من الطين الناشف يدخل فيه مواد تمنع الشهية للطعام . ولتلك العادة عندهن ضحايا كثيرة كما للمورفين والكوكايين ضحايا بين الغربيات لان المرأة منهن اذا تعاطت ذلك الدواء تعذرعليها الاقلاع عنه . ويسمى هذا الطين « امبو » ويباع في الاسواق كأنه من ضروريات المعيشة

ومن غرائب عادات بعض اهالي بيرو في اميركا لا سيما قبائل ايماراس انهم يضغطون رؤوس أولادهم بآلة خشبية بحيث تنمو مروّسة في أعلاها . وفي ملازيا يضغطون الانف ضغطاً شديداً حتى يتوقف نموه

أما في اواسط افريقيا فحدث عن غرائب العادات ولا حرج من حلقات وأسياخ وغيرها تعلق على الانف وأسلاك فضية مربوطة الى الشعر وأسنان مبرودة ومحددة . ولكن أغرب تلك العادات الاسطوانات الخشبية التي يعلقها بعضهم في شفاههم (انظر الشكل صفحة ٤٨٢)



الغازات الخانقة

يرى القارئ في الصورة المتقدمة — وهي من أثمن الصور التي شهدناها منذ نشوب الحرب — كيف يستعمل الالمان الغازات الخانقة قبل الهجوم . فعلى اليمين ثلاثة صفوف من الجنود الالمانية تحفز للهجوم على اثر افلات الجنود الامامين للغازات الخانقة من الانابيب المضغوطة فيه . ويتبين من طول ظل الاشخاص ان الصورة أخذت والشمس قريبة من الافق . ومصورهذه الصورة احد الطيارين الروسيين صورها وهو حائم فوق الصفوف الالمانية في الميدان الشرقي وقد نشرت لاول مرة في مجلة اسكرا (الشرارة) وهي ملحق اسبوعي لجريدة روسكي سلوفو الروسية

نابليون و بتسي

قصة تاريخية حدثت في جزيرة القديسة هيلانة

صدر في انكلترا في الربع الثاني من القرن التاسع عشر كتاب لاحدى السيدات الانكليزيات تدعى مسز ابل وصفت فيه جزيرة القديسة هيلانة ابان اعتقال الامبراطور نابليون بونابرت فيها وروت الحوادث الغريبة التي حدثت لها معه

وليس لهذه السيدة صورة نقدمها للقراء حتى يعرفوا من هي تلك التي احبها نابليون



نابليون يستهزئ ببتسي في سجنها (انظر صفحة ٤٩١)

في منفاه . ولم تصف لنا هي نفسها في مؤلفها المار ذكره شأن اكثر الكاتبات الا ان بعض الكتاب والمؤرخين الذين بحثوا في حياة نابليون قد اهتموا بوصفها فوجدوا انها كانت شقراء نحيفة الجسم جميلة الوجه لها عينان براقتان وقامة هيفاء وكان عمرها في سنة ١٨١٥ اربعة عشر ربيعاً ولكن هيئتها كانت تدل على انها اكبر من ذلك رغم الملابس القصيرة التي كانت تلبسها . اما اسمها فكان اليزابت او « بتسي »

وكان والدها المستر جيمس بالكومب يسكن جزيرة القديسة هيلانة منذ عشر سنوات ويشغل وظيفة وكيل شركة ملاحة الهند وكان يتعاطى حرفاً اخرى شتى مثل اعمال

البنوك وتوريد لوازم السفن ونحو ذلك . وكان هذا الرجل مهذاراً خفيف الروح ذو مكانة وصولة عند كبار موظفي الجزيرة وسائر سكانها وكان رؤساء البحرية الانكليزية ينزلون عنده في اثناء مرورهم بالجزيرة لانه علاوة على الحرف المذكورة سابقاً كان لديه فندق يأوي اليه السائحون وكان هذا الفندق قائماً في وسط حديقة غناء فسيحة الارجاء على مقربة من منزله

وكان المستر بالكومب في اول امره وحيداً في الجزيرة بعيداً عن اهله وعائلته ثم وافته اليها زوجته مع ابنتيها جني وبتسي وكانت جني اكبر من اختها سناً رزينة هادئة الطبع بخلاف بتسي التي كانت تقضي نهارها في اللعب والركض على الحشيش والازهار وقلما كانت تعير دروس والدتها التفاتاً . غير انه كان لها المام قليل باللغة الافرنسية وكانت تجيد الرقص والغناء والضرب على الآلات الموسيقية . قيل انها كانت تسحر لباب سامعيها وتسبي عقولهم لدى توقيعها بلطف ودلال على القيثارة

خبر شؤم اوقع الرعب في القلوب

وكان اهالي الجزيرة يجهلون كل الجهل الحوادث الخطيرة التي طرأت على أوربا في خريف سنة ١٨١٥ — كانوا يجهلون مغادرة نابليون لجزيرة البا قرب سواحل ايطاليا الغربية حيث كان منفياً ورجوعه الى فرنسا وتقلده زمام الملك فيها بعد فرار لويس الثامن عشر وان ممالك اوربا اتحدت وتعاقدت لمحاربته فحملت عليه حملتها الاخيرة وكسرته شر كسرة في موقعة واترلو . ففي اوائل شهر اكتوبر من تلك السنة قدم الى الجزيرة ضابطان انكليزيان حاملين تلك الاخبار المدهشة التي لم يستطع تصديقها المستر بالكومب وسائر سكان الجزيرة لشدة غرابتها . وكانت بتسي تصغي الى حديثهم فعرفت ان بونابرت اصبح اسير انكلترا وان ممالك اوربا حكمت عليه بالنفي وانه واصل بعد قليل الى الجزيرة ليقضي فيها البقية الباقية من حياته

ولم يكن لبتسي ادنى معرفة بالتاريخ وكل ما كانت تعلمه من نابليون هو ان له عيناً في جبهته يتطاير منها الشرر وانياباً طويلة مخيفة مثل الوحوش الضارية وانه يأكل الاولاد وان فظاعته فاقت بكثير فظاعة اكبر اللصوص المذكورين في قصص الاولين وخرافات السنين الغابرة وانه سود التاريخ باعمال شنيعة لا تحصى . وتلك الاحاديث كانت شائعة وتنتشر بين جميع البنات الانكليزيات اللواتي من سن بتسي . فلا غرو اذا دهشت بتسي دهشة شديدة عندما رأت والدها يقابل ذلك الخبر برباطة جأش وسكون تام مما زاد اعتقادها بشجاعته وقوة بأسه

وفي اليوم التالي ركب المستر بالكومب زورقاً قاصداً البارجة « نورثمبرلند » التي كانت تقل نابليون ورفاقه . فتساءلت بتسي والخوف ملء قلبها عما اذا كان والدها يمكنه العودة الى الجزيرة بعد مقابلة ذلك الوحش . وقد فاقت دهشتها خوفها عند ما رأته عائداً صحيحاً سليماً فاستقبلته ببهجة مسرورة وبادرته بهذا السؤال : «هل رأيته يا والدي وكيف هو ؟ » فاجابها بانه لم يفز بلقياه وان قبطان البارجة قدمه الى بعض افراد بطانته منهم مدام برتران ومدام ده مونثولون فهدأ خاطرها قليلاً . اما بونابرت فكان قد تقرر انزاله الى الجزيرة عند المساء واخذه الى منزل في جيمس تاون يسكن فيه مع حاشيته ريثما يتم ترميم بيت قديم في لونجود ينتقل اليه بعد ذلك . وقد وقع اختيار اولي الشأن على هذا البيت لانه في الجهة الوعرة من الجزيرة

ولما حانت ساعة الغروب اخذ المستر بالكومب عائلته الى الميناء حيث كان اهالي الجزيرة في انتظار بونابرت . قالت المسز ابل في مذكراتها انها لم ترَ شيئاً يذكر في ذلك اليوم لشدة خوفها من الغول ولا تذكر الا انها ابصرت زورقاً صغيراً يقل ثلاثة اشخاص منهم الاميرال كوكبورن والمارشال برتران وبينهما رجل ثالث لم تتبينه لظلام الليل وللخوف العظيم الذي استولى عليها ولكنها رأت على صدر ذلك الرجل بين طيات ردائه الطويل نجماً ساطعاً من الالماس يلمع كالبرق

ورجعت بتسي في ذلك المساء الى بيتها قلقة نادبة حظها وحظ سكان الجزيرة فكانت تقول في نفسها « لقد فات وقت النعيم وآن وقت الجحيم بحضور هذا الرجل . اني لن اعود أخرج الى الحديقة خوفاً من لقائه » وحلمت بتسي طول ذلك الليل احلاماً مخيفة رهيبة

المقابلة الاولى مع الغول

وفي صباح اليوم التالي اخذ الغول يبحث في الجزيرة وكان بالكومب وعائلته مختبئين وراء حاجز منيع من الاشجار ينظرون اليه بمنظار عن بعد وكان يلبس قبعة خاصة تميزه عن سائر الاهلين . فرأوه ممتطياً جواده على طريق لونجود وبجانبه بعض رجاله . وفي الساعة الرابعة بعد الظهر عاد مع رفاقه في طريق جيمس تاون وشاهدتهم بتسي واقفين عند ملتقى طريق المدينة بالطريق المؤدي الى منزلها . وبعد مداولة قصيرة عرج نابليون واصحابه على فندق بالكومب فخافت بتسي خوفاً شديداً وصارت تصيح صياحاً عالياً وركنت الى الفرار الا ان والدها امسكها وتقدم بها نحو الفرسان وكانوا قد وصلوا ونزلوا جميعاً عن جيادهم الا نابليون

فبددت بتسي عزمتها ورمته بنظرة ملؤها الرعب . وكان مرتدياً ثوباً ازرق وفي

صدره ذلك النجم اللامع وبردعة جواده من الديباج القرمزي الموشى بالذهب . وكان جواده الاسود ذلك الجواد الذي جاب ساحات القتال والنصر حليفه والذي تحدث عنه الشجعان وحسده الفرسان وتناشده الشعراء — يعض اللجام مضطرباً والزبد يتدفق من فمه كأنه يتمنى العودة الى ساحات الوغى

نزل نابليون عن جواده فقدم له الاميرال كوكبورن المستر بالكومب وابنته لجلالة الامبراطور وبعد ان اظهر اعجابه بموقع منزل بالكومب تناول مقعداً كان هناك وجلس عليه

فاخذت بتسي تنظر اليه طويلاً وتتأمل فيه ملياً فاخذت تزول مخاوفها شيئاً فشيئاً بل انها اصبحت شديدة الاعجاب به . قالت: لم أكن اظنه قبل مشاهدته انساناً كسائر الناس ولكني بعد ان رأيته اعجبت بجماله وهيبته وكان يعلو وجهه شيء من الاصفرار ودلائل الثبات والعزيمة بادية على وجهه تبعث في قلب الناظر اليه عاطفة الحب مع الوقار . وكان يبتسم من وقت الى آخر ابتسامة جذابة اما عيناه فقد كان الشرر يتطاير منهما وكان شعره الضارب الى السواد ناعماً مثل شعر الاولاد وله صوت يأخذ بمجامع القلوب . وكان يخاطب الحاضرين بكل بساطة وبشاشة واظهر اعجابه بحديقة بالكومب ثم اعرب عن ميله الى اتخاذ الفندق مسكناً له وطلب ان تضرب له خيمة في الحديقة . وبينما كان الخدم يقومون بهذه المهمة جلس على الحشيش وطلب الى بتسي الصغيرة ان تجلس بجانبه

وكان قد هدأ خاطرها وزالت مخاوفها فسألها هل تعرف اللغة الافرنسية فاجابته والخجل يعلو وجهها ان نعم . ثم القى عليها بعض الاسئلة في علم الجغرافيا فدارت بينهما المحاورة التالية

— ما هي عاصمة فرنسا

— باريس

— وعاصمة ايطاليا

— روما

— وعاصمة روسيا

— الان بطرسبورج وكانت موسكو العاصمة سابقاً

وعندما سمع نابليون اسم موسكو هب واقفاً ونظر اليها بنظره الحاد وسألها بلهجة شديدة : — وهل تعرفين من أحرقها ؟

فرجعت اليها مخاوفها عندئذ وأدركت ان ذلك الرجل الذي تحادثه كان رب العالم

وملك الملوك فاحست بضعف شديد ولكنها تمالكت نفسها واجابته :

— لا أعلم يا سيدي من هو

فضحك منها وقال لها : — بلى انك تعرفينه تمام المعرفة . هو انا

فلما رأته يضحك لها هدأ روعها وشددت عزيمتها وقالت :

— اظن ان الروس هم الذين احرقوا المدينة لطرد الجنود الافرنسية من بلادهم

فاعجبه جوابها وضحك ثانية ثم امسك يدها وتمشى معها قليلاً في الحديقة

وبعد ان تناول نابليون طعام العشاء قصد منزل بالكومب لتمضية ساعة من الزمن ولم يكن في ذلك المنزل من يعرف الافرنسية سوى بتسي فجلس اليها يحادثها ويسألها عن دروسها واخيراً طلب منها ان تسمعه قطعة من الموسيقى فتناولت آلة الطرب ووقعت عليها لحناً يتغنى به السكتلنديون فقاطعها نابليون قائلاً : « اني لا استحسن كثيراً هذه القطعة ومع ذلك فاني لا اعتقد بانه يوجد احسن منها في كل الموسيقى الانكليزية وهي احقر موسيقى في العالم. ولكي ابرهن لك على ذلك فسأسمعك دور ليمش هنري الرابع » ثم وقف واخذ يغني ذلك الدور . وبعد ان فرغ سأل بتسي عن رأيها فلم تخف استخفافها بصوته وقالت له : ليس في هذه القطعة شيء يستحسن مطلقاً . فضحك نابليون وانصرف مودعاً

غول لا يخشى بأسه

لم تعد بتسي تخاف هذا الغول وكانت في صباح كل يوم عندما تهب من النوم تذهب الى الفندق حيث كان يقيم نابليون وتدخل عليه بدون استئذان رغم الحجاب . وكثيراً ما كانت تلقاه يتحادث مع الكونت لاس كازاس فتقاطعهما وتلهيهما وكانت احياناً تبعثر الاوراق الموجودة على مكتبته وتجبره على الخروج معها الى الحديقة — كل ذلك ونابليون يضحك لها طرباً مسروراً . وكانت تماكسه بلا انقطاع فاذا اراد الجلوس اضطرته الى الركض او اراد الكلام منعته عنه وكثيراً ما كانت تأمره فيطيع اوامرها صاغراً . ان هذا الرجل العظيم الذي كان يخشى ان يضيع دقيقة واحدة من وقته سدى اصبح بصحبة بتسي ولداً يلعب ويضحك ناسياً منفاه ومصائبه

واصبحت بتسي لا تحفل به ففي ذات يوم اخذته الى جهة من الحديقة يشتغل فيها عبد من اهالي جزيرة سومترا وقع في شرك تجار الرقيق فباعوه في جزيرة القديسة هيلانة الى المستر بالكومب فقدمته الى العبد . وكانت تسر كثيراً بان تجمع بين هذين

الاسيرين لتسمعهما يتحادثان سوية . وكثيراً ما كان يجزل نابليون العطاء الى هذا المسكين الذي آنس في مخاطبه رجلاً عظيماً بدون ان يعرفه . وكان العبد يقص عليه احزانه وشجونه العديدة ونابليون يخفف عنه آلامه باطيب العبارات

وكانت بتسي اذا رأت ان المحادثة قد طالت تطرد العبد وتأمر نابليون ان يقتفي أثرها فيفعل صاغراً مطيعاً

وبعد قليل من الزمن اصبح هذا الرجل العظيم كلا شيء في عين بتسي بل كانت تزدريه وتهينه . وكان لديها العوبة تمثل نابليون بونابرت يصعد سلماً عالياً ترمز كل درجة منه عن مملكة من الممالك الاوربية وعند ما يصل الى اعلى السلم ويجلس على الكرة الارضية كلها تزل قدمه ويقع الى الاسفل — في جزيرة القديسة هيلانة . وكانت هذه الالعوبة شائعة بين الانكليز في ذلك الحين ولم يكن نابليون يحقد منها عند تهكمها عليه بها . وفي ذات يوم اخبرته ان لها صديقة تدعى ليج تخاف من غول كورسيكا الى درجة الجنون حتى انها لم تعد تزورها لتتجنب ملاقاته فطلبت اليه ان يدبر معها مكيدة لصاحبتها هذه . فصار الاتفاق بينهما على ان تذهب بتسي لتأتي بمس ليج وان يظهر هو لهما بصورة حيوان ضاري ويهجم على الزائرة . وفي اليوم المعهود اتت مس ليج لتزور صاحبتها فخرج اليهما نابليون وهما في الحديقة وكان قد أشعث رأسه وحملق عينيه وكشر عن أنيابه فهجم على الفتاة فاستولى عليها رعب لا مزيد عليه واخذت تصرخ صراخاً هائلا ووقعت على الارض مغمى عليها . فسر نابليون لنجاح عمليته واراد ان يجربها مع بتسي . فزاد في تشنيع هيئته وهجم عليها هجمة الحيوان الكاسر فضحكت بتسي من شكله فاستجمع الامبراطور كل قواه وصرخ صرخة مزعجة ولكن بتسي كانت كلما رأته يجهد نفسه في تخويفها تعلو قهقهتها . تلك هي المرة الوحيدة التي اظهر فيها نابليون استياءه منها وغضبه عليها لفشله في تخويفها

من حفر حفرة لاخيه وقع فيها

ولكن بتسي بالكومب لم تكن لتأذن له ان يغضب عليها وكانت تعرف كيف تنتقم منه مرت على الحادثة المتقدم ذكرها بضعة ايام لم يظهر الامبراطور في خلالها عطفه السابق نحوها فدبرت له مكيدة واغتنمت فرصة وجوده في الحديقة قريباً من بركة اعتاد الجلوس على شاطئها فاتت بكلب ضخم للاميرال كوكبورن كان يحب الاستحمام فجعلته ينزل في البركة وحالما غادر الماء نادته قريباً من نابليون فانتفض الكلب بشدة وامطره ماء ووحلا ثم اقترب من نابليون واخذ يتمسح به . كل ذلك وبتسي تضحك طرباً لما نال صاحبها

ولما وصل خبر هذه الحادثة الى المستر بالكومب غضب على ابنته غضباً شديداً وامر بسجنها مدة اسبوع في غرفة صغيرة كانت مخزناً للمشروبات فقابلت بتسي هذا الحكم في بادىء الامر بدون اكتراث ولكنها عند ما اتضح لها ان سجنها يأوي فيراناً كثيرة اكتنفتها من كل جانب تولاها الذعر وندمت على ما فعلت . ولكي تتخلص من هجوم الفيران المتواصل اخذت ترميها بزجاج النبيذ الواحدة تلو الاخرى . ودامت تلك الحرب طول الليل

ولما بزغ الفجر اخذ اليها العبد طعام الصباح فوجدها ملقاة على الارض سابحة في بحر من النبيذ وقد اسكرتها رائحته

واظهر الامبراطور اسفه الشديد واستياءه من هذا العقاب الصارم فاطلق سراحها وقد أعجب كثيراً بالطريقة التي دافعت بها عن نفسها وأثنى على شجاعتها

وبعد مدة قصيرة فعلت بتسي مع صديقها ما استوجب سجنها ثانية فسجنت في غرفة أخرى لا نبيذ فيها فكان نابليون يتردد الى السجن ويجلس أمام نافذتها يشاطرها الحديث تارة ليخفف عنها ألم السجن وأخرى يقلد حركاتها ضاحكاً مستهزئاً

هكذا كان نابليون بونابرت ذلك الرجل العظيم الذي ملك العالم أنسته تلك الفتاة الضئيلة سجنه بل أنسته نفسه ولكنها في الوقت ذاته أنسته بعض أحزانه وآلامه

قصة ثوب حفلة الرقص

أرسلت مس بتسي بالكومب يوماً تدعو نابليون بونابرت اليها فلبى دعوتها للحال فارته ثوبها الجديد المعد لحفلة الرقص التي عزم على اقامتها الاميرال كوكبورن فاعجب الامبراطور بصنعه وامتدحه

وبعد محادثة قصيرة طلبت اليه أن يلعب معها لعبة الورق وكان الرهن عشرين فرنكاً اذا غلبته وعشرة فرنكات اذا غلبها هو . ولما كانت هذه القيمة كل ما تملكه بداها اخذت تلعب بحذر شديد والخوف باد على محياها . الا انها بعد قليل اوقفت غريمها متلبساً بجريمة الغش فاحتجت عليه وقالت انها لن تدفع له شيئاً اذا خسرت . فضحك نابليون ورمى بالورق فاستاءت من ذلك وسبته فسبها وعلت اصواتهما . والح نابليون على غريمته بان تدفع الرهن فرفضت فقام نابليون عندئذ واختطف ثوبها وولى هارباً فركضت وراءه ولكنه سبقها الى الفندق وأقفل الباب في وجهها

ولما تحققت ان نابليون لن يرد الثوب اليها أخذت تصيح وتناديه من الخارج ولكنه لم يجب عليها فبكت وسبت وتوعدت من غير جدوى . ولما عيل صبرها رجعت بخفي حنين

ساخطة على الامبراطور وعلى الساعة التي عرفته فيها

وبعد مدة وجيزة أرسل اليها نابليون رقعة من الورق كتب فيها أنه عازم عزماً اكيداً على ابقاء الثوب عنده وعزاها عن الليلة الراقصة التي لن يتسنى لها حضورها . فثار غضبها ولم يغمض لها جفن طول الليل وهي تفكر في ذلك الرجل الجهنمي قائلة في نفسها : حقاً انه يستحق النفي بل الموت وقد فهمت الان السبب الذي جعل دول اوربا تكرهه وتعقته الى هذا الحد

ولما بزغ الفجر عادت اليها بعض الامال فقصدت الفندق وطلبت الدخول فمنعها الحاجب قائلا ان جلالته لا يزال نائماً . وظل نابليون محتجباً عنها طول ذلك النهار

وبلغ غيظها الدرجة القصوى في المساء اذ رأت امها وأختها تتأهبان للذهاب . وبعد قليل أتت العربة لتقلهما الى منزل الاميرال فطار عقلها . وبينما كانت المسز بالكومب وابنتها تهمان بالركوب حضر نابليون حاملاً ثوب بتسي مزداناً بالازهار فقدمه اليها قائلاً : ها هو ثوبك ايتها الانسة اللطيفة فالبسيه واذهبي بسلام محفوظة بعناية الله واني اتمنى لك ان تمضي ليلة سعيدة

مداعبة غليظة

ولم تكن هذه الحادثة الا لتمكن العلائق الودية بين نابليون وبتسي غير ان الحرية التي كان يمنحها اياها افسدتها وجعلتها تتطاول عليه

ومما روته في مذكراتها ان نابليون اراها يوماً سيفا بديعاً له غمد موشى بالذهب وقبضة محلاة بالحجارة الكريمة فاستأذنته بفحصه عن قريب فاذن لها فشهرته للحال وهجمت عليه فتراجع القهقرى وبقي يتقهقر الى ان حصرته في زاوية القاعة فقالت له « أطلب من ربك ان يغفر لك مساوئك لانك ميت لا محالة » فارتعب الكونت لاس كازاس (رفيق نابليون في منفاه) وخاف عليه . اما نابليون فكان يضحك ويستهزئ بها

وكانت هذه الحادثة وامثالها تقلق راحة حاشية الامبراطور فكانوا جميعاً ناقمين على تلك الفتاة ولا سيا لاس كازاس

وفي ذات يوم رأت بتسي نابليون منشغلا عنها بالكتابة فاسقطت على يده دهن شمعة سائحة فاحرقت يده ولم تكتف بذلك بل هجمت على الاوراق وبعثرتها ومزقت منها ما وصلت اليه يدها . وكثيراً ما كانت تتعدى على ابن لاس كازاس وتشتم الاميرات والامراء الذين كانوا في حاشية نابليون ولم يكن يجسر احد ان يمد لها يداً بمكروه

وورد في مذكراتها ان نابليون خرج مرة من الفندق قاصداً النزهة وتبعه بعض

رجاله ومعهم بتسي وأختها جني . وكان الجميع سائرين الواحد تلو الاخر في طريق ضيق منحدر . وكانت بتسي تسير في مؤخرتهم فوسوس اليها شيطانها ان توقع فيهم الذعر فارتمت على اختها ودفعتها الى الامام فتساقط الجميع الى الارض الواحد بعد الآخر وفي جملتهم نابليون وأصيب بعضهم برضوض . فحنق لاس كازاس ولم يتمالك غضبه فامسك الفتاة واخذ يضربها فاستغاثت بنابليون فخلصها منه ثم امرته ان يمسك الكونت حتى تتمكن هي من ضربه فامتثل لامرها وظلت تصفعه على خديه وتخدشه باظافرها الى ان طلب منها العفو ! . فليتأمل القارئ

الختام

ولم تدم هذه الحالة طويلاً فان نابليون ترك فندق بالكومب عملاً بامر حاكم الجزيرة الذي اخذ يضيق عليه فبكت بتسي لفراقه بكاء مراً

وكان بيت نابليون في لنجود واقعاً في جهة غير مأهولة والطريق اليها وعر جداً فلم يتيسر لبتسي أن تزور صديقها الا نادراً ولم يكن في استطاعة الامبراطور مغادرة لنجود لانه كان كلما تجاوز بيته يرى الحارس الانكليزي مقتفياً خطواته فاثر ذلك في نفسه وفضل العزلة في سجنه على مشاهدة الجواسيس تحيط به من كل صوب

اما بتسي فشبت وازدادت جمالاً وكثر عشاقها حتى اصبح سكان الجزيرة لا يلهجون الا بها . فلما بلغت هذه الاخبار نابليون اسف اسفاً شديداً

وكان هدسون لو حاكم الجزيرة يعرف صلة نابليون بعائلة بالكومب فضيق على هذا الاخير واضطره الى مغادرة الجزيرة نكاية بالجنرال بونابرت (وقد كان معتاداً ان يدعوه بهذا الاسم) فسافر الى استراليا

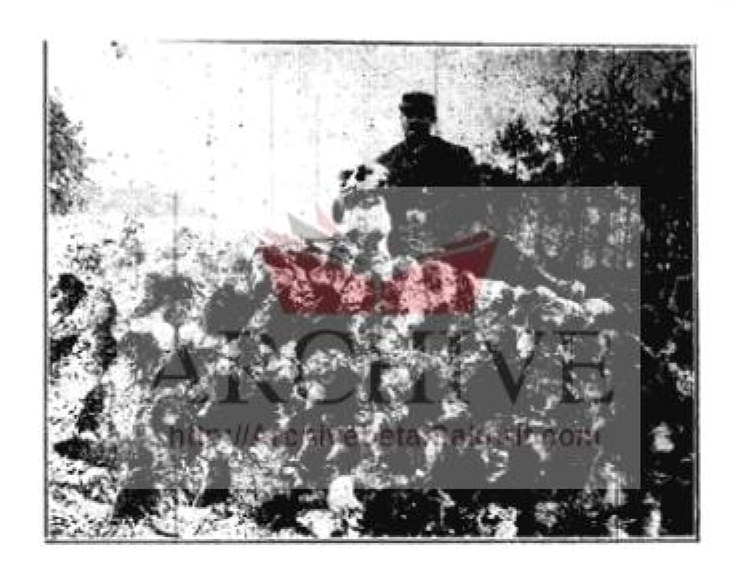
وتزوجت بتسي بعد ذلك المستر اربل فرزقت منه فتاة ثم توفي زوجها فابحرت الى انكلترا في سنة ١٨٣٥ واقامت في لندن وعاشت بتسي او المسز اربل بعد ذلك عيشة فقر وتعاسة ونالها من نكد الدنيا ما حبب اليها الموت وكانت كلما مر بها الزمن تزداد تفكيراً بذلك الذي ملك العالم وكان لها اطوع من البنان

ومات نابليون في سنة ١٨٢١ بعد أن قاسى صنوف العذاب في جزيرة القديسة هيلانة . وبعد مضي عدة سنوات من ذلك التاريخ احتفلت فرنسا بنقل بقاياه الى الانفاليد حيث لا تزال الى الآن . فاصدرت المسز اربل مذكراتها واعيد طبعها غير مرة . الا ان هذا الكتاب لم يغنها فظلت فقيرة الى ان تولى نابليون الثالث عرش فرنسا فمنحها اراضي واسعة في الجزائر . وماتت بتسي بالكومب في سنة ١٨٧٢

محاربة الفيران

في الخنادق

ما برحت الفيران منذ اقدم الازمنة عالة على الناس يقاتلونها بكل ما تيسر لديهم من الوسائل . وقد زاد النفور بل الخوف منها بعد ما اثبته الاطباء من نقلها لميكروب الطاعون لا سيما بواسطة البراغيث التي تعيش على جسمها حتى ان كثيرين من الباحثين اهتموا بدرس طرق ابادتها من السفن و الموانئ والمخازن حيث تفتك بالبضائع وبالناس فتكاً ذريعاً



كلب ماهر في صيد الفيران وتحته غنائمه الحربيه

وقد اصبحت مشكلة الفيران في مقدمة المسائل المطروحة اليوم على بساط البحث في الصحف الاوربية نظراً لتفشيها بكثرة هائلة في ميادين القتال حتى ان الجنود يعدون الفيران والقمل والبرغش اصعب مراساً واشد وطأة من الاعداء في بعض الاحيان . ولا يقتصر ضرر الفيران على قرض الملابس واتلاف المأكولات على انواعها بل انها تتجاوز ذلك الى افتراس جثث القتلى . ومن ثم خطر نقل الميكروبات الى الجنود لان الفيران كثيراً ما تعضهم في ساعة رقادهم او غفلتهم . ولا شك ان الوسائل المعروفة لمحاربة الفيران كافية لتطهير الخنادق منها اذا استعملت بطريقة منتظمة متواصلة . وقبل ذكر طرق محاربة تلك الحيوانات لا بد لنا من درس طبائع الفيران

طبائع الفيران

ليس هذا مكان الافاضة في انواع الفيران وتقسيمها علمياً وانما نريد ان نذكر اهم طبائعها فنقول : ان الفيران على اختلاف انواعها واقسامها متصفة بالتناسل الغزير فان الانثى منها تبدأ بالولادة بعد ثالث شهر من عمرها وتلد غير مرة في السنة الواحدة وتضع في كل مرة عدداً يتراوح بين ٩ و١٨ حسب الانواع . فنرى من ذلك كيف ان عدداً قليلاً من الفيران يتحول الى جيش عرمرم في مدة وجيزة . ومن حسن الحظ ان للفيران اعداء كثيرين من الحيوانات تصيدها وتفترسها فضلا عن كونها تأكل بعضها بعضاً اذا ضاق بها العيش

ونظراً للاضرار الناشئة عنها كان الاقدمون يعدونها من ظواهر غضب الله اوالالهة . ويظن ان بعض انواع الفيران قدمت الى اوربا مع نزوح الشعوب البربرية اليها والبعض الاخر جاء مع الصليبيين من الشرق عند رجوعهم الى اوربا . ولا يخفى ان الفيران على انواع منها الفيران البيتية التي لا تتغذى الا من الحبوب والفيران البرية التي تأكل كل ما يقع تحت ايديها من المواد بلا تمييز . ومن هذا النوع الفيران المتفشية اليوم في الخنادق . وكثيراً ما تحدث الفيران البرية اضراراً عظيمة للزراعة . وهي تسكن حفراً مستطيلة متسعة اتساعاً عظيماً ذات ابواب وغرف ودهاليز لا نهاية لها . وقد حسب معهد بستور في باريس قيمة الخسارة التي لحقت المقاطعات المتفشية فيها الفيران بنحو ٨٠ مليون فرنك من سنة ١٩٠٤

طرق ابادتها

تفنن الناس منذ قديم الزمن في طرق ابادة الفيران فاستنبطوا فخاخاً مختلفة الشكل لهذا الغرض لا بأس بها اذا كان القصد ابادة عدد قليل من الفيران . وفضل آخرون تربية بعض الحيوانات على اصطيادها ومطاردتها كالكلاب والهررة والبوم وغيرها . وتمرن كثيرون من الرجال على اصطيادها بانفسهم فبرزوا في هذا الفن . الا ان جميع تلك الطرق تأثيرها محصور وموقت

اما في الخنادق والحقول حيث المطلوب ابادة جنس الفيران فلا تكفي تلك الوسائل لهذا الغرض . وقبل ان نبدأ بوصف الطرق الفعالة التي اتخذت الجيوش المحاربة في استعمالها للفتك بالفيران لا نرى بدأ من ذكر بعض التعليمات لاستعمال المصايد والفخاخ . فأول قاعدة يجب مراعاتها هي احراق شيء فيها لتطهيرها وازالة رائحة الفيران التي تكون قد اصطيدت فيها او رائحة الايادي البشرية التي امسكتها لان الفيران شديدة الحذق

والحذر . ويستحسن بلّ المصيدة بالابالانيسون (اليَنسون) لان الفيران تحب رائحته .
ويجب ايضاً وضع طعام جذاب في المصيدة كقطعة لحم او قليل من الحبوب او نحو ذلك

ونرجع الان الى وصف طرق ابادة الفيران بالجملة فنقول ان اهم الطرق :
السمم والغازات الخانقة والمكروبات المرضية

﴿ ١ — السموم ﴾ يجب عند استعمال السموم الاحتراس التام من اصابة انسان اوحيوان غير الفيران . وفي مقدمة تلك السموم نذكر الزرنيخ ولكن استعماله خطر جداً ولهذا السبب فانه لا يستعمل اليوم الا نادراً . ومنها ايضاً كربونات الباريوم وهو يمزج عند استعماله بالطحين او العجين بنسبة ٥ في الالف . ومنها ايضاً الفوسفور المذوب في العجين . ومنها الجوز المقيء الذي يقتل الفيران بفعل مادة الستركنين الداخلة في في تكوينه . ويفضلون على هذا الاخير اليوم خلاصة بصل العنصل ومزيته انه لا يؤذي غير الفيران حالة كون السموم الاخرى تضر كثيراً من الحيوانات

وهناك مواد غير سامة في حد ذاتها الا انها تحدث اختلالاً كبيراً في وظائف المعدة عند ابتلاعها بفعل الاتحاد الكيمي منها الاسفنج المسلوق

﴿ ٢ — الغازات الخانقة ﴾ اذا اهتدى الانسان الى مقر الفيران يمكن خنقها بتوليد غازات او ابخرة سامة عند مدخل حفرتها . وفي مقدمة المواد المستعملة لهذا الغرض كبريت الكربون ويكفي ان يوضع منه قليل في الحفرة لقتل من فيها . ويمكن ايضا توليد غاز الاستيلين لهذا الغرض على نحو توليده لانارة فوانيس الدراجات والاوتوموبيلات

﴿ ٣ — المكروبات ﴾ ان اساس هذه الطريقة تفشي بعض المكروبات المرضية في الفيران بحيث ينتقل المرض بينها ويقتلها . ولعل هذه الطريقة أنجع الطرق وقد اهتم بهذا الموضوع الدكتور دانيز الملحق بمعهد باستور الشهير في باريس فوجد باشيلساً شبيهاً بباشيلس الباراتيفويد B وباشيلس الالتهاب المعوي شديد الفتك بجميع انواع القوارض لا سيما الفيران فانها لا تعيش بعد اصابتها به الا بضعة ايام . ومنها انواع تحمله بضعة أسابيع وفي كلا الحالين موتها محتم

وكيفية استحضار الباشيلس طويلة لامحل لذكرها هنا . وهو يجهز الآن في مستشفى باستور المتقدم في سائل يرش على الشوفان الذي تستطيبه الفيران . فالباشيلس ينتقل الى الفارة عند اكل الشوفان وبما ان الفيران تأكل جثث الموتى منها فهذا مما يساعد على تفشي المرض بينها

الا ان هذه الطريقة يخشى استعمالها في الخنادق لان الباشيلس المذكور شبيه بباشيلس

التيفوئيد وقد يكون له بعض التأثير في صحة الجنود لاسيا مع ما هم عليه من الجهد والتعب المتواصلين . وقد اتفقت الاراء اخيراً على استعمال خلاصة بصل العنصل لهذا الغرض (Scille) . ولا بد في محاربة الفيران من استعمال الخدعة لانها شديدة الحذر فيجب تعويدها الاتيان الى مكان معين شيئاً فشيئاً حتى يكثر عددها تدريجاً ثم يعطى لها الطعام المسمم فتموت كلها

وقد الفت الادارة الصحية في الجيش الفرنسوي فرقاً من الرجال مجهزين بما يلزم لمحاربة الفيران . وقد حسبت ان اربعة من الرجال يكفون لتطهير ٥٠٠٠ متر من الخنادق في يوم واحد


ПРИКАЗЪ
АРМИИ И ФЛОТУ
23 августа 1915 года

منشور تاريخي

في ٥ سبتمبر الماضي امضى جلالة قيصر روسيا القرار الذي تقلّد بمقتضاه قيادة الجيوش الروسية بنفسه . الا ان القيصر لم يكتف بامضاء المنشور الرسمي المكتوب بالآلة الكاتبة وفحواه « قد تقلدت اليوم قيادة القوى البرية والبحرية الموجودة في ساحات القتال » بل زاد عليه بخط يده « بايمان قوي في المحبة الالهية وثقة تامة بالنصر النهائي سنقوم بالواجب المقدس الذي يقضي علينا بالذود عن وطننا الى النهاية حتى لا تدنس الارض الروسية »

طبع المؤلفات العربية

وقانون حمايتها

قامت الصحف العربية على أثر خطاب الاستاذ بولا كازيللي حول هذا الموضوع تناقش حضرته انحراف رأيه وتبين ضرورة وضع قانون لحماية المؤلفات العربية قديمة كانت أو حديثة من عبث الناسخين وطمع الوراقين حرصاً على نفاسة هذه الكتب وحفظاً لحقوق الكتاب والمؤلفين

ولما كان عظامة مولانا السلطان قد بشرنا بان حكومته السنية ستصدر قانونا لحماية الحقوق الكتابية والفنية ، وكان هذا الموضوع متشعباً لا تلم به مثل هذه المقالة رأيت ان اخصص هذه الكلمة ببيان ما يلزم لطبع مؤلفاتنا القديمة وكيفية نشرها وما يعتري طبعاتها القديمة من النقص الذي يقلل الاستفادة من هذه الكنوز النفيسة التي تركها لنا السلف مما يشوه نهضتنا الحاضرة . واليك الكلام على ما يلزم لذلك :

﴿ أولا ﴾ اهم ما يلزم لنشر هذه الكتب الثمينة أن نتوخى الجهد في تنقيحها فيكون غرضنا في ذلك أن ننشر الكتاب كأنه صادر عن المؤلف نفسه أعني تصحيح ما ورد فيه من الاغلاط أو التغيير أو النقص الذي سببه الناسخ بمرور الزمن . وهذا لا يتيسر الا بجمع كل ما يمكن الحصول عليه من النسخ الخطية الموجودة في المكاتب ومراجعة بعضها على بعض وهو ما يسمى عند الافرنج « بعائلات النسخ » ولهذا البحث تفصيل كبير لا يمكن استيفاؤه في مقالة واحدة فان لمقابلة عائلات النسخ ومراجعتها أساليب كثيرة متنوعة يتبعها المستشرقون في طبع مؤلفاتنا ومؤلفاتهم القديمة . من ذلك البحث عن نسخ الكتاب التي امكن الحصول عليها وعن ترتيبها الزمني وهل هذه النسخ العديدة متساوية الصحة وكلها متفقة على رواية واحدة ام هي مستقلة بعضها عن بعض واذا كان ذلك فبماذا يمكن ترجيح رواية بعضها على البعض الآخر ثم اثبات رواية كل نسخة على حدة الى غير ذلك مما يضاعف اهمية طبعة الكتاب وفائدتها . ولا أعرف من يتبع هذه الطرق الهامة في بلدنا الا النادر من المحققين أما جل جماعات تجار الكتب الذين يتصدون لطبع جلائل المؤلفات النادرة فانهم يجهلون ذلك تماماً والى القراء حادثة من هذا القبيل وقعت لاحد المستشرقين في بلدنا نرويها تفكهة للقراء عن محاضرات علم الفلك لاستاذنا الدكتور كرلو نلينو . قال عند كلامه على كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء وطبعته المصرية التي وقف عليها الاستاذ اوغست مولر :

« بعد العمل التجهيزي الشاق ابرز مولر كتاب ابن ابي اصيبعة بمطبعة مصطفى وهبي بمصر سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢) مع حفظ كل ما يوجد في الروايتين الاوليين لـكيلا يسقط من المتن الاصلي وزيادات المؤلف شيء مما ينتفع به القارىء . بيد انه لجهل صاحب المطبعة وعناده اصبحت الطبعة بصفة لا يرضى بها عالم ولا عاقل لانه حذف كل العلامات التي وضعها مولر لتمييز متن رواية عن متن الرواية الاخرى وحذف ايضاً كل الشكل اللازم لدفع الشبهة ورفع الحواشي خصوصاً في الاعلام والاشعار وعناوين الكتب وغير برأيه غير مرة ما قد وضعه مولر في مبيضته ولم يقتصر على ذلك لانه في الفهارس الهجائية الشاملة لجميع الاعلام لم يرد إفراد اكثر من سطر واحد لكل اسم مع ارقام جميع الصفائح التي ذكر فيها فالغى كل ما كان يجاوز سطراً ، بل لم يطبع مراراً اعداداً ما ضاق بها المكان في السطر وبالجملة مسخ وشوه وحذف واعدم الكتاب شيئاً جسيما من منفعته فاضطر مولر الى تأليف ذيل طويل للطبعة المصرية نشره في كونسبرغ سنة ١٨٨٤ واورد فيه الروايات المختلفة وكل الفهارس وصحح الاغلاط . فعلى الباحث ان لا يأخذ شيئاً من طبعة مصر الا بالمراجعة المستمرة لذلك الذيل [١] »

﴿ثانياً﴾ ومن اهم ما يلزم لنشرها هو وضع الفهارس المطولة للمواضيع واسماء الاعلام فضلاً عن فهرس الفصول والابواب فان هذه الكتب لا تخلو فقرة منها من فائدة والانتفاع بكل فقرات الكتاب لا يتم الا بوضع هذه الفهارس الابجدية الجامعة لجزئيات المواضيع على الترتيب الهجائي . ونضرب لذلك مثلاً بكتاب الخطط للمقريزي فانه طبع في المطبعة الاميرية وفي غيرها ولم يذيل الا بفهرس لفصوله فقط ولكن كم من الفوائد والمواضيع الهامة والاخبار التاريخية التي يذكرها عرضاً كعادته في هذا الكتاب لم تدون في الفهرس ؟ خذ أي موضوع من فصوله فانك تجد كلاماً عنه في الابواب الاخرى لا تستطيع البحث عنه بغير الفهرس الابجدي ناهيك بالفوائد العرضية التي يستفيدها المطالع مما ليس له ابواب ولا هو من الموضوع الذي يتكلم عنه بل قد يكون من مواضيع اخرى كالتاريخ والتراجم والادب وغيره . وقد اشرنا الى اهمية ذلك في المقالة الاولى عن التصوير عند العرب المنشورة في الجزء الاول من الهلال فقد ذكرنا « انه بعد البحث الطويل في بطون المؤلفات العديدة لم نظفر منها بشيء عن أوصاف مصنوعات المصورين من العرب حتى عثرنا عليها عرضاً في موضوع في المقريزي لا يظن ان فيه كلاماً على تصوير أو تزويق أعني بذلك عند كلامه على الجوامع والمقابر (القرافة) ! فمن كان يظن انه يجد في مثل هذا الموضوع

(١) تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى ص ٧٠ و٧١ وانظر ايضاً ص ٦٣

من المقريزي كلاما هاماً على التصوير في الاسلام لم يسبقه اليه احد ? وهذا يقنعنا بالنقص العظيم في مؤلفاتنا القديمة ويثبت افتقارنا الشديد الى وضع الفهارس المطولة لهذه المؤلفات النفيسة ولكل سطر فيها »

هذا ما ذكرناه في تلك المقالة والامثلة كثيرة تؤيد ذلك فياحبذا لو اقتدى اهل هذه اللغة بناشري هذه المؤلفات في اوربا من المستشرقين فانهم يذيلونها بالفهارس التامة لما يرد فيها من المواد واسماء الاعلام والامكنة مرتبة على حروف المعجم مما لا يستغنى عنه ويجعل فائدة هذه الكتب اضعاف اضعافها بدونها

هذا اهم ما يقال مما يلزم لطبع مؤلفاتنا التي يمسخها الطابعون بجهلهم فتصل الينا مشوهة مبتورة مما يدعو الى حمايتها ووضع قانون لها . وهذا هو اهم ما ينقص آثارنا التي يعنى بها الافرنج عناية عظيمة

عبد الفتاح عباده

عيون للسفن تحت الماء



اخترع احد الاميركيين قنديلاً كشافاً يركب على السفينة تحت الماء ويحرك من ظهرها وترى بواسطته الالغام المتربصة للسفن في طريقها من شبه بريسكوب راكب على ظهر السفينة ايضاً كما يتضح للقارىء من النظر الى الشكل اعلاه . فحالما يبصر اللغم ترسل السفينة طوربيلاً اليه فينفجر للحال فتتابع سيرها بعد ان امنت شره

اسلحة الخنادق قديماً

ومشابهتها للاسلحة الحديثة

نرى الفنيين الحربيين في هذه الايام يوجهون كل اهتمامهم الى اتقان طرق الدفاع والتحصين في الخنادق ولو امعنا النظر وجدنا حرب الخنادق اقدم اساليب الحروب في الازمنة السالفة فكأنما بالانسان مع تفننه في طرق الحروب وفي معداتها قد اضطر الى الرجوع الى الطرق القديمة . ويحسن بنا في هذا المقام ان نأتي بوصف موجز لاسلحة الخنادق في الزمن الغابر وعلى ما يستخدم منها الآن في الحرب الحاضرة حتى يتضح للقارئ ان حرب الخنادق الحالية مقتبسة من الاقدمين

المواد الملتهبة والنار اليونانية

كان الاشوريون يستخدمون المقذوفات النارية والمشاعل والاسفنج المتشرب بالمواد الملتهبة في دفع العدو المهاجم وكانوا يستعملون النفط لهذا الغرض. ثم تلاهم اليونان والعرب فاستخدموا النار اليونانية وكانوا يصنعونها من جملة مواد ملتهبة مختلطة باملاح البارود ويطلقونها على اعدائهم، ولكن هذه النار كانت معتبرة لدى اسلافنا مغايرة لقوانين الحروب كما تعتبر الغازات الخانقة اليوم . وكان المتحاربون يطلقون هذه النار على الاعداء بالايدي او بالقسي او بواسطة آلات حصار معدة لهذا الغرض

وكانت الجيوش في عهد الاسكندر ذي القرنين تتبادل اطلاق الحراب الملتهبة وكان جل غرضهم من ذلك ايقاد النار في المعسكرات والبلاد المحاصرة وقلما كانوا يستخدمونها في المعارك البعيدة عن البلدان . وتفنن الرومانيون فصنعوا سهاماً في مؤخرها مستودع صغير مملوء بمواد سريعة الالتهاب وهي ترمي الى نفس الغرض

ومنهم من كان يأتي بقدر يملأها بالمواد الآنف ذكرها ويضع في طرفها فتيلاً ثم يوقد الفتيل ويدفع القدر نحو العدو بواسطة آلات قاذفة من طرز المنجنيق الذي كانوا يستخدمونه في القاء الاحجار على الحصون . وليس لتلك الالات نظير في الآلات الحديثة . وطريقة تحريكها تحصر في حبال من الكتان تشد وترخى بسرعة شديدة بحيث تدفع الآلة هذه القدر الى جهة العدو . ومنهم من كان يطلق هذه القدر بان يعلقها في الهواء ويديرها بسرعة ثم يرخيها فتتجه الى العدو بفعل قوة الابتعاد عن المركز

ومن السهام ما كان مجوفاً من مؤخره يملأ بمواد ملتهبة توقد عند اطلاق السهم فينشأ عن ايقادها خط من النار على طول مرور السهم على نحو ما تسميه العامة بالسوارخ . وكثيراً ما كانت هذه السهام تستخدم في حروب القرون الوسطى . وكانت أولاً تطلق باليد ثم تفننوا فيها فاخترعوا لها آلات ضخمة تحتوي على اسطوانات مجوفة تسع في داخلها السهام المذكورة ثم تطلقها بسرعة على العدو الى مدى بعيد . ونظراً لاهميتها في الحروب الماضية كانت تصنع على اشكال وحوش هائلة فاغرة افواهها



آلة حصار عربية لاطلاق النار اليونانية والسهام المحرقة
(عن رسم قديم يرجع الى القرن الخامس عشر)

والاسطوانات المشار اليها هي في الحقيقة أصل الاسطوانات القاذفة للتوريد في حربنا الحاضرة وهي مفتوحة من الطرفين وتقتصر وظيفتها على تسديد المرمى الذي يتجه اليه السهم او النار

الآلات الحربية

ذلك بخلاف المدافع التي ظهرت في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد وأهمها مدفع الهاون وهو عبارة عن اسطوانة ثخينة مسدودة من احد طرفيها يوضع فيها من الطرف المفتوح كتلة من الرصاص او من الاحجار بعد ان تحبس فيه كمية من البارود ثم يوقد

البارود بواسطة الفتيل فلا يجد البارود مخرجاً الا بطريق الفوهة المفتوحة فيدفع في طريقه كتلة الرصاص او الاحجار بشدة الى الخارج

واخذ الناس يتفننون مدفع الهاون الآتي ذكره فعمدوا الى استخدامه في اطلاق القنابل الثقيلة المتفجرة على ابعاد قريبة ولكنهم كانوا في البدء يوقدون فتيلاً لكل من القنبلة والبارود المحبوس فكان ينشأ عن ذلك اخطار جسيمة لا سيما اذا انفجرت القنبلة وهي داخل الاسطوانة . واخيراً توصلوا الى طريقة ناجحة لدرء هذه الاخطار وهي ايقاد فتيل القنبلة من لهيب البارود المشتعل بالقنبلة الاولى وهذا المدفع كثير الاستعمال اليوم

وكانوا يصنعون في بعض الاحيان مدافع الهاون على جملة اسطوانات صغيرة وكبيرة ومنها ما كانت اسطوانته صغيرة كالبندقية يثبتونها فوق لوحة مركبة على حامل ذي ثلاثة ارجل ويمكن تفكيكها وحملها على ظهور الدواب وهي اصل مدافع المتراليوز

المفرقعات

بدىء باستعمال قنابل اليد في اوائل القرن السادس عشر للميلاد وهي عبارة عن قنبلة بشكل الرمانة محشوة بالبارود ولها فتيل . وكانت تلقى على العدو بواسطة مجارف مصنوعة لهذا الغرض ثم تدرجوا في وضعها في مدافع الهاون لتحل محل القنابل العادية ولكنها ما فتئت ايضاً تلقى باليد الى يومنا هذا . وكان في فرنسا فرقة من الجيش مخصصة لاطلاق هذه القنابل ينتخب رجالها من الجنود الطويلي القامة (grenadiers)

اما حرب الالغام البرية فقد عرفت قبل اختراع البارود بزمن بعيد وكانت مقتصرة على حفر الانفاق للوصول الى العدو من داخل الارض كما فعل الرومانيون عند حصار بلدة من اعمال تسكانيا المجاورة لهم فتوصلوا الى دخول البلدة بحفر نفق اليها من الخارج . وكان اليونانيون قبلهم يحفرون الانفاق في حصار البلدان حتى يصلوا تحت اسوار المدينة المحاصرة فيضعون هناك اخشاباً يحرقونها فتهدم الاسوار التي فوقها وبذا كان يمكنهم دخول البلدة من الجهة المهدمة . وكثيراً ما كان الجيش المحاصر يحفر انفاقاً مقابلة من جهة اخرى واذا اتفق ان الفريقين تلاقيا تحت الارض عمدا الى اطلاق المواد الملتهبة والدخان والسوائل المحرقة احدهما على الآخر وكانوا احياناً يطلقون حيوانات ضارية للفتك بالعدو

وبدأ المتحاربون باستخدام البارود في الانفاق حوالي سنة ١٥٠٠ للميلاد وذلك بان يضعوا في نهاية الدهليز الذي يحفرونه تحت الارض لغماً من البارود يدعمونه من

الوراء باخشاب غليظة او بناء مرصوص ثم يشعلونه بالفتيل فينفجر اللغم في الجهة التي يراد نسفها وتخريبها

من قصيدة خليل مطران

في الحفلة الخيرية لاعانة الطلبة الشوام بالازهر

فاح ريحانها ولاح الخزام وجلت عن حليها الاكام
كل ورد في غير مصر له عا م وفي مصر ليس للورد عام
ما لاعقابه وداع ولكن بواكيره سلام سلام
روضة من جنانها دعة الوا دي ومن كبريائها الاهرام
فاض بالخير نيلها فرواها وتراءى للازديان الغمام
رق فيها الشتاء حتى ليبدو في ثناياه للربيع ابتسام
غردت صادحاتها فرحات وتناست نواحهن الحمام
سطعت شمسها فما يتغشى نورها الصافي البهيج قتام
حبذا مصر في الرباع رباعاً لا يضاهي المقام فيها مقام
شمل السعد اهلها وكفتهم ما كفت اصفياءها الايام
ملىء الخافقان قتلاً ونكلا وحماها على الصروف حرام
لم يضمها هزيم رعد ولا ايمـاض برق ولم يضرها صدام
تنعم العيش في رخاء وامن ويغول الشعوب موت زؤام
ايها الناعمون ان تشكروا الله كما ينبغي له لم تضاموا
باشروا الخير يدفع الشر عنكم انما الخير عصمة وسلام
كل ضرب من الجميل جميل غير ان العزيز فيه التمام
هل سواء في الفضل ما ينقضي معه نفعه وما يستدام
أعطاء به تربى نفوس كعطاء به ترم عظام
للندى موقع الندى فاذا لم تصلح الارض فالجنى لا يرام
رب سهل تقشع العارض الهطا ل عنه كما عمر الجهام
وكثيب سقاه من زاد سفر رشح ماء فبش فيه الثمام
اكمل الجود ما به كنز الصفوة في أمة وقل الطغام

تاريخ الشهر

الغاء الشهادة الابتدائية

نشرت الوقائع الرسمية في ملحق عددها الصادر في ١٣ يناير سنة ١٩١٦ القانون القاضي بالغاء الشهادة الابتدائية والاستعاضة عنها بامتحانات قبول تلامذ المدارس الاميرية التي كان يشترط للالتحاق بها الحصول على هذه الشهادة

وقد رأينا ان نثبت هنا المذكرة الصادرة من وزارة المعارف الى مجلس الوزراء بهذا الشأن نظراً لاهميتها التاريخية واجابة لبعض المقترحين من القراء . وهاك نصها :

من مقتضى الأحكام الجاري العمل عليها الآن أن يكون الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية شرطاً للقبول في المدارس الثانوية الاميرية ومدرسة الممرضات والقابلات ومدرسة المعلمات السنية ومدرسة الفنون والصنائع بالقاهرة ومدرسة الزراعة المتوسطة بمشتهر ومدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة

وكانت الفائدة من تخويل حق الدخول بالمدارس المذكورة لحامل هذه الشهادة القليلة القيمة غير مقصودة بالذات بل الغرض الاصلي من وجودها هو أن تكون مؤهلة للاستخدام بالوظائف الصغرى بالحكومة كما قضى بذلك أولاً قرار مجلس النظار الذي صدر في ٢٦ فبراير سنة ١٨٩٢ أي من عهد انشائها ثم الامر العالي الذي صدر في ٢٤ يونيه سنة ١٩٠١ وذلك لان درجة التعليم ما كانت تسمح إذ ذاك باشتراط الحصول على شهادات أرقى

وقد كانت الوزارة ترى على الدوام أن الاستخدام بهذه الشهادة انما هو حكم مؤقت يتحتم الغاؤه عند ما يتيسر انتخاب موظفين للوظائف الصغرى يكونون اكثر كفاءة من الحاصلين على شهادة الدراسة الابتدائية فقط ولذلك فهي لم تأل جهداً في العمل على تحقيق هذه الغاية . اما الآن وقد اتسع نطاق التعليم لا سيما من عهد تعديل نظام التعليم الثانوي المصدق عليه بقرار من مجلس النظار في ٢٢ يونيه سنة ١٩٠٥ فيمكن القول باننا قد أدركنا الغاية التي نسعى وراءها فان عدد التلاميذ بالمدارس الثانوية الاميرية لم يزل آخذاً في الازدياد من ذلك العهد فبعد ان كان ١٣٤٥ في سنة ١٩٠٥ أصبح ٢٦٣٢ في سنة

١٩١٤ واذا أضيف الى هذا العدد الاخير عدد تلاميذ المدارس الثانوية المصرية الحرّة يكون المجموع ٦٢٦٦ في سنة ١٩١٤ وكذلك عدد الطلبة الذين نالوا شهادة الدراسة الثانوية فبعد ان كان ١٧٧ في سنة ١٩٠٥ أصبح ٥٣٥ في سنة ١٩١٥ وقد دلت الاختبارات الحديثة على ان الوظائف ذات المرتب الضئيل يتقدم لها الحاصلون على شهادات ارقى من الشهادة الابتدائية حتى زاد عددهم كثيراً عن المطلوب فهذه وزارة الاشغال أعلنت عن امتحان لعشرين وظيفة مؤقتة لكتبة تحت التمرين براتب شهري قدره جنيهان مصريان فتقدم اليه في ١٠ يناير سنة ١٩١٤ — ١٥٣ طالباً منهم ٧٤ حاصلون على شهادة الدراسة الثانوية (قسم اوّل) أي من الذين تلقوا الدراسة الثانوية مدّة سنتين على الاقل و٤٩ طالباً حاصلون على شهادة الدراسة الثانوية (قسم ثان) اي من الذين تلقوا الدراسة الثانوية مدّة اربع سنوات على الاقل . هذا ولقد زادت نسبة الطلبة الحاصلين على الشهادة الكاملة للدراسة الثانوية الذين لم يتيسر لهم الاستخدام فبعد ان كانت ١ ٪ في سنة ١٩٠٥ اصبحت ٢٧ ٪ في سنة ١٩١٥ ويستنتج من هذه الزيادة السريعة انه لم يبق ثمة مسوّغ لبقاء شهادة الدراسة الابتدائية باعتبارها مؤهلة للقبول في وظائف الحكومة ولهذا قرر مجلس الوزراء في ٨ يونيه سنة ١٩١٥ ان تكون شهادة الدراسة الثانوية (قسم ثان) اقل مؤهل للتوظيف بالوظائف العالية وشهادة الدراسة الثانوية (قسم اول) أقل مؤهل للاستخدام بالوظائف الصغرى وذلك لحين صدور امر جديد .

وبناء على هذا القرار اصبح الغرض الاساسي الوحيد المقصود من شهادة الدراسة الابتدائية هو التأهيل للدخول بالمدارس الثانوية والمدارس الخصوصية السالفة الذكر ليس إلا غير ان اختلاف هذه المدارس بعضها عن بعض لا يزال آخذاً في الازدياد اذ من الواضح ان العلوم التي تؤهل للدخول بتلك المدارس ليست واحدة من حيث نوعها ودرجتها بالنسبة للبنين والبنات ولا بالنسبة للمدارس الثانوية ومدرسة الفنون والصنائع او مدرسة الزراعة المتوسطة مثلا ولهذا يكون من المفيد بل من الضروري لمصلحة هذه المدارس ولمصلحة التعليم بوجه عام ان يستعاض عن شهادة الدراسة الابتدائية بامتحانات قبول تلائم حالة تلك المعاهد على اختلاف أنواعها

هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه لا يصح اعتبار الدراسة الابتدائية في حدّ ذاتها دراسة تامة تبرر منح شهادة ما ومما تجب ملاحظته عدا ذلك ان كشف الدرجات التي تعطى للتلاميذ عند أتمام دروس السنة الرابعة بالمدارس الابتدائية كاف للدلالة على حضورهم الدروس بهذه المدارس .

وستنظم امتحانات القبول المقترحة لكل مدرسة على نفس القواعد العامة المقررة لامتحان شهادة الدراسة الابتدائية وبحسب منهاج التعليم الابتدائي . أما المدارس الثانوية فان تفاصيل هذه الامتحانات قابلة للتعديل من وقت الى آخر فستحدد فيها بحسب الوارد بمشروع القرار المقترح على سبيل التجربة والمرفق بهذه المذكرة ومما ينبغي التنبه اليه أنه نظراً للضائقة المالية الآن ستبقى رسوم الامتحان جنيهين مصريين كما هي الآن

واما المدارس الخصوصية فمن الواضح انه يحصل بكل منها امتحان قبول تعين تفاصيله في الوقت المناسب بقرار وزاري

والمشروع المعروض يتلخص في الاقتراحين التاليين :

(١) الغاء شهادة الدراسة الابتدائية

(٢) الاستعاضة عن هذه الشهادة بامتحانات قبول تلائم حالة المدارس الاميرية المتنوعة التي يشترط للقبول بها الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية

والمأمول ان تعديل النظام بهذه الصورة يأتي بمزايا جمة منها تحسين انتخاب التلاميذ وتقدم المدارس الموضوع لاجلها مع تعيين الصفة المميزة لكل مدرسة منها والمساعدة على تقوية هذه الصفة وانمائها

وبما ان مجلس المعارف الاعلى وافق في جلسته المنعقدة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٥ على مشروعي القانون والقرار اللذين أعدّ لذلك والمرفقين بهذه المذكرة فنتشرف بعرضهما على مجلس الوزراء للتصديق عليهما

القاهرة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٥ وزير المعارف العمومية
عدلي يكن

حديث لعظمة السلطان

عن مصر ومستقبلها

حظي الدكتور هربرت آدم جبون مراسل « النيويورك هرالد » الاميركية بمقابلة عظمة السلطان في قصر عابدين فرأينا ان نقتطف من ذلك الحديث الفقرات بل الدرر الثمينة الآتية :

« لقد كنت اكثر حرية وهناء لما كنت الامير حسيناً ولم تكن عليَّ هذه المشاغل



الجزء السابع من السنة الرابعة والعشرين

اول ابريل (نيسان) سنة ١٩١٦ و ٢٨ جماد أول سنة ١٣٣٤

اقوال مأثورة

لمؤسس الهلال

اسباب الحروب الظاهرة والحقيقية

ترجع اسباب الحرب الحقيقيـة غالباً الى مطامع الدول او الملوك في جيرانهم او الضعفاء من امم الارض يلتمسون التوسع في الملك فينتحلون اسباباً تسوغ لهم الهجوم بمدنهم ورجالهم. ويختلف ذلك باختلاف الاعصر والامم. ففي العصور القديمة ايام الاستبداد والحكم المطلق كان اعلان الحرب يرجع الى رأي الملك او الامير او القائد وهو لا يسأل عن عمله. وقد يكون السبب يتعلق بشخصه لا علاقة له بالدولة او الامة فربما أعلن الحرب على مدينة أو امة انتقاماً من ملكها لانه سبقه الى اكتساب قلب فتاة أو ناظره في حب حسناء. او لانه سمع عنه كلمة تعد اهانة له — وقد يغض عن تلك الاهانة او تلك المسابقة اذا لم يعتقد في نفسه القدرة عليه ويرجح الغلبة له — فيستحث رجاله على النهوض للحرب بسبب يختلقه يموه به على عقولهم ويثير عواطفهم فيسوقهم الى القتل في سبيل مطامعه وهم يحسبون انفسهم يفعلون ذلك في مصلحتهم. فالباعث الحقيقي على الحرب الطمع بالفتح. ولو تتبعت اسباب الحروب القديمة من حصار طروادة الى حروب بونابرت لرأيت لكل منها سببين على الاقل احدهما ظاهر والاخر حقيقي مما يضيق المقام عن تفصيله مع كثرة الحروب وتنوع اسبابها. ولكنها ترجع الى طمع الملك أو القائد بالشهرة او توسيع المملكة باضافة بلاد خصبة غنية الى بلاده يستمدها عند احتياجه الى المؤونة او الى الرجال

جرجي زيدان

(١) عن الهلال صفحة ١٥٢ سنة ٢٠

ايران

بين الحياد والحرب

قد امتد لهيب هذه الحرب الى جهات مختلفة ليس لاهاليها ادنى رغبة فيها . فمن تلك البلاد السيئة الحظ مملكة ايران . فقد لحقها بعض مصائب هذه الحرب على رغم اعلان حيادها رسمياً . وكان يكفيها ما هي فيه من الارتباك الاداري والمالي ! ولما كانت علاقة المملكة الايرانية بهذه الحرب غامضة على معظم القراء رأينا ان نأتي بمقالة وجيزة تقرّب الى الاذهان فهم الحوادث الجارية في تلك الاصقاع . وقد نشرنا في الهلال الخامس من السنة العشرين مقالة وافية بيّنا فيها تزاحم دولتي روسيا وانكلترا في ايران وما تقلب على الدستور الفارسي من الاحوال بين اهمال واقرار . وسنكتفي في هذه المقالة بنظرة اجمالية في تاريخ ايران الحديث ولا سيما ما له علاقة بالحرب الحاضرة

روسيا وانكلترا في ايران

بدأ تنازع روسيا وانكلترا في ايران من زمن ناصر الدين شاه المتوفى سنة ١٨٩٦ وكانت روسيا اكثر سعياً في اكتساب ثقته وهو الملك المطلق الذي لا يسأل عما يفعل . فتذرعت بكل وسيلة لبث نفوذها ولانها وهي اقدر على ذلك من الانكليز بسبب الجوار ولم يكن هؤلاء غافلين فكانوا يترقبون الفرص لعرقلة مساعي الروس والوقوف في سبيلهم . فسعوا في ذلك من طريق المشروعات التجارية فاغتنموا سياحة ناصر الدين شاه في اوربا سنة ١٨٨٩ وحسنوا له انشاء بنك وطني فاجاز انشاءه للبارون يوليوس دي رويتر وخوله حق البحث عن المعادن ونحوها . وفي ٩ مايو من السنة التالية تمكنت شركة انكليزية من احتكار التبغ في مملكة ايران لمدة خمسين سنة على ان تدفع ١٥٠٠٠ جنيه كل سنة مع ربع الربح بعد اخراج النفقات والفوائد وعقدوا بين الشركة والحكومة شروطاً تشبه الامتيازات الاجنبية من جملتها انه اذا وقع خلاف بين الحكومة والشركة يفوض حله الى محكمين من نواب حكومات اميركا والمانيا والنمسا

الا انه لم يكد يتم هذا الاتفاق حتى قامت قيامة الايرانيين يشكون من ضياع اموال الوطنيين — ولعل الروس نبهوهم الى هذا الامر مسابقة لانكلترا في النفوذ فاثاروا خواطر رجال الدين على الخصوص حتى اصدر المجتهد حاجي ميرزا حسن الشيرازي امام

سامرا منشوراً دينياً حرم فيه التدخين على المسلمين حتى تحل الشركة فاطاعه الناس فاصبح امتياز الشركة بلا معنى ولم ترَ انكلترا مندوحة عن حل الشركة فحلت . ولما تحقق الائمة حل الشركة الغوا التحريم



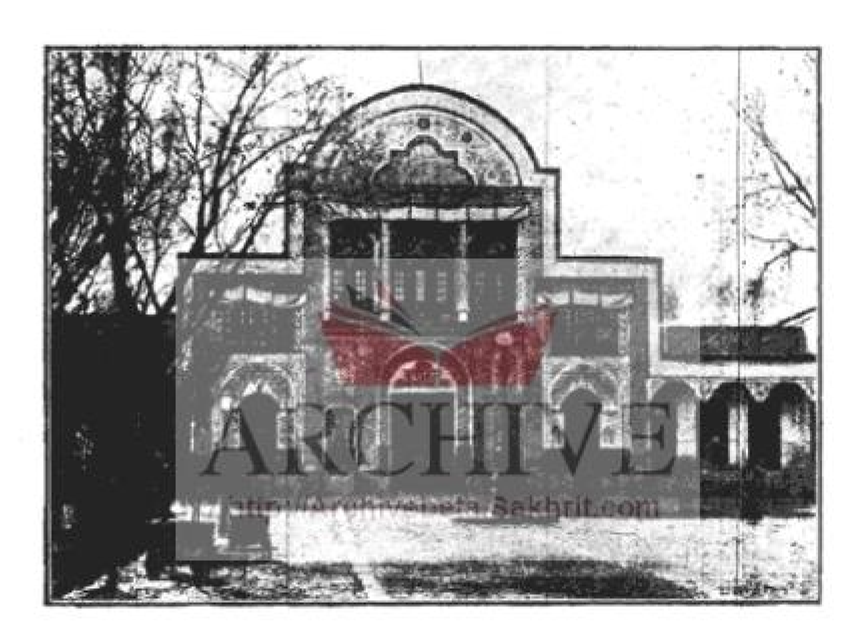
خريطة ايران

ومنطقة النفوذ الروسي والانكليزي حسب معاهدة سنة ١٩٠٧

وفي هذه الاثناء قتل الشاه برصاصة رماه بها فدائي اسمه ميرزا محمد رضا كرماني في اول مايو سنة ١٨٩٦ اعتقاداً منه بانه لا يليق للحكم كما يستدل من استنطاقه. فافضت

السلطة الى ابنه مظفر الدين شاه وظلت روسيا وانكلترا تتنازعان السلطة على عهده في امور شتى

وكان الايرانيون قد اخذوا يفكرون في الحرية ويتظلمون من الحكم الاستبدادي بما بثه فيهم المرحوم جمال الدين الافغاني من روحه الحرة . وظهرت جرائد فارسية مختلفة خارج ايران تدعو الى مثل دعوته فرأت انكلترا ان تسترجع نفوذها في ايران بتشجيع الشعب الفارسي على طلب الدستور لانها رأت روسيا محتكرة صداقة الشاه ووزرائه ولا سيما بعد حرب الترنسفال فاخذت تنتشر روح الحرية بين الايرانيين وألفوا جميات وطنية



باب الالماس في طهران

سرية فغضبت عليها الحكومة وجعلت تطارد الاحرار فالتجأوا الى الوكالة البريطانية نصيرة طلاب الدستور واخيراً اضطر الشاه الى مسايرة رعاياه باعلان الدستور واذن لهم بتأليف مجلس نيابي اجتمع للمرة الاولى في ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠٦

ولما توفي مظفر الدين شاه خلفه ابنه محمد علي ربيب الروس لكنه اضطر الى المصادقة على القانون الاساسي واخذ يسعى سراً في عقد قرض مع روسيا وانكلترا وكاد ذلك يتم فقاومه المجلس اشد المقاومة واصدر قراراً بعدم عقد اي قرض مع دولة اجنبية وقرر تأسيس بنك وطني . فارتبك الشاه في امره واستعان بنصير الاستبداد امين السلطان فعهد اليه بتأليف الوزارة فاخذ يسعى في عقد قرض على يد مجلس النواب وكان قوي الحجة

فاستمال الاكثرية فقرر المجلس عقد ذلك القرض مع روسيا وانكلترا لكنه لم يعش بعد ذلك القرار الا قليلاً اذ قتله عباس اغا التبريزي في ٣١ اغسطس سنة ١٩٠٧ وهو اليوم الذي وقع فيه على القرض

ورافق عقد ذلك القرض الروسي الانكليزي عقد الوفاق بين هاتين الدولتين على اقتسام النفوذ في ايران وهذه خلاصة مواده :

١ حفظ استقلال ايران بحيث لا تتمكن دولة اجنبية من القبض على شيء من ارضها



عرش الطاؤوس وهو من اثمن التحف الفارسية

٢ ضمان حياة شخص الشاه وتأييد سيادته

٣ ان اصفهان وكرمانشاه تدخلان في نفوذ روسيا فضلاً عن القسم الشمالي من ايران

٤ يكون نفوذ انكلترا سائداً في القسم الجنوبي الشرقي من ايران

اما الشاه فانه عمل على مقاومة الاحرار وقد كان الروسيون دائماً في جانبه واعانوه غير مرة على رجال الدستور وحضوه على استرجاع السلطة المطلقة فتم له ذلك في اواسط سنة ١٩٠٨ اذ هدم المجلس وفتك باعضائه

لكن الاحرار ثبتوا في الدفاع عن دستورهم حتى سنحت لهم فرصة اخرى هجموا

فيها على طهران بجيش متحمس متحالف على الموت او الحرية فدخلوها عنوة في ١٣ يوليو سنة ١٩٠٩ واستولوا على القلاع والحصون . وفي ١٧ منه خلعوا الشاه محمد علي وولوا مكانه ابنه احمد ميرزا وعمره ١٢ سنة واقاموا وصيًّا عليه عضد الملك رأس قبيلة القاجار . وقد توفي عضد الملك في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٠ عن ٦٥ عاماً . وسعى الشاه المخلوع غير مرة بمساعدة روسيا في استرجاع سلطته ولكنه لم ينجح

الا ان اتفاق سنة ١٩٠٧ بين روسيا وانكلترا لم يكن ثابتاً لانه لم يرضِ روسيا ولا انكلترا ولا ايران فان روسيا رأت نفسها مجبورة على حصر نفوذها في منطقة معينة لا يجوز لها ان تتعداها . اما انكلترا فانها وجدت منطقة نفوذها اصغر من منطقة نفوذ



احمد شاه ملك الفرس الحالي

روسيا واقل اهمية . ومن جهة الحكومة الايرانية فقد خافت على نفسها من هذا الانقسام الذي يهدد حياة البلاد . ولهذا السبب فان التنازع ظل آخذاً مجراه وبلغ أشده في سنة ١٩١١ اذ تمكن الشاه المخلوع من دخول بلاد فارس واحداث القلاقل فيها . فاتهمت روسيا بتشجيعها اياه واتهمت انكلترا بانها لم تسهر على التعهد الذي عقدته مع روسيا وايران بمنع الشاه من الرجوع الى بلاده . وازدادت الازمة اشتداداً عند اتهام روسيا للمسيو شوستر الاميركي الذي عينه الاحرار لاصلاح ماليتهم بسوء التصرف في مصلحة الروس اذ بعثت انذاراً اولاً اتبعته بانذار آخر على اثر ما نشره الاميركي المتقدم في جريدة التيمس من انتقاد السياسة الروسية في ايران فاضطر الى مغادرة طهران والرجوع الى

بلاده . وكانت المانيا في هذه الاثناء تستغنم ما بين الدولتين من التنافس للايقاع بينهما كما سنرى
ثم انه في اواخر تلك السنة ايضاً (سنة ١٩١١) انحل مجلس النواب الفارسي ولم يعد الى الالتئام الا في سنة ١٩١٤

الدسائس الالمانية والتركية في ايران

الا ان عقلاء الانكليز والروس شعروا في تلك الاثناء بالخطر الذي يتهددهم اذا هم ظلوا على سياسة المسابقة والمزاحمة . ومن امثلة ذلك اشارة تلغرافية من وزير خارجية



قصر الشمس في طهران

روسيا في بتروغراد الى السفير الروسي في لندن في سنة ١٩١١ جاء فيها « أن السر ادوارد غراي يعلق اهمية عظمى على حفظ العلائق الودية بين انكلترا وروسيا ويود ان لا يحول بينهما مسائل ثانوية عديمة الاهمية كما يستدل من مساعيه المتواصلة . فان دولتينا تسيران يداً بيد لكي يظل السلم مخيماً على سماء اوربا . ولا يجب ان تحول المسئلة الايرانية دون ذلك »

ان روسيا وانكلترا كانتا تشعران بالخطر المشترك الذي كان يهددها ولم يكن اتفاقهما في سنة ١٩٠٧ بشأن ايران الا وسيلة تغنيهما عن حفظ جيوش كبيرة في تلك الاصقاع

خشية ان تؤخذا على حين غرة في ميادين أخرى اعظم شأناً من ذلك الميدان . وقد كانت المانيا تستغنم كل فرصة تسنح لها للتفريق بين روسيا وانكلترا

ولا حاجة بنا هنا الى تكرار ما هو معلوم لدى القراء من مطامع المانيا في العالم الاسلامي لا سيما بعد حصولها على امتياز سكة حديد بغداد وما تبع ذلك من تحالف فرنسا وانكلترا وروسيا لشعورها بالخطر المشترك . فان الملك ادوارد السابع رأى بعين الحكمة ان اعداءه ليسوا في باريس ولا في سان بطرسبرج بل في برلين . ولذا كانت سياسته ترمي الى منع المانيا وتركيا من توسيع نطاق سكة حديد بغداد الى الكويت وخليج فارس خشية ان تعرض طريق الهند الى الخطر

ولكن المانيا لم تهبط همتها عند ذلك ففي ذات يوم من سنة ١٩١٠ سمع الناس بمقابلة بوتسدام الشهيرة التي التقى فيها امبراطور المانيا بقيصر روسيا على رغم توتر العلاقات بين الدولتين فكثرت الظنون والتأويل ولا سيما ان شركة ولف الالمانية أخذت تنشر الاخبار الكاذبة عن هذه المقابلة وتبني عليها العلالي والقصور . ومنذ ذلك الحين اخذت الدسائس الالمانية والتركية تنتشر في ايران بين تشييد المدارس والمستشفيات والقنصليات والحصول على الامتيازات والتفريق بين الاحزاب الخ . . .

الا ان روسيا ما لبثت قليلا حتى وقفت على حقيقة الحال وفهمت ان وعود المانيا ومساعيها انما ترمي الى « السيادة العالمية » وليس ادل على تلك الروح من قول الجنرال فون برناردي الالماني : « امامنا ان نختار بين امرين لا ثالث لهما اما السيطرة على العالم واما التقهقر والانحلال . وعلينا قبل كل شيء ان نفرق بين دول الاتفاق الثلاثي التي اجتمعت وتحالفت على المانيا رغم ما بينها من المنافسة والمسابقة » وبناء على ذلك فان المانيا شددت النكير على الحكومة الايرانية عندما وافقت رسمياً في سنة ١٩١٢ على الوفاق الروسي الانكليزي المعقود سنة ١٩٠٧ . زد على ذلك انها سعت لانماء فكرة الجامعة الاسلامية بمعونة الاتراك — ووتر الدين حساس

وبالاختصار فان السياسة الالمانية كانت ملخصة في هاتين الكلمتين « فرق تسد » وبلغت مساعيها اشدها في السنة الماضية من تحريض واغراء وبذل المال بلا حساب ونشر الاخبار الكاذبة وغير ذلك من الوسائل . ولكنها على ما يعلم الجميع فشلت فشلاً تاماً لاسيا في هذه الآونة الاخيرة نظراً لاتحاد انكلترا وروسيا وعملهما معاً بعزيمة واخلاص وصدق نية

طعام العالم

في الماضي والحاضر والمستقبل

يجدر بنا في هذا الوقت الذي كثر فيه تحدث الناس عن موارد الطعام وعلاقتها بالحرب ان نلقي نظرة اجمالية على موارد الطعام في العالم باسره من اقصاه الى اقصاه وما كان من أمرها في الماضي وما يكون في المستقبل

التاريخ يعيد نفسه

منذ قرن تقريباً كانت فرنسا في حالة تشبه كثير الشبه حالة المانيا وانمسا اليوم من حيث موارد الطعام . فقد كانت اساطيل انكلترا تحصر شواطئها وتمنع عنها ورود الذخائر والمؤن على نحو الحصار البحري الذي اعلنه الحلفاء على المانيا . وبلغ الضيق باهل فرنسا وقتئذ مبلغاً عظيماً حتى ان ليبرة السكر (اي الرطل المصري تقريباً) كانت تباع بريالين . الا ان نابليون تلافى ذلك بان بنى معملاً كبيراً حول مدينة ليل لاستخراج السكر من البنجر (الشمندور) - وكانت تلك الطريقة لا تزال قليلة الاستعمال - فنال مراده واخذت تنمو هذه الصناعة تدريجاً حتى اصبح نصف السكر المصنوع في العالم كله اليوم يستخرج من البنجر

ثم ان ذلك الرجل العظيم اخذ يفكر في وسائل اخرى للتخلص من الضيق الذي وقعت فيه بلاده فتراءى له ان كميات كبيرة من الاطعمة تتلف لانه يتعذر حفظها من التعفن فعين جائزة قدرها ١٢٠٠٠ فرنك لمن يتوصل الى طريقة تحفظ بها المأكولات مدة طويلة بلا تعفن . فلم يقصر الذكاء الفرنسوي عن حل هذه المشكلة فاخترع احدهم طريقة حفظ المأكولات في علب صفيح وما برحت هذه الصناعة تتقدم من ذلك الحين حتى اصبحت اليوم من اعظم موارد الطعام في العالم

وقد ادت الحالة اليوم بالمانيا الى اختراع طرق جديدة لتجهيز المأكولات وحفظها كما حدث في زمن نابليون - والحاجة على ما يقال ام الاختراع - فمن ذلك ما اعلنه بعض علماء الالمان اخيراً من توصلهم الى استحضار البروتيين - وهو كما لا يخفى اهم المواد المغذية - بطريقة كيماوية مبنية على تفاعل نوع من الخمير مع السكر والنتروجين الموجود في الهواء

ولا يستبعد بل يرجح ان يكون من نتائج هذه الحرب ادخال بعض انواع النباتات (والحيوانات ايضاً) في عداد اصناف الطعام المستعملة على موائد الناس في العالم . فان

انواع النباتات المعروفة تجاوز نصف المليون حالة كون ما يستعمل منها للطعام لا يزيد عن بضعة آلاف . اما الانواع الكثيرة الاستعمال فانها لا تجاوز بضع مئات فقط

ان كثيراً من المأكولات التي الفناها اليوم حديثة العهد . خذ مثلاً الطماطم (بندوره) فقد كانت منذ نحو نصف قرن فقط تعد بين غرائب النباتات الاميركية حيث كانت تسمى « تفاحة الحب » . والبطاطس لم تعرف في العالم الا بعد اكتشاف بيرو وكولومبيا في اميركا الجنوبية فانتشر استعمالها بسرعة عظيمة وحازت قبولاً لدى جميع الامم حتى اصبحت من اهم اصناف الطعام في العالم . وقس على ذلك امثلة كثيراً يطول بنا ذكرها . والعلماء اليوم يبذلون اقصى جهدهم لدرس خواص بعض انواع النبات بقصد استعمالها طعاماً . ثم انه لا يجب ان يبرح من ذهننا ان الاراضي المزروعة على وجه الكرة الارضية لا تتجاوز ثلث ما يمكن زرعه . على ان التقدم الذي حدث في طرق الزراعة عظيم جداً لا سيما في القرن الماضي

هل يخشى على العالم من مجاعة ؟

لا يخفى انه قام في انكلترا منذ قرن تقريباً عالم اقتصادي اسمه ملثس (Malthus) تنبأ عن قدوم مجاعة شديدة على العالم ودعم نبوته بحسابات طويلة قابل فيها بين ازدياد التناسل من جهة وكمية المواد المغذية من جهة أخرى . الا ان معظم الاقتصاديين الذين جاءوا بعده قد برهنوا على توهمه فيما ذهب اليه . ولكن لا يزال لمذهبه اثر في بعض النفوس ولعل هؤلاء المتشائمين معذورون في تخوفهم لان الانسان عندما ينظر لاول وهلة الى سكان الكرة الارضية المتزايد عددهم بازاء موارد الرزق المحدودة كميتها لا بد ان يخامره شيء من الخوف على مستقبل الجنس البشري

يبلغ عدد سكان الكرة الارضية نحو ١٧٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس لو جلسوا جميعاً على مائدة الواحد جنب الآخر لوجب ان تمتد تلك المائدة حول الكرة الارضية سبع مرات . وعند كل اوقية يأكلها الواحد منهم يستنفدون معاً ٥٣٠٠٠٠٠ كيلوغرام . واذا حسبنا ان الطعام المقدم لهم على تلك المائدة معتدل النوع والكمية استلزم ذلك الغداء من النفقات قدر ما تنفق حكومة الولايات المتحدة في مدة سنة ونصف — واذا حسبنا ما يستنفده الناس سنوياً من الطعام رأينا الارقام عاجزة عن تأدية المطلوب فلو فرضنا أن معدل ما يستنفده الانسان ليبرتان (نحو رطلين مصريين تقريباً) في كل يوم (والواقع اكثر من ذلك على الاجمال) يكون الهالك سنوياً من الطعام ١٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ طن

يلزم لنقلها سلسلة عربات تمتد حول الارض ثماني مرات على فرض أن العربة الواحدة تحمل ثلاثين طناً

ويمكننا ايضاً أن ندرك عظمة الكميات التي يستنفدها الناس لاجل الطعام اذا حسبنا أن معدل ثمن ما يأكله الشخص الواحد في اليوم نصف فرنك (فرشان) فان ثروة الامة الاميركية كلها (وهي اغنى امة عرفت في التاريخ) تكفي لاطعام الكرة الارضية مدة ٢٦ شهراً فقط

هذا من جهة . ولكننا اذا نظرنا الى موارد الطعام من جهة أخرى والى ما يمكن استخدامه من الاصناف والوسائل التي لاتزال مهملة أو مجهولة اليوم يطمئن بالنا ويسكن خاطرنا

فطرق الزراعة اولاً قابلة للتحسين وان تكن قد تحسنت كثيراً عن حالها السابقة ويبلغ هذا التحسين في بعض الامكنة خمسة وستة اضعاف ما كانت عليه منذ جيل واحد فقط . ولا شك ان معظم الاراضي المزروعة يمكن زيادة نتاجها مثنى وثلاث ورباع . وقد حسب احدهم ان روسيا وحدها اذا زرعت كل اراضيها على الطرق العلمية يمكنها أن تكفي تقريباً كل العالم مؤونة الغلال على انواعها . زد على ذلك الاراضي الواسعة التي لا يزال سكانها قليلين على رغم ثروتها الطبيعية التي لم يستثمرها الانسان . ثم ان هناك مأكولات جديدة يمكن تعميمها كدقيق الموز فقد وجدوا انه يقوم مقام القمح بكل سهولة . فضلاً عن الطرق الكيماوية التي يؤمل استخدامها في هذا السبيل بحيث تصنع المأكولات في المعامل على مبادىء علمية وتخرج منها سهلة الهضم غزيرة الغذاء

انواع الطعام

﴿ اللحم ﴾ يستنفد العالم كله في السنة نحو ٤٧٠٠٠٠٠٠٠ ليبرة (رطل تقريباً) من اللحم فيصيب الفرد من ذلك ٣٩ ليبرة في السنة . الا ان هناك تبايناً كبيراً بين الدول من حيث كمية اللحم التي تستنفدها وبهذا الاعتبار نرى الاستراليين في المقام الاول ويليهم الاميركيون ويصيب الفرد منهم ١٧٢ رطلاً في السنة . فالانكليز (١١٩) فالالمان (١١٣) فالفرنسويون والبلجيكيون (٨٠) فالنمسويون والمجر (٦٤) فالروسيون (٥٠) فالاسبان (٤٩)

ويحسن بنا هنا ان ندرس موارد اللحوم عند دول المانيا والنمسا وبلغاريا وتركيا فان احدث الاحصاءات تدل على أن عدد المواشي في تلك الدول قبل الحرب كان يبلغ ٥٠

مليون رأس بقر و٣٧ مليون خنزير و٣١ مليون رأس غنم . فعلى هذا الحساب يقدر ما يصيب الفرد من اهالي المانيا وحليفاتها نحو ٨٥ رطلاً وهذا المعدل اقل مما يستنفده الفرد من اهالي المانيا ولكنه اكثر مما يستنفده النمسوي والبلغاري والتركي

والطريقة الحديثة في استحضار اللحوم تختلف عن الطريقة القديمة بانه بدلاً من استقدام المواشي حية من مسارحها الى المدن التي تسلخ فيها فانها تقتل في مواطنها وترسل مسلوخة الى حيث تباع وتؤكل . وترجع هذه الفكرة الاقتصادية الى اميركي اسمه جوستاف سويفت وبها نقصت نفقات النقل نقصاً يذكر نظراً للفرق بين وزن الماشية الحية والماشية المقتولة ولا سيما ان العربة يمكنها ان تسع من الثانية أضعاف ما تسعه من الاولى . زد على ذلك انهم يستخدمون البقايا والاقذار الناتجة من السلخ لاغراض اخرى بعد تجهيزها بطرق علمية

ثم لا يخفى ما للتبريد من الاهمية المتزايدة في هذه الايام وهذه الصناعة ترجع الى نحو اربعين سنة فقط اذ شحنت اول ارسالية من اللحم المبرد . أما اليوم فان السفن التي تقوم بهذه الوظيفة عديدة جداً تمخر البحار في جميع الجهات

﴿ السمك ﴾ كلما زاد السكان على اليابسة اضطروا الى طلب القوت من البحار . وتقدر اليوم قيمة السمك الذي يستخرج من البحر سنوياً في الدول الكبرى كما يلي :

الولايات المتحدة	١٤٠٠٠٠٠٠ جنيه
روسيا	١٠٠٠٠٠٠٠ جنيه
انكلترا	٧٠٠٠٠٠٠ جنيه
فرنسا	٦٦٠٠٠٠٠ جنيه
المانيا والنمسا معاً	٢٤٠٠٠٠٠ جنيه فقط

اما من حيث الوزن فقد قدر ما يستخرج سنوياً من السمك في العالم كله بنحو ٢٠٠٠٠ مليون ليبرة يصيب اليابان وحدها من هذا القدر ٦٠٠٠ مليون . ولا يخفى ان انواعاً كثيرة من الاسماك لا تؤكل على رغم استيفائها للمواد المغذية وهناك مساع عديدة لادخال بعض الانواع الجديدة ضمن المأكولات البشرية

واشد الناس غراماً في اكل السمك الصينيون وهم ايضاً اشدهم توسعاً في الانواع التي يأكلونها اذ يمكن الواحد منهم ان يأكل في كل يوم صنفاً جديداً من السمك على طول السنة . وطريقتهم في صيد السمك غريبة فهم يربون طيراً غطاساً اسمه قاق الماء (أو غراب الماء) ويجعلون بيضه يفرخ مع الدجاج فلما يبلغ ثلاثة اشهر من العمر يعلمونه

الصيد فيربطون رجله بخيط ثم يرمون امامه سمكة صغيرة فيلتقطها ثم يعلمونه الغطس عند تصفير مخصوص . ولكي لا يبتلع السمك الذي يصطاده يلفون حول عنقه رباطاً يمنع مرور السمكة . فالصياد يربط الى مركبه عدة طيور من هذا النوع فاذا يصفر تغطس الطيور في الماء ثم تخرج وقلما تفشل في مهمتها

﴿ الغلال ﴾ لا شك ان عالم النبات أنفع للانسان من عالم الحيوان وتقدر حاصلات العالم كله من اهم انواع الغلال (اي القمح والذرة والشوفان والجاودار والشعير والرز) نحو ١٩٠٠٠ مليون بوشل في السنة (والبوشل يساوي بالليتر ٣٦٫٣٧) . وقد كانت حاصلات هذه الحبوب ما عدا الرز في سنة ١٩١٢ وهي السنة التي فاقت فيها الحاصلات كل السنين الماضية نحو ١٦١١٥٠٠٠٠٠٠ بوشل تقدر بنحو ١٩٥٢٨٠٠٠٠٠ جنيه

واذا قصرنا نظرنا على القمح وحده وجدنا جناه السنوي ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠ بوشل اذا حملت على عربات حديدية معاً لزم لها ٤٠٠٠٠٠ عربة من العربات الكبيرة الحجم ويبلغ طولها عند وضعها الواحدة تلو الاخرى طول محيط الكرة الارضية مرة ونصف مرة ولو فرضنا أن ذلك القطر يسير بسرعة عشرين ميلا في الساعة لاستغرق مروره امام نقطة معينة ٣١ يوماً

ولا يعرف المؤرخون موطن القمح الاصلي ولا كيف بدأ الناس باستعماله فالمصريون القدماء كانوا يدعون ان منشأه يرجع الى ايزيس . اما الصينيون فيقولون انه نعمة اتتهم من السماء . والارجح عند العلماء ان موطنه الاصلي جهات ما بين النهرين . ومن الثابت ان اقدم اللغات كان بين الفاظها القمح بل ان احدث المباحث الاثرية تدل على وجوده في الكهوف التي سكنها الانسان قبل زمن التاريخ لا سيما في جهات سويسرا

وعند الغربيين اليوم حركة قوية غرضها انقاص اكل اللحوم والزيادة من اكل الخبز فاهل الولايات المتحدة يصيب الواحد منهم ٢٩٥ ليبرة من القمح والجاودار بينما الانكليزي يصيبه ٣٥٦ والالماني ٥٢٥ والفرنسوي ٥٥٠ . وكلما زاد اكل الخبز قل اكل اللحم . وتدل الاحصاءات على ان اكل اللحم قد اخذ ينقص في السنوات الاخيرة

ويؤخذ من الاحصاآت الرسمية ان حاصلات المانيا وحليفاتها الثلاث كانت قبيل الحرب نحو ٥٠٠ مليون بوشل من القمح و٦٥٤ مليون بوشل من الجاودار فيصيب الفرد من الصنفين معاً ٤٦٧ ليبرة في السنة وقد رأينا فيما تقدم ان الالماني المعتدل يستنفد ٥٥٠ ليبرة من هذين النوعين

﴿ اللبن ﴾ لا يخفى ما اللبن وملحقاته من الاهمية في معيشتنا الحاضرة وليس أدل

على ذلك من قول احد الاحصائيين الاميركان ان قيمة ما يباع سنوياً في الاسواق من اللبن وتوابعه (وقيمته تبلغ ١٢٠ مليون جنيه) بقطع النظر عما يستهلك رأساً في المزارع والحقول يكفي لبناء ترعة بناما ولسد نفقات البحرية والحربية الاميركيتين

﴿ الخضار والفاكهة ﴾ الخضار والفاكهة أقدم وانفع اصدقاء الانسان فان تركيب اسنانه وجسمه يدل على ان الطبيعة قد أعدته لاكل هذه الاصناف دون غيرها . ولكنه طلباً للتنويع قد اضاف اصنافاً كثيرة الى مأكولاته وكان احدر به الاستغناء عنها . وقد انتشرت اليوم صناعة حفظ انواع الخضار والفاكهة في علب من الصفيح والقصدير بحيث يمكن ارسالها الى مسافات بعيدة والتلذذ بأكلها في الاوقات التي لا يتيسر فيها اكلها مباشرة من الطبيعة ويقال ان أول من اخترع طريقة لهذا الغرض نقولا ابرت الفرنسوي بناء على طلب نابليون بونابرت وقد نال جائزة قدرها اثنا عشر الف فرنك

﴿ الطيور الداجنة ﴾ يتعذر معرفة عدد الموجود اليوم من هذه الطيور في العالم كله ويقدر عددها في الولايات المتحدة بثلاثة لكل فرد فاذا صحت هذه النسبة على العالم كله كان في العالم منها نحو ٥٠٠٠ مليون . الا ان الارجح انها لا تجاوز نصف هذا العدد

﴿ السكر ﴾ الانسان بطبيعته ميال الى الحلويات وقد قال احدهم ان الطعم الحلو لحاسة الذوق يقوم مقام الجمال للنظر والموسيقى للسمع وقد زاد ما يصنع من السكر اليوم فقط تسعة اضعاف ما كان يصنع من اربعين سنة اذ كان ٢٢٠٠٠٠٠ طن في السنة فاصبح ٢٠٣٠٠٠٠٠ يستخرج نصفها من القصب والنصف الآخر من البنجر . ومن الغريب ان السكر هو اكثر المأكولات تأثراً من الحالة المالية فحيثما تحل ازمة مالية تقل تجارة السكر

﴿ القهوة والشاي ﴾ يستهلك العالم في السنة اكثر من ٢٥٠٠ مليون ليبرة (رطل) قهوة ثلاثة ارباعها تزرع في البرازيل . وهولندا اكثر الامم شرباً للقهوة فان معدل ما يلزم الهولندي سنوياً نحو ١٥ ليبرة ويليه الاميركي ويستهلك ٩ ½ ليبرات فالالماني ٥ ⅝ فالنمسوي ٢ ½ فالانكليزي ولا يزيد مشروبه السنوي عن ثلثي الليبرة . الا انه على الاجمال كلما نقص استعمال القهوة زاد استعمال الشاي فان الانكليزي يستهلك ٧ ليبرات من الشاي بينما الاميركي لا يستنفد الا ليبرة واحدة . أما الالمان والنمسويون فقلما يستعملونه

هذه نظرة اجمالية في طعام العالم اوردنا فيها اهم انواع الطعام باختصار وقد اضطررنا الى اغفال بعض الانواع الثانوية خوفاً من التطويل

اسباب الحروب

وأيها اقوى

يكفي ان نلقي نظرة اجمالية على الحروب الماضية حتى تأخذنا الدهشة من تنوع أسبابها واختلاف بواعثها . والتاريخ ينبئنا عن حروب نشبت لأتفه الامور كصفعة مروحة (حرب الجزائر) او جدال على خنزير (اوشكت على أثره ان تنشب الحرب بين اميركا وانكلترا) أو تشويه اذن احد الرعايا (حرب انكلترا واسبانيا سنة ١٧٣٨) او نحو ذلك . الا اننا لو ميزنا بين اسباب الحروب الحقيقية والحجج التي يتذرع بها المتحاربون اثباتاً لدعواهم لوجدنا الاسباب الحقيقية تحصر في بضعة عوامل رئيسية لا تعداها مهما تعددت الحجج والمزاعم الظاهرة . أما تلك العوامل فاهمها ثلاثة :

(١) العوامل الدينية — عند تصادم مذهبين أو عقيدتين

(٢) العوامل السياسية عند تصادم حقوق الشعوب بسلطة المستأثرين

(٣) العوامل الاقتصادية — عند تصادم المصالح المادية والمطامع الاقتصادية

ويزيد البعض على ما تقدم العوامل الفردية كقيام الرجال العظام اصحاب المطامع الاشعبية . الا ان معظم المؤرخين الحديثين لا يسلمون للافراد بتلك الاهمية في نظر التاريخ بحجة أنهم لدات الاحوال التي يوجدون فيها وقلما يؤثرون في مجاري المجتمع البشري ما لم تتوافر جميع الشروط التي يقتضيها الحال

العوامل الاقتصادية

ومن جهة اخرى هناك فريق من المؤرخين يتزايد عدداً ونفوذاً في كل يوم وهو يرجع بجميع الحوادث التاريخية الى العوامل المادية الاقتصادية ومذهبه معروف لدى علماء التاريخ «بتعليل الحوادث التاريخية بموجب السنن الاقتصادية» وزعماء هذا المذهب ينتقدون الطريقة المتبعة الى اليوم في تدوين التاريخ لانها تقتصر في الغالب على ذكر الافراد من ملوك وقواد ومشترعين وتهمل الماديات التي هي ركن المجتمع البشري . وفي رأي هذا الفريق ان مجرى التاريخ انما يتوقف على أسباب المعاش وتوزيعها بين الامم وان العوامل السياسية والدينية والفردية ليست في الحقيقة الا نتيجة العوامل الاقتصادية

قد يرى القارىء مغالاة في هذا الرأي لاول وهلة بل قد ينكره من اصله . ولكنه

اذا تجاوز سطح الحوادث التاريخيــة الى كنهها رأى اهمية تلك العوامل . وسواء سلمنا بمذهب « تعليل الحوادث التاريخية بموجب السنن الاقتصادية » بمجمله او قبلناه بتحفظ فما لا ريب فيه ان للماديات المقام الاول بين اسباب الحروب الماضية والحاضرة . وليس أدل على ذلك من ان نلقي نظرة اجمالية على الحروب وبواعثها منذ اقدم الازمنة

ففي الازمنة الاولى نرى مكانة الماديات ظاهرة كل الظهور فقد كانت القبائل تكره العمل الشاق فتعيش على البداهة مما تقدمه لها الطبيعة من خيراتها . ولما كانت موارد الرزق الطبيعية محدودة لا سيما اذا لم يجهد الانسان نفسه لانتاجها فلم تكن تلبث القبيلة مدة قصيرة حتى تضطر الى البحث عن موارد للعيش في جوارها فتصطدم بالقبائل المجاورة لها التي حل بها مثل ذلك . فمن ثم تنشأ الحروب على ابسط صورها وأقدمها . وقد كانت تنتهي وقتئذ بقتل الضعيف واكل جثته ثم اصبحت تنتهي باستعباد المغلوبين بحيث يمكن الاستفادة منهم مدة طويلة . قال احد كبار المؤرخين : « الحرب حالة طبيعية للقبائل التي تعيش على هبات الطبيعة بلا عمل واجهاد لانه كلما زاد اهل القبيلة اضطروا الى الاحتكاك بجيرانهم فتنشأ من جراء ذلك الحرب لحفظ التوازن بين الاهلين وموارد العيش »

واذا انتقلنا الى الحروب التاريخية الاولى وجدنا اسبابها اقتصادية ايضاً فاول زمن التاريخ يمتاز بنزوح كثير من الشعوب الفقيرة من مواطنها طلباً للرزق والثروة فكانت مطالبهم تصطدم حيثما حلوا بالملاك الشعوب المستقرة في الاراضي الخصبة الغنية . ومثلها ايضاً الحروب المتأخرة فوراء كل منها نجد باعثاً اقتصادياً يحرض فريقاً على فريق كضيق العيش وتكاثر الاهلين والحاجة الى طريق تجاري أو منفذ بحري أو نحو ذلك . حتى الحروب التي نسميها دينية فهي انما ترجع في الاصل الى المصالح المادية . خذ مثلاً الحروب الصليبية فان منشأها ونهايتها يثبتان اهمية العامل الاقتصادي فقد كان الباعث الاول عليها وقوف الدول الاسلامية حجر عثرة في سبيل التجار الغربيين لا سيما الايطاليين منهم ثم لما وجد الصليبيون بالاختبار ان حروبهم لم تجدهم نفعاً اهملوها

ان حرب اليابان مع الصين ثم حربها مع روسيا قضى بهما موقعها الجغرافي فاليابانيون محصورون في جزر ضيقة محدودة ابواب الرزق ولما كانوا يتناسلون بكثرة اضطروا بطبيعة الحال الى البحث عن منفذ يقيهم شر الاختناق الاقتصادي ومن ثم الحربان السالفتان

ومثلهم الايطاليون في الحرب الطرابلسية فان ايطاليا اخذت تضيق بالايطاليين

المتكاثرين عدداً ولاسيا انهم اخذوا يرقون معيشتهم. وقد كانت المهاجرة في اول الامر تريح ايطاليا من الذين لاتقدر على اعالتهم فلما قلت المهاجرة رأت في استعمار طرابلس تحقيق ضالتها المنشودة حتى ترسل اليها من تضيق عنهم

يطول بنا الشرح لو اردنا بيان العامل الاقتصادي في جميع الحروب السالفة وحسبنا ما تقدم امثلة يمكن القياس عليها . ثم ان المصالح المادية الاقتصادية تقرب الامم بعضها من بعض اذا اتفقت مصالحها كما انها تفرق بينها لما تتنافر تلك المصالح . انظر الى المعاهدات الدولية الماضية والحاضرة تجد انها في الغالب ليست الا نتيجة توافق المصالح وتبادل المنافع . هذه المانيا حليفة تركيا اليوم تذود عن كيانها في الظاهر والحقيقة انها تمهد السبيل لاستعمارها اقتصادياً . ولا شك انه من مصلحتها ابقاء تركيا في رقدتها العميقة ومنعها من الرقي لئلا تستغني عنها متى اشتد ساعدها

ان الباحث البصير يرى وراء اسباب هذه الحرب الظاهرة من قتل ولي عهد وطلب وغير ذلك ثأر منافسات تجارية مضطرمة ومصالح اقتصادية متصادمة وطلباً للرزق في الخارج ورغبة في الحصول على منافذ بحرية ونحو ذلك من الدوافع القوية المختبئة وراء الحجج والتمحكات التي تقدمها كل من الدول المتحاربة دفاعاً عن خطتها

فيتبين مما تقدم ان للعوامل الاقتصادية المقام الاول في توجيه مجاري التاريخ . نعم ان تلك العوامل تختلف صورها باختلاف الزمان والمكان ولكنها واحدة في الجوهر والغرض . غير انه لا يسع الباحث المنصف الا ان يعترف بالعوامل الاخرى التي تؤثر في مجرى التاريخ كمطامع الحكام ، ورغبة اصحاب السلطة والنفوذ في توسيع نفوذهم او حماية مصالحهم ، والروح العسكرية الغريزية في بعض الشعوب ، والعاطفة الوطنية العمياء التي تثور احياناً لاتفه الاسباب ، واختلاف المشارب والاميال ، والتعصب الديني والمذهبي وغير ذلك من العوامل المختلفة ولكنها جميعاً ليست الا اسباباً ثانوية بجانب العوامل الاقتصادية وان يكن لها في الظاهر المقام الاول

ماهية العامل الاقتصادي

ولابد لنا من البحث عن ماهية العامل الاقتصادي . فماذا نعني بقولنا عاملا اقتصادياً ، وماهي حقيقة القوة التي تنطوي تحت ذلك العامل ؟ من المقرر اليوم لدى علماء الاجتماع ان القوى المحركة في الهيئة الاجتماعية هي العواطف دون غيرها . فكل تنافر اجتماعي (والحرب صورة معظمة لهذا التنافر) لا بد ان ينشأ عن تنافر في عواطف الجماعات . وتنافر العواطف هذا ينشأ عن احتكاك مصالح طبقة او شعب بمصالح طبقة او شعب آخر

ولما كان النظام الاقتصادي في الماضي وفي الحاضر انما يقوم بالمنافسة فتنافر العواطف ملازم له لانه ما زالت موارد العيش محدودة في العالم فلا بد من تزاحم طالبيها واحتكاك مطامعهم فاذا لم يتمكن المتزاحمون من نيل مرادهم بالطرق السلمية لجأوا الى الحرب المسلحة وما هي في الحقيقة الا مظهراً من ظواهر الحرب العمومية الناشبة بلا انقطاع بين الامم

هذا هو الواقع الذي ينجلي للباحث . غير ان فريقاً لا يستخف به من الكتاب والاقتصاديين كان ولا يزال يدعي بان مصالح جميع الامم متفقة وان سعادة البعض تؤدي الى سعادة البعض الآخر . ولكن الحقيقة غير ذلك . قال احدهم رداً على هذا الزعم :

« ان مذهب اتفاق مصالح الامم وتوافقها خطأ مثل المذهب القائل بتنافرها وتناقضها حتماً . ولو كانت كل من الدول تخصص نفسها لصناعة واحدة لصح ذلك الحكم لان تبادل المنافع عندئذ يجري بلا تنافس وتنازع ما زال كل فريق لا يتعدى حدوده . ولكن الواقع ان التنافس ما برح يتزايد بين الامم في اسواق العالم ومتاجره بحيث ان ما تربحه الامة الواحدة تخسره الاخرى »

هل تبطل الحروب ؟

فمن ذلك تتمكن من الجواب على هذا السؤال . فان الحروب لن تبطل ما زال النظام الاقتصادي والتجاري بين الامم على ما هو اليوم لان هذا النظام مبني على التنافس ومن التنافس ينشأ تنافر العواطف فالحرب . فاكبر رادع عن الحرب توفيق مصالح الامم الاقتصادية . ورب قائل يقول ان الحرب ملازمة للطبيعة البشرية بل هي مظهر من سنة تنازع البقاء الشاملة لجميع الكائنات الحية . فالجواب على هذا الاعتراض انه يصدق ايضاً على السرقة والقرصنة وهما على ما نرى محرمتان في جميع الشرائع البشرية . فكما ان البشرية قد استغنت عنهما تدريجاً في اثناء تقدمها ورقيها (وان يكن لهما آثار باقية الى اليوم) او بالحري اقرت باضرارها فلا مانع من تحريم الحروب في المستقبل على شرط حفظ التناسب بين النسل وموارد الرزق . فان القوة التي تنفقها الانسانية في تقاتل ابنائها يمكن توجيهها الى وجهات أخرى جزيلة النفع . هذا على شرط توفيق المصالح الاقتصادية كما قدمنا وتهذيب الرأي العام بحيث يقتنع من اضرار الحرب

ان مزية الانسان على سائر الحيوانات هي انه لا يكل امر ارتقائه وتقدمه للقوى الطبيعية العمياء بل يقدر بما فطر عليه من التبصر والادراك على توجيه تلك القوى نحو الجهة التي يراها ملائمة للاحتفاظ بحياته وتقدمه في سبيل الراحة المادية والادبية . وبفضل هذه المزية يؤمل المفكرون ان يأتي يوم تبطل فيه الحرب ويعيش الناس بسلام

رومانيا

تاريخها وعمرانها

اتجهت الانظار في هذه الايام الى دولة رومانيا التي اصبحت مع صغرها الشغل الشاغل لساسة العالم فالناس يتطلعون الآن الى الخطة التي تنتهي اليها تلك الدولة ازاء المتحاربين بعد حيادها الطويل . وقد رأينا أن نتحف قراءنا بشيء من تاريخها وما تقلب عليها من الاحوال حتى وصلت الى حالها الحاضرة



فرديناند الاول ملك رومانيا

تاريخها

لم يصل الينا من تاريخ البلاد التي كان يقطنها اهالي رومانيا في الزمن الغابر الآ النتف القليلة فقد كانت غارقة في الظلمات حتى جاءها الفينيقيون فتركوا فيها شرارة من مدنيتهم . وتلاهم اليونان فاذكوا تلك الشرارة ونشروها في البلقان كافة فبثوا فيها روح مدنيتهم ورقيهم . ثم جاء الرومان فاستعمروا جميع الاراضي التي يخترقها نهر الدانوب فاصبحت تلك البلاد مستعمرة عظيمة غنية بتربتها الخصبة وساعد ذلك على نمو تجارتها وتهافت عليها

المستعمرون الرومانيون من روما وغيرها وانتشرت هناك لغة الرومان وحضارتهم وعاداتهم وأصبحت المستعمرة كقطعة من بلاد روما نفسها ولا تزال حتى الآن الآثار الرومانية ناطقة بذلك . واسم رومانيا نفسه أعظم برهان على ان هذه المملكة الحديثة هي من بقايا تلك الدولة العظيمة

ولكن ما عتم ان جاء البرابرة وأولهم القوط وغزوا ولايات الدولة الرومانية كافة قبيل انحطاطها فكانت اراضي البلقان اول ما سقط في قبضة ايديهم وذلك في منتصف القرن الثالث للميلاد . وتلاهم الهون (Huns) بقيادة اتيلا فاكتسحوا أوربا من نهر الفولجا في روسيا الى نهر الرين وما زالت غزوات البرابرة والمغول تتوالى على هذه البلاد مدة عشرة قرون متوالية محيت في خلالها آثار مدنية الرومانيين القدماء وطردت بقايا العنصر الروماني الى ما وراء جبال الكاربات حيث عاشت هذه البقايا معيشة الرحالة . وبالرغم من تشتتهم ظلوا محافظين على البقية الباقية من مدنيتهم وتقاليدهم العظيمة وعلى عنصرهم الذي كاد يفنى من الغزوات المذكورة . وما خفت وطأة البرابرة حتى قامت الحروب الداخلية والمنافسات بين القبائل التي تقطن تلك الجهات الى ان جاء الاتراك فاكتسحوها . ووقعت بعدئذ الحروب بين روسيا وتركيا كما يعلم القراء ثم اتت معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ بعد حرب القرم الشهيرة فقضت بانشاء امارتين يتولاها أميران ينتخبان في يوم واحد . وقد حدث بالتصادف ان هاتين الامارتين وقع اختيارهما على أمير واحد وهو الامير اسكندر جيوان الاول وبالرغم من اضطرار هذا الامير ان يتنازل عن عرشه في سنة ١٨٦٦ على أثر ثورة داخلية فان وجوده مهد السبيل لتوحيد الامارتين وتسميتهما باسم رومانيا

وخلفه البرنس كارول من عائلة هوهنزلرن وكان الذي اختاره لهذا المنصب بسمارك اذ اخ عليه بقبول الامارة الجديدة قبل ان يتسنى للدول الاخرى الاحتجاج على تعيينه وقد كان هذا الامير يبث روح الوطنية والشجاعة في رعاياه وكانوا يحبونه حباً يقرب من العبادة . وزادت محبتهم له عند تلبيته دعوة روسيا في حربها مع تركيا سنة ١٨٧٧ــ١٨٧٨ وكسره العثمانيين في واقعة بلفنا الشهيرة فاقاموه ملكا عليهم . وتوفي هذا الملك في اواخر سنة ١٩١٥ الماضية وخلفه ابن أخيه فرديناند ملك رومانيا الحالي

مساحتها وسكانها وأرضها

تقدر مساحة رومانيا الآن بما يقرب من ٤٤٥٠٠ كيلومتر مربع وسكانها بسبعة ملايين ونصف مليون نسمة أغلبهم من أهل الزراعة . ويوجد من عنصرهم كثيرون في

بلاد النمسا والروسيا ولكن السياسة لم تراعِ وحدة اللغة والجنسية فقضت بتجزئة الاراضي التي يقطنها شعب واحد

وأراضي رومانيا الخصبة هي مصدر غناها وثروتها وقد كانت طبقة الزراعيين في أشد حالات الفقر نظراً لثقل الضرائب ولاستئثار الاجانب واليهود بموارد الثروة فيها ولكن الحكومة قامت فبدأت بتجزئة الاراضي على صغار الفلاحين وعمدت الى ارشادهم لتحسين زراعتهم وصناعتهم والعناية بالاحراج ثم الى ترقية معيشتهم وسكناهم ووضعت لهم نموذجاً خصوصاً تبنى المنازل على شكله كي يسكنوا فيها على الطرق الصحية الحديثة

عاصمتها

هي مدينة بوخارست الشهيرة ومعناها باللغة الرومانية (بلدة المسرور) وعدد سكانها ٣٤٠٠٠٠ نفس وهي قائمة على ارض واسعة تقرب مساحتها من مساحة باريس وأغلب منازلها تحتوي على طابق واحد وشوارعها عريضة مما يزيد في جمال البلدة ويوفر للاهلين أسباب النظافة والوسائل الصحية . وفيها أبنية فخيمة للغاية وأهمها دور الحكومة والقصر الملكي والفنادق والمستشفيات وغيرها . وبوخارست مركز النهضة العلمية والادبية في رومانيا وملاهيها مأخوذة عن ملاهي باريس وفينا وأما متنزهاتها الجميلة وحدائقها الفسيحة فمن أبدع ما رأته العيون

الدين في رومانيا

في رومانيا نحو ثلاثة ملايين من المسيحيين الارثوذكس والباقي من اليهود ومن المذاهب الاخرى وكلهم شديدو التدين وقلما تجد في رومانيا تلك المنازعات الدينية التي يكثر حدوثها في بلاد الشرق الا أنك مع ذلك تجد اليهودي هناك مكروهاً والسكان يتجنبونه في القرى والبلدان . وقد سنت الحكومة قوانين تضيق عليه سبل معيشته في بلادها ولعل ذلك بسبب مزاحمته للاهالي في اشغالهم وسعيه في الاستئثار بالثروة دونهم

وأهالي رومانيا من اشد الناس اقبالاً على الاعياد والولائم الدينية وقلما تجد قرية لايقوم اهاليها بالرقص في ايام الآحاد والمواسم وجميع الحانات تحتوي على مرقص مخصص لذلك يرقص فيه الكبار والصغار ويجوز لاي شخص الاشتراك في الرقص

التعليم

كانت الحكومة قد قررت منذ سنة ١٨٦٤ التعليم الاجباري العام ولكن الاقبال على المدارس كان قليلاً نظراً لانهماك الصبية الصغار في اشغال المنزل والحقول وفضلاً

عن ذلك فان المتعلمين لم يكن لهم الاعتبار اللائق بهم . ولكن ما عتم ان بدأت تنبه في الاهالي الرغبة في طلب العلم ولا سيما الاغنياء منهم الذين اعتادوا زيارة معاهد العلوم في اوربا فانشئت جامعتان للعلوم العالية والمدارس الابتدائية والفنية والعلمية وأخذت الامية تضمحل الى النصف . واهم معهد علمي لفت أنظار العالم مدرسة العميان التي أنشأتها كارمن سيلفا ملكة رومانيا السابقة المتوفاة حديثاً

اللغة الفرنسوية

ويستعمل اهالي الطبقة الراقية والاغنياء اللغة الفرنسوية في معاملاتهم وأحاديثهم وقلما يستعملون لغتهم الوطنيـة الا في الاحوال التي تنص عليها القوانين — في القضاء ومجلس النواب مثلاً — أما النساء في الطبقة المذكورة فنظراً لعدم اضطرارهن لدرس اللغة الرومانية يتهافتن على تعلم اللغة الفرنسوية قراءة وكتابة ويندر من تلتفت منهن الى استعمال لغة البلاد . وهذا هو السبب في انتشار العادات والتقاليد الفرنسوية انتشاراً كبيراً وقد جاءت اخيراً اللغة الالمانية تزاحم الفرنسية في هذا المضمار وساعد على ذلك قرب النمسا وكون العائلة المالكة من اصل الماني

التجارة

أهم صادرات رومانيا الغلال تصدر منها سنوياً ما قيمته ٤٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وزيت البترول وقيمة ما يصدر منه ١٦٠٠٠٠٠ جنيه وفيها ايضاً جبال من الملح وهذا الملح يصدر منه كميات كبيرة بعد تكريره

وأما وارداتها فاهمها المصنوعات والآلات وغيرها وهي تستورد من المانيا بضائع بقيمة ٧٠٠٠٠٠٠ جنيه لا سيما الاسلحة والذخائر والآلات الميكانيكية وتصدر لها ما يقرب من سبع هذه القيمة من المواد الغذائية

وأما وارداتها من فرنسا فتبلغ مليوني جنيه وصادراتها اليها نصف هذه القيمة ووارداتها من البلجيك تماثل وارداتها من فرنسا

وأهم طريق تجارية لرومانيا نهر الدانوب وهو يمر فيها من الغرب الى الشرق والملاحة فيه خاضعة لمراقبة لجنة دولية تدعى لجنة الدانوب تقوم بكل ما فيه تسهيل الملاحة وازالة العوائق في سبيلها وتنظيمها الخ . اما طرق رومانيا الحديدية فقليلة تقدر بنحو ٢٣٣٣ كيلو متراً

جيشها والخدمة الاجبارية

ومع ان الفرد الروماني لا يمتاز بالروح الحربية التي امتاز بها رعايا البلقان فان محبته لوطنه تجعله مستعداً للدفاع عنه حتى الموت وهو يعتبر الخدمة في الجيش من واجباته المقدسة

وقد اقتبست رومانيا نظامها الحربي من المانيا والشبان كافة بين التاسعة عشرة والاحدى والعشرين يتلقون التعليم العسكري في منازلهم او في مدارس مخصصة لذلك . وتبدأ الخدمة في الجيش العامل من سن الواحدة والعشرين فيمضي الشاب سنتين في صف المشاة وثلاث سنين في قسم آخر من الجيش ثم يلحق بالاحتياطي لمدة عشر سنين وبعدها يضم الى المستحفظ او الميليس لمدة اربع سنين . ويبلغ عدد الجيش العامل ٢٩٠ الفاً ويمكن زيادته زيادة عظيمة عند الاقتضاء

وليس لرومانيا اسطول نظراً لضيق سواحلها وصغرها عدا بعض البواخر الكشافة والنسافات وغيرها في نهر الدانوب

نساء رومانيا

والنساء في هذه البلاد قد خصهن الله بجمال باهر وهن مع ذلك يساعدن الرجال في اشغالهم ويقمن بجميع لوازم البيوت من طبخ وغسيل وقد بلغ بهن النشاط درجة متناهية فهن يصنعن جميع المنسوجات التي تلزم للملابس من التيل والكتان ويخطنها ولذا ترى في لبس اهالي رومانيا شيئاً من الرقة واللطف مما ينم عن ذوق المرأة عندهم

كلمات لكارمن سيلفا

ملكة رومانيا السابقة

الشعر الابيض على الرأس كالزبد الذي يعلو البحر بعد الصاعقة

الجاهل يضع نفسه في الصف الاول لكي يُرى اما العاقل فانه ينزوي في الخلف ليرى

المناقشة تبث الحياة في الحديث ولذا فليس امل من مجتمعات البلاطات الملكية حيث يوافق الجميع على اقوال المتكلم

اذا ابتعدت السعادة عن الانسان مدة طويلة يصبح لا يطلبها حتى اذا قرعت بابه يوماً يخشى أن تكون شقاء متستراً

في الحياة سعادة واحدة هي الواجب وعزاء واحد هو العمل ولذة واحدة هي الجمال

الجبابرة

لجبران خليل جبران

جاءنا عدد رأس السنة من جريدة السائح النيويوركية الغراء طافحاً بالمقالات الرائقة لاشهر ادباء السوريين في المهجر ومزداناً بصورهم على نحو ما تفعل الجرائد الغربية في رأس كل سنة فرأينا ان ننقل عنها مقالة الكاتب والمصور الشهير جبران خليل جبران وصورة ابي العلاء المعري له ايضاً :

ليس من يكتب بالحبر كمن يكتب بدم القلب

وليس السكوت الذي يحدثه الملل كالسكوت الذي يوجده الالم

اما انا فقد سكت لان اذان العالم قد انصرفت عن همس الضعفاء وانينهم الى عويل الهاوية وضجيجها، ومن الحكمة ان يسكت الضعيف عندما تتكلم القوى الكامنة في ضمير الوجود — تلك القوى التي لا ترضى بغير المدافع ألسنةً ولا تقنع بسوى القنابل ألفاظاً

نحن الان في زمن اصغر صغائره اكبر من كبائر ما تقدمه . فالامور التي كانت تشغل افكارنا واميالنا وعواطفنا قد ازوت في الظل . والمسائل والمشاكل التي كانت تتلاعب باراتنا ومبادئنا قد توارت وراء نقاب من الاهمال . اما الاحلام المستحبة والاشباح الجميلة التي كانت تميس متنقلة على مسارح وجداننا فقد تبددت كالضباب وحل محلها جبابرة تسير كالعواصف ، وتمايل كالبحار ، وتتنفس كالبراكين

وما عسى أن يصير اليه العالم بعد ان تنتهي الجبابرة من صراعها ؟

هل يعود القروي الى حقله فيلقي البذور حيث زرع الموت جماجم القتلى ؟

هل يقود الراعي مواشيه الى مروج مزقت أديمها السيوف ويوردها مناهل يمتزج ماؤها بنجيع الدماء ؟

هل يركع العابد في هيكل رقصت فيه الشياطين ، ويردد الشاعر قصائده أمام كواكب حجبت بالدخان ، وينغم المنشد اغانيه في ليل عانقت سكينته الاهوال ؟

هل تجلس الام بجانب سرير رضيعها مرتلة بالهدوء اغاني النوم وهي لا ترتجف وجلاً مما سيجلبه الغد ؟

هل يلتقي الحبيب بحبيبته ويتبادلان القبل حيث التقى العدو بعدوه وتبادلا القذائف ؟

وهل يعود نيسان الى الارض ويستر بقميصه اعضاءها المكلومة ؟

ليت شعري ! هل يعود نيسان الى الحقول ؟

* * *

وماذا عسى تصير اليه بلادكم وبلادي ؟ وأي من الجبابرة يضع يده على تلك التلال والهضبات التي انبتتنا وسيرتنا رجالا ونساء أمام وجه الشمس ؟

وهل يطلع الفجر فوق قمم لبنان ؟

كلما خلوت بنفسي أطرح عليها هذه السؤالات غير ان النفس كالقضاء تبصر ولا تتكلم ، وتسير ولكنها لا تلتفت ، فهي ذات عيون تتجلى واقدام تتسارع ، أما لسانها فثقيل

ومن منكم أيها الناس لم يسأل نفسه في كل يوم وليلة عن مصير الارض وسكانها بعد أن تختمر الجبابرة من دموع الارامل والايتام ؟

انا من القائلين بسنة النشوء والارتقاء ، وفي عرفي أن هذه السنة تتناول بمفاعيلها الكيانات المعنوية بتناولها الكائنات المحسوسة ، فتنتقل بالاديان والحكومات من الحسن الى الاحسن انتقالها بالمخلوقات كافة من المناسب الى الانسب . فلا رجوع الى الوراء الا في الظاهر ولا انحطاط الا في السطحي

ولسنة الارتقاء سبل متشعبة يتفرع بعضها من بعض ولكنها متلازمة الاصول ، ومظاهر قاسية ظالمة مظلمة تتكرها الافكار المحدودة وتتمرد عليها القلوب الضعيفة ، أما خفاياها فعادلة منيرة ، متمسكة بحق أسمى من حقوق الافراد ، محدقة بغرض أعلى من مرام الجماعة ، صاغية الى صوت يغمر جهوله وعذوبته تنهدات المتكوبين وغصات المتوجعين

حولي بكل مكان أقزام يرون عن بعد اشباح الجبابرة متناضلين ويسمعون في المنام صدى تهاليلهم فيضجون كالضفادع قائلين : لقد رجع العالم الى فطرته الوضعية فما بنته الاجيال بالعلم والفن قد هدمه الانسان الوحشي بالطمع والانانية . فحالنا اليوم حال سكان الكهوف ولا يميزنا عنهم سوى آلات نبتدعها للدمار وحيل نستخدمها للهلاك

هـذا ما يقوله هؤلاء الذين يقيسون ضمير العالم بمقياس ضمائرهم ويحللون مراد الوجود بالفكرة القصيرة التي يستخدمونها لحفظ وجودهم الفردي . فكأن الشمس لم تكن الا لتدفئتهم ، وكأن البحر لم يوجد الا لغسل ارجلهم

* * *

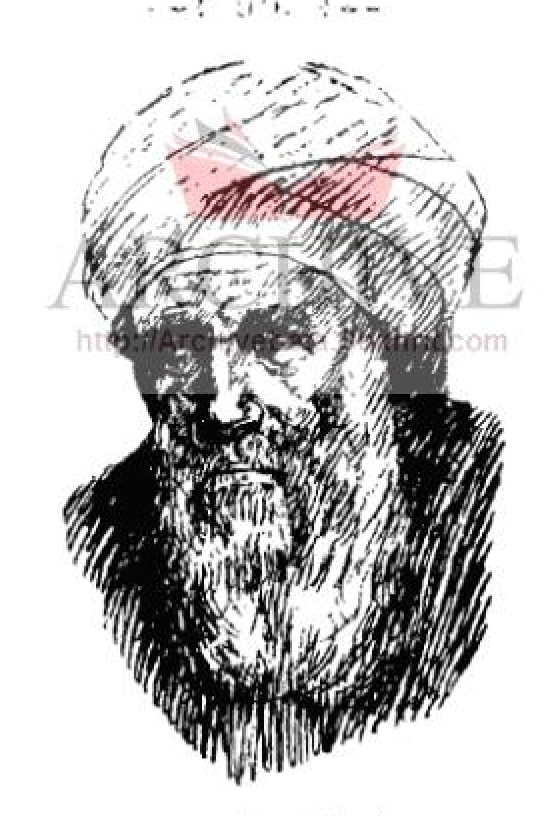
من احشاء الحياة ، من وراء المرئيات ، من اعماق الكون المدبر حيث تصان سرائر الكون المدبر قد انبثق الجبابرة كالزعازع وتصاعدوا كالغيوم ثم تلاقوا كالجبال وهم الان

يتصارعون ليحلوا مشكلة في الارض لا يحلها غير الصراع

اما البشر وكل ما في رؤوسهم من المدارك والمعارف ، وما في قلوبهم من المحبة والبغضاء ، وما يعانق نفوسهم من الصبر والجزع والاوجاع فآلات يتناولها الجبابرة ويديرونها توصلاً الى غاية علوية لا بدّ من بلوغها

اما الدماء التي اهرقت فسوف تجري انهاراً كوثرية ، واما الدموع التي نثرت فستنبت ازهاراً زكية ، واما الارواح التي فاضت فسوف تجتمع وتتآلف وتتطلع من وراء الافق الجديد صباحاً جديداً فيعلم الناس بانهم قد ابتاعوا الحق في سوق البؤس وان من ينفق في سبيل الحق لن يخسر

واما نيسان فسيعود — ولكن من يطلب نيسان من غير كف الشتاء فلن يجده



ابو العلاء المعري

المدنية الصينية

الشرائع والنظامات والدين والخرافات
والفلسفة والادب والتربية والمعيشة البيتية والاجتماعية الخ . . .

نشرنا في الجزء الخامس من هذه السنة مقالة عن الصين وما تم فيها على يد الرئيس يوان شي كاي ايضاحاً لما يجري فيها اليوم من الحوادث السياسية التي قد تنتهي بالرجوع الى الامبراطورية بدلاً من الجمهورية . الا ان درس الحوادث والانقلابات لا يتم الا اذا وقفنا على عادات الشعب وأخلاقه وروحه ونظاماته وسائر ظواهر مدنيته وهو ما نرمي اليه بايجاز في هذه المقالة

لا بد لنا قبل الخوض في هذا البحث من تحديد الصين عند درسنا المدنية الصينية . فالروح الصينية الحقيقية انما تتجلى لنا في بلاد الصين الاصلية المؤلفة من « الثاني عشر ولاية » لا في المقاطعات الاخرى نعني منغوليا ومنشوريا وتركستان والتيبت . فالصين بالذات ليست الا خمس الدولة الصينية وهي تمتد من مدينة باكين العاصمة بالشمال الى كنتون في الجنوب ومن شنغاي في الشرق الى حدود التيبت في الغرب

ويمتاز سكان الشواطىء الصينية عن أهل الداخلية بسرعة الخاطر وحدة الذهن . والصينيون انفسهم يزعمون ان في الجبال تنبت الفضيلة وفي الماء تنمو الحكمة كأنهم يريدون بذلك ان الفضيلة والحكمة لا يجتمعان . وبين اهل الشمال واهل الجنوب منافسة قديمة أدت الى حروب كثيرة . اما عدد الصينيين فيختلف تقديره بين ثلاثمئة واربعة مليون وقد حسب احدهم انه لو مرّ جميع الصينيين في صف واحد أمام مكان معين ما كان لهم نهاية فانه قبل نفاد الوقت الذي يستغرقه مرور الثلاثمئة مليون يكون قد جاء من الصينيين جيل جديد يكمل الصف ولا يوشك هذا الصف ان ينتهي حتى يلحق به جيل آخر وهلم جراً

ويجدر بنا هنا على ذكر الاحصاء ان نبين اهتمام الصينيين بالاحصاآت من قديم الزمن فقد كانوا يجرونها بانتظام لاغراض مختلفة . ويؤخذ من السجلات ان سكان الصين كانوا يبلغون في سنة ١٥٦ للمسيح خمسين مليوناً

ومن الاوهام الشائعة ان اللغة الصينية واحدة والحقيقة ان عندهم على الاقل ثماني لهجات تختلف اختلافاً تاماً على السمع كما تختلف الانكليزية عن الفرنسوية والالمانية حتى ان ساكن شنغاي لا يفهم كلام ساكن كنتون . غير انه على رغم اختلاف اللهجات فاللغة الكتابية واحدة . وهي من هذا القبيل تشبه اللغة العربية التي يعجز ابناؤها عن

التفاهم اذا كانوا قادمين من اصقاع مختلفة . وتمتاز اللغة الصينية بالنغمات التي ترافق كل صوت بحيث ان الصوت الواحد يعني اشياء مختلفة بمجرد نطقه بنغمة أو لحن مخصوص . وكما ان اللهجة تختلف بين سكان الصين فان عاداتهم واخلاقهم تختلف ايضاً فبعض آداب السلوك وآداب الزيارة مثلا تصح في جهة ولا تصح في جهة اخرى الا انه على رغم ذلك تجد الصفات الاساسية واحدة عند الجميع

***

يؤخذ من التقاليد الصينية ان عصر الصين الذهبي يرجع الى ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح. ولكن دارس المدنية الصينية يكفيه ان يرجع الى القرن العاشر قبل الميلاد وفيه بلغ الصينيون درجة تذكر من التقدم والارتقاء لا يبقى معها ريب في قدم تاريخهم ومدنيتهم



لوحة كونفوشيوس في باكين وفي اعلاها جملة معناها «معبر ومثال عشرة آلاف جيل»

وقد كانت منازلهم في البدء تبنى من الطين والجبس وتفرش ارضها بالحشائش وكانوا يجلسون على الحصر ثم اخترعوا الكراسي والموائد . وكانوا يكتبون على صفائح رقيقة من الخشب بأقلام مصنوعة من الخيزران يشقونها في طرفها ويغطسونها في مادة ملونة (كالاقلام العربية)

ويرجع الطب الصيني الى اقدم الازمنة ولهم فيه مؤلفات شتى وقد كانوا يقسمون الامراض الى اربعة اقسام يقابل كل قسم منها فصلاً من فصول السنة كما يأتي :

الصداع والاصابات العصبية	في الربيع
امراض الجلد على انواعها	في الصيف
الحميات	في الخريف
امراض الصدر والرئة	في الشتاء

اما علاجاتهم فقد كانت مأخوذة من خمسة اصناف هي: العشب والاشجار والحبوب والحيوانات والمعادن وكل صنف من هذه الاصناف مقسوم ايضاً الى خمسة اقسام لكل قسم منها خاصة تميزه عن سواه وهي: الحامض لتغذية العضلات. المالح لتغذية الاوعية الدموية. المر لتقوية الجسم عموماً. الحلو لتغذية اللحم. والحرّيف لتغذية العظم. ثم انهم كانوا يدركون اهمية النبض ويميزون ٢٤ نوعاً من انواعه

وفي سنة ٢٢٠ قبل الميلاد قام في الصين رجل عظيم اخضع جميع الامارات الصينية وسمى نفسه الامبراطور الاول فكان جلوسه ختام النظام الاقطاعي الصيني وهو الذي امر ببناء السور العظيم واستخدم المجرمين لهذا الغرض، وارسل اسطولا ليبحث عن بعض الجزر، وضرب عملة نحاسية قامت مقام العملة المتداولة قبلا. ولكن اغرب ما اتاه ذلك الملك العظيم انه احرق جميع الكتب والمؤلفات الصينية رغبة منه في ان يكون حكمه بدء عهد جديد للاداب والفلسفة. الا انه ابقى ثلاثة انواع من المؤلفات فقط وهي الكتب الزراعية والكتب الطبية وكتب التنجيم

وتوفي ذلك الامبراطور العظيم سنة ٢١٠ ق. م. فخلفه ابنه الذي لقب بالامبراطور الثاني ولكنه لم يحكم طويلاً اذ قتله رجل قويّ الارادة كان فلاحاً بسيطاً بعد ثورة دامت ثلاث سنوات ونصب نفسه مكانه سنة ٢٠٦ ق. م. وبقي الحكم في اسرته المعروفة باسم « اسرة هان » نحو اربعمئة سنة نصفها قبل المسيح والنصف الآخر بعده. وفي طول هذه المدة لم يسترح الصينيون فقد كانوا في نزاع دائم مع جيرانهم التتر والهون والكوريين. وقد ادت بهم حروبهم مع كوريا الى اكتشاف اليابان التي كانت وقتئذ في انحطاط ولم تعترف بها الصين رسمياً الا سنة ٧٥ للميلاد اذ قبلت سفيراً يابانياً في عاصمتها للمرة الاولى

واهم ما حدث في هذه المدة احياء العلم والآداب والبحث عن الكتب التي بقيت مخبأة رغم امر الامبراطور الاول المتقدم الذكر الذي قضى باحراقها لا سيما الكتب الدينية واهمها تعاليم كونفوشيوس. ومن الامور الهامة ايضاً اكتشاف الورق والحبر في تلك المدة واستخدام شعر الجمل في ريشة التصوير. وفي تلك الايام ايضاً منحت الالقاب

العلمية وعين اكبر ذكر من اسرة كونفوشيوس خليفة له ولا يزال هذا المركز محترماً الى اليوم

وفي ذلك العهد توغل الصينيون في اواسط آسيا واحتكوا ببعض مستعمرات اليونان في آسيا فاقتبسوا عنهم اشياء كثيرة اهمها العنب والنبيذ والساعة المائية وصححوا أيضاً تقاويمهم وقلدوا الموسيقى اليونانية حتى ان الموسيقى الصينية الحالية تشبه الموسيقى اليونانية القديمة

وبعد سقوط أسرة هان حدثت قلاقل وفتن ادت الى انقسام المملكة الى ثلاثة اقسام من سنة ٢٢٠ الى سنة ٢٦٥ وهذه المدة تعرف بزمن الممالك الثلاث . وتبع ذلك



دير صيني غرفه منحوتة في الصخر على شاطئ نهر

انحطاط الحياة الاجتماعية والروح الوطنية مدة ثلاثة او اربعة قرون لم يظهر في اثنائها شيء يذكر من نتاج القرائح . وتوالى على الصين في هذه الاثناء اسر مختلفة لم يبرز منها من يستحق الذكر بين رجال التاريخ

وفي سنة ٦١٨ ميلادية انتقل الحكم الى اسرة تانغ وبقي فيها نحو ثلاثة قرون كانت الصين في اثنائها متحدة وبلغت درجة رفيعة من الرقي واهم ما يذكر عن تلك الاسرة اغتصاب الامبراطورة وو للسلطة وقد كانت وصية على ابن زوجها من امرأته الاولى . وهي ثاني امرأة جلست على عرش الصين الا انها تفرّدت بالدهاء والخبث فقد كانت منذ ايام زوجها الامبراطور تطلع على شؤون المملكة وتحضر الجلسات الهامة وهي محتجبة وراء ستار . وقد ذهب بها طمعها الى تلقيب نفسها أولا « الامبراطورة الالهية » ثم

« الاله القادر على كل شيء » وقد سعت لمساواة جنسها بالرجال من جميع الوجوه فادخلت النساء في وظائف الحكومة وأتت اعمالاً أخرى كثيرة غريبة في بابها

وتلا اسرة تانغ خمس اسر اخرى خاملة الذكر تتابعت على العرش الصيني الى سنة ٩٦٠ اذ انتقل الحكم الى اسرة سونغ وبقي فيها نحو ثلاثة قرون بلغت الصين في أثنائها ارقى درجات الحضارة حتى انه يصح ان يقال انه لم يطرأ على المدنية الصينية ما يستحق الذكر من ذلك الزمن الى هذا اليوم

ومنذ اوائل القرن الثالث عشر بدأ المغول يكتسحون بلاد الصين وأخيراً نزعوها من ايدي اسرة سونغ المتقدمة في اواخر ذلك القرن ودامت سلطتهم على الصين الى ما بعد منتصف القرن الرابع عشر اذ انتقلت السلطة الى اسرة منغ بفضل حكمة شو يوان شنغ الذي انتزع السلطة من المغول . وهو يعد من اكبر امبراطرة الصين وله أصلاحات كثيرة في نظام الحكومة والادارة

واخيراً نشأت الدولة المنشوية التي ظل الحكم فيها الى الانقلاب الاخير واعلان الجمهورية (١)

الشرائع والنظامات

بدأ التعامل بين الصينيين كما بدأ عند غيرهم من الامم بواسطة التبادل ثم اتخذوا بالتتابع وسائل اخرى للتعامل منها الصدف والجلود واسطوانات نحاسية مخرومة في وسطها وبعض انواع الأسلحة وغير ذلك . ومنذ القرن التاسع بدأ الصينيون يستعملون التحاويل التجارية وفي ذلك القرن استعملوا عملة الورق ولا تزال الى اليوم متداولة بينهم

واتخذ الصينيون حبوب نبات الدخن (وهي عادةً متساوية في الحجم) مقياساً للطول وللمكاييل وعليها بنوا مقاييسهم الاخرى على الترتيب العشري الذي ما برح منتشراً في الصين منذ اقدم الازمنة

ومنذ تأسيس الملكية في الصين (اي منذ نحو مئتي سنة قبل الميلاد) الى قلبها وابدالها اخيراً بالجمهورية لم يتغير شيء يذكر من نظامها الدستوري وفي مقدمة مواد ذلك النظام ان الاراضي كلها ملك لصاحب السلطان وعلى كل من يشغلها دفع ضريبة سنوية تخوله حق التعامل بها . فالضريبة العقارية في الصين كانت ولا تزال الركن الاول لماليتها

وبلاد الصين ديمقراطية الروح على رغم ظهور حكومتها وامبراطرتها في الماضي

(١) انظر تاريخ الصين ولا سيما الدولة المنشوية في السنة العشرين من الهلال ص ٤٥١

بمظهر الاستبداد والاستئثار . وفي مذهب الفيلسوف الصيني منسيوس ان للشعب المقام الاول في نظر الحياة الوطنية ثم الآلهة ثم صاحب السلطان . واكره شيء على الروح الصينية الظلم والاستبداد

وقد توالى على الصينيين قوانين جنائية شتى بتوالي الاسر المالكة عليها ويتبين من درسها انها تدرجت في تخفيف العقوبات شيئاً فشيئاً فان العقوبات القديمة كانت قاسية جداً وما برحت تلطف مع تقدم الاشتراع حتى ان بعض المشترعين الغربيين يعدون القوانين الجنائية الصينية الاصل في درجة عالية من الرقي تدل على سعة عقل الذين سنوها وتساهلهم تجاه الضعف البشري . وهذه الروح مستمدة على الاخص من تعاليم كونفوشيوس



بعض الآلات المستعملة في مرصد باكين وهي قديمة العهد ترجع الى القرن الرابع عشر

الحكيم . ومن آلات العذاب عندهم آلة للضغط على الكاحل واخرى للضغط على الاصابع وقد كانتا تستعملان لحمل المتهم على الاقرار بالذنب الذي اقترفه

ومن العادات التي احتفظ بها الصينيون زمناً طويلاً التشديد في الحداد على الموتى فمن ذلك ان القانون كان يحرم على الصيني الذي فقد احد والديه ان يتزوج في مدة ثلاث سنوات بعد الوفاة . الا ان اقصى مظاهر الحداد تكون عند وفاة الامبراطور اذ لم يكن يؤذن للرجال بعد وفاته ان يحلقوا شعرهم ولا للنساء ان يلبسوا مصاغاً في مدة مئة يوم

ومن غرائب النظام القديم ان الموظف بدلاً من قبض اجرة معينة في آخر الشهر كان يأخذ من المال الذي يقع تحت يديه ما يجسر على اخذه ثم يعطي الباقي الى رئيسه وهذا يفعل مثله ويسلم الباقي الى رئيسه الى ان يبلغ الامر حاكم الولاية فيأخذ هو ما تأذن به الاحوال ويرسل الباقي الى وزارة المالية . وهذا النظام على غرابته كان معمولاً به بتدقيق ولا سيما ان العادة كانت تمنع كل موظف من تعدي الحدود المعقولة المتعارفة

الدين والخرافات

الاعتقاد بالله من أقدم عقائد الصينيين ولكن عقيدتهم القديمة البسيطة قد اعتراها من الزيادة والتشوية مع مرور الزمن ما أبعدها عن صورتها الاصلية . والديانة السائدة في الصين اليوم كما لا يخفى هي البوذية . ومن الغريب ان الصينيين لا يظهرون في اجتماعاتهم الدينية الاحترام الذي يظهره غيرهم في تلك المواقف فانك ترى الناس في الهيكل البوذي يتكلمون ويضحكون ويبيعون ويشترون . وهم قليلو التدين على الاجمال بالنسبة الى الامم الاخرى وقلما يفكر الصيني في اموره الدينية الا اذا اعتراه مرض او مصاب اليم

ومن تقاليد كهنتهم الغريبة ان طالبي الدخول في سلك الكهنوت لا بد لهم من تأدية تجارب وامتحانات الجمة فمن ذلك انهم يضعون على رأس الطالب بعد حلقه أقراصاً يشعلونها فتحترق وتحرق جلده وتبقي فيه آثاراً لن تزول . ويسنده في اثناء هذه العملية القظيعة كاهنان يشجعانه على احتمال الالم

وفضلاً عن البوذية هناك مذهبان لهما تأثير عظيم في حياة الشعب الصيني نعني مذهب كونفوشيوس ومذهب الطاوية وهما في الحقيقة أقرب الى التعاليم الادبية والاجتماعية منهما الى المذاهب الدينية . اما الفيلسوف كونفوشيوس (الذي عاش من سنة ٥٥١ — ٤٧٩ ق. م.) فان تعاليمه الفلسفية الاجتماعية هي رائد الصينيين في معاملاتهم اليومية بعضهم مع بعض وهم يسمونه « الملك غير المتوج » واهم تعاليمه ممارسة الفضيلة لاجل الفضيلة نفسها لا خوفاً من العقاب ولا أملاً بالجزاء ، والاخلاص لصاحب السلطان لانه اساس السعادة القومية ، والبر بالوالدين باعتباره اساس سعادة الناس وسرورهم في هذه الدنيا [١] ومن آرائه مجازاة الشر بالعدل لا مقابلته بالخير كما علم الفيلسوف لاودزا الآتي ذكره

وأما الطاوية فهي نسبة الى كلمة طاو التي بها يلخص مذهب فيلسوف كبير اسمه لاودزا عاش قبل المسيح بالف سنة على زعم البعض وست مئة سنة على زعم البعض الآخر . وهذه الكلمة تعني الطريق ويقصد بها هنا الطريق المستقيم . ثم ان هذا المذهب تحول بعد مجيء البوذية الى شبه مذهب ديني فاصبح له اكليروس ومعابد خاصة وهو انما تحول الى هذا الشكل مقاومة لتيار البوذية الذي تسلط على عقول الصينيين عامة . ومن

---

(١) الصينيون شديدو احترام الوالدين وقد ورد في بعض الكتب التي تدرس للاولاد عندهم اربعة وعشرون مثالاً لبر الابناء بالوالدين حتى يحتذوا بها منها ان احدهم لم يشأ ان يطارد البعوض الذي كان يقلقه في نومه لئلا يقلق والده او والدته

غرائب ما يدخل في مذهب الطاوية انه يدعي تمكنه من اطالة الحياة . ولا شك ان الطرق التي يستخدمها لهذا الغرض تؤدي اليه نوعاً ما فمنها التنفس العميق على الخصوص في الصباح وابتلاع اللعاب ثلاث مرات كل ساعتين واتخاذ مواقف مخصوصة مقرونة بتمارين رياضية ثم السكوت بلا ادنى حركة بضع ساعات في كل يوم والعينان مقفلتان والعقل مجرد عن كل شاغل او هم دنيوي

ثم ان التنجيم والتنبؤ عن الغيب منتشران كثيراً بين الصينيين وهم شديدو الاعتقاد بالارواح ويخافون الارواح الشريرة شديد الخوف اذ تتراءى لهم في الامكنة المظلمة المنفردة. ومن اعتقاداتهم الغريبة ان الارواح لا تستطيع ان تسير الا في خطوط مستقيمة ولذا تراهم يكثرون من الاعوجاج في بناء شوارعهم ومنازلهم تلافياً لوصول الارواح الشريرة اليها . زد على ذلك اعتقادهم بتوقف سعد الانسان ونحسه على البيئة التي يعيش فيها كشكل الجبال ووجود الماء او عدمه ومركز الاشجار وارتفاع المنازل وهندستها ونحو ذلك . وكثيراً ما يستشير الصينيون الخبيرين باسرار هذا العلم في هندسة بناء منزل او اختيار قبر للموتى

وللصينيين احترام شديد لموتاهم وهم يعتقدون ان روح الميت تبقى ترف حول عائلته تراقب اعمالها وحياتها . ومن عاداتهم تقديم اللحوم والمشروبات لروح الميت التي يعتقدون انها تستقر في خزانة او مائدة خاصة بالموتى من افراد العائلة

ويعتقد الصينيون ان النفس البشرية مزدوجة فجزء منها يلازم الجسم لا يفارقه ابداً والجزء الآخر يفارقه احياناً ويطوف وحده في جهات بعيدة . والصينيون ايضاً بارعون في التنويم المغنطيسي وهو شائع عندهم منذ منتصف القرن السابع عشر ويستعينون به على استجلاء المستقبل ومناجاة الارواح

وعند الصينيين جمعيات مختلفة بعضها سرية شبيهة بالماسونية . ومن جمعياتهم جمعية اكلة النباتات التي تحرم على اعضائها اكل اللحوم والتدخين والكحول

وعلى الاجمال يصدق الحكم على الصينيين بانهم مستقيمو السلوك لدرجة لم يبلغها غيرهم من الشعوب . وكلمة الصيني مقدسة يمكن الاعتماد عليها كما يعتمد على صك او عقد كتابي . ومن امثالهم السائرة : « كن اميناً لسيدك الذي تأكل من رزه » ومن حكم كونفوشيوس : « اذا أسأت الظن برجل فلا تستخدمه في عملك واذا استخدمت رجلاً فلا تسئ الظن فيه »

البقية تأتي في العدد القادم

التربية والتعلم

على ذكر كتاب لاحمد حشمت باشا (١)

يترك الوزير او الموظف الكبير في البلاد الاجنبية منصبه ، فلا ينقطع عن الاشتغال بالمسائل العامة ، ولا يطلق الاهتمام بشؤون قومه وبلاده منزوياً في قعر داره ، بل يعمد الى ما ألفه من الاعمال قبل توليه المناصب ، فيعود الى مزاولتها بخبرة اوسع وعزيمة أشد ، فيكون قوله الحد الفصل ورأيه الرأي الاسدّ

ذلك انه يكون أثناء توليه منصبه قد اكتسب من الاختبار وأحرز من الالمام التام بدقائق الامور ودخائلها واصاب من بعد النفوذ واستطارة الصيت ما لم يتسنّ لغيره . فاذا تولى بعد ذلك ادارة شركة من الشركات عرف كيف يدير دفة اعمالها ليدرّ على مساهميها الارباح الطائلة ، واذا نزل الى ميدان السياسة الحرة المطلقة كان فارسها المغوار الذي لا يشق له غبار ، واذا عالج الكتابة في المواضيع الاجتماعية الوطنية كانت آراؤه آراء الحكيم المجرّب والبصير المدرب . بل لا نغالي اذا قلنا انه كثيراً ما يفيد أمته وبلاده ، وهو طليق غير مقيد ببرنامج معين وخطة مرسومة ، اكثر مما افادها وهو رهن المنصب وأسير القوانين واللوائح الجامدة . يشهد بذلك ما قام به من الاعمال ، بعد ترك الوظيفة ، أمثال روزفلت وروزبري وملنر وكرومر وبيشون وهانوتو وغيرهم

أما في بلادنا الشرقية فتنحصر شخصية الموظف غالباً في منصبه : فهو كثير بوظيفته قليل بنفسه ، أو هو بالوظيفة كل شيء ، وبدونها لا شيء . فان كثيرين من رجالنا يكونون ملء السمع والبصر ما داموا متربعين في دست الوظائف حتى اذا ما تخلوا عنها ، او تخلت عنهم ، خفت صوتهم وغاب عن الناس ذكرهم ، فما اضعف شخصية مثل هؤلاء وما أضأل ذاتيتهم . . !

على ان كبار الموظفين ، من وزراء ومديرين وقضاة ، لو حذوا في بلادنا حذو زملائهم في البلاد الاخرى ، فانصرفوا ، بعد مغادرة الوظيفة ، الى العمل في اوقات الفراغ الطويلة التي توفرها لهم المرتبات الضخمة التي يتقاضونها وهم في المعاش ، لأفادوا الفائدة الجلّى في الامور التي تتعلق بشؤون البلاد الادبية والمادية من تعليم وتربية وادارة وزراعة وصناعة واقتصاد الى غير ذلك من المسائل التي أتيح لهم دون سواهم الاحاطة بها والوقوف على ظاهرها وخفيها والتي يكون لهم فيها الرأي المسموع والقول

(1) Questions d'Education et d'Enseignement par A. Hechmat Pacha

المتبوع بفضل أبهة الوظيفة السابقة وتأثيرها في القلوب

* * *

خطرت على بالنا هذه الخواطر لدى مطالعة كتاب نفيس تفضل باهدائه الينا حضرة الوزير الخطير العامل احمد حشمت باشا ، وقد وضعه بعد مغادرته وزارة المعارف العمومية وبحث فيه بحثاً مستفيضاً في « مسائل التربية والتعليم » ، فدلّ على انه رجل الجد والنشاط الذي لا يدّخر وسعاً في خدمة بلاده ، سواء أكان في الوظائف أو في عزلة عنها

ولا حاجة بنا الى تعريف المؤلف وقد عرفه الجميع بالنزاهة والاخلاص والفطنة والغيرة في جميع المناصب السامية التي تولاها وعلى الاخص في عهد توليه وزارة المعارف العمومية من ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ الى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٣ فقام في هذا الردح من الزمن بمشروعات جليلة وانفذ اصلاحات جمة تناولت جميع شؤون المعارف والتعليم والنهضة الادبية . اهمها ما يتعلق بتنظيم الارساليات المصرية في اوربا ، وتنظيم برنامج الدروس في مدارس البنات ، وانشاء مدرسة الزراعة المتوسطة في مشتهر ، ومدرستي المحاسبة والتجارة العليا والمتوسطة ، والدروس التجارية الليلية ، ومدرسة التدبير المنزلي ، وتأليف لجنة لايجاد كلمات عربية للاصطلاحات الفنية والعلمية ، ولجنة أخرى للنظر في أصلاح برنامج التدريس باللغة العربية في المكاتب والمدارس الاولية والثانوية ، ومسألة ضبط الكتب المدرسية بالشكل لاصلاح النطق ، وتدريس علم الصحة في المكاتب والمدارس الابتدائية ، واعادة تنظيم دار الكتب ومدرسة الصنائع والفنون

وقد تمت ترجمة كتب عديدة في عهد وزارته في مواضيع الاقتصاد والزراعة والصناعة والرياضيات وسائر العلوم . ومنها ما ترجم في « قلم الترجمة » الذي أنشئ خصيصاً لهذا الغرض في وزارة المعارف ، ومنها ما عهد الوزير في ترجمته الى طائفة من كتابنا المعروفين

وكان من آثار مساعيه الحميدة في سبيل احياء الاداب العربية نشر مؤلفات نفيسة كانت لا تزال مبعثرة بين مخطوطات المكاتب . وقد تمّ طبع بعضها ، ولا يزال البعض الاخر قيد الطبع يصدر اجزاء متوالية ، وطبع قسم منها في المطبعة الاميرية وعهد في القسم الاخر الى مطابع خصوصية . ونذكر من هذه الكتب :

كتاب الاصنام وكتاب انساب الخيل لابن الكلبي — والتاج للجاحظ — ومسالك الابصار لفضل الله العمري — ونهاية الارب للنويري — وصبح الاعشى للقلقشندي —

والخصائص لابن جني — وأصول الاحكام للاميدي — والاعتصام لابي اسحق الشاطبي — والطراز ليحيي بن حمزة — والشذور لابن سليمان التونسي

هذه بعض اعمال حشمت باشا الوزير ، وهي ما آثر غير دواثر . على انه لم يترك العمل بترك الوزارة ، بل ظلت مسائل التربية والتعليم موضوع عنايته حتى أصبح ذا خبرة واسعة في هذا الباب ، يُرجع اليه ويسترشد بارائه . وقد جمع لديه مكتبة ثمينة تحتوي على خير ما ابرزته قرائح الكتاب الاجتماعيين في هذا الموضوع ، فهو يقضي الان معظم اوقاته بين تلك الكتب وقد علق على اكثرها الحواشي والملاحظات فيرجع اليها عند الحاجة بما ينفع ويفيد

* * *

اما الكتاب الذي نحن بصدده فمكتوب باللغة الفرنسوية باسلوب جليّ واضح وعبارة رشيقة طليّة . وهو مقسَّمٌ الى ثلاثة اجزاء :

الجزء الاول : يتضمن خلاصة أعمال المؤتمر الدولي الثاني للتربية الادبية الذي عقد في الربع الاخير من شهر أغسطس سنة ١٩١٢ في مدينة لاهاي عاصمة هولندة . وقد مثّل حشمت باشا الحكومة المصرية خير تمثيل في هذا المؤتمر الحافل الذي كان جامعاً لامراء الفكر من جميع الاقطار وكان خطابه في الجلسة التي رأسها مثالاً يحتذى في صدق النظر وسلامة الذوق

الجزء الثاني : يتضمن حديث سفر الوزير الى انكلترا لتفقد شؤون الارسالية المصرية وما عنّ له من الملاحظات في تلك الرحلة وما جمع من المعلومات والفوائد اثناء زيارته لمعاهد التعليم والتربية في تلك البلاد

اما الجزء الثالث فقد ضمنه المؤلف خواطر شتى في امور التربية والتعليم في القطر المصري ، وهو الجزء الذي يهمنا فنحب أن نقف عنده قليلاً لايراد بعض ما جاء فيه من الاراء الصائبة التي تشفّ عن بعد رويّة ، ولا سيما أن التربية الوطنية كما يقول سعادته « هي من اعقد المسائل لدى الشعوب ، فقد شغلت وستشغل عقول المفكرين في كل زمان ومكان ، بل هي في مصر اكثر صعوبة منها في البلاد الاخرى . . . فقد تنقضي السنون الطويلة قبل ان يصير التعليم عندنا مجانياً اجبارياً »

تناول الكاتب امر التعليم في جميع ادواره وفروعه : فتمنى أن تسير التربية البدنية والعملية في المدارس الابتدائية والاولية الى جنب التربية العقلية والادبية طبقاً لحاجات البلاد ، فيعمم تدريس علم الصحة في مدارس البنين والبنات . وتخصص حصص من

اوقات الطلاب بتعليم بعض مبادىء الزراعة والطب البيطري وتربية المواشي ، وحصص من اوقات الطالبات بتعليم تدبير المنزل وتربية الطيور الداجنة وعمل المقددات واستخراج الجبن والسمن الى غير ذلك من المسائل التي لا تقدر فائدتها في المديريات والاقاليم حيث يسهل تطبيق هذه المبادىء على الحياة العملية ، ويحسن في العواصم والمدن تعليم الصنائع وسائر الاعمال اليدوية

اما في المدارس الثانوية فلا مندوحة من توسيع نطاق الدروس ورياضة العقل لتوسيع مداركه ومعارفه العمومية حتى لا يخرج التلميذ من المدرسة ومعارفه محصورة في برنامج الدروس لا تتعداه الى ما فيه النفع العميم والفائدة الحقيقية

ولا بدّ لادراك هذه الامنية من تدارك الكتب المدرسية بالاصلاح . وافضل الكتب للمبتدئين وأجزلها نفعاً ما كان مزيناً بالصور والرسوم لتقريبها الى الفهم ، وموضوعاً على طريقة السؤال والجواب لتسهيل ادّخارها في الذاكرة . اما مسألة ضبط هذه الكتب بالشكل فقد أولاها سعادته عناية خاصة ، ولا يسع الجميع الاّ الموافقة على هذا الاصلاح لما يترتب عليه من تعويض النشء على حسن النطق وسلامة اللفظ فلا يجري لسانه على الفاظ منذ اول امره ، فيصعب اصلاحه فيما بعد

ثم تناول البحث في المدارس العليا والخاصة كمدارس الحقوق والطبّ والصيدلة والتجارة والصناعة والزراعة فأبدى الوزير بشأنها آراء ناضجة تشف عن نظر ثاقب وحكم صائب . وكل ذلك مؤيد بالارقام والمستندات

وقد بحث المؤلف بحثاً دقيقاً في مسألة اللغة العربية واتخاذها لغة رسمية للتعليم في قطر يستعمل اثنا عشر مليوناً من سكانه تلك اللغة للتخاطب ، فبعد ان قال انه ليس في العالم من بلاد تلقّن العلوم بلغة غير لغتها الوطنية جاء بأوفى بيان على قابلية اللغة العربية لتكون لغة للتعليم بدليل ما كانت عليه ابّان ازدهار مدنية العرب اذ كانت وافية للتعبير عن جميع الافكار في جميع العلوم والفنون ، حتى قال الفيلسوف الفرنسوي رنان (Renan) « ان لجميع اللغات الحديثة بداية تدرجت منها شيئاً فشيئاً الى الكمال ، الاّ اللغة العربية ، فانه كلما زاد البحث والتنقيب عن نشأتها زاد الاعتقاد بكمالها » اضف الى ذلك ان علماء المشرقيات قد أجمعوا رأياً على ان في لسان العرب كنزاً ثميناً لا يفنى من المفردات والتعابير . فاذا سارت هذه اللغة على ناموس النشوء والارتقاء ، فانها لا شك بالغة درجة تمكنها من ايجاد ما يلزم لاداء الافكار الجديدة والتعبير عن الاستكشافات العصرية . ولا يخفى ان الاستعمال يصقل اللغات ويكسبها مرونة كما ان الاهمال يتركها على

جودها بل يزيدها صلابة . وليست اللغة العربية بالشاذة عن هذه القاعدة

هذا ولا يذهب عن البال ما في تعلم العلوم بلغة أجنبية عن لغة البلاد من العراقيل التي تحول دون سرعة تقدم التلميذ فان الطالب يضطر في آنٍ واحد الى تفهّم العبارة وحفظ القواعد التي يدرسها . وفي ذلك ما فيه من الصعوبة . ولقد اصاب من قال ان التعلم بلغة اجنبية ينقل بعض افراد الامة الى العلم ، اما التعليم بلغة البلاد فينقل العلم الى الامة جمعاء

وقد دلّ الاختبار في مدرسة الحقوق ومدرسة الزراعة على ان التدريس باللغة العربية يجيء بالفوائد الموصوفة

بيد انه لا بد لادراك هذه الامنية وتحقيقها بتمامها من امرين : الاول وضع كتب باللغة العربية وقد نقل قلم الترجمة على عهد وزارة حشمت باشا خمسة عشر كتاباً مدرسياً الى اللغة العربية كلها في يد التلاميذ ما عدا الكتب العديدة التي وضعها أفراد الادباء في مواضيع مختلفة طبقاً لمنهاج وزارة المعارف منذ اعلان عزمها على تدريس بعض العلوم باللغة العربية . وقد نشط التأليف في السنوات الاخيرة نشاطاً لم يعرفه من قبل بدليل ما تحفنا به المطابع من المصنفات النفيسة في كل فن وخبر

والامر الثاني اصلاح طريقة تعليم اللغة العربية التي تقتصر على الصرف والنحو وشيء من علم المعاني . ويكاد يستغرق الاعراب معظم اوقات التلاميذ فلا يدع لهم متسعاً كافياً لدرس فقه اللغة وعلم الاشتقاق والتمرن على المواضيع الانشائية وتحليل اساليب المنشئين. ولا يخفى ان ذلك أكبر معوان على تفهم اسرار اللغة وامتلاك ناصيتها واستخدامها بسهولة في اداء المعاني المختلفة

وتزيد على ذلك الترجمة. فهي بشهادة جميع الذين لهم رأيٌ مسموع في مسائل التعليم احسن رياضة للعقل تشحذ الذهن وتمرّن المرشح لصناعة الكتابة على كدّ خاطره لاستخراج المعاني وتأديتها باساليب توافق ذوق اللغة المنقول اليها ولا تخالف اللغة المنقول عنها

هذا بعض الشيء مما جاء في هذا السفر النفيس الذي وضعه وزير المعارف الاسبق . وجميع هذه المسائل تتعلق بالتربية والتعليم فهي اذن مسائل خطيرة حيوية يجدر بكتابنا المفكرين أن يتناولوها بالبحث المفصل فيحللوها تحليلاً يرشدنا الى اقوم منهج نهجه في تربية فتياننا وفتياتنا ويهدينا الى اقرب طريق نسلكه للتقدم والارتقاء . وكتاب حشمت باشا في هذا الموضوع خدمة وطنية جُلى تذكر لذلك الوزير الاميّ بالشكر الجزيل

انطون الجميّل

فجر المستقبل

ماذا يحل بالعالم المتمدن بعد الحرب

نشر أحد كبار الكتاب الفرنسويين مقالات متتابعة عن مستقبل الانسانية بعد هذه الحرب فرأينا ان ننقل خلاصتها لما فيها من الافكار الجديدة المعقولة

لا شيء ثابت على وجه الارض . كل ما بها عرضة للطوارئ والحدثان . فالانسان لا يضمن مستقبله ولا يتيسر له ان يتنبأ عن غده على رغم ما قد توصل اليه من العلوم والمعارف لان علمه نسبي . ولا يستطيع المتبصر في مجاري التاريخ الا ان يخامره الشك في ثبات الحقائق التي يتمسك بها مهما تكن جلية في ذهنه وعزيزة على قلبه . وما اصدق من قال « ان حقيقة اليوم وهم الغد »

ولكن الانسان على رغم ذلك يشعر بتعطش فطري الى معرفة المستقبل واستجلاء غوامضه والتنبؤ عما قد يأتي به من دواعي السعادة او التعاسة وما يستتر بين طياته من اسباب التقدم او الانحطاط . ويزداد ذلك التعطش شدة عند الازمات التاريخية والانقلابات الدولية . فكيف بهذه الحرب الضروس التي لم يشهد التاريخ مثلها ولم يحلم بها المتقدمون ولا المتأخرون ! فلا غرو اذا تساءل كثيرون اليوم ، هل تعود المياه الى مجاريها ؟ وهل يلذ العيش لمن كتب له ان يبقى حياً بعد هذه العاصفة الدموية بل المجزرة البشرية الكبرى ؟ وهل تروج التجارة والصناعة والعلوم والآداب وتوالي سيرها الى الامام ؟ ونحو ذلك من الاسئلة

قد تنبأ عن هذه الحرب كثيرون وتوقعوا حدوثها من قرائن الاحوال والحوادث الاقتصادية والسياسية التي طرأت على العالم الاوربي في الجيل الماضي ولا سيما ان المانيا كانت تستعد للحرب استعداداً حثيثاً متواصلاً بلا كلل . وقد تغيرت سياستها في المدة الاخيرة فنهجت منهجاً لم يبق معه شك في رغبتها واماينها . ولا يخفى انه في مقدمة الدوافع التي دفعتها الى الحرب حالتها الاقتصادية ولا سيما ضيق اراضيها عن عدد سكانها المتزايدين ولذا كانت تنظر الى مستعمرات انكلترا وفرنسا بعين الحسد والطمع

ثم انها شهرت على اوربا حرباً تجارية كادت تؤدي بالتجارة الالمانية الى الافلاس . فقد اضطرت في مزاحمتها لصناعة اوربا الى ان تبيع مصنوعاتها بأبخس الاثمان فأصابها من ذلك ازمة مالية وسوست الى اصحاب المعامل الكبيرة طلب الحرب للخروج من المأزق الحرج الذي وقعوا فيه . زد على ذلك ادعاء الالمانيين بانحطاط الشعوب اللاتينية والسلافية

واعتقادهم بأنهم شعب اختاره الله للسيطرة على سائر الشعوب . كل ذلك حبب الى المانيا الحرب – ومما دعاها الى الاسراع في العمل تقدم روسيا في الحضارة والصناعة تقدماً عجيباً فخافت على نفسها من بأس ذلك الجار القوي ورأت ان تفاجئه بضربة قاضية قبل ان يُعِدّ عدته ويشتد ساعده

ولا حاجة بنا الان الى ذكر ما يعلمه الصغير والكبير من نشوب الحرب على حين غرة وكيف كان الحلفاء نياماً على رغم تأهب المانيا العظيم وتوقع اختراقها الاراضي البلجيكية حتى ايقظهم دوي الرصاص وقصف المدافع

الدول الاوربية بعد الحرب

ولنفرض الآن ان الحلفاء قد انتصروا على اعدائهم فما تكون يا ترى شروط الصلح بين الفريقين ؟ لا شك في ان عقد الصلح سيكون في منتهى الصعوبة . فالمانيا مع ما هي مشهورة به من الخبث والدهاء والمماحكة لا بدّ ان تختلق الصعوبات لتعقيد المسائل وعرقلة المساعي . وقد تكون أشد ليناً اذا كانت الضربة قاضية . وعلى كل حال فالارجح انها ستترك حليفتها النمسا لوحدها تخرج من مأزقها الحرج من غير ان تمد لها يد المساعدة . وتفعل مثل ذلك مع تركيا

اما من جهة الحلفاء فربما زادت شروطهم عن شروط الاعداء وكانت اصعب منها فلا ريب ان مطالب ايطاليا من النمسا ليست مما يستخف به . وهي الدولة الحديدة التي ضاقت أرضها عن سكانها . ومثلها مطالب روسيا التي تحملت عبئاً ثقيلاً من اعباء هذه الحرب اذ لا ينتظر أن تطالب بأقل من مقاطعتي بوسنانيا وغاليسيا ومقاطعات اخرى استولى عليها البروسيون في السنين السالفة فضلاً عن مطامعها في القوقاز فانها لا تحارب هناك عبثاً . وقد تشدد اليابان في الاستيلاء نهائياً على المستعمرات الالمانية في الشرق الاقصى

أما فرنسا وانكلترا فكل القرائن تدل على انهما لا تطمعان بشيء كثير وربما اقتصرت مطالب انكلترا على املاك المانيا في افريقيا وبعض الشيء في الشرق الادنى حيث سفكت دماء الكثيرين من ابنائها . اما فرنسا فالارجح انها تكتفي باعادة الالزاس واللورين اليها – اللهم الا اذا نالها شيء في الشرق الادنى

ولا يسعنا ان للبلجيك والصرب حقوقاً لا يمكن طرحها جانباً في ساعة النصر . وربما طالبت رومانيا واليونان والبرتغال واسبانيا ايضاً بحقوق لها كانت مهضومة

هذه بعض الصعوبات التي ستلاقيها الدول المتحاربة عند عقد الصلح وسننتقل الآن الى كل دولة على حدة فنرى ما ينتظر ان يحدث فيها بدليل القرائن الماضية والحاضرة

﴿ فرنسا ﴾ سيكون لفرنسا مركز ادبي عظيم وستظل محبوبة محترمة ولا بد من حدوث ازمة اقتصادية فيها اذ يشهر العمال حرباً عواناً على أصحاب المال قد تؤدي الى ما لا يحمد عقباه وتدوم هذه الحرب اكثر من ثلاثين سنة الى ان تحسن الاعمال والاحوال ولا تنتهي الا اذا فهم الماليون تمام الفهم معنى الاقتصاد الحقيقي . ولن يتأتى لهم ذلك الا بعد جيلين تقريباً . ثم ان الناس سيعيشون بعد انتهاء الحرب عيشتهم قبلها لان ابواب العمل تكون كثيرة عندئذ لكنها عيشة كلها تعب واحزان

﴿ بريطانيا العظمى ﴾ ستصبح في مركز الحاكم المدبر في اوربا ومهمتها حفظ السلم في العالم وصيانة الدول. أما احوالها المادية فستتحسن تحسناً باهراً على رغم الثورة الاقتصادية التي سيثيرها العمال على اصحاب المعامل وستكون في انكلترا أشد وطأة منها في فرنسا لاتحاد العمال وستدوم هذه الحرب عشرات من السنين

﴿ ايطاليا ﴾ ستنال ايطاليا الحظ الاوفر فانها ستتقدم الى الامام ويصبح لها مركز سام في أوربا . وستحفظ لها فرنسا احسن ذكرى وتساعدها على نيل رغائبها . وتدل الشواهد على ان تجارتها وصناعتها ستروجان رواجاً عظيماً ولكنها ستقضي اياماً سوداء وتمضها انياب الازمة برهة من الزمن

﴿ روسيا ﴾ ستجتاز روسيا اوقات صعبة ترى في أثنائها صنوف الالم ويطرأ عليها انقلابات سياسية شديدة . ومن الانقلابات الداخلية المنتظر وقوعها استقلال بولونيا الاداري واستقلال الاقرانيين ايضاً (وهم سكان روسيا الجنوبية ويبلغ عددهم خمسة وثلاثين مليوناً) وقد اظهروا قبل الحرب استياءهم من الحكم الروسي ولن يعتموا ان يعيدوا الكرة بعد الحرب . ولا يتسنى لهم نيل مرغوبهم الا بعد قلاقل وفتن . زد على ذلك ان الفنلانديين واليهود وغيرهم من الشعوب المختلفة ينزعون الى نفس الرغبة

ولكن لا خوف مع ذلك على عرش القياصرة لان الامبراطورية الروسية لن تضمحل على رغم تشعب الاجناس التي تتألف منها فانها ستبقى متحدة خوفاً من العدو المشترك — اي المانيا. وافضل نظام يضمن مستقبل تلك البلاد سياسياً واقتصادياً هو بلا ريب النظام الاتحادي كحكومة سويسرا والولايات المتحدة اي ان يكون لكل ولاية شيء من الاستقلال الداخلي وتمثل جميع الولايات في مجلس عام ينظر في شؤونها المشتركة. ولا يخفى ان القلاقل الداخلية التي كانت منتشرة في روسيا قبل الحرب حرضت ألمانيا على استغنام الفرصة لمحاربتها . ولا شك ان تلك الاضطرابات الداخلية ستعود بعد الحرب متى امنت الاحزاب شر العدو المشترك

﴿ المانيا والنمسا ﴾ وفي تلك الأثناء تكون دول اوربا الوسطى في ازمة مالية اقتصادية سياسية لا مزيد عليها . اذ ان الشعوب السربية والبولونية القاطنة في تلك البلاد ستطالب باستقلالها . وعلى رغم قوة هاتين الدولتين فلن يتيسر لهما قمع تلك الثورات الا بعد عناء طويل تتعلم المانيا في اثنائه احترام الدول وانه لن يمكن لامة اوربية ان تحكم امة اوربية اخرى . وعلى رغم ان اعتقادها في نفسها لن يتغير ستعلم ان الشعب اللاتيني والشعب السلافي شعبان راقيان يأبيان الضيم

* * *

يتضح مما تقدم ان السلم لا يسود على اوربا الا بعد زمن طويل فان دول التحالف ستضطر الى حمل السلاح دائماً حتى لا تؤخذ على حين غرة مرة ثانية وسيكلفها ذلك عناء كثيراً ولا بد لها من مداومة الاتحاد على المانيا لكسر شوكتها وغل ايديها . وستبقى سيادة البحار في جانب الحلفاء . ثم انهم بلا شك سيتخذون التدابير اللازمة لمنع المانيا من السطو عليهم . فيقيمون الحصون والقلاع الا انها قد تصبح بدون فائدة تذكر بعد عشرين عاماً . ويكفي برهاناً على ذلك ما حل بحصون لياج ونامور وانفرس ولمبرج وبرزميسل ولا غرابة في سقوط هذه الحصون المنيعة فان الاستحكامات الطبيعية في سربيا والجبل الاسود التي هي امنع من تلك الحصون لم تدفع عن السربيين وجيرانهم سطو الالمان واكتساح بلادهم . فمن ذلك نرى ان اوربا ستهتم بعد الحرب باختراع حصون على شكل آخر يمكنها من مقاومة المدافع . هذا فضلاً عن اهتمامها بتحسين سائر اسلحتها ونظام جيوشها

ويجدر بنا بعد تعداد الدول الاوربية ان نذكر للقراء مصير بعض الدول غير الاوربية

﴿ اميركا الجنوبية ﴾ ستتحد دول اميركا الجنوبية وتعقد فيما بينها معاهدة تقوي ساعدها وتضمن لها سعادتها

﴿ الولايات المتحدة ﴾ تعيش في رغد ورفاهية زمناً طويلاً ثم تحل بها مصائب داخلية تنشأ عن تشعب اهاليها وتباين اميالهم ومشاربهم

﴿ اليابان والصين ﴾ سيتقدم الشرق الاقصى تقدماً سريعاً باهراً ويكون الفضل في ذلك لليابان . اما الصين فستمر بها اهوال وترى الثورة تمزق احشاءها تمزيقاً الى ان ينال الصينيون ما يطلبونه من استقلال وحرية فيقوى ساعدها وتهابها اوربا

اوربا الصناعية

سيعقب هذه الحرب في اوربا حرب اقتصادية هائلة تختلف وطأتها لدى الدول المختلفة

فبريطانيا العظمى مثلاً ستتأثر من هذه الحرب اقل من الدول الاخرى نظراً لكثرة اموالها ومعاملها ولان عدد رجالها الذين فقدتهم في ساحات الوغى أقل من عدد القتلى في الدول الاخرى

ولا يعود الى فرنسا مجدها الاول من الوجهة الاقتصادية الا بعد تعب عظيم . نعم ان الاموال لديها غزيرة ويمكنها ان تسترجع ما فقدته باسرع من غيرها الا انه سينقصها رجال عاملون لان نخبة شبانها قد ذهبوا ضحية الحرب . غير انها ستعزم عزماً اكيداً عما هو مشهور عنها من الصبر والجلد وقت الحاجة على استرجاع ما فقدته فتبتدىء رويداً رويداً في تنظيم اعمالها واقامة الآلات الصناعية اللازمة لها . وستسبقها في هذا المضمار انكلترا وايطاليا وربما روسيا ايضاً

أما المانيا فلا شك في انها ستستجمع كل قواها لتعمل بعد الحرب اكثر من قبلها حتى يتيسر لها استرداد بعض ما تكون قد فقدته . وستحزن طويلاً على ضياع أمنيتها ألا وهي السيادة على اوربا ولكنها ستصرف كل جهدها الى العلم والصناعة والتجارة ولا شك انها انجع دواء لانتشالها من الوهدة التي رمت بها نفسها واكبر مساعد على نيلها بعض المركز الذي كان لها قبل الحرب . وسيشتغل العامل الالماني ليلاً ونهاراً باجرة زهيدة جداً ويكتفي اصحاب المعامل وكبار التجار بارباح قليلة نظير رواج صناعتهم وتجارتهم في الخارج ولذا فمن المحتمل ان تروج الصناعة الالمانية في اميركا الجنوبية والصين ولدى بعض الامم الاوربية المحايدة . ولا بد من ان تتفق المانيا مع النمسا بشأن تبادل صناعتيهما وتعقدا معاً شروطاً تضمن لكلتيهما الحياة الاقتصادية . ولكن كل ذلك لن يعوض على المانيا كساد صناعتها وتجارتها لدى دول التحالف اذ لا ريب في انها ستهتم كل الاهتمام بمزاحمة التجارة الالمانية

أما اميركا الشمالية — وقد فازت في اثناء الحرب فوزاً لم تكن تحلم به — فستضارع صناعتها صناعة اوربا وتسابقها في متاجر العالم حتى الساعة التي تثور فيها الشعوب الاميركية بسبب اختلاف اجناسها ومشاربها

ومن اهم المسائل التي ستعيرها اوربا اهتمامها بعد الحرب مسألة العمال اذ يكون عدد الرجال قليلاً وتصبح البلاد واسعة بعد ان ضاقت بالاهلين . ولذا فلن يعود الاوربيون يهاجرون الى الولايات المتحدة او الى اميركا الجنوبية . وستحتاج كل من دول اوربا الى ترغيب الاجانب في القدوم اليها ولا سيما فرنسا . وستكون حاجة اوربا الى الرجال باعثاً على اختراع الآلات التي تقوم مقامهم

قد توصل الانسان في هذا العصر الى استخدام الحرارة والكهرباء والكيمياء والى اختراع آلات مدهشة ولكن كل ما لدينا الان لا يفي بمطلوب السنين القادمة للسبب السابق ذكره فلا بد من اختراع آلات اخرى تقوم مقام العمال بصورة اعظم . ولا بد من اكتشاف قوى جديدة في الطبيعة مثل الكهرباء تساعدنا في اعمالنا وتسد العوز والعجز اللذين اصبنا بهما في هذه الحرب

وسيعم استعمال الاسمدة الصناعية بعد استحضارها بالطرق العلمية حتى تقوم مقام الاسمدة الطبيعية التي اخذت في النقصان وتكون اكبر معين للفلاح . وسيستعيض الناس عن انواع الفحم بمجاري المياه التي تسير في الارض وقد اطلق الافرنج على هذه المجاري اسم La houille blanche اي « الفحم الابيض » اشارة الى امكان الانتفاع بها كالفحم . ولا يخفى ان المياه تستخدم من زمن بعيد في اوربا لتوليد الكهرباء وقد حاول بعضهم استخدام شلالات اسوان لتوليدها وارسالها الى مصر

وسيستعمل رجال الغد هذا الفحم الابيض في توليد الحرارة الى درجة عالية لم نتوصل اليها باستعمال الفحم الحجري وسيتمكنون بذلك من أن يعملوا في ساعة واحدة قدر ما نعمل اليوم في ساعات وايام . وربما يتيسر للميكانيكيين في سنة ١٩٣٥ أن يصنعوا آلة قاطرة او مدفعاً ضخماً في خمس الوقت الذي يستغرقه صنعها اليوم

وسيرتقي الانسان في علم الكيمياء ويستنبط وسائل جمة لاستعمال المعادن . ويصبح توليد الكهرباء من اسهل الامور اذ يتوصل الانسان الى توليدها من ماء البحار والانهار ومن السحاب والشمس . وستقوم الكهرباء مقام البخار في السكة الحديدية والسفن ويستعملها الفقير والغني على السواء لرخص ثمنها

وسيتوصل الانسان الى تركيب معادن مختلفة وربما توصل الى صنع حديد لين كالرصاص مرن كالكاوتشوك صلب كالالماس وشفاف كالزجاج ويمكننا حينئذ أن نستعيض به عن الخشب في التجارة وصنع السفن . وقد يستعمله اصحاب المطابع بدلاً من الورق وربما استغنت الطباعة عن الحبر اذ يكفي مرور مجرى كهربائي او شبهه على الصفائح متلونها بالحان وستصبح القراءة سهلة في الظلام الحالك بفضل المواد الشعاعة المستعملة في تركيب ذلك الورق . ولا شك ان آلات الفونوغراف ستستعمل لنقل الاخبار والخطب ونشرها على منوال الجرائد بثمن زهيد وسينتشر التلغراف اللاسلكي انتشاراً هائلا

لا يتم كل ذلك الا بعد مدة من الزمن الا اننا نرجو أن تحقق بعض تلك الاماني في ظرف عشر سنين او عشرين سنة . وسيبدأ الانسان عمله باستنباط وسيلة تمكنه من

الانتفاع بالشمس اكثر مما كان ينتفع بها في الماضي ويستعمل أشعتها وحرارتها في اعمال كثيرة وقد يتوصل الى اختراع خزان يخزنها فيه كما تخزن المياه

وعلى الاجمال اليك الاعمال التي ربما توصل اليها الانسان في العشرين السنة الآتية :

(١) التوسع في استعمال الالات التي تقوم مقام الانسان او تسهل عليه عمله

(٢) التوسع في استعمال المعادن المعروفة والبحث عن معادن أخرى إما جديدة او مكونة من اتحاد المعادن المعروفة اليوم . الاستعاضة عن الخشب بالمعادن في معظم الاحوال . انقلاب فن الطباعة . أهمية الطبع على الناشف والفونوغراف لنقل الاخبار والخطب والاحاديث

(٣) تقدم الزراعة . تعدد الانواع النباتية . تحسين الالات الزراعية . صنع الاسمدة الصناعية بكثرة

(٤) تحسين طرق المواصلات ولا سيما السفن الهوائية . انتشار التلغراف والتلفون اللاسلكيين . استخدام تموجات جديدة . تمكن الانسان من تنويع طرق التخاطب بالتلغراف والتلفون اللاسلكيين

(٥) الانتفاع بالفحم الابيض انتفاعاً عظيماً . ويتبع ذلك انتقال المراكز الصناعية الى قرب المياه

هذا مجمل ما ينتظر حدوثه من اليوم الى بعد عشرين سنة , ولا بد عندئذٍ من ان تكون القوى التي يولدها الناس لاغراضهم المختلفة ثلاثة او اربعة اضعاف ما كانت

شاب يحتضر

فوق سرير الموت نام الذي	زال ابتسامُ العيش عن ثغرهِ
قد ودّع الامال لا يرتجي	منها سوى الراحة في قبره
مقطباً ان شمته خلته	مستجمعاً ما جال في فكره
يطلب خلاً صادقاً واعياً	يهدي له ما شاء من سره
يرنو الى أم جفاها الكرى	تنتظر المجهول من أمره
يبحثُ عن صدرٍ اذا ضمهُ	أبادَ جيش الموت من صدره
كطائر ذي شجن صامت	ابعده المقدور عن وكره

محمد تيمور

اسرى الحرب

اللجنة الدولية المختصة بهم — تاريخها واعمالها

بينما الحروب تحصد الجيوش وتنشر الويلات وتورث المصائب والاحزان نرى اهل المروءة من جهة أخرى يسعون لتخفيف الآلام ومؤاساة المصابين وتعزية المحزونين وما جمعيات الصليب الاحمر والهلال الاحمر والجمعيات الخيرية على اختلاف نزعاتها اعظم دليل على انه لا يزال في الانسان عواطف سامية لعمل البر والاخذ بناصر الضعفاء والمنكوبين على رغم ما يظهره من القسوة والوحشية وحب الانتقام



متحف رات في جنيف — وهو مركز لجنة الاسرى

لم يكتف محبو الانسانية بتأسيس الجمعيات التي ذكرناها بل عمدوا الى عمل لا يقل عنها نفعاً بان انشأوا لجنة دولية لخدمة اسرى الحروب واصلاح شؤونهم ونقل اخبارهم ومراسلاتهم والسعي لمبادلتهم بين الدول المتحاربة والقيام بكل ما من شأنه تحسين حالتهم كما سترى

تألفت هذه اللجنة حديثاً برئاسة المسيو جوستاف ادور في مدينة جنيف بسويسرا وكان مؤتمر واشنطون في سنة ١٩١٢ قد قصر عملها على ان تكون وسيطاً بين جمعيات الصليب الاحمر في الدول المتعادية ولنقل قوائم الاسرى الى الدول التابعين لها

وما عتم ان اشتعلت نيران الحرب الحاضرة حتى قامت عائلات الجنود الاسرى والتائهين قبيل شهر سبتمبر سنة ١٩١٤ تستنجد اللجنة الدولية للبحث عن ذويها الذين

انقطعت عنها اخبارهم وزادت طلبات الاستعلامات زيادة عظيمة حتى اضطر اعضاء اللجنة الى استدعاء اقاربهم واصدقائهم لفض هذه الطلبات والرد عليها والتحري في البلاد المتحاربة عن الاشخاص المستعلم عنهم . وبطبيعة الحال احتاجت اللجنة الى عمال كثيرين ومكان فسيح للقيام بهذه الخدمة الجليلة فقامت بلدة جنيف واهدتها متحف رات في شهر اكتوبر سنة ١٩١٤ وهذا المتحف على رحبه لا يكاد يسع العمال الذين تطوعوا من تلقاء انفسهم لهذه المهمة الشاقة وعددهم ينيف على ١٢٠٠ ما بين عامل وعاملة من خيرة الرجال والسيدات

شؤون اللجنة واعمالها

وتهتم اللجنة بشؤون الانكليز والفرنسويين المأسورين في المانيا وتركيا وبلغاريا والالمان الواقعين في اسر فرنسا وانكلترا ومستعمراتهما واليابان وجنوب افريقيا . أما الاسرى الاتراك فتقتصر اللجنة على اخذ قوائم باسمائهم من جمعيات الصليب الاحمر الانكليزية والفرنسوية لتسليمها الى جمعية الهلال الاحمر

وقد انشأت جمعية الصليب الاحمر الدانمركية بناء على التماس اللجنة فرعاً لاسرى الروس في المانيا وآخر لاسرى الالمان في روسيا . وتختص جمعيات الصليب الاحمر في فينا وبتروغراد ونيش (قبل وقوعها في قبضة الاعداء) بالنظر في الطلبات المتعلقة باسرى الروس والصربيين في النمسا والنمسويين المأسورين في روسيا والصرب واجراء التحريات اللازمة عنهم

وتنحصر اعمال اللجنة الاساسية (اولاً) في تلقي طلبات الاستعلامات عن الاسرى والتائهين (وثانياً) في اجراء التحريات عنهم ليتيسر الرد على الطلبات المشار اليها . ولتسهيل القيام بالعمل وضعت اللجنة جدولاً ابجدياً باسماء الاسرى قسمته الى فهرسين متقابلين فهرس للطلبات وآخر للتحريات وكل منهما مؤلف من اوراق صغيرة تخص كل ورقة منها اسيراً من الاسرى

فهرس الطلبات

يملأ عادة قبل فهرس التحريات ويدرج فيه اسماء الاسرى او التائهين من واقع الطلبات الشفهية او الكتابية الواردة من العائلات ويجب ان يذكر في هذه الطلبات اسماء الاشخاص والقابهم ورتبهم العسكرية وارقامهم وتاريخ اختفائهم واسم الجهة التي اختفوا فيها

فهرس التحريات

وهو المحور الذي تدور عليه أشغال اللجنة وعلاقة باسماء الاسرى من واقع القوائم الرسمية التي تصدرها حكومات المتحاربين وحالما تتلق اللجنة هذه القوائم تجري فحصها بغاية الدقة وتوزع الاسماء المندرجة بها في الفهرس على ترتيب الحروف الابجدية ويذكر امام كل اسم جميع المعلومات التي امكن الحصول عليها وتضاف اليها التفاصيل التي ترد من العائلات وجمعيات الصليب الاحمر ومن الاسرى انفسهم

قلنا أن الفهرسين يوضعان بطريقة تجعلهما متقابلين فعندما تطبق ورقة من فهرس الطلبات على أخرى من فهرس التحريات تسحب الورقتان وترسلان الى القسم المنوط به كتابة الردود لارباب الطلبات وكثيراً ما يبقى من فهرس الطلبات اوراق بلا رد على رغم مساعي اللجنة وتحريها . وذلك راجع في الغالب الى ان الاشخاص المستعلم عنهم ممن قتلوا في المعارك ولم يستدل عليهم او الذين يعالجون في المستشفيات في نفس البلاد التابعين لها الخ . على ان اللجنة قد خصصت قسماً منها لاجراء تحريات خصوصية في مثل هذه الاحوال ومفاوضة الجهات المختصة مباشرة بشأنهم كالاكليروس مثلاً وضباط معسكرات الاسرى واطباء المستشفيات وغيرهم

وهي لا تكتفي بمفاوضتهم كتابة بل تكلف مندوبين من قبلها الذهاب الى ساحات القتال وسؤال الشهود الذين رأوا الجنود التائهين والتقاط الاستعلامات عمن دفنوا في المعارك وعن اسمائهم الى غير ذلك . وقد طبعت اللجنة لهذا الغرض اوراقاً مخصوصة تحتوي على اسئلة مختلفة عن الاسرى والقتلى توزع في المعسكرات وتعاد اليها في ظرف اسبوع مملوءة بالمعلومات التي ترومها

وكثيراً ما تأخذ اللجنة صوراً فوتوغرافية لمعسكرات الاسرى في المانيا وفرنسا وغيرهما وترسلها الى عائلات هؤلاء الاسرى بناء على طلبهم او الى جمعيات الصليب الاحمر . ومنذ ٢٢ يناير سنة ١٩١٦ اخذت اللجنة تصدر مجلة اسبوعية تحتوي على جميع المعلومات التي تهم عائلات المتحاربين

وانشأت اللجنة اقساماً أخرى تقوم بخدمات لا تقل اهمية عما ذكرنا . منها قسم التحري عن الافراد الملكيين المعتقلين في بلاد معادية وايصال المراسلات الى اربابها في البلاد المذكورة وحفظ المراسلات المعنونة بعنوان بلجيكا وغيرها من البلاد المحتلة والرد على الاستعلامات الخاصة بالملكيين ومراحلة غير المتحاربين الى بلادهم كالنساء والشيوخ والعجزة وقسم للنظر في ملافاة ما قد يقع على الاطباء والممرضين من الاعتداء والسهر على

تحمهم بجميع الحقوق التي خولهم اياها اتفاق جنيف وعدم معاملتهم معاملة الاسرى واطلاق سراحهم حالما يمكن الاستغناء عن خدماتهم وتحضير قوائم الجنود الذين لم يعودوا صالحين للخدمة العسكرية والسعي في مبادلتهم بين الدول المتحاربة

هذا فضلاً عن الاقسام المكلفة ارسال الاعانات والطرود الى الاسرى من عائلاتهم واصدقائهم

ومن الارقام الاتية يتضح للقارىء اهمية ما قامت به اللجنة من الاعمال

المبالغ المرسلة الى الاسرى لغاية ٣٠ يونيو سنة ١٩١٥	١٠٨٦٠٠٠	فرنك
الطرود المرسلة من جنيف « «	١١٤٠٠٠	طرد
الطرود المارة بطريق « « «	٤٠٨٧٠١٥	طرد

وقد بلغ معدل ما يرسل يومياً من المراسلات ١٤٧٦٤٠ خطاباً وتذكرة ومن الحوالات ما قيمته ١١١٣٥٢ فرنكاً واتضح اخيراً ان اللجنة قد اجابت على نحو ٣٤٨٥٠٠ طلب من الطلبات التي وردت عليها وذلك في خلال المدة من ١٥ اكتوبر سنة ١٩١٤ لغاية ديسمبر سنة ١٩١٥

اللقيط

فوق الثرى أبصرته راقداً	يئن من جوعٍ وبردٍ شديدْ
عليه ثوبٌ ابيض لم اجد	في طيه اسرار ذاك الوليد
كأنه من حسنه وردة	ترشقها الحسناء بين النهود
تلقيه ما يعرف ما يبتغي	هل يعرف ابن الامس ماذا يريد ؟
يرنو الى ليلٍ طويل الكرى	مسترحماً والليل باغٍ عنيد
كأنه والليل من حوله	وفي ظلام الليل موتٌ اكيد
سفينة غرقى بلا منقذ	وبحرها الجائش هذا الوجود
قد حرمته الام تحنانها	والصدر والثدي ولثم الخدود
ينساه في البؤس أبٌ ظالمٌ	في دهره يحظى بعيش سعيد
يعيش لا يعرف من اهله	كأنه فينا شريد طريد
والله عار يا رجال النهى	أن يظلم القانون هذا الشهيد
العدلُ يا من شاقه وجهه	في هذه الدنيا رهين القيود

محمد تيمور

الانف

في الأدب والطب والتاريخ والفراسة

> قد تستتر الذقن باللحية والفم بالشاربين وقد تتوارى العينان وراء النظارات والجبهة يغطيها الطربوش أو القبعة — ولا يزال الانف بارزاً في طول الوجه لا يستره شيء . فهو أثبت دلالات الاخلاق وأظهرها
>
> «علم الفراسة الحديث» مؤسس الهلال

من أقوال بسكال الفيلسوف الفرنسوي الشهير قوله «لو كان أنف كليوبطرا أصغر حجماً مما كان لتغير مجرى التاريخ» للدلالة على ما للانف وفراسته من العلاقة بأخلاق الناس. ولعل بروز الانف في الوجه اشارة الى بروزه في حياة الانسان ومكانته بين سائر الاعضاء . وقد جاء في «علم الفراسة الحديث» لمؤسس الهلال في أثناء الكلام عن الانف ما يأتي :

« واذا نظرت في انوف الناس على اختلاف الشعوب أو في الشعب الواحد على اختلاف الاعمار رأيته من اوضح الادلة على درجات الارتقاء . فان أنف الطفل لا يزال صغيراً منخفضاً حتى يبلغ رشده ويشتد ساعده فيكبر ويبرز . ودليل ذلك قريب يشاهده كل واحد . انظر الى أي طفل شئت فترى انفه أضعف من انف ابيه واصغر وفيه فطس يزول كلما نما حتى يصير شاباً فيصير انفه مثل انف ابيه .

واعتبر ذلك في الامم فترى الشعوب الهمجية صغار الانوف مع فطس في الارنبة وغور في جسورها ثم يقل ذلك الفطس حتى يبرز الانف جيداً في الامم المرتقية وقد وجدوا بالاستقراء ان نسبة أنف القوقاسي الى وجهه كنسبة واحد الى ثلاثة ونسبة انف المغولي الى وجهه كنسبة واحد الى اربعة . والزنجي اكثر من ذلك . ناهيك بالتفاوت في بروزه بين هذه الامم . ومما يستحق الاعتبار ان القدماء كانوا اذا نحتوا تمثالا وأرادوا بيان عظمة صاحبه وقوة بطشه زادوا في طول انفه حتى انك تميز تمثال الملك من تمثال الخادم بمجرد النظر الى طول الانف . ويسهل ذلك علينا من النظر الى الآثار المصرية »

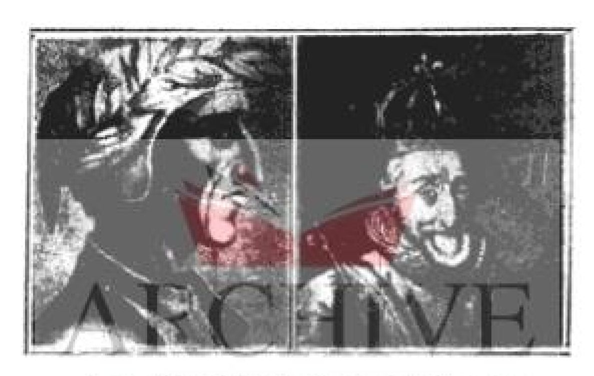
ولا يخفى ان حجم الانف يكون في كثير من الاحيان مدعاة للضحك والاستهزاء . ومن اجمل ما روي في هذا الصدد قصة وقعت لكاتب فرنسوي معروف كان لنكد حظه ضخم الانف . فقد كان ذلك الكاتب يلعب يوماً لعبة الشطرنج مع زميل له وكان كثير الشخير في أثناء اللعب بسبب زكام شديد كان ملازماً له فلم يطق زميله صبراً وابتدره قائلا

« قد ازعجتني بشخيرك فامخط وارحني » فاجابه « اني اكلفك أيها الرفيق بهذه المهمة فانك اقرب مني الى انفي . . . »

ولا نظن احداً يجهل هذين البيتين

لك انف يا ابن حرب انفت منه الانوف
أنت في القدس تصلي وهو في البيت يطوف

فقد جرى ذكرها على الالسن واصبحا من الاقوال المشهورة . ولعل اقرب زميل لابن حرب عند الغربيين سيرانو دي برجيراك Cyrano de Bergerac وكان اديباً فرنسوياً وله نكت جميلة يدور مدارها حول انفه . وقد خلد اسمه الشاعر الفرنسوي ادمون روستان برواية تمثيلية سماها باسمه وهي تعد افضل ما انجبه ذلك الشاعر الشهير



من مشاهير اصحاب الانوف الكبيرة : الملك هنري الرابع والشاعر دانتي

وبلغت الشناعة بأنف العالم الالماني هلمبرج درجة عظيمة كره معها المعيشة في وطنه وطلب الخلاص من استهزاء الناس به وتهكمهم عليه فسافر الى مداغسكر . ولكن اهلها استهجنوا شكله ايضاً اسوة بالمتمدنين وسموه « فوروندول » اي البوم

اقوال الشعوب بخصوص الانف

لكل شعب مذهب خاص في الجمال على الاجمال وفي جمال الانف على الخصوص . فعند التتر كلما كان الانف صغيراً عد الشخص جميلاً ومما يؤثر عنهم في هذا الصدد ان لويس التاسع (او القديس لويس) ملك فرنسا ارسل احد المبشرين الى بلادهم للوعظ والتبشير بالديانة المسيحية فاذن له بمشاهدة احد رؤسائهم . وما كان اشد دهشته عندما رأى وجه امرأة ذلك الرئيس وقد كانت تعد من اجمل الجميلات عندهم خالياً من الانف تقريباً وليس فيه سوى ثقبين للتنفس . أما اليابانيون فانهم يفضلون الانف المستطيل

المنحني قليلاً وبعكسهم الصينيون فان اجمل الانوف عندهم ما كان افطس . والزنوج يحبون الانوف القصيرة المبطوحة على شرط ان تكون محاطة بخدود ممتلئة . ولا يخفى على القراء اهتمام الزنوج على الاجمال بزينة الانف فانهم يعلقون به عدداً وحلى باشكال مختلفة وهي في عرفهم من مستدعيات الكمال

قليل من فراسة الانف

وقد كتب علماء الفراسة الكتب الطويلة عن الانف وانواعه وما يستدل من كل نوع على أخلاق صاحبه . وليس هنا مكان الافاضة في تفاصيل هذا الفن وانما نكتفي بالاشارة الى اهم انواع الانوف المعروفة وهي خمسة ودلالة كل نوع منها بايجاز :

١ الانف الروماني — وهو يمتاز بارتفاع قصبته وورود الارنبة بحسن استواء القصبة وهو ما يعد عند العرب بالشمم — على أن يكون بين اعلى الانف وملتقى الحاجبين فرض او ميزاب عرضي وهو دليل العظمة وعلو الهمة عند كل الامم . وهو انف القواد والفاتحين والالهة . وقد كان الشمم عند العرب يدل على الارتفاع والتكبر وهو صفة محمودة في الرجال يكنى بها عن الشهامة وعزة النفس ومنه قول حسان ابن ثابت : بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الانوف من الطراز الاول

٢ الانف اليوناني — سمي بذلك لتغلبه في اليونان وهو مستو يكاد يكون هو والجبين على خط واحد لولا انحدار خفيف تحت الحاجبين . وهو دليل الدقة والاناقة وسلامة الذوق في الفنون الجميلة مع حب الجمال على انواعه كذلك كان اليونان بشهادة آثارهم وتواريخهم

٣ الانف الاسرائيلي — وهو انفى أي مرتفع في وسطه ثم ينضغط عند الطرف كالقنطرة ويغلب في اليهود حيثما وجدوا وبعض علماء الفراسة يسمونه «الانف التجاري» لاقتدار اصحابه في التجارة باعم معانيها

٤ الانف الافطس — هو ما تطامنت قصبته وانفرشت مناخره كما في الزنوج ونحوهم وهو دليل الانحطاط والضعف

٥ الانف الاذلف — ويراد به الانف المطمئن القصبة كالافطس مع دقة الارنبة حتى تنتهي برأس حاد . وشكله عكس شكل الانف الاسرائيلي تماماً اي انه مقعر من وسطه ويسمونه « الانف السماوي » و « الانف الباحث »

وظيفة الانف واهميته

هل تقتصر وظيفة الانف على الشم ؟ لا شك ان الخدمات التي يؤديها بهذه الطريقة

عظيمة جداً نذكر منها انه يرشدنا الى معرفة المأكولات المتعفنة ويدلنا على ما قد يكون في الهواء من الغازات السامة . ولا يخفى ان كثيراً من الحيوانات انما تتوصل الى طعامها بواسطة حاسة الشم

ولكن تلك الفوائد ليست كل ما يعود علينا من ذلك العضو البارز في وجهنا فان له ايضاً اهمية عظيمة في حاسة الذوق اذ يشارك فيها اللسان ويتقاسم معه تلك الوظيفة الهامة. ومن الادلة على ذلك ان الانسان اذا كان مصاباً بزكام شديد لا يستطعم بالمآكل التي يأكلها ويتعذر عليه تمييزها بعضها عن بعض. وما سبب ذلك الا لان الغشاء المخاطي المبطن للانف يكون ملتهباً فلا يتسنى له القيام بوظيفته كما يجب



انف امرأة قبل اصلاحه وبعده

واذا لم يقتنع القارىء بصحة ما تقدم فعليه باجراء التجربة التالية : استحضر قليلا من الشاي ومن القهوة ومن الكاكاو وضعها في ثلاثة فناجين متساوية ثم اضغط على انفك بحيث لا تستطيع الشم واقفل عينيك وذق حينئذٍ ما في الفناجين الثلاثة تجد ان طعمها واحد ويتعذر عليك تمييز النوع الواحد عن النوعين الاخرين

على ان هذه الوظيفة على اهميتها لا تذكر بجانب وظيفة التنفس التي يجب ان تجري عن طريق الانف — وهو طريقها الشرعي الطبيعي . ورب معترض يقول ما الفرق بين ادخال الهواء عن طريق الانف او عن طريق الفم ما زال الطريقان يؤديان الى الرئتين . فالجواب ان هناك فرقاً عظيماً جداً فمقام الانف لدى التنفس كمقام المرشح في الشرب . اذ لا يخفى ان في داخل الانف تجعدات عديدة وانخفاضات دقيقة . فالهواء عند مروره في الانف يطرأ عليه تغيرات هامة اولها ان حرارته تزداد وكذلك رطوبته ثم

انه يتطهر من الجراثيم التي يحملها عند ملامسة الغشاء المخاطي والمرور بين شعر الانف ولذا كان التنفس عن طريق الانف اصح من التنفس عن طريق الفم

وبالاختصار فالانف مرشّح بكل معنى الكلمة ويكفي فحص مفرزات الانف حتى تتأكد من صحة هذا التعبير اذ نرى فيها عندئذٍ ميكروبات مختلفة لم تجد الى الرئتين سبيلاً لا سيما ميكروبات السل والتهاب الرئة والانفلونزا والالتهاب المخي الشوكي وغيرها — نجد هذه الميكروبات ليس في المرضى فقط بل في احسن الناس صحة

ورب سائل يسأل ماذا يحل بالميكروبات والاوساخ التي تجمع في الانف ? اما الغبار والاوساخ فانها تجمع من حين الى آخر في الانف ويعلم الجميع السبيل لاخراجها منه . واما الميكروبات فقد ثبت منذ عدة سنوات ان السائل المخاطي ذو خواص مطهرة اي انه يقتل الميكروبات الغارقة فيه بعد ان يضعفها شيئاً فشيئاً

وليس ادل على اهمية الانف من ان نفرض انه مصاب او متلف لسبب من الاسباب . خذ مثلاً طفلاً سدّ أنفه بعض السد بحيث يصعب عليه التنفس فاذا لم يعالج وظل يتنفس من فمه فلا شك انه يصبح عرضة في كل ساعة لان يصاب في حلقه او حنجرته او رئتيه او لوزتيه . ثم انه فضلاً عن ذلك يتعذر عليه الكلام بوضوح وجلاء فحرفا م و ن مثلاً يستلزم النطق بهما اقفال الفم ولما كان صاحبنا لا يستطيع ذلك لانه مضطر الى حفظه مفتوحاً لاجل التنفس فيلجأ حتماً الى الاستعاضة عن هذين الحرفين بما هو قريب منهما كأن يبدل النون بالدال والميم بالباء

هذا فضلاً عن كون عضلات الانف تشل لعدم استعمالها وتتبعها العضلات المجاورة لها وفضلاً عن ان التنفس من طريق الفم يضخم الشفتين ولا سيما الشفة السفلى ويضعف الرئتين لان الهواء لا يدخلهما بمقدار كاف

وقد عرف الاقدمون اهمية الانف فجعلوا جدعه اي قطعه في مقدمة العقوبات . فقد كان هذا العقاب معروفاً عند المصريين واليونان والرومان وكانوا يعاقبون به المرأة التي تخون زوجها . ويؤثر عن احدى ملكات انكلترا انها امرت بقطع انف كل من يسيء الكلام عنها او عن حكومتها . وقد كانت بعض حكومات اوربا في القرون الوسطى تجيز شرطتها المكافئين بحفظ الامن عند تقديم انوف اللصوص الذين يقتلونهم . ولا تزال بعض الحكومات الى اليوم تقدم جائزة لكل من يأتيها بانوف الذئاب

ولا يخفى ان الجراحين يجرون اليوم عمليات جراحية في الانف اما لتصغيره اذا كان كبيراً باستخراج الزوائد منه او تسويته اذا كان افطس بادخال مادة البرافين اليه تحت الجلد بحيث تملأ الفراغ ويستوي الانف كما يتبين من النظر الى الصورة السابقة

الغلط والفصيح

على ألسنة الكتاب

(تابع لما في الجزء الرابع من الهلال)

حالت بعض الموانع دون مواصلة الكتابة في هذا الموضوع فوقفنا القلم هنيهة لنرى ما يكون من وقع الفصول السابقة عند جمهور المتأدبين . ويسرنا ان سوادهم تلقاها بالتحبيذ والاستحسان ما عدا نفراً لم يرتح اليها خيفة ان يكون فيها تقييد للغة وتضييق على مفرداتها بما لا ينطبق على ناموس النشوء والارتقاء . على ان خوف هذا الفريق في غير موضعه لان تقديم الفصيح على الصحيح والاخذ بهذا دون الغلط ليسا مما يضيّق نطاق اللغة او يقيد مفرداتها بل هما يحفظانها من شوائب الخلط والخطإ . ومن أغرب ما سمعناه من الانتقاد قول بعضهم اننا أخذنا انتقادنا عن صحيفة يومية كانت تنشر فصولاً بهذا المعنى . والحقيقة اننا لم نطلع قط على تلك الصحيفة ولا نعرفها الا بالاسم . ولسنا وايم الله ندري ما شأن الصحف السياسية اليومية بمثل تلك المواضيع وبين دفتي كل مجلة بضع عشرات من الصفحات لا تضيق عن استيعاب ما تجود به أقلام الادباء

ومن الاعتراضات التي بلغتنا ان بعض المفردات التي نبهنا الى وجه الغلط فيها هي في الواقع من استعمال العامة وجمهور الادباء يعرف انها كذلك فلا حاجة الى التنبيه اليها . ولكن لما كان عدد غير يسير من الكتاب يستعملها على زعم انها من فصيح الكلام لم نرَ بدّاً من الاشارة اليها وتبيان وجهها الصحيح

وهنالك اعتراضات أخرى لا نرى فائدة من الاشارة اليها لما هي عليه من وهن الحجة . وانما نود ان نذكر القارئ باننا لا ندّعي العصمة من الخطإ بل نحن نرتكب ما يرتكبه كل من عالج صناعة الادب . وانما هي الغيرة تحملنا على الاشارة الى ما قد علمنا من البحث والتنقيب انه غلط شائع على ألسنة الكتاب

فمن ذلك انهم يقولون بارح زيد مكانه او من مكانه بمعنى غادره والصحيح برح مكانه او من مكانه من الوزن الثلاثي المجرد

ويقولون أضربتُ عنه صفحاً بمعنى أعرضتُ عنه والصحيح ضربتُ عنه صفحاً من الثلاثي المجرد وانما يقال اضربتُ عنه بمعنى اعرضت بحذف المفعول المطلق [1]

---

(١) يجوز اعتبار صفحاً في قوله « ضربت عنه صفحاً » منصوباً على المصدرية المعنوية او على الظرفية

ويقولون تأمّل منه خيراً بمعنى رجا خيره والذي في كتب اللغة قولهم تأمّل أي تلبّث في الامر وحقق النظر فيه وتصوّره بإمعان

ويقولون بحثَ الشيءَ وبحثَ الموضوعَ فيعدّون الفعل بنفسه وهو يتعدى بحرف الجر يقال بحث في الامر أي فتش واستقصى طلبه ومنه الحديث فبعث الله غراباً يبحث في الارض

ويقولون أشّر على الكتاب واشّر الكتاب بمعنى ميّزه بعلامة فينحتون من لفظ الاشارة هذا الفعل الغريب الذي عم استعماله على ألسنة جمهور كبير من الكتّاب

ويقولون دحض حجته من الثلاثي المجرد بمعنى ابطلها وهو وان يكن مسموعاً فالرباعي افصح منه يقال أدحض حجته بمعنى ابطلها ومنه في سورة الكهف « ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدْحِضوا به الحق »

ويقولون كلفه بالامر أي عهد اليه بالقيام به فيعدون الفعل بالباء وهو يتعدى بنفسه يقال كلفه الامر أي امره بما يشق عليه . ومنه قوله في سورة البقرة « لا تكلف نفسٌ الا وسعها »

ويقولون شيءٌ مخفيٌّ أي مستور فينحتون اللفظ من الوزن الثلاثي وهو مسموع ولكنه ضعيف واصح منه الرباعي يقال شيء مخفيٌّ اي محتجب

ويقولون حكم القاضي بادانة فلان اي اثبت ذنبه ولعلهم يصوغون هذه اللفظة من دانه يدينه بمعنى جازاه وهو من غرائب النحت

ويقولون الناشئة الحديثة بمعنى الجيل الحديث وهو من الاوضاع الحديثة ولعلهم يقصدون به النَشْءُ (جمع ناشيء) او النابتة

ومن هذا القبيل ايضاً قولهم الشبيبة أي جيل الشبان . والشبيبة في اللغة مصدر او هي خلاف الشيب . وتجيء صفة ايضاً فيقال امرأة شبيبة اي شابة

ويقولون هو عشيق العلماء وزيد عشيق هند ولم يسمع هذا في شيء من كلامهم وانما هو جائز قياساً وفي هذه الحالة يغلب ان يكون اسم مفعول بمعنى المعشوق وهو تخريج بعيد

ويقولون لا سيما وانه يفعل كيت وكيت فيأتون بالواو بعد لا سيما مع ان لها التقدم عليها يقال ولا سيما انه . وقد تحذف الواو فيقال لا سيما انه وهو غير نادر

ويقولون هو يشتغل نوعاً ماً . وهو يتكلم بالعربية نوعاً ما . وكلاهما غلط والصواب أن يقال هو يشتغل بعض الشغل وهو يتكلم بالعربية قليلا

ويقولون لا اعرفه بالمرة وما رأيته بالمرة أي لا اعرفه وما رأيته قط وهي من التراكيب التي لم نهتد الى تخريجها

ويكتبون الخطا والذرا جمع خطوة وذروة بالالف المقصورة مع ان كلا اللفظين واويّ الاصل . وقد أثبتهما صاحب محيط المحيط بالقصر

ويقولون فلان يشتغل بصفة موظف وهو غلط والصحيح بمثابة موظف وقد يصح ان يقال بصفة كونه موظفاً وهو تخريج بعيد

ويقولون انه لا يفعل شيئاً طالما زيد هنا وهو غلط والصحيح انه لا يفعل شيئاً ما دام زيد هنا

ويقولون فنيَ القوم عن بُكرة أبيهم وهلك الجيش عن بُكرة أبيه بجر بكرة بعن وقصر التعبير على ما يدل على الفناء أو الهلاك . والصحيح ان تكون بَكرة مفتوحة الباء مجرورة بعلى مع عدم قصر المعنى على ما يدل على الفناء . يقال جاء القوم على بَكرة أبيهم اي كلهم والبكرة بمعنى الجماعة

ويقولون جاء كافة الناس وعلمت كافة الامور فيضيفون كافة الى ما بعدها وهي لغة رديئة لان كافة لا تضاف ولا تدخلها أل بل تكون منصوبة على الحال من العقلاء نصباً لازماً فهي في مذهب قولنا ذهبوا معاً وذهبوا جميعاً . وعليه يقال جاء الناس كافة ولا يقال علمت الامور كافة لانها لا تقع حالاً الا للعاقل

ويقولون فعل هذا بالرغم منه وهو كثير الشيوع وقد ورد في بعض كتب اللغة ولكنه لغة ضعيفة وافصح منه ان يقال فعل هذا على رغمه

ويقولون عصاً معكوفة اي معوجة الطرف وهو غلط والصحيح معقوفة بالقاف

ويقولون هذا الشيء لا يقبل التجزيء والانقسام وهو غلط وصوابه التجزُّؤ لان عين تفعّل مضمومة ابداً في المصدر

ومثلها التبرؤ فانهم يجعلون كرسي همزتها ياء مع انها مصدر تفعّل

ويقولون عقدت الدولة الفلانية اتفاقيـة مع الدولة الاخرى في شأن كذا ويعنون بذلك اتفاقاً او تعاهداً لان الاتفاقية عند علماء المنطق قضية شرطية متصلة حكم فيها بوقوع الاتصال بين الطرفين او بلا وقوعه لا لعلاقة بين الطرفين تقتضي الاتصال

(البقية تأتي) سليم عبد الاحد

العائلة والمنزل

تبخير ثكنات الجنود

لقتل بق الفراش

نشرت المجلة الزراعية المصرية في عددها الاخير مقالة عن كيفية تبخير بعض الثكنات العسكرية في مصر لقتل بق الفراش . فرأينا ان ننقلها عنها لما فيها من الفوائد العامة . قالت :

شكا الجنود الذين عسكروا في مصر في الصيف الماضي من كثرة بق الفراش في جميع ثكناتهم تقريباً ولا سيما القديمة منها التي كان سقفها وبلاطها من الخشب وقد حاول اولو الامر الحربيون مقاومة الحشرة بالغسل بالبرافين والكربوزوت غير أن عملهم لم يصادف نجاحاً كبيراً فاضطر الكولونل هيل كول قومندان فرقة « سوث نوتس هوسارس » (The South Notts Hussars الى أن يستنجد بقسم الحشرات بوزارة الزراعة

دل الاختبار منذ حرب البور في جنوب افريقيا أن الطريقة الفعالة لمقاومة هذه الحشرة عند ما تظهر في احدى الثكنات هي تبخيرها بغاز الحامض الهيدروسيانيك (الحامض البروسيك) وعا أنه لا يزال عند فرقة التبخير نحو نصف طن من سيانور الصوديوم من العام الماضي فقد أمكن اجراء عملية التبخير في الثكنات القديمة بالعباسية التي نزلها الفرقة المذكورة . وكانت الطريقة التي اتبعت كالآتي :

الصق في جميع الشبابيك شريط على الخط المركزي الحادث من التقاء مصراعي الشباك أي خط تلاقيهما ثم أزيل مزلاجهما من الداخل حتى اذا دفع من الخارج دفعاً قوياً يفتح بسهولة واذ كانت شبابيك البناء على أحد جوانبه التي لم يتيسر الدخول اليها من الخارج فللوصول الى فتحها بعد الانتهاء من عملية التبخير ربطت بعضها بحبال من الداخل ثم أخرجت هذه الحبال من تحت الابواب المقابلة للشبابيك ليسهل فتح الشبابيك بجرّ هذه الحبال من الخارج من غير دخول الى الغرفة وقبل عملية التبخير سدت منافذ الهواء بورق التبخير وأصلحت الواح الزجاج المكسورة بالصاق ورق عليها لتمنع مرور الهواء منها وفتحت جميع صناديق المهمات وعرض الفراش وجميع الادوات الاخرى حتى يجد التبخير سبيلاً الى كل جزء من اجزائها

وبعد ما صارت غرفة التبخير على الصورة المتقدمة أخذ في تحضير مواد التبخير على الطريقة المصطلح عليها في جنوب افريقيا وهي ان تضاف اوقية من السيانور واوقية من الحامض الكبريتيك الى اوقيتين من الماء وذلك لكل مائة قدم مكعب من المكان

والشروع في العمل وزنت كل ثلاثة ارطال من السيانور على حدة ووضعت داخل كيس من الشاش وربطت . وكذا وضع ما يعادلها في النسبة المتقدمة من الحامض الكبريتيك والماء في صفائح من صفائح البترول المعروفة ومزجا . ثم وزعت صفائح الحامض واكياس السيانور اللازمة لكل غرفة وفي الغرف الكبيرة هيئت الحبال التي بواسطتها ينزل العامل اكياس السيانور في الحامض وهو خارج باب الغرفة . اما في الغرف الصغيرة فوضع المبخر بيده الاكياس في الحامض بسرعة ثم خرج من الغرفة واغلق بابها . وعندما بدأت عملية التبخير في الغرف وقفت الديدبانات تمنع الدخول أو الاقتراب من المباني وقد تأكدت ضرورة هذا الاحتياط من مشاهدة سبعة عصافير ميتة في السقيفة الكائنة خارج الغرف التي كانت تبخر قبل ان تفتح الابواب والنوافذ وقد ترك الغاز اربع ساعات ليتم عمله ثم فتح ما امكن من الابواب والنوافذ من غير ان يدخل احد الغرف ذاتها ولم تكن هذه الغرف صالحة للبقاء فيها الا بعد مضي ساعتين تقريباً تبعاً لمقدار الهواء الداخل فيها نظام الغرف في الثكنة وقد اتبع في التبخير ان يبخر كل يوم ما كان من الغرف مخصصاً لبلوك واحد وقد كان ذلك يحتاج الى مقدار من السيانور وزنه واحد هندردويت وكان مقدار ما خصص للغرفة الواحدة اربعين رطلا

وبعد تمام اجراء العملية وجدت مقادير هائلة من البق ملقاة على الارض ميتة وقد وجد في احدى الغرف واحدة او اثنتان قيل انهما لم تفارقهما الحياة ولكن ذلك كان بلا شك استثناء وقد ارتاح اولو الامر العسكريون لهذه النتائج فطلبوا اجراء تبخيرات اخرى بهذه الطريقة . وقد كانت ثكنة المدفعية المصرية الكائنة بالقرب من هليوپوليس ثاني مكان شرع في تبخيره اعداداً لتحويلها الى مستشفى واتبعت هذه بربوع كثيرة في القلعة وكانت هذه الربوع مستعملة كمستشفى للناقهين فلما تمت هذه البلوكات كان السيانور قد نفذ تقريباً واضطر الى وقف العمل على رغم وجود طلبات مستعجلة كثيرة للتبخير وفي العزم عند ورود الطنات الثلاثة التي اوصي عليها في انكلترا معاودة العمل على نطاق واسع

وفي الختام يحسن ان نضيف كلمة عن بناء الثكنات ولوازمها بقصد منع ضرورة التبخير فنقول اولا انه يجب أن يقلع عن عمل السقوف والارضية والدرج الخشب بتاتاً

ويجب اقفاص كل الادوات الخشبية الاخرى الى حدها الادنى كما يجب ان تستبدل صناديق المهمات الجاري استعمالها في الوقت الحاضر بأخرى معدنية كما أن نوع الاسرة المعدنية التي تطوى وهو النوع المستعمل الآن غير موافق مطلقاً اذ هو يشتمل على شقوق كثيرة جداً ومفاصل يستطيع البق أن يجتمع فيهما فقد وجدنا مقداراً لا يقل عن اربعين بقة قد سقطت من المفاصل حول رجل احد الاسرة فلا بد والحالة هذه من انتخاب أسرة اخرى تكون أماكن التجاء البق فيها أقل من تلك . ويمكن ايضاً وضع حافة حول القاعدة مثلاً بالفازلين فانها تمنع البق من التسلق الى الفراش

أما اقفاص الجريد التي كثر استعمالها في المستشفيات كأسرة موقتة فهي اردأ ما يكون من هذه الوجهة اذ هي كتلة من الثقوب والشقوق يجد البق فيها ملجأ لا يشتهي خيراً منه فقد وجد مقدار يزيد عن خمسمائة بقة قد سقطت من احد هذه الاسرة الموقتة بعد التبخير على انه اذا لم يكن بد من استعمالها فلا بد من تبخيرها في فترات منتظمة
ج . س .

كيف ومتى يجب ان نشرب

جاء الصيف وبدأ الناس يخمدون ما بهم من حرٍّ وظما بالمشروبات والمرطبات الباردة فيجدر بنا حينئذٍ ان نجيب على سؤال طالما ورد في هذه الظروف وهو هل شرب الماء البارد على المائدة صحي ? فالجواب ان شربه جائز ولكن على شرط الاعتدال لانه ما زال القصد من شرب الماء البارد ترطيب الفم فان مقدار مليء الفم يكفي لا سيما اذا مصه الانسان بحيث يكون قد فتر واعتدلت حرارته لما يصل الى المعدة فلا يعوقها عن تأدية وظيفتها . أما اذا ابتلع الانسان قدحاً او قدحين من الماء البارد دفعة واحدة فهذا الماء ينزل الى المعدة ببرودته فيصيبها مثلما يصيب الانسان لو كان غاطساً بين الثلج . فانها تبرد وتشل حركتها وتمتنع غددها عن افراز الاعاصير اللازمة للهضم مدة ساعة او ساعتين او اكثر من ذلك

فنرى مما تقدم ان لا مانع من شرب الماء البارد ولكن على شرط أن يبتلع مصات متتابعة بحيث يسخن قليلا قبل الوصول الى المعدة . فان الغرض من الشرب في الصيف تبريد الفم وليس تبريد المعدة . واذا شرب الانسان الماء على هذه الكيفية فانه يكفيه مقدار قدح واحد عند كل طعام

ثم انه لا يجب ان يشرب الماء والطعام لا يزال في الفم بقصد دفعه الى المعدة لان

تاريخ الشهر

سفر الجنرال مكسويل

والاحتفال بوداعه

في ٢٠ مارس الماضي احتفلت الامة المصرية بوداع الجنرال مكسويل القائد العام للقوات البريطانية في القطر المصري . وكانت قد تألفت لجنة من أعيان القطر برئاسة سمو الامير



الجنرال مكسويل

احمد فؤاد لهذا الغرض . ومنذ منتصف الساعة الرابعة بدأ المدعوون يتوافدون الى فندق الكونتننتال الذي كانت اللجنة قد اختارته لهذا الاحتفال وفي الساعة الرابعة بلغ عدد المجتمعين الفي مدعو يتقدمهم الوزراء ووكلاء الوزارات ومعتمدو الدول وقناصلها وكبار الموظفين والرؤساء الروحيون والاعيان

وفي منتصف الساعة الخامسة وصل جناب الجنرال مكسويل ومعه حضرة اللادي قرينته والبرنس اوف باتنبرج فعزفت الموسيقى بالنشيد الملكي البريطاني وصفق الحاضرون ترحيباً لهم فتقدم الجنرال واللادي مكسويل يحييان الجميع وقابلهما صاحب السمو الامير احمد فؤاد

وبعد ان طاف جناب الجنرال القاعتين الكبيرتين محيياً مسلماً والناس تتزاحم حوله لمصافحته وتحيته والاعراب له عما يخالج افئدتهم من شكره وعرفان ما له من الفضل والمكانة فتحت قاعة المقصف فدخل مع صاحب السمو الامير احمد فؤاد الوزراء والكبراء والاعيان فالقى سمو الامير بالفرنسوية الكلمة الآتية :

« عزيزي الجنرال ، اني لفخور وسعيد بان اكون في هذا الموقف مترجماً اليوم الآن عن عواطف الامة كلها . وانك لترى حولك في المظهر الصادق الفجائي جميع مراتب الامة المصرية وطبقاتها آتية لتقول لك : الى الملتقى »

فقوبلت كلمات الامير بالتصفيق والهتاف . ثم تكلم السيد عبد الرحيم الدمرداش وتبعه سعادة مرقس باشا سميكة فقوبل كلامهما بالتصفيق

ثم رد جناب الجنرال على الخطباء بكلمة كان الحاضرون يقاطعونها بتصفيق الاستحسان وهي :

« يا سمو البرنس ويا ايها السادة

اني تأثرت جداً من العبارات اللطيفة التي خاطبتموني بها وكذلك مما خاطبني به حضرة صاحب الفضيلة والارشاد السيد عبد الرحيم الدمرداش وحضرة صاحب السعادة مرقس سميكة باشا بالنيابة عن اللجنة . اني آسف جداً لانني لا استطيع ان اجيبكم على خطبكم بلغة البلاد وأراني مضطراً ان اخاطبكم بلغتي . نعم ان العبارات التي اخاطبكم بها وجيزة ولكنها صادرة من صميم الفؤاد . ان هذا اليوم عندي انما هو يوم سرور وفخر عظيمين وأي سرور وفخر اعظم من ان ارى نفسي على ما انا عليه الآن محاطاً بممثلي الامة المصرية الكريمة على اختلاف طبقاتها وعناصرها

ان مهمتي في هذه البلاد كانت مهمة شاقة جداً ولكن سهلها عليّ ما لقيته من اخلاصكم وولائكم ومساعدتكم منذ وكل اليّ ان امنع امتداد الحرب الطاحنة الى هذا البلد الامين وان اقضي على الدسائس والمؤثرات التي كان يقصد منها تحويل الشعب المصري عن ولائه فنجحت في ذلك والحمد لله وكانت حالة مصر فريدة على نوع ما من هذا القبيل فاستتب الامن والسكون والسلام فيها بينما نيران الحرب الطاحنة تضطرم

وتزيد استعماراً وطمياً في اكثر انحاء العالم . ان سنة ١٩١٤ كانت سنة خسارة عظيمة عليكم ولكن ان شاء الله لن تعود تلك الخسارة وتكون السنة الحالية بداية الخير والبركات المتوالية على هذا القطر واهله

أيها المصريون ليس عليكم الا ان تخلدوا الى السكينة وتخلصوا لانفسكم وبلادكم وسلطانكم لتنالوا السعادة وترتعوا في بحبوحة الهناء والرخاء . هذا واني في الختام اشكرك يا سمو الامير واشكر الذين عاونوك في تنظيم هذه الحفلة والذين حضروها من اعيان البلاد وصفوة رجالها باسمي وباسم اللادي مكسويل . اننا نبرح هذه البلاد ونحن حاملون منها اجمل ذكرى»

وبعد ذلك فتح المقصف فتناول الحلوى والشاي والمرطبات من اراد وخرج جناب الجنرال مع سمو الامير احمد فؤاد والوزراء والكبراء مارين بين صفوف المودعين صفاً صفاً ثم قدم صاحب السمو الامير احمد فؤاد لجناب الجنرال الشاعر المطبوع الشهير ولي الدين يكن بك من موظفي قلم السكرتيرية بديوان كبير الامناء وامره سموه بتلاوة ابيات نظمها في هذا الاحتفال فتلاها بالنيابة عنه حضرة الكاتب الفاضل انطون افندي الجميّل بين صفي الحاضرين واعجابهم ثم تصفيقهم وهي

دعا فاجبته وطن حبيب وقفت مودعاً وطناً حبيبا
سيضحي المنزل الاول بعيداً ويمسي المنزل الثاني قريبا
تناقلك المعالي في ذراها صعوداً لا تخاف له صبوبا
لئن جاوزت في البعد المنافي فلست مجاوزاً فيه القلوبا
سنذكر منك اخلاقاً حساناً تزيد على النوى حسناً وطيباً
ونتبعك الثناء بكل ارض بقوم اذا نزلت بها خطيبا
فيملأ صدقه اذناً سميعاً ويطرب صدقه قلباً طروبا
ويجري في نشيدهم مديحاً ويقطر في نفوسهم نسيبا
تودعك الاهلّة مشرقات تحيي في مطالعها الصليبا
لقد امنتها بالسلم حتى تكاد اليوم لا تدري الحروبا
فمش يا مكسويل لود مصر ونرجو بعد ذلك ان تؤوبا

ثم ودع الحاضرين وسار معه سمو الامير رئيس الاحتفال وحضرات اعضاء اللجنة الى سلم الفندق فوقف الخطيب الشيخ محمد المهدي وقال كلمة تلائم المقام ثم ودع جنابه المكان بين الهتاف وعزف الموسيقى السلطانية

وعلى أثر عزم الجنرال جون مكسويل على مغادرة القطر المصري نشر كلمة وداع للقوات البريطانية المرابطة في القطر المصري خلاصتها ان هذه القوات قد الحقت رسمياً بحملة البحر الابيض المتوسط وان قيادتها قد تولاها عنه الجنرال السر ارشيبالد مري وانه بمناسبة ذلك يطريها لبسالتها ونجاحها في صد غارات المغيرين على القطر من الحدود الشرقية والغربية نجاحاً تاماً ويطري افرادها جميعاً من ضباط وصف ضباط وجنود لاخلاصهم وامانتهم وقيامهم بالواجبات المفروضة عليهم حق القيام ويرجو ان يكونوا كذلك في عهد خلفه فيسهلوا مهمة الساعين في تقصير عهد الحرب والقتال



ولي عهد انكلترا



ضيف مصر الآن

قدم الى القطر المصري في خلال الشهر الماضي صاحب السمو الملكي البرنس اوف ويلس فقضى بضعة ايام في القاهرة ثم ذهب الى الاسماعيلية ملحقاً باركان حرب الجنرال السر ارشيبلد مري . ويعلم الجميع ان سموه كان قد عين ياوراً للمارشال فرنش عند اول الحرب وشهد القتال في خطوط النار وابدى بسالة كبيرة

عجائب المخلوقات

كيف تتقي الحيوانات اعداءها

لا يسع المتأمل في طبائع الحيوانات وفي ما تجهزها به الطبيعة من العدد والاسلحة لدفع شر اعدائها الا ان يأخذه العجب من تنوع تلك الوسائل وما فيها من الحكمة وحسن التدبير ولا بد ان يخطر بباله ذلك السؤال الذي طالما ردده المفكرون قبله في مثل موقفه ألا وهو : هل يعقل ان تكون تلك العجائب من ثمار الطبيعة العمياء أم هناك قوة مدبرة نظمت الكون وسنت القوانين لجميع المخلوقات حتى تسير بموجبها ؟



الارماديللو في حالته الطبيعية وعند تقلصه

ليس هنا مكان الافاضة في هذا البحث ولكن لا بد لنا من الاشارة الى ان التدابير الغريبة التي يشاهدها الانسان في الطبيعة لا تخطر لاكبر المفكرين وان الاسلحة التي تجهز بها اصغر المخلوقات يتعذر على اكبر العلماء الاتيان بمثلها . وقد رأينا ان نورد في هذا الباب بعض الامثلة على الخطط والوسائل التي تستخدمها الطبيعة لحفظ الانواع من الهلاك

فمن تلك الوسائل جهازات صلبة تغلف جسم بعض الحيوانات البحرية لا سيما القشرية منها crustacés فتجعلها في مأمن من الهجمات الفجائية . غير انه وان صح ذلك في معظم الاحيان فان هذه الاغلفة لا تقي دائماً أصحابها من الاعداء الاقوياء . فان غلاف

السرطان البحري (ابو جلنبو) لا يدفع عنه شر سبكة البحر والربيل (او الهبرة) وغيرها من الاعداء الشديدين

ان الاغلفة الكلسية التي ترتدي بها معظم الحشرات وذبل السلحفا والصدف الذي يحمي بعض الحيوانات البحرية الرخوة وسفط السمك وحراشف الزحافات — كلها تقوم بوظيفة واحدة ألا وهي حماية الحيوان وحفظه من الهلاك . حتى الحيوانات الثدوية — وهي كما لا يخفى ذات بشرة رقيقة ينبت فيها الشعر احياناً — نجد بينها انواعاً قد شذت عن القاعدة العامة ، كالتاتو مثلاً Tatou فانه يحمل على ظهره صفوفاً من الحراشف الصلبة المتراكبة بعضها على بعض . فحالما يقع هذا الحيوان في خطر يتقلص فيصبح محاطاً بشبه قلعة مصفحة امتن تصفيح . ولولا هذا الحصن الطبيعي لذهب ذلك الحيوان غنيمة باردة ولا سيما انه ضعيف وليس له سلاح آخر يدافع به عن نفسه وهو يعيش على الاعشاب وبعض الحشرات الضئيلة

ولعل الحيوان المسمى ابار ماتاكو (انظر الى الصورة السابقة) وهو كثير الشبه بالتاتو المتقدم اكثر غرابة منه فان تكوين جسمه يأذن له متى كان في خطر من اخفاء رأسه وسائر اعضائه البارزة داخل جلده المصفح بحيث يصبح كالكرة التي يمكن دحرها بسهولة . ومن هذا النوع ايضاً القنفذ الهندي المسمى بنغولين فان على ظهره صفائح تشبه ألواح القرميد على سقوف المنازل

ويستدل من صغر رأس هذا الحيوان على ضعف دماغه ولولا صلابة جلده لانقرض عن وجه الارض لانه يتقي به طوارىء الطبيعة وهجمات الكواسر . ولكل حرشفة حافة حادة كالنصال تكون في طفولة القنفذ شعرات متحاذية ناعمة الملمس جميلة اللون ينسكب عليها من جلده عصارة لزجة فتلتحم وتتكاثف وتتصلب بتوالي الايام حتى تصير كالنصال المثلثة تتصل من قاعدتها بالجلد ويبقى سائرها مطلقاً . وهي تتدرج باوضاعها حتى تصير مثل حراشف الادراع الفولاذية تكسو الحيوان كله الا بعض رأسه وجزءاً من بطنه

يخرج البنغولين في طلب فريسته ليلاً فيمشي مشية متلصص وعليه ادراعه . فاذا اتى وكر نمل استل لساناً طويلاً تكسوه مادة لزجة فيرسله في الوكر فيذعر النمل ويطلب الفرار فتعلق مئات منه على حافتي اللسان كما يعلق العصافير على عيدان الدبق . ثم يجتذب لسانه ويزدرد ما اصطاده بلا مضغ ولذلك لم يكن له اسنان . وانما يساعده على طحن الطعام حصى صغيرة يخزنها في معدته كما تفعل الطيور

وللبنغولين اربع قوائم المقدمتان منها قصيرتان واظفارهما طويلة كالمناجل يستخدمها

للنقب او الحفر وتعوقه عن المشي وقلما يمشي . فيقضي نهاره مختفياً وانما يخرج ليلاً للبحث عن طعامه فيمشي الى وكر النمل متكاسلا متباطئاً كانه يعمل بقول صاحب الامثال « اذهب الى النملة ايها الكسلان » لكنه لم يتعلم طرقها

واذا اعترضه في مسيره حيوان مفترس او اراد الانسان اذيته فلا هو سريع الحركة ليفرّ من الاذى ولا قوي الساعد للدفاع عن نفسه ولكنه صلب الجلد فيدخل رأسه بين يديه ويطوي ذيله على بطنه فيصير كرة قد برزت حراشفها كالنصال الحادة لا يخترقها ناب ولا يمزقها مخلب

وهناك حيوانات ثدوية كثيرة تحمل بدلا من الدروع او الحراشف اشواكا تختلف حجماً منها الضرابين والقنافد (ويسمى القنفد ايضاً ابو الشوك)



في اسفل الصورة فراشة اسمها كليما باسطة اجنحتها بجانب ورق شجرة وفي اعلاها فراشة من النوع نفسه واقفة على الغصن وقد ضمت اجنحتها بحيث يتعذر تمييزها عن الورق

وبدلا من أن يكون الجلد مسلحاً بالاشواك او الحراشف فقد يكون له ميزات أخرى ترمي الى الغرض نفسه فان ثعبان البحر جلداً يفرز مادة زيتية يتعذر معها امساكه باليد وقد أصبح يضرب به المثل في التخلص بسهولة . وفي كثير من الاحيان ولا سيما في الاسماك والحيوانات البحرية يكون لون البشرة شديد الشبه بما يحيط بها من الارض والنباتات بحيث يتعذر تمييزها بسهولة . وهذه الخاصة تسمى في عرف علماء الحيوان homochromie اي « استواء اللون » ولا يخفى ان الدول المتحاربة تقلد الحيوانات في هذا المعنى فتلبس جنودها اقمشة من لون الارض وتدهن سفنها بلون الافق ونحو ذلك

وهذا الامتزاج بالبيئة يظهر ظهوراً تاماً في انواع الفراش وفيها يبلغ ارقى درجاته فان انواعاً كثيرة منه تشبه ورق الشجر الذي تقف عليه شبهاً تاماً في تخطيطها وتعريقها بحيث لا تميز عنها على الاطلاق . انظر الى الشكل السابق ترى عند اسفله صورة فراشة اسمها كليما (callima) باسطة اجنحتها بجانب غصن شجرة وفي اعلاها فراشة من النوع نفسه واقفة على الغصن وقد ضمت اجنحتها . فانه يتعذر التمييز بين هذه الفراشة وورق الشجرة . ولا تقتصر هذه الميزة على تقليد اوراق النبات واغصانه فان بعض الحيوانات الضعيفة تقلد حيوانات اقوى منها فتدفع عنها بهذه الطريقة خطر الاعداء . ففي البرازيل مثلاً فراشة تسمى كليكو (Calico) تظهر للناظر من مسافة بشكل بومة واذا فحصها عن قريب يجد على جناحيها الاسفلين دائرتين تشبهان عيني البومة مع تخاطيط تشبه ملامح البومة الاخرى

وروى العالم الانكليزي بيتس في اثناء سياحة قام بها في مجاهل البرازيل انه شهد يوماً دودة كبيرة شديدة الشبه ببعض انواع الحيات السامة تخاف منها لاول وهلة ولكنه ما لبث ان اقترب منها وتأكد انها دودة ليس الا

ولبعض الحيوانات طرق أخرى لا تقل غرابة عن الطرق المتقدمة للدفاع عن نفسها فنها انواع اذا اشتبكت في قتال مع عدو لها من جنسها او من جنس آخر ورأت ان حالها حرجة تنزع نفسها من مخالبه تاركة عضواً او غير عضو من اعضائها بين يديه وتلوذ بالفرار . ولا تلبث مدة قصيرة حتى تنمو تلك الاعضاء . ولا شك ان فقد عضو افضل من فقد الحياة . واشهر الانواع التي تستخدم هذه الخاصة السرطان البحري (ابو جلنبو) والعناكب وحشرات كثيرة

وعلى الاجمال فان الحيوانات مهما تكن ضعيفة لا تسلم نفسها بسهولة . وبعض الانواع تمثل الموت تمثيلاً تاماً ، وبعضها تدخل في جسمها اعضاءها المعرضة كالسحلفاة مثلاً ولكن اغلب الانواع لما يحدق بها الخطر تلوذ بالفرار وتستغنم اول فرصة للاختباء في حفرة او شق او غير ذلك . وهناك انواع قليلة لا تسلم نفسها الا بعد قتال عنيف تفضل معه الموت على فقد شرفها

المرء كالنار تبدو عند مسقطها صغيرة ثم تخبو حين تحتدم
والناس بالناس من حضر وبادية بعض لبعض وان لم يشعروا قدم
وكل عضو لامر ما يمارسه لا مشي للكف بل تمشي به القدم

(المعري)

تطورات اوربا

في قرن وربع (١٧٨٩ - ١٩١٤)

لا بد للمتبصر في منشأ هذه الحرب من الرجوع الى مصادرها التاريخية منذ تكون اوربا الحديثة أي منذ نشوب الثورة الفرنسوية (سنة ١٧٨٩) والاطلاع على التطورات المتتابعة (وما أكثرها !) التي دخلت فيها من ذلك العهد الى الآن . فكيف كانت أوربا سنة ١٧٨٩ ؟ يكفي ان نلقي نظرة الى الخريطة الموضوعة صدر هذه المقالة حتى نحقق اصابة نابليون في قوله الصديق له على اثر انتصاراته في ايتاليا « اوربا اشبه شيء بخلية (بيت النحل) كثيرة العيون ولا نجد الممالك العظيمة الا في آسيا » فقد كانت في الحقيقة مقسومة الى ممالك شتى غير محكمة الارتباط وآثار النظام الاقطاعي (féodalité) لا تزال ظاهرة فيها

فالمملكة البريطانية كانت حديثة عهد الاتحاد بين اقسامها اذ لم يكن قد مضى الا قرن على انضمام اسكتلندا الى انكلترا . أما ارلندا فانها أخضعت بالقوة ولم يسهل التئامها بالامة الانكليزية . وكانت هولاندا التي اضطرتها الجنود الروسية الى التنزل عن مطامعها في البلاد البلجيكية مقسومة الى ثماني مقاطعات لم تندمج تمام الاندماج في الروح الوطنية . ومثلها سويسرا التي لم تستطع اخضاع اقسامها الادارية تمام الخضوع للسلطة المركزية فضلا عن تباين اهاليها في الجنس والمشرب . اما الدنمارك فقد كانت نروج كلها تابعة لها ، الا انها كانت دوماً مهددة بانفصالها عنها . وكانت اسوج وقتئذ في دور الاضمحلال على اثر انكسارات شارل الثاني عشر فتقلصت املاكها بعد ان كانت تمتد حول شواطئ بحر البلطيق حتى سمي ذلك البحر « البحيرة الاسوجية »

ونرى بولونيا وقتئذ في دور الشيخوخة ولا سيما بعد ما أصابها من انتزاع جيرانها لبعض مقاطعاتها سنة ١٧٧٢ . واذا رجعنا الى طرف اوربا من الجهة الاخرى وجدنا اسبانيا ضحية التعصب والاستبداد توشك ان تسقط رغم مستعمراتها الاميركية الواسعة وقد كانت تلك المستعمرات تتحين الفرص للاستقلال . ولم تستطع اسبانيا تحقيق حلم ملوكها الذين سعوا لضم البورتغال اليها وانما يرجع الفضل في ذلك الى حماية انكلترا للبورتغال منذ قديم الزمن

وكانت اوربا الوسطى اذ ذاك تحت سيطرة النمسا التي جمعت حولها الممالك الالمانية المختلفة وامتدت سلطتها من اقرس الى بلغراد ومن جبال بوهيميا الى جبال الالب .

الا ان كثيراً من اجزائها كانت تطمح الى الاستقلال وفي مقدمتها البلجيك . وبلغت مملكة بروسيا اذ ذاك اوج مجدها (وكانت ولاية صغيرة من قبل) تحت حكم فريدريك الثاني (المسمى بالكبير) . وقد ساعدت فرنسا فريدريك الثاني في بادئ الامر وطربت لاتساع مملكته وتقدم بلاده اضعافاً لعدوتها النمسا ولكنها بعد ما رأت من مطامعه الاشعبية رجعت عن ذلك وسعت في الاتفاق مع النمسا عليه . الا انه تمكن باعجوبة سياسية ودهاء غريب من عقد اتفاق مع روسيا وقاه شر تينك العدوين

أما فرنسا فكان سوس الانشقاق والفساد ينخر في عظامها ولم تكن بعد قد حققت امنية الاتحاد التام بين اطرافها حتى سماها نابليون « مجموع عشرين مملكة لا مملكة واحدة » . واما جارتها ايتاليا فقد كانت مؤلفة من جمهوريات وامارات فضلاً عن خضوع بعض اجزائها لممالك اجنبية

ولم يكن في اوربا كلها ازاء هذه الدول المقسمة سوى دولتين كبيرتين في القسم الشرقي منها وهما : روسيا التي نالت عظمتها وقوتها بفضل عبقرية بطرس الاكبر وكترينا الثانية . ثم تركيا التي كانت تمتد املاكها من شواطئ الادرياتيكي الى حدود الفرس فوادي النيل . وما برحت هاتان الدولتان تتنازعان السلطة ولا سيما بعد أن عدت نفسها روسيا حامية الشعوب المسيحية الخاضعة لتركيا . فمنذ ذلك الحين اخذت المسألة الشرقية التي وجدت منذ دخل الاتراك اوربا تتفاقم وتزداد اشكالا

الا انه قبيل الثورة الفرنسوية كانت بعض ممالك اوربا الغربية قد همت في جمع شملها وتأسيس عظمتها ، تلك الممالك هي انكلترا وبروسيا والنمسا اما انكلترا فانها على رغم فقدها مستعمرتها الاميركية (التي اصبحت في ما بعد الولايات المتحدة) انشرت رايتها على كندا والهند وغيرها من المستعمرات وخطت خطوات سريعة في سبيل الرقي الصناعي حتى تقدمت سائر الدول الاوربية في هذا المضمار . واما بروسيا فانها قويت باتحاد ملكها فريدريك الثاني مع الوزير بت الانكليزي الشهير واتسعت على حساب جيرانها ولا سيما بولونيا . وكأنها بذلك مهدت السبيل الى الاتحاد الالماني الآتي . واقتدت النمسا (وامبراطورها اذ ذاك يوسف الثاني) ببروسيا فوضعت يدها على جزء من بولونيا ونشرت نفوذها في البلقان وايتاليا

فنرى ان هذه الدول الثلاث كانت على وشك تغيير خريطة أوربا وقد كان سرورها عظيماً لما رأت عجز فرنسا عن العمل واشتمت رائحة الثورة المقبلة — ولما نشبت الحرب بين روسيا وتركيا سنة ١٧٨٨ اضطربت اوربا من جرائها الى سنة ١٧٩٣ . فان النمسا

اتحدت بدولة روسيا . اما انكلترا فانها حرضت بروسيا واسوج وبولونيا على روسيا حتى تمنعها من وضع يدها على الاستانة وطريق الهند

في هذه الاثناء شبت الثورة الفرنسوية التي قلبت وجه الارض . ثم جاء نابليون بفتوحاته واعماله العظيمة . غير انه رغم جميع تلك الانتصارات الفرنسوية رجعت اوربا في سنة ١٨١٥ بمقتضى قرارات مؤتمر فينا الى نحو ما كانت عليه قبيل الثورة — اللهم ما عدا تغيراً طفيفاً لا يستحق الذكر . ولكن تأثير الثورة الفرنسوية كان اعمق واشد من ان تمحوه قرارات المؤتمرات واحقاد السياسيين (وفي مقدمتهم مترنيخ) لانه اصاب النفوس واحيا الشعور القومي . فمن ذلك الحين بدأت الشعوب تشعر بالحياة القومية والروح الوطني . اما دول « التحالف المقدس » التي جمعت مؤتمر فينا انتقاماً من فرنسا فهي : روسيا وامبراطورها اذ ذاك اسكندر الاول ، بروسيا وملكها فريدريك غليوم الثالث ، النمسا وامبراطورها فرنسوا الاول ، وانضمت اليها انكلترا وملكها جورج الثالث . وقد استفادت تلك الدول من هذا المؤتمر واتسعت كل منها على حساب الممالك الضعيفة المجاورة لها . فالنمسا اضافت اليها دلماسيا والبندقية وجزءاً من شمالي ايطاليا . وروسيا اكتسبت مقاطعتي فنلندا (الاسوجية) وبسارابيا (التركية) واهم جزء من بولونيا مع عاصمتها وارسو . واصاب بروسيا جزء كبير من مقاطعة السكس وجزء من مقاطعة بومرانيا . اما انكلترا فانها انتزعت مستعمرة الرأس وجزيرة سيلان من هولندا وبعض الجزر التي كانت تخص اسبانيا وفرنسا وما برحت من ذلك الحين سيدة البحار تمخر سفنها المياه شمالاً وجنوباً

ولولا دهاء ممثل فرنسا الكونت دي تليران في مؤتمر فينا لما وقفت تلك الدول عند هذا الحد من مطامعها . ولكن ذلك الوزير الداهية عرف كيف يستفيد من تناقض مصالحها ومطامعها حتى جعل كلا منها تنظر الى الاخرى بعين الريب والحذر . وليس ادل على بعد نظره في السياسة الدولية من قوله (وهذا القول لا يزال صحيحاً الى اليوم) « في ايطاليا وفي الشرق يجب ان تمنع النمسا من ان تسود ، وفي المانيا يجب ان تمنع بروسيا من السيطرة فان مركزها الجغرافي يجعل الحرب لها شبه ضرورة فتتذرع بأتفه الاسباب لشهرها »

ظل تليران على سياسته هذه بعد مؤتمر فينا فجمع حول فرنسا الممالك الصغيرة الثانوية التي كانت دول التحالف المقدس تهدد حياتها وتمكن من القاء بذور الشقاق بينها لتنافر مصالحها ولا سيما في الشرق . فان المسألة الشرقية سنة ١٨١٥ جمعت بين انكلترا

وانما ضد روسيا وبروسيا

والغريب ان بعد ذلك باربعين سنة كانت المسألة الشرقية ايضاً مدار الخلاف بين الدول الاوربية وشبت بسببها حرب القرم الشهيرة التي اجتمع فيها معظم الدول الاوربية لمساعدة تركيا ضد روسيا بعد ان خيم السلام على اوربا طول تلك الاثناء بلا اضطراب يذكر . وقد كانت هذه الحرب من حسن حظ فرنسا فانها فرجت عنها الخناق السياسي الذي كان يطوقها . فتحسن مركزها الدولي من ذلك الحين واكبر دليل على ذلك المقابلة بين موقفها في مؤتمر برلين سنة ١٨١٥ وموقفها في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ . فبينا



مؤتمر باريس (سنة ١٨٥٦)

في الصف الاول من اليمين الى اليسار : البرنس اورلوف (معتمد روسيا) . والسكي (فرنسا) . لورد كلارندن (انكلترا) . علي باشا (تركيا) . في الصف الثاني على اليسار كافور (ايطاليا)

كانت في المؤتمر الاول تحت رحمة الدول الاخرى التي تكرمت عليها بدعوتها اليه وكان في امكانها ان لا تدعوها نرى الامبراطور نابوليون الثالث صاحب الدعوة الى المؤتمر الثاني ورئيس اعماله

ولكن فرنسا في ذلك المؤتمر خدمت الجميع ولم تنل شيئاً لنفسها الا الجزاء الادبي فلا غرابة اذا اظهرت لها الدول وقتئذ انعطافها وميلها . الا ان نابوليون الثالث اخذ بعد ذلك يسعى سعياً حثيثاً في توسيع نفوذ دولته مادياً وادبياً فناصر الدول الكبيرة التي طلبت الاتساع على حساب الدول الصغيرة . ونسي ان فرنسا انما تمكنت من مقاومة « التحالف المقدس » بفضل الدول الصغيرة التي التفت حولها . نعم ان تكون الوحدة

الايتالية التي كان لفرنسا الحظ الاوفر في ايجادها قللت من نفوذ النمسا عدوتها القديمة وجعلت حدودها الجنوبية الشرقية في مأمن من سطوة الاعداء . ولكنها ارتكبت عدة غلطات ولا سيما انها اذنت لبروسيا والنمسا ان تنتزعا مقاطعتي شلسويج وهلشتين من الدانمرك ثم اذنت لبروسيا ان تنتصر على النمسا وتسيطر على المانيا الشمالية

زد على ذلك ان نابوليون الثالث اصدر منشوراً شهيراً في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٦٦ اعلن فيه عزمه على ضم البلجيك الى فرنسا واظهر سروره لان سياسته « ناصرت تكوّن الدول الكبيرة بدلا من انقسام اوربا الى اقسام متعددة » على عكس ما رمى اليه لويس الثامن عشر ووزيره تليران في مؤتمر فينا . ولكن هذه السياسة آذت فرنسا لانها ابعدت عنها اصدقاءها وادخلت الريب والشك عند الدول الكبرى في نياتها فلا غرابة بعد ذلك اذا لم تر دولة من الدول تمد اليها يد المساعدة في سنة ١٨٧٠ بل انها تركت في معزل من سائر الدول تتخبط للتخلص من الورطة التي رمت فيها نفسها

من ذلك الحين بدأت عظمة المانيا بفضل سياسة بسمارك واصبح لها مركز فريد بين الممالك الاوروبية حتى انه في سنة ١٨٧٨ لما شعرت الممالك الاوربية بضرورة مؤتمر يقف روسيا عن مطامعها (رغم انتصاراتها على تركيا لا سيما في سان استفانو) خشية سيطرتها على اوربا لم يجتمع ذلك المؤتمر في فينا او في باريس كالمؤتمرين السابقين وانما اجتمع في برلين — زد على ذلك انه كان لبسمارك فيه القول الفصل حتى كان لسان حاله كان يقول « المؤتمر هو انا » كما قال لويس الرابع عشر (الكبير) مرة « انما الدولة انا » . والحقيقة ان بسمارك لم يجمع هذا المؤتمر الذي ضم اكبر سياسيي اوربا في ذلك الحين لمجرد اظهار قوته ، ولا سيما انه كان مريضاً اذ ذاك ، وانما كان غرضه تثبيت البناء السياسي العظيم الذي اشتغل طول حياته في تشييده . وكان يرى بعين الحكمة ان معظم الممالك الكبرى اصبحت ذات مصالح كبيرة خارج اوربا بفضل مستعمراتها العظيمة لا سيما انكلترا وفرنسا وروسيا فسعى اولاً لان يقف مطامعها وعلى الاخص روسيا من جهة تركيا . ثم انه عقد اتفاقاً مع النمسا ربط عرش عائلة هوهنزلرن بعرش هابسبرج من ذلك الحين الى هذا اليوم

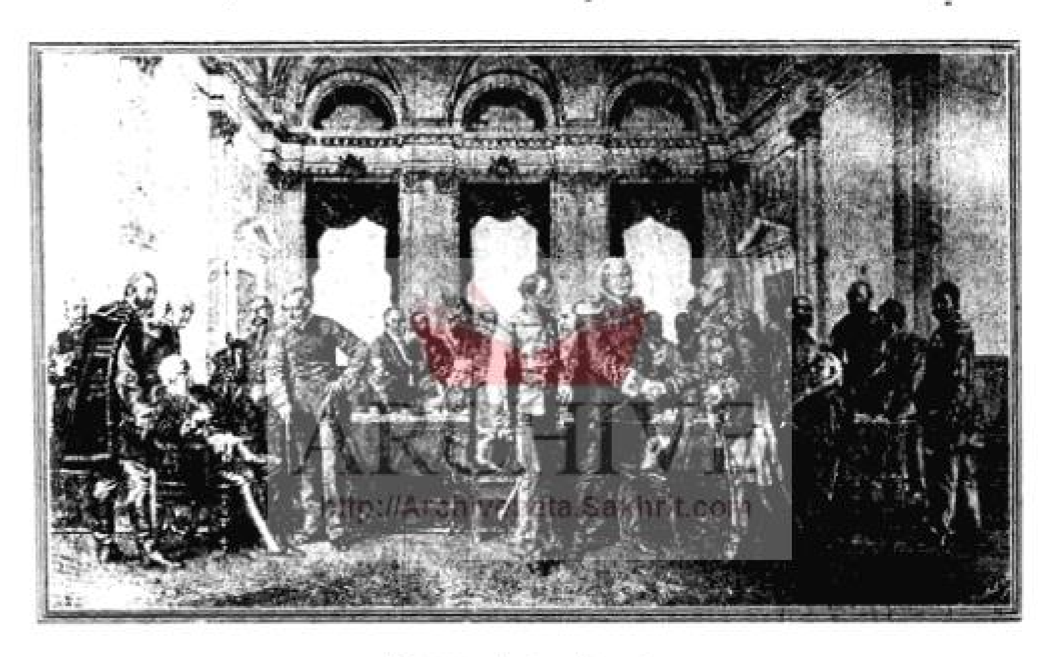
ثم ان ذلك المؤتمر الذي نظر على الخصوص في امر الشعوب البلقانية لم يأذن لشعب منها في دخول بابه بل انه اقر قراراته المتعلقة بحياة تلك الشعوب ومستقبلها بدون استشارتها او اخذ رأيها . فلا غرابة اذا لم ترتض تلك الشعوب من قراراته شيئاً

وقد كانت ايتاليا في بادئ امرها تخشى امتداد النفوذ النمسوي على شواطئ البحر

الادرياتيكي وفي شبه جزيرة البلقان بفضل اتحادها بألمانيا ولكنها ما عتمت ان انضمت الى هاتين الدولتين سنة ١٨٨٢ بمساعي بسمارك ومن ثم نشأ التحالف الثلاثي الذي خرجت منه ايتاليا بعد نشوب هذه الحرب

ثم ان بسمارك تمكن في سنة ١٨٨٤ من عقد اتفاق سري مع روسيا . ومن جهة انكلترا كانت العلاقات على غاية ما يرام حتى انه شاع وقتئذ ان حكومة انكلترا على وشك الانضمام الى التحالف الثلاثي

ولكن تلك الانتصارات السياسية التي اتاها الرجل الحديدي لم تكن لتدوم طويلاً . ففي سنة ١٨٩١ عقد الاتفاق الروسي الفرنسوي وتلاه الاتفاق الانكليزي الفرنسوي



مؤتمر برلين (سنة ١٨٧٨)

في الصف الاول من اليسار الى اليمين : البرنس كارولي (سفير النمسا في برلين) . غورتشاكوف (روسيا) . لورد بيكونسفيلد (انكلترا) . كونت اندراسي (النمسا) . بسمارك (المانيا) . شوفالوف (معتمد روسيا الثاني)

المسمى بالاتفاق الودي مما دلّ المانيا على ان تلك الدول لا تستطيع الاذعان لسيطرة المانيا التي اصبحت صاحبة القول الفصل في شؤون السياسة الدولية

زد على ذلك ان الدول الصغيرة كبلغاريا واليونان والسرب وغيرها أخذت تنمو فيها الروح الوطنية وتنزع الى الاستقلال التام مطالبة بحقوق الشعوب الضعيفة في البقاء

ولما أعلن الاحرار الدستور سنة ١٩٠٨ تزعزع ركن النفوذ الالماني في تركيا

قليلا . ولكن النمسا اغتنمت الفرصة وأعلنت ضم البوسنه والهرسك بفضل مهارة وزير خارجيتها المسيو دارنتال الذي سمي « بسمارك النمسا » فانه احتاط لهذا العمل واتفق وبلغاريا فوعدها بالاستقلال النهائي ومن جهة روسيا املها بنيل قسط من أمانيها في تركيا . وقد نجحت النمسا ايضاً في تكوين امارة البانيا التي جعلتها بمثابة حائل بين السرب والبحر . وقد كان لها أمل كبير في الاستفادة من الحروب البلقانية ولكنها ما عتمت ان رأت — مع الاسف — السرب متحدين باليونان ضد بلغاريا حتى تداخلت رومانيا في الامر وعقدت الصلح بينهم في مؤتمر بخارست . ولهذا المؤتمر مغزى سياسي كبير فانه اذن للدول البلقانية ان تنظر في شؤونها وتسوي خلافاتها من غير التجاء الى الدول العظمى

اقوال في المدنية

ترى ارقى الشعوب تمدناً قريبة الى الهمجية كقرب اصقل انواع الفولاذ الى الصدأ . فالامم كالمعادن لا يدوم صقلها ولمعانها (ريفارول)

ليس قياس المدنية الحقيقي بالاحصاء او بحجم المدن او قيمة الحاصلات والتجارة بل بنوع الرجال الذين تخرجهم الى العالم (امرسن)

اقصى ما تتحول اليه الحضارة الهمجية (هيز)

ان الزوة والراحة والغزارة التي تنشأ عن ارقى حالات المدنية تنمي في الانسان حب الذات كما ينميه الفقر والجدب والضيق في احط حالاتها (كولتن)

لا تتأتى المدنية للانسان الا بالنزاع المتواصل الذي يضحي بالملايين حتى يتمكن الالوف من استخدام اجسامهم سلماً يصعدون عليه درجات الارتقاء (بلفور)

الامم كالافراد تحيا وتموت . ولكن المدنية الحقيقية لا تخشى الموت (مازيني)

المدنية الصينية – ٢

الشرائع والنظامات والدين والخرافات
والفلسفة والادب والتربية والمعيشة البيتية والاجتماعية الخ.

ذكرنا في الجزء السابق من الهلال شيئاً من ظواهر المدنية الصينية والآن نتمم ما بدأنا به . ولا بد لنا في هذا المقام من الاشارة الى اننا قد اعتمدنا في هذا البحث على أدق المصادر وأصحها ولا سيما ما كتبه الاستاذ هربرت جيلس H. A. Giles (من جامعة كمبردج) ، اذ لا يخفى أن هناك فئة من الكتاب السطحيين جل همهم نشر الاخبار الغريبة بلا تحرّ ولا تمحيص لمجرد خروجها عن المعتاد حتى انهم قد نسبوا الى الصينيين حوادث وعادات تكاد تخرج بهم من عداد البشر، وهم في الحقيقة انما يستفيدون من سذاجة بعض القراء وتشوقهم الى استطلاع كل جديد

النساء والاولاد

الصينيون يحبون أولادهم حباً جماً على رغم ان الاب عندهم يسمى « القاسي » وانه من التقاليد الكونفوشيوسية حض الاب على استعمال العصا متى اقتضتها الحال لئلا تفسد اخلاق الاولاد . أما الام فانها تسمى عندهم « الرقيقة » وهي في الواقع تستحق هذا الاسم لرقة شعورها وشدة اعتنائها باولادها . غير ان بعض الكتاب قد اتهموا الصينيين بوأد البنات من اطفالهم ولكنها تهمة باطلة كذبها التحقيق والبحث المتواصل. نعم ان الصينيين كمعظم الشعوب الشرقية يفضلون الذكور على الاناث وعلى الاخص لانهم يحافظون على اسم العائلة وتقاليدها ويقومون بالشعائر الدينية نحو الموتى من اسلافهم ولان الفتاة من جهة أخرى تستدعي مهراً ونفقات كثيرة مصيرها الخروج من ثروة العائلة [1] ولكن تفضيلهم هذا لم يذهب بهم الى قتل البنات مطلقاً

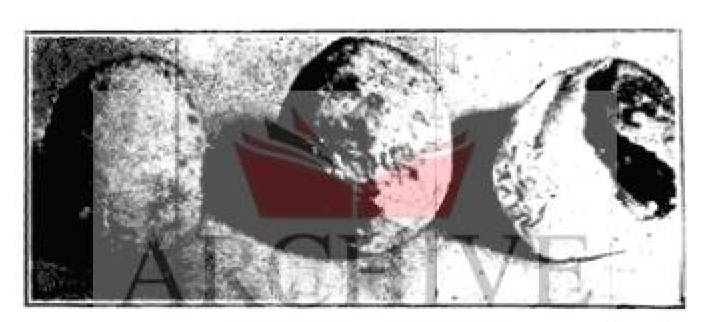
ومن عادات الصينيين ان رب العائلة يبيع احياناً ابنته منذ حداثة سنها الى رب عائلة ثانية على شرط ان تربى عنده حتى يتزوجها شاب من اولاده . وسن الزواج للذكور هي الثامنة عشرة في الغالب . وقلما تجد في الصين أولاداً غير شرعيين .

---

(١) من أمثالهم الدالة على تفضيلهم الذكور على الفتيات قولهم « ان أعظم نحس في العائلة نحس بنات » — ومن عاداتهم انهم كثيراً ما يلبسون الذكور ثياب البنات حتى يخدعوا الارواح الشريرة فلا تصيبهم بأذى

وكذلك الطلاق نادر عندهم فالمرأة لا يمكنها ان تطلق زوجها وغاية ما في وسعها ترك منزله والرجوع الى اهلها . وعلى كل حال فان الزوج اذا اساء معاملة زوجته تعرض لثأر اهلها واقاربها . وعلى فرض ان الشر تفاقم بين الفريقين حتى ادى الى انتحار المرأة (وليس يمنعهم مانع ديني او ادبي عن الانتحار) فانه يصبح لاهلها من جراء ذلك حق على زوجها الا انه قد يسكتهم اذا استرضاهم بمبلغ كبير من المال . اما الرجل فانه يجوز له ان يطلق امرأته في سبع احوال هي : العقم ، الزنا ، اهمال الزوجة والدي الزوج ، المعاكسة المستمرة ، سرقة المأكولات سراً لتوريدها الى اهلها ، الغيرة الشديدة ، البَرَص

وقد اشتهر القضاة الصينيون بتفننهم في استكشاف الحقيقة وحمل المتهمين على الاقرار بالجرائم التي اقترفوها . وقلما يلجأون الى عقاب البامبو (الخيزران) الذي يرمي الى هذا الغرض بل ان التجاءهم اليه يعد منهم اعترافاً بعجزهم عن استجلاء الحادث . ومن الامثلة



البيض المعتق وهو من افخر اصناف الطعام عند الصينيين

على اقتدارهم في هذا المضمار ما يروى عن قاض اشكل عليه تحقيق جريمة فلجأ الى الحيلة الآتية : كان المتهمون امامه زمرة من ذوي السوابق فامر بالباسهم جميعاً ثوب المجرمين وادخلهم الى غرفة مظلمة ثم قال لهم ان ملاك العدل سيدخل عليهم في تلك الغرفة ويضع علامة بالطباشير على ظهر الجاني الحقيقي . ولما خرج أولئك المتهمون من الغرفة وجدت علامة بيضاء على ظهر احدهم ففطن القاضي انه الجاني وسر ذلك ان حيطان الغرفة كانت مطلية حديثاً بالكلس فاسند ذلك الجاني ظهره الى حائط منها خشية ان يهتدي الملاك الى ظهره ففضح نفسه وهو لا يدري وقد نجحت حيلة القاضي

والمرأة الصينية مقام محفوظ في العائلة وكثيراً ما يكون لها سلطان عظيم على جميع افراد المنزل . ومن الامثال الصينية : « الرجل يعرف ولكن المرأة تعرف احسن منه » . والصينيون عامة لا يستحسنون زواج الارملة وان لم يكن ثمت مانع شرعي من ذلك

ولعل اشهر ما اشتهرت به المرأة الصينية عندنا صغر قدميها الناشئ عن ضغطهما منذ

نعومة الاظفار وترجع هذه العادة الى القرن العاشر للميلاد . ولا يظنن القارئ انها عادة منتشرة بين جميع الطبقات فهناك عدد لا يستقل من الصينيات لم يمارسن هذه العادة ولا سيما النساء المنشويات الاصل (والمنشو كما لا يخفى هم اصحاب العرش الصيني قبل انقلاب الصين اخيراً الى جمهورية) واهل الجبال والحقول . ولا اصل ايضاً لما قد علق باذهان الكثيرين من ان منشأ هذه العادة يرجع الى رغبة الرجال في منع النساء عن الخروج من بيوتهن . والحقيقة في الغالب هي ان تلك العادة ليست الا مظهراً من ظواهر التأنق والكمال في عرفهم لانه ليس اجمل في نظرهم من حركات الفتاة ذات القدمين الصغيرتين وهي تنقل خطاها على الارض

وقد اشتهر الصينيون ايضاً عندنا بشعرهم المستطيل المسترسل الى ظهورهم . وارسال الشعر في هذا النمط عادة حديثة العهد اتى بها المنشو عند فتحهم الصين حول منتصف القرن السابع عشر فتمكنت في البلاد وعمت جميع الطبقات . وقد اكره الفاتحون اهل الصين الصميمين على الاقتداء بهم طلباً لتوحيد مظهر الفريقين حتى لا يميز بعضهم من بعض . اما اصل هذه العادة عند المنشو نفسهم فان تقاليدهم تنسبها الى شغفهم بالخيل وقد قلدوها اعترافاً بفضلها عليهم واقراراً بحبهم لها

وغني عن البيان ان اهل الطبقات الراقية في الصين اليوم قد اخذوا في تقليد الاوربيين ومحاربة تلك التقاليد القديمة ولا سيما ضغط الارجل وارخاء الشعر

الادب والتربية

الصينيون شديدو التبجيل للعلم والادب وهم بعكس ذلك ازاء الحرب فانهم لا يميلون الى المظاهر العسكرية والسلطة الجبرية ولهم امثال كثيرة تدل على آرائهم في هذا الباب : اولها قول الفيلسوف منسيوس « انه لا يمكن ان تكون الحرب في حال من الاحوال صالحة او عادلة وغاية ما يقال فيها ان بعضها اقل شراً من بعض » ، وقولهم « سطر من قلم المدني يضطر الجندي الى الخضوع » . ولذا لا ترى بين الشبان اقبالاً على الحياة العسكرية من تلقاء انفسهم . بل تراهم في الغالب يؤثرون الانخراط في سلك الحكومة فيؤدون لهذا الغرض الامتحانات العمومية التي تؤهلهم ان يستخدموا في وظائفها . وهي غريبة في بابها يذهب اليها الممتحن (وقد يكون احياناً طاعناً في السن اذ لا حد لقبول الطالبين) مزوداً من المأكولات والمشروبات ما يكفيه بضعة ايام ثم يدخل غرفته ولا يزال بها حتى ينتهي الامتحان . وتلك الغرفة تظل مقفلة لا يؤذن لاحد في دخولها والخروج منها مهما يكن العذر وكثيراً ما كان يؤدي هذا الانهماك العقلي الى حوادث جنون

ان علوم الصينيين اليوم وطرق تعليمهم وراء العلوم والطرق الغربيـة بمراحل . ولكننا اذا رجعنا الى بضعة قرون رأينا ان المدنية الصينية كانت ارقى من المدنية الغربية . ولا شك ان الصين في القرن الخامس عشر كانت تفوق بحضارتها الدول الاوربية وقتئذٍ وليس ادل على ذلك مما رواه ماركو بولو السائح البندقي الشهير عن سياحته في الصين في القرن الثالث واقامته فيها ٢٤ سنة وشهادته بتفوق المدنية الصينية على مدنية البلاد الاوربية

ولقد يكفي ان نسرد بعض نتاج قرائحهم اقناعاً بذلك فمنها الطباعة (كما سيجيءُ) وآلات الزراعة ، والجسور الكبيرة ، والعربات ذات التكسيمتر (اي التي فيها آلة تدون المسافة التي اجتازتها العربة) وذكرها يرجع الى القرن الرابع للميلاد ، وتحقيق الشخصية ببصم الاصابع وهذه الطريقة ترجع الى القرن السابع ، والبوصلة ، والبارود ، والحرير ، والشاي ، وصناعة الخزف الصيني الخ . . . .



عشاش بعض الطيور وهي أيضاً من افخر المآكل الصينية

وقد جاء في القصص والتقاليد الصينية ذكر احدث الاختراعات والاستكشافات فمنها اعتقادهم انه كان لدى اسلافهم عربات تطير في الهواء وعندهم صور قديمة تصور ذلك الطيران ، وكذلك ايضاً السفن الحديدية العظيمة فقد ورد ذكرها منذ القرن العاشر ، ودوران الدم ، واستخدام المخدرات في الجراحة لتخفيف الالم

اما التصوير فقد ثبت اخيراً ان الصينيين قد بلغوا شأواً بعيداً لم يسبقهم فيه الا القليلون من الغربيين ولا شك ان التصوير كان قد بلغ في الصين درجة رفيعة حين لم يكن في اوربا الا حابياً يتدرج . والمصورون الصينيون متفقون في اهمال التفاصيل الدقيقة والاهتمام بنقل روح المنظر المطلوب تصويره

ينتج الصينيون في الفنون والآداب شيئاً كثيراً كل سنة ولعل الذي ساعدهم على ذلك

منذ زمن بعيد اختراع الطباعة الذي يرجع الى القرن السادس للميلاد والارجح انه نشأ عن الاختام التي ما برح الصينيون يعرفونها ويستعملونها منذ اقدم ازمنة التاريخ . في ذلك القرن اخذوا يطبعون على الورق صفائح محفورة على الخشب . وكانت الطباعة في بادئ الامر قاصرة على الكتب الدينية ثم تقدم هذا الفن وفي سنة ١٠٤٣ اخترعوا احرفاً من الطين المطبوخ يسهل نقلها وتركيبها بعضها بجانب بعض ثم صنعوا تلك الاحرف من الخشب فالنحاس فالرصاص . ولا يخفى ان « غازت باكين » هي اقدم الصحف المعروفة فانها تأسست في القرن الخامس عشر وكانت قاصرة على الاوامر والقرارات الرسمية

ولا نستطيع هنا ان نسرد امثلة في فروع الادب التي مارسها الصينيون وانما نكتفي بان نقول انهم كتبوا في معظم الفروع التي نعرفها كالتاريخ والفلسفة والشعر والروايات (وهي كثيرة عندهم)

الفلسفة

لا يبيح لنا ضيق المقام ان نبين تاريخ الفلسفة الصينية على ما هي فيه من التشعب والتبحر وانما نقتصر على ان نذكر امثلة منها نفهم بها مقدار ما بلغوه من الرقي في هذا الباب

ولنبدأ بالفلسفة الادبية : من المباحث التي لعبت دوراً خطيراً مسئلة طبيعة الانسان الاصلية وميلها الى الخير او الشر . فمن تعاليم كونفوشيوس ان الانسان يخلق صالحاً ثم يفسد بفعل البيئة التي يربى فيها ولكن ذلك الحكيم لم يتوسع في شرح هذا القول ولم يأت بالادلة التي تؤيده وتشد ازره . فقام الفيلسوف منسيوس الذي جاء بعده بمئة سنة وشرب من مشربه وروحه فاخذ يدافع عن صحة هذا المبدأ ويرد على انتقادات المنتقدين ولا سيما الفيلسوف كاو . فان هذا الفيلسوف الاخير ادعى ان الانسان لا يحصل على الصلاح الا بتهذيبه وصقله فهو كالطينة التي تتكيف وفق رغبة الانسان ومهارته . فاذا كانت بين ايدٍ تتقن العمل خرجت جميلة المنظر متقنة الصنع والا بقيت مشوهة . وبعبارة اخرى فانه يرى الانسان عند ولادته لا ميالاً الى الخير ولا الى الشر وانه يتكيف وفق الاحوال التي يوجد فيها . وشبه الانسان ايضاً بالمياه فقال انه لا علاقة بين طبيعة الانسان والخير او الشر كما انه لا علاقة بين جودة المياه واتجاهها من الشرق الى الغرب او من الغرب الى الشرق فان اتجاهها انما يقف على شكل الارض والجبال . فاجابه منسيوس على ذلك بقوله انه ان لم يكن ثمَّ فرق في اتجاه المياه بين الشرق

والغرب وانها تتجه الى احدى الجهتين على السواء فان هناك فرقاً عظيماً اذا نظرنا الى صعود المياه وسقوطها فانها ميالة بطبيعتها الى النزول ولا يمكن اصعادها الا بآلات خاصة فكما ان المياه اذا تركت ونفسها مالت الى النزول بطبيعتها كذلك الانسان بطبيعته ميال الى الخير

وجاء بعد كاو فيلسوف آخر اسمه شون دزا تخالف ايضاً تعاليم كونفوشيوس ومنسيوس وقال ان الانسان ليس ميالاً بطبعه الى الخير ولا هو عجينة تتكيف حسب الاحوال التي توجد فيها بل هو ميال الى الشر . ودعم دعواه بقوله ان الانسان منذ طفولته يطلب الراحة واللذة لنفسه وان غرائزه الاولية تدفعه الى حب الذات والحسد وتنازع بني جنسه لنيل مرغوبه . ولا بد لردعه ووقفه عند حده من تعليمه وتهذيبه وسن القوانين والشرائع . وكما ن الخشب لا يقوم الا اذا ضغطته والحديد لا يكون حاداً الا اذا شحذ كذلك الانسان لا تستخرج منه الفضائل كالعدل والمحبة وغيرها الا اذا علمته وهذبته

وخلف شون دزا فيلسوف آخر اسمه شي يونغ (كان معاصراً للمسيح) فكانت تعاليمه في متوسط الطريق بين تعاليم سلفه المتقدم وتعاليم كونفوشيوس فانه قال ان الانسان مزيج من الصالح والطالح وان الناس يختلفون بتفوق احد هذين النوعين على الآخر بفعل البيئة التي ينشأون فيها

وهناك مسئلة أخرى شغلت أيضاً فلاسفة الصين منذ زمن منسيوس فان فيلسوفاً اسمه ماوتي كان يبشر بالمحبة بين الناس معتقداً انها الدواء الوحيد لامراض المجتمع البشري فقام الفيلسوف ينغ شو يناظره ويناقشه ومن رأيه ان « كل انسان لنفسه » . قيل ان احدهم سأله يوماً هل يرضى أن ينزع شعرة واحدة من رأسه اذا كان يقف عليها منفعة العالم كله فاجاب انه لا يعقل أن يستفيد العالم من شعرة فالح عليه السائل فلم يجبه . فقال منسيوس تعليقاً على هذه القصة : « بينما الفيلسوف ينغ شو لا يضحي شعرة واحدة في سبيل العالم مهما وقف عليها من المنافع نرى الفيلسوف ماوتي مستعداً لتضحية نفسه كلها لفائدة بني جنسه . والذي أراه ان الحقيقة متوسطة بين الجهتين »

ومن المسائل الفلسفية التي شغلتهم ايضاً اصل العالم المنظور فلهم في تعليله مذاهب مختلفة اهمها مذهب مبني على كتاب منسوب الى كونفوشيوس خلاصته انه في الاحقاب المنصرمة لم يكن في الكون كائن ثم ظهر عنصر او سبب اول ثم انقسم الى قسمين : قسم ايجابي اليه يرجع النور والحرارة والذكورة ونحوها . وقسم سلبي واليه يرجع الظلام والبرد

والآنونة ونحوها . وبتفاعل هذين القسمين نشأت العناصر الخمسة المعروفة وهي : الارض والنار والماء والخشب والمعدن

اما من حيث العالم الاخر فان كونفوشيوس لم يبد رأياً ما فقد كانت تعاليمه قاصرة على هذا العالم وكان يعتقد ان التكهن عن المجهول لم يكن الا اضاعة للوقت . حكي عنه انه اوفد يوماً تلميذاً من تلاميذه لتعزية رجلين كانا قد فقدا عزيزاً عليهما فوجدهما التلميذ يغنيان ويرقصان بجانب جثة الميت عملاً بمذهب كان قد اخذ ينتشر في ذلك الحين بزعم ان الحياة حلم وأن الموت يقظة يصعد الانسان بعدها الى السماء حيث ينسى تحديد الزمان والمكان ويعيش في نعيم الابدية بلا كرب . فلما رجع الى معلمه واخبره بما رأى قال له كونفوشيوس :

« ان تلك الفئة تهتم بما وراء هذه الحياة اما انا فلا يهمني الا ما هو داخل فيها فلا عجب اذا اختلفت طرقنا وقد اخطأت في ارسالك اليهم . انهم ينظرون الى الحياة كأنها خراج مؤلم يريحهم منه الموت ولكنهم لا يعرفون اين كانوا قبل الحياة ولا اين يذهبون بعدها ولا يسلمون للكون ببداية ونهاية فلا غرابة اذا لم يعنوا بمتاع هذا العالم وقيوده »

يطول بنا الشرح لو اردنا تعداد الفلاسفة الصينيين ومذاهبهم ولكن قبل ان نختم هذا الفصل نورد جواب فيلسوف اسمه شونغ تزا عاش قبل المسيح بثلاثة أو اربعة قرون لما بين له تلاميذه وهو على فراش الموت رغبتهم في الاحتفال بدفنه احتفالاً يليق بمقامه فانه قال « اني اريد الارض فراشاً والسماء غطاء حتى اظل في اتصال دائم مع الشمس والقمر والكواكب وسائر الخلق » ولما اعترضه تلاميذه بقولهم « انا نخشى ان تنهش الطيور جسد استاذنا » اجاب « اذا عرضتم جسمي للهواء اكلته الطيور واذا دفنتموه تحت الارض اكلته الحشرات فلماذا تسلب فريقاً رزقه وتقدمه الى فريق »

اللهو واللعب

عند الصينيين العاب كثيرة جداً تشبه معظم الالعاب المعروفة في العالم المتمدن . فالصيد للتسلية معروف عندهم منذ اقدم الازمنة اذ كان الامراء يذهبون بحاشيتهم الى الصيد على انواعه وقد ذكرنا في الهلال الماضي في سياق كلامنا عن السمك في مقالة طعام العالم طريقة استخدام الصينيين نوعاً من الطيور لاجل الصيد

ومن أغرب العابهم نطاح يقوم به شخصان على كل منهما جلد ثور يقرونه ولا يزالان يتناطحان ويتلاكمان الى ان يصرع احدهما الاخر

والصينيون يعرفون الملاكمة (البوكس) منذ زمن بعيد جداً وكذلك كرة الرجل

(فوتبول) فقد كانوا في البدء يستعملون كرة محشوة شعراً ثم استخدموا كيساً ممتلئاً هواء ومكسواً بالجلد . ولعبة البولو ايضاً جاء ذكرها في كتب ترجع الى اوائل القرن الثامن للميلاد . ولعلهم اخذوها عن التتر لانهم برعون في ركوب الخيل (ولعبة البولو كما لا يخفى تلعب على الخيل)

ولكن المتأمل في احوال الصينيين اليوم يجد انهم اهملوا الالعاب الرياضية بعض الاهمال بعد ان برعوا فيها . ومن الالعاب التي لا يزالون بارعين فيها صنع الطيارات والتزحلق على الثلج في الجهات الشمالية

ولعل اعم رذائل الصينيين واكثرها انتشاراً القمار فانك لا تجد صغيراً او كبيراً لا يمارس نوعاً من انواعه وعندهم نوع من الورق للعب يختلف عن الورق المعروف عندنا . والشطرنج ايضاً معروف عندهم مع اختلاف قليل في طريقة لعبه

اما التمثيل فانه منتشر انتشاراً عظيماً بين جميع الطبقات وعندهم روايات تمثيلية عديدة في انواع مختلفة

الغريب الفقير

يرنو الى البلد الجديد كأنه بحر خضم
يلهو الرجاء به كما تلهو به ايدي الندم
متلفتا عن جانبيـ ـه يخفيه بأس اصم
متذكراً لغة بحسـ ـك شجوه منها النغم
يمشي الهوينا مطرقاً للارض يدفعه الالم
كم ليلة فاضت دمو ع الحزن منه كالديم
ويهيجه في ليله من وجده طيف ألم
لا ينس دار الحب اذ لديار تلك الذمم
ويرى الحقائق عابسا ت والمسرة كالحلم
ويخال من فرط الاسى أن الوجود هو العدم

محمد تيمور

رابندرانات طاغور

الشاعر الهندي الشهير

عاد صديقنا الاديب وديع افندي البستاني من الهند فرغبنا اليه ان يبعث الى الهلال بشيء عن الشاعر الهندي الكبير رابندرانات طاغور الذي نشرنا رسمه في الهلال الرابع من السنة الثانية والعشرين بمناسبة فوزه بجائزة نوبل عن الادب . فكان جوابه سابقاً لرغبتنا لانه كان قد كتب لنا رسالة عنه في اوائل يوليو سنة ١٩١٤ واتفق انه عزم على القدوم الى مصر قبل البعث بها فابقاها بين اوراقه واتماً رحلاته في الهند وقصد الشاعر وزاره في بيته وفي معهده العلمي محققاً امنيته المبينة في سياق الرسالة — وكان قيامه من جزيرة سيلان قبيل اعلان الحرب بقليل على مركب الماني فاضطر دون الوصول الى مصر الى تجشم اهوال وركوب اسفار لم تكن قد خطرت له ببال الى ان القته مطارح الغربة في بلاد البورما حيث اقام سنة ونيفاً والرسالة في حقيبته . ولم يصلنا الا في اواخر الشهر الماضي . وسنذكر زيارته لهذا الشاعر النابغة ووصف كتبه الجديدة في مقالة اخرى نعدها للهلال القادم

قرأت الجملة الطيبة التي وصفتم بها شاعر الهند الحيالي الفائز بجائزة نوبل الادبية لسنة ١٩١٣ فختمتم بهذه الكلمة آملاً ان ازيد قراء « الهلال » معرفة بهذا الشرقي العبقري النابغة . اما قيمة الجائزة المادية فهي ثمانية آلاف من الاصفر الرنان . واما قيمتها المعنوية فلا اقل من ان تقدر عبقريه بالقيم والاعناق من جهة النظر الى الشرق والغرب كفرسي رهان في حلبات المكان والزمان يكرّان ويفرّان ويتجاريان ويتباريان ولو كره القائل[1] « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » بلى التقيا ويلتقيان ولو لم يتحوّل الافقان وينعكس الجديدان — واذا اخلص الشرقي لشرقه واسلم اليه وجهه وشمر عن ساق الجد والنشاط جرى فطوّق العالم باثار سعيه وانتهى حيث ابتدأ والتقاؤهما في حلبة الادب وتجلية الشرق وفوزه بقصب السبق دليل على انهما يتسابقان وليكن انهما لا يلتقيان اذ امكن ان يمثل الشرق مجلياً والغرب مصلياً او سكيتاً . وقد رأيت الشرق اقدم مخوض غمار الوجود عهداً وفرساً عتيقاً نهداً — فمن سديم غباره انتظمت عوالم الاديان التي وُلد فيها الغربي ومن انوار آثاره تكوّنت عيون العلوم التي اصبحت للغربيين عيوناً يرون بها ما نرى ولا نرى

ان جملتكم على اختصارها لاوفى ما يكون في مقام الاختصار ولست منتهز هذه الفرصة لتفصيل ما اجملتم من احوال هذا الشاعر الفيلسوف القديس — لانني آثرت مواصلة

---

(١) شاعر الانكليز العصري رديرد كبلنغ

الاستزادة منها وتحرِّيها واستقرامها ما استطعت ولو حدتني وأدّت بي الى المثول بين يديه على شطط المزار . فانني بعد تفرّس رسومه المتعددة مما تزينت به صفحات الجرائد أو تحلت به صدور كتبه التي صدرت وبعد تدبر ما رواه الراوون وكتبه الكاتبون عن أمسه ويومه وارواء غلتي من نفثات يراعه بل زفرات صدره وشعاع نفسه — اجل بعد ذلك لا بدع ان اوجبت على نفسي اكرامه وفرضت عليها احترامه وسننت لها زيارته بل البدع ان لا افعل ما دمت اراني متسماً بشعار خدمة الادب ومنتمياً الى الشرق وطن الهنود والعرب . على انني اود الان ان احاول وصف الرجل الخالد بكلمة ونعت كتبه القيّمة بعبارة فاطرف القارئ من البحر بقطرة او درّة ومن الوادي بعصا او صولجان .



رابندرانات طاغور

اما الرجل فهو ونيّ يعرف الله كنبي . واما كتبه فهي اسفار تسفر صفحاتها عن وجوه خرائد المعاني المخدرة في الصدور البشرية او مرآة مصقولة بلورها الفاظ رقيقة انيقة تنعكس فيها ظلال خيالات مترامية من حقائق النفس والقلب وعواطفهما الانسانية والالهية

فهذا الشاعر مُطرب يطرَب ويُطرب وشاعر يَشعر ويشعِر وفيلسوف يعلم ويعلّم وانسان يحب الناس ويخدمهم باصغريه وبديه . انسان — هو في عين نفسه اقل من زهرة السوسن وفي نظر قومه اله متجسم نزيل بين ظهرانيهم . فهو موسيقار يبتدع الالحان ويوقعها ويعزف بها وينظم الاشعار اغاني بل مزامير فقل داود بن يسّى

ويرسل الاقوال امثالاً فقل سليمان بن داود - الا انه يطير في سماء الوجدان لا على بساط الريح بل على جناح الخيال ويخرج للناس ما يأخذ بمجامع الباهم لا من خاتم سحري بل من صدر مفعم ويراعٍ سيال . ولو شاء لكان مثل اخويه مصوّراً يحاكي الطبيعة بريشته او مثل رابعهم قديساً زاهداً متقشفاً بعيشته . ولكنه اختار ان يتيّم للطبيعة بتعهد حديقته ومعايشة ازهارها وان يتفانى في العبادة بتخليد آثار نفسه وعقله وقلبه في صدور معاصريه واخلافهم . فان كان أخوه المتعبد يقضي الساعات اثر الساعات مستغرقاً في تأملاته الالهية — صامتاً ساكناً كالصنم حتى لتحسبه غصناً حياً فلا تستغرب تصاعد السناجيب على جسده ووقوع العصافير على يده — فانه يرى ان في الحركة بركةً وان في الحياة حياة وفي الموت خلوداً . فابوابه مفتوحة وداره نادٍ وحديقته مدرسة وهو رب البيت وخادمه ونادل النادي ورئيسه وتلميذ الطبيعة وأستاذها

وقد قرأت له كل ما صدر حتى اليوم مما ترجمه بقلمه الى الانكليزية من شعره ونثره البنغالي وكررت النظر فيه مراراً فما ازددت الا شوقاً وتوقاً الى مطالعة ما سيصدر ايضاً . فوجدت الكتيب المعنون « الهلال » سفراً لو الحقته ببعض اسفار العهد القديم لبزها بجدته ولكنه ديوان شعري اكثر قصائده المنثورة لفظاً الشعرية معنى مطارف من الحرير ساذجة غير موشاة ولا مطرّزة الا انها رائعة منسوجة على منوال جديد سداها خواطر الاطفال ولحمتها عواطف الامهات . فما وهي اربعون وليتها اربع مائة ما يقرأه الولد فيود ان يكون ملكاً او البالغ فيود لو أُعيد طفلاً او العانس فتتوق الى ان تصير زوجاً او العاقر فتتمنى ان تصبح أُماً

ووجدت في المجلد الذي اسماه « البستاني » وهو مجموعة صغيرة مما نظمه في دور الشباب قصائد رائعة شائقة شفافة عن غضاضة الاهاب تكاد تجتلي من خلال سطورها قلوباً خافقة ووجدانات هائمة . اذا تشربتها نفس الفتى العصري مجّت مشارب اهل القرن العشرين او تذوّقتها نفس الفتاة العصرية استهجنت أذواق بني هذا الزمان وبناته . ومنها ما يعوّض الخلي من لواعج الحب عواطف شريفة تحيي موات قلبه وتبذر في نفسه حب الفضيلة والورع الحقيقيين . وعند البعض ان هذه القطع اجمل رونقاً وارقّ حاشية واسهل مأخذاً من الاغاني الروحية التي اظهرها في مجلد على حدة

ووجدت كتابه الثالث الذي اطلق عليه اسماً بنغالياً هو «غيتا نجلي» مشفوعاً بما تعريبه قرابين الاغاني — مجموعة اناشيد او اغاني دينية تتنسم منها روائح الصوفية تارة وتسمع رنات قيثارة داود وألحان مزاميره أخرى . وهي على الجملة قطع من الخيال السامي

لا يلبث المنعم الممعن فيها ان يرى الشاعر نبياً بدون ان يرفع الشاعر او يخفض النبي . ورب مطالع لها يحسبها الفاظاً مجموعة على نسق ما فيقف دونها وقوف العامي الامي تحت السماء لا يرمق دراريها وفرقديها وبدرها وثرياها بطرف الشاعر ولا يراقب سياراتها وثوابتها ونواقبها وابراجها بعين الفلكي وجل ما يرتسم على شبكية عينه نقط بيضاء في قبة زرقاء . على ان اعضاء ندوة اسوج الادبية لم يسعهم بعد الوقوف على هذه الاغاني والاناشيد الا ان يحسنوا الظن في ناظم عقودها وناسج برودها الشرقي ابن الشرقي — فحكموا له بالتفوق والتبريز واناولوه الجائزة واعلنوا الخبر فاهتزت به الاسلاك البرقية في جهات المعمور الاربع . ولم يكن من ادباء اسوج وغيرهم الا من اعترف لهم بالعدل والاصابة

وقرأت له كتاباً رابعاً منقولا الى الانكليزية بقلم احد ابناء وطنه مضمونه حكايات او روايات قصيرة ابطالها صبيان وبنات . وكتاباً خامساً مترجماً بقلمه مشتملا على الخطب التي القاها في جامعتي اكسفورد وهارفرد وبعض المنتديات العلمية والادبية في لندن . أما الاول فمع انه حديث الصغار كما المعنا فانه ايضاً كعنوانه « نظرات في المعيشة البنغالية » واما الثاني واسمه « سادانا » او « تحقيق الحياة » فهو سلسلة مقالات في الحكمة الدينية الهندية والفلسفة الادبية على الاطلاق حافل بالشواهد والتضامين من كتب الهنود المقدسة . فثبت لي من جديد ان رابندرانات طاغور صاحب « الهلال » و « البستاني » و « قرابين الاغاني » شاعر فيلسوف قديس وانسان يحب الله والطبيعة والانسان بنفسه وعقله وقلبه

أما اسلوبه في ترجمة الثلاثة الاولى فتغلب عليه مسحة الشعر النثري او النثر الشعري . وهو سهل العبارة عميق المعاني او قليل الكلام كثير الدلالة . وقد احترت بادئ بدء كيف انقل شيئاً من تلك الآثار الرائعة الى لغتنا المحبوبة معتبراً مزاياها واذواق ابنائها وانتهيت من الحيرة والتردد الى انها تكاد تنقسم الى ثلاثة انواع ما قد لا يترجم وما يحسن ترجمته نثراً وما يجمل نقله شعراً فاستخرت الله وترجمت جملة من النوعين وهذا انموذج من كل منهما :

« اثر بعد عين الحبيب »

حدثتني النفس وحدثتها . وخانتني الجرأة وخذلتها الجسارة — ولم استوهبك عقد الورد الفريد الذي اعجبتني نفحاته وانعشتني نكهاته هزيعاً بعد هزيع فواحة ضوائه من حول جيدك الجميل

صبرت الليل آريث السحر وانا بين عسى ولعلّ على امل ان انظم رأد الصباح من نثير اوراقه الماطرة حلية لنحري - واني لمنوعة من كثيرك بالقليل

وانصرم الصرم وهلّ جبين الافق بشرى النور فاخليت سريري واخليت سبيلك . ثم جعلت انظر ذات يميني وذات يساري نظرات الضنين ضاع في الترب حاجه اتفقد على بلج الفجر آثار العقد الناضر اثراً بعد عين اكرم زائر . فلم أر الا وريقة ذابلة واختاً لها ذاوية فانقلبت بحسرة آكلة ولوعة كاوية انقلب على فراشي تقلب العليل

ثم ماذا ؟ ماذا أرى ؟

يا له من رمز وشعار ، اجتبيه لي تذكاراً لا زهراً ولا قرنفلا ولا حنجر معطار ، بل سيفاً صارماً بتاراً برجع الصاعقة منقضاً ويبهر البرق مسلولا ويتلهب ناراً . سال لعاب الغزالة على حدّيه شيباً بروداً . وسألني عصفير الصباح اذا سبح تغريداً . ما ذاك في يمينك يامرأة ؟ واني لك هذه الجراة ؟ فأجبته : لم يكن حبيبي حارثاً ولا عطاراً بل كان جباراً قهاراً ، نأى وشطّ مزاراً ، وخلفه لي شعاراً — اصونه واحفظه حباً بالجميل وذكراً للجميل

وقد سألت العجب فأعيا جواباً . وودت لو تحتلك طيباً او خضاباً . فاني كنت ناهداً كعاباً . ولم اكن لسيفك قراباً . وقد حمل فرعي نهوداً وعهدته ميداً وتقلدت من الحلي خلاخل وعقوداً وما حملت نجاداً . فسيفك اين اخفيه ؟ وكيف اواريه ؟ ام احتك به حجاب الحياء والبسه غير زيّ نساء ؟ اضمه الى صدري فيجرح فاشكو وابكي وابكي واشكو وانت تريدني ان افرح . ولكنني محتفة في صميم فؤادي بعزة هذه الهبة الاليمة وقد شريتها بدمي واعدلها بحياتي قيمة . ان صونها لعبء ثقيل ولكنها هدية الخليل

فذ اليوم السلام على الدنيا واوجالها . لقد أمنت بلاياها واهوالها . وانت حيّ الفوز والفتح المبين . فقد حالفك النصر وحلف لك اليمين ولتنصرنّ عليّ في كل أن وفي كل حين . تركت لي الموت خدنياً قريناً فلا كللنه بزهرة حياتي . وهذا سيفك يقطع اوصالي ويرهب مرهباتي . السلام على الدنيا واوجالها لم يعد لها اليّ من سبيل . واليوم آخر عهدي بالسوار والخلخال وبالغنج والدلال والتوجد والوله والتيم والدله — اليوم آخر عهدي بالسحر الحلال ووسائل الاحتيال للوصال

« القبلة الاولى »

قال لي همساً بلطف : « لا تغضي الطرف عني »

قلت اجهاراً بعنف : « ولّ ما يعنيك مني »

لم يزحزحه كلامي بل ثنى كلتا يديا
قلت: «لا تمثل أمامي» فاتثنى يرنو إليّا
قرّب العنق المحلى نحو جيدي باحتشام
قلت: «هل تخجل هلاّ» قال: «عفواً» بابتسام
ثغره مرّ بخدّي مرّ روح الكهرباء
قلت: «ماذا لك عندي يا خلياً من حياء»
ثلك في شعري زهرة قلت: «تذوى وتموت»
قال: «هذي البنت مرّة» وتولاه السكوت
نزع الاكاليل (١) نزعاً باد في خفيّ حنين
وانا اذرف دمعاً ليته ينظر عيني
ما له ليس يعود انني ابكي عليه
مسقمي ليس يعود ودوا قلبي لديه

«العروس»

كنتُ بين الصواحب الاتراب والعذارى وناضرات الشباب
اتلهى معهن في الخدر تقضي واجب البيت في سياق الدعاب
انت افرزتني وافردتني من عقد شمل الكواعب الاتراب
كامن الحب سره اتقد قدس وشغاف القلوب كالمحراب
انت اجليته وعربت منه معجماً كنهه بلا اعراب
كامن الحب في ثنايا الحنايا جوهر ساطع بجنح غرابي
ان تبدّى في رائعات نهار كوثراً خيل لمعة من سراب
زهد العين بالجليّ لديها وتصابى لما وراء الحجاب
كان حيٌ في حبة القلب يهفو خافقاً كالوجوب والاضطراب
وشققتَ الشغاف عسفاً وعنفاً من فؤادي ابرزته باغتصاب
ونعش الغرام في قفص الصدر حطمته وويل الكعاب
لا فتاة من ناهدات العذارى عرفت لذّتي وذاقت عذابي
لم يكاشف قلوبهن حبيب بخطاب فصل وفصل خطاب
هن يجهلن ما بهن من السر كجهل العنوان سرّ الكتاب

(١) المراد اكليل الزهر الذي كان قد ألقاه على عنقها لدى التلاقي . وتكليل الواصل والراحل عندهم عادة جارية

يتبسمن كالازاهر حيناً ويرقن الدموع حين اكتئاب
يتجاذبن والحديث شجون لسؤال اهداب الف جواب
كل يوم يبدن يذهبن للهيكل م سرباً يا حسن ذاك الذهاب
وقبيل الغروب يقصمن سرج اليت م طيباً من خالص الاطياب
والى النهر بالقوارير يصبحن م يملأنها قراح الشراب
بحيائي استعذت من عري حي حين جردته من الاثواب
وا حيائي وا خجلتي وا شقائي يا فتى صدّ بعد شرّ اقتراب
أنت تمضي كل الفجاج سبيلاً لك لكن أنا فقدت صوابي
أنا عريانة صباحي مسائي تتلقى العيون حسب الهوى بي
محدقات بلا جفون سيوف مشهرات والجفن ندّ القراب

« مغاضبة »

يهمّ لساني ان يترجم عن قلبي ويثنيه معهود ازدرائك بالحب
فاهزأ من نفسي وسرّي اذيعه نكاثاً وقد تكفي الاشارة ذا اللبّ
واكتم آلامي وابدي طفيفها لمهدي ان القيل عندك كالضبّ
أودّ التزام الصدق في سر قصتي واخشى التباس الصدق عندك بالكذب
فعمداً اداجي والحقيقة عكسها وان شئت حصلت الحقيقة بالقلب
واظهر علات لدائي توافهاً لانك تخفي اختبارك في طي
وعندي من اللفظ الانيق جواهر أضن بها ان لا تباع على كسب
وادعوك يا عنقاء يا غول معجباً بكوني فطناً يا لعجبي من عجب
اذيقك شيئاً من عذابي لتعلمي بأن عذاب الصب ليس من العذب
اتوق الى صمت ولا استطيعه ونحن على وصل وجنباً الى جنب
اخاف لعل القلب يرقى الى فمي فيفضح سري وهو غرّ بلا لبّ
اواريه في هذري واهذي مزترا واحمل سرّي في ضلوعي لا عبي
وانكأ جرحي مشفقاً مترفقاً مخافة ان تدميه بالطعن والضرب
اود فراراً عنك لكن يصدني تحاشيّ ان اغدو لديك اخا رعب
فاياك غباً بعد غبّ بعزّة ازور وامري غير مستتر الغيب
ففي الحب جرحي لا يطيب مدى المدى وفي عينك النجلاء سهم من الهدب

« ساعة وصال »

اشجيتَ قلبي شادياً مترنماً اقبلْ وطارحني الغرام مكلما
فالليل داجٍ والعواذل هجّع والسحب تحجب بدرها والانجما
ناهيك بالنسم اللطاف نواحباً وحفيف اوراق الاراك مرخما
هذي الغدائر لا احرّم حلها رفقاً بعينك ان تحاذر ارقما
واقيم من هذا الوشاح سرادقاً فأريك تحت الليل ليلاً ابهما
واجيل رأسك بين نهدي كاعب اتريد من نهدي كعابٍ انعما
أصغي والزم مقلتيّ تعففاً لا اجتلي من نور وجهك مبهما
أصغي وقلبك بالخفوق مترنم ويجيبه قلبي الخفوق متمما
واذا قضيت من الحديث لبانتي رمتُ السكينة من وصالك مغنما
فاذا تحركت الغصون فعذرها ان النسيم لها حديثك ترجما
والليل يدبر خالعاً جلبابه والفجر يقبل بالشقيق ملثما
اذ ذاك تودعني الشجون مودعاً أختاً تفضل ان تراك مسلما
اشجيت قلبي شادياً مترنماً اقبل وطارحني الغرام مكلما

وديع البستاني

بمباي ٤ يوليو سنة ١٩١٤

كلمات في الموت

الموت رجاء من لا رجاء له (تيرس)

ماذا ترتجي من عالم تعيش فيه وانت تعلم ان الموت سيصرع والديك (فيني)

خير الحياة اكثر من شرها فقلما تجد من يرغب في الموت (فولتير)

قال فونتنيل وهو على فراش الموت « قد آن لي ان اموت لاني أخذت ارى الاشياء كما هي »

كل شيء في الحياة حسن — حتى الموت . (سرفنتس)

ان الموت يغشانا قبل ان نتعلم كيف نعيش (بوسويه)

الموت سنة الطبيعة وليس عقاباً منها (سينيكا)

فلسفة الحرب

للدكتور جستاف لوبون

صدر حديثاً كتاب عن فلسفة الحرب للفيلسوف الدكتور جستاف لوبون سماه التعاليم البسيكولوجية المستخلصة من الحرب الاوربية [١] فتلقيناه فرحين لما نعهد في المؤلف من الآراء الصائبة ولم نكد نطالعه حتى تحقق ظننا فيه وآثرنا نقل خلاصته الى العربية (وليست هذه أول مرة ينشر الهلال آثار الدكتور لوبون) فقد الفيناه افضل من كل ما اطلعنا عليه في تعليل هذه العاصفة الجنونية تلك التي هبت على العالم المتمدن فزعزعت اركان الدول وهددت كيان هذا التمدن . وسننشر في هذا الهلال الجزء الاول من الكتاب وهو قائم بنفسه وقد بين فيه المؤلف المبادئ العلمية التي اعتمد عليها في درسه . قال

تمهيد

ليس غرضي من هذا الكتاب درس حوادث الحرب الاوربية وانما الذي أرمي اليه استقصاء الظواهر النفسية التي أدت اليها والتي رافقتها منذ نشأتها . فان تدوين وقائعها بانصاف واخلاص ليس بميسور لنا اليوم وان الاهواء لا تزال متسلطة على نفوسنا ، ولا يتسنى للاجيال التي تخلق التاريخ ان تدونه ، ولا بد من فترة تمر بعد انتهاء المآسي البشرية حتى يتمكن الانسان من استكشاف سرها وادراك حقيقتها . فان التاريخ لا ينصف الا الموتى

ان وراء الحوادث المنظورة التي تجري في ميادين القتال قوى ودوافع غير منظورة توجدها وتسيّرها . فالى تلك القوى الكامنة والى تلك الدوافع الخفية ترجع اسباب الحرب. وما القصد من هذا البحث الا كشف القناع عن هاتيك المعالم المجهولة

ليس من المعقول ان تشب حرب كهذه عن ارادة رجل واحد فهناك أسباب عميقة بعيدة ما برحت تتراكم شيئاً فشيئاً منذ زمن بعيد حتى انفجرت دفعة واحدة

ان هذه الحرب نزاع بين قوى نفسية متناظرة وبين عقائد سياسية متنافرة : ففريق يحترم حقوق الشعوب ويبر بوعوده وعهوده وفريق يجعل الحق للقوي يرى أن الواجب عليه السيطرة على الضعيف ، فريق يتمسك بالحرية الشخصية ازاء سلطة الجماعة وفريق لا يعترف للفرد بحق الا ما يخوله اياه المجموع ، وبعبارة أخرى فريق يرى الدولة لمنفعة الافراد وآخر يرى الافراد لمنفعة الدولة

---

(١) Les Enseignements Psychologiques de la Guerre Européenne par le Dr. Gustave Lebon

وليس مذهب تأليه القوة من مبتكرات الشعب الالماني فقد كان رائد العالم قديماً وما برحت روح المدنية منذ الفي سنة تهذبه وتصقله شيئاً فشيئاً . فاذا فاز الالمان فكأنهم سيرجعون أدياً بالعالم الغربي الى زمن همجيته حين لم يكن للحق أساس الا القوة . والذي يزيد خطر تلك العقائد الالمانيـة انها اتخذت في مخيلتهم صورة شبه دينية فاصبحوا يعدون تفوقهم على سائر الشعوب نعمة الهية خصوا بها ويعتقدون ان الله قد أرسلهم في الارض لتطهيرها مما علق بها من الادران

ان أماني الشعوب وعقائدها لا تعبر فقط عن أحلامها ومطامعها بل هي للعاقل درس يستخلص منه حاجها واحقادها وعواطفها . وهذا الدرس اعا يستفيده المتبصر في حالة الالمان النفسية وفي مطامعهم وآمالهم . فانها من قبيل العقائد الروحانية التي كان لها تأثير عظيم في التاريخ والتي طالما ضحّى الناس في سبيلها بارواحهم وممتلكاتهم

ولاشك ان هذه الحرب تشبه في جوهرها الحروب الدينية القديمة فقد جمعت كل ميزاتها ولا سيما بعدها عن أحكام العقل . ولو كان للعقل أدنى سلطان على عقائد الملوك والشعوب لما حمي وطيسها ولا ذكا أوراها

* * *

فتبين لنا مما تقدم انه لا يتيسر ادراك حقيقة هذه المأساة الاوربية بالرجوع الى أحكام العقل الصحيح . لاننا اذا تمسكنا بالقياس العقلي في استجلاء غوامضها وقفنا دهشين أزاء غرابة الحوادث وتناقضها : انظر الى امبراطور المانيا الذي حافظ على السلم خمساً وعشرين سنة كيف دخل مرغماً في نزاع لم يشأه كأنه مدفوع بقوة لا ترد . وهذا الشعب الالماني الذي بلغ في ميدان الرقي المادي والادبي شأواً غبطته به الامم الاوربية الاخرى رأيناه يستقبل بفرح عظيم خبر حرب سوف تجر عليه الخراب والدمار . وأي شيء أغرب من ان نرى رجالا متهذبين متعلمين يحرقون المدن والمكاتب التاريخيـة والآثار الفنية

ثم اذا انتقلنا الى الدول الاخرى وجدنا فيها من غرابة الحوادث ما لا يقل عما طرأ على المانيا : انظر الى الشعب الفرنسوي الذي اشتهر بشدة تأثره وتقلبه وكثرة تحزباته كيف اتحدت عناصره فجأة وتحول الى شعب جلود يتفانى في سبيل الوطن

أو ليس من الغريب أن نرى أمة صغيرة كالبلجيك لا تحجم امام تهديد المانيا ثم تقدم على محاربتها في حين انها تعلم فشلها وضعفها أزاء ذلك العدو الجبار ؟

انه يتعذر شرح تلك الظواهر وما هي عليـه من التناقض باحكام العقل ولا يمنا

الا الاعتراف بعجزها عن تعليل مثل هذه الحرب الضروس . ولئن اعتمد العالم في معماله على القياس العقلي في استجلاء غوامض الكون فان من الجهل تعليل الحوادث التاريخية بالاقتصار على احكامه وقوانينه . وليس يجوز ان يبرح من ذهننا ان في الانسان فضلا عن العقل والتمييز قوى ودوافع لها القسط الاوفر في توجيه مجاري التاريخ وفي مقدمتها العواطف والاهواء البشرية وروح الجماعات والعقائد الروحانية والسياسية

ولما كانت حقيقة تلك القوى لا تزال مجهولة فان المؤرخين ما برحوا يقيسون مجاري التاريخ على أحكام العقل كأنهم يجعلون حوادثه متسلسلة الاسباب والنتائج كالقضايا العلمية فلا عجب ان تكون تعاليلهم بعيدة عن الحقيقة . ولكن فلسفة الكتب واوهام العلماء لا تقوى على النهوض امام الاعمال الراهنة . وان من العسير ان ينصت الى الخطيب بين قصف المدافع ودوي المفرقعات

عوامل التاريخ الغامضة

اذا نظرنا الى الحرب الاوربية نظرة عرضية ملنا الى الاعتقاد بانها مسيرة طبقاً لاحكام العقل والعلم بدليل ما نراه من تنظيم الجيوش وتنوع الاسلحة والآلات . الا اننا اذا تجاوزنا العرض الى الجوهر وجدنا هذا الحكم فاسداً — وان صح بعض الصحة على الخطط الحربية في المعارك — فان هناك قوى غير منظورة تسيّر الجنود والحكومات بل الملوك ايضاً . واذا كانت الحرب تستخدم اسلحة مادية على مبادىء علمية فان القوى التي تحركها هي في الحقيقة قوى نفسية

ان ظواهر هذه الحياة متشعبة يتعذر فهم كنهها وادراك بواعثها . وغاية ما يتسنى لنا ان نقوله هو ان اعمال الانسان على اختلافها وتنوعها يمكن ارجاعها الى خمسة مصادر كبرى وهي :

١ — الوظائف الحيوية : كالاكل والنوم والتنفس الخ . وغايتها البقاء والتمتع

٢ — العواطف والانفعالات النفسية : كالحب والبغض والغضب الخ .

٣ — العقل : كالتفكير والحكم والتمييز الخ .

٤ — روح الامة وروح الجماعات التي ينتسب اليها الفرد . فان أحكام العقل البشري اذا كان في الانفراد مغايرة لأحكامه اذا كان مجتمعاً

٥ — العقائد الدينية وما جرى مجراها كالعقائد السياسية التي تتسلط احياناً على النفوس فتقوم باعظم الانقلابات

فلكل قسم من هذه الاقسام احكامٌ خاصة تختلف عن احكام غيره . الاَّ ان العلماء ظلوا — الى مدة قريبة — يؤلهون احكام العقل زاعمين انها القياس الامثل للحياة البشرية . اما اليوم فقد اخذت الآراء تحول عن هذا النظر الضيق بعد ما ثبت من خطورة العوامل الاخرى في حياة الشعوب . فالعواطف مثلاً سنن واحكام تسير بمقتضاها كما يسير العقل بمقتضى احكام المنطق ، فالحب والبغض ليسا موقوفين على البراهين المنطقية ، او بعبارة أخرى ان للعواطف منطقاً خاصاً بها . وكذلك ايضاً احوال الجماعات النفسية فان مداركها وعواطفها تختلف كثيراً عن مدارك افرادها وعواطفهم . ومثلها العقائد الدينية والسياسية فان قبولها ليس بموقوف على احكام العقل [1] بل على قواعد أخرى بعيدة عنه كالعدوى والارث والمصلحة والمزاج وغيرها

نعم انه بفضل احكام المنطق العقلي يستكشف العالم الحقائق العلمية ولكنها قلما تؤثر في العقائد الدينية والسياسية . وشتان بين تأثير الحقائق وتأثير العقائد . فالحقيقة العلمية باردة جافة لا سلطة لها على قوى الانسان أو احواله الاجتماعية وذلك عكس العقيدة فانها تبعث فيه حرارة تجعله يقوم باعظم الاعمال ويتعرض لاجسم الاخطار

وعلى هذا يصح ان نقول بوجود منطق عاطفي ومنطق جماعي ومنطق حيوي ومنطق روحاني فضلاً عن القياس المنطقي المعروف عند الاقدمين . وسندرس هذه الانواع متوالية

العوامل الحيوية

نقتصر على اشارة طفيفة الى هذه العوامل التي تسيّر جميع الكائنات الحية . ولا يخفى ان اعظم دوافع الشعوب الجوع والحاجات المادية . وتأثيرها في التاريخ معلوم لا يحتاج الى زيادة بيان

العواطف والاهواء

يتألف خلق الانسان او طبعه من مزيج عواطف يتوارثها عن اسلافه . وفرق عظيم بين وظيفة العقل ووظيفة الخلق في حياة الانسان. فبالاول يفهم ويفكر، وبالثاني يسلك ويعمل . فالاخلاق هي العامل الاول في حياة الافراد وفي حياة الشعوب

ولما كانت عواطف الانسان لا تخضع لارادته فقلما يستطيع تحوير خلقه الذي هو مزيج عواطف متوارثة كما رأينا . ويكفي أن نلقي نظرة على الحياة اليومية لنتأكد عجز العقل عن التأثير في العواطف والاخلاق بل يكفي ان ننظر الى هذه الحرب لنرى كيف

(١) راجع مقالة فلسفة العقائد والآراء المنشورة في الهلال الاول من السنة ٢٢

ان احكام العقل واستنباطاته لم تكف لوقف الاهواء البشرية عند حدها . وما ذلك الا لان احكام العقل غير احكام العواطف كما قلنا . وانه لمن العبث ان تحارب عاطفة بالجدال والبرهان وانما السهل الميسور ان تحاربها بعاطفة اخرى اقوى منها

ولا شك ان لتباين العواطف القومية تأثيراً عظيماً في توجيه مجاري التاريخ . فكل شعب من الشعوب يمتاز بمجموع عواطف متوارثة جيلا عن جيل تجعله ينظر الى الامور نظراً خاصاً يختلف عن نظر غيره . فاذا كان بين الاسلاف تنافر فطري من حيث الاميال والمشارب اورثوه لاولادهم فاحفادهم ، ومن ثمّ تنشأ الاحقاد الجنسية المتأصلة في نفس الانسان والتي يتعذر عليه اخمادها مهما عالج عقله . وقد كان لها بلا ريب اليد الطولى في منشأ هذه الحرب . فاذا تحركت تلك الاحقاد تموت الضغائن والتحزبات الداخلية . ويصدق هنا قول ابقراط اليوناني « اذا احس الانسان بألمين او عاطفتين من نوع واحد فان اقواهما يمحو الاخر » فقد كانت دول الحلفاء كثيرة التحزب والشقاق عند نشوب الحرب ولكنها نبذتهما بسرعة غريبة حين احست الخطر الذي يهدد حياتها القومية

فمن حدوث هذا التغير فجأة في جميع الدول (ولا سيما في انكلترا حيث كانت المشكلة الارلندية تنذر بالحرب الداخلية وفي روسيا حيث تفاقمت الاضطرابات والقلاقل الفوضوية والثورية) نستدل انه نتيجة سنة بسيكولوجية عامة يجب ان لا تبرح من اذهان رجال السياسة . ولكن الالمان قد جهلوها في اول هذه الحرب ولو حسبوا لها حساباً لما عدوا ذلك الشقاق من عوامل النصر

روح الامة وروح الجماعات

روح الفرد قصيرة الاجل اما روح الامة فلا تخاف الموت لانها نتيجة ماضٍ طويل. وما تاريخ الشعوب المتمدنة الا تاريخ مساعيهم للحصول على روح وطنية ثابتة تسمو على ارواح الافراد . فبهذه الروح الوطنية فقط تخرج الامم من الهمجية وتتقدم نحو الرقي والكمال. وبفضل الروح الوطنية تجد افراد الامة الواحدة على الاجمال يتشابهون قولا وعملا في المواقف الخطيرة . وقد قيل ان الموتى اشد تأثيراً من الاحياء في توجيه مجاري التاريخ لان الاحياء انما استمدوا منهم اخلاقهم وآدابهم وعقائدهم

فكان لكل فرد روحين روحه الفردية المائلة الى الابتكار وروحه المشاركة لبني وطنه التي تميل الى ان يكون لهم مشابهاً ونظيراً

واذا كانت روح الامة المستقرة في اعماق النفس لا تظهر في الاوقات العادية فانها تقود الشعوب متى كانت حياتها مهددة فتمحي امامها الشخصيات الفردية . ولما كان من

الواضح الجلي ان ينشأ الفرد محباً لذاته فهذه العاطفة تحركه عادة . ولكن متى استيقظت الروح الوطنية نبذ حب الذات جانباً . واندفع بدافع لا يرد للذود عن حياة امته والتفاني في الدفاع عنها

تلك هي الروح الوطنية الكامنة في اعماق النفس . ولا بد لنا ان نميز هنا بين روح الامة التي شرحناها فيما تقدم وروح الجماعات التي سندرسها في ما يلي : فالاولى ثابتة لا تتغير اما الثانية فوقتية تتكون عندما يجتمع الانسان بامثاله في مجتمع أو مجلس الخ . فيطرأ على عقله وعواطفه وارادته من مجرد هذا الاجتماع تغيرات خطيرة

فقد ثبت اليوم ان عقل الانسان منفرداً يختلف عنه مجتمعاً . فكما ان خلايا الجسم تولد بمجموعها شخصاً مستقلاً ومختلفاً عنها كذلك تختلف نفس الجماعات عن نفوس الافراد الذين يكونونها في احكامها ومنطقها . ومن المؤكد ان الانسان الراقي مجتمعاً احط منه منفرداً من حيث المدارك العقلية . ولكنه اشد تأثراً وانفعالاً . ومن ميزات الجماعات انها لا تمارس بعض العواطف التي يعرفها الافراد كمرقة الجيل مثلاً . ولكنها تساعد على انماء عواطف اخرى لدرجة عالية جداً كالتضحية في سبيل الغير والشجاعة وغيرهما . ومن مميزاتها ايضاً سرعة العدوى بين افرادها وسرعة الانقلاب . فقد تحول في لحظة من العبادة الى البغض

وعلى الاجمال يصح القول بان الرجل السامي ينحط بالاختلاط بعكس الرجل المنحط فانه يرتقي به

والجماعات سهلة الاخذ بالاوهام فاذا ما تسلط وهم على مخيلة الجماعة اصبح بمثابة حقيقة راهنة عندها

ولا بد للجماعات من قائد يتسلط على افكارها ويستهويها . وقادة الجماعات يقنعونها بطرق مخصوصة توافق منطق الجماعات وتختلف عن طرق القياس العقلي ، واهم هذه الطرق : التأكيد والتكرار والعدوى والظهور بمظهر العظمة . غير ان بعض العلماء اليوم ينكرون هذه الحقيقة ويدعون ان قادة الجماعات ليسوا الا ممثلين للرأي العام الذي يستمدون منه اقوالهم وأعمالهم . والذي نراه ان الرأي العام اذا تكون وتشرب فكرة قادته تشرباً تاماً اصبح ذا قوة هائلة فيؤثر في قادته بعد ان أثروا هم فيه . ولا ريب عندنا ان مرجع آراء الجماعات انما هو آراء بعض الافراد

ومهارة رجال السياسة والحكومة موقوفة على مقدرتهم من هذا القبيل . فعليهم تكوين الرأي العام واستمالته اليهم ولا شك ان حكومة المانيا قد عرفت هذه الحقيقة فسعت للتسلط

على الرأي العام الالماني بواسطة الصحف والجمعيات وغيرها وتم لها ذلك . بل انها كما لا يخفى قد بذلت مالها ونفوذها لاستمالة الرأي العام في الدول المحايدة كذلك

ويشبه اجتماعات المجالس والجمعيات الكبيرة فان لها نفس الخواص البسكولوجية كسرعة التأثر وشدة الانفعال وسهولة الانقياد والخضوع للقادة الخ . ولا يخفى ان الدول المتمدنة قد وكلت جميع شؤونها لمثل هذه المجالس فهي تسن الشرائع وتقر القرارات التي تتوقف عليها حياة البلاد ومستقبلها . ولكن لهذه المجالس فوائد من وجوه أخرى فانها تستجلي الغوامض السياسية وتقف رجال الحكومة عند حدهم خشية حملاتها

وتزداد سلطة الجماعات زيادة عظيمة في وقت الاضطرابات الوطنية كالثورات والحروب فيصبح تيار الرأي العام قوياً جارفاً لا يستطيع أعقل العقلاء ان يؤثر فيه ادنى تأثير . أما في وقت السلم فان الجماعات تنقاد عادة لآراء الخاصة

العوامل الروحانية

نقصد بالعوامل الروحانية ميل الانسان الى التمسك بعقائد غامضة وحبه لما هو خارج عن حكم السنن الطبيعية واعتقاده بتداخل قوى غير بشرية في مجرى التاريخ . فلهذه العوامل الروحانية تأثير كبير في حياة الشعوب واليها كان ينسب الاقدمون جميع الظواهر الطبيعية

ولا يقتصر تأثير هذه القوى على الحياة الدينية فقد ينال الحياة السياسية ايضاً — وفي السياسة والاجتماع عقائد ومذاهب لا تقل تسلطاً على عقول البشر عن العقائد والمذاهب الدينية — حتى اننا نجد في بعض الاحيان التعصب لحزب سياسي او مذهب اجتماعي (كالاشتراكية والفوضوية) أشد من التعصب الديني

ولا تأتي العقائد الروحانية على أنواعها عن أعمال الفكرة والمجادلة اذ لا سلطة للعقل عليها لا في منشأها ولا في زوالها وانما هي تنشأ عادة بطريق الاستهواء والعدوى فتظهر للمؤمنين بها كأنها حقيقة ثابتة لا يجوز الارتياب فيها - ولا يخفى ما لمثل هذه العقائد من السلطة العظيمة على الافراد والجماعات والتاريخ اعظم برهان . ومن قبيل العقائد الروحانية اعتقاد الالمان بانهم شعب مختار

تعدد الذاتية

ما برح علماء النفس منذ القدم يعدون الانسان مؤلفاً من جوهرين منفصلين تمام الانفصال - الجسم والروح . وكانوا يعتبرون الروح او النفس ذات أقسام محدودة

معروفة قلما يطرأ عليها تغيير . اما اليوم فانه يتعذر على العالم الباحث التمسك بمثل هذا الرأي لان المباحث الحديثة قد دلت على الارتباط المتين بين الجسم والعقل ونقضت مذهب وحدة الذاتيـة . فعقل الانسان مؤلف من قوى مختلفة قابلة للتغير وباجتماعها تتكون الذاتية . وما دامت البيئة التي يعيش فيها الانسان لا تتغير فان تلك القوى تحفظ توازنها ولكنها اذا تغيرت اختل التوازن القديم وحل محله توازن جديد — أي ذاتية جديدة

ومثل هذا التغير كثير الشيوع في وقت الانقلابات التاريخية الكبرى فان ذاتية الناس تتغير عندئذ تغيراً عظيماً (كما حصل في الثورة الفرنسوية مثلاً) فيتحول أعقل الناس الى مخلوقات فظيعة : فقد كان رجال الثورة الفرنسوية من خيرة الناس ولكنهم أتوا أعمالاً شنيعة . ولا حاجة بنا ان نرجع الى التاريخ لنتأكد صحة ذلك بل يكفي ان نلاحظ ما يجري اليوم من الانقلابات النفسية الغريبة في الشعوب المتحاربة

ثم ان هناك مبحثاً هاماً لم يعره العلماء الاقدمون اهتماماً نعني درس الظواهر النفسية الخارجة عن الوجدان اي التي لا نشعر بها ولا ندركها . فان الحياة النفسية اوسع مما يتراءى لادراكنا وشعورنا ففيها معالم واسعة مجهولة لا تقع تحت احكام الوجدان — وقد ثبت اليوم ان لتلك العوامل النفسية الخارجة عن الوجدان مقاماً عظيماً في حياة الانسان وانها تقوده في معظم الاحيان . وبهذا الرأي يقولون ان للانسان ارادتين : ارادته التي بها يعمل ما يحكم بلذته او فائدته او يقتنع بضرورته ، وارادته التي تدفعه الى اتيان اعمال بشكل ميكانيكي اي من غير ان يفكر ويحكم فيها . وهذه الارادة الثانية اشد تأثيراً في حياة الافراد وحياة الامم من الارادة الوجدانية

وتستمد الارادة غير الوجدانية (inconsciente) قرارتها ونزعاتها من حاجات الامة او الجماعة التي ينتسب اليها الشخص ومن مطامعها وآمالها فانها تدفعنا الى العمل من غير ان نحكم في صحتها

ولما كان معظم الناس ينقادون بهذه الارادة غير الوجدانية فاننا نجد في كثير من الاحوال تناقضاً بين اقوال الانسان الصادرة عن تفكيره وارادته الوجدانيـة وافعاله الصادرة عن الارادة غير الوجدانية التي هي تراث اختبارات واميال الاجيال السالفة . والشعوب تختلف من هذا القبيل اختلافاً بيناً فالشعب الانكليزي كثير الانصياع الى غرائزه فمعظم اعماله ناتجة عن ارادته غير الوجدانية . ولا يخفى مقام الارادة (الوجدانية وغير الوجدانية) في المعارك الحربية . فالمعركة في الحقيقة نزاع بين ارادات والنصر لمن يجالد على عدوه وقد يكفي ان يجالد الفريق دقائق قليلة حتى يفوز

الشعر الجاهلي

كيف ندرسه ؟

(١)

لم يورثنا العرب في جاهليتهم الا هذا التراث الخالد الذي نقلته الينا افواه الرواة — مع شيء من التصحيف والتحريف ومن التبديل والتغيير وعلى نحو من الزيادة والنقص — وهو الشعر

فان الرواية لم تحفظ عنهم في جاهليتهم من النثر والسجع شيئاً تصح الثقة به والاعتماد عليه ، أما هي طائفة قليلة من الخطب واسجاع الكهان والمتنبئين قلما يتفق على نصها راويان

ولبداوة العرب في ذلك الاثر الاكبر ، فليس في طبيعة النثر من القوة التي يسيطر بها على الحس ويتسلط على الشعور ما يكفي لتخليده وقهر الرواة على ان يتوارثوه والعرب — بعد ذلك — في جاهليتها أمة بادية لا تعرف الكتاب ولا تألفه . فليس عجيباً ان تضيع محاوراتها وخطبها من غير ان تحفظ الرواية منها الا الشيء القليل

تلك علة عرفها القدماء وقبلها المحدثون ، يرددونها كلما حاولوا البحث عن بقاء ما للجاهلية من شعر ، وفناء ما لها من نثر

وربما كانت من بعض وجوهها حقاً ، ولكننا نسرف الاسراف كله اذا اعتقدناها من كل وجه . انما الحق الذي لا شك فيه ان العرب في جاهليتها لم يكن لها نثر يستحق ان يحفظ ؛ ولا خطب ينبغي ان تخلد . لان طبيعتها لم تكن قد وصلت بعد من الرقي والتهذيب الى حيث تصلح مصدراً لبارع النثر ورائعه ؛ ولجيد الخطابة ومونقها

فما النثر الا صورة النفس الهادئة الوادعة قد اتيح لها من اسباب الحضارة ووسائل المدنية ، ومن كتب العلم واسفار الحكمة ما يوفر عليها حظها من شيئين : احدهما الامن والدعة ، والثاني الروية والتفكير

ونحن نعلم ان الامة العربية في جاهليتها لم تكن قط آمنة ولا وادعة ؛ كما انها لم تكن قط باحثة ولا مفكرة [1] . فليس من الميسور ان تكون كاتبة او ناثرة

(١) انما نريد بالبحث والتفكير هذا النوع من الحركة العقلية الذي عماده العلم والحضارة والرقي المادي عند العرب وغيرهم من الامم . [illegible] الحركة [illegible] [illegible] وبين الحاضر والبادي في كل [illegible]

والتاريخ نفسه يدلنا على ان عهد الامة العربية بالكتابة انما هو متصل بظهور الاسلام وانتشاره . فليس من الحق ان يقول قائل ان الامة العربية كانت في جاهليتها كاتبة ، لان حرب بن أمية تعلّم الكتابة من اهل الحيرة ، او لان الخط المسند كان متوارثاً في بعض الاسر باليمن . وانما هذه كتابة افراد لا كتابة شعوب

ليست هذه الخصلة غريبة في حياة الآداب ، ولا مقصورة على حياة العرب خاصة . فان اليونان والرومان على ما يحدثنا به تاريخ آدابهم لم يعرفوا النثر الرائع ولا الخطابة التي يصح أن نسميها بهذا الاسم الا بعد ان وفر عليهم حظهم من الحضارة ورقي الحياة العلمية

فما كان ديموستين[1] ولاشيشيرون[2] الا ابني الحضارة قد ازهر غرسها واينع ثمرها

وماكان نبوغ علي — رضي الله عنه — وزياد والحجاج في الخطابة الا بعد ان احرز العرب من الحضارة حظاً يتفاوت قوة وضعفاً ويختلف قلة وكثرة[3] بمقدار ما بين عصوره من التفاوت والاختلاف

كذلك لم يورثنا العرب من آثار الحضارة المادية شيئاً يصح ان نعتمد عليه في فهم حياتهم النفسية اللهم الا ما كان من هذه الآثار القليلة يراها السائح اذا جاب اقطار الحجاز واليمن كسد مأرب باليمن ومنازل ثمود بين الحجاز والشام

وهذه الآثار على قلة[4] ما ورثنا من الخبر عنها والاثر الذي يبين مصدر اقامتها لا تكفي عنواناً لحياة أمة ذات حظ موفور من الحضارة ، ولا تصلح مادة لدرس هذه الحياة

فكثيراً ما بادت الامم من غير ان تترك من آثارها المكتوبة شيئاً يمثل حضارتها تمثيلاً صحيحاً ولكنها تركت من الآثار ما اتاح للاثريين ان يصوروا من حياتها المدنية

(١) اشهر خطيب يوناني بل اشهر خطيب في العالم كله الى الآن عاش في القرن الرابع قبل المسيح وعاصر الاسكندر واباه وكان لهما عدواً وهذه العداوة هي سبب نبوغه

(٢) اشهر خطيب روماني عاش في القرن الاول قبل المسيح وكانت الفتنة الرومانية التي أسقطت الجمهورية وأقامت الامبراطورية هي سبب نبوغه

(٣) التوفيق بين هذه النظرية وبين حياة الخطابة عند العرب تحتاج الى كلام كثير ليس هذا موضعه فقد يظن الباحث ان رقي الحضارة العربية قد واد الخطابة . وليس هذا من الحق في شيء فان رقي الخطابة الآن في اوربا يثبت بطلانه اثباتاً لا شك فيه وانما لموت الخطابة عند العرب ايام العباسيين اسباب اخرى

(٤) استكشف المستشرقون على هذه الآثار أنواعاً من الخط المسند والثمودي والنبطي ولكن هذه الكتابات لا تفيد شيئاً في تاريخ هذه الآثار نفسها وانما تفيد في تاريخ الذين كتبوها لان هذه الامم قد نشأت بعد اقامة هذه الآثار

والحضرية صورة يسهل اقتناع النفس واطمئنانها اليها (١)

اذاً فليس الى درس الحياة النفسية للعرب من سبيل الا درس ما ورثنا من الشعر

فهل نستطيع ان نكتفي بدرس هذا الشعر لفهم الامة العربية ولان نتخذ لها صورة واضحة جلية ؟

هذه مسألة لا يستطيع الاجابة عنها الا من اتقن الشعر الجاهلي وفهمه واحسن استنباط الصلة بينه وبين الحياة المادية للافراد والجماعات

ونحن نزعم انا قد وفقنا الى بعض ذلك ونزعم انا نستطيع ان نستنبط من الشعر الجاهلي للحياة المادية والعقلية عند الجاهليين صورة الا تكن واضحة الوضوح كله فهي منه على حظ غير قليل

* * *

درس هذا التراث القديم واستنباط الصورة الواضحة منه للامة العربية امر ليس اليه من سبيل حتى تثبت صحة النسبة بين هذا التراث وبين اصحابه وهو نوع من البحث يستتبع ضروباً كثيرة من العناء

فقد وصل الينا هذا التراث بطريق الرواية لا بطريق الكتابة . والرواية في نفسها مظنة الوان من الشك وضروب من الاختلاط ليس للباحث المحقق ان يغفل عنها . بل لا بد له من اصطناع الاناة والروية في نقدها وتمحيصها قبل ان يقبلها ويتخذها قضايا ومقدمات لما يريد ان يضع من الاحكام

ليس الشك في الرواية مقصوراً على ما ورثنا عن العرب ولسنا اول من شك فيما نقلت اليه الرواية من تراث . فسوء الظن بالرواية نتيجة لازمة لرقي البحث وملكة التحقيق العلمي ، ولما حدث في هذه العصور من استحالة الحياة العقلية الخالصة وشدة سلطانها على ملكات الانسان كافة . فاذا شككنا الان في قيمة الرواية لتراث العرب فقد شك الفرنجة قبلنا في قيمة الرواية لتراث الرومان واليونان . واصبح ما كان يعتقده مؤرخو هاتين الامتين حقاً لا شك فيه وان الصلة بينه وبين الحق لواهية وان السبب بينه وبين الصواب لمقطوع

---

(١) من هذه الامم امة الاترسك التي عاشت في ايطاليا وعاصرتها رومية وتغلبت عليها فان العلماء لم يستطيعوا الى الان ان يعرفوا لغتها ولكن تاريخها لهم واضح معروف بفضل ما تركوا من الاثار وما كتب عنهم معاصروهم الرومان

كانت روايات هيرودوتس [١] وتيتليف [٢] عند كاتبها حقاً صريحاً وما شك معاصروها في ان نصيبها من الصدق موفور فاصبحت هذه الروايات وان الحق منها ليحصيه العد ويتناوله الحصر

عدم شيوع الكتابة هو العلة الاولى في ذلك ولكن للشك في الرواية العربية عللاً خاصة لا بد من الاشارة اليها أخصها ظهور الاسلام فانه أنتج أمرين لم يكن للعرب عنهما مندوحة

الاول الفتوح وما استتبع من موت كثير من الرواة وذهاب كثير من الرواية على أثر ذلك

ولعل هؤلاء الرواة لو لم يعاجلهم الموت لأدوا الينا ما يزيد حظنا من هذا التراث الادبي الذي تركه لنا الجاهليون

فلم يكن كل شاعرٍ جاهلي موفقاً الى الشهرة وبعد الصيت بحيث تصبح قصائده حظاً شائعاً في القبائل يرويها من عرف الشاعر ومن جهله . بل كان منهم الخامل الذي لم يرفعه حسبه الى حيث يناصي كبار الشعراء . وكان منهم من بغضت قبيلته الى العرب فاصابه ما أصاب قبيلته فلم يحفل به الرواة . وانما كان له راوية خاص يروي عنه شعره ويحفظ عنه ما نظم من قصيد . ولعل هذا الراوية قد هلك في ما كان من حروب الردة والفتح والفتن قبل ان يتمكن من ان يورث ما روى وينقل الى الناس ما حفظ

ومن هنا يجب الشك فيما يروي صاحب الاغاني وغيره من ان هذا الشاعر قد كان مقلاً . فلعل الشاعر في نفسه لم يقل وأنما أقل الرواة عنه

انظر الى الحارث بن حلزة ذلك الذي ارتجل — فيما يقول الرواة — معلقته المشهورة بين يدي ملك الحيرة : أفترى ان هذا الشاعر تسعده بديهته باكثر من مائة بيت في نفس واحد غير منقطع ولا مختلج قد كان من طبيعته الاقلال ؟

وكذلك خصمه عمرو بن كلثوم : أليس ما أصاب بكراً وتغلب في الجاهلية والاسلام

(١) اول مؤرخ يوناني بل اول مؤرخ في العالم كله عاش في القرن الخامس قبل المسيح ووعته الحروب اليونانية الفارسية الى ان يضع كتابه في تاريخ اليونان والفرس لاسيما ما يتعلق منها بهذه الحروب وحرصه على التحقيق لم يستطع ان يضع كتابه حتى ارتحل الى البلاد الشرقية فزار ممالكها كافة

(٢) مؤرخ روماني وثني عاش في عصر الامبراطورية في القرن الاول والثاني للمسيح ومؤرخو الادب اللاتيني يضيفون اليه حياة التاريخ عند الرومان . وضع كتابه في نيف واربعين جزءاً فيه تاريخ الرومان وفصلاً يتوسع حتى فتح روما لبلاد اليونان وبلاد قرطاجنة

من الخطوب هو الذي ذهب بما ترك هذان الشاعران ؟ ؟

مثل هذين الشاعرين كثير ولقد يأخذنا الدهش حين نقرأ هذه القصائد المعدودة التي تركها علقمة الفحل وعبيد بن الابرص وشيبه بن البرصاء وغيرهم من الشعراء فنرى لهم الطباع الخصبة والخواطر الفياضة والنفوس الحساسة لا تستطيع ان تخفي حسها من غير ان تعلنه في غناء القريض ثم لا نرى لهم من الشعر الا الشيء القليل

الامر الثاني ما أحدث الدين في نفوس بعض الناس من أثر الصلاح والورع او ما يشبههما ذلك الاثر الذي حملهم على أن يرووا لبعض الشعراء وعلى أن يرووا لبعضهم ما لم يقل حرصاً على ارضاء عاطفتهم الدينية ، حين ظنوا ان في رواية رفث الجاهلية ولغوها أثماً ، وحين ظنوا انهم ان نحلوا شعراء الجاهلية ما فيه للتوحيد ظل وللنبوة خيال فقد نصروا الدين وأيدوه ، واعانوا الاسلام ووازروه وذلك فيما يروى الرواة عن أمية ابن ابي الصلت وفيما يتحدث به القصاص من شعر الجن والهواتف ابان النبوة والهجرة وفي مقتل سعد بن عبادة وعمر بن الخطاب ما يدلك دليلا لا شك فيه على ان الادب الجاهلي خاصة والعربي عامة قد منى بطائفة من الكذبة والوضاعين شوهوا خلقه كما ان السنة المطهرة لم تسلم من امثالهم

وعلة ثانية لا سبيل الى اغفالها وهي ما انتجت العصبية بين العدنانية والقحطانية ايام بني أمية من حرص كل قبيل من ان يعتز بحسبه ونسبه في الجاهلية وبعد اثره وصدق بلائه في الاسلام . فقد كان ذلك مصدر طائفة من الشعر رويت عن حمير وغيرهم من قبائل اليمن يشهد الذوق بانها محدثة متعملة . وان استكشاف التكلف فيها لا يحتاج من التعمق واعمال النظر الى شيء كثير

العلة الثالثة ان طائفة القصاص الذين كانوا يتخذون المساجد مجالس يقصون فيها على الناس ما فيه لنفوسهم تهذيب ، ولاخلاقهم اصلاح ، ولعقولهم رياضة وتفكهة قد كانوا ينتحلون من الشعر والنثر ما يرون فيه معيناً لهم وللخلفاء الذين ولوهم هذا الامر على ما يريدون (١)

فقد انتحل ابن اسحاق ووهب بن منبه والواقدي وغيرهم من الرواة شيئاً كثيراً من الشعر اضافوه الى الجاهليين والى الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ولم يكتفوا بذلك بل نحلوا عاداً وثمود وغيرهما من قبائل العرب البائدة من الشعر شيئاً غير قليل

(١) كان القصص منصباً رسمياً من مناصب الدولة ايام بني امية وصدراً من ايام بني العباس فاما ايام الخلفاء الراشدين فكان القصص مقصوراً على الجيوش الغازية في ميدان القتال وقد كان ابو سفيان بن حرب قاص الجيش الاسلامي في وقعة اليرموك مثلا

ثم ان المحققين من رواة اللغة والادب لم يغفلوا عن هؤلاء المنتحلين . فاشار اليهم ابن سلام في طبقاته . ونبه ابن هشام الحميري في سيرته على ما انتحل ابن اسحق من الشعر الذي نسبه الى الصحابة والجاهليين يشير الى ذلك في تلطف ورفق . ولكن هذا التنبه من الرواة المحققين لم يكن كافياً لاستخلاص الشعر الصريح ذي النسب الواضح الى الجاهليين لعلل لا نعرض لها الآن

فاذا اضفت الى هذه العلل السابقة علة اشترك فيها العرب والرومان معاً عرفت مقدار ما ينبغي احتماله من العناء في تحقيق الروايات للشعر الجاهلي

هذه العلة هي اختلاط العرب بعد الفتح بامم كانت أرقى منهم حضارة وأزهى منهم مدنية وأثبت منهم في العمران قدماً

تلك الامم اضطرت بعد الفتح الى ان تملق العرب وتتلطف لهم وتسعى ما استطاعت في نيل الحظوة لديهم فسلكت الى ذلك سبلاً كثيرة منها انتحال الرواية عن مجد العرب وعزهم القديم في قوة السيف واللسان معاً

ومثل هذا قد بلا الرومان حين مكنهم الفتح من بلاد اليونان فاسروا منهم العدد الكثير واتخذوا هؤلاء الاسرى — كما كان يتخذ العرب أسرى الفرس — مؤدبين لابنائهم ومنظمين لدواوينهم العامة والخاصة

فما اسرع ما انتحل اليونان للرومان من القصص والاساطير مجداً أثيلاً وعزاً تليداً وشعراً طريفاً ونثراً رائعاً حتى قال هوراس الشاعر الروماني : ان رومية قد فتحت اليونان بالسيف ولكن اليونان قد فتحوا رومية بقوة العقل

وذلك نفسه هو الذي كان من الفرس حين اشتد اختلاطهم بالعرب أيام بني أمية وعلى نحو خاص أيام بني العباس

من هذا كله يظهر ما يحيط بالرواية الجاهلية من الشك والريب وان من الغفلة ان يتناول الباحث المحدث كل ما ورد في كتب الاقدمين على انه حق لا شك فيه فيبحث عنه ويستنبط منه ويشيد عليه من العلم قصوراً هي في نفس الامر أوهى وأوهن من نسج العنكبوت

فاذا احتاط الباحث كل الاحتياط في التثبت من رواية الشعر الجاهلي ووصل بعد هذا الاحتياط الى ما يعتقد او يرجح انه شعر جاهلي صحيح فقد فرغ من التمهيد الذي لا بد منه

وهنا يجب ان يشرع في درس هذا الشعر نفسه فكيف السبيل الى هذا الدرس ؟

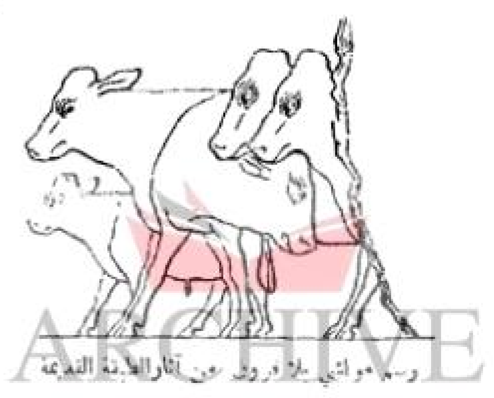
محمد حسن نائل المرصفي

تربية المواشي والطيور

عند المصريين القدماء (١)

يستدل من الرسوم التي وجدت في الآثار لا سيما مقابر الطبقة القديمة ان اعتناء قدماء وادي النيل بتربية المواشي لم يكن أقل من اهتمامهم بالشؤون الزراعية وذلك لمعرفتهم انها ضرورية للزراعة وانه بدونها لا يستطيع الفلاح ان يتم الاعمال اليومية المطلوبة منه

واذا اردنا ان نعرف السبب الحقيقي لاعتنائهم بتربية الحيوانات على اختلاف انواعها وجب علينا اولاً ان نبحث بحثاً دقيقاً في اصول الديانة المصرية القديمة لانها بالرغم مما



رسم مواشي [illegible] من آثار الطبقة القديمة

تحويه من الخرافات التي لا يقبلها العقل تشمل كثيراً من الحقائق التي لا يمكن معرفتها الا بواسطتها

فالديانة المصرية القديمة اساسها عبادة الله سبحانه وتعالى في صورة تقربه من اذهان الناس وخصوصاً فئة العامة التي لا يمكنها ان تفهم الاسرار الدينية والشروح اللاهوتية الفلسفية . مثال ذلك الشمس والبقرة هاتور والعجل أبيس ونهر النيل والزراعة الخ.

وقد كان في الاصل لكل بلد ولكل قبيلة إله خاص ثم لما تكونت المملكة المصرية وانضمت كلها تحت لواء واحد ضمت هذه الآلهة بعضها الى بعض واضيفت اليها على توالي الايام سلسلة الملوك الذين كانوا يتألهون بمجرد انتقالهم من هذا العالم الفاني الى عالم البقاء والخلود حتى صارت مصر أشبه شيء بهيكل كبير يمتد من سايس شمالاً الى اسوان

(١) عن كتاب ظهر حديثاً لشكري افندي صادق اسمه «الزراعة القديمة المصرية»

جنوباً وفيه الوف من المقاصير المحتوية كل مقصورة منها على إله له كهنة واتباع واوقاف واعياد وطقوس دينية خاصة وهلمّ جرّاً

وانما نظرة في ذلك البنثيون Pantheon (أي مجموعة الالهة المصرية) ترينا لأول وهلة ان المصريين كانوا في اختيار آلهتهم ينتخبون قوة نافعة أو عظيمة ويصورونها في شكل قريب من هيئتها الحقيقية أو رمز خاص بها أو أي شيء يكون له بها علاقة . مثال ذلك « فتاح » الواهب لرع سر الحياة ووالد جميع الالهة والبشر فقد صوّروه بشكل انسان مقمّط واقف مغطّى الرأس وماسك بيده صولجاناً كبيراً يمثل الحياة والقوة والخلود . والشمس فقد عبدوها باسم « رع » وصوروه بشكل انسان له رأس نسر يحيط بها صلّ وعلى رأسه قرص الشمس وفي احدى يديه صولجان يمثل القوة والحكم وفي الاخرى مفتاح يرمز به الى الحياة والخلود . والعلم والحكمة فقد عبدوها باسم « توت »



رجل يعلف ماشية

أو « تحوت » ورسموه بجملة اشكال منها شكل قرد للدلالة على النباهة والذكاء . والشرائع والقوانين فقد عبدوها باسم « ماعت » وصوروها بشكل امرأة على رأسها ريشة العدل وفي احدى يديها صولجان السلام . والنيل فقد عبدوه باسم « حبي » ورسموه بشكل انسان ممتلئ الجسم يحمل فوق رأسه ازهاراً جميلة . . الخ . والصيد فقد عبدوه باسم « نيث » ورسموه بصورة امرأة ماسكة بيديها قوساً ونشاباً

والجدول الشامل لاسماء الآلهة كبير جداً وحسبنا القول بانه كان حاوياً لجميع الملوك الذين حكموا مصر من يوم توحيدها الى يوم فقد حريتها وضياع استقلالها . ومن هذا يرى ان الديانة المصرية لم تكن في الحقيقة الا ديانة توحيد بالرغم عن تعدد الصور والاسماء . ولسنا نقول هذا القول جزافاً أو من دون ان يكون لدينا برهان على صحته لأن في اناشيدهم الدينية نفسها اقوالا صريحة لا تدع مجالاً للشك . منها : (ضمن نشيد للإله رع) « أنت الاله الواحد الذي وجد منذ الخليقة » و « أنت الواحد الأحد »

و (ضمن نشيد لأمون رع) « أيها الواحد خالق كل شيء . الاحد موجد الكائنات » و « يا كبير الآلهة الواحد الاحد الذي لا ثاني له » و « الملك الواحد بين الآلهة »

ومنها « هو الموجد لكل ما يكون اما ما لم يكن فهو في مكنون علمه » ومنها « الله معبود باسمه الأزلي خالق الارواح في الأشباح » ومنها « الأزلي الذي لا حدّ له » ومنها « لا تدركه الابصار سميع لمن يتضرّع اليه » . . الخ

وأنا ذاتياً أعتقد ان ما يمكن ان نجده من الخرافات في الديانة المصرية القديمة لم يوضع الا قصداً من أجل تقريب أصول الدين الى اذهان العامة . وهذه بالطبع سياسة من الكهنة الذين كانوا بحسب ناموس تنازع البقاء يبذلون كل ما في وسعهم للمحافظة على مراكزهم الدينية والاوقاف التابعة لهياكلهم

ومما تقدم يرى انهم اذا كانوا حقيقة عبدوا الحيوانات فانما عبدوها بالنسبة لكونها قوة نافعة . ويا ليت شعري أي شيء في بلاد زراعية كمصر انفع من حيوانات الزراعة — بغض النظر عن بقية الحيوانات ! !

أجل ! عبدوها ليمنعوا الناس عن ذبحها . . عبدوها حتى لا ينقرض من البلاد نوعها . . عبدوها حتى يؤثروا بعبادتها على أذهان العامة وهي كما نعلم لا تتأثر بسهولة الا من طريق الدين

ورب معترض يقول ان بعض الحيوانات الاهلية مثل الخنزير لم تكن صالحة للزراعة ومع ذلك كان الكهنة يحظرون على الناس ذبحها وأكلها فلماذا ؟

أما الجواب على ذلك فهو ان أكل لحم الخنزير مضر بالصحة وانهم اذا قالوا هذا القول للعامة فقد لا تصدقهم وتذبحه وتأكله بالرغم من ارشاداتهم ولذا جعلوا التحريم من الوجهة الدينية

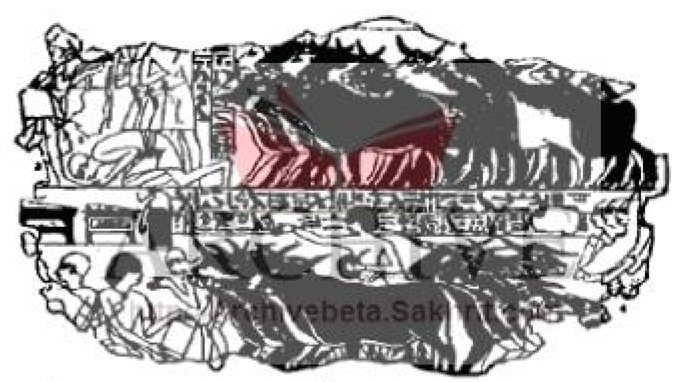
وما قلناه عن الحيوانات نقوله ايضاً عن الطيور لان أغلبها مثل أبي قردان يأكل الديدان المتلفة للزرع ولذا حرّموا اكل لحم الكثير منها بدعوى انها طيور مقدسة لا يجوز صيدها واكل لحمها

وبالطبع ما لم يكن من حيوانات الزراعة وطيورها مقدساً وكان معتنى به فسبب الاعتناء به هو ان نفعه واضح كالشمس في رابعة النهار ولذا لا يحتاج الى تذكير أو تحذير من رجال الدين

ولقد كان أحب الحيوانات الى المصريين الثيران والابقار ولا تخلو مقبرة من مقابر الطبقة القديمة من رسم راع يسوق ثيرانه أو يمشي بها في المستنقعات أو يعلفها أو يحلب ألبانها

وكانوا يعتنون كثيراً بتربية الخيل — وتسمى باللغة المصرية القديمة سمسم أو سمس — لاستعمالها في النقل والحرب والزراعة ولذا كانوا ينشئون لها اسطبلات منظمة ويخصصون لها الخدم . وقد ذكر بلوتارك Plutarch المؤرخ أن المصريين كانوا يعرفون الخيل من عصر معبوداتهم لان هوروس سأل مرة أباه عن انفع الحيوانات للحرب فقال له الخيل التي يلحق الانسان بها عدوه فيقتله . وانما مع وجود هذه العبارة لم يرَ للخيل أثر الا في ايام الاسرة الثامنة عشرة

وقد ذكر شاباس Chabas ان المصريين القدماء لم يستخدموا الخيل الا قبل الميلاد بنحو ١٦٠٠ عام ولكن يستدل من الآثار على انها استعملت في ايام العائلة الثامنة عشرة ويظن انها دخلت مصر مع الرعاة عند ما أغاروا عليها . وكان للجياد المصرية شهرة عظيمة عند سائر الامم المعاصرة لقدماء وادي النيل فقد ذكر في التوراة أن سيدنا سليمان



عيشة الرعاة في المستنقعات — نقلاً عن رسم في احد اهرام صقارة

عليه السلام كان يشتري الخيل التي تلزمه من مصر بمائة وخمسين شاقلاً فضة الجواد الواحد وذلك من جماعة التجار الذين يتنقلون بين مصر والشام

اما الجمال وتسمى باللغة القديمة المصرية «كمو» و «كملي» فقد قال عنها العالم شاباس انها كانت مجهولة عند المصريين في الطبقة القديمة وأنها لم تعرف الا في ايام الطبقة الوسطى بدليل ما جاء في التوراة بسفر الخروج وهو ان من ضمن الهدايا التي قدّمها فرعون لسيدنا ابراهيم عليه السلام الجمال . وذكر ايضاً في سفر التكوين أن ثروة سيدنا يعقوب عليه السلام كانت جمالاً وحميراً . وقد ذكر الجمل في بعض القراطيس البردية منها قرطاس لانسطاسي وآخر معروف باسم قرطاس بولونيا . وكانت الابل مستعملة عند المصريين للنقل وحمل الاثقال

اما الحمير وتسمى عند المصريين القدماء «عاو» فكانت كثيرة عندهم وكانوا يستعملونها

للنقل والدراس وما شاكل ذلك

أما الخنازير وتسمى عند المصريين القدماء « ررت » فقد قلنا أنها كانت تعدّ نجسة ولكن بالرغم من ذلك كان يقدّم المصريون هذا الحيوان النجس قرباناً في ظروف خاصة ويأكلون لحمه مرة واحدة في العام

ولقد كان عند المصريين سلخانات خاصة لذبح المواشي وسلخ جلودها بدليل وجود لفظة « سـخـو » المصرية عندهم (أي بيت السلخ) فضلاً عن عبارة صريحة وجدت ضمن اقوال رمسيس الثاني التي عثروا عليها بين نقوش آثار العرابة المدفونة وهي : « أنا ذبحت من اجلك ثيراناً في قاعة القربان وثيراناً وعجولاً في بيت السلخ »

وليس الكشف على الحيوانات ومعرفة الصحيح منها والعليل من مبتدعات هذا العصر بل هو قديم جداً وتكلم عليه هيرودوتس في تاريخه قال :



الرعاة يقدمون حساباً عما في عهدتهم من المواشي

« يعتقد المصريون ان الثيران طاهرة ومرصودة على الاله باخوس ولهذا السبب كانوا يفحصونها فحصاً دقيقاً بأن كانوا يعينون كاهناً مخصوصاً لهذا الفحص فاذا وجد في الثور شعرة واحدة سوداء عده نجساً . وعليه ان يراه ويفحصه واقفاً على ارجله ونائماً على ظهره ثم يخرج لسانه ليرى هل هو خال من العلامات المذكورة في الكتب المقدسة وهل شعر ذنبه كما يجب ان يكون طبيعياً فاذا كان خالياً من كل محذور أعلنت طهارته وعلامتها أن يربط الكاهن حول قرنيه حبلا من لحاء البردي ثم يضع عليه طين الختم ويختمه بخاتمه ثم يمضي به الى المذبح . ولم يكن مباحاً التقرب بثور ليس عليه هذه السمة ومن خالف الامر أستحق العقاب »

وقد اختص بعض الفلاحين بدرس امراض الحيوانات وكانوا يدعون لفحصها ووصف العلاج لها عند الحاجة . وكانوا يسقونها الدواء بايديهم . والظاهر ان راعي الغنم الاسرائيلي كان مشهوراً بمهارته في ملاحظة المواشي وتربيتها حتى أن فرعون أمر سيدنا يوسف عليه السلام بمجرد وصول اخوته الى ارض مصر بأن ينتخب منهم من يصلحون لملاحظة مواشيه ويعينهم نظاراً ازرايه

ويشاهد في الآثار ان الفلاح او الراعي الذي كان يهمل في ملاحظة مواشيه يجلد على ظهره بأمر سيده حتى لا يهمل في ملاظتها مرة أخرى

ولقد استدلوا على نبوغ المصريين في علم طب الحيوان من ان العالم كوفيه Cuvier وقد وجد مرة عظمة كتف « أيبس » محنط مشجوجة ومجبورة وقد تكلم ديودوروس على هذه المسئلة فقال « ان مهارة المصريين في تربية المواشي هي نتيجة اختبار ورثوه عن آبائهم واجدادهم ولكنهم رقوا العلم بالتفاتهم وشدة اهتمامهم به لان حياتهم كلها كانت مخصصة لهذا الغرض . على ان الارشادات العظيمة التي وصلت اليهم في موضوع الطرق النافعة لمعالجة المواشي وهي مريضة والغذاء اللازم لها في الصحة والمرض لم يوصلهم لمعرفتها التمرين وحده بل المنافسة التي وجدت بينهم وبين سائر الامم »

شكري صادق



اقوال مأثورة

الفساد اسرع انتشاراً بين الامم المحافظة على طهارتها وبكورتها مما بين الامم التي تأصل فيها الفساد (شاتوبريان)

الفكرة الصحيحة لما تجد سبيلها الى العقل تضيء اموراً كثيرة كانت مظلمة فيه (شاتوبريان)

اذا قيل لك شراً عن احدهم وقيل ان الناس متفقون على ذلك فلا تصدق . اما اذا قيل لك عنه خيراً وقيل ان الناس متفقون على ذلك فصدق (شاتوبريان)

ما التاريخ الا مقبرة وأي مقبرة !

لست اخشى ان اموت وانا اخشى ان ازول (مونتين)

الموت كالشمس لا تستطيع ان تثبت نظرك فيه (لاروشفوكو)

الموت جميل فهو صديقنا الحقيقي الا انه يظهر لنا ملتثماً بلثام مخيف مفزع يجعل الناس الموتى موضوعاً لانقباض الاحياء وحزنهم (ديدرو)

شكسبير

في عصر اليزابث وفي هذا العصر

شكسبير ابن كل العصور فهو لا يزال يحرك عواطفنا ويطرب نفوسنا على رغم مرور مئات السنين لان افكاره وتصاويره خالدة تنطبق على كل زمان ومكان . وستظل عبقريته حية جديدة الى ما شاء الله

من أقوال أحد المعجبين بشكسبير « ان الكتاب المقدس وآثار شكسبير كانت أقوى العوامل الادبية التي أثرت في التاريخ » . وسواء سلمنا بهذا الرأي أو رأينا فيه مغالاة فما لا ريب فيه ان شكسبير هو باعتراف جميع الامم المتمدينة رب الروايات التمثيلية الذي لا يجارى . فلا غرابة اذا افتخرت الامة الانكليزية بهذا العبقري الفريد واحتفلت (في ٢٣ ابريل الماضي) بمرور ثلاثمئة سنة على وفاته (١٦١٦) وجدير بها ان تفتخر وتحتفل اكثر مما فعلت — بل حقيق بالعالم أجمع ان يشاركها في هذا التذكار لان الميراث الذي خلفه شكسبير هو ملك لكل زمن ومكان

شكسبير في هذا العصر

ولكي يعلم القارئ تأثير شكسبير الحي في هذا العصر نعرض عليه ارقاماً بليغة لا يبقى معها ريب في مكانة ذلك الرجل المترافعة من جيل الى جيل :

خلف عصر اليزابث الذهبي نحو ١٥٠٠ رواية تمثيلية ولكن روايات شكسبير هي الخليقة بالحفاوة من بينها وهي لا تزال تمثل الى اليوم . فمن ٣٦ رواية على الاقل من الروايات المنسوبة اليه وعددها ٣٧ تمثل على مراسح العالم كأنها بنت هذا العصر

بل ان الروايات الحديثة تغبط روايات شكسبير بقبال الجمهور عليها . فقد حسبوا ان رواية « تاجر البندقية » قد مثلت ما ينيف على ١٠٠٠٠٠ مرة ويقدر الداخل منها بسبعة ملايين جنيه ان لم يكن اكثر

وقد ذكر السر هنري ارفنج الممثل الانكليزي الشهير انه مثل رواية هملت

في سنة واحدة مئتي مرة متابعة ورواية « تاجر البندقية » ٢٥٠ مرة متواصلة ، وكذلك سائر الروايات الاخرى

ويؤثر عن ادوين بوث الممثل الشهير (المتوفي) انه ربح مبالغ عظيمة من تمثيله ١١ رواية لشكسبير و ٥ لغيره فقط . وعلى انه خسر خسارات كبيرة وأسرف في ماله فقد ترك عند موته ١٢١٠٠٠ جنيه

ومما يدل على اقبال الجمهور على شكسبير ان ملعب ليسيوم (وثلث الروايات التي يمثلها من روايات شكسبير) كان دخله الكلي بين سنة ١٨٧٨ وسنة ١٩٠٥ نحو ٢١٠٠٠٠٠ جنيه ! فتأمل !



وليم شكسبير

بل انظر الى ما كتب عن شكسبير ومؤلفاته تعرف ما له من المقام الحي بين جميع الامم . فالطبعة الحديثة من الانسيكلوبيديا بريتانيكا قد وقفت ٥٠ عموداً مطبوعاً بحرف رفيع وحجم كبير على شكسبير . وفي « كتالوج الولايات المتحدة » ترى المؤلفات المتعلقة بشكسبير تستغرق ٣٥ عموداً بمعدل ٥٠ كتاباً في العمود . وليس في الولايات المتحدة وحدها اليوم أقل من ١٣٠ طبعة مختلفة لمؤلفات شكسبير الكاملة فضلاً عن المختصرات والمقتطفات الكثيرة

ويعلم القارئ ان هذا الاقبال ليس قاصراً على الشعب الانكليزي فقد ترجم شكسبير الى أهم لغات العالم ولقد ترجم بعضها مرات عديدة (كما في الفرنسوية) . وفي مقدمة الشعوب التي اهتمت بشكسبير الالمان فانهم كتبوا عنه الكتب الكثيرة . وفي

سنة ١٩١١ فقط مثلت رواية « اوتلو » ١٥٨ مرة . وقد سعى بعض كتابهم ان يبرهنوا على ان شكسبير الماني الاصل !

هذا فضلاً عن درسه في المدارس فانك لا تجد مدرسة راقية في العالم الا ودرس شكسبير داخل في برنامجها

ثم ان شكسبير قد اوحى الى ارباب الفنون الجميلة تمثيل الاشخاص والمواقف التي صورها فقد اقتبس نفر من اكابر المصورين والنحاتين مناظر مختلفة من رواياته ، واهتم كبار المؤلفين الموسيقيين في وضع الحان لرواياته منهم روسيني وشوبرت ومندلسوهن وشومن وفردي وسان سنس

وقد نشرت مجلة المجلات الانكليزية منذ سنوات بضعاً وعشرين قائمة عن اشهر مشهوري رجال التاريخ اختارهم بعض الكتاب . وجملة من جاء ذكرهم فيها من العظماء ١٥٠ رجلاً نال شكسبير بينهم المقام الاول (٢١ صوتاً) وكان الثاني كولمبوس (١٦) فيوليوس قيصر الخ

ولشكسبير تماثيل عديدة في اهم مدن العالم

حياته

لا نعلم عن حياة شكسبير الا القليل . فالذي نعلمه يقيناً هو انه الذكر الاول والولد الثالث من اولاد جون شكسبير احد سكان قرية ستراتفورد في مقاطعة واروبك بانكلترا وانه تعمد في ٢٦ ابريل سنة ١٥٦٤ وانه تزوج مضطراً انا هاثاوي في سنة ١٥٨٢ وكانت تكبره بثماني سنوات ، وان امرأته ولدت له ابنة (في مايو سنة ١٥٨٣) بعد زواجه باقل من ستة اشهر اسمها سوزانا ، ثم ولدت توأمين في يناير سنة ١٥٨٥ اولهما فتى اسمه همنت (توفي سنة ١٥٨٦) وثانيهما فتاة اسمها جوديث ، وانه ذهب الى لندن سنة ١٥٨٦ او ١٥٨٧ حيث مثل والف ثم رجع الى بلدته حوالي سنة ١٦١١ حيث قضى بقية حياته الى وفاته سنة ١٦١٦

هذا ما نعلمه يقيناً ولكن هناك معلومات اخرى كثيرة هي في حكم الراجح الذي يصح التعويل عليه استنبطها الباحثون من قرائن كثيرة ولاسيما كتاباته باعتبار ان

روح الكاتب تتجلى فيما يكتب . وبهذه الوسيلة تمكنوا من وصف نشوء شكسبير العقلي وتطوره . واليك خلاصة ما وصلوا اليه في هذا الصدد :

حداثته

ينتسب شكسبير الى اسرة من عامة انكلترا قوية البنية كثيرة النسل لم يتصف احد من افرادها بالنبوغ — واقصى ما بلغه والده جون شكسبير من المراتب الدنيوية انه عين محضراً في محكمة بلدته — وكان في بادئ امره قد جمع مبلغاً من المال عن طريق الاتجار بالصوف وغير ذلك ولكنه لم يلبث ان خسر كل ما امتلكه وفقد منزلته بين الناس . وكان لتأخر حاله تأثير عظيم في حياة ابنه ولم اذ اضطر الى اخراجه من المدرسة الابتدائية (التي تعلم فيها غير العلوم الاولية قليلاً من اللاتيني واليوناني) ليعينه في اعماله

وقد اتصف في حداثته الاولى على اثر خروجه من المدرسة بشيء من طيش الشباب وقد اضطره هذا الطيش الى ان يتزوج من آن هاثاوي التي كانت تكبره بثماني سنوات على اثر ضغط اهلها اذ كان قد استغواها والارجح ان ذلك القران تم على غير رضى والده . فلا غرابة اذا رأيناه فيما بعد منكداً في عيشته البيتية حتى نجد في رواياته عبارات كثيرة تبين خطأ الزواج الذي لم يتفق فيه الزوجان سناً . يدلك على ذلك ايضاً انه لم يهب امرأته في وصيته الا سريره الثاني في حين انه منح اهله واصدقاءه اشياء كثيرة ثمينة . ولكن لا يجب ان يبرح من ذهننا انه قد اصاب امرأته بمقتضى الشريعة ثلث عقاره وانها كانت في الستين من عمرها لما كتب شكسبير وصيته فالارجح انه عد ابنته البكر وزوجها اصلح للتصرف في متاع الدنيا . وقد اتهم في حداثته بالتعدي على املاك السر توماس لوسي احد اعيان بلدته للاصطياد فيها والظاهر ان هذه التهمة صحيحة وان الوجيه المذكور امسكه وسجنه من جراء ذلك . ويقال ايضاً انه كان من المغرمين بالكحول وانه كان عضواً في جمعية شبان يتباهى افرادها بالشرب ويتسابقون مع شبان القرية المجاورة لهم في هذا المضمار

في لندن

لم يوفق شكسبير في حياته البيتية واضطهد امام المحاكم بسبب اتهامه في الصيد فالتمس الفرج في وسط غير وسط بلدته فذهب الى لندن وتدرج في جميع الوظائف المتعلقة

بالتمثيل مبتدئاً من ادناها الى اعلاها وقد كان في جميع اطواره مثال الحذاقة والمهارة . قيل ان اول وظيفة تولاها كانت حراسة الخيل لاصحابها على باب الملعب ثم وكل اليه بنداء الممثلين ثم اصبح ممثلاً فؤلفاً قديراً

اما مؤلف الروايات في ذلك الحين فلم يكن ينال الا شيئاً يسيراً عن تأليفه — فكانت اجرة الرواية الواحدة تتراوح بين ٤ جنيهات و ١١ جنيهاً (وهذا المبلغ يعادل في هذا العصر ثمانية اضعافه) . ولذا رأينا شكسبير يؤثر الاهتمام بادارة الملعب على تأليف الروايات التمثيلية لانها كانت اجزل اجراً . فانضم شريكاً الى افضل ملعب في ذلك الحين وهو ملعب الغلوب . وعلى رغم ان تأليف الروايات التمثيلية اذ ذاك قليل المكافأة فان شكسبير اضطر الى تأليف رواياته وتمثيلها حتى يقبل الناس على ملعبه . فكان معدّل تأليفه روايتين في السنة . ولا يخفى ان اعظم مؤلفي الروايات الحديثين الذين تركوا روايات تستحق الذكر لم تكن تستغرق الرواية من رواياتهم اقل من سنة ونصف او سنة على اقل تقدير ، فضلاً عن اهتمام شكسبير بمسائل شتى كالادارة والتمثيل والطواف بجوقته وغير ذلك . فيظهر لنا مما ذكرناه مقدرة ذلك الرجل الغريبة وسرعة ذهنه الوقاد

والغريب في حياة شكسبير كلها انه لم يشعر في اثناء تأليفه بتفوقه . و بعبقريته فتراه لم يكن يهتم قط بنشر رواياته في اثناء حياته (ولم يتولَّ بنفسه الاطبع كتابين ألفهما في شبابه وهما قصتان غراميتان منظومتان) . ذلك لانه لم يرد افشاء تلك الروايات حتى يمتاز بها الملعب الذي كان يديره خشية ان يمثلها ملعب آخر

والذي لا ريب فيه ان شكسبير كان تاجراً ماهراً يعرف كيف يكتسب المال . و يستدل من بعض الاوراق والارقام انه بعد اقامته في لندن عشر سنوات (اذ كان في الثلاثين من عمره) كان معدل ربحه السنوي من تمثيله وتأليفه وحصته في الملعب نحو ١٣٠ جنيهاً — اي ما يعادل اليوم الف جنيه على الاقل . و بلغ دخله فيما بعد اربعة اضعاف هذا المبلغ او خمسة . وكان يشتري بهذا المال عقاراً في لندن وفي بلدته وكثيراً ما اضطر الى الظهور امام المحاكم مدعياً او مدعى عليه

وقد كان يحب الظهور في اعين مواطنيه فسعى غير مرة للحصول على رتبة شرف

من كلية هرالد . وتم له ذلك بعد تكرار المساعي . ولما رجع الى بلدته ستراتفورد بعد تركه التمثيل سكن اجمل منزل فيها وعدّ شيخها وعمدتها

آثاره

يمكن تقسيم آثار شكسبير الى اربعة ادوار بالنظر الى قدمها

﴿ الدور الأول : ١٥٨٨ — ١٥٩٤ ﴾ بدأ شكسبير حياته الادبية بتحوير بعض الروايات القديمة واصدر قصتين منظومتين اسمهما « فينوس وادونيس » و « لوكريس » . ثم ألف رواياته الاولى وفيها تتجلى روح الشباب . فان تلك الروايات اشد رواياته غراماً وزهواً وهاهي (حسب ترتيب تمثيلها على ما هو مرجح عند الباحثين) :

تيتوس اندرونيكس . تعقد الحب ضائع . كوميدية الاغلاط . حلم ليلة صيف . سيدا فرونا . هنري السادس . روميو وجوليت . ريشارد الثاني . ريشارد الثالث

﴿ الدور الثاني : ١٥٩٥ — ١٦٠١ ﴾ تتراوح سن شكسبير في هذا الدور بين ٣٠ و ٣٥ سنة وهي سن النضوج العقلي ويتبين القارئ من تلاوة الروايات التي صدرت في هذا الدور ان المؤلف بدأ يشعر بكآبة وانقباض يتخللان كتابته . وهاك روايات هذا الدور

الملك جون . تاجر البندقية . تذليل الوقحة . هنري الرابع (قسمان) . نساء وندزر الفرحات . هنري الخامس . ضجة كبيرة من لاشيء . كما تشاء . الليلة الثانية عشرة . حسن كل ما انتهاؤه حسن

﴿ الدور الثالث : ١٦٠١ — ١٦٠٧ ﴾ هذا الدور يصح ان يسمى مظلماً رغم تقدم شكسبير في سبيل الاثراء المادي . فقد اشتدت عليه وطأة خيباته في مشاكله الغرامية وشعر بالظلم المستولي على العالم . وهذه الروح تتجلى في رواياته التي أصدرها وقتئذ وهي :

يوليوس قيصر . هملت . كيل بكيل . اوتلو . مكبث . الملك لير . ترويلس وكرسيدا . انطونيوس وكليوبطرا . كوريولانس . تيمون

﴿ الدور الاخير : الى وفاته سنة ١٦١٦ ﴾ في هذا الدور حقق شكسبير احلام حياته

برجوعه الى بلدته وتوطنها مرتاحاً مكرماً مبجلاً . ونرى في رواياته التي ألفها في هذا العهد أثر هذه الراحة والسكون . وهي :

بريكليس . العاصفة . سيمبلين . قصة الشتاء — وكان آخر عهده بالتأليف انه كتب بمساعدة فلتشر روايتي : النبيلان القسيبان ، وهنري الثامن (سنة ١٦١٢ — ١٦١٣) ثم انقطع عن الكتابة الى وفاته

عبقريته

يستخلص المطلع على آثار شكسبير ميزتين يصف بهما تلك الآثار : الغزارة والحرية . أما غزارته فمشهورة . فقد وصف الحياة في أدق مواقفها واحوالها بعد ان خبرها وعلم ظاهرها وخفيها وصور لنا أشخاصاً مختلفين متباينين تصويراً خالداً ينطبق على جميع العصور . وهذا سر اقبال الناس على مؤلفاته وان قدم العهد عليها

وأما حريته فلهـا لا تعرف حداً ولا قيداً لا في التركيب ولا في التعبير فقد جمع بين أسمى العواطف وادناها ولم يقف عن وصف أسفل الاخلاق وأغلظها . ان مؤلفاته منجم فيه أصناف متعددة متباينة : فقد وجدوا فيها نصائح أدبية كما وجدوا طرق صيد الاسماك — وفيها أيضاً يرى القارئ أشعاراً سامية تحرك النفس طرباً ويرى أيضاً مسبات وصلوات وأغاني حب ومقتل ومخاوف وحقد وبغض واقدام ويأس وود وكل عاطفة بشرية

وفي كل ذلك لا يتبع شكسبير قانوناً ولا يتقيد بقاعدة — لا بقواعد ارسطو (مرجع كل الفنون والعلوم وقتئذ) ولا بقواعد الذوق ولا بالقواعد التي وضعها أسلافه . فانه لا يرجع عن عبارة أو فقرة أو طريقة تساعده على بث الحياة والحركة في الاشخاص الذين يمثلهم . انه لا يقاوم القوانين عمداً وانما يتجاهلها . فاذا كان نسق الرواية يتفق مع القوانين كان به ، كما في رواية العاصفة فانه تقيد فيها بوحدة الزمن [١] بل انه جعل زمن الحوادث ثلاث ساعات فقط اي الزمن اللازم بالضبط لتمثيلها وهو بلا ريب اقرب تمثيل الى الحقيقة . ولكن اذا استغرقت روايته زمناً طويلاً فانه لا يتأخر عن فصل

(١) وهي من القواعد التي اهم الاقدمون في المحافظة عليها وتقضي بان لا يزيد زمن الحوادث التي يمثل عن ٢٤ ساعة

الحوادث بسنين عديدة ينتقل في اثنائها من قطر الى قطر . وقد بلغ من تجاهله القواعد المتعارفة انه — في احدى رواياته — جعل سفينة ترسو على ميناء في بوهيميا — وبوهيميا على ما هو معروف في داخل اوربا لا منفذ لها على البحر !

زد على ذلك انه لم يتخذ حادثاً محزناً على انفراد حتى يبني عليه مأساته ولم يصور شخصاً مضحكاً يدور حوله مدار الرواية كما يفعل متبعو الطريقة القديمة المعروفة بالكلاسيك classique بل انه مزج الحزن بالمضحك اقتداء بما يجري في الحياة الحقيقية فلها تجمع بين الانفعالات النفسية والاهواء والفضائل والرذائل والعيوب الخ . . . وبعبارة اخرى فانه لا يصف لنا من المنزل بهوه او اجمل غرفه بل انه يذهب الى مطبخه ومجمع اوساخه فيصف الجميع معاً

وجملة القول ان ميزات شكسبير عظيمة جداً كما ان زلاته عظيمة ايضاً . فهو كالنهر الزاخر الذي يجر معاً السفن والاوساخ والذي تدار بقوته المطاحن فتغذي الاهلين ثم يضيع في البحر الذي لا نهاية له

من قصيدة حافظ في ذكرى شكسبير

يحييك من ارض الكنانة شاعر	شغوف بقول العبقريين مغرم
ويطربه في يوم ذكراك ان مشت	اليك ملوك القول عرب واعجم
نظرت بعين الغيب في كل امة	وفي كل عصر ثم انشأت تحكم
فلم تخطئ المرمى ولا غرو ان دنت	لك الغاية القصوى فانك ملهم
فقم ساعة وانظر الى الخلق نظرة	تجدهم وان راق الطلاء هم هم
على ظهرها من شر اطماعهم دم	وفوق عباب البحر من صنعهم دم
تفانوا على دنيا تغر وباطل	يزول الى ان ضجت الارض منهم
فليتك تحيا يا ابا الشعر ساعة	لتنظر ما يصمي ويدمي ويؤلم
وقائع حرب اجج العلم نارها	فكاد بها عهد الحضارة يختم
وتعلم ان الطبع لا زال غالباً	سواء جهول القوم والمتعلم

وهاك ختام القصيدة :

فقل لبني التاميز والجمع حافل	به ينثر الدر الثمين وينظم
لئن كان في ضخم الاساطيل فخركم	لفخركم بالشاعر الفرد اعظم

وكلاء الدول

واجباتهم في السلم والحرب

كثر تحدث الصحف عن موقف وكلاء الدول المتحاربة لدى الدول المحايدة اثر حوادث ومشاكل مختلفة نشأت اثناء هذه الحرب من جراء سلوك وكلاء دولتي المانيا والنمسا في بعض الممالك المحايدة ولا سيما اميركا . واهم هذه الحوادث اربع نذكرها لا لاهميتها فقط بل لانها قد سويت بصورة نهائية فيصح ان تعد في القانون الدولي سوابق يمكن الرجوع اليها . ولا يخفى ان القانون الدولي كثير الاعتماد على الحوادث السابقة والاستشهاد بها . اما تلك الحوادث الاربع فهي :

اولا — حادثة سفير النمسا في اميركا الدكتور دمبا الذي طلبت حكومة الولايات المتحدة الى حكومة النمسا استدعاءه فنالت مطلوبها في سبتمبر سنة ١٩١٥

ثانياً - حادثة الكبتن بوي اد الملحق البحري الالماني والكبتن فون بابن الملحق العسكري الالماني اللذين طلبت حكومة الولايات المتحدة استدعاءهما الى المانيا فتم لها مرغوبها في ديسمبر سنة ١٩١٥

ثالثاً - القاء القبض على وكلاء قناصل المانيا والنمسا وبلغاريا وتركيا في سالونيك في يناير سنة ١٩١٦ بأمر السلطة العسكرية الفرنسوية الانكليزية

رابعاً — القاء القبض على وكلاء قناصل تلك الدول نفسها في جزيرتي متلين وساكس في ذلك الشهر ايضاً

وكان موضوع التهمة في الحادثتين الاوليين التحريض على ارتكاب بعض الجرائم والتآمر على مصالح الولايات المتحدة منعها من توريد المؤن والذخيرة الى دول الحلفاء. اما في الحادثتين الاخريين فقد كان التجسس هو الباعث على خطة السلطة العسكرية الفرنسوية الانكليزية

وقد نشأ فضلا عن الحوادث الاربع المتقدمة مشاكل اخرى كثيرة في الولايات المتحدة (اثر حركات الكونت برنستورف معتمد المانيا السياسي ورجاله) وفي رومانيا وايطاليا وبلاد الفرس والصين والمكسيك وغيرها من الدول بسبب تداخل عمال الحكومة الالمانية أو حليفاتها في شؤون تلك الدول الداخلية واعمال التجسس التي قاموا بها . فيجدر بنا ازاء هذه المشاكل الدولية ان نبحث في موقف الوكلاء السياسيين

والقناصل بمقتضى الاتفاقات وفي اختصاصهم وفي حقوق الدول والتدابير التي يجوز ان تتخذها عند خروجهم عن دائرة اختصاصهم

الفرق بين الوكلاء السياسيين والقناصل

بين الوكيل السياسي والقنصل فرق عظيم قلما يدركه القراء . ولعل بعض السبب في ذلك ان الفرق بينهما طفيف في البلاد الشرقية بسبب الامتيازات الاجنبية التي منحت القناصل حقوقاً وميزات لا تمنح لهم في البلاد الاخرى . اما في الاصل فان بين الفريقين فروقاً هامة لا يجوز ان تبرح من ذهن القارىء وهي :

ان لوظيفة الوكيل السياسي صبغة سياسية عامة . فهو يمثل دولته في الخارج وباسمها يتفاوض مع ممثلي الدول الاخرى في المسائل السياسية والاقتصادية التي تعرض للبحث . فالوكلاء السياسيون هم واسطة التفاهم بين الدول والسنة حكوماتها . ولهذه الوظيفة درجات تختلف اهميتها فلبعض الوكلاء صفة دائمة ولبعض الاخر صفة موقتة لحل مسألة او مسائل معينة . ونظراً لاهميتهم وتمثيلهم الدول التي ينتسبون اليها فانه يحتفل بهم عند توليهم مناصبهم احتفالاً رسمياً خاصاً تختلف رسومه باختلاف مقامهم وفي ذلك الاحتفال يقدم المعتمد الى الملك او رئيس الحكومة التي ينزل بينها كتاباً من رئيس حكومته يبين الصفة الرسمية المخولة له [1]

اما القناصل ووكلاء القناصل فوظيفتهم ادارية تجارية اكثر مما هي سياسية فعليهم قبل كل شيء ان يسهروا على مصالح رعايا الدولة التي يمثلونها في منطقة اختصاصهم . وتنحصر وظيفتهم في حماية الرعايا ومراقبة احوالهم فضلاً عن كونهم يقومون بوظائف المحاكم تجاه تابعيهم كالقضاء والتسجيل ونحو ذلك

ومما يبين الفرق بين الوكلاء السياسيين والقناصل انه ليس للدولة الواحدة الا وكيل سياسي واحد في كل من الدول الاخرى في حين انه قد يكون لها (وهو الغالب) عدة قناصل لكل منهم منطقة اختصاص لا يتعداها . وهؤلاء القناصل يرجعون عادة في المسائل الخطيرة التي تعرض لهم مع السلطة المحلية الى الوكيل السياسي الذي يمثل دولتهم . ثم ان تنصيب القناصل يختلف عن تنصيب الوكلاء السياسيين بخلوه من الصفة الرسمية : فان الدولة التي تبعث بهم الى دولة اخرى تكتفي برسالة تنبىء بتنصيبهم ترسلها عن يد وكيلها السياسي . ولا يخفى ان للدولة التي يقدم لها القنصل الحق في رفضه اذا كان عندها مانع . وعلى كل فلا بد من قرار رسمي بقبوله

(١) تكون الرسالة بامضاء وزير الخارجية اذا كان الوكيل السياسي من الدرجة الاخيرة

امتيازاتهم

على انه رغم تلك الفروق الجوهرية بين الوكلاء والقناصل فان للفريقين امتيازات مشتركة بينهما أهمها احترام شخصهم ودار وظيفتهم حتى لا يعوقهم مانع من تأدية واجباتهم نحو دولتهم ورعاياهم . ولكن هذا الاحترام يختلف درجة واتساعاً . فاحترام القناصل واجب فقط في أثناء قيامهم بوظيفتهم . أما الوكلاء السياسيون فان احترام شخصهم واجب في جميع الاحوال حتى ولو اقترفوا جناية فانه لا يمكن القبض عليهم . وهذا الامتياز يشمل أيضاً جميع افراد عائلتهم وحاشيتهم الرسمية وليس للدولة المقيمين فيها ان تناقشهم في شيء مهما يكن السبب . وغاية ما في استطاعتها مخابرة الدولة التي يمثلونها حتى تسترجعهم وتقاضيهم هي — اللهم الا اذا هددوا مباشرة الامن العام فيمكن اخراجهم بالقوة الجبرية

ثم انه لا يجوز انتهاك حرمة منازل الوكلاء السياسيين في أي حال من الاحوال . أما القناصل فان هذه الحرمة قاصرة على محفوظات القنصلية من مستندات وأوراق وغير ذلك . ولا تتعدى الى منازلهم الخاصة بسكناهم . ومن غرائب العادات المتعارفة بين الدول ان دار السفارة تعد كأنها قطعة من أرض الدولة التي يمثلها السفير أي كأنها بلاد أجنبية فلا يجوز دخولها عنوة حتى ولو ارتكبت فيها جناية

زد على ذلك انه لا يمكن طلب الوكيل السياسي للمحاكمة لا أمام المحاكم المدنية ولا المحاكم الجنائية وانه معفى من الضرائب وان له الحق في اقامة شعائره الدينية في معبد خاص تابع لوكالته . ومما يميز أيضاً الوكلاء السياسيين عن القناصل ان امتيازات الوكلاء متشابهة لدى جميع الدول . أما القناصل فان امتيازاتهم قابلة للزيادة والنقصان تبعاً لقوانين الدول الداخلية . الا انه يمكننا ان نستخلص من مجمل هذه القوانين قواعد عامة تشمل الجميع . فمن ذلك انه لا يجوز حبس القناصل حبساً احتياطياً الا في احوال استثنائية وانهم معفون من بعض الضرائب وانه لا يمكن حجز اوراقهم ومراسلاتهم (ما عدا اوراقهم الشخصية) وانهم غير مجبورين على الوقوف موقف الشهود

ونكرر هنا ما قلناه قبلاً من ان هذه الاحكام تختلف في البلاد الشرقية اذ ان للقناصل فيها نفس الامتيازات التي لوكلاء الدول تقريباً

واجباتهم نحو الدول التي يقيمون فيها

يرى القارئ مما تقدم أن للوكلاء السياسيين وللقناصل ميزات ذات شأن تخرج بهم عن سلطة الدول التي يقيمون فيها خروجاً تاماً . ولكن عليهم ازاءها واجبات ينبغي لهم

مراعاتها فان الحرمة القانونية المخولة لهم تفرض عليهم احترام الدولة التي يقيمون فيها احتراماً تاماً وعدم الخروج عن دائرة اعمالهم واختصاصهم . وقد اتفق جميع شارحي القانون الدولي في هذا الشأن . ولخص احدهم هذا الموضوع بقوله :

« اما واجبات الوكلاء السياسيين (والقناصل) ازاء الدولة التي يقيمون فيها فانها تلخص بقولنا انه لا ينبغي لهم ان يقولوا قولاً او يأتوا عملاً يمس بكرامة الدولة ومصالحها . فمن ذلك انه يجب عليهم تجنب الاخلال بقوانين الامن العام والابتعاد عن اي عمل تشم منه رائحة العدوان والا يشتركوا في اي مؤامرة او تحزب قد يأول الى اضطراب داخلي وعليهم ان يحترموا شعائر الامة وعقائدها وعاداتها والا يرشوا الموظفين للحصول على اوراق ومعلومات سرية الخ . . . »

فنرى من ذلك ان الحادثين الاولين كانا مخالفين للمتعارف بين الدول فلا عجب اذا اجيبت مطالب الحكومة الاميركية

التجسس

الا انه لا يخفى ان وظيفة وكلاء الدول مزدوجة فعليهم من جهة تنفيذ الاوامر والتعليمات الصادرة اليهم . ومن الجهة الاخرى ان يراقبوا البلاد التي بعثوا اليها ويرسلوا تقارير وافية عن احوالها . فمن هذا القبيل يطلب منهم ايقاف دولهم على احوال تلك البلاد من جميع الوجوه ولا سيما ما يهم حكوماتهم ومواطنيهم معرفته كحالتها الاقتصادية والعسكرية والبحرية والتجارية والصناعية وكل ما له مساس بمصالح اوطانهم . فيرى القارئ ان هذه الواجبات تقتضي في تأديتها دقة كبيرة حتى لا تمس كرامة الدولة التي يقيم فيها الوكيل او القنصل . فما هي الحدود التي يؤذن للوكيل السياسي (او القنصل) ان يبحث داخلها في احوال البلاد المقيم فيها ؟ ومتى يعد خارجاً عن اعمال وظيفته ؟

هذه هي المسائل الدقيقة التي تتطلب من الوكلاء السياسيين الحكمة وحسن التدبير . ولا يخفى ان التجسس ايضاً يقصد به الحصول على معلومات متعلقة بالقوة العسكرية والبحرية والذخائر والاستحكامات وغير ذلك . فما هي الطرق المشروعة للحصول على تلك الاخبار وما هي الطرق غير المشروعة ؟ هل يجوز للوكيل السياسي ان يرشو الموظفين لهذه الغاية ؟ وهل له ان يقوم بذاته بمثل هذا التحري (والقانون كما لا يخفى يحميه من سلطة البلاد التي هو فيها) ؟ قد حصلت مناقشات طويلة فيما مضى بشأن حدود واجبات السفراء والوكلاء ولكن الذي اجمع عليه الكتاب اليوم هو انه لا يعقل ان يؤذن للوكيل السياسي او القنصل باستعمال الحرية الممنوحة له ليأتي اعمالا عدائية

امثلة تاريخية

تلك هي القواعد المتعارفة بين الدول المتمدينة . والتاريخ يدلنا على أن تلك الدول مابرحت متمسكة بها لا تدع ممثلي الدول الاخرى يتعدون على كرامتها من غير المطالبة بحقها وطرد أولئك المتعدين من ارضها (اذ انه وان لم يكن للدولة حق محاكمة السفراء فان لها متى شعرت بتفاقم الخطر ان تخرجهم من املاكها جبراً)

ومن اشهر الامثلة التاريخية مؤامرة سفير فرنسا في لندن على كرومويل سنة ١٦٥٤ ، ومؤامرة سفير اسبانيا في باريس على وصي الملك سنة ١٧١٨ ، ومؤامرة سفير اسوج على جورج الاول ملك انكلترا سنة ١٨١٧ ، ومؤامرة سفير انكلترا في اسبانيا (هنري بلور الروائي الشهير) على الحكومة الاسبانية سنة ١٨٤٨

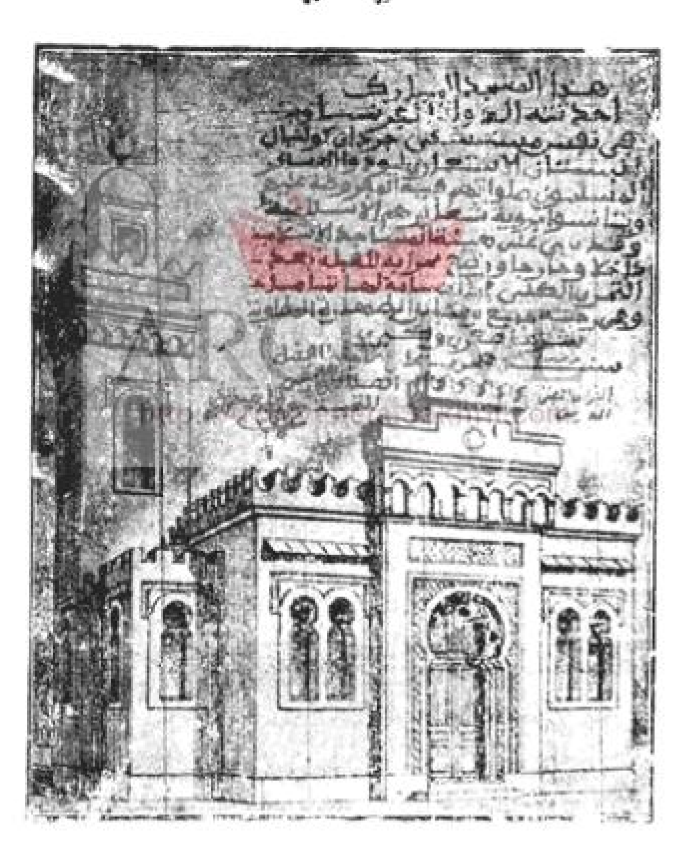
وهناك امثلة كثيرة على تعرض السفراء للشؤون الداخلية . واهم الخلافات التي قامت في هذا الباب وقعت بين سفراء البابا والحكومة الفرنسوية اذ كان اولئك السفراء يخابرون اساقفة فرنسا مباشرة والقانون الدولي كما لا يخفى لا يأذن لهم ان يفعلوا ذلك الا بوساطة وزارة الخارجية . وقد تشكت الحكومة الفرنسوية من هذا القبيل غير مرة . فمن ذلك ان سفير البابا في فرنسا ارسل منشوراً الى اساقفتها سنة ١٨٩٤ يرشدهم فيه الى الموقف الذي يجب ان يتخذوه ازاء قانون جديد كان قد صدر بشأن الكنائس واموالها فاحتج وزير خارجية فرنسا بحجة أن السفير تجاوز حدود اختصاصه . وفي سنة ١٩٠٦ ازدادت الحكومة الفرنسوية جرأة فطردت كاتم اسرار سفارة البابا لانه تداخل في شؤون فرنسا الداخلية كما استدلت من رسالات ارسلها الى بعض الاساقفة

وهناك امثلة كثيرة على طرد السفراء متى تجاوزوا حدودهم منها طرد السرهنري بلور سفير انكلترا في اسبانيا سنة ١٨٤٨ ، وطرد سفير انكلترا في الولايات المتحدة سنة ١٨٥٦ لانه قبل تطوع بعض الاميركيين في حرب القرم وهذا مخالف لقوانين الحياد ، واخراج سفير انكلترا ايضاً من الولايات المتحدة سنة ١٨٨٨ لانه بين في بعض الرسائل أمياله الشخصية بخصوص انتخاب رئيس الجمهورية

حوادث قناصل سالونيك ومتلين وصاكس

ان هذه الحوادث تمتاز عن جميع الحوادث السابقة بان السلطة التي امرت بطرد أولئك القناصل هي غير السلطة التي اعترفت بقبولهم . فان أولئك القناصل قدموا الى بلاد يونانية وقبلتهم فيها الحكومة اليونانية . ولهذا السبب قد احتجت اليونان على عمل

السلطة العسكرية الفرنسوية الانكليزية . ولكننا اذا نظرنا الى المسئلة نظراً دقيقاً ادركنا حرج مركز تلك السلطة فانها لو شكت الى الحكومة اليونانية سوء تصرف أولئك القناصل لاستغرقت المفاوضات بينها وبين حكومات المانيا والنمسا وتركيا وبلغاريا مدة طويلة ولا سيما اذا لم تختر الحكومة اليونانية طرد أولئك القناصل خوفاً من دولهم ولجأت الى المخابرات السياسية الطويلة . زد على ذلك أنه وان تكن سالونيك نفسها محايدة فانه قد ترتب على وجود جنود الحلفاء فيها — وعلى الاخص بعد القاء الطيارات الالمانية قنابلها على المدينة — انها أصبحت منطقة حربية للسلطة العسكرية فيها حق التصرف المطلق . ولذا تمكن الحلفاء من اعتبار أولئك القناصل اسرى حرب لقيامهم باعمال التجسس



الجامع الذي أنشأته الحكومة الفرنسوية في مستشفى نوجان سور مارن ليتمكن المسلمون من اقامة شعائرهم الدينية فيه . وقد راعت في بنائه ونصب المحراب وتوفير شروط الطهارة من كبرى وصغرى ما تقضي به الاصول الدينية

الخرائط الحربية

لا جدال في ان الخرائط الحربية هي في مقدمة ادوات الجيوش . وقد اصبح رسم الخرائط المفصلة فناً قائماً بذاته ما برح يتقدم شيئاً فشيئاً مع تقدم الفنون الحربية حتى ان الضابط المدرب يكفيه اليوم ان يلقي نظرة سطحية على احدى الخرائط ليحصل على معلومات كثيرة لا يدركها من لم يتعلم اصطلاحاتها . وسنري في ما يلي ان الخرائط الحربية المتقنة تطلع مستعملها على أدق التفاصيل التي يمكن ان تفيدهم



مثال خريطة حربية

وقد ثبت اليوم انه لم يكن لدى فرنسا في حرب ١٨٧٠ — ١٨٧١ خرائط حربية متقنة ولا شك ان هذا الاهمال كان من الاسباب التي جعلت الاسبقية للالمان . نعم انه كان لديهم خرائط مفصلة عن المانيا من صنع اركان الحرب الالماني ولكنهم لم يعملوا خرائط لبلادهم التي دارت فيها رحى القتال

ان عند كل الدول المتحاربة اليوم خرائط حربية كاملة مستوفاة . ولا يظن القارئ ان تلك الخرائط تخفى بين الاوراق السرية بل انها تباع للجمهور ويمكن انسان ما ان يشتريها . غير انه لا يتيسر للمدني البسيط ان يستفيد منها كما يستفيد الضابط المدرب الذي يعرف اصطلاحاتها فانه يعلم منها في لمحة اكثر مما يعلمه بمطالعة الكتب الطويلة

ويقال ان أول من اهتم بامر هذه الخرائط البافاريون منذ قرن تقريباً ثم اقتبسها عنهم

البروسيون فالنمسويون ولكي نفهم شيئاً عن المعلومات التي يمكن الحصول عليها من مجرد النظر الى الخرائط الحربية نشرنا الخريطة السابقة مأخوذة عن مجلة امريكية نقلتها عن خريطة نمسوية وهي تمثل قرية صغيرة وضواحيها . فان الضابط المطلع على هذه الخريطة يرى فيها ما يأتي : من الشمال الى الجنوب سكة حديدية مفردة على رصيف مرتفع قليلاً وهذا الرصيف كما لا يخفى يعد خطاً هاماً للدفاع . وتمر هذه السكة الحديدية في طريقها على ثلاثة جسور مصنوعة من الفولاذ . وتزدوج أمام محطة القرية على مسافة قصيرة . وفي المحطة اتصال للتلفون والتلغراف . وعلى غرب السكة الحديدية من جهة الشمال مرتفع من الارض يعلو ٢٧ متراً عن القرية . ووراء هذا المرتفع اشجار كبيرة وعلى منحدره الغربي طريق يسع عرضها صفين من العربات وهي تمر على جسر خشبي مرتكز على ثلاث قبب حجرية

اما القرية فان عدد سكانها ٣٢٧ نفساً وفيها مكتب للبريد مجهز بعربات خاصة له . وفي القرية كنيسة كاثوليكية ذات برج واحد مبنية في المقبرة . وهذه المقبرة يحيط بها حائط حجري . وفيها اشجار كثيرة وحدائق . ومنازل القرية مبنية بالحجر . ويمكن التحصن فيها من جهة الغرب . ثم ان النهر الصغير الذي يبتدئ عند الزاوية الشمالية الشرقية يحيط به الاشجار على جانبيه والاراضي المجاورة له موحلة . وقبل السكة الحديدية يتفرع النهر الى فرعين يحيطان بجزيرة فيها اشجار ونباتات كثيرة . وذلك النهر ميال الى ان يفيض على الاراضي المجاورة وهي تستعمل للرعي

هذا مثال مما يقرأه المتمرن على الخرائط الحربية وقد كان في وسعنا ان نذكر معلومات أخرى كثيرة من هذا النوع تستفاد من تلك الخريطة نفسها

وفضلا عن تلك الفوائد فانها ترشد بالضبط الى المسافات . نعم ان تلك المسافات ما هي الا طول خط مستقيم في الهواء من نقطة الى اخرى بقطع النظر عن الموانع والعثرات الطبيعية ولكنها كافية لفائدة المدفعية

ثم ان تلك الخرائط لا تهمل استواء الارض والتواءها بل انها تذكر كل ارتفاع يزيد على عشرة اقدام . انظر الى الخطوط المتوازية على الخريطة السابقة التي بها استدللنا على ارتفاع الارض ترى ان المسافة بينها ليست واحدة . فمعنى ذلك الاختلاف ان الخطوط المتقاربة الكثيفة تدل على سرعة انخفاض الارض . بعكس الخطوط البعيدة التي تدل على تدرج الانخفاض

اختراع جديد

لمحاربة المناطيد والطيارات



سجل مخترع من اهل البيرو في امريكا الجنوبية اختراعاً يرمي الى مطاردة المناطيد والطيارات وبه يعرف ارتفاعها وسرعتها فيوجه اليها المدفع الهوائي في الحال. وهذا الاختراع يقوم بمدفع مركز على قبة فيها آلات خاصة لقياس البعد. وفي اعلى القبة عدسة قوية. وارضها من الزجاج المخطط تخطيطاً دائرياً ومستقيماً كما يرى القارئ من النظر الى الدائرة المرسومة على يسار الصورة والمدفع متصل بجسر حديدي داخل في القبة يدار باليد وفي طرف الجسر قلم حديدي يتحرك معه. فاذا مرت سفينة هوائية في الجو ارسلت صورتها مصغرة على ارض القبة (انظر الصورة) فيمكن معرفة بعدها وسرعتها من ملاحظة نسبتها الى الخطوط المرسومة على ارض القبة والوقت الذي تستغرقه للمرور بين نقطة واخرى. والذي يميز تلك الآلة انه حين يوضع القلم على صورة السفينة الهوائية يكون المدفع موجهاً نحوها لاتصالهما معاً

عجائب المخلوقات

تقليد الحيوانات لوسطها

الطبيعة اشبه شيء بملعب تجتمع فيه الحيوانات على اختلاف أزيائها وملابسها وألوانها . وبعض الحيوانات كما لا يخفى سهلة الانقلاب من صورة الى صورة كأنها تمثل دوراً او تقلد مخلوقاً آخر . واكبر استاذ تقتدي به الحيوانات انما هو الطبيعة التي حولها والوسط الذي توجد فيه



بقتان من بق الاشجار لا تميزان عن جذع الشجرة

واول ما يبهر نظر المتأمل في الطبيعة اتفاق انواعها مع وسطها وتلاؤم كل ما فيها من نبات وجماد وحيوان . وقد نشرنا في الجزء الماضي من الهلال مقالة عن « كيف تتقي الحيوانات اعداءها » اوردنا فيها امثلة من هذا التوافق او التمثيل الطبيعي ورأينا ان نستزيد القراء بياناً عن هذا الموضوع الخطير اجابة لطلب بعض القراء فنقول :

هل خطر لك أيها القارئ ان تساءلت يوماً كيف تتقي الحيوانات الاخطار العديدة التي تهدد حياتها في كل دقيقة ? فان لكل حيوان آفات واعداء من جنسه ومن غير جنسه ينبغي له تجنب شرها والاحتيال في دفعها . وقد جهزت الطبيعة بعض الحيوانات لهذا

الغرض بالبيئة وألوان تعينها على الاستخفاء والخداع . فمنها انواع تقلد الوسط الذي تعيش فيه من اشجار وصخور ورمال وغير ذلك . ومنها انواع لا تكتفي بذلك بل تتخذ شكل حيوان آخر فتظهر بمظهر غير مظهرها الحقيقي

ويكفي ان نلقي نظرة سطحية على مناطق العالم المختلفة حتى نرى كيف تختلف الحيوانات مظهراً باختلاف الوسط كأنها تلبس لكل حالة لبوسها . انظر الى الصحاري الرملية الواسعة والاقطار الشمالية المكسوة ثلجاً والغابات الكثيفة المظلمة والى الجبال والبساتين والانهر والبحار تجد كل مملكة من هذه الممالك الطبيعية تشمل انواعاً خاصة تلتئم معها تمام الالتئام

فالصحراء الافريقية الكبرى مثلاً تأوي حيوانات بشرتها شديدة الشبه بارضها الرملية كالاسود والجمال والغزلان . فان بشرتها شقراء اللون يتعذر تمييزها من وسطها .



حشرات صغيرة تشبه الاشواك تمام الشبه كما يتبين من مقابلتها بها

فهل هذا التوافق من المصادفة ام هناك سنة طبيعية شاملة ؟ كلما تأمل الانسان في الطبيعة ودرسها ازداد تثبتاً من الرأي الثاني . بل يكفيك برهاناً على ذلك ان تتصور أسداً اخضر البشرة مثلاً فانه يصبح غنيمة باردة للصيادين في تلك الصحراء ذات اللون الرملي خيثما ذهب يكون معرضاً للانظار لخروجه عن لون وسطه . بل انه بذلك اللون يصعب عليه اقتناص فريسته لانها تبصره من بعد فتحتاط في اتقاء شره

ولننتقل الآن من رمال الصحراء المحرقة الى المناطق الشمالية الباردة . شتان ما بين هذه المناظر وتلك . اننا لا نرى هنا الا البرد القارس والسكون الشامل والبياض الناصع

في الارض والبحار. فلا عجب اذن ان ترتدي الحيوانات القاطنة تلك الجهات ثوباً ابيض كالثلج . وبفضل هذا اللون يمكنها ان تعيش في تلك الديار التي يعز فيها للحال اقل خروج عن اللون الشامل كل مخلوق جامد وحي

واذا جلنا بعد ذلك في مجاهل الغابات الكثيفة في الهند واميركا الجنوبية وجدنا ذلك الوسط يختلف اختلافاً بيناً عن الوسطين المتقدمين . فهنا نجد الاشجار الكبيرة ذات الاشكال الغريبة والنباتات المختلفة المتراكمة تتخللها اشعة الشمس المتقطعة . في ذلك الوسط تعيش حيوانات قوية كالنمر مثلاً ولكنها مع قوتها وشدة بطشها ليس من مصلحتها الظهور بل هي تفضل الاندماج فيما يحيط بها . ولذا فانك لا تجد هنا لوناً واحداً مستوياً بل الواناً متقطعة وتخطيطات متوازية



دودة (على اليسار) تظهر كأنها فرع وهي تبقى على الغصن بلا حركة ساعات طويلة

ثم ان بين الحيوانات النهارية والحيوانات الليلية فروقاً تقابل الفرق بين النور والحركة من جهة والظلام والسكون من جهة اخرى فقد منحت الطبيعة الحيوانات التي تستيقظ في النهار الواناً جميلة باهرة بعكس الحيوانات الليلية فانها مظلمة الالوان

وفي الانهر والبحار لا يقل هذا التوافق عنه على اليابسة فان الحيوانات المائية تختلف لوناً باختلاف وسطها فمنها انواع كالحرباء يتغير لونها في لحظة بمجرد انتقالها في الماء من مكان الى آخر . ومنها انواع شفافة لا تكاد تميزها وهي في الماء . ومنها انواع تشبه قاع البحر الرملي تمام الشبه

يطول بنا الشرح لو اردنا استيفاء هذا الموضوع حقه ففي كل جهة من الطبيعة تجد حيوانات تتزيا بزي يتعذر معه تمييزها من وسطها الذي فيه تعيش فنقتصر على بعض الامثلة (وقد اوردنا سابقاً امثلة اخرى) : فمن ذلك دودة تعيش بين الاوساخ فتتخذ فيها شكل عنكبوت عظيم مخيف ولا سيما انها تقلد مشي العنكبوت . ومنه نوع من السرطان البحري يزرع على غلافه بعض الحشائش البحرية بحيث لا يميز منها . ومنه حشرات تقلد ورق الاشجار واغصانها تقليداً تاماً بخطيطها وشكلها . ومنه ذبابة تشبه النحل تمام الشبه فتذهب الى خلاياها من غير ان يعترضها شيء وتضع فيها بيضها فحالما يفقس البيض يخرج منه دود يفتك فتكاً ذريعاً بما حوله . وبعكس ذلك بعض الحشرات الضعيفة التي تقلد حشرات اخرى قوية فتظهر بمظهر الشجاعة والعظمة منها بعض انواع الذباب. ومثلها بعض انواع الحيات غير السامة فانها تتخذ شكل الانواع السامة لتخدع اعداءها وتتقي شرها



أنياب الماموث

يرى القارئ في هذا الرسم صورة نابي الماموث (وهو من الحيوانات المنقرضة) بجانب رجلين للدلالة على حجمهما وقد استكشفتا في مستعمرة الاسكا باميركا الشمالية وهما اكبر من اناب اعظم الافيال بمراحل . وتحت هاتين النابين جمجمة جاموس وقرونه

التقريظ والانتقاد

شرح البيع لمحمد حلمي بك عيسى

« وَمَا أُبرّئُ نفسي »

كأني باللائم لا يقنأ يتمعض ويتميز غيظاً ويحرق الأرّم ويمر نفساً الى ان يمرّ في خلده مثل هذه الآية او ما يراد منها معنىً وسحرَ بيان فتخمد ثورته وتلطف سورته ويؤنس من وجدانه وهو في نار محنته برداً وسلاماً . وممن ينحي باللائمة ويشدّد النكير ويصعّد الزفرات ويصوّبها نافقاً وتأوّهاً رب البراعة العربية ان كاتباً او شاعراً او مؤلفاً على الاطلاق . فالى معشر المؤلفين اسوق هذه الكلمة آملاً ان تقع من قلوبهم او عقولهم موقعاً طيباً

قلما يخلو المؤلف الذي يخرج كتابه للناس من احدى خلّتين معنوية وهي ابداء ما عنده من علم وادب او رأي اجتماعي وما يتبع ذلك من خدمة يتوخاها او شهرة يتطلبها ، او مادّية وهي استثمار القرش او الارتزاق عن طريق رواج السلعة

اما الاولى فهي غاية [illegible] الجدير الخليق فان جرائدنا ومجلاتنا لأيادي بيضاء في التقريظ والاطراء . والمآدب والحفلات التي أقيمت لغير واحد من علمائنا وأدبائنا دليل بيّن على ان فضل المؤلف العربي ككل فضل سواه معروف لدى ذويه محمود غير مجحود

واما الثانية فهي شأو قلما ادركه مؤلفونا . وعدم توفقهم اليه اطلق ألسنة السواد الاعظم منهم بمثل قول الشاعر :

أفٍّ لفنّ الكتبه أفّ له ما اتعبهْ
أفّ لعيش يُرتجى من شق تلك القصبهْ

ومنهم من ضرب بكتابه عرض الحائط او طعن بقلمه ساق المنضدة اشتفاء واثاراً ولعن الشرق وكل قطر عربي وهو بين قارع سنّ الندم وصافق صفقة المغبون . تلك حالة نفسية ذاق مرارتها نفر معلوم من كتابنا وشعرائنا . وعندي ان الاولى بمن ترتجف يده بهذه الكاس ان يربط الجأش ويجرعها ولسان حاله يقول : « وما أُبرّئُ نفسي »

كل امرىء مستقل برأسه وجيبه . وكما ان مالك النقود لا يملك ان يسلب الاديب ذات صدره فكذلك ليس للاديب ان ينتزع الدرهم من صاحب الكيس . والكتاب المطبوع بضاعة في سوقها اما يروّجها حسنها او المكان او الزمان اللذان تعرض فيهما ورواجها ابداً تبع للحاجة اليها . ويخيّل لي ان مؤلفنا ينظر الى مقدرته والى كتابه كما يلوحان له اولا واليهما ثانياً ثم اليهما ثالثاً ولا يتبصر في احوال بيئته ولا يوازن ويقارن بين موضوع مصنفه وميول الخاصة والعامة ورغبتهم وحاجتهم . فهو اتما يؤلف وينشر . وان لم يفلح فعسى ان يكون السبب نقصاً في اهليته كناشر على فرض اكمال خلاله كمؤلف

ومن قبيل اعتبار البيئة مثلا ان تجعل نصب العين حقيقة طالما ذهلنا عنها وهي ان عدد المتأدبين من ابناء مصر والشام القطرين العربيين قليل جداً ومَن يقتني الكتب العربية منهم نزر يسير وذلك لان جلّهم مَن يحسن الافرنسية او الانكليزية ولا قبل له بادراك مزية لغته لانه لم يتأدب فيها ولا تلقى علومه بواسطتها

ومن قبيل اعتبار الزمان والمكان مثلا ان يكتب الكاتب في الحربيات لا في الاساطير والخزعبلات اذ يراه في بلاد قامت قيامتها لحرب ثار غبارها وعلا دخانها فعميت الابصار الا عما كان من الحرب واليها . وذو البيان منا لا يجهل القاعدة القائلة بان لكل مقام مقالا ولكنه لا يجري عليها كمؤلف

ثم ان ناشئة العصر مصطبغة بصبغة افرنجية لا ينصل القطران من خضابها الا بعد ما تتمكن الهيئة الحاكمة فيهما من جعل العربية لغة التدريس الوحيدة في جميع المعاهد العلمية وهي امنية في الصدور اذا تحققت وفر على الاثر عدد طلاب الكتب والصحف العربيـة فقامت شركات النشر وكان من شأنها طبع ما تتبين رواجه بالنظر الى جدارة المؤلف وشهرة المؤلف ومناسبة الموضوع للزمان وملاءمته لذوق الجمهور

والى ان تطلع شمس ذلك اليوم السعيد — فليربأ حملة اليراع بنفوسهم فلا يزجوا بضاعتهم الا حيث يؤنسون عوزاً اليها . او فليتحفنا اخو الفضل منهم بما لديه ويرضَ بالثناء عليه ويقف برغبته عند ذلك الحد

وحسبي مصداقاً لهذه المقالة امر كتاب لا تزال تقرأ آراء الصحافة فيه بلغني ان طبعته اوشكت ان تنفد . وهو عربي ومؤلفه ناطق بالضاد . وما هو رواية غرامية معربة عن الافرنسية او حكاية لص شريف منقولة عن الانكليزية مما اقبلت عليه عامتنا طلباً لقتل الوقت فلا نعبأ لرواجه . بل هو كتاب خطير في شأن هامّ واقع في ٦٨٠

صفحة ثمنه خمسون غرشاً صاغاً . هو كتاب « شرح البيع » [١] الذي وضعه صاحب العزة حلمي بك عيسى ولا سرّ ولا سحر في امره الا ما ترى . نظر المؤلف الى عدد المحاكم الشرعيـة والاهلية والمحامين وطلبة الحقوق والى التجار والماليين وكل ذي يد او دخل في قضية بيع وشراء فالفاه وفيراً وقلب الطرف في الكتب العربية الموضوعة في هذا الباب فابصر ثغرة غير مسدودة . ثم آنس من نفسه استطاعة ومقدرة على التصنيف فشمر له . وتوفق الى جمع الشوارد وتقييد الاوابد وتضمين ما بين فاتحة كتابه وخاتمته جميع ما يلزم ويفيد فجاء مؤلفه وافياً بالمرام تاماً كاملاً من كل وجهة وقبيل . فلم يكد يصدر حتى تواردت طلاّبه وتهافت المفتقرون الى فوائده وكانوا كما قدّرهم كثاراً فما استضخموا حجمه ولا استعظموا ثمنه بل تخاطفوه فيما بينهم متسابقين

ولا بدع ان يهنأ صاحب العزة بما كسبت يداه ويعتز بما اتاه فانه قد اصاب الهدف ونال الجمل . بل حق له ان يهنأ ووجب علينا ان نأخذ بما جاءنا على يده من برهان ودليل على ان المؤلف العربي حري بألا يشقى خليق بان يسعد ويغتبط بقدر ما يتسنى له ان يتروّى ويتبصر في شأنه من الوجهة العملية اي المادية دون الشروع في التسويد والتبييض وقبيل الاقدام على الطبع

واني ممن اخاطب واعني وما أبرّئ نفسي وديع البستاني

فرخ النسر والنسر الاعظم

وملحق هذه السنة

انتهت رواية « فرخ النسر » في الجزء الماضي من الهلال فحملنا ما آنسناه من اقبال القراء عليها وتشوقهم اليها ان ننشر كتاب « النسر الاعظم » المنقول الى العربية عن بعض المؤلفات الفرنسوية الشهيرة ولا سيما كتاب المسيو ارتور لافي بقلم يوسف افندي البستاني معرب « فرخ النسر » . والغرض من ذلك الكتاب على ما جاء في مقدمته المنشورة في هذا الجزء « اظهار النسر الاعظم ورب الحرب بصفاته ومزاياه وعواطفه

(١) واسمه الكامل « شرح البيع في القوانين المصرية والفرنسية وفي الشريعة الاسلامية » . وهو موضوع متفرع الاصول متعدد الفصول وقد طرقه المؤلف من جميع أبوابه . فجاء الكتاب من الدقيق والبحث والاسهاب والتفصيل على ما يرام . وفصوله مؤلفة من فروع وفروعه من مباحث . وهذه عناوين فصوله : في البيع على العموم — في انعقاد البيع — في بيع ملك الغير — في الثمن — في المتعاقدين — في احكام البيع — في تعهدات البائع — في تعهدات المشتري — في دعوى تكملة الثمن بسبب الغبن الفاحش — في بيع الوفاء

اميركا واوربا

ومذهب منرو

حدانا الى هذا البحث ما تنقله الصحف من تفاقم الحال بين الولايات المتحدة والمانيا من أجل حرب الغواصات وما نشأ بالبرازيل من السخط على المانيا أثر اغراقها سفينة برازيلية . فرأينا ان نبسط للقراء ماكان بين اميركا واوربا من العلاقات الودية وغير الودية منذ استكشافها الى هذا اليوم مع شرح مذهب منرو المشهور في القانون الدولي وهو — كما يعلم القراء — رائد السياسة فيما بين العالمين القديم والجديد منذ عهد واضعه الرئيس منرو خامس رؤساء جمهورية الولايات المتحدة الى هذا اليوم — وان تكن الحرب الاوربية قد اضطرت اميركا الى الاقدام على بعض التغيير في مؤدى ذلك المذهب الذي يقضي ببقاء اميركا في عزلة عن سياسة الدول الاوربية ومشاكلها كما يفرض على اوربا ان تترك لدول اميركا حل ما ينجم بينها من الخلاف عملاً بالقول القائل « اميركا للاميركيين »

على انه يجدر بنا قبل الشروع في بحثنا ان نذكر كلمة وجيزة في حالة اميركا قبل الاستكشاف فنقول :

اميركا قبل الاستكشاف

ان سكان الاقطار الاميركية يقسمون اليوم من حيث الجنس الى اربعة اقسام كبرى وهي : الهنود ، والبيض ، والزنوج ، ومولد هذه الاجناس

فالبيض لم يستوطنوا اميركا الا منذ اربع قرون تقريباً اي بعد استكشاف اميركا وهم السواد الاعظم الآن وينتسبون الى شعوب مختلفة اكبرها شأناً الانجلوسكسون في اميركا الشمالية وقد اختلط بهم شعوب اخرى كثيرة كالالمان والارلنديين وكالشعوب اللاتينية والهنود وغيرهم . اما في اميركا الجنوبية فجمهور البيض من الجنس اللاتيني ولا سيما الشعبان الاسباني والبورتغالي

واما الزنوج فقد جيء بهم ارقاء لخدمة البيض ثم اعتقوا ومعظمهم اليوم في جنوبي الولايات المتحدة وفي البرازيل وجزر الانتيل

اما الهنود فمع انهم اقل عدداً من الاقسام الاخرى الا انهم سكان البلاد الاصليين وسندرسهم بشيء من التفصيل فيما يلي

وقد تخالطت هذه الاجناس كثيراً ومن هذا تولدت اجناس مختلفة لكل منها ميزات خاصة

هنود اميركا ومن اين وفدوا ؟

الهنود هم اهل اميركا الحقيقيون وقد قام جدال شديد بين علماء الاجناس عن اصل أولئك الهنود . ولهم في ذلك رأيان متباينان . ففريق من العلماء يرى ان الهنود تسلسلوا من « الرجل الاميركاني » الذي نشأ مستقلاً في تلك القارة . والفريق الآخر يعتقد بقدوم أولئك البشر من العالم القديم . ولكن اصحاب هذا الرأي غير متفقين في الموطن الاصلي الذي قدم منه الاميركيون : فالبعض يأتي بهم من سيبريا والصين عن طريق خليج بارنغ ، وبعض آخر يستقدمهم من جزر المحيط الباسيفيكي ، وغيرهم يرون انهم قدموا من اوربا عن طريق « قارة الاطلانتيد » التي جاء ذكرها فيما تركه صولون وافلاطون من الكتب . ولكن جميع هذه المزاعم غير مدعمة بالبراهين الكافية — وان يكن لكل منها اساس تستمد عليه . فلدينا اليوم معلومات يصح الاعتماد عليها تحملنا على الاعتقاد بان الصينيين كانوا يعرفون ارض « فوسنغ » او « الارض الكائنة وراء البحر الشرقي » منذ آلاف السنين ، ويرجح ايضاً ان بعض المرسلين البوذيين وطأوا القارة الاميركية ولاسيما المكسيك والبيرو حول القرن الخامس للميلاد . ثم اننا نعلم يقيناً ان النورمنديين زاروا شواطئ اميركا الشمالية قبل استكشاف كولومبوس بقرون . ومن المحتمل كثيراً ان يكون اهل الجزر البولينيسية (في المحيط الباسيفيكي) الذين ما برحوا ماهرين في الملاحة قد وصلوا يوماً ما الى اميركا

ولكن كل تلك الحوادث قريبة العهد ومحدودة التأثير لا تكفي تعليلاً لسكنى قارة واسعة كالقارة الاميركية ، وغاية ما يمكن التسليم به هو انه كان لاولئك المهاجرين بعض التأثير في تكوين الشكل الاميركي . ولكن يتعذر نسبة أهل اميركا جميعاً الى تلك المهاجرة المزعومة — اللهم الا اذا رجعنا بفكرنا مئات من القرون الى الوراء أي الى العصور الجيولوجية قبل زمن التاريخ حين كانت بعض جهات العالم القديم — على ما يعتقد كثيرون من العلماء — متصلة بالقارة الاميركية

ومهما يكن الاختلاف فالذي لا ريب فيه ان اميركا كانت مأهولة منذ اقدم الازمنة التي كان العالم القديم مأهولاً فيها — بل ان بعض العلماء قد تطرفوا وادعوا ان الانسان عاش في اميركا قبل ان يعيش في العالم القديم . غير ان هذا الزعم فاسد

وسكان اميركا الاصليون شعوب مختلفة متباينة الخواص والميزات . ويجدر بنا ان نذكر في هذا المقام ان بعض تلك الشعوب بلغت درجة رفيعة من المدنية تضاهي مدنيات

الشرق القديمة ونخص بالذكر اهل المكسيك واميركا المتوسطة والبيرو

الاستكشاف

بيّنا عرضاً فيما تقدم احتمال وصول الصينيين أو غيرهم الى اميركا في القرون الغابرة . وقد ادعى غير باحث بوصول الفينيقيين واليونان والرومان . ولكن ليس لدينا الآن من الادلة ما يؤكد أحد تلك المزاعم ، وعلى فرض ان الامواج قد لفظت بعض ملاحي العالم القديم الى القارة الاميركية فالارجح انهم لم يرجعوا الى اوطانهم لنشر خبر ما وجدوه فيها

هذا من حيث الامم القديمة . أما الامم الحديثة فلدى الباحثين ادلة يصح الاعتماد عليها تثبت ان السكندينافيين استكشفوا في القرون الوسطى (حوالي القرن الحادي عشر) جهات أميركا الشمالية الشرقية واستعمروا شواطئ كندا . وقد كان سكان شواطئ فرنسا الغربية ولا سيما اهل مقاطعة بريطانيا يعرفون جزيرة الارض الجديدة حوالي الزمن الذي رحل فيه كولمبوس باحثاً عن طريق للهند . ولكن تلك الاستكشافات لا تبخس كولومبوس شيئاً من حقه في استكشاف القارة الاميركية وان يكن قد استفاد من اختبارات اولئك الملاحين . ولذلك يجدر بنا ان نعد يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢ بدء عهد جديد للارض لانه اليوم الذي وطئ فيه كولمبوس الارض الاميركية — رغم انه ظل يعتقد الى آخر حياته أنها قسم من القارة الاسيوية . على ان رفاقه ومعاصريه اخذوا على انفسهم بعده اتمام العمل الذي بدأ به . ولا سيما اميريكو فسبوتشي الذي انتزع من كولومبوس حق تسمية العالم الجديد باسمه

وقد تمكن كولومبوس في أثناء رحلاته الاربع من استكشاف جزر الانتيل (التي سماها جزر الهند الغربية) وشواطئ اميركا من شبه جزيرة يوكاتان (في المكسيك) الى مصب نهر الاورينوك

ومنذ ذلك الحين بدأ عهد الاستكشافات الذي يطول بنا شرحه مفصلاً وانما نقتصر على ذكر ما يأتي : في الشمال ذهب جون كابوت البندقي الاصل (في خدمة انكلترا) والبورتغالي غسبار كورتريال الى جزيرة الارض الجديدة وشواطئ كندا والولايات المتحدة ، وفي الجنوب وصل بدرو القارز كبرال الى البرازيل (سنة ١٥٠٠) وامريكو فسبوتشي الى ما بعد ريو جانيرو ودياس دي سوليس الى ريو دلابلاتا (سنة ١٥١٦) وكانت فلوريدا والمكسيك قد استكشفهما قبلاً بونثي دي ليون (سنة ١٥١٢)

وبعد ذلك بقليل (سبتمبر سنة ١٥١٣) قطع نونز دي بلبوا مضيق بناما وشهد

الاوقيانوس الباسيفيكي فاستدل بذلك على استقلال اميركا وانفصالها عن القارات القديمة . وفي سنة ١٥٢٠ دار ماجلان حول اميركا الجنوبيـة حتى وصل الى الاوقيانوس الباسيفيكي . وظلت الاستكشافات آخذة مجراها في الربع الثاني من القرن السادس عشر حتى أنه في سنة ١٥٥٠ كانت معظم حدود اميركا معروفة بالاجمال الا الحدود الشمالية . وقد تم بعد ذلك استكشاف اميركا وتمت معرفة جغرافيتها الطبيعية بفضل الفتوحات والرحلات العلمية والجغرافية وغير ذلك مما ليس هذا محل الاطناب فيه

الاستعمار

كان من تأثير الاستكشافات الاميركية الاولى انها حثت كثيرين من اهل الاقدام ومحبي المجازفة والمخاطرة الى فتح تلك المعالم المجهولة . ويطلق على المستعمرين الاولين اسم الفاتحين (بالاسبنيولية Conquistadores)

وكان في مقدمة أولئك الفاتحين فرنندو كورتز الذي شرع في فتح المكسيك منذ سنة ١٥١٩ فأتم عمله في سنتين . وعمل مثل عمله في اميركا الجنوبية نقولا بزار الذي فتح بلاد البيرو وهي أغنى جهاتها (سنة ١٥٣٣) وكانت مدنية ساكنيها الاصليين في درجة رفيعـة من الرقي . وهم في ذلك نظراء الازتيك اهل المكسيك الذين كان لهم ايضاً حضارة راقية

وكان عمل بزار هذا تمهيداً لالماجرو الذي افتتح الشيلي الى مدينة فلبرزو ولاوريلانا الذي كان اول من قطع اميركا الجنوبيـة من الغرب الى الشرق عن طريق نهر الامازون راحلاً من جبال الاند Andes الى البحر (سنة ١٥٤١)

وفي أثناء هذا افتتح سوتو مجرى الميسيسيبي الاسفل واستولى بعض الفاتحين الاسبان على اميركا المتوسطة وغيرها من الجهات المجهولة ودخل البورتغاليون في البرازيل وحاذى جاك كارتيه نهر سان لوران الى مكان مدينة مونتريال الحالية

واخذ اولئك المستعمرون الاول يستثمرون تلك الاقطار ويستنزفون ما فيها من الثروة الطبيعية والمناجم ويرسلونه الى اوطانهم

أميركا الشمالية

خليق بنا ان نقول كلمة وجيزة عن حالة كل من اميركا الشمالية واميركا الجنوبية في عهد الاستعمار فنقول مبتدئين بالاولى

استقر المستعمرون في اميركا الشمالية منذ منتصف القرن السادس عشر . فقد كان فيها مستعمرات اسبانية وانكليزية وفرنسية الا ان تلك المستعمرات كانت قاصرة على بعض النقط

الخطيرة : فان الاسبانيين احتلوا بعض الجزر وشواطئ المكسيك (من جهة المحيط الاطلانتيكي) . واحتل الانكليز بعض الجهات على الشاطئ الاطلانتيكي . اما الفرنسيون فكانوا مستعمرين مصب نهر السان لوران (الفاصل بين الولايات المتحدة وكندا) . وكانت طريقة الاستعمار وقتئذ تأليف الشركات التي تستثمر البلاد مع تعيين منطقة لكل منها . واهم الشركات الانكليزية اذ ذاك شركتان عرفت احداها بشركة لندن (في الجنوب) والاخرى بشركة بليموث (في الشمال)

وقاست هاتان الشركتان في اول الامر من عذاب الغربة والمرض والقحط والوحشة ما أضعف عزائم اعضائها حتى اوشكوا ان يرجعوا الى بلادهم وهموا بذلك غير مرة ثم عدلوا وصبروا حتى اذا تعودوا الاقليم وتحسنت حالهم أنشأوا المدن وشكلوا المجالس . على انهم ما لبثوا ان تنزلوا عن اعمالهم للحكومة (شركة لندن سنة ١٦٣٤ وشركة بليموث سنة ١٦٣٥) فاتخذت الحكومة من يتولى شؤون مستعمراتها هناك

وفي القرن السابع عشر وسع الانكليز والفرنسيون مستعمراتهم وتوغلوا في داخلية البلاد واستولوا على جزر الانتيل وانتزعوا بعضها من الاسبان ولا سيما نصف جزيرة هايتي وجامايكا . ولكن كان القسم الجنوبي من اميركا الشمالية على رغم ذلك يعد صاحب المقام الاول فان مركز الحركة في اميركا وقتئذ كان خليج المكسيك

وفي القرن الثامن عشر خسرت فرانسا مستعمرة كندا على اثر حرب السبع سنين (١٧٦٣) واخذتها انكلترا فاصبحت فترة من الزمن السيدة المطلقة في اميركا الشمالية الا انها ما لبثت ان تحررت الولايات المتحدة من سلطتها كما سنرى

اميركا الجنوبية

بعد استكشاف اميركا الجنوبية نظمها ملوك اسبانيا امارات واقساماً ادارية . وقد كانت الخطة الاستعمارية التي سلكتها اسبانيا في البدء تجاه السكان الاصليين شديدة الفظاعة والصرامة فقد كانوا يستعبدونهم ويذيقونهم صنوف العذاب ويقتلونهم بالالوف من غير رحمة ولا شفقة . زد على ذلك ان الاسبان انشقوا بعضهم على بعض ودارت بينهم حروب دموية طويلة . وقد كانت سياسة ملوك اسبانيا مبنية على التفريق بين تلك المستعمرات عملاً بمذهب « فرّق تسد » وجملة القول فان الذين ذهبوا ضحية الاثرة الاسبانية واستشهدوا في سبيل توطيد دعائم سلطة اسبانيا على تلك المستعمرات يعدون بالملايين .

ويمكننا ان نقسم عهد استعمار اميركا الجنوبية الى ثلاثة اقسام كبرى :

القسم الاول يشمل القرن السادس عشر وهو زمن توطيد السلطة الاسبانية

وانتشارها وفيه انتزع فيليب الثاني ملك اسبانيا مستعمرة البرازيل من البورتغاليين ومنع الفرنسيين من الاستقرار في اميركا الجنوبية . وكانت ادارة تلك السلطة الاستعمارية العظيمة في يد مجلس الهند الكبير ومقره في مدريد ترجع اليه جميع المسائل الخاصة بشأن اميركا . وكان يمثل الملك في ليما (عاصمة بيرو اليوم) نائب ينتمي اليه جميع الحكام (وفي سنة ١٧١٨ اصبحت كراكاس مقر نائب ثان للملك وفي سنة ١٧٧٦ نالت بونس ايرس هذا الاكرام ايضاً) . وقد كان للاكليروس في ذلك الوقت حظوة كبيرة ومقام رفيع وثروة واسعة فانتشر رجال الدين في تلك الاصقاع وكثيراً ما كان الملك ينتخب كبار الموظفين من بينهم

اما القسم الثاني فيشمل المدة التي بين موت فيليب الثاني ومعاهدة اوترخت (اي من سنة ١٦٩٨ -- ١٧١٣) وهو عصر سلام وتقدم استأثرت فيه اسبانيا بالمرافق الاقتصادية فاحتكرتها احتكاراً تاماً واقفلتها في وجه الدول الاخرى . وكانت تستخرج من اميركا شيئاً كثيراً من الذهب استعانت به في محاربة فرنسا . ولكن تلك الاموال الطائلة التي استخرجتها اسبانيا من اميركا حركت عاطفة الحسد في الدول الاخرى . وفي ذلك الوقت انتشرت القرصنة انتشاراً عظيماً لسلب الخيرات المستجلبة من اميركا الى اسبانيا

وفي هذه الاثناء استولت فرنسا على مستعمرة غويانا واسترجع البورتغال البرازيل . فكان ذلك بدء دور الانحطاط -- وهو الدور الثالث من عهد الاستعمار . واخذت الحال تسوء بعد معاهدة اوترخت (سنة ١٧١٣) وبها نالت انكلترا احتكار تجارة الرقيق وميزات تجارية اخرى في اميركا الجنوبية . وعبثاً حاولت اسبانيا بعد ذلك ان تحسن حالة مستعمراتها وتمنحها شيئاً من الاستقلال الاداري فقد كان يهددها خطران ما برحا يتفاقمان : خطر خارجي وهو حسد الدول الاخرى ومطامعها . وخطر داخلي نشأ عن سوء تصرف السلطة الحاكمة واستئثار رجال الدين بالنفوذ -- حتى ان الجزويت اسسوا ولاية مستقلة على شواطئ الباراغواي شبت الحرب بينها وبين المستعمرات الاخرى

الاستقلال

كانت الولايات المتحدة هي البادئة باعلان الاستقلال ثم تبعتها المكسيك (سنة ١٨١١) وكانت اذ ذاك مستعمرة اسبانية ، فولايات اميركا المتوسطة . ومن ثم انتشرت هذه الروح في جميع جهات اميركا الجنوبية فعملت على نيل استقلالها وخروجها من نير الدول المستعمرة -- وكانت قد نشبت عدة ثورات سنة ١٧٨١ و ١٧٩٧ في

مدينة بوغوتا وسنة ١٨٠٦ في كراكاس وسنة ١٨٠٩ في كيتو

وفي ٥ يونيوسنة ١٨١١ اجتمع مؤتمر منهم في كراكاس على أثر رفض الحكومة الاسبانية منح الاميركيين المساواة السياسية والحرية التجارية واعلن استقلال مقاطعات فنزويلا وكراكاس فهب نزاع انتصر فيه الاسبانيون في اول الامر ولكنهم ما لبثوا ان كسروا واخرجوا من تلك المقاطعات وطوردوا حتى بيرو حيث سحقوا باتحاد الثائرين الشماليين وثائري الجنوب

وعلى انقاض المستعمرات الاسبانية قامت جمهوريات مختلفة ظلت في اضطراب مدة طويلة فكانت تارة تتحد اتحاداً واسعاً، وطوراً تنفصل وتنقسم اقساماً صغيرة — فمن ذلك ان كولومبيا وفنزويلا اتحدتا في سنة ١٨١٨ وضمتا اليهما كيتو في سنة ١٨٢٣ ثم انحل الاتفاق سنة ١٨٣١ . ومن هذا النوع ايضاً اتحاد ولايات لابلاتا الذي دخلت فيه لابلاتا وبيرو الأعلى (بوليفيا) واروغواي وباراغواي، ثم انحل هذا الاتحاد واستقلت عنه مدينة بونس ايرس اذ تحولت الى ميناء حر (وفي سنة ١٨٦٠ دخلت في الاتحاد الارجنتيني) . وبعد ذلك بسنوات قليلة آل الامر الى انكسار ولاية باراغواي وتقسيمها عن يد جيرانها الثلاث وهي البرازيل والاوروغواي ولابلاتا

أما البرازيل ففي سنة ١٨٠٧ على أثر اكتساح الفرنسيين للبلاد البورتغالية التجأت اليها الاسرة المالكة (وملك البورتغال اذ ذاك يوحنا السادس) . وفي سنة ١٨١٣ اصبحت المستعمرة مملكة . ولكن حين رجعت الاسرة المالكة الى لسبون سنة ١٨٢٠ بعد اخراج الفرنسيين منها رفضت البرازيل ان تعد مستعمرة . وفي السنة التالية انتخبت دون بدرو الابن البكر للملك يوحنا السادس امبراطوراً عليها . وفي ذلك الوقت أي حوالي سنة ١٨٢٢ كانت جميع المستعمرات الاسبانية قد نالت استقلالها . وتنزل دون بدرو عن الملك سنة ١٨٣١ لابنه دون بدرو الثاني الذي حكم الى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٩ اذ اسقطه الثوار ونفي مع اسرته وأصبحت البرازيل جمهورية باسم « ولايات البرازيل المتحدة »

هذه كلمة وجيزة لا تعدها تاريخاً لاميركا الجنوبية وانما هي كلمة مجملة يستخلص القارئ منها ما توالى على العالم الجديد بعد استكشافه من الانقلابات

مذهب منرو

الرئيس جيمس منرو هو خامس رؤساء جمهورية الولايات المتحدة (ولد سنة ١٧٥٨ وانتخب رئيساً سنة ١٨١٦ ثم سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٨٣١) وقد اصبح له شهرة واسعة في المعاملات الدولية في مقام انه واضع المذهب المعروف باسمه

واصل هذا المذهب رسالة ارسلها الرئيس منرو بتاريخ ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٣ الى مجلس الامة على اثر ثورة المستعمرات الاسبانية لاجل الاستقلال . وهذه الرسالة تحتوي على بلاغين أولهما خاص باستعمار القارة الاميركية والثاني يبحث في المساعي المبذولة لاسترجاع المستعمرات الاسبانية . وقد جاء في آخر رسالته ان الولايات المتحدة يجب ان تكون « حامية القارة الاميركية بأسرها » وان لها حق المداخلة في جميع المسائل التي تخص اميركا الشمالية والجنوبية حتى انه لجأ الى التهديد لمنع الدول الاوربية من المداخلة فيما بين اسبانيا ومستعمراتها من الخلاف

قال أحد المشترعين تعليقاً على هذا المذهب بقوله : « كان الرئيس وقد اعتد كل مداخلة من الدول الاجنبية في الشؤون الاميركية تهديداً لراحة الولايات المتحدة وسلامتها قد داخل هو جمهوريات اميركا في شؤونها الداخلية ، اذ انه من المداخلة في شؤون امة منع مداخلة الامم الاخرى فيها »

وقد حلل المسيو القازر الاميركي مذهب منرو كالآتي . قال :

ان الآراء التي يسمى مجموعها مذهب منرو تقسم الى قسمين : القسم الاول يعبر عن آراء كل الدول الاميركية والقسم الآخر يختص بآراء الولايات المتحدة وحدها

اما القسم الاول فيشمل ثلاث قضايا :

اولاً ان للدول الاميركية حقاً في الاستقلال الذي نالته وليس لاحدى الدول الاوربية ان تفكر في الاستيلاء على شيء منها

ثانياً لا يجوز للدول الاوربية ان تظلم الدول الاميركية او ان تسعى في قلب حكومتها او ان تداخلها في اي شأن من شؤونها الداخلية

ثالثاً لا تستطيع الدول الاوربية ان تحتل اي جزء من القارة الاميركية

أما القسم الثاني اي آراء الولايات المتحدة فيشمل أمرين :

اولاً احترام الولايات المتحدة للمستعمرات الاوربية في اميركا (وهي قليلة)

ثانياً عدم المداخلة في الشؤون الاوربية الا اذا كانت مصالحها مهددة — كالذي كان في هذه الحرب

وقد توسعت الولايات المتحدة في تفسير هذا المذهب وطبقته غير مرة في حوادث شتى وتذرعت به للسيطرة على قارة اميركا كلها

عند رابندرانات طاغور

الشاعر الهندي الذي حاز جائزة « نوبل » الادبية لسنة ١٩١٣

يقول المثل : ليس الخبر كالعيان . ومن الناس من يسرك خبرُه ويسوءك مخبرُه . وكم من معَيديّ سمعك به خير من ان تراه . اما شاعرنا الروحاني النابغة رابندرانات طاغور فخبره اعظم من خبرَه . وقد زرته وآكلته وشاربته وحادثته ، فازددت بآثاره اعجاباً ، ولذاته اكراماً ، ولعبقريته اجلالا . وايقنت ان له نفساً سامية ، تنبعث من عينيه اشعة سنية ، وتسيل مع صوته العذب الرخيم نغمات شجية ، وتتلألأ خلال عباراته فرائد معان درية . وقد اعود الى شأنه فاسرد طرفاً من سيرته وترجمة والده الخالد الأثر . وحسبي الآن ذكر شيء من شمائله واحواله ، على ما تجلت لي أثناء يومين قضيتهما في ضيافته

اما منزله الاصلي ومسقط رأسه فهو مدينة كلكته الشهيرة حيث يقيم اليوم بنوه وذووه . ولكنه منذ بضع سنين يقضي معظم عامه في ناحية من « بلبور » [1] ، كان والده من قبله قد اتخذها صومعة ومنسكاً ، وثابر على انتيابها مدة ثلاثين سنة ، طلباً للسكينة والطمأنينة ، ومواصلة التأمل والتروّي في الذات الالهية

مدرسته العالمية

وما دأبه في هذا المنقطع الا تعهد المدرسة التي انشأها فيه تخليداً لذكرى ابيه . وقد اسماه « شانتي نكتان » [2] اي « دار السلام » تيمناً بعبارتين كان والده يرددهما في تأملاته هما الآن منقوشتان على نُصُبين من الرخام تحت الشجرتين الاختين اللتين كان يفيء الى ظلهما في الهجيرة : (١) « الله هو السلام التام ، هو الصلاح التام . هو الفريد الوحيد » (٢) « الله سلوة نفسي ، وفرح قلبي ، وسلام روحي »

وهذه المدرسة عامرة راقية ، اسسها ولا يزال ينفق عليها من ذات يده وعليها وقف جائزة نوبل (٨٠٠٠ جنيه) ، واكتفى بالوسام الذي جاءه معها من صاحب الجلالة ملك اسوج . وفيها من الطلبة مئتان ونيف ، ومن المدرسين نحو الاثني عشر . ومبانيها متعددة متفرقة ، تتخللها حدائق حديثة الانشاء ، وساحات للرياضة البدنية . ومن صروحها ايضاً منزل الشاعر ومسكن اخيه الفيلسوف ودار الضيوف وهيكل العبادة

---

(١) قرية على اربع ساعات بالقطار من كلكته (٢) في اللغة البنغالية

وقد قصد بانشاء هذا المعهد الشريف الى غاية سامية هي : معاونة الاحداث على تهذيب نفوسهم، وتثقيف عقولهم ، وتبيين ما بينهم وبين الطبيعة والذات العلوية . وطريقه الى هذه الغاية ، تلقينهم العلوم ، وتعويدهم مراقبة الوجدان ، وسبر غور النفس ، والنظر الى مشاهد الكون بعين المتبصر المتدبر . وقد تراهم تارةً مجتمعين في الهيكل ، او متفرقين هنا وهناك ، فترى عيوناً شاخصة ، وجباهاً مفكرة ، ولا تسمع الا اغاريد العصافير واغاني الجداجد . وقد تمر بهم اخرى فلا ترى الا عيوناً متألقة ، وثغوراً باسمة ، وتسمع منهم كل شجيّ رخيم من التراتيل والاناشيد ، مما نظمه ولحّنه « استاذهم الالهي »

افملو

وما الاستاذ الالهي[1] الا شاعرنا بعينه . واذا علمت ان قومه يتبركون بلثم نعليه تحيةً وسلاماً ، وانه في عيونهم ذو صفة علوية ، وعجبت لذلك — فلا بدع ان يقضي عجبك كله كونه اودع من اودعهم ، وارقّ والطف من زهرات الياسمين التي يقدمونها له قرابين اخلاص ومحبة . وقد يتبادر الى ذهن القارئ ان كاتب هذه السطور واهم او مبالغ في شأن صاحبه . فحسبه ان يأخذ عا لي دفعاً لمثل هذا الريب

منذ بضعة اعوام انضم الى عدد المعلمين في معهده هذا استاذان انكليزيان ، اندروز وبيرسون . وكلاهما « معلم علوم » الواحد من جامعة كمبردج والآخر من جامعة اكسفورد . والاول من الكتّاب المؤلفين المدودين ، وقد اشار اليه رمزي مكدونلد (عضو في مجلس النواب البريطاني) في كتابه « يقظة الهند » بعبارات الاعجاب والاطراء . وقد كان الى ان سحرته عبقرية طاغور الشعرية الروحانية من زعماء المبشرين ، واستاذاً ماهراً في اكبر الكليات الهندية التابعة للحكومة . عرف الشاعر ، فعشقه وتتيّم له وقال على الدنيا وما فيها السلام . واتخذ الزيّ البنغالي ، واقتنع من العالم بما يصيب نفسه وقلبه من مصاحبة هذا النابغة الشرقي . وهو اليوم — وقد شهدته بعيني — لا يأنف ان يخلع حذاءه في فناء الدار دون الدخول على رابندرانات طاغور او اخيه الشيخ الفيلسوف . ولكن امر زميله « بيرسون » اغرب واعجب . فانه قدم الهند ، وآثر على جميع مراكز الحكومة التي عرضت عليه وظيفة مدرس في معهد « دار السلام » ، ارواء لغلة يضرمها في صدره كلفه الشديد بشاعر القلب والروح رابندرانات طاغور . وهو شاب في العقد الثالث من سنيه ، دمث الخلق ، ليّن العريكة ، جمع بين دقة الاحساس وسموّ المدارك . وقد رأيته وجلست اليه وسمعت خبره من فمه قال : علمت

(١) هذا لقبه عندهم واصله البنغالي غروديف

والدتي بصلتي « بالاستاذ الالمي » فكتبت اليّ من لندن تؤنبني وتلحُّ عليّ بالانفصال عنه بدون ما تردّد او تأخر . وكنت ولا ازال برًّا بها حريصاً على رضاها ، فشقَّ عليَّ طلبها وحرت في امري. وكاتبتُها وحاولت اقناعها بان الاستاذ جدير بشغفي به ، وتتلمذي له ، فلم أوفق الى شيء من ذلك . واضطررت ان انتهي لنهيها ، وعدت الى لندن وقلبي في « دار السلام » هـذه . وما هو الا ان مرضت واشتد عليّ الداء ، فهزلني والزمني الفراش . كل ذلك وامي الحنون ترأمني وترفق بي وتستبدل الطبيب بالطبيب وحالي تزداد سوءاً من حين الى آخر . وقبل ان يسلمني الطب اقترح عليها ان تجاريني في رغبتي وتسمح لي بالعودة الى الهند . وكان ذلك . ثم اتفق ان ذهب الاستاذ الى لندن . وما كادت تعلم بوصوله حتى جاءته وجلست اليه بضع دقائق وخرجت من لدنه رأساً الى مكتب البريد فسطرت لي امرها الوالدي بالبقاء في هذه الدار ولزوم رابندرانات طاغور .

زد على ذلك ان قومه من الهندوسيين يترقبون موعده لتأدية فرض العبادة في الهيكل ، فاذا ازفت الساعة تهافتوا متواردين ، فضاق بهم رحبه وازدحمت جماهيرهم في الشارع . وما ذلك الا دليل ما له من المكانة في قلوبهم ونفوسهم . وقد عرفت حكومة بريطانيا العظمى قدره فزانت صدره بوسام ومنحته لقب « سر » تأييداً لحسن ظنها فيه

هذا مقامه في بيئته ووطنه . مقام سام حله عن جدارة لاغش فيها . ولا بد لي هنا من الاستطراد الى وصف اخلاقه فاقول موجزاً . انه انيس لطيف ، بيّن الدّعة ، والتواضع ، جامع بين السذاجة والسموّ في زيّه وعادته وحديثه واسلوبه وفي كل ما يأتيه من حركة او سكنة . ميال الى الطبيعي الفطري ، وكل مستحسن او مفيد من الصناعي والمكتسب . صريح في قوله وعمله يتوخى مجاراة الطبيعة والحقيقة ما استطاع الى ذلك سبيلا . وهذه نبذة من حديث دار بينه وبين الاستاذ اندروز ونحن الى مائدة الفطور يمكن اتخاذها انموذجاً لكيفية مجرى افكاره ومنهجه في تهذيب الطلبة والمعلمين الذين في معهده :

على أثر وفاة لادي هاردنج (قرينة لورد هاردنج نائب جلالة ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند) قامت قيامة اشراف البلاد وابسوا عليها الحداد اي انهم عقدوا الاجتماعات الحافلة ، وقرروا على الصورة المألوفة رفع عواطف « الاسف الشديد » الى مقام بعلها السامي . وكان الاستاذ المذكور قد اقترح على صاحبنا الشاعر ان يجتمع الطلبة في الغد في الهيكل فيرتلوا احدى قصائده المشيرة الى الموت ، ويبدوا حزنهم من جرّاء هذا المصاب . فبينا نحن الثلاثة نتناول الطعام النباتي (وطاغور وقومه نباتيون من

نشأتهم) انطلق لسان الشاعر بهذه الكلمات : اما اقتراحك الذي اعجبني باده بدء فقد تدبرته ، ووجدت انه من الظلم للطبيعة ، ومن التعدي على الحقيقة ، ان نحمل احداثاً لا عهد لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالقضية ، على التفجع والجزع عليها ، حتى كأنهم خسروا بوفاتها اماً او جدة او اختاً او خالة ، وهي غريبة عنهم ولم يروا لها وجهاً . وما كاد يبلغ هذا الحد من القول حتى شعر بان مخاطبه اقتنع تماماً فهمّ بالزيادة وكانت « وكفى » . وهذا شأنه في النظم والنثر ، فانه حريص على ان يجيء عبارته سهلة المأخذ ، سلسة التركيب ، قليلة الكلام ، كثيرة الدلالة

وقد سمعت غير واحد ممن تفرّسوا رسمه المنشور في العدد الاخير من هذه المجلة يبدون عجبهم لشدة الشبه بين ملامح رابندرانات طاغور الهندي وتقاطيع الوجه السوري او الاوربي — فأوجبت على نفسي اثبات هذه الكلمة في سياق هذا المقال :

ان رابندرانات طاغور البنغاليّ ، كمعظم قومه ، ولا سيّما اهل الجهات الشمالية الباردة الاقليم ، ممن تغلب عليهم السمرة الضاربة الى البياض . ومنهم ابيض البشرة صافي اللون . وشديدو السمرة من سكان الهند هم في الغالب المدراسيّون وطوائف معينة من الاهالي

وهو كما ألمت في ما تقدّم موسيقار مغنٍّ . فانه يبتكر اللحن وينظم له الانشودة ، او ينظم القصيدة ثم يضع لها لحناً . وكل نظمه بلغته وهي البنغالية احدى بنات السنسكريتية ، لغة الهند القديمة ، وجدّة اكثر لغات العالم الميتة والحية . وقصائده منتشرة مشهورة يتغنى بها الفتيان والفتيات . والهنود مولعون بالغناء يطربون له كل الطرب ، بل هو من طقوس العبادة عند سوادهم الاعظم . وقد اشتهر صاحبنا في ترقية هذا الفن واعلاء مناره

ومن ذلك انه اتخذ « الموسيقى » الشرقية عنواناً لخطاب جليل القاه في حفلة افتتاح جامعة « بنارس » . اما صوته فهو العذب الرقيق الشجيّ ، وكأنه يحسّ بجماله ويشعر بحسنه عندما يشير الى اغانيه الروحية فيرى ان خير قربان يجيء به ربه أنشودة او دورٌ من انشودة . ولا غرو اذ ذاك ان جعل عنوان كتابه الفائز « قرابين الاغاني »

مذهبه في الدين

ولا ندحة لي هنا عن الكلام على مذهبه في الدين ولو موجزاً فاقول : انه هندويّ اي هنديٌّ غير مسلم . والعرب تسمي كل هندي غير مؤمن وثنياً . وقد رأيت ان استعمل هذه اللفظة « الهندوي » وجمعها « الهندويون » تجنباً للالتباس . (وقد قال بعض كتابنا «هندوس» تعريباً للكلمة الانكليزية والافرنسية مثبتين السين علامة الجمع غير العربية) .

وقولنا الهنود يشمل اهل الهند باسرهم وهم ٣١٥ مليوناً منذ سنة ١٩١١ ثلثهم مسلمون والثلثان الآخران «هندو» حسب التعبير العام في لغاتهم الشائعة . وليس كل هندويّ وثنياً . وكل هندويّ هندي ولا يصح العكس . وقد ترى الصنم على جدار احدهم فتقول هذا بيت هندويّ وتدخل بيت هندويّ آخر ولا اثر فيه للوثنية او الصنمية لان صاحبه يعبد «برهما» اي «الحق» على احد المذاهب الجديدة مما تتبعه طائفة «براهموسماج» او طائفة «أريا سماج» الحديثتان ولا وثنية عندهما . وازيد على ذلك ان الحكمة الهندية اساس المذاهب الهندية العديدة المتشعبة ، اسمى من ان تقول بعبادة الصنم او الوثن . ولكن الطقوس لا المبادىء والتعاليم السامية هي نصيب العامة الساذجة من كل دين . وما الهيكل الفخم وتماثيله وهُولهُ الا من دواعي الرهبة والخشية ، وقل التقوى ، التي تقع من نفس الهمج والسفيه موقع الآية الناهية عن المنكر الآمرة بالمعروف من عقل المهذب الراقي . هذا قولهم والله اعلم

ومهما يكن من ذلك فان رابندرانات طاغور ووالده من قبله لا يجثوان لصنم ولا يعبدان وثناً . بل ان دفندرانات طاغور الوالد قد خلد اسمه في صفحات تاريخ الهند بما سعى وافلح ، في سبيل مقاومة الوثنية ودمغ الطقوس التي تشتم منها رائحة الصنمية بالباطل الزهوق . وهو الزعيم الاول لطائفة «براهموسماج»

ورابندرانات نفسه بعيد باقواله وافكاره واعماله عن الوثنية وما اليها بعد الثريا عن الثرى وحسبك ان تما ما بيكله ، انه خال ، لا تمثال فيه ولا شبه تمثال . وما هو الا اربعة جدران تخللها ابواب ونوافذ ، وارض وسقف عاريان ، ولا اثاث فيه ولا رياش الا كرسيّ من الخوص ، لا غير ولا اكثر . وفي هذا الهيكل رأيته اول مرة ، وكان اذ ذاك يقرأ على تلاميذه آخر ما كتب من الحكايات الاخلاقية . وفي هذا الهيكل نفسه القيتُ خطاباً على اولئك التلاميذ في احوال مصر وسوريا . وفيه يجتمعون للانشاد الترتيل . وما ظنك في مذهب مَن هذا هيكله

كتبه

اما كتبه فقد تولت نشرها شركة «مكميلان» الشهيرة واصدرت منها حتى الآن «قرابين الاغاني» و «البستاني» و «الهلال» و «تحقيق الحياة» (وقد اشرت اليها في الرسالة السالفة) و «الصورة» و «مكتب البريد» و «ملك الغرفة المظلمة» (والثلاثة روايات تمثيلية) و «اشعار كبير» وهو منتخبات من آثار شاعر هندي نقلها الى الانكليزية نثراً . وهنا اقول انه هو الذي ترجم كتبه الى الانكليزية بقلمه وأصلها

« بنغالي » الا انه نقلها جميعاً نثراً لا نظماً . ولكن لنثره الانكليزي اسلوباً عجيباً ، ورونقاً رائعاً اعجب بهما قراؤه كل الاعجاب . وقد اشارت اليه جريدة « بال مال غزت » الشهيرة في تقريظها لكتابه الفلسفي « تحقيق الحياة » فقالت : « أن الصيغة اللفظية التي يودعها طاغور حكمته العالية هي ايضاً سامية رائعة . وحسبنا القول أن عبارته طلية جذابة . تمتلك قارئها وتنال من قلبه وعقله فتملكه ما فيها من عاطفة او فكرة »

واني خاتم هذه المقالة بكلمة عن « اشعار كبير » و « كبير » نفسه غير متصدٍّ الى الروايات بل مكتفياً ببعض اشارات الجرائد اليها . قالت جريدة « الأوبزرفر » الانكليزية عن « الصورة » : هي تورية في معنى الحب اصفى من البحيرة في ضوء القمر

وقالت جريدة « التيمس » الكبرى مقرظة « ملك الغرفة المظلمة » : ان السلوى والعزاء والانتعاش الروحي التي يفوز بها من يطالع آثار طاغور وامثالها نعم عظيمة يجدر باهل هذا العصر من الغربيين ان يتلقوها بالشكر والحمد

أما « اشعار كبير » فهي في الغالب من قبيل الشعر الصوفي او الشعر الديني الروحي على الاطلاق . ولا نعلم من امر صاحبها الا انه عاش في اواسط القرن الخامس عشر للميلاد وكان حائكاً مدى حياته

وانما العبرة بما قيل لا بمن قال . وهذه الاشعار المنسوبة الى « كبير » حفظت في الصدور وتناقلتها الالسنة خمسة قرون لانها كانت اهلاً لهذا الخلود . وهي منظومة « بالهندي » والهندي (بدون تشديد الياء) من اللغات الهندية الحية حتى اليوم . وهي مؤلفة من مفردات سنسكريتية وغير سنسكريتية وتكثر فيها الالفاظ الفارسية ايضاً . وكان « كبير » النساج الشاعر من دعاة التأليف بين الاسلام والبرهمية وذهب الى غايته هذه مذهب الصوفيين البرهمية والاسلامية . فكان يتغنى بشغفه وولهه الروحاني ويقل من شأن المعابد الهندوية والجوامع الاسلامية . وقد يلوح للواقف على قصائده بعد الاطلاع على شعر طاغور في « قرابين الاغاني » ان اللاحق اخذ عن السابق ، او حذا حذوه ، ونسج على منواله . وكل ما هنالك ان الشاعرين المتقدم والمتأخر رأيا حقيقة واحدة ، فغناها كلٌّ على قيثارة ونغم حسناً عنده . وما تلك الحقيقة الا وحدة الحق سبحانه . ولم يكن ليخطر ببال « كبير » ان يقوم له اتباع واشياع ينتمون اليه ، ولكنك ترى اليوم مليوناً ونيفاً من الكبيريين في عداد الطوائف الهندية المتباينة

وقد اجاد صاحبنا طاغور ايما اجادة في نقل طائفة من القصائد الكبيرية نثراً شعرياً من اسلوبه الرائق الشائق

وديع البستاني

الشعر الجاهلي

كيف ندرسه

٢

قد يصل الباحث بعد الاحتياط وشدة التحقيق الى الاقتناع العادي بان قصيدة ما من الشعر قد صحت نسبتها الى شاعر بعينه

وقد يصل الى ان هذه القصيدة جاهلية ، ولكنه لا يستطيع ان يحقق نسبتها الى شاعر معروف

فمن هنا تنقسم نتيجة التحقيق في الرواية قسمين ، لكل قسم منها فائدة خاصة : احدهما ما استطاع الباحث أن يعرف فيه شخصية الشاعر وصحة ما نسب اليه من الشعر . والآخر هو ما لم يصل فيه الباحث الا الى أثبات جاهلية الشعر فحسب

لهذا التقسيم أثر عظيم في منهج البحث عن هذه الصورة الواضحة للامة العربية في شعر الجاهليين ، لانه يستتبع تعدد موضوع البحث في احد القسمين ، وتوحده في القسم الثاني

فانك اذا عرفت ان القصيدة التي مطلعها : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) انما هي قصيدة جاهلية قد صحت نسبتها الى هذا الشخص الذي سمته الرواية امرأ القيس بحثت في هذه القصيدة عن شيئين :

أحدهما شخصية الشاعر وصورته النفسية الخاصة وما اتصل بها من الحياة المادية

والآخر صورة الامة العربية عامة . فقد فرغ الناس من أثبات أن قصيدة ما من الشعر لن تعرف وان تشيع في امة شاعر الا اذا لاءمت اخلاقها وطباعها ، ومثلت حياتها النفسية نحواً من التمثيل

ولكنك اذا عثرت (وكثيراً ما تعثر) في حماسة ابي تمام ، والبحتري ، وفي كتاب الكامل ، والاغاني ، وديوان المعاني وغيرها من كتب الرواية بالقصيدة او المقطوعة تنسب الى شاعر غير معروف ، او تعزى الى قائل مشكوك فيه لم يكلفك البحث ولم تأخذك مناهجه ان تتعرف شخصية الشاعر ، وتتبين نفسه ومزاجه الخاص

انما انت ملزم حينئذ ان تبحث عما بين هذا الشعر وبين عصره وبيئته من الصلة والارتباط

فاحد هذين القسمين مزدوج الموضوع والفائدة ، كما انه مزدوج الجهد والعناء
والآخر قد اكرهنا بعد العهد وقدم الزمان على ألا نبحث فيه الا عن موضوع واحد ، ولا نلتمس منه الا غاية واحدة ، من غير ان يرفع عنا ما في القسم الاول من عناء البحث عن مزاج هذا الشخص المجهول ، لنستطيع ان نميزه ميزاً ما من مزاج الامة عامة

كلا القسمين يشترك وصاحبه في وجوه من البحث من حيث انه أثر لزمانه ومكانه ولما كان فيهما من حياة دينية ، وسياسية ، واجتماعية ، واقتصادية

فلا بد لدارس الشعر الجاهلي من ان يدرس اقليم الجزيرة العربيـة درساً جغرافياً مستوفى ليعرف طبيعة ارضها وجوها ونتاجها ، وما عسى ان تترك في نفوس سكانها من أثر

هو ملزم ان يفعل ذلك ، وان يفعله مرات متعددة بالقياس الى عصور مختلفة . فان درس الحال الجغرافية لجزيرة العرب الآن ليس يكفي لدرس حالها الجغرافية قبل الاسلام

فمن الواضح ان الحياة الطبعية لا قليم ما تختلف نوعاً من الاختلاف بتغير الازمان فربما كانت هذه الرقعة من الارض قبل الاسلام خصبة ، فاصبحت الآن مجدبة

وربما كانت في عصر المسيح — عليه السلام — كثيرة المطر موفورة الحظ من الغيث ، فاصبحت الآن وان نصيبها من رمال الصحراء ليربو على نصيبها من ماء السماء[1]

واذاً فما كانت تنتجه من الآثار ايام خصبها غير ما يمكن ان تنتجه في ايام جدبها . فلا بد من درس جغرافيتها التاريخية درساً مستوفى

هذا الدرس وان ادى بعض النفع واشتمل على كثير من الفائدة فانه لا سبيل الى اتقانه والحكم فيه من غير شك ولا ريب . فان العلم لم يوكل بكل اقليم من اقاليم الارض رقباء من مؤرخي الجغرافية وتقويم البلدان يسجلان ما اختلف عليه من خصب الارض وجدبها ومن صفاء الجو وكدره ، ومن فيض الماء وغيضه

فاذا استطاع مؤرخو اليونان والرومان ان يصفوا لنا حال الذي عرفوه من افريقية واوربة وآسية في عصورهم فلم يستطع غيرهم ان يخبرنا بحال الحجاز قبل الاسلام

وانما الذي لدينا الوان من الرواية ليس حظها من الصحة باكثر من حظ رواية الشعر

من هنا تعترض دون درس الجغرافية لبلاد العرب عقبتان : احداها جهل التاريخ

(١) يلاحظ ان هذه حال بلاد تونس

بها ، والثانية ان الجغرافية الحديثة لم تستطع ان تعرفها معرفة صادقة موفورة الحظ من الصواب الى الآن

ولم نطل هذه الاطالة لنحتال في استصحاب البحث أو اقامة العقاب بين يدي الباحثين . وانما نريد ان نثبت ان الاعتماد في درس الآداب على درس المكان والثقة بما ينتج هذا الدرس من النتائج امر لا سبيل اليه ولا مطمع فيه

هذا البحث نافع مفيد ، ولكن نتائجه ظنية ، اذا لم تضف اليها دلائل أخرى تستنبط من غير الدرس الجغرافي

ليس حظ الزمان من هذا الشك باقل من حظ المكان ، فان الزمان اذا ذكر في تاريخ الآداب لم يرد منه حركة الفلك ولا تلك المعاني التي اختلف الفلاسفة في تحديدها . وانما يراد منه الحياة العامة التي تتناول سيرة الامة في دينها ، وسياستها ، واجتماعها ، واقتصادها ، وآدابها . ووضوح هذه المعاني بالقياس الى امة ما موقوف على وضوح تاريخها الوضوح كله ، كما انه خاضع من قوانين التغير والاستحالة لاكثر مما خضع له المكان

فالبحث عن الحياة الادبية لامة لم تعرف الكتابة مصدر شك وارتياب ، لان الكتابة لم تنقل الينا صورة صادقة أو قريبة من الصدق لهذه الحياة

وتلك القوانين العامة التي استكشفها علم الاجتماع وجعلها مقياساً لحركة الامم في انتقالها من بداوة الى حضارة ، ومن انحطاط الى رقي ، اذا سهل علينا التوفيق بينها وبين حياة الامم الحديثة الآن ، فليس مصدر ذلك الا وضوح تاريخ هذه الامم

فاذا غمض هذا التاريخ كان التوفيق بين هذه القوانين وبين حياة هذه الامم امراً عسيراً ليس يخلو من الفائدة من غير شك ولكن تحقيق الصلة بينه وبين اليقين المنطقي امر لا سبيل اليه

اذاً فلا بد — مع العناية بدرس الزمان والمكان — من الاعتماد على الاداب نفسها في فهم الصورة الادبية للجاهليين

فان شعر الشاعر ليس الا مثالاً لشخصه

فاذا استطعنا ان نعرف هذا الشخص من شعره سهل علينا ان نقرن اليه امثاله ونظراءه ، وان نصف ما يمكن ان يكون بينهما من تقارب واتصال

وكلف الامة بالقصيدة المنظومة ، والخطبة المدبجة ، وانطلاق الامثال السائرة ليس الا صورة نفسها الاجتماعية

فشيوع قصيدة امرئ القيس يدلنا على ان هذه القصيدة قد كانت نموذج ما يحب العرب من الشعر : اي انها قد كانت مثالاً لنفس الجمهور من الامة العربية

وليس ينبغي ان يطمع باحث عن حياة الآداب قبل التاريخ او عصر التاريخ القديم في اكثر من ذلك

هذا ضرب من اليأس صعب على محب البحث احتماله ، ولكن

اذا لم يكن الا الاسنة مركباً فلا رأي للمضطر الا ركوبها

ونحن اذا ظفرنا من حياة الامة الجاهلية ببعض هذا الذي نسمو اليه فقد وفقنا الى خير كثير

يشترك القسمان من الشعر الجاهلي كما قدمنا في هذا النحو من الشبه وفي هذا الضرب من البحث بحيث متى فرغ منه الباحث كان قد قطع المرحلة الثانية في سبيل غرضه الذي يلتمسه ويسعى اليه

فاذا وصل من البحث الى هذا الموضوع وجد طريقين مفترقين ولكنهما تنتهيان الى غاية واحدة في رأي المؤرخ والاجتماعي ، والى غايتين مختلفتين في رأي مؤرخ الآداب

اولى هاتين الطريقتين البحث عن الشعر قد عرف صاحبه وصح ما بينه وبين شعره من النسبة

ولنرد هذه الطريق لنرى : أسهل هي أم حزن ؟ ويسير مسلكها أم عسير ؟

الشاعر ، والكاتب ، والخطيب والصانع والفنى أثر زمانه ومكانه كما يقولون

ذلك حق لا شك فيه . ولكن : أليس لهذا الشاعر شخصية مستقلة يصعب او يمتنع تحقيق ما بينها وبين الزمان والمكان من صلة ؟

لا ينبغي أن يكون في ذلك شك . والا فلم كان هذا الشاعر شاعراً دون غيره من ابناء زمانه ومكانه ؟ ولم اختص شعر امرؤ القيس مثلا بخصائص حرمها شعر آخر من الذين عاصروه وعاشروه ؟ وكيف نستطيع ان نفهم معنى النبوغ اذا لم يكن كل شيء الا نتيجة الزمان والمكان ؟

نعم ليس من ظواهر هذه الحياة الفردية والاجتماعية ما لا يرجع الى علة ولا ينتهي الى سبب . ولسنا ندعي أن النبوغ امر غير معلل . وانما نقول ان العلم حتى الآن لم يستطع ان يستكشف الصلات الدقيقة بينه وبين عصره وبيئته

فلا بد من البحث عنها في خفايا النفس وطيات الضمير

وهنا يظهر الاثر الذي سيحدثه علم النفس في حياة الاداب . فهذه الطريق اذاً التي

نسلكها في درس الشاعر عرفته الرواية وعرفت شعره : هي طريق البحث عن عواطفه وطباعه ، وعن اهوائه وميوله ، وعن مزاجه وتركيب نفسه

ومن الواضح ان هذا البحث عسير بالقياس الى المحدثين من الشعراء لان علم النفس لم يصل بعد من الكمال الى حظه المنشود ، فكيف بالشعراء المتقدمين !

وهنا ايضاً ينبغي ان نقنع بالقليل ، وان نعد الوصول اليه ظفراً و نُجحاً ، ما دمنا لا نستطيع ان نرد الماضي ، وان نبشر هؤلاء الشعراء من قبورهم ، ونجعل نفوسهم موضوع البحث والتحليل

ولنعد الى الطريق الثانية فنرتاد مذاهبها ، ونسبر اغوارها ، لنرى مقدار ما تكلف الباحثين من العناء

بين يدينا قصيدة لم يعرف الرواة لها قائلاً ، وقصيدة اختلفوا في قائلها

فاما الثانية فامرها ميسور ، فانا ان عرفنا شخص قائلها سهل علينا ان نتبين شخصيته فيها ، فان اهتدينا اليها فقد صح اتصالها به ، والا فحكمها حكم الشعر الذي لا يعرف قائله ، فكيف ندرس هذا النوع من الشعر ؟

ليس جهل الشاعر نفياً له او جحوداً لوجوده ، فان من المستحيل ان يوجد شعر من غير شاعر ، او ان تكون الامة كلها قد اجتمعت على نظم قصيدة من القصائد

اذاً فلهذا الشعر قائلون قد جار الزمان عليهم فمحا اسماءهم من ذاكرة الرواة ، او حملتهم احداثه وغيره على ان يتعمدوا اخمالهم والقاءهم في ظلمات الجهل والغموض ، فقد مثل هؤلاء الشعراء حظهم من خلود الاسم ، فلا ينبغي ان نهمل حظنا من الانتفاع بما بقي من شعرهم

فنحن ملزمون ان نتكلف البحث عما عسى ان يكون لشخصيتهم المجهولة في شعرهم من ظل ، ولنفسهم من طيف

ولا بد من ان يتمثل هذا الطيف وذاك الظل ما اكره الرواة والزمان على حفظ هذا الشعر وتخليده من جودته وحسن ديباجته ، وانما مظهر هذه الجودة وحسن الديباجة عاطفة حادة ، او شعور ظاهر الصدق ، وخلق بين النباهة

فاذا استطعنا ان نظفر بهذا القدر القليل من ظل الشاعر وطيفه ، وان نحكم بان ليس من شأن الجماعات ان تتصف به ، فقد بقي لنا في الشعر حظ الجماعة من هذه الصورة النفسية التي ينبغي ان نبحث عنها وحدها ، والتي لا يوصلنا اليها ولا يظهرنا عليها الا الدرس المتقن لما يحيط بهذه الجماعة من المؤثرات

للجماعة صورة نفسية خاصة تميزها من غيرها من الجماعات ، كما ان للفرد صورة توضح الفرق بينه وبين غيره من الافراد

فسبيلنا اذا فقدنا شخصية الشاعر ان نلتمس شخصية الجماعات فان ظفرنا بها فذاك ، والا فلا بد لنا من الشك الكثير في ان راوياً من الرواة قد اتقن الحيلة واجاد الصناعة حتى بلغ الغاية القصوى من المحاكاة ، فاستطاع أن يخدع معاصريه ومن جاء بعده عن انتحاله وافترائه ، ولكنه لن يستطيع ان يخدع البحث الصحيح المؤسس على ما قدمناه من استشارة علم النفس في درس حياة الافراد والجماعات

كتاب تقوم فصوله وابوابه على هذا المنهج من الاستقصاء يفيد الفائدة كلها في فهم الآداب العربية واستخراج صور واضحة منها لهذه الامة التي مرت بالتاريخ فظلمها او ظلمها اصحابه ، فلم يعرفوا من نفسها الا ظلالاً لا تكفي لتمثيل عظمتها الفطرية والمكتسبة ، فانك اذا استشرت التاريخ السياسي والادبي لهذه الامة لم يدلك من حياتها الا على أنها قد كانت أمة عظيمة الفتوح ، موفورة الحظ من ضخامة العمران ، كثيرة عدد الشعراء ، والخطباء ، والكتاب ، والمؤلفين

كل هذا حسن يبعث في نفس الاجيال الحاضرة والمستقبلة شعور الاعتزاز بالآباء والافتخار بالمجد الموروث ، ولكنه مبهم غير واضح ومضطرب غير مرتب ولا منظم

قد كان آباؤنا عظماء الفتح ، ولكن ما طبيعة هذا الفتح ؟ وما مصدره في نفوسهم ؟

وقد كانوا ذوي عمران ضخم وسلطان فخم ، ولكن ما خصائص هذا السلطان ؟ وبمَ يمتاز ذلك العمران ؟ وهل كان للامة العربية فيه شخصية تميزها من الاجيال التي سبقتها واتت على آثارها ؟

عدد شعرائنا كثير ، ولكن ماذا طرقنا من فنون الشعر ؟

وعدد كتابنا موفور ، ولكن ما طبيعة ما تركوا لنا من النثر ؟

وليس يكاد العد يحصي مؤلفينا ، ولكن ما القيمة العلمية لما ألفوا ؟ هل لحياة العقل العربي والعواطف العربية حظ في هذا البناء العلمي والادبي ؟ فان كان لها منه حظ ، فما هو ؟ وما قيمته ؟

كل هذه مسائل ليس لاحد منا الآن أن يجيب عنها وهو مرفوع الرأس . لا لاننا قد حرمنا حظنا من الاشتراك في تكوين الحياة العقلية للانسان . بل لاننا نجهل قيمة هذا الحظ . نجهلها لاننا لم نبحث عنها ، ولم نبحث عنها لاننا بعدُ ناشئون في درس العلم على اساليبه المحدثة

اذاً فليس علينا لوم في هذا التقصير ، لاننا لم نتكلفه . وانما يصيبنا اللوم كله اذا اقررنا هذا التقصير بعد أن عرفناه ومضينا فيه بعد ان بلونا آثاره

محمد حسن نائل المرصفي

المجرم

في نظر العلم الحديث

ليس تاريخ العقاب الا تخفيفاً متواصلا

ايهرنج

تصور — ايها القارئ — فتى لم يتجاوز الخامسة او السادسة من عمره قد حُكم عليه بالاشغال الشاقة او بالموت : لا ريب ان اول ما يتبادر الى ذهنك استهجان الحكم اذ انك تعلم قصور الفتى في هذه السن وضعف ادراكه فكيف يصدر مثل ذلك الحكم الصارم على من لا يزن اعماله ولا يميز بين الغث والسمين ? هذا امر ثابت ولذا رأينا القوانين لا تلقي تبعة ما على الانسان حتى يجتاز سناً يعد بعدها مالكاً لارادته مسؤولاً عن سلوكه

قد اثبتت المباحث العلمية والتجارب والاختبارات الكثيرة التي اجريت في السنين الاخيرة ان جمهوراً كبيراً من الذين وقعت عليهم احكام المحاكم الجنائية ليسوا ارقى عقلاً ولا ادق تمييزاً من الولد الذي لم يتجاوز بضع سنوات من العمر . فكيف يحملونهم تبعة اعمالهم — وعقلهم لا يزيد على عقل الحدث — ثم يسوقونهم الى سجون تنمي فيهم غرائزهم الوحشية بدلا من ان تخمدها . ان مثل هؤلاء لأجدر بهم ان يرسلوا الى مستشفى عقلي يتدبر حالتهم ويهذبهم الى ان يبلغوا درجة النمو العقلي التي تؤهلهم للحكم والتمييز — والا فكل حكم واقع عليهم ليس من العدل في شيء

وقد اختلف نظر الهيئة الاجتماعية الى المجرم ومعاملتها له اختلافاً عظيماً مع مرور الزمن وتقدم المدنية . على ان متتبع هذا التطور الفكري يستخلص من درسه حقيقة لا ريب فيها وهي ان الناس ما برحوا مع تقدمهم يخففون شدة احكامهم على الجانين . قال ايهرنج الكاتب القانوني الشهير « ليس تاريخ العقاب الا تخفيفاً متواصلا » . فشتان بين معاملة الاقدمين للجانين ومعاملة اهل الدول المتمدينة لهم في الوقت الحاضر . على ان ناشدي الاصلاح القانوني يتطلعون — مع ذلك — الى ابتداء عهد جديد يكون اكثر انصافاً واشد اعتماداً على المبادئ العلمية . وان جميع الدلائل لتشير الى ان هذا العهد ليس ببعيد

ولنلق الآن نظرة عامة الى تطور طرق العقاب والمبادىء التي كانت تعتمد عليها : ولا نقصر النظر الى امة مخصوصة فان تطور العقاب متشابه عند جميع الامم

العقاب قديماً وحديثاً

﴿ الاستئثار الفردي ﴾ لم يكن للعقاب اساس في الازمنة الاولى غير طلب الثأر فلم يكن اذ ذاك سلطة عامة تسوّي ما ينشأ بين الافراد من ألوان الخلاف وضروب التعدي . فقد كان على كل انسان (او عائلته) ان يستخلص حقه من ايدي خصمه او ان ينتقم لنفسه منه . ولا يخفى ما ينتجه ذلك من الظلم اذ ان الاقوياء هم الذين يتمكنون من نيل حقوقهم والثأر لانفسهم ، فضلاً عن انه ليس للعقاب حد يقف عنده . وكثيراً ما ينتهي الامر بان « يضاف بغي جديد الى البغي الاول » على ما قال احدهم

حتى اذا تكوّنت سلطة عامة بين القوم أخذت في تحديد حق الثأر . وقد كان اول تحديد له قاعدة القود . اي ان يكون الثأر مساوياً للضرر وفاقاً للقول المأثور « والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص » . وكان التحديد الثاني استبدال الجزاء الجسدي بغرامة مالية ولقد ترك الاقدمون نحفاً طويلة تبين الثمن الذي يقابل كل تعدٍّ او ضرر

﴿ الاستئثار القومي ﴾ وبازدياد السلطة العامة نفوذاً وقوة انتزع من الافراد حق الاستئثار وجعله السلطة من خواصها بصفتها محافظة على الامن بين الاهلين . فاذا كان صاحب السلطان ملكاً او اميراً عد كل جناية ترتكب في ملكه اهانة له يجب عليه ان ينتقم من مرتكبها . وفي هذا الدور من الرقي الاجتماعي نجد العقوبات صارمة جداً لارهاب الناس وتخويفهم . وبالاجمال فللعقاب اساسان يرتكز عليهما وهما : الاستئثار القومي والارهاب

* * *

قد كان للآراء الفلسفية التي انتشرت في اوربا اواخر القرن الثامن عشر تأثير عظيم في تطور الافكار من حيث العقاب واساسه وطرقه وقد نشأت من جراء ذلك نظريات مختلفة هذه اخطرها :

﴿ نظرية التعاقد الاجتماعي ﴾ كان الواضع الاول لهذه النظرية روسو وخلاصتها ان الناس قبل زمن الاجتماع كانوا يعيشون منفردين وان الهيئة الاجتماعية تكونت بتعاقد اولئك الافراد واتفاقهم على شروط هي اركان الاجتماع . فمن تلك الشروط انهم منحوا الهيئة الممثلة للمجموع حق المدافعة عن انفسهم ومعاقبة المعتدين عليهم وانهم اشترطوا على انفسهم ان يخضعوا لما يقع عليهم من الاحكام في حال ارتكابهم امراً مخالفاً للعقد الاجتماعي

على ان هذه النظرية فاسدة لانها مبنية على فرض وهمي فان الانسان اجتماعي بالطبع ولم يكن في دور من ادواره معتزلاً عن بني جنسه . فلا اساس اذاً لقول روسو بان البشر تعاقدوا يوماً على الاجتماع وما هو الا محض تخيل

﴿ نظرية الفائدة ﴾ زعيم هذه النظرية الانكليزي بنتام وقد جعل أساس العقاب فائدة للمجموع اي ان السلطة العامة تعاقب الجانين في سبيل الفائدة العامة اعتقاداً بانهم اعداء المجموع . وتقضي هذه النظرية بان يكون العقاب على نسبة الخطر الذي يلحق الهيئة الاجتماعية من جراء الجناية . وبعبارة أخرى ليست هذه النظرية الا رجوعاً الى فكرة الارهاب القديمة . ومن ثم نشأت صرامة القوانين المبنية عليها - وقد كان لها المقام الاول في نظر منشئي القانون الجنائي الفرنسي الموضوع سنة ١٨١٠ في زمن نابوليون

﴿ نظرية العدل المطلق ﴾ ان هذه النظرية تناقض النظرية السابقة فهي لا تعتد تأثير الجناية في المجموع فتعاقب على هذا القياس ولكنها تنظر الى الجناية ذاتها وتعاقبها بالنسبة الى عظمها ودرجة مخالفتها للآداب الصحيحة والعدل المطلق . ومن اقدم اصحاب هذه الفكرة افلاطون ومنهم ايضاً الفيلسوف الالماني كنت . وضعفها انها لا تميز بين القوانين الادبية السامية والقوانين البشرية الوضعية . فقد يكون العمل المخالف للآداب السامية المطلقة محصور التأثير في الفرد لا يصيب الهيئة الاجتماعية بضر

﴿ النظرية الجامعة ﴾ جمعت هذه النظرية بين النظريتين السابقتين فقالت ان للهيئة الاجتماعية ألا تعاقب احداً « باشد مما يتطلبه العدل أو باكثر مما يقف على العقاب من فائدة » . وقد كان زعماء هذا الراي كوزان وجيزو الفيلسوفان الفرنسيان وقد اثر تأثيراً محسوساً في تعديل القانون الفرنسي سنة ١٨٣٢ . ولقد عيب عليه أنه يجعل لنية الجاني مقاماً كبيراً فيخفف صرامة العقاب كثيراً

الآراء الحاضرة

﴿ اثر علم الحياة ﴾ ان الهيئة الاجتماعية في نظر رجال هذا العلم تشبه الجسم الحي فهي خاضعة مثله لناموس المحافظة على البقاء . وما العقاب الا وسيلة طبيعية تعينها على دفع شر الادران والاخطار التي تهددها . فاذا عاقبت جانياً فكأنها تدافع عن كيانها . وليس هذا الراي الا رجوعاً الى مذهب التخويف ومنع القدوة السيئة

﴿ اثر علم الانسان الجنائي ﴾ قد احدث هذا العلم ضجة كبيرة في اوربا ولكنها لم تلبث ان خمدت اليوم بعد ما ظهر من تطرفها . فقد ادعى زعماء هذا العلم وفي مقدمتهم لومبروزو الايطالي الشهير ان الجانين اشخاص منحطون جسدياً يولدون بميزات تشريحية

خاصة تدفعهم — لا محالة — الى ارتكاب الجرائم . فمن ذلك قول لومبروزو ان يدي السارق طويلتان وان يدي القاتل قصيرتان ونحوذلك . وبعبارة أخرى إن هذا الرأي يمحي حرية الارادة محياً تاماً ولا يجعل المجرم مسؤولاً عما يأتيه . وقد ثبت لدى العلماء أن الكثير مما استنبطه لومبروزو واتباعه لا يصح ان يؤخذ قياساً عاماً ثابتاً

﴿ أثر علم الاجتماع الجنائي ﴾ وقد قام نفر آخر من العلماء الاجتماعيين يزعمون ان السبب الاول للجنايات هو البيئة التي ينشأ فيها الجاني . فما الجانون في رأيهم الا نتيجة تفاعل التربية الفاسدة والفقر والكحول والقمار ونحوذلك . ان لهذا الرأي اليوم مقاماً كبيراً في اوربا لانه مدعوم ببراهين واحصاءات ثابتة . ولكن التطرف فيه يخلي الجاني من كل مسؤولية ويستحيل ان يقوم قانون جنائي من غير فكرة المسؤولية

* * *

فما الذي نستنبطه من تلك الآراء المتضاربة ؟ ان فيها جميعها شيئاً من الحق . فلا يستطيع احد ان ينكر ما للوراثة وصحة الجسم من التأثير في التكوين العقلي كما انه من الثابت ايضاً تأثير البيئة وما فيها من الامراض الاجتماعية . فالانسان نتيجة القوى المتوارثة والقوى المكتسبة . فاذا اردنا منع الجرائم وجب علينا اولا تحسين الوراثة ثم ثانياً تحسين البيئة

وكما ان الطب الحديث يوجه عنايته الى الوقاية اكثر منها الى العلاج فالمشترعون اليوم يجتهدون في منع الاسباب التي توجد الجانين والجنايات اكثر من وصف العقوبات التي ترمي الى مجازاة هذا المجرم او ذاك . على ان العالم المتمدن لا يزال في بدء هذا المضار ولا تزال المخالفات كثيرة يجب ملافاتها بانجح الطرق واعدلها . فما السبيل الى ذلك ؟

ان افضل رأي في نظرنا هو مجازاة كل جان حسب مداركه واستعداده اذ قلما تجد جانيين تماثلت فيهما البواعث التي دفعتهم الى اتيان عملهم الشنيع فوظيفة المحاكم الجنائية هي درس حالة الجاني والعوامل التي أثرت في نموه . وليس يجوز ان يبرح من ذهن القاضي ثلاثة مقاصد اولية :

(١) ان يمنع الجاني من الاضرار بالمجموع
(٢) ان يكون العقاب امثولة لزجر غيره
(٣) ان يعتبر مستقبل الجاني اعظم شأناً من ماضيه وان اصلاحه مقدم على معاقبته

وهاك منهجاً مختصراً يبين اهم الوسائل التي يجب ان تتخذها الامم لمحاربة الجنايات على انواعها . وهو قسمان قسم في الوقاية وقسم في العلاج

الوقاية

١ تحسين النسل : بمحاربة الامراض الوبائية وأنواع التسمم (ولا سيما بالمشروبات الروحية) وهي في الغالب اكبر الاسباب المهيئة لاختلال المجموع العصبي بحيث يصبح سريع التهيج او يصاب بشلل فى المراكز الرادعة — وقد ثبت ان نظرية مندل الخاصة بتوارث الصفات تنطبق على تناسل المجرمين وضعفاء العقول وليس يوضح مؤدى هذه النظرية افضل من الجدول المنشور هنا فانه يبين كيف ينتقل ضعف العقل من الآباء الى الابناء وبأي نسبة



تطبيق نظرية مندل على تناسل المجرمين

في هذا الجدول المربعات تشير الى الذكور والدوائر تشير الى الاناث وحرف N (مختصر Normal) يدل على ان الشخص صحيح الجسم والعقل وحرف F (مختصر Feeble minded) يدل على عقل شديد الانحطاط . اما المربعات والدوائر التي نصفها ابيض ونصفها اسود فتدل على ان في الشخص بعض الصفات المنحطة . ففي قهمنا ذلك علمنا من الجدول ١ ان الابوين الصحيحين ينتجان نسلاً صحيحاً وعلمنا من الجدول ٢ ان الابوين المنحطين عقلاً يلدان اولاداً منحطين . ويؤخذ من الجدول ٣ انه اذا كان الاب منحط العقل والام صحيحة كان في الاولاد كلهم بعض الصفات المنحطة . ويدل الجدول ٤ على انه اذا كان في الاب صفات منحطة وكانت الام منحطة العقل تماماً كان نصف النسل منحطاً تماماً وكان في النصف الآخر بعض الصفات المنحطة — وقس على ذلك . ولم تميز هذه الجداول في الاولاد بين الذكور والاناث لتسهيل فهمها

٢ — توسيع نطاق التعليم والتهذيب : قال هوجو « من يفتح مدرسة يقفل سجناً » . وتعليل تأثير التعليم في الانسان وردعه عن ارتكاب المنكرات هو ان الصور والمعلومات التي تتراكم في العقل تكون بمثابة عقبات تحول دون اخراج فكرة المنكر الى حيز العمل فكلما

ازداد خلو العقل كان الانسان اسرع اطاعة للدوافع ووقوعاً في التجارب . ويجب ان يكون التعليم عملياً صناعياً اكثر منه نظرياً . وينبغي لهذا الغرض انتزاع الاولاد من أيدي والديهم اذا كانوا غير اكفاء وتعليمهم بعض المهن — وافضلها الزراعة

٣ — الوقاية من الامراض العصبية : فقد اقترح احد الاطباء المشهورين انشاء « مستشفيات للاحداث العصبيين » حيث يعالج الاولاد الذين أعدتهم وراثتهم الى سرعة التهيج او الكسل او الى الامراض العصبية كالهستريا والنورستينيا والصرع لتغذية ادمغتهم وتقويم عقلهم

٤ — تأليف فرق عسكرية من الافراد الذين لم تمر فيهم التربية والتعليم والاستشفاء وارسالها الى مستعمرات بعيدة

العلاج

١ — تخصيص القاضي الجنائي في فنه واصلاح نظام المحاكم الجنائية

٢ — اجراء الفحص الطبي العقلي في معظم الاحوال : وهو يقضي بدرس حالة المجرم جسماً وعقلاً

٣ — انشاء مستشفيات لاصحاب الامراض العقلية والعصبية من المجرمين تكون في الوقت ذاته بمثابة السجون

كيف يدرسون حالة المجرمين

قلنا ان كثيرين من المجرمين هم اضعف عقلاً من الاحداث الذين لم يتجاوزوا سنين قليلة من العمر . فهؤلاء لا يفيدهم العقاب شيئاً بل يضر بهم ويزيد في شراسة اخلاقهم وهم أجدر ان يعالجوا في المستشفيات ريثما تنمى عقلهم ويقوم اعوجاجهم — واذا لم يتيسر ذلك وجب حصرهم في مكان بعيد يجعل الهيئة الاجتماعية في مأمن من شرهم

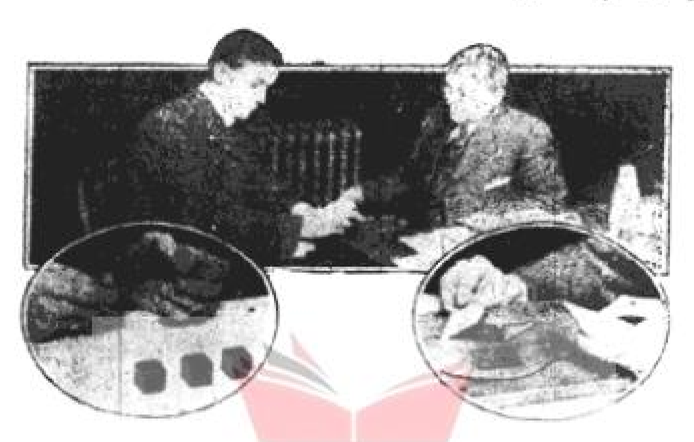
وقد اخذت الدول المتمدنة توجه عنايتها الى فحص المجرمين فحصاً دقيقاً . ومن هذا القبيل معهد للامراض النفسانية أنشىء حديثاً في نيويورك والحق بادارة البوليس . وقد رأينا ان ننقل شيئاً عنه وعن طرقه . قال أحد أعضاء ذلك المعهد :

« قضينا خمسين يوماً في درس الموضوع قبل أن نشرع في عملنا رسمياً . فكنا ننتخب كل يوم عدداً من المتهمين الذين نستدل من هيئتهم على اصابتهم ببعض الامراض العقلية لنفحصهم . ففحصنا في تلك المدة ٤٠٩ أشخاص . فمن هذا العدد وجدنا ١٤ من قاصري العقل وواحداً معتوهاً واثنين مختلي البنية وثلاثة مدمني الخمر والعقاقير المخدرة . ولم نجد

بينهم جميعاً الا ثمانية صحيحي الجسم والعقل الصحة كلها

« ويجمل القول ان تجاربنا دلتنا على ان خمسة في المئة على الاقل من المقبوض عليهم هم من المختلين شعوراً والقاصرين عقلاً

« ونحن ندرس الآن في المعهد حالة تلك الفئة ونفحص قواها العقلية اولاً وحالتها العصبية ثانياً وحالتها الصحية العامة ثالثاً »



فحص الجانين

في اعلى الصورة طبيب يفحص مجرماً وهو يراقب كيف يضم القطع الخشبية بعضها بجانب بعض حتى يتكون من مجموعها شكل معلوم · وعلى يمينها قطع خشبية متساوية الحجم مختلفة الوزن يطلب الى المفحوص ان يرتبها حسب وزنها لمعرفة درجة احساسه وتمييزه · وعلى يسارها المجرم يضع قطعة خشبية في الصورة التي طلب اليه تركيبها

أما الفحص العقلي فله وسائل مختلفة منها انهم يطلبون الى المتهم ان يجيب الى أسئلة يستخلص منها مقدار تمييزه وصحة نظره. وتلك الاسئلة أقسام تتفاوت صعوبة ويدل كل قسم منها على درجة معينة من النمو العقلي . وقد نشرنا في بعض اعداد السنة الماضية مقالة وافية عن القياس العقلي فليرجع اليها من شاء

ومن طرق الفحص انهم يطلبون الى المتهم ان يركب صورة وجه خشبي من قطع مختلفة تكوّن بمجموعها الوجه ومنها انهم يطلبون اليه أن يضع قطعاً خشبية متساوية حجماً مختلفة وزناً في صف مبتدئاً بالاثقل فالخفيف فالاخف وهلم جراً (انظر الشكل السابق)

الزواج والعائلة

في المستقبل

﴿ الهلال ﴾ كيف تجدد اوربا شبابها بعد هذه الحرب ؟ سؤال تناقلته صفحات الجرائد ودار على الالسنة في المجتمعات الادبية حتى قيل ان بعض كبريات السيدات الاوربيات اصبحن يحدثن في جمياتهن عن مستقبل الزواج وتعدد الزوجات وحرية الطلاق وغير ذلك من الوسائل التي تؤدي الى حفظ الروح الحية الشابة في الشعوب المتمدينة ، اذ لا ريب ان أعظم خسارة خسرتها اوربا في هذه الحرب الضروس انما هي خسارة الرجال وستكون أعظم مشكلة تعنى بحلها بعد الحرب تعويض تلك الخسارة . وبهذه المناسبة رأينا ان ننشر المقالة الآتية التي تعبر عن آراء كاتب اجتماعي معروف في هذا الموضوع

وضع المسيو ليتورنو كتاباً في تطور الزواج جمع فيه حوادث وعادات وآداب لجميع سكان المعمور منذ بدء التاريخ الى الآن معتمداً في نقلها على مؤلفات عديدة لاجتماعيين وسياح ومشترعين وتاريخيين وبنى عليها نتائج وآراء في مستقبل الزواج والعائلة رأيت ان اعربها لقراء الهلال . قال :

الزواج والاسرة طرازا ما برح يتغير ويتطور منذ بدء التاريخ الى هذا العصر وسيظل كذلك في المستقبل ولن يستقر على حال لان العالم الصغير الانساني لا يعرف الراحة والسكون اكثر من العالم الكبير المشتق هو منه . فالتزاحم الحيوي والانتخاب الطبيعي يعملان عملهما في الشعوب والافراد كما في سائر الكائنات . ولما كان الزواج والعائلة من الامور الجوهرية في الحياة فاقل تحسين في نظامهما يتجلى لنا في منتهى الخطر ويعظم تأثيره في كمية النسل الجديد وصفاته وفي جسم الشعوب وعقلها

اذا نظرنا الى التطور في الماضي نرى ان الجماعات تتقدم دائماً من الغموض والابهام الى الوضوح والجلاء . فالزواج بصورته الحالية قد تسلسل عن عدة طرق غامضة للعلاقات الجنسية ، والاسرة التي تنحصر الآن في الاب والام والاولاد هي ملخص جلي لما سبق من الجماعات الواسعة كالقبائل وافخاذ القبائل ، وفقاً لتطور الزواج السائر في سبيل استقلال الافراد ولا سيما المرأة

ان هذا التطور المستمر الذي رافق النشوء الاجتماعي منذ وجد الانسان لن يقف عن تأثيره غداً ولا بد ان يؤثر في المستقبل كما أثر في الماضي . فماذا يكون من امر الزواج والعائلة ؟

العائلة

اذا استمر التطور الفردي القديم العهد في سيره الى الامام فالعائلة المتمدينة وهي آخر وحدة اجتماعية ستتفكك ايضاً وسينتهي الامر بها الى الزوال فلن توجد الاَّ في سلسلة النسب التي سيظل الاعتناء بتسجيلها العلمي شديداً حفظاً لانتساب الافراد . ولكن من اعضاء هذه العائلة المفككة ستتألف وحدة مشتركة مجددة تحت شكل آخر اكثر اتساعاً ، غير ان هذه الوحدة الجديدة المتسعة لن تكون نسخة من تخذ القبيلة المنقرض بل تكون الدولة أو الولاية أو المدينة . ويكون نظامها مستبدًا وحرًا في آن واحد فلها ستكبح كل ما من شأنه الاضرار بالمجموع لكنها ستعمل فيما سوى ذلك على اطلاق الحرية التامة للافراد

كثيرًا ما نرى نقصاً شديدًا في دائرتنا العائلية الحاضرة فقليلة هي العائلات التي يمكنها ان تربي أو تعرف كيف تربي الولد التربية الصحية الجسمية والادبية والعقلية . ولذلك ينتظر ويستحسن ان تشترك الحكومة في الامر لتخرج المجتمع عددًا كافياً من الافراد ذوي الجسم السليم والعقل السليم . وامام هذه الحاجة الشديدة تتلاشى كل المصالح الانانية للاسر

الزواج

ولما كان الزواج مرتبطاً بالعائلة اشد ارتباط فلا يمكن تغييرها مع بقائه على حاله وما دامت روابط العائلة تتفكك فكذلك يكون امر الزواج وقد ابتدأ هذا التفكك من عهد بعيد وان لم يكن واضحاً جلياً الا انه كل يوم في ازدياد . لنترك الوجهة الادبية التي يصعب تقديرها قدرها ولننظر الى نتيجة الاحصاءات العددية فيما يختص بالطلاق والموالد غير الشرعية في اوربا فماذا نرى ؟ نرى ان الطلاق قد زاد في ثلاثين سنة (١٨٥١ — ١٨٨٠) زيادة مطردة حتى بلغ في بعض البلاد اربعة اضعافه وزاد القران الحر كما زادت الموالد غير الشرعية على هذه النسبة ايضاً

في البدء كانت العلاقات الزوجية بين الرجال والنساء في جميع الاصقاع تقريباً علاقة سادة باماء ثم اخذ استبداد الرجال يخف شيئاً فشيئاً . ففي رومة مثلاً كانت سلطة رب الاسرة في البدء لا تعرف حداً ثم ضاق نطاقها وتقلص ظلها وادى الى ظهور شخصية المرأة فتبدل الزواج الشديد المراس في العصور الاولى للجمهورية بنوع من القران الاختياري في عهد الامبراطورية . ولما دخلت المسيحية رومة وقفت بنفوذها سير هذه الحركة وعرقلتها ولكنها (اي هذه الحركة) عادت فاتبعت مجراها الطبيعي الى الامام وهي تتقدم وسوف تترك عهد الامبراطورية الرومانية وراءها بمراحل

يظهر ان الزواج الحاضر سيدوم طويلاً فهو آخر طرز وافضل شكل ولا مناص منه ما دام عدد الذكور وعدد الاناث متكافئين ولكن ستزداد فيه المساواة بين الزوجين وتخف القيود الشرعية عنهما ، وقد كان الاجتماعي الطائر الصيت هربرت سبنسر من هذا الرأي فهو القائل « في اطوار الانسانية الاولى اذ كان الزواج اشبه بمشترى الزوجة كان الشرع وحده الامر الجوهري في القران ، اما الزواج بحسب الميل فلم يكن جوهرياً . وفي ايامنا نجد المقام الاول للقران الشرعي اما القران المبني على الميل فاقل اهمية . وسيأتي وقت يصبح فيه المقام الاول للقران بالميل والمقام الادنى للقران الشرعي ويعد الناس اذ ذاك القران الذي لا تشترك في احداثه عاطفة الحب قراناً مشجوباً مرذولاً »

المستقبل

فليس غريباً اذاً ان ندخل عاجلا او آجلاً في طور الزواج الحر يعقده الزوجان باختيارهما ويحلانه باختيارهما فلا تشترك الجماعة — الحكومة او المدينة — في امر الطلاق الا بقدر ما هو من مصلحتها الحيوية ولاسيما ما يخص مصير الاولاد وتربيتهم . ولكن هذا التطور في الزواج واستعماله على هذه الطريقة سيكون بطيئاً لانه يفترض انقلاباً تاماً في الرأي العام وتغييرات اساسية في النظام الاجتماعي فلا يتيسر العدول عن طراز العائلة الحالي والعمل بنظام الحرية في الزواج الا على شرط ان تكون الحكومة او الولاية في معظم الحالات على استعداد لان تتوصى على الاولاد وتقوم بتربيتهم . ولكن قبل ان تحمل الحكومة او الولاية على عاتقها هذه الوظائف الخطيرة

يقتضي ان يكون لديها موارد غزيرة تنقصها الآن . فالعائلة في نظامنا الاجتماعي الحاضر تعد (على ما فيها من العيوب) ملجأ اميناً للاولاد وتكاد تكون ملجأهم الوحيد فلا يمكننا هدم هذا الملجأ قبل ان نشيد ما هو اوسع منه وافضل

وبديهي ان مثل هذه الانقلابات الجوهرية لا يمكن ان تتم بين صباح ومساء بمجرد تغيير رأينا فيها — كما يحصل في الانقلابات السياسية — فنتوقع خراباً مستعجلاً لنظامنا الحالي في الزواج والعائلة والملك ، غير انه لا شك في ان جميع هـذا النظام متقلقل وآيل الى السقوط . فالجماعات في تطور دائم وهذا التطور يزداد سرعة مع مضي الزمن فلا عجب اذا ظهرنا بمظهر عبيد العادة في عيون خلفائنا كما ظهر اسلافنا في عيوننا

فالمستقبل ملؤه الخوف والجزع لاولئك الذين لم ينحازوا بعزم ثابت الى جانب سنة التقدم العظمى . وهكذا كانت الحال منذ القدم فما انفك رسل التقدم يكافحون ليتغلبوا على مقاومة اتباع الماضي البالي

اعتاد بعض قبائل الدياك (وهي قبائل متوحشة) ان يقطعوا الاشجار ضرباً بالفأس بمحاذاة اليافها . ولقد شذ بعضهم يوماً ما وشرع يقطع الاشجار بشكل ٧ على الطريقة الاوربية فاستاء حزب الدياك المحافظ مدفوعاً بعامل اجلال العادة وعاقب المبتكرين . ولا ريب في ان الطريقة الجديدة هي التي ظفرت بالبقاء لما فيها من الافضلية فمثال هؤلاء الدياك مثال جميع الانقلابات التاريخية كبيرة كانت أو صغيرة

لا شك في ان الجماعات التي كان الزواج عندها منذ سنين عديدة حقاً مشاعاً بين عدة اشخاص ومختلطاً فيه الحابل بالنابل — لا شك انها اعتدت أولئك الذين حاولوا استبداله بزواج موقوف على شخص واحد كثائرين معتدين على النظام العام . كذلك الذين حاولوا من قبل تفكيك روابط اتخاذ القبيلة وحصرها في عائلات لم يفلحوا الا بعد مشاق جسيمة واخطار عظيمة

فالامور المنتظرة التي ترعب القلوب المحافظة في ايامنا ليست في الواقع الا الخطوة الاخيرة لذلك التطور القديم . وقد اثبت الاحصائيون من حيث لم يدروا ان الافراد اصبحوا لا يطيقون الزواج غير القابل الفسخ وان اوجه الشقاق بين الزوجين ما زالت تتكاثر وتتزايد مما يتعذر معه الاحتفاظ بزواج ثابت الى الممات

وليس في هذه الحالة مدعاة لنواح المحافظين ونحيبهم فان هي الا المستقبل يخلع

العذار كعادته ويصرّ على الخروج من الماضي ليس الا فلا يرجف ضعفاء القلوب ان قد حان انقضاء كل شيء . لا بل كل شيء يتجدد ولم يكن تاريخ الانسانية منذ العصر الحجري الى الآن الا سلسلة متواصلة لتجديد الحياة فيجدر بنا ونحن قادمون على حياة جديدة في العالم ان نفرح ونطرب المستقبل لا ان نحزن ونتحسّر

بولس مصوبع

من كل نبع قطرة

ان مجرى التاريخ اشبه شيء بالرقصة التي يتقدم فيها الراقص ثلاث خطوات الى الامام ثم يتأخر خطوتين (الاستاذ ارنست هيكل الالماني)

السمن في الجسم رأس مال لم يستثمره صاحبه (طبيب)

كثيراً ما تكون غرائز المرأة اقرب الى الصواب من تأمل الرجل وتفكيره

(توماس اديسون)

ان هذه الحرب آخر نزاع للروح الاقطاعية الاستئثارية (الملك بطرس)

ان الحرب الحاضرة هي انتحار اوربا المتمدنة (البابا بنديكتس الخامس عشر)

لاني احب هذه الحياة لا اشك في اني ساحب الموت ايضاً مثلها

(رابندرانات طاغور)

قد نزل على المانيا أمر الهي بابادة اولئك الذين تجسم فيه الشر والفساد

(القس فريتز فيليبي الالماني)

اقلعوا عن التفكير بعقول الموتى (هربرت كوشان)

ان من العسير ان يفكر المرء بين هذه الجلبة والضجة (ودرو ولسن)

قد علمتنا هذه الحرب — نحن رجال الدين — ان دياناتنا اقل تأثيراً في نفوسنا مما كنا نظن (اسقف واكفيلد)

المرأة الصالحة مثال ارضي للملائكة السماء (السرشارلس وندهام)

ان نزول الجبل اسهل من صعوده ولكن المنظر الجميل لا تراه الا في قمة الجبل

(ارنولد بنت)

النصر اشبه شيء بالسلعة فهو لا يتأتى الا لمن يبذل قيمته كلها لا نصفها ولا ثلاثة ارباعها

(المستر لويد جورج)

الطيران اليوم

وفنون الحرب الهوائية

ان للحرب فضلاً كبيراً على هذا الفن العجيب اليك بيانه : مضت سنون واهل العلم وأصحاب المصانع يبذلون الجهد تحقيقاً لامنية التحليق في الجوّ وما لهم من باعث أو دافع الا النزعة الغريزية الى الاتيان بالجديد الممتع أو المفيد . وكانوا بين منفق من ماله أو مستدرّ من ثروة أريحيّ غيور على العلم والصناعة أو ذي حظوة في عين حكومته أو قومه متكل على التبرعات التي تصيبه . وما انقضت الحرب الطرابلسية حتى قامت ايطاليا تعمل على الزيادة في اسطولها الهوائي لما تبينته من منافع الطيارات الحربية . وكان العالم الغربيّ ناظراً شاهداً فجرت أنهر الصحف بالمقالات الضافية في الطيران والطيارات . وما هو الا ان باتت السفينة الهوائية من الاتقان والاحكام بحيث انتظرت حربيات الدول العظمى استخدامها في الحروب . وشبّ نار هذه الحرب الضروس والابصار متجهة الى فائدة الطيارة الحربية فشرعت الحكومات تنشىء معامل الطيران وتمد يد المساعدة الى كل معمل سابق الانشاء فصار العالم يباري زميله والصانع ينافس مزاحمه وكل يضاعف همته ويزيد عماله . ودون انصرام العامين الاولين تمّ لصناعة الطيران ما لم يكن في الحسبان من تحسين وزيادة في الاختراع

وحسبك من ذلك ان مصنع « كورتس » الاميركي الذي لم يكن ينجز الطيارة في اقل من اسبوعين بات يصنعها في ٢٤ ساعة وكان عماله ١٥٠ فبلغ عددهم اليوم ٢٥٠٠ . واذا علمت ان عدد الطيارات المحاربة حالاً لا يقل عن ٥٠٠٠ وان عمر الطيارة بالتعديل لا يتجاوز الاسبوعين وانه (بحسب الظاهر) لا بدّ من انشاء ٥٠٠٠٠ طيارة كل عام سداً لثغرة التلف والخسارة ـ اذا علمت ذلك كله أمنت المبالغة في تقدير فضل الحرب الحاضرة على هذه الصناعة الحديثة

واليك شيئاً من ضروب الاصلاح والتحسين اللذين آلت اليهما التجارب والاختبارات إبّان هذه الحرب

الجسم الزورقي

منذ عامين كان مجلس الطيار من طيارته يشبه كرسياً معلقاً في الهواء وكانت العدد والآلات عارية معرضة للهواء لانهم كانوا يتحاشون تغطيتها زعماً منهم ان غطاءها يكون

عبئاً ثقيلاً لكبر حجمه واتساع سطحه . ولكن العلماء المنصرفين الى هذا الاختراع وجدوا ان مجموع مقاومة الهواء لاجسام كثيرة متعددة كرجل طيار وسلك من الفولاذ او النحاس وقطعة من الجهاز الكهربائي او جزء من المحرك على صغر حجمها ودقة شكلها اكثر واشد من مقاومته لجسم واحد ذي حجم وسطح كبيرين . وكأنهم لاحظوا ان كل جسم من هذه الاجسام يشق الهواء ويترك وراءه مجرى كالذي تخلفه السفينة الماخرة ثم تبينوا افضلية توحد هذا المجرى — فقالوا بصنع جسم شبيه بالزورق يضم العدد والالات والطيار جميعاً . وقد اشتقوا اسم هذا القسم الجديد المضاف الى الطيارة من « الزورق » لانه شبيه به

زيادة السرعة

واهم من التحسين السابق زيادة السرعة بجعل قوة المحرك ثلاثة بل اربعة اضعاف ما كانت سابقاً . وهذه السرعة ضرورية للطيار الحربي المستكشف . فان تضاعف قوة المحرك معوان للطيار على مقاومة العواصف والزوابع لان قوة ١٥٠ حصاناً في المحرك تمكنه من اجتياز اشد الانواء معارضة . وقد سمعنا بالباخرة العظيمة (موريتانيا) التي تقطع ٢٥ عقدة برغم اية عاصفة تعترض مجراها . وما السفينة الهوائية الحربية الا اخت هذه السفينة المائية . وقد كان الطيار فيما مضى (اي قبل الحرب) يحسب للحالة الجوية الف حساب دون التجرؤ على الطيران . اما اليوم فانه لا يعبأ بغيم ولا بريح

حجم الطيارة الكشافة

ومما اقتضته الاحوال الحربية ان تكون الطيارة الكشافة كبيرة تسع وتحمل غير الطيار مدافع وقنابل وثلاثة ركاب او اربعة . فانشئت ذات السطحين الضخمة وذات الثلاثة التي هي اضخم منها . وما عيبها الا ثقل الحركة — عيب الفيل الجليل الذي لا يدور على عقبه بخفة الفارة . وما قولك في طيارة لا يقل طول ما بين طرفي جناحيها عن ١٨٠ قدماً . على ان بناء الطيارات الضخمة مما عهدناه قبل هذه الحرب . فان طيارة « سيكورسكي » الروسي التي صنعها سنة ١٩١٢ كانت ذات قوة ٤٠٠ حصان وكانت تحمل ١٧ راكباً مع ما يلزمهم لراحتهم من مأكل ومنام . على ان صناع الالمان وسموها بثقل الحركة مع انها على ضخامتها تنهب الهواء بسرعة ٦٠ ميلا في الساعة . ولم يكتفوا بانتقادها بل عارضوها بدردنوت هوائية حربية اسرع واقوى واكثر سعة وطاقة تحمل فيما تحمل مدفعين كبيرين . ولكن طيارة سيكورسكي غير موافقة للقيام بما يستوجب الخفة والسرعة من المهام الحربية مع انها ملائمة لالقاء القنابل

طيارة «كورتس» الجديدة

محل «كورتس» الاميركي من اشهر مصانع الطيارات . وكان قد صنع طيارة عظيمة سماها «اميركا» نالت من الشهرة ابعدها واقصاها — وتم له في الآونة الاخيرة استحداث طيارة ذات ثلاثة سطوح عجيبة جداً . اما «اميركا» فقد كان اعدها للتحليق عبر المحيط الاتلنتيكي . واما طيارته الحديثة فهي عدة حربية قيّمة طول ما بين طرفي جناحيها ١٣٣ قدماً . ولها عدد اربع ذات قوة ٩٦٠ حصاناً . ويمكن لعشرة او اثني عشر ان يقيموا فيها آكلين على موائد ونائمين على اسرة . ويمكنها ان تمخر في عباب الجو اياماً كاملة

على انها وان تكن تسير بقوة ٩٦٠ حصاناً فهي لا تجتاز اكثر من ٦٠ — ٧٠ ميلا في الساعة بخلاف طرز «فكّر» الالماني الذي قوته ١٠٠ حصان فان سرعته تكاد تبلغ ميلين للدقيقة الواحدة

فنون الحرب الهوائية

اليوم يوم تغرق فيه السفينة بارادة ربّانها ولا اثم ولا حرج لانها خلقت غوّاصة ؛ ويحلّق البطل في الجوّ او يطلق ساقيه للريح ولا يسمى جباناً لانه طيار باسل . وقد عثرنا على شيء من فنون الكر والفر التي استنبطها ابطال الطيران في اثناء العامين الاخيرين . اليك خلاصته :

كثيراً ما يعرض للطيّار ان يكون من عدوّه في احد المواقف الستة الآتية :

(١) ان تكون الطيّارة متجهة غرباً وعدوتها شرقاً فيمرّ كل طيّار وقد جعل عدوّه الى يساره

(٢) ان تتخذ الطيارتان وجهة واحدة

(٣) ان تكون احداها اصغر حجماً من عدوتها واخف واسرع

(٤) ان تعلو الطيّارة عدوتها لتتمكن منها

(٥) ان تهبط الطيّارة دون عدوّتها بحيث يعترض سطح العليا نظر ربّانها

(٦) ان تحيط ثلاث طيّارات او اربع بعدوّة واحدة

اما في الحالة الاولى فالغرض من جعل العدو الى اليسار انما هو تسهيل للتصويب وتسديد للرماية لان اسناد البندقية الى الكتف اليمنى هو المألوف المعتاد وكان من ثمّ للاعسر من رماة الطيّارين فضلٌ وميزة من خلته هذه — فانه يستطيع ان يفاجئ

العدوّ باطلاق النار عليه من حيث لا يتوقع

واهمية الجانب بين يسار ويمين تزيد في الحالة الثانية اذ تكون الطيّارتان على مستوى واحد وفي جهة واحدة فيتمكن ذو اليمنى من التصويب والاطلاق على ذي اليسرى بخلاف هذا اللهم الا اذا كان أعسر . اما الطراد في جهة واحدة فسببه ادراك الطيّارة السريعة عدوّتها البطيئة واللحاق بها من حيث تشاء

واذا علم الطيار المطرود بأن طيارته أبطأ من طيارة الطارد كان له أن يطلب النجاة بالهبوط دفعة واحدة الى ما تحت عدوه ورميه من اسفل بما لديه من بندقية او مدفع . ومن فوائد هذا الهبوط ان يحول جناح الطيارة العليا بين رماتها وبين طيارة الهابط

وان للحالة الجوية أثراً كبيراً في الحرب الهوائية فربّ غيمة في كبد السماء يلجأ اليها الطيار المنهزم فيصير منها في ستر وحجاب بل حصن حصين . وقد يلجأ المنهزم الى اتخاذ منحدر اشعة الشمس وجهة له فيضطر طالبه الى ان يمن البصر في أثره فيرتد طرفه كليلاً مبهوراً

ومن حيلهم في طلب النجاة ان يبادر الملحوق الى تعديل سرعته على الفور بحيث يجتازه اللاحق . ولكن الحكمة تقضي اذ ذاك ان يصحب العدول عن السرعة الى البطء هبوط وانحطاط والا كان الابطاء استهدافاً وتغريراً

ثم ان بين التصويب والاصابة في الحرب الهوائية وبينهما في ساحة القتال تفاوتاً وتبايناً شديداً . فان صعوبة التصويب والرامي في طيارة تحاكي الريح العاصفة على هدف يسابق البرق الوامض غير السهل الهين — ولكن الاصابة أصعب جداً — بل قل هي من « محاسن المصادفات » أو حسنات التوفيق

على ان بني القرن العشرين ولا سيما الغربيون منهم اهل جدّ في كل شيء وهم جميعاً في حال من يقول

اذا لم يكن من الموت بدّ فمن العجز ان تموت جباناً

ولذلك فهم يجتهدون في اتقان الطيارة كعدّة حربية ذريعة الفتك وقد حاولوا تسهيل تلك الصعوبة فجعلوا امام مجلس الرامي مراكز يسند البندقية اليها ووضعوا قواعد حسابية يجب الالمام بها ومراعاتها طلباً للاحكام . وهي مبنية على حسن تقدير ما بين الرامي والهدف من المسافة مع تقدير سرعة كلا الطيارتين بالنظر الى اتجاه كل منهما

تكييف الحيوان والنبات

وفقاً لرغبة الانسان

يؤثر عن سيدنا يعقوب عليه السلام بعد ان عاش مع خاله وعمه لابان عدة سنوات انه دبر حيلة ربح منهـا ربحاً عظيماً من غير ان يخل بالاتفاق الذي عقده مع لابان . ذلك ان يعقوب اظهر رغبته في ترك ارض لابان ولكن هذا لم يشأ ان يأذن له بالذهاب لانه كان قد خدمه خدماً جليلة ورعى مواشيه بعناية ودراية حتى سمنت وتكاثرت . فقبل يعقوب ان يبقى عند لابان على شرط ان تكون اجرته كل ابلق او ارقط من المعز وادهس من الضأن وان يكون الابيض منها للابان . فقبل لابان هذا الشرط لان البهام الرقطاء والبلقاء والدهساء كانت نادرة في ذلك الحين كما هي نادرة اليوم — ولعل لابان سر من هذا الاقتراح لانه في منفعته . فشرع يعقوب يرعى غنم لابان « واخذ يعقوب عصي لبنى رطبة ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً بيضاء كاشطاً عن البياض الذي على العصي وجعل العصي التي قشرها تجاه الغنم في الحياض في مساقي الماء حيث كانت ترد الغنم لكي توحم الضأن على العصي فتلد بهاماً مخططة ورقطاء وبلقاء . وفرز يعقوب الضأن فجعل في مقدمة الغنم من مواشي لابان كل مخطط وادهس وجعلها له قطعاناً على حدة ولم يجعلها مع غنم لابان . وكان يعقوب كلما وحمت الغنم الربعية يضع العصي تجاهها في الحياض لتوحم عليهـا . واذا كانت الغنم في الخريف لا يضعها فتصير الخرفية للابان والربعية ليعقوب . فاتسع الرجل جداً جداً وصارت له غنم كثيرة واماء وعبيد وجمال وحمير » . عن سفر التكوين فصل ٣٠ : ٣٧ — ٤٣

فترى مما تقدم ان يعقوب وافق بعمله هذا نظرية انطباع الصفات في الجنين اثنـاء الحبـل (وهي معروفة علمياً باسم telegony) . وقد قام جدال طويل بين العلماء في صحة هذه النظرية والرأي الغالب بينهم اليوم انكار هذا الانطباع علمياً . على ان العلم الحديث يبشر بقدوم العهد الذي يتمكن فيه الانسان من تكييف الكائنات الحية وفقاً لرغبته بل ان نفراً من العلماء قد توصلوا الى نتائج غريبة جداً في هذا الباب تحمل على الاعتقاد بان ذلك العهد ليس بعيداً

ان العلماء يبحثون اليوم عن الاسباب الداخلية والخارجية التي تجعل جلد النمر مثلاً منقطاً ويتساءلون عن امكان توليد نمور بلا تنقيط على جلدتهم او بميزات اخرى تختلف عن ميزات النمر المحددة في كتب الحيوان . ومتى ادركوا كنه الاسباب التي توجد هذه

الميزات وجعلوها تحت سيطرتهم بحيث يتمون تأثيرها او يضعفونه اويزيدونه وفقاً لرغبتهم تمكنوا من اجراء مثل عملية سيدنا يعقوب بسهولة عظيمة بل اتوا ما هواغرب منها بكثير

ولا يخفى ان الانسان قد تمكن بواسطة الانتخاب المتواصل من انماء بعض الصفات التي رغبها في كثير من الحيوانات — كما فعل في افراس السباق مثلاً فانه انتخب في البدء فرساً او افراساً اصلح من غيرها لهذا الغرض، ثم جعلها تتناسل فانتخب من نسلها ايضاً الاصلح لغرضه، وانتخب من نسل هؤلاء الاصلح كذلك وهلم جراً. فما برحت ميزات افراس السباق تزداد وضوحاً وجلاء مع مواصلة الانتخاب الى ان كونت اليوم جنساً مستقلا من اجناس الخيل . وهذا الانتخاب يسمى في عرف علماء الحياة « الانتخاب الصناعي » تمييزاً له عن « الانتخاب الطبيعي » الذي يجري في الطبيعة من غير مداخلة الانسان وفقاً لسنة تنازع البقاء وبقاء الاصلح الشاملة لكل المخلوقات الحية من نبات وحيوان

قلنا ان الانسان قد تمكن بواسطة الانتخاب الصناعي من انماء بعض الصفات التي رغبها في بعض الحيوانات والنباتات . اما البحث الذي نحن بصدده اليوم فانه اعظم فائدة واشد خطورة من ذلك الانتخاب لانه يرمي الى احداث التغيرات المرغوبة في ظرف جيل واحد وهو عكس للانتخاب الصناعي الذي يستدعي مرور عدة اجيال حتى تتضح الصفات المطلوبة في النسل

وبعبارة أخرى فالذي يعنى به العلماء هو احداث المؤثرات اللازمة لايجاد صفة من الصفات (كتوليد غنم ناصع البياض) مباشرة في مدة قصيرة

* * *

من الثابت اليوم انه لا يوجد حيوانان متشابهان تمام الشبه حتى ولو كانا من ذات الابوين . كذلك لا توجد نبتتان متشابهتان ولا ورقتان متماثلتان — وان يكن الناظر لاولوهلة لا يرى تلك الفروق، ولكنها موجودة بلا ريب . خذ مثلا راعياً يرعى قطيعاً كبيراً من الغنم فانه يميز تلك الاغنام بعضها من بعض بواسطة الاختلافات الطفيفة التي تعلمها مع طول الاختبار . اما الرجل الذي لم يتعود رعي الغنم فقلما يميز بين بهام القطيع الواحد فكلها في نظره سواء

على هذا القياس يثبت لدينا وجود اختلافات بين افراد كل نوع . نعم ان تلك الاختلافات طفيفة في الغالب ولكنها في بعض الاحيان تكون على شيء من الجسامة

وقد كان مربو الحيوانات او المزارعون اذا استحسنوا صفة في حيوان او نبات

وارادوا انماءها نظروا في تلك الاختلافات او المميزات الفردية فانتقوا من الحيوانات او النباتات التي لديهم ما كان فيها تلك المميزات ولو بصورة قليلة الوضوح ثم جعلوها تتناسل على الدوام منتخبين من كل جيل الافراد الذين تتضح فيهم الصفة المرغوبة — وهو الانتخاب الصناعي

اما اليوم فان العالم لا يكتفي بهذا الانتخاب الذي يكون الاعتماد فيه على عمل الطبيعة بل هو يرمي الى التأثير مباشرة في النسل ونقل الصفات المرغوبة اليه دفعة واحدة . وبعبارة اخرى ان العالم يريد الاقتداء بالطبيعة والاقتداء بوسائلها الخفية فهو يسائل نفسه مثلاً « لماذا تولد بعض المواشي بلا قرون في حين ان والديها بقرون ؟ لا ريب ان لهذا الاختلاف وغيره من الاختلافات — مهما تكن طفيفة — سبباً . فلا بد لي من البحث عنه ومتى وجدته استخدمته كما تستخدمه الطبيعة »

* * *

ولكي ندرك نشوء هذه الفكرة — فكرة تكييف النبات والحيوان وفقاً لرغبة الانسان — يجب علينا ان نرجع بفكرنا الى سنة ١٨٥٩ : فان في تلك السنة وضع دارون كتابه المعروف في « اصل الانواع » الذي يتوهم الكثيرون انه اول كتاب شرحت فيه نظرية النشوء والارتقاء . والحقيقة ان فكرة النشوء والتحول فكرة قديمة جداً خطرت لغير واحد من الفلاسفة وعللت تعليلات مختلفة . ولم يكن كتاب دارون الا تعليلاً جديداً — اوسع وادق واوفى بلا ريب من كل ما تقدمه — لتلك النظرية

وقد اعتمد دارون في تعليل النشوء على ثلاثة مبادئ رئيسية وهي :

اولا ان بين افراد الجنس الواحد فروقاً طفيفة فلا تجد اثنين متشابهين الشبه التام

ثانياً ان ذلك الفرق او الاختلاف الفردي ينتقل بالوراثة

ثالثاً ان عدد الافراد الذين يولدون من كل جنس اكثر بكثير من الذين يبقون احياء

واليك مثلاً يسهل فهم هذه القضايا المتقدمة ومغزاها : خذ جماعة من الارانب تعيش آمنة هادئة في مكان لا تعرف الثعالب فيه . ثم افرض ان بعض الثعالب تطرقت الى ذلك المكان : قد علمنا من المبدأ الاول ان بين الارانب فروقاً مختلفة فالبعض مثلا اسرع جرياً من البعض الاخر او اقتم لوناً او غير ذلك من الفروق . فما الذي يتم عندئذ ؟ ان مجيء الثعالب يقضي على كثيرين من الارانب بالموت تحت انياب اولئك

الاعداء . ولكن ايها تبقى وايها تموت ؟ لا شك ان اسرع الارانب اكثرها املاً بالنجاة، ومثلها الارانب ذات اللون المشابه للون الوسط الذي تعيش فيه بحيث لا تميز منه بسهولة : فمما تقدم نرى ان هاتين الصفتين — السرعة ومشابهة الوسط — ضروريتان لبقاء طائفة الارانب فالافراد الحاصلة عليهما اشد املا بالخلاص من سواها . ويحدث مثل ذلك لنسل اولئك الافراد فلا يبقى من هذا النسل الا الافراخ التي امتازت بالصفات اللازمة للبقاء والنجاة، وهلم جرا حتى لا يبقى من الارانب الا اصلحها للبقاء

ثم اننا قد علمنا من المبدأ الثاني المتقدم ان الميزات الفردية تنتقل بالوراثة الى النسل . فالارانب السريعة على الاجمال تلد افراخاً سريعة وكذلك الارانب التي تشبه وسطها في اللون . فنرى من ذلك كيف ان هاتين الصفتين اللازمتين للارانب تزدادان وضوحاً وجلاء في كل جيل جديد، اذ ان هجمات الثعالب تصيب من كل جيل ابطأ الافراد واظهرها لوناً

فلا تلبث الارانب اجيالا قليلة حتى تصبح مقسومة الى طائفتين او عائلتين مستقلتين الواحدة عن الاخرى . احداها تمتاز بالسرعة والاخرى تمتاز بلون خداع يتعذر به تمييز الثعالب لها — وكلتا الصفتين من مستلزمات البقاء في ذلك الوسط . وهوما يستخلص من المبدأ الثالث الذي وضعه داروين أي انه لا يبقى من افراد الجنس الا اصلحها للبقاء

هذا ما سماه داروين « بالانتخاب الطبيعي »، وقد قلد الانسان — من غير ان يدري — هذا الانتخاب فانمى كما قدمنا في النباتات والحيوانات بعض الصفات التي رغبها . والفرق بين الانتخاب الطبيعي والانتخاب الصناعي ان الانسان بدلا من ان يكل نمو احدى الصفات الى عوامل الطبيعة وعداوة انواعها قد استعاض عنها بالانتخاب المبني على التمييز والملاحظة فكان اسرع وصولا الى النتيجة

***

على ان ما يسعى فيه العلماء الآن هو احداث التغيير المرغوب بين الجيل والجيل، بالوقوف على اسباب الفروق بين افراد النوع الواحد واستخدام تلك الاسباب مباشرة — لا بتكرير الانتخاب الصناعي الذي شرحناه فيما تقدم

ومن اول الخطوات في هذا السبيل استكشافٌ لعالم اسمه ليفنجستون، وهو انه نقل نوعاً من الاعشاب التي تنمو في الماء الحلو الى الماء الملح فلم يلبث ان رأى شكل ذلك العشب يتحول الى شكل عشب آخر معروف لا يعيش الا في البحر ثم انه عكس عمليته أي انه اخذ العشب البحري ونقله الى الماء الحلو فرآه يتحول الى شكل العشب النهري —

والعشبان كما قلنا نوعان مستقلان تمام الاستقلال

ومن اشهر المشتغلين في هذا الموضوع الآن الاستاذ وليم لورنس تور من جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة فقد اجرى — ولا يزال يجري — تجارب متواصلة في نوع من البق ينمو على نبات البطاطس . واليك شيئاً من ذلك :

بنى الاستاذ المذكور بناء خاصاً واسعاً لتربية ذلك البق . وفي هذا البناء يعيش البق ويأكل ويتناسل . والاستاذ يعرف تاريخ كل بقة وقرابتها لغيرها من البق بواسطة سجلات دقيقة يحفظها ويدون فيها المواليد . والذي يسهل هذا العمل ان كل بقة أو بقتين تربى على شجيرة خاصة محاطة بشبكة من السلك الدقيق بحيث لا يضيع نسب



انواع من البق مولدة من النوع المتوسط

البق . ولكل فريق من هذه الشجيرات غرفة مستقلة ، وفي كل من تلك الغرف آلات خاصة مستوفاة الشروط لرفع الحرارة او تخفيفها ولتغيير درجة الرطوبة وقوة النور وغير ذلك من العوامل الطبيعية . فبينا الحرارة في احدى الغرف مثل حرارة خط الاستواء تجدها في غرفة أخرى أقرب الى برد القطب الشمالي

فباستخدام هذه العوامل قد تمكن الاستاذ تور من تحويل جنس البق الذي رباه واسمه العلمي (Leptinotarsa decemlineata) الى اجناس أخرى من البق تختلف عنه اختلافاً بيناً كالنوعين(Leptinotarsa pallida و Leptinotarsa immaculothorax)

بل الاغرب من ذلك ان هذا الاستاذ لم يحول فقط النوع الاول الى انواع أخرى

معروفة بل انه بتغيير العوامل المتقدم ذكرها قد اوجد انواعاً من البق لا وجود لها في الطبيعة . فمن ذلك انه اوجد نوعاً من البق ملامسه منعكفة بدلاً من ان تكون مستقيمة كالعادي . وترى في الشكل السابق كيف انه ولد انواعاً من البق مختلفة التخطيط من النوع الذي في الوسط

ومن اشهر المشتغلين بهذا النوع ايضاً الدكتور جورج كلبز الالماني وقد قصر معظم مباحثه على عالم النبات واليك بعض ما توصل اليه من النتائج :

تمر كل المخلوقات الحيـة في ثلاثة ادوار على الاقل وهي : الحداثة (اي دور النمو السريع) واكمال النمو (اي دور التناسل) ودور الانحطاط الذي يختمه الموت . على ان الدكتور كلبز المتقدم قد قوض اساس هذا المبدأ بمباحثه وتجاربه . فقد قضى السنين الطوال يدرس طباع النباتات حتى تمكن من التلاعب باعمارها كما يشاء بل انه تمكن ايضاً ان يتلاعب بالادوار التي تجتازها . ومن اغرب ما اتاه من هذا القبيل انه اخذ نوعاً من النباتات العفنة (يسمى علمياً Saprolegnia Mixta) لا يعيش عادة اكثر من اسبوعين فعالجه حتى عاش ست سنوات . ولم يقتصر على ذلك بل اخذ هذا النبات وهو في دور الهرم والذبول فعالجه بطريقة ارجعت اليه عهد الشباب

وقد اجرى مثل هذه التجارب في بعض انواع النبات الراقيـة . بل جاوز ذلك واخذ يولد في النباتات صفات واعضاء واشكالاً جديدة حتى انك لتأخذ الشجيرة من الشجيرات التي رباها فتجد بينها وبين افراد جنسها الاصلي فروقاً بينة

فمن كل ذلك نستدل على انه ليس للنباتات والحيوانات اشكال معينة لا تحيد عنها بل انها مرنة قابلة للتغيير وفقاً للمؤثرات الخارجية الطبيعية والصناعية

هذا هو الاستكشاف الغريب الذي توصل اليـه العلماء وهو يفتح امامنا معالم واسعة للامل والتخمين اذ لا يبرح من ذهننا ان هذه المباحث لا تزال في طفولتها . وما زلنا قادرين اليوم على ان نولد من النوع نوعاً آخر مختلفاً عنه فلا مانع علمياً ان نتمكن في المستقبل من التأثير على الجراثيم الحيوية اثناء تكونها حتى نولد منها النبات او الحيوان الذي نرغبه . وتتويج هذا العمل يكون في استخدامه يوماً ما لتحسين الجنس البشري

في حديقة الحيوانات

مشاهدات ودروس

ان حديقة الحيوانات اشبه شيء بمدرسة ، ووظيفة المروّض (أو المربي) تماثل من بعض الاوجه وظيفة المدرس فكما ان هذا يبدأ بدرس اخلاق تلميذه وامياله ويجتهد في استمالته اليه وجعله مستفيدًا من درسه نافعاً لاهله كذلك المروض يحصر عنايته اولاً في درس طباع الحيوان وعاداته حتى يكيف معيشته وفقاً لهذه الطباع والعادات ، حتى لا يشعر الحيوان بالوحشة أو السآمة في سجنه على قدر الامكان . وليس هذا بالامر السهل فدونه اخطار ليست بقليلة ولا سيما مع الوحوش الضارية . ولذا وجب الاعتراف بفضل اولئك الذين يعرضون حياتهم لدرس اخلاق الحيوان والقيام بشؤونه . وسيرى القارئ فيما يأتي امثلة من هذه الدروس وما يلقاه المروضون من الصعوبة والخطر في ترويض الحيوانات التي تحت اشرافهم

سكنى الحيوان

وقد كانت اعظم مشكلة لديهم امر المسكن ولم يتمكنوا من حلها على ما يوافق مشرب الحيوان الآ بعد تجارب عديدة وكأن الطبيعة رأفت بحال حيوانها فسهلت عليه احتمال تغيير الطقس في أي مكان ينقل اليه ولا سيما اذا حصل النقل في فصل الربيع حتى يمكنه ان يتعود حرّ الصيف وبرد الشتاء قليلاً قليلاً ، هذا مع مراعاة عاداته واطواره وترتيب المكان المعد له بطريقة تجعله يعتقد على قدر الامكان انه في بلاده الاصلية — كالدب الابيض الذي يعيش في ثلوج سيبريا فانه اذا نقل الى بلاد حارة ووضع في مكان به بحيرة من الماء تظللها الاشجار اتقاء له من حر الشمس عاش هادئاً بالرغم من هذا التغيير المحسوس — وكذا الدب الاسمر ويقتضي له تشييد قفص كبير متسع حتى يمكنه ان يروح فيه ويجيء وفي داخله بناء صغير بشكل مغارة يأوى اليها لقضاء وطر أو اتقاء لتغيرات الجو الشديدة التي فوق احتماله

وأما القردة فقد كان الاعتقاد ضرورة تدفئة الاقفاص التي تأوى اليها بنسبة حرارة البلاد التي كانت تعيش فيها في المنطقة الحارة ولذا عمد بعض مديري حدائق

الحيوانات في اوربا وامريكا الى تدفئة الاقفاص المذكورة فنتج عن ذلك موت كثير منها بالالتهاب الرئوي والسل . واذ ذاك رأى المروضون ترك القردة تمرح طول السنة في اقفاص معرضة لتقلبات الجو وقد دل الاختبار على ان هذه الخطة تقلل اصابة القردة بالمرضين السالف ذكرهما

والوحوش الضارية مثل الاسد والنمر والفهد وغيرها يمكن تعويدها معيشة الاسر في اقفاص مكشوفة على شرط ان تكون معرضة للهواء الطلق في مكان معتدل الطقس وتصنع هذه الاقفاص متسعة لتتمكن من الكر والفر فيها

الطعام

لا تقتصر وظيفة ملاحظ الحيوانات على معرفة نوع الطعام اللازم لها بل يقتضي له معرفة المقدار الكافي منه في كل اكلة والوقت المناسب لتناوله . ويبدأ باطعام الحيوان مرتين في اليوم ثم يطعم مرة واحدة حتى لا يتعود الشراهة ولا يعتريه عسر هضم أو غيره من العلل . وعلى الملاحظ ان يكون ملماً بالاصناف التي تعود الحيوان اكلها وهو في الغابات والجبال المامًا تامًا فيطعمها له وهو في الاسر

ومن الحيوانات ما يشابه الانسان من حيث تركيب معدها واعضائها المضمية كالقرود وغيرها . وهؤلاء يجب الاعتناء بطعامها اعتناء خاصاً لئلا يصيبها من الامراض ما ينشأ عادة عن التخمة وعسر الهضم وغيرهما مما يعرض له الانسان . واذا مرض احدهم يتعذر بل يستحيل اقناعه بقبول الدواء او الوسائط الطبية المؤثرة في شفائه ولذا اتفقت الآراء على ان يطعم امثال هذه الحيوانات طعاماً دون الشبع قليلاً

وهاك مثلاً يدل على مهارة المروض وذكائه في اطعام الحيات الكبيرة التي اعتادت في حالتها الوحشية ان تقنص فريستها وتسحقها ثم تبتلعها . فلها حين توضع في جنينة الحيوانات ترفض الطعام وتصوم حتى تموت . ففكر أحدهم في طريقة لاطعامها مرغمة وذلك بان يؤتى ببضعة ارانب مسلوخة تدهن بمادة زيتية ثم يفتح فم الحية ويوضع فيه الارانب متوالية وتدفع الى الداخل بواسطة عامود طويل حتى يصل الارنب الى معدتها التي تبعد عن رأسها بقدر ثلثي طول الحية وقد يبلغ احياناً هذا الطول عشرين قدماً

ولكن هذه الطريقة لا تخلو من الخطر على الحيوان لان العامود قد يجرح حلقه ويحدث فيه التهاباً . وقد فكر غيره في طريقة اضمن من الاولى وذلك بان يوضع في فم الحية لوحة مربعة من الخشب مثقوبة ثقباً كبيرًا ويدخل في الثقب انبوب من الكوتشوك الى داخل جسمها حتى يصل الى فم المعدة ويدفع اللحم مدقوقاً داخل الخرطوم حتى المعدة وفي خلال هذه العملية يأخذ الملاحظون في تدليك جسم الحية حتى يتوزع الاكل في جوانب المعدة والامعاء وقدروا ما يدخل في معدة الحية بهذه الطريقة بما يقرب من الخمسين رطلاً

ومن نوادر اعمال مربي الحيوانات وظيفة استحمام الفيل . وهذا الحمام ضروري له مرتين في السنة على الاقل خوفاً من تشقق جلده وتصلبه وتستغرق هذه العملية اسبوعاً بالنسبة لكبر جسم الفيل ، كما يأتي :

يبدأ بغسل جلد الفيل بالماء العذب والصابون الملين ويفرك جسمه بشعرية خشنة فركاً جيداً ويلزم لهذا الغسيل نحو قنطار من الصابون ونحو يومين من الزمن ويجب الالتفات بنوع خصوصي الى جلد اذنيه وهو الذي يؤلمه ويزعجه اذا تصلب ولصقت به الاقذار . وبعد ذلك يترك الفيل يوماً يستريح فيه ثم يدلك جسمه بزيت الزيتون تدليكاً جيداً حتى يزول كل تصلب فيه ويعود اليه نعومته ولمعانه وقدَّر العارفون نفقات حمام واحد للفيل بمبلغ عشرة جنيهات ما بين ثمن صابون وزيت واتعاب الملاحظين القائمين بهذا العمل

معالجة الحيوانه

لا يغرب عن الاذهان ان الحيوان ينفر من الدواء كالانسان الطفل واذا وضعت له دواء في الطعام او في الماء يبدأ بتناول قسم الطعام الخالي من الدواء فقط ويترك الباقي ويلحس الماء حول الدواء فقط ويترك الماء المخلوط به . واذا كان الدواء مختلطاً بالطعام اختلاطاً كلياً فيفضل الحيوان عدم الاكل على تعاطي الدواء . وليس ثم من طريقة ناجعة لاقناعه بتناول الدواء . وهل من السهل مثلاً فتح فم الاسد كي تدخل فيه حبوباً أو شراباً أو نحو ذلك بدون ان تعرض نفسك لاشد الاخطار ؟ لذلك يستحسن ان تنتخب الادوية والحبوب التي لا رائحة لها حتى لا يشعر الحيوان عند تعاطيها انها دواء

ويحتاج الامر فى بعض الاحيان الى اجراء بعض العمليات للحيوانات . ولكن قلما تستخدم لذلك آلات الجراحة نظرًا لاستحالة استعمال المغيبات وبالاجمال فان أية عملية يراد اجراؤها مستحيلة من كل الوجوه ولا يمكن أبداً اقناع الحيوان بالفائدة التي تعود عليه منها بل يظل يعارض فى اجرائها حتى الموت واذا فرضنا المستحيل وامكن اجراء عملية ما فلا يمكن ضمان بقاء الاربطة التي تربط بها الجراح حتى تلتئم اذ ان الحيوان يجتهد في نزعها بايةطريقة



قل اظافر الاسد

غير انه قد تعمل للحيوانات الضارية عمليات صغيرة لا علاقة لها بفن الجراحة كخلع أسنان الاسد مثلاً وطريقتها انه يؤتى بانشوطة من الحبل تلف حول صدر الحيوان وتربط بحافة احدى قدميه الاماميتين ، ويجر الى طرف القفص المسجون فيه ثم يوضع في فمه عصاة ملبسة بالكوتشوك . وبينما هو مشتغل بعضغ هذه العصاة يسعى المروض أو الطبيب في ربط قدمه الأخرى حتى يكون الدخول الى قفصه مأموناً ، ثم يفتح فاه وتوضع فيه كتلة من الخشب أو غيره ليظل مفتوحاً وتخلع السن

ويحدث كثيراً في الدب الابيض نمو داخلي في قدميه الخلفيتين فيتألم جداً ولتخفيف هذا الالم تعمل له عملية لقص اظافره . وذلك بوضعه في قفص صغير الحجم ثم يدار القفص على جنبه حتى يصبح الدب واقفاً على رجليه الخلفيتين فيسهل اذ ذاك نزع الاظافر من اللحم بمقص ثم يقاد الدب وقدماه داميتان الى قفص آخر مصفح بالزنك وفي احد جانبيه حوض مملوء بالماء البارد فتغطس فيه قدما الدب وتكرر هذه العملية بضعة مرار

المدرسة الحديثة

وآخر الآراء في التهذيب والتعليم

لقبوا اميركا الشمالية بالعالم الجديد ، وقد مضى على اكتشافها خمسة قرون وهي لا تزال خليقة بهذا اللقب ، وستبقى جديرة به الى ما شاء الله وشاءت فطرة امتها النشيطة الحرة ، التي اشتهرت بالعدول عن كل قديم الى كل ما يبتدعه افرادها او يبتكره نوابغها من كل طريف جديد . وقد قيل ان للاميركي حاسة سادسة يمتاز بها عن سائر الناس هي « حاسة الريال » ، وان الالماني يُسأل عما يعلم ، والانكليزي عما « هو »[1] والاميركي عما يملك ، اشارة الى عناية الاول بالعلم والثاني بالخُلق والثالث بالمال

وقيل أيضاً ان اوربا وطن العلماء ، والولايات المتحدة وطن المعلمين ، دلالة على تكاثر المبرّزين في حلبة العلوم بين ظهراني الاوربيين وتفوق الاميركيين على سواهم في أساليب التعليم وطرائق التهذيب . واذا جمعنا بين القيلين ونظرنا اليهما بعين الناقد البصير وجدنا ان المراد من كليهما انما هو كون الاميركي رجل علم وعمل . وقد اطلعنا في « مجلة المجلات الاميركية » على مقالتين شائقتين يذهب كاتباهما الى ان اسلوب التعليم الحالي عتيق عقيم يجب العدول عنه الى اسلوب حديث اسهل طريقة واجدى نفعاً . وكلا الكاتبين من اعضاء « مجلس التهذيب لمدينة نيويورك » . واذا علمت ان هذا المجلس ينفق ٤٠٠٠٠٠٠٠ ريال كل عام في سبيل التعليم والتدريس قلت وشأنك حكماً في مقامهما وأهليتهما لانتقاد القديم وتزييفه واقتراح الجديد بدلاً منه . وهذه خلاصة الجزء الاكبر من مقال أحدهما :

اجل لقد طرأ شيء من التغيير والتبديل على نظام التدريس . ولكن ادخال موضوع جديد في لائحة مدرسة هو حتى اليوم من الامور الصعبة ، ولوائح المدارس كافة لا تزال على عهدها السابق في العصور الخالية . ونظام التهذيب العصري أسير يرسف في قيود التقاليد واغلالها . ومما يؤسف له وقت وهمة يبذلها الطلبة في سبيل فروض مدرسية لا علاقة لها بهم كافراد ولا هي مما يسدّ حاجة قومية ، ودروس مدارها على لفظيات ومعنويات بعيدة عما يصادفه المرء في حياته اليومية ، تشغل الناشئة في تلقنها وحفظها لان السلف الغابر كان يتعلمها ويعاني الالمام بها ، ولا فضيلة فيها غير مسحة القِدم هذه . واذا اطلقنا الكلام قلنا ولا اثم ولا حرج ان نفس المواضيع المصطلح عليها اليوم

---

(١) اي عما هو عليه من خلق وشيمة

في معظم المدارس والوقت والكيفية التي تدرس فيها ، ومقدار ما يدرّس ايضاً ، كلها مختومة بخاتم « القديم على قدمه » بعيدة عما يقتضيه الزمن الحاضر

ولنضرب مثلاً لذلك الجبر واللاتينية (١) الدرسين القائمين في مقدمة اللائحة . فما هو شأن علم الجبر من فطرة الانسان ! وماذا يريد الولد الاميركي من لغة انقرض ذووها المتكلمون بها . ثم أليس كلاهما معدوداً بين الدروس الصعبة التي لا يبرع فيها الا القليل ؟ وكم من تلميذ يملّ الدرس ويكره المدرسة من اجلهما بعد ما آنس من نفسه شدة النزعة والميل الى طلب العلم وابدى من الاجتهاد والذكاء في التحصيل ما يسرّ ويرضي . واذا نظرت الى رجال الامة المتخرجين في مدارسها من تجار وصناع وارباب اقلام واصحاب ادارة او سياسة على اختلاف وظائفهم وتفاوت طبقاتهم ، فكم عساك ان ترى فيهم ممن يفتقرون في معائشهم واعمالهم على تباينها الى معرفة بالقواعد الجبرية او المام باللغة اللاتينية ؟ ثم لا يذهب عنك ان امتناع الارتقاء على التلميذ من صف الى آخر بسبب تقصيره في الجبر او اللاتينية مثلاً انما هو عبارة عن تأخره سنتين او ثلاثة عن الشروع في تعلم المهنة او الحرفة التي سيرتزق منها ويخدم بلاده عن طريق ممارستها ، وقد لا يكون للمعادلات الجبرية او احرف الجرّ اللاتينية اي دخل فيها

التهذيب والعصر

التهذيب والتعليم كلمتان يكثر ورودهما بمعنى واحد على انهما مستقلتان بعض الاستقلال كل بمراد لا تحتمله الاخرى فقد يتعلم الولد ولا يكون مهذباً به . والتعليم يرادف التلقين والتدريس . والتهذيب في اللغة من « هذّب » الشجر اي قطعه ونقاه واخلصه واصلحه وفي الاصطلاح ترقية قوى التلميذ البدنية والعقلية والادبية ولا سيما الاخيرة

اما الصغار من صبيان وبنات فحاجاتهم معينة معروفة مشتركة بينهم. وحدّ الاختلاف والتباين في المقتضيات انما هو سن الرشد والبلوغ . ولا بدّ من فرق بيّن بين التهذيب اللازم للاحداث الذين يودّعون المدرسة مع الرابعة عشرة والتهذيب الذي يلزم للتلاميذ الذين يمكنهم البقاء سنتين أخريين لتحصيل مبادئ الحرفة التي سيحترفونها . وهذا الفرق يعظم ايضاً باعتبار أولئك الاحداث الذين يبلغون الثامنة عشرة ولا شغل لهم غير طلب العلم والتثقف والاستعداد لمدرسة العالم . وكيف ينتظر من مدارسنا ان تهذب الطالب

(١) اللاتينية واليونانية لغتان اماتان لم يعد واحدة من لغات اوربا . وهما الآن تدرسان في معظم المدارس الثانوية وقل من ينجح فيهما ونادر جداً من يتقنهما وانما جرت العادة بتعليمهما لانهما كانتا لغتي العلم في ما سلف

طبقاً لمفهومنا نحن المصريين من لفظ « المهذب » ؟

اقول لعلّ ابن المدرسة المهذّب هو ذلك الذي حصل من العلم والمعرفة على الاصول الاولية الاساسية . فكان قادراً على الكتابة والقراءة ، محسناً لهجئة الالفاظ التي لا غنى له عن استعمالها ، مجيداً الافصاح عن خواطره وافكاره متكلماً او كاتباً ، وعارفاً من قواعد الرقم والحساب ما لا غنى له عنه في الاخذ والعطاء والبيع والشراء ، عالماً بشيء او اشياء عن هذه الكرة التي نعيش عليها . وتلميذ المدرسة الحالية الجارية على القديم وتلميذ المدرسة العصرية الاسلوب سواء لا فرق بينهما بحسب هذا الاعتبار . فان هذه المعلومات الابتدائية الضرورية مما اقتضاه كل زمان ويقتضيه هذا الزمان ايضاً . وخرّيج المدرسة الحديثة هو ذلك المستغني عن الالمام بعلوم حكم التقليد بتعلمها ، المقتنع باجتناء فروع المعارف المثمرة . فهو المروض المتمرّن على تعرّف العالمين الطبيعي والاجتماعي الذي يُعنى لتفهّم احوالهما ويهتم لترقية شؤونهما ما استطاع الى ذلك سبيلاً . والالمام بالطبيعيات [1] عبارة عن استطاعة لتبيّن المشاهدات واستعداد لتأويلها ، وكذلك الالمام بالاجتماعيات [2] هو الاشراف والاطلاع على سير الصناعات وترقي العلوم ومجرى السياسات

لائحة المدرسة الحديثة

ينبغي ان تشتمل لائحة المدرسة الحديثة — ما عدا القراءة والكتابة والهجئة والرقم — على اصول وفروع من العلوم والصناعات والوجدانيات والمدنيات :

(١) من اهم ما يجب تعريفه للناشئة الكائنات الجوامد وذوات الحياة من جبل ووادٍ ونهر وصخر وشجر ونبات وحيوان . ويتلو ذلك التعريف مواصلة التجارب في عوالم الجماد والنبات والحيوان . ويشترط ان يكون ذلك التعريف حسياً اي آتياً عن طريق الحواس الخمس . حتى اذا ارتسمت صور الاشياء في مخيلة الحدث وعلقت بعض خواصها وصفاتها بذهنه حصلت له رغبة في استطلاع الاسرار وتبين العلاقات او المبادئ العامة ، فبات اذ ذاك مستعداً لطلب الاصول المفصّلة في الكيمياء او علم الحياة او الطبيعيات او غيرها من العلوم العالية

(٢) وقس على العلميات الصناعيات والتجاريات . ولا ريب ان الاحداث ميالون الى مشاهدة الصانع في معمله او التاجر في حانوته وهم بالطبع شديدو الرغبة في تبيّن كيفية صنع الملابس والآنية كل وما اليها . واشباع هذه الرغبة فيهم يكسبهم ميلا الى

---

(١) علم الفلسفة الطبيعية (٢) علم الاجتماع

الاستزادة والاستطلاع — فينشأ الفتى والفتاة على شيء من العلم باحوال دنياها الاجتماعية

(٣) اما الوجدانيات[1] فتشمل الادبيات[2] واللغات والموسيقى . وحتى اليوم ترى المدارس متفقة على تدريس بعض الآثار الموروثة عن كتّاب السلف وشعرائهم ، حتى كانها تؤيد افضلية كل قديم الف الناس اطراءه والاعجاب به ، وكانها تحمل كل تلميذ على اجلال « فرجيل » او « ملتن » ، مع ان زيداً من الطلبة لو ترك وشأنه قد يؤثر « دنتي » او « هوميروس » ويحلّ احدهما المحل الاول من نفسه . على ان ناموس التهذيب الحديث يعدّ مثل هذا الحل ظلماً واجحافاً . وشأنه ترغيب الحدث في الكتب ومطالعتها وتعويده على انتقادها وتمييز ما يروقه ويلائم ذوقه واستعداده الفطري منها

وترى حتى اليوم درس اليونانية واللاتينية من الواجبات المدرسية المقدسة . والتهذيب الحديث يقول بوجوب تقدم الفرنسية والالمانية عليهما . ولا قيمة للغة في نظر التهذيب ولا فائدة مذكورة الا باتقانها وامتلاكها واستعمالها . ولذلك فهاتان اللغتان الحيتان المنتشرتان اولى واحرى من لسانين ليس من يتكلم بهما . ولا بأس في طلب اللاتينية واليونانية فيما بعد ولكن يجب اغتنام عهد الحداثة لتحصيل النافع والمفيد من اللغات

وحظ الموسيقى وسائر الفنون الجميلة هو حظ الادبيات وشأنها في نظر التهذيب الحديث — ويجب ان تكون الغاية الاولى من تلقيها كدروس مدرسية اصلاح الذوق وزيادة الرغبة فيها

(٤) ويدخل في المدنيات[3] درس تاريخ العصور الحالية وتتبع الحوادث الجارية . وقد قام كثيرون يدعون الى الاصلاح من هذا القبيل ولكنهم لم يأتوا بعد بشيء يذكر ولا تزال المدارس تلقن التاريخ على الطريقة القديمة . والانسان مطبوع على استقصاء اخبار من يهمه او ما يهمه . وتدريس التاريخ مع مقارنة الاحوال الاجتماعية والعمرانية الماضية بالحاضرة يزيد كتب التاريخ لذة وقراءها رغبة فيها

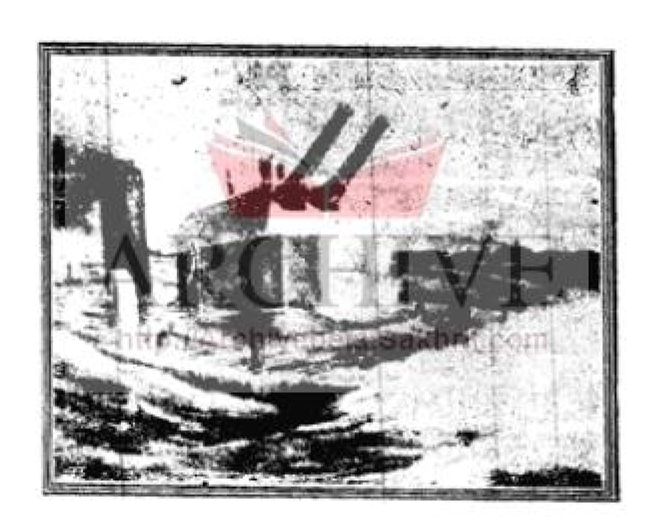
اما الرياضيات من جبر وهندسة فهي مما يستصعبه الطلبة في التحصيل ويعدونه درساً مملاً . ولا يخفى ان الاعتماد في الجبر والهندسة من حيث الدرس والتدريس على قواعد موضوعة يجب حفظها واتباعها . وموضوعهما الكميات والمسافات المفروضة المتخيلة وقوامهما الاستنتاج والتعليل . ولكن زعماء التهذيب الحديث يكبرون اهمية قوة الملاحظة الشخصية ويبغون جهدهم لترقيتها . وليس في هذين الدرسين مجال لتمرين هذه القوة

(١) الوجدانيات نسبة الى الوجدان ما يختص بالشعور والاحساس النفسي (٢) ادبيات اللغة من شعر ونثر (٣) المدنيات كل ما يؤول الى التمدن والعمران او الحضارة من ضروب العلم

بخلاف الجغرافية والكيمياء وعلم الحياة مثلاً فان مواضيعها كائنات واقعة في حيز الحواس الخمس . هذا ومن جهة اخرى ما هي فائدة الرياضيات العالية لذلك الطالب الذي سيحترف الطب او الصيدلة او اللاهوت مثلاً . ثم اذا قيل ان الرياضيات يجب ان تُطلب حباً بها ومن اجل فضلها الذاتي كما يُطلب الشعر والموسيقى حباً بالفن فنقول : ولماذا نلزم التلميذ الذي لا يؤنس من نفسه ميلاً الى الجبر او الهندسة ان يحبهما وحبهما ليس مركباً في طبعه . ولعل خير ما يقال في هذا الصدد ان يترك الطلبة وشأنهم من هذا القبيل فمن كان منهم ميالاً الى الرياضيات اتخذها درساً دون غيره ممن ليسوا كذلك

وهكذا استطرد الكاتب من موضوع الى موضوع مفنداً ومزيفاً ومنتقداً ومقترحاً وغايته ومرماه ان يكون التهذيب نافعاً عقلياً وادبياً ومادياً باعتبار الزمان والمكان





السفن الحربية التي لا تخشى بأس الغواصات

يصدق القول « التاريخ يعيد نفسه » على العدد الحربية كما يصدق على غيرها . وقد جاءت هذه الحرب برهاناً ساطعاً على صحته . فمن ذلك بناء البحرية الانكليزية للسفن المعروفة باسم « مونيتور » التي كانت مستعملة منذ اكثر من نصف قرن في الحرب الاهلية الاميركية ثم أهملت وهي تمتاز باتساع سطحها وثباته وقلة عمقها بحيث لا تخشى طوربيل الغواصات . وقد كان لهذه السفن قسط وافر في اعمال حملة الدردنيل وكان لها شأن ايضاً في ضرب مدينة العريش اخيراً (انظر تاريخ الشهر)

ابادة الدودة القرنفلية

بدواء جديد

القى الدكتور توفيق صوصه في « جمعية البحث في طبائع الحشرات للقطر المصري » محاضرة باللغة الفرنسية في انجع الطرق لابادة الدودة القرنفلية ضمنها الطرق المختلفة التي استعملت لهذا المرض وختمها بوصف طريقة خاصة اهتدى اليها حضرته بعد التجارب الطويلة فرأينا ان ننقل خلاصتها لخطورة الموضوع . قال :

لشجيرة القطن اعداء من الحشرات ما برحت تفتك فيها وتعوقها عن تمام نموّها منذ قديم الزمن. فبعضها تأكل الاوراق (دودة القطن). و بعضها تمتص عصارة الورق (الدودة المسماة بالندوة العسلية) ، و بعضها تدف جذوع الاغصان الرطبة (الدودة القارضة)، و بعضها تتلف جوزة شجيرة القطن حتى تصل الى البذور التي في داخلها (دودة اللوز)

ولكن اشد تلك الاعداء فتكاً بالقطن المصري في الوقت الحاضر الدودة القرنفلية . فقد اصبحت خطراً يهدد القطر بأسره . ولم تنجح المساعي المبذولة لابادتها نجاحاً يستحق الذكر. وخطر هذه الدودة هو انها لا تكتفي بقرض كل ما في داخل البذرة بل تقيم فيها حية من الفصل القطني الى الآخر في العام التالي

وقد وفدت الدودة القرنفلية (واسمها العلمي Gelechia gossipiella) الى القطر المصري من بلاد الهند وهي موطنها الاصلي واول ظهورها في مصر كان سنة ١٩٠٣ . ولم يعرها اولو الامر اهتماماً اذ ذاك لضعف وطأتها ولكنها ما برحت من ذلك الحين تزداد فتكاً واتلافاً حتى انها في سنة ١٩١٠ احدثت من الاضرار اكثر مما احدثت جميع انواع الديدان الاخرى

وعند استكمال نموها تتحول تلك الدودة الى يسروع او شرنقة ثم الى فراشة صغيرة قاتمة اللون . وهذه الفراشة تضع بيضها على جوز شجر القطن او ورقه فلا يلبث هذا البيض اربعة ايام حتى يتولد منه الدود القرنفلي وهلمّ جرّا يتلو الجيل الجيل وتبلغ الدودة عند اكتمال نموها ١٢ مليمترا وتخطط اذ ذاك بخطوط ضاربة الى الاحمرار

وقد استنبطت عدة طرق لابادة هذه الدودة ولكنها لا تزال في دور التجربة

العلمية . وكلها ترمي الى اماتة الدود وهو في داخل البذور قبل بذرها . وتنقسم هذه الطرق الى قسمين : طرق ميكانيكية وطرق كيمية

اما الطرق الميكانيكية فثلاث :

(١) الهواء الساخن بحرارة ٧٥ درجة سنتغراد

(٢) الهواء البارد ببرودة ٦ درجات تحت الصفر

(٣) الماء الساخن بين ٧٠ و ٧٥ درجة

ويظهر ان استخدام الهواء الساخن قد أدى الى بعض النتائج ولكن أصحاب هذه الطريقة لا يزالون يدرسون خطر السخونة على حياة البذرة اذا تجاوزت حداً معيناً يختلف باختلاف أنواع البذور

أما الطرق الميكانيكية فأهمها تبخير البذور بيسلفيت الكربون او وضعها تحت تأثير غاز الحامض الهيدروسيانيك أو غاز كليتون (علمياً اكسيد الكبريت المزدوج)

وجملة القول ان جميع الطرق الكيمية والميكانيكية ليست سهلة الاستعمال ولا سيما الاولى بسبب الغازات السامة التي تتولد منها. وهي تستدعي نفقات كثيرة وآلات خاصة ومهندسين وعمالا مدربين

وقد أصدرت الحكومة المصرية أخيراً قراراً يوجب على الفلاح أن ينتزع من شجيرة القطن الورق والجوز المصاب وان يحرقه . فبهذه الطريقة يباد عدد كبير من الدود . وقد جاء هذا القرار في وقته لأنه مهما يصيب طرق ابادة الدودة القرنفلية في البذور من النجاح فان الفائدة التامة لا تأتي الا بابادة تلك الدودة من الورق والجوز ايضاً

وقد حملتني خطورة المسئلة والمساعي الكثيرة المبذولة في هذا المضمار الى درس الموضوع فصرفت مدة طويلة أبحث وأجرب رغم العقبات العديدة التي اعترضتني الى ان تكللت مجهوداتي بالنجاح . فان الدواء الذي توصلت اليه محقق التأثير وقد جربته في دودة اللوز وفي الدودة القرنفلية فكان ذا فعل مدهش اذ ان الاولى صرعت في ثوان قليلة وقضي على الثانية في مدة تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ ثانيـة . وقد عالجت البذرة المصابة ايضاً وتوصلت الى نتائج حاسمة

ان هـذه الطريقة التي كلفتني عناء سنتين سهلة ميسورة لا تستدعي آلات خاصة ولا نفقات باهظة وكل ما تتطلبه هو تغطيس البذرة في محلول خاص مدة لا تزيد على عشر دقائق، وهي كافية لقتل جميع الدود بلا استثناء ومن غير اصابة الجرثومة الحيوية في البذرة . ثم ان هذا المحلول يتبخر بسرعة سواء كانت البذور في اكياس أو صناديق أو غير ذلك . وتحفظ البذور بعد معالجتها على هذه الصورة بلا ادنى تلف الى وقت البذر

وقد كررت تجاربي في أوقات مختلفة من السنة فكان نجاحي هو هو

وفي الختام لي وطيد الامل ان أتمكن بواسطة دوائي هذا من خدمة القطر ومزارعيه وابادة تلك الدودة الفتاكة باذن الله — الدكتور توفيق صوصه





مثال من خط القتال

اخذ هذه الصورة بالفوتوغراف طيار فرنساوي اثناء تحليقه فوق خطوط الخنادق الفرنساوية والالمانية في جهات شمبانيا . واذا انعم القارئ النظر في هذه الصورة وجد في اعلاها قطعة من الارض غير متصلة بما امامها ولا بما وراءها فهذه القطعة هي المنطقة التي تفصل بين خنادق الفريقين وبها تمر القذائف والقنابل والمفرقعات على انواعها . ويرى القارئ تشعب الخنادق وطرق الاتصال المديدة بينها ولا سيما في القسم السفلي

العائلة والمنزل

مرض التراخوما وعلاجه

(حرارة العيون)

التراخوما هي مرض التهاب غشاء الجفون الداخلي مصحوباً دائماً ببزات صغيرة رملية يسبب احتكاكها بالعين التهاباً وألماً شديدين مع احمرار العيون واحتقانها وتساقط الدموع بغزارة وافراز مادة صديدية ممتلئة بالميكروبات الخبيثة السامة التي هي سبب هذه العلة والتي منها تنتشر العدوى . واذا تركت واهملت معالجتها وازمن المرض نشأت قرحات عضالة تترك بعد زوال الالتهاب نقطة بيضاء على العين وتنتهي احياناً بفقدان البصر

تاريخ المرض وانتشاره

يظهر من الآثار القديمة ان مرض التراخوما كان موجوداً في مصر واليونان وبلاد العرب ومنها انتقل الى كل الجهات التي كان يذهب اليها الحجاج . ويظهر ايضاً انه بعد رجوع حملة نابوليون بونابارت من مصر الى فرنسا سنة ١٨٠٢ ابتدأ المرض ينتشر في اوربا

ان كثيرين من النمسويين المهاجرين الى اميركا مصابون بهذا الداء . وقد كان انتشاره بينهم سبباً لتيقظ حكومة الولايات المتحدة واخذها الاحتياطات الفعالة لرفض كل مهاجر مصاب بهذا الداء ، فان في مقدمة الشروط التي وضعتها الحكومة لقبول المهاجر ان تكون عيناه نقيتين صحيحتين خاليتين من كل اشتباه والا ارجعته على اعقابه . وهي انما تفعل ذلك لحماية شعبها لان المرض خبيث وسريع الانتشار

ويظهر بعد الفحص المدقق ان ٦٠ في المئة من عميان اوربا ونحو ٨٠ في المئة من عميان القطر المصري فقدوا بصرهم بعد ان اصيبوا بهذا الداء الخبيث واهملوا الوقاية والمعالجة الطبية

الاسباب

قام جدال بين الاطباء فيما مضى على اصل هذا الداء واسبابه حتى ان اختراع الميكرسكوب لم يجدهم نفعاً في اول الامر . على انه بعد الدرس والتنقيب توصلوا الى استكشاف الجراثيم الدقيقة التي تدخل العيون الى تحت الجفون وتخترق الطبقة الغشائية

وتمكن فيها وتسبب اعراض التراخوما . وقد كانت كل العلاجات القديمة قليلة الفائدة لان تأثيرها كان محصوراً بطانة الجفون من غير ان تؤثر في مركز الجراثيم . وتنمو هذه المكروبات وتتكاثر مع وجود الاوساخ والاقذار وملامسة المصابين وباستعمال المناديل المتسخة . واهم ناقل لها الذباب الذي يجب طرده واستئصاله قبل ان يصل الى العيون ويلقي فيها الافرازات السامة

وقد تيسر لنا حين كنا في سوريا ان نفحص عدداً من تلاميذ المدارس لا يقل عن خمسة آلاف فوجدنا ان ١٢ في المئة مصابون بالتراخوما بدرجاته المختلفة وهؤلاء يسكنون الجهات المنخفضة والبيوت المزدحمة الخالية من الوسائط الصحية . واما الذين يسكنون الجهات المرتفعة نظير جبل لبنان وبيوتهم واسعة وغرفهم متفرقة يخللها الهواء النقي فكانوا اوفر حظاً من اخوانهم وعدد المصابين منهم بالتراخوما لا يتجاوز خمسة في المئة

انواع الداء وسيره

وهذا المرض نوعان — حاد ومزمن — فالحاد تكون اعراضه سريعة شديدة الوطأة تدوم من اربعة اسابيع الى ستة . فاذا عولج في الحال توقف الالتهاب — وامتنع انتشاره في طبقات الجفون الداخلية . واما اذا اهملت المعالجة فتتحول الاعراض الشديدة الحادة الى مرض مزمن ، ومع تمادي الوقت يصبح عضالا قلما يمكن شفاؤه الا بطريقة قوية شديدة التأثير

الاعراض

يبتدئ هذا المرض باحدى صورتين : (الاولى) بظهر احمرار والتهاب في الجفون مع ألم شديد وتساقط دموع غزيرة . وبعد مدة تفرز مادة صديدية تطبق الجفون وتلصقها بعضها ببعض خصوصاً في الصباح عند النهوض من النوم . وعند الكشف على الجفون ترى عليها طبقة صفراء كثيفة متجعدة ممتلئة ببثرات بيضاء اللون مع اغبرار . وهذا المرض المزعج يصيب غالباً الاولاد من سن الرابعة الى الثانية عشر وبعد مرور بعض الاسابيع (٤ الى ٦) على الاعراض المذكورة اما ان يتحول الى مرض مزمن كما ذكرنا سابقاً او تصبح العيون في حالة خطرة تهدد بفقدان البصر كلياً او جزئياً حسب شدة المرض . و (الثانية) تبدو اعراض خفيفة بطيئة قلما يلاحظها المريض بادئ بدء . فقد يشعر اولاً بوجود حبة رمل في عينيه وباحمرار ويصعب عليه فتح الجفون والنظر في النور . ثم تظهر الاعراض المذكورة سابقاً خفيفة الوطأة فيداوم المريض اشغاله اليومية غير ملتفت الى الخطر الذي يهدده . وهكذا يمتد الالتهاب شيئاً فشيئاً الى ان يصل

الى القرنية فيسبب قرحة تحول بعد جفافها الى نقطة بيضاء فتغطي الحدقة كلها او بعضها وتحجب النظر بالنسبة الى حجمها . وتصير ازالتها من المستحيلات — خصوصاً اذا طالت مدة وجودها في العين

وقد ثابرنا على درس هذا الداء والبحث فيه باجتهاد ورغبة مدة سبع سنوات كاملة حتى حصلنا على نتيجة حسنة . وبعد الاختبار والتجربة الطويلة وصلنا الى علاج يشفي من هذا المرض الوبيل . ولم نقف عند هذا الحد بل سافرنا الى اوربا ومصر وسوريا لزيادة الاختبار واستعمال العلاج الجديد الذي استكشفناه . وقد شاهدنا في المستشفيات الخصوصية هناك الوفاً من المصابين به وكان من حظنا ان عالجنا نحو ٥٠٠ مريض بهذا العلاج فكانت النتيجة حميدة جداً

الوقاية والعلاج

من اهم الوسائل لمنع امتداد المرض اولاً فصل المريض عن بقية العائلة ، فينبغي له ان ينام في غرفة منفردة ويغسل يديه ووجهه في وعاء مخصوص وألا يسمح لغيره باستعمال المناشف والمناديل التي يستعملها . وثانياً ان يجتنب كل الاوساخ وان يكون نظيفاً في كل جسمه ويسكن في اماكن نقية الهواء خالية من الغبار والاوساخ ومعتدلة الحرارة متجنباً المشي في الشمس

اما العلاج فيكون اولاً استعمال الادوية المرطبة لتخفيف الالتهاب فتضعف قوة الجراثيم . فاذا زالت الاعراض بذلك وعادت العيون الى حالتها الطبيعية كان ذلك جل ما يرغبه العليل . والا فلا بد من اجراء عملية خصوصية لازالة البثور الرملية من الجفون . ولا يأذن لنا المقام ذكر تفاصيلها لان من الضروري ان تجري على يد طبيب ماهر اختصاصي في مرض العيون . واما علاجنا الذي استكشفناه فهو « قطرات » مركبة من اجزاء كيماوية نادرة الوجود لم تستعمل من قبل وقد تأكدت فعلها بعد استعمالها وتجربتها اكثر من الف مرة في هذه البلاد وفي مصر وسوريا

البوكرك . نيومكسيكو . الولايات المتحدة الدكتور فارس طنوس

ان نصف الآلام النفسانية التي يتحملها الناس ناشئة عن اختلال في صحة الجسم (يتشر)

الحياة بلا صحة لا تستحق ان تسمى حياة وانما هي صورة للموت (رابليه)

ليس عسر الهضم الا تأنيباً للمعدة على ما جنته (كر)

تاريخ الشهر

القتال على الحدود المصرية

كان معظم القتال على الحدود الشرقية اثناء الشهر الماضي قاصراً من الجهتين على اعمال الطيارات . فمن ذلك ان طيارتين من طيارات الاعداء حلقت صباح الاثنين ٨ مايو فوق مدينة بورسعيد والقت عليها ثماني قنابل او تسعاً فجرح ثلاثة من الاهلين ولكنها لم تحدث ضرراً آخر ولم تلبث المدافع المهيأة لمطاردة الطيارات ان اطلقت عليها النار بسرعة فطردتها . ومنه ايضاً ان الطيارات الانكليزية ما برحت منذ تقهقر العدو الى بئر المبد (انظر تاريخ الشهر الماضي) تراقبه وتزعجه وتقلقه بلا انقطاع حتى اخلى العدو بئر المبد التي كانت مركزاً من مراكزه الامامية ومقراً لقوة ثابتة

وفي ١٥ مايو بعد الظهر خرجت قوة انكليزية مستكشفة فوصلت الى عدة نقط تبعد عن قطية من ١٢ الى ١٥ ميلا شرقاً وجنوباً من جهة الشرق . ثم عادت في اليوم التالي من غير ان تجد اثراً للعدو الا مركزاً واحداً اسرته في حوض الدايس . ووجدت ايضاً في حوض البيوض معسكراً للاعداء فدمرته وقد تمكنت حاميته الصغيرة من الفرار

وفي صباح ١٨ مايو ضرب الانكليز مدينة العريش من البحر والهواء ضرباً مؤثراً وقد قام بهذا الضرب سفينتان حربيتان من طراز المونيتور وسفينة حربية ثالثة من طراز الحراقات وكانت الطيارات البحرية ترشد هذه البوارج الى الغرض المقصود فتصيبه قنابلها وتفعل فيه فعلاً ذريعاً . وقد اطلق ٣٤ قنبلة من المدافع الضخمة في سفينتي المونيتور ولوحظ ان اثنتين منها اصابتا الشادر الذي في ميدان الطيران اما سائر القنابل فانفجرت بين الخيام وارغمت جنود العدو على التشتت في جميع الجهات والتجأ كثيرون منهم الى حدائق النخل قريباً من الساحل ولكن السفينة الحراقة دنت حينئذ من الساحل تحميها نار سفينتي المونيتور ووقفت على مقربة منه واخذت تطلق القنابل المتوسطة الحجم من مدافعها في طلقات متوالية كانت تخترق تلك الحدائق . وقد دام هذا الضرب ساعتين دمرت في اثنائهما القلعة التي في البلدة وتحولت الى انقاض ولم يحاول العدو الذي اختل نظامه اختلالا تاماً ان يقابلنا بمثل ما اتينا

وفي صباح ٢١ مايو حامت طيارتان للعدو فوق بورسعيد لتثأر بضرب العريش

قالقت ١٦ قنبلة على المدينة وقد كان موجهاً اكثرها الى حي العرب فقتل اثنان من الاهالي وجرح اثنان جراحاً بالغة وواحد عشر جراحاً خفيفة . وجرح ايضاً اربعة من الجنود جراحاً خفيفة وواحد جرحاً خطراً . وكان طيارو العدو يستعملون الانوار الكشافة قبل القاء القنابل . على انهم ما لبثوا ان طردتهم المدافع المضادة للطيارات

ولم يدع الطيارون الانكليز بعد ذلك العدو يستريح فان اربعاً من الطيارات الانكليزية ضربت في اليوم التالي نقطة الامامية في روض سالم وبئر الحماه وبئر بيوض وسلمنه وبئر المزار وقذفت عليها ٤٠ قنبلة فعلت فيها فعلاً ذريعاً واحدثت اضراراً بليغة في ابنية حماه ودمر خزان الماء في روض سالم (وقد كان اعتماد العدو على هذا الخزان) . وبينما الطيارات عائدة من مهمتها اصيبت احداها برصاصة اضطرت ربانها الى النزول ولكنه ما لبث ان عاد سالماً بعد اصلاح الخلل

* * *

اما على الحدود الغربية فقد نشرت السلطة العسكرية بلاغاً رسمياً جاء فيه :

تستعيد منطقة الحدود المصرية الغربية في القسم الشمالي حالتها الاولى الطبيعية بسرعة ولا تزال الدوريات الصغيرة التي تتجول عادة بالاوتوموبيلات المسلحة تكتشف مستودعات ذخائر مخبأة وتدمرها . وبلغ ما اكتشفته من هذه الذخائر منذ استرجاع السلوم حتى اليوم ربع مليون طلقة او اكثر . وقد اكتشفت ايضاً في جنوب السلوم آلتين مانيتين لاسلكيتين مطمورتين في الصحراء

واحتلت جنودنا « مغارة » بقصد تقوية النطاق المضروب لمنع ارسال المؤن الى طرابلس الغرب . وانشئت في « الضبعة » سوق وطنية لتموين الاعراب العائدين من طرابلس الغرب بالاقوات مماثلة للسوقين المنشأتين من قبل لهذا الغرض نفسه في « الحمام » و « العامرية »

هذا ووجود القوات البريطانية والمصرية في الواحات الخارجية يمكننا من الاستكشاف في كل الجهات وفضلاً عن ذلك فان قسم الطيران الملكي يرسل الى الواحات الداخلة حملات متتالية وينزل بها في كل حملة اضراراً جسيمة بالقنابل والمدافع ولا يحرك الاعداء هناك حركة واحدة دون أن ندري بها

ويروي المهاجرون الذين جاءوا من الواحات البحرية في الايام الماضية روايات محزنة عن الحالة السائدة عليها الآن وهم يتوقعون ان تدب فيها مجاعة في القريب العاجل ويقولون ان الحمى التيفوسية منتشرة فيها ولا توجد الادوية او الاستعدادات اللازمة

لتوقيها . والعدد القليل من الاعداء الذي لا يزال محتلا تلك الواحات يحكم اهلها بالارهاب وينهب منهم الزاد القليل الباقي لديهم وممتلكاتهم الشخصية ويعمد الى الشدة في تحصيل مطالبه . وقد وقع في ايدينا خطاب مرسل الى موظف من موظفي الحكومة السنوسية يؤمر فيه باستعمال العنف والشدة اذا اقتضت الحال للحصول على الاخبار

ولدينا من البواعث ما يدعو الى الاعتقاد بان الحالة العمومية في الواحات الداخلة لا تفضل حالة الواحات البحرية في شيء بالنسبة الى اهلها

وقد نشرت ايضاً الوكالة الايطالية بلاغاً رسمياً عن اعمالها في طرابلس بتاريخ ١١مايو اليك نصه :

اذاعت شركة استفاني ان جنودنا احتلت في ٤ مايو الجاري بعد التأهب والاستعداد اللازم والسفر بحراً مرسى المريسة الواقع على سواحل برقه بالقرب من الحدود المصرية. وفي الايام التالية تقدمت جنودنا براً الى مرسى بردية (برج سليمان) وكلا الميناءين كان مركزاً لتموين غواصات الاعداء وللتهريب الى داخلية البلاد

وكان على ظهر احدى السفن الحربية الملكية التي تخفر النقالات العسكرية سيدي هلال اخو السنوسي الكبير مع بعض مشايخ قبائل الشقة الشمالية الشرقيـة من برقة . وهؤلاء جميعاً تقدموا لمرافقة الحملة من تلقاء انفسهم

وقد تمّ احتلال هاتين المنطقتين في بلاد الثوار وفي مياه بذرت فيهـا الالغام دون اقل حادث بحري او بري

ويستدل من هذا البلاغ ومن البلاغات الانكليزية السابقة ان الساحل كله الان في قبضة القوات البريطانية والقوات الايطالية فلم يبق للثوار طريق للمواصلة مع الخارج

زيارة عظمة السلطان لطنطا

وسفره الى الاسكندرية

غادر عظمة السلطان مدينة القاهرة صباح يوم الجمعة ٥ مايو الجارى قاصداً مدينة طنطا ثالث المدن المصرية يصحبه الوزراء وكبار رجال الديوان السلطاني فاستقبل عظمته على المحطة صاحب السعادة مدير الغربية وكبار رجالها ثم زار عظمته المعهد الاحمدي وقصد غرف التدريس والمدرسون يلقون دروسهم وكان حيثما ذهب عظمته يلقي النصائح الثمينة

وكانت قد نصبت ستة سرادقات سلطانية في منتهى الرواء والفخامة وبعد ان استراح عظمة السلطان قليلاً قصد السرادق الكبير حيث تشرف بمقابلته اعيان الغربيـة

التقريظ والانتقاد

تاريخ سيناء

لنعوم بك شقير

تمر السنة على ابناء اللغة العربية ويكاد لا يظهر في أثنائها من الكتب النفيسة ذات القيمة الدائمة ما يتجاوز عدده اصابع اليدين . وقد لا يكون بينها من المباحث المبتكرة التي لم يطرقها الكتاب الغربيون — فضلاً عن الشرقيين — او لم يوفوها حقها ما يتجاوز اصابع اليد الواحدة . لذلك نبتهج ابتهاجاً عظيماً عند ظهور كل كتاب عربي بذل مؤلفه من العناية وحسن التنسيق ما يجعله جامعاً بين اللذة والفائدة وجديراً باقبال القراء والقارئات ولا سيما اذا كان من الكتب التي تطالع ثم تحفظ للمراجعة والتحقيق

من تلك الكتب الخليقة بتقريظ الاديب ونقده كتاب « تاريخ سيناء » لنعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية وصاحب « تاريخ السودان » . فقد جاء هذا الكتاب خير خلف لشقيقه البكر . وليس يدرك مرادنا من هذا القول كمن طالع « تاريخ السودان » ووقف على ما حواه من الفوائد الجليلة التي يضاعف قيمتها الترتيب الجميل والعبارة السهلة المتينة

ان اصدار كتاب عدد صفحاته يقرب من الثمانمائة صفحة في موضوع جاف كسيناء لهو اشبه شيء بمعجزة ادبية . واول ما يتبادر الى ذهن القارىء ان يسائل نفسه « ما عسى ان يُضمَّن كتاب موضوعه سيناء من المباحث ما يستغرق كل هذه الصفحات ؟ » ولكنه متى علم ان المؤلف احاط فاوعى بتاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء ، وانه رطب جفاف تلك الصخرة الجرداء تارة ببعض الاشعار والمقتطفات الادبية وطوراً بالمستندات التاريخية الممتعة ومرة بحكاية مستظرفة وأخرى بملحوظة خلقية او عبرة فلسفية مما يتعلق بسيناء مباشرة أو غير مباشرة ، وان في الكتاب ما ينيف على ١٤٠ رسما جميلا قلما يجدها في كتاب آخر — متى علم كل ذلك ادرك بعض قيمة هذا الكتاب

لقد اعادت الحرب الحاضرة لسيناء بعض الذكر على ألسنة الناس وصفحات الجرائد .

على ان تلك الجزيرة ما برحت منذ قديم الزمن الحلقة الموصلة بين الامم الشرقية القديمة والحديثة فهي « بلغة الشاعر قنطرة النيل الى الاردن والفرات وبلغة الناثر الوصلة البرية بين افريقيا وآسيا » على ما جاء في تحديدها بتاريخ سيناء الذي نحن بصدده ، بل قل انها مع جردها وجفافها واكتنافها من كل جهة بالاراضي الخصبة الغنية ذات المجد التاريخي العظيم اشبه شيء بنواة الثمرة يكسوها الطعم اللذيذ من كل جانب

وقد أتيح لنا ان ننشر في بعض الاهلة الماضية مثالاً من هذا الكتاب اثر ضرب العقبة فنقلنا عنه تاريخ تلك المدينة قديماً وحديثاً ولا بد لنا هنا من الاتيان بمثال آخر من الجزء المختص ببداوة سيناء ، نريد الجزء الذي وصف فيه المؤلف عادات عرب سيناء واخلاقهم [1] قال في افراحهم :

وبدو سيناء كسائر البدو يحبون الزواج الباكر والزواج بين الاقارب . وسن الزواج عندهم سن البلوغ . واقرب قريبات الرجل التي يحل له زواجها بنت العم . فاذا بلغ الرجل تخير واحدة من بنات عمه او من بنات قبيلته وقلما مال الى غيرهن . واذا مال تخيّر من الانساب كفوءاً له فان احترام البدو للنسب عظيم

والرجل يخطب البنت من أبيها او وليها رأساً بلا واسطة او بواسطة أبيه . واما البنت فاذا كانت بكراً فلا يؤخذ رأيها في خاطبها بل لا بد لها من الرضى بمن رضيَ به ابوها او وليها . واذا كانت ثيّباً فلا بد من سؤالها ورضاها عن تقدم لها

ومهر بنت العم من جمل الى خمسة جمال . ومهر الاجنبية من خمسة جمال الى عشرين جملاً . ومهر بنت العم في اصطلاح النجمات الحيوات « لبني ومربوط وجنبهان »

واذا رضي أب البنت او وليها بالخاطب أخذ غصناً اخضر وناوله اياهُ وقال : « هذه

(١) والكتاب يقع في ثلاثة اجزاء كبيرة وخاتمة اما الاجزاء فهاك مواضيعها :

(الجزء الاول) في جغرافية سيناء الطبيعية والادارية . وفي ذكر حدودها وأراضيها . وجبالها . وأوديتها . ومياهها ومعادنها . وهوائها . ونباتاتها وحيواناتها . وسكانها ومدنها . وقراها . وديرها . وطرقها . وآثارها . وحكومتها وغير ذلك

(الجزء الثاني) في بداوة سيناء . وفيه ذكر لغة أهلها . وشيائهم . ومعارفهم . وزراعتهم وصناعتهم • وتجارتهم وعاداتهم • وخرافاتهم . وقضائهم • ومحاكمهم • وشرائعهم • واحكامهم مع نقد شريعة البدو وحكومتهم وطرق اصلاحهم

(الجزء الثالث) في تاريخ سيناء القديم والحديث • ويشمل تاريخ السكان الاصليين مع الفراعنة • وتغرب بني اسرائيل في سيناء • ومملكة النبط في البتراء • وتاريخ دير طورسيناء • وتاريخ سيناء في عهد اليونان والرومان والفتح الاسلامي الى هذا العهد • وحروب البدو في سيناء في عهد الاسرة العلوية • وتفصيل حادثة الحدود وغيرها

قصلة فلانة بسنة الله ورسوله . إنما وخطيبها في رقبتك من الجوع والعري ومن أي شيء تفسها فيه وانت تقدر عليه » . فيتناول الخاطب القصلة ويقول « قبلتها زوجة لي بسنة الله ورسوله »

وقال في واجبات الزوجين :

ولكل من الزوجين واجبات قررتها العادات والتقاليد . اما الزوجة فعليها غزل الشعر والصوف . وحياكة الخيام والأخراج والغرائر والفرش . وجاب الماء من الآبار والعيون والحطب من الاودية . وطحن الحبوب . والعجن . والخبز . وحاب الابل والاغنام . والخض (استخراج الزبدة من اللبن) ورعي الاغنام عند الاقتضاء

واما واجب الزوج فهو رعي الإبل وجلب الغلال والغنم واحجار الرحى والفحم والغربال والصاج والحمار . ومن الثياب على قدر الطاقة . فاذا قصّر احدهما بشيء من واجباته نحو رفيقه ألزمه « العقبي » به كما سيجيء

قالوا واحبُّ خصال المرأة عند البدو الخصال التي اشتهرت بها وضحة زوجة نمر ابن عدوان من قبيلة العدوان بر الحجاز وهي :

« انها لم تكن تنام قبل رجوع زوجها الى منزله . ولم تكن توليه ظهرها ما دامت في حضرته بل كانت اذا احبت الانصراف توليه وجهها وترجع القهقرى . ولم تكن تقترض شيئاً من جاراتها مهما اشتدت حاجتها اليه . لم تكن تحضر السامر ولا الدحية . وما قالت لزوجها « لا » طول عمرها بل كانت تطيعه بكل امر . وما زارت اهلها قط الا برأيه وارادته . وما استطاع أحد من الطائشين أن يراودها » . قالوا وكان زوجها يحبها حبًّا جمًّا فلما ماتت شقّ عليه دفنها في التراب فانشد يقول : —

كيف العزاء والصبر يا حج يا سليم ... في الصاحب اللي ما مشى في نكدها
الله ما اصبرني صبرت امس واليوم ... والصبر مرمرني وريقي عقدها
ولئن خبروني بين بدو وحضران ... لاختار وضحة نور عيني وحدها
لئن جئت زعلان لنّها تسليك ... مثل الشفوق اللي تلهله ولدها
وان سمعت السمّار ما بين فريقين ... ما شفّت الفرقان تذرع يدها
ولا عمرها رافقت كل شنشول ... ولا عمر ابو العملات كبّر جهدها
سايق عليك الله يا حافر الاساس ... لو انك توسع لها في لحدها

وقال في خرافاتهم :

مصدر الخرافات الجهل . ولذلك فخرافات البدو كثيرة ، منها : اعتقادهم « الاصابة

بالعين » . وهم يعلقون الخرز الزرق في اعناق اطفالهم وإبلهم وخيلهم العزيزة عندهم لدرء العين الشريرة . ورأيت بعض شبانهم يعلقون الخرز الزرق في مرائرهم لدرء العين

وهم يتشاءمون من رغاء الإبل ومن عواء الكلب من بطنه ومن صباح الاجرود ويتفاءلون بفلج الاسنان والسفر يوم الجمعة او الاثنين . ويتشاءمون من السفر او الغزو يوم الاربعاء اذا اتفق انه آخر اربعاء في الشهر . ويوم الخميس اذا اتفق انه الخامس في الشهر . ومن السفر او الغزو اذا كان القمر في القران مع العقرب كما مرّ

وفي العَمْر في شرق بلاد التيه رجل من الترابين يدعى عامر ابو روّاع يعتقد اهل سيناء أن له معرفة بعلم النجوم ونحسها وسعدها فاذا نهاهم عن سفر او غزو انتهوا واذا بشرهم صدقوه

وعند رؤية الهلال يقولون « يا اللي سلّمتنا في اللي زلّ سلّمنا في اللي هلّ . يا الله حلوبة يا الله جلوبة يا الله دعوات اولاد الحلال » . ويهنئون بعضهم بعضاً بظهوره فيقول الواحد « مبارك شهركم » فيجيبه الآخر « لنا ولكم »

وهم يرقون الحية والذئب والضبع والنمر لئلا تؤذي اغنامهم . فرقية الذئب والضبع والنمر واحدة وهي : « معزانا كورة كورة . عليهم قطيفة النبي منشورة . اذا جاء من الوادي لجامه هادي . واذا جاء من العدوة لجامه هدمه . واذا جاء من البطين (رأس الجبل) لجامه شريط . في اذانه فاس وفي خشمه فاس وفي يديه فاس وفي رجليه فاس ترميه في البحر الدوّاس بيننا وبينه الخله وسبع جمال محملة غلة »

هذه امثلة من ذلك الكتاب النفيس . بقي لنا ملحوظة لم تسه عن بال المؤلف وانما ارجأها عمداً الى وقت آخر وهي مسئلة فهرس المواضيع المطول فانه يضاعف فائدة الكتاب وعسى ان يتم المؤلف وعده في مقدمته اذ قال « وهذا العمل يتطلب وقتاً وورقاً للطبع وانا لا اجد هذا ولا ذاك الآن . وربما وفقت الى عمله بعد الحرب »

مطبوعات جديدة

﴿ مرآة العصر ﴾ صدر المجلد الثاني من هذا الكتاب الجامع لتراجم ورسوم اكابر الرجال في مصر من ارباب السياسة والادارة والعلوم والفنون لصاحبه الياس افندي زخورا . والكتاب مقدم لعظمة السلطان ومصدر برسوم عظمته وترجمته يلي ذلك تواريخ اصحاب المعالي الوزراء وكبار الموظفين والرؤساء على اختلاف مذاهبهم ومشاهير الكتاب والعلماء والقانونيين وغيرهم . ويجد فيه القارىء ما لا يجده في أي كتاب آخر باللغة العربية

قائدان عظيمان

كتشنر وغالياني

فقد الحلفاء في الشهرين المنصرمين رجلين من أكبر رجالهم هما كتشنر وغالياني . وقد كان بينهما اوجه شبه عديدة من حيث حياتهما العسكرية واطوارهما وعلاقتهما بهذه الحرب فقد اتفقا فيما يأتي :

اولاً : أنهما ورثا الروح العسكرية من والديهما فكلاهما جندي ابن جندي

ثانياً : أنهما ارتقيا بجدهما وحده الى ارقى مراتب الجيش

ثالثاً : انه كان لهما القسط الاوفر في تكوين المستعمرات الانكليزية والفرنسية

رابعاً : أنهما قضيا معظم حياتهما في المستعمرات ولا سيما في افريقيا

خامساً : أنهما اشتركا في حرب سنة ١٨٧٠ ضد المانيا

سادساً : ان اطوارهما متشابهة كل الشبه من حيث الاقدام والشجاعة والشدة والنزوع الى العمل الكثير والكلام القليل

سابعاً : أنهما منظمان واداريان ماهران

ثامناً : أنهما استلما وزارتي الحربية الانكليزية والفرنسية في اثناء هذه الحرب

تاسعاً : أنهما توفيا في نفس السن تقريباً اذ كان عمر كتشنر ٦٦ وغالياني ٦٧

عاشراً : أنهما ذهبا ضحية سعيهم في سبيل نصر الحلفاء فقد توفي كتشنر غرقاً وهو ذاهب في مهمة حربية الى روسيا ومات غالياني اثر الجهد والتعب الشديدين اللذين بذلهما في عمله حتى اعياه المرض

لورد كتشنر اوف خرطوم

كان لورد كتشنر على اهبة السفر الى مقر وظيفته في القطر المصري لما نشبت الحرب فلم يكد يصل الى ميناء دوفر ليبحر منها حتى جاءه تلغراف من المستر اسكويث يطلب اليه استلام وزارة الحربية وتنظيم الجيش فرجع للحال الى لندن . وبعد ستة أشهر نزلت في فرنسا الفرق الاولى من «جيش كتشنر» لمقاتلة الالمان . والجيش الانكليزي اليوم يضم خمسة ملايين جندي

فكيف حصل لورد كتشنر على هذه النتيجة العظيمة ؟ تدرك ذلك متى علمت ان

شعاره كان كلة Thorough (أي الى التمام) بل ان هذا الشعار هو خلاصة حياته كلها فقد كان يعرف كيف يريد واذا اراد يعرف كيف ينفذ مراده حتى التمام لا يثنيه عن عزمه شيء ، وكأن كلة « مستحيل » لم تجد محلاً في معجمه

ولعل لورد كتشنر هو الوحيد بين القادة الاوربيين الذي تنبأ بطول هذه الحرب . ولا يزال الجمهور يردد قوله بشأن استلامه وزارة الحربية « لمدة ثلاث سنوات فقط » أثناء الحرب . وقد كان هذا القول مستهجناً من الجميع في اول الامر ولكن الحوادث قد دلت على بعد نظره كما دلت على علو همته في تحقيق رغبة كانت تعد حلماً — نعني بها تكوين جيش انكليزي عظيم بعدده واسلحته وسائر لوازمه

والذي يميز لورد كتشنر بروز شخصيته ومتانتها فكان اذا كلف امرأً طبعه بطابعه الشخصي فترى اثره في اقل جزئيات ذلك الامر . وكان رحمه الله قليل الكلام لا يعرف غير القول الواضح المستقيم المؤدي الى غرضه . واي شيء ادل على شخصيته من الاعلان الذي نشره على الجيش الانكليزي بتاريخ ١٨ اغسطس سنة ١٩١٤ ففيه تجلى اخلاقه وطباعه . قال :

« انكم مرسلون الى خارج انكلترا وانتم جنود الملك لتؤازروا رفاقكم الفرنسيين على صد عدو مشترك . فعليكم ان تقوموا بهذه المهمة التي تستدعي شجاعتكم ونشاطكم وجلادتكم ، وتذكروا ان شرف الامبراطورية البريطانية موقوف على سلوك كل منكم . وليس الواجب عليكم ان تكونوا مثال النظام والثبات تحت النار فقط بل ينبغي لكم ايضاً ان تحافظوا على احسن العلاقات بينكم وبين الذين ذهبتم لمؤازرتهم في القتال . فان الاعمال المفروضة عليكم ستتم في بلاد موالية لكم وأفضل خدمة تستطيعون تقديمها لوطنكم هي ان تسلكوا في فرنسا والبلجيك سلوك الجندي الانكليزي الحقيقي

« كونوا دائماً أديبين ومتنبهين واياكم ان تأتوا عملاً يكون من شأنه تخريب الاملاك او هدمها ، واعتبروا النهب شائناً . ان الترحيب والثقة ينتظرانكم فيجب ان تستحقوا بسلوككم هذا الترحيب وهذه الثقة . ولا يمكنكم ان تقوموا بالواجب ما لم تكن صحتكم جيدة فاحترسوا دائماً من الافراط ، فقد يخطر لكم في غربتكم ان تنقادوا للخمر او للنساء فعليكم ان تقاوموا هاتين التجربتين . اتموا واجبكم بشجاعة . خافوا الله واحترموا ملككم »

ومن الصفات العظيمة التي امتاز بها لورد كتشنر انه كان يكره المجادلة والمشاحنة حتى اتهمه منتقدوه باستئثاره السلطة . وما ذلك الا نتيجة حياته العسكرية التي تعود في اثنائها

تحمل المسؤوليات العظيمة والبت في المسائل الخطيرة بلا مشارك . فكان يستثقل ان يشاركه غيره في اقرار القرارات. قال عنه احد كبار منتقديه قبيل موته وهو الماجور جنرال سرايفور هربرت « كان اعضاء المجلس الاعلى للجيش بجانبه اشبه بضباط مكلفين تنفيذ اوامره » على ان اعظم مناهضيه لم ينكروا قط علو همته وبذله نفسه في سبيل خدمة الوطن ومن أولئك المستر ونستن تشرشل فقد قال عنه : « ان تكوينه لجيش عظيم في بلاد صغيرة كبلادنا وتمهيده سبيل العظمة العسكرية للامة والامبراطورية بعزم واقدام حتى اصبحت انكلترا من اكبر الدول الحربية في العالم — تلك خدمات اللورد كتشنر التي لا يجوز ان تبرح ذهننا »



كتشنر « باشا »

وقد كان للورد كتشنر مقام عظيم عند قومه فلما شبت الحرب اتجهت اليه الانظار وعلقت بهمته الآمال . بل كان لشخصيته جاذبية عظيمة اجتذبت اليها القوى الكامنة في الشعب الانكليزي وايقظته من تخديره . ولا نعني بذلك انه لم يكن له مقاومون فقد كان منتقدوه يوجهون اليه احد الانتقادات وان لم يشك واحد منهم في اخلاصه وعلو همته . وبلغت تلك الانتقادات اشدها قبيل سفره المنكود على الطراد همشير الذي غرق

في٧ يونيو الماضي . ولكن موته المجيد — موت الجندي في سبيل وطنه — التي ستاراً جليلا على ماوجه اليه من النقد . وقد لبست الامبراطورية الانكليزية جماء الحداد على رجل خدمها بكل قوته وضحى بحياته في سبيلها

واللورد كتشنر مع السر ادوارد غراي الشرف بانهما استحقا اشد البغض من الشعب الالماني . ولئن مات كتشنر وفرح الالمان بفقد عدو جبار فان عمله حيٌّ لا يموت . وها هو ذا الجيش الانكليزي العظيم يخلد ذكره الى الابد

***

ان حياة اللورد كتشنر اشهر من ان تحتاج الى التفصيل ولا سيما في هذا القطر الذي يحفظ له اجمل تذكار لخدماته ومساعيه . وانما نقتصر على كلمة مختصرة تبين الادوار التي دخلها اثناء حياته العسكرية فنقول :

وُلد هوراسيو هربرت كتشنر في ٢٤ يونيه سنة ١٨٥٠ في ارلندا من ابيه الكولونيل هنري كتشنر وأمه المنسوبة الى اسرة شفاليه وهي من الاسرات الفرنسية الاصل البروتستنتية المذهب التي هاجرت فرنسا اثر اضطهاد البروتستنت . وقد رزق والداه خمسة اولاد اربعة ذكور هم شفاليه وهربرت (وهو لورد كتشنر) وارثر ووالتر وابنة اسمها ميلي . فالابن البكر هو شفاليه وهو وارث لقب لورد كتشنر (وقد وُلد سنة ١٨٤٦)

وبعد ان تلقى المبادئ الاولية على يد مربية ومعلمين خصوصيين ارسل في الثالثة عشرة من عمره الى مدرسة جران كلو على بحيرة جنيف بسويسرا ثم الى فرنسا فالمانيا وقضى في كل منها مدة وجيزة ولما دخل مدرسة ولويك الحربية لم يكن قد بلغ الثامنة عشرة من عمره

وفي سنة ١٨٧٠ بينما كان يقضي الصيف مع عائلته في دينان نشبت الحرب بين بروسيا وفرنسا فتطوع في الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال شانزي . وبعد الحرب تابع دروسه الحربية وتخصص في فرقة الهندسة . وفي سنة ١٨٧٤ ذهب الى فلسطين في مهمة كلفته اياها جمعية استكشاف فلسطين استغرقت اربع سنوات ثم ذهب الى مهمة شبيهة بتلك في قبرص

ومنذ ذلك الحين تطورت حياته بسرعة فانتقل من وظيفة الى اخرى ومن مرتبة الى مرتبة حائزاً في كل خطوة يخطوها اعجاب بني وطنه وشكرهم . وقد قضى معظم حياته في المستعمرات الانكليزية . وان اعماله واصلاحاته في القطرين المصري والسوداني كافية وحدها لتخليد ذكره

وتبدأ علاقته بالقطر المصري منذ سنة ١٨٨٢ . وفي سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ سار في حملة النيل لانقاذ غوردون ثم عين حاكماً لسواكن (١٨٨٦ — ٨٨) . وفي سنة ١٨٩٢ خلف اللورد جرنفل سرداراً للجيش المصري وفي سنة ١٨٩٦ ذهب في حملة الخرطوم التي انالته اعجاب امته فضلاً عن جعله في مصاف الاشراف ومنح البرلمان له مكافأة قدرها ٣٠٠٠٠ جنيه لاجل « مهارته الممتازة ومقدرته في وضع خطة حملة النيل سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٨ التي انتهت بمعركة ام درمان والاستيلاء على الخرطوم وملاشاة قوة المهدي » . وفي أثناء زيارته للندن بعد حملة السودان جمع مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه لانشاء كلية في الخرطوم تخليداً لذكرى غوردون . ولما نشبت حرب الترنسفال ذهب اليها برفقة الجنرال روبرتس وفي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٠ تولى القيادة العامة الى ان عقد الصلح في ٣١ مايو سنة ١٩٠٢ وارسل اليه الملك ادوارد اذ ذاك تلغراف تهنئة ومنحه لقب فيسكونت ومنحه البرلمان مكافأة قدرها ٥٠٠٠٠ جنيه

ومن سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٩ عين قائداً عاماً في الهند . وفي سنة ١٩١٠ عين عضواً في لجنة الدفاع الامبراطوري . وفي سنة ١٩١١ عين وكيلاً سياسياً لجلالة الملك في مصر

الجنرال غالياني

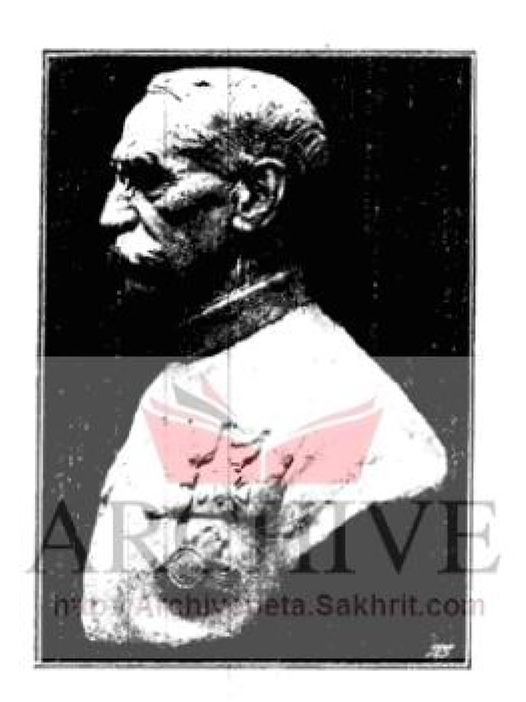
كان الجنرال غالياني عند نشوب الحرب منزوياً في ارض له بجانب البحر يطلب الراحة بعد حياة ملؤها العناء والجهد ولكن الصاعقة التي نزلت في اول اغسطس سنة ١٩١٤ ايقظته من حلمه الجميل . وفي ٢٦ منه عينته الحكومة الفرنسية حاكماً على باريس

وقد حفظ له اهل فرنسا اجمل تذكار من تلك الايام المشهودة وسموه « مخلص باريس » لما ابداه من الحكمة ورباطة الجأش والنظر الثاقب ولنصائحه التي كان يبذلها لاركان الحرب الفرنسي ، وعلى الاخص للمهارة العجيبة والهمة العالية التي اظهرها في اسعاف الجنرال مونوري قاهر فون كلوك وقد كان على ابواب باريس

ولما تألفت وزارة المسيو ارستيد بريان في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٥ عين الجنرال غالياني وزيراً للحربية فصرف جهده في القيام بوظيفته احسن قيام ولكنه حمل نفسه اكثر من طاقتها فلم يلبث ان شعر بداء ما برح يزداد شدة في كل يوم حتى اضطر الى الاستعفاء وعمل عمليتين جراحيتين ولكنه ما لبث ان ظهر عليه ضعف شديد ولفظ روحه في صباح السبت ٢٨ مايو

ولا يزال الباريسيون يرددون قوله المشهور أثر تعيينه حاكماً على باريس « لقد صدر لي الامر بالدفاع عن باريس ضد العدو . فهذا الامر سأنفذه الى النهاية »

ولد جوزيف سيمون غالياني في ٢٤ ابريل سنة ١٨٤٩ وحالما بلغ اشده دخل مدرسة حربية ابتدائية وفي سنة ١٨٦٨ دخل مدرسة سان سير الشهيرة التي انتهى منها في اليوم نفسه الذي شهرت فيه حرب سنة ١٨٧٠ — أي ١٥ يوليو — فاشترك فيها . وبعد الصلح بدأت حياته الاستعمارية



الجنرال غالياني عن تمثال سيقام له

فقضى أولاً ثلاث سنوات في جزر « لارايينون » . وفي سنة ١٨٧٦ انتقل الى مستعمرات فرنسا في افريقيا الغربية فعهد اليه في استكشاف مجرى نهر النيجر فاظهر في هذه المهمة براعة عظيمة وما برح يرتقي منذ ذلك الحين في مراتب الجيش بلا انقطاع

ثم ذهب الى جزر الانتيل ثم رجع الى افريقيا وتولى القيادة في جهات السنغال لتسكين بعض القبائل الثائرة

وقد امتاز الجنرال غالياني بشجاعته واقدامه وسعة صدره وبعد نظره وبتلك الصفات نال نجاحه العظيم في جميع المهمات التي عهد بها اليه — ولا سيما في الطونكين وفي جزيرة مداغسكر

السفر الى السيارات

هل هو ممكن علمياً ؟

قالوا لنابليون ذات عشية اذ كان يرقب في السماء الانجما
هل بعد فتح الارض من امنية فاجاب انظر كيف افتتح السما

خليل مطران

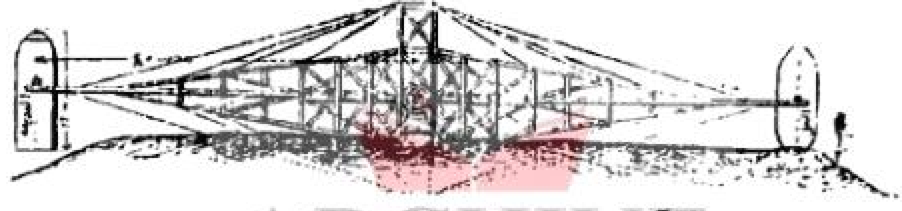
نرى الارض التي نحن فيها رحبة الجوانب فسيحة الارجاء ولكنا اذا قارناها بغيرها من السيارات والكواكب وجدناها ذرة صغيرة من هذا الفضاء الذي لا تدرك نهايته فما هي الاسيارة من السيارات التي تدور حول شمس من شموس الكون الذي لا نهاية له . ولكن هل قضي على الانسان ألا يجوز عالمه ؟ أليس في الامكان تحقيق هذا الحلم الجميل — حلم السفر الى العوالم الاخرى ، ولو الى اقرب سيارة منا ؟ ذلك ما سنبحث فيه بحثاً مبنياً على القواعد العلمية والفلكية

ان اول عقدة تعترض تلك السفرة السماوية هي الارتفاع عن الارض الى ما بعد منطقة الهواء التي تحيط بالكرة الارضية حتى يخرج المسافرون من حيز الجاذبية الارضية فيتراوحون احراراً في الفضاء . ولكن هذا الامر يستلزم قوة دافعة عظيمة جداً لمقاومة الجاذبية والهواء في آن واحد والقذف بالمسافرين في الفضاء السماوي . ولذلك يقتضي للمركبة او السفينة الفضائية التي تقلهم سرعة معدلها ١٠٣٠٩ متر في الثانية الواحدة ، يضاف اليها ثلث هذه السرعة لمقاومة الضغط الهوائي فتكون الجملة ١٤ كيلومتراً في الثانية . وكلما بعدت المركبة عن الارض قلّ تأثير الجاذبية فيها بحيث اذا وصلت الى بعد ٦٣٦٦٠ كيلومتراً تصبح الجاذبية جزءاً في المائة مما كانت على الارض . ولا يخفى ان ثقل الاجسام هو نتيجة الجذب الارضي فكلما خف ذلك الجذب قل ثقل الاجسام . فعند تلك المسافة لا يزن الجسم الذي كان ثقله ١٠٠ كيلوجرام على الارض الا كيلوجراماً واحداً . وهكذا تخف الجاذبية شيئاً فشيئاً الى ان تصبح معدومة

ولننظر الآن في مقدار القوة الكافية لقذف هذه القاطرة خارج المنطقة الهوائية : يؤخذ من الاستنتاجات العلمية انه يلزم قوة ٦٣٧١٠٠٠ كيلوجرامتر [1] لاخراج ما زنته كيلوجرام واحد الى خارج منطقة الجاذبية الارضية ، واذا فرض ان زنة المركبة الهوائية ثلاثة طنات كانت القوة اللازمة ٣٠٠٠ ضعف تلك القوة اي ما يوازي قوة ٨٦٠٠٠

(١) الكيلوجرامتر هو القوة الكافية لنقل كيلوجرام الى مسافة متر

حصان ، هذا مع مراعاة مقاومة الضغط الهوائي . فكيف يتأتى لنا الحصول على هذه القوة الهائلة من غير اضرار بالمركبة أو بمن فيها . ليس لنا سوى طريقة واحدة أسلم عاقبة من سواها وهي المقلاع الذي كان يستعمل في الحروب القديمة لقذف الأحجار . وذلك باستعمال آلة مستطيلة ذات طرفين يركز وسطها على حوة عظيمة ويوضع في أحد طرفيها المركبة الفضائية وفي الطرف الآخر ثقل لموازنتها . ويلزم ان يكون طول الآلة ١٠٠ متر ثم تدار بواسطة معمل كهربائي أو شلال قوته ١٢٠٠٠ حصان حتى يمكنها ان تدور ٤٤ مرة في الثانية الواحدة ، وبذا نحصل على سرعة توازي ١٣٨١٦ متراً في الثانية بمعنى ان كل دورة تدورها الآلة ترسم في الفضاء دائرة محيطها ٣١٤ متراً . وعند ما تتكامل السرعة المطلوبة بدوران الآلة تفلت القاطرة بواسطة زر كهربائي مخصوص فتنطلق في العلاء الى اللانهاية



الآلة الدافعة وفي طرفيها المركبة السيارة والثقل

وعند ما تخرج القاطرة من منطقة الهواء تعترضها صعوبات كثيرة اهمها فقدان التوازن بسبب الخروج من فعل جاذبية الارض فتصبح القاطرة متراوحة بدون وجهة مخصوصة ، وبذا قد تحيد عن الغرض الموجهة اليه بسبب سعة الفضاء . على أن هذا الضرر يمكن ملافاته بتركيب محرك ذي قوة صغيرة في داخل القاطرة لتعديل سرعتها وزيادتها او تخفيضها عند الاقتضاء وليس من الضروري ان تكون للمحرك قوة عظيمة اذ انه نظراً لعدم وجود الجاذبية تكفي أقل قوة لدفع المركبة الى مسافات شاسعة

بقي علينا ان نجهز هذه القاطرة بالقدر الكافي من الغذاء والاكسيجين حتى لا يختنق ساكنوها في فضاء لا هواء فيه . ولا يخفى ان الانسان يمتص ٧ لترات من الهواء في الدقيقة الواحدة او ٤٢٠ لتراً في الساعة و١١ متراً مكعباً تقريباً في ٢٤ ساعة . واذ كان الهواء يحتوي على ٢٠ في المائة من الاكسيجين بلغ ما يمتصه الانسان يومياً منه نحو ٢٢٠٠ لتراً (واللتر عبارة عن $\frac{1}{1000}$ من المتر المكعب) على ان الحامض الكاربونيك الذي ينبعث من الانسان على أثر التنفس يحتوي على النصف من الاكسيجين فيمكن اعادة هذا الى هواء القاطرة بواسطة جهاز مخصوص يمتص الكربون من الحامض المذكور. ويقدر الاكسيجين الذي يندمج في الحامض الكربونيك يومياً بنحو ٢٦٠ لتراً وعليه يكون

ما يلزم للانسان يومياً من الاكسيجين نحو ٢٠٠٠ لتر تقريباً او مترين مكعبين . وللحصول على هذا القدر يؤتى بالاكسيجين السائل المجهز لهذا الغرض واللتر منه يكوّن ٨٠٠ لتر من غاز الاكسيجين فاذا فرضنا أن المسافرين ثلاثة اقمار وان الواحد يستنفد ٣ لترات اكسيجين سائل في اليوم وان أقصى مدة الرحلة ستون يوماً كانت الكمية اللازمة من هذا السائل ٣ × ٣ × ٦٠ = ٥٤٠ لتراً توضع مكشوفة في القاطرة محاطة بجهازات مسخنة كي يبقى الاكسيجين دافئاً ويتبخر تدريجياً ولا يعرض للتجمد بفعل درجة البرودة الشديدة في الفضاء

واما الغذاء والمشروب فيمكن تقليلهما على قدر الامكان وانتقاء المركبات الكيماوية المغذية القليلة الحجم على شكل حبوب صغيرة ويجوز اخذ مؤن اخرى كاللحوم والخضروات يمكن طبخها في فرن كهربائي حتى لا يؤثر طبخها في هواء المركبة وقد قدر ما يلزم لاصحابنا مدة الستين يوماً بنحو ٢٢٥ كيلوجراماً من الاغذية و٤٥٠ كيلو جراماً من المشروبات و٣٦٠ لتراً من الماء و٢٠٠ كيلو جرام من المواد اللازمة للمحرك ومجموعها نحو ١٦٠٠ كيلوجرام . اضف الى ذلك اشخاصنا الثلاثة والقاطرة وزنتهم ١٨٠٠ كيلوجرام

وبالاجمال يجب تجهيز القاطرة بكل ما يلزم من المعدات لتسهيل معيشة المسافرين ونجاح مهمتهم الشاقة ناهيك عما يشترط وجوده من النظارات الفلكية لرصد النجوم التي يتجهون اليها . وينبغي ان تصنع المركبة بطريقة تحفظ توازنها وتكون مسدودة سداً محكماً حتى لا تؤثر فيها التقلبات الفضائية التي تحيط بها

فلماذا لا نقول باحتمال تحقيق هذه السفرة وقد رأينا انطباقها على الاصول والقواعد العلمية وها هوذا الانسان لا يفتأ يأتي كل يوم اختراعات واستكشافات جديدة لم تكن تخطر للاولين بل قد كانوا يعدونها من خوارق الطبيعة والمستحيلات

فهل يأتي يوم تخرج فيه هذه الفكرة الى حيز العمل ؟ انا نجهل ما يحويه الفضاء من الخبآت وما قد يصادفه فيه الانسان من العقبات التي يجهلها . فلا ندري كيف تكون حاله حينما يخرج من منطقة الجاذبية ويصبح ولا وزن له يتهادى في عالم لا نهاية له ؟ وهل يضمن رجوعه من حيث أتى ؟ ثم قد تصطدم قاطرته بغازات متجمدة في الفضاء فتسحق الى غير ذلك مما هو فوق مدارك البشر

الا انه اذا صح هذا الحلم وتيسر للانسان القيام بهذا الفتح الغريب كان ذلك نهاية ما تبلغه الانسانية

المهابراتا

الملحمة الهندية الكبرى

هي الملحمة الكبرى التي مرّت عليها القرون والاجيال ، وكانت ولا تزال مكتبة جامعة لاسفار الحكمة الدينية والادبية وأساطير الهند واخبارها السابقة لعهد التاريخ — نظمت سنسكريتية منذ أربعة آلاف سنة على زعم البعض ، ونقلت كلها او اجزاء منها الى غير واحدة من لغات المدنية الحاضرة . وللهند ملحمة أخرى هي « الرامايانا » لا تقل عنها شأناً

أما « المهابراتا » ، أي حكاية « بهرات » الكبرى ، فهي أربعة أضعاف « الرّامَيَنَ » أي حكاية « راما » وهذه ثلاثة اضعاف الالياذة أي حكاية « طروادة » . و « بهرات » هو اسم جدّ الدولة الشمسية ، أي دولة ملوك الهند المنسوبين الى الشمس . و « راما » هو احد التجسدات العشرة ، أي انسان ولد وارتقى الى مرتبة الالهة . وللهند أيضاً رامايانا ثانيـة نظمت بالهندي أحد السنة الهند الحية حتى اليوم ، ولكنها دون سمّيتها واختها السنسكريتية . ومع ان هذه الملاحم معروفة بالحكايات ، فهي على الحقيقة كتب رائعة جامعة بين رونق الرواية وجلال الحكمة . ومن طالع « الالياذة » او « الأوذيسية » مثلاً وجد في الاولى وصف المعارك التي دارت حول طروادة ، وفي الثانية رحلة « أوذيس » وعودته الى وطنه ، وأشرف من خلال ذلك على احوال اليونان ومعاصريهم الاجتماعية والسياسية والدينية . وقد قرأت ترجمة الالياذة العربية ، ووقفت على فصول من الملحمتين الهنديتين في الترجمة الانكليزية ، فعجبت لشدة الشبه بين هذه الآثار الخالدة ، ورددت في نفسي قول بعضهم : ان المدنية الهندية اقدم من اليونانية ، وأن هوميروس نسج على منوال من تقدمه من شعراء السنسكريتية . وليس هذا مقام البحث عن هذه الحقيقة ، ولا انا من أهله وأربابه . وحسبي الآن ان ألفت النظر الى ما كتبه الاستاذ العلامة « مكس مُلّر » المستشرق الشهير القائل مع غير واحد من لغويّي الغرب بسبق السنسكريتية لليونانية واللاتينية وفضلها عليهما

اما بهرات بطل الملحمة المنسوبة اسماً اليه ، فقد رُوي له فيها خبر ميلاد عجيب ، تناوله الشاعر قاليداس منذ الف وخمس مئة سنة تقريباً وجعله سدى ولحمة لروايته التمثيلية « شاكونتلا » التي انالته من الشهرة في هذا المضمار ما يستدل عليه من تلقيبه بشكسبير الهند . وقد نقلتُ هذه الرواية الى العربية وسأعود الى ذكرها ان شاء الله .

ولكن هذه الملحمة مكتبة جامعة . ومما فيها من الروائع « النشيد العلوي » وهو سفر الحكمة وانجيل الهند وقرآنها . ويكفيه فخراً ذهاب فريق من الثقات الى انه أس واصل لتعاليم بوذا وكنفوشيوس والمسيح . ومهما يكن من ذلك فان فيه من جوامع الكلم وآيات الفلسفة ما يدهش الالباب . وقد كان نصيبه من عناية الغرب بالآثار النفيسة وافراً وافياً وعساه اهل لذلك وازيد . وقد جمعت اربعاً من ترجماته الانكليزية وكلفت بمطالعته كل الكلف . وموضوعه تفصيل ما بين الموت والحياة ، والعدم والوجود ، واللذة والالم ، وبيان ماهية النفس وماهية الذات الالهية ، وبسط ما يجدر بالبشر ان يعوّلوا عليه من الخلال والافعال ، توصلاً الى الدرجة العليا وحد الكمال . وفي هذه الملحمة ايضاً رواية خيالية تاريخية سمها ما شئت رواية «نالا» او حكايته . وهي في الاصل السنسكريتي مسبوكة شعراً سهلا تغلب عليه السذاجة المعهودة في الاسلوب الروائي . وقد عرّبت نشيدها الاول وجزءاً من النشيد الثاني معتمداً ترجمة انكليزية حرفية وربما عدت الى انجاز الباقي واليك ملخص الحكاية :

كان « نالا » ملك « نشاد » فتىً نابهاً نبيلاً حسن الخَلق والخُلق كامل الخلال لولا ميل الى المقامرة تمكن من نفسه . وعاصره « بيا » ملك « فدربا » وكان باراً تقياً لا سيا بعد كهولته . رزق « بيا » ثلاثة فتيان « داماں » و « دنتا » و « داما » وفتاة فتانة الجمال هي « داميتي » التي اصطفت الملك « نالا » حبيباً خطيباً وأخلصته الوفاء زوجاً . وهاك كيف كان ذلك

ترعرعت « داميتي » وشبّت في قصر والدها ربيبة العز والمجد واشتهر حسنها وذاع صيتها بين الملوك والامراء بل بلغ عنان السماء وشاق الالهة . وانتهى خبرها الى « نالا » فكان لقلبه حباً مبرّحاً . وخرج « نالا » ذات يوم يتلهى فالتقى بطائفة من التحّام ، وتقدمت اليه احداهنّ وعرضت عليه ان تنقل رسالة غرامه الى حبيبته — وكانت العادة في تلك العصور الخالية ان تختار الفتاة وتخطب من يروقها ويعجبها من الطلاّب . فلما جاء يومها أقبلت الامراء والملوك وهبطت الالهة من السماء يتبارون ويتسابقون الى نيل الحظوة في عينها — وكان حبيبها « نالا » من جملة القادمين . وبينما هو على الطريق استوقفه أحد الالهة وسامه الامرّين — اذ كلفه ان يمثل لدى ربة الجمال « داميتي » ويطرئه عندها علها تؤثره على غيره فتتزوجه . ولم يكن لنالا قِبَل بمخالفة أمر الهي بل امتثل وابلغ الرسالة — وكان اميناً

والتأم الجمع وقامت الحفلة فاصطف الالهة والامراء عبيداً وموالي في حضرة مليكة

الجمال بمثلة اله الحب في ذلك المقام . وهنا تترك القارىء ومخيلته يتصور كما يشاء ما قام في « نفس دامينتي » واختلج في صدرها من الحيرة والارتباك مخافة ان تشتبه عليها الوجوه فيقع اختيارها خطأ على غير من عشقت واحبّت

ولكن الراوي الذي قوّم لسان الحمامة وأطلقه برسالة الغرام هيأ لهذه المعضلة حلا فجعل الاله اذا « تمثل بشراً سوياً » لا ظل لجسمه ولا خيال وذكرت العروس هذا الفارق واعتبرته فلم يلتبس عليها امرها بل طوقت عنق « نالا » صفيّها الحبيب بسلسلة من الزهر فكان الفائز بها نصيباً طيباً

ولا عجب وقد نسب الراوي الشاعر عاطفة الحب واعمال الحيلة الى اله ، ان يجعله مظنة للحسد والغيرة والانتقام . وهذه بقيـة الحكاية . غضب الاله المغلوب على امره فامر روحاً شريراً ، روح القمار ، ان يدخل جسم « نالا » (ويلقي به الى التهلكة) . وكان ذات يوم ان استحم « نالا » وأغفل فرضاً من فروض العبادة فاغتنمها روح القمار فرصة سانحة واحتله « الى اجل مسمى » . ومذ ذلك اليوم لم يبقَ للملك « نالا » من همّ ولا شاغل الا المقامرة مع اخيه — واستمرّ يقامر ويُقمر الى ان خسر ماله وعرشه وكل ما له حتى قرينته الحبيبة « دامينتي » . ولما آل أمره الى هذا الخسار خرج يطلب الغابات والتقشف والهيام فيها . وتبعته « دامينتي » الوفية من حيث يدري ولا يدري

وانتهت الحكاية بعد وصف المشاق التي قاساها « نالا » والشقاء الذي عانته « دامينتي » بخروج ذلك الروح الشرير من جسد الملك « نالا » وعودته الى عرشه وملكه . ولعل هذه الرواية أصدق مرآة لحالة المقامر وأمر « نالا » فيها اوقع عبرة في نفوس المقامرين . وهذا ما عربته منها : حاذفاً ما يمكن الاستغناء عنه في هذا المقام

النشيد الاول

(كان ما كان في قديم الزمان) كان رب للسيف والصولجان
عادل الحكم أيّد السلطان تنحني الاقيالُ بالاذعان

تاجه فخر سائر التيجان

بجُمان من السجايا تحلّى وارتقى ذروة الفخار وحلاّ
فوق هام الملوك عز وجلاّ عن قرين كالشمس ان تتجلى

توجل الزُّهر بفرق الفرقدان

مفعم الصدر حكمة وخلالاً رائع الوجه هيـبة وجلالا

فارس الحرب لا يرام نضالا في الوغى بأسه يهول الرجالا
في الهوى حسنه يروع الغواني
والحجى والتقى على البأس نالا وأنال اللهى فسمّي « نالا »
واستمال العلى « وللزهر » [1] مالا بئس ميل لولاه حاز الكمالا
انما النقص آفة الانسان

واجتبى الحسن « داميتي » مثالا وعليها الجمال الق الجمالا
بل اليها الكمال أسدى الكمالا فاغتدت شمس عصرها تتلالا
مستمداً من نورها القمران [2]

واعتلت سدّة البهاء مناراً تبهر العين تملأ القلب نارا
تترك الناظرين سكرى حيارى من كهول او فتية أو عذارى
من بني الخلد او بني الأزمان

في البلاط المنيع بين الجواري كوكباً بين زهره والدراري
غصنها النض ماس بالأزهار تتغنى القلوب كالاطيار
حوله والشباب فرع الجنان [3]

ذكرها ذاع طبق الافاقا حيث شاق المخلوق والخلاّقا
فاضت الارض والسما عشاقاً كل ذي جنة صبا واشتاقا
واغتدى حبها جنون الجنان [4]

كالنسيم العليل شافي الفؤاد كان يسري حديثها في البلاد
وتجارى الى مليك « نشادِ » فدعاه من نومه للسهاد
شأن صبٍ ذي لوعة ولهان

وعلى قلبها جرى كالحزام ذكر « نالا » فهاج نار الغرام
أي بلا نظرة ودون ابتسام او سلام او خلوة للكلام
دان للحبّ ذانك القلبان

وتولّى الهيام مولى الموالي فدعاه يسلو طِلاب المعالي

---

(١) أي زهر النرد واللفظة من كلام المولدين المألوف (٢) الليل والنهار
(٣) في « الشباب فرع الجنان » اشارة الى قول أبي العتاهية
ان الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب
(٤) الفؤاد

ويعاني الخلوّ في الأدغال والرياض الغنّاء ذا بلبال
واشتغال في حب حسني الحسان

تاه يوماً بين الربى والإجام تيه عان ذى لوعة مستهام
فتصدى له سُربُ نُحام [١] من دَروج او سابح بسلام
في ظلال الفروع والافنان

قام يلهو فضمّ جيد نُحامه عن غرور مرّت تعوم أمامه
فانثنت نحوه تسوم السلامه منه سوماً وقد أصابت مرامه
وسبت لبّه بسحر البيان

أعربت معجماً وقالت: أنالا عفّ عني أطِرْ وعرشك حالا
ولديها [٢] أمثلْ وأسردْ مقالا غيرِ (نالا) من بعده لن ينالا
حظوة عندها من الأقران

دهشته بما أباحت وطارا قلبه خلف سربها حين ثارا
وانبرى وانثنى وعاد وحارا يعمل الفكر يمعن الابصارا
اثر طير مقوّمات اللسان

من (نشاد) الى (فدرْبا) سريعاً حلقَ السرب ثم زف وقوعا
حيث الفى روضاً نضيراً بديعاً ورأى بين الجواري هلوعا
مستجيراً بربة الاحسان

أبصرته فاومأت: يا صواحب كنّ مع زمرة النحام لواعب
فتبارين ناهدات كواعب آتيات مثل الظباء ذواهب
مائسات بين الفروع الدواني

وتبدّدنَ في الخميلة حالا وخلا الروض للرسول مجالا
فتهادت أخت الاوزّ اختيالا تتدانى من (دَاميتي) دلالا
وحياء كالثمل السكران

وانبرت في الخطاب قالت: ثقي بي غيرِ (نالا) لا تصطفي من حبيب
سيّدٍ تابه حسيب نسيب خَلقه، خُلقه مثال العجيب
اول الخلق ما له قط ثان

(١) النحام ومفرده نحامة طير كالاوز (٢) اي داميتي

لثمت جيدها وقالت : جروحي بلسمتها ذات الجناح المليح
والها قالت : اليه بروحي وحياتي روحي وبالسر بوحي
أنا أهواه مثلما يهواني

القسم الثاني

مذ أتاها ذاك الحديث غراما فغراماً زادت فزادت سقاما
اهتدى قلبها فضل هياماً ناشداً في « نشاد » شهماً هماما
أقعد الوجد قلبه وأقاما



داميتي العاشقة (عن رسم بدوي هندي)

خانها رشدها وأوهى قواها وجدها حين جدّ جداً هواها
واعتراها من مدنف ما اعتراها وتجنى على جنيّ صباها
لاهبٌ في الحشا يشب ضراما
يا لها ! ما لها تَنَهَّدُ وجداً فيفور النهدان نهداً فنهدا
يا لها غضّة تعفر خداً في أديم الضنى فتذويه وردا
أحلالاً كان الهوى أم حراما

يا لهـا ما لها بطرف ساج الضحى عنـدها بهيم الدياجي
عينها في الفضاء هـل من حاج تبتغيها في الجوّ بنتُ التاج

أم على مَ السماء ترعى على ما

ما لها تسقم الجفون الصحاحا بكاها وتسأم الأفراحا
وتحبّ الشجون والاتراحا وغدواً تأبى وتأبى رواحا

وتعاف الكرى وتسلو الطعاما

أوشكت حالهـا تحاذي التلافا ودرى الشيخ[1] ما دهاها فوافى
يذرف الدمع هاملاً وكأفا فرأى جسمها ضنى شفافا

واجتلى كنهَ ما أجنّتْ مراما

قال : بنتاه بارز النهد عمّـا في حنايا الضلوع واربتِ تمّا
قد تقضى عهـد الخلو وتمّا وهلالُ الشباب حيـاكِ تمّا

وعليه ألقيت أنت السلاما

ومضى داعياً سراة البلاد من أبي سؤدد رفيع العماد
او اخي محتد طويل النجاد ليرى أيهـم حبيب الفؤاد

فاجابوا العظام تتلو العظاما

وديع البستاني

(١) والدها الملك (بيما) . وما الابنة عند الهنود الا وديعة أو امانة يحفظها الوالدان ويصونانها الى ان يطلبها طالب بروتها هو صاحبها وولي أمرها أي خطيبها فزوجها كما قال الشاعر السنسكريتي قاليداس في رواية « شاكونتلا » على لسان والدها :

وما البنتُ الاَّ الدَّين في ذمة الفتى يقاضيه إيّاه الغداةَ خطيبُها
وجوهرة تغلو على قلب أهلها ليستامها يوماً ويشرى حبيبها
فديني مقضيٌّ ودرّي رائج وبقي من بعدي غريب قريبها
يبرّ بها برّي ويقضي حقوقها وتسألها بعدي وبعدي يجيبها

الغلط والفصيح

على ألسنة الكتاب

(تابع)

ويقولون فلان متشبع من المبادئ العصرية والهواء متشبع بالرطوبة وكلاهما غير فصيح لان المشهور ان معنى تشبع الرجل اظهر أنه شبعان وليس كذلك . فالافصح ان يقال فلان مشبعٌ من المبادئ العصرية والهواء مشبع بالرطوبة

ويقولون شحّ الماء شحيحاً متواصلا وفيه غلطان اولهما ان الشحّ لا يسند الى الماء الا بتخريج بعيد لان الذي في كتب اللغة قولهم شحّ به وعليه يشح شحاً بخل وحرص وثانيهما أن مصدر شح هو الشح واما الشحيح فنعت بمعنى البخيل

ويقولون رأيت زيداً مؤخراً في السوق وحدث مؤخراً الامر الفلاني وكلاهما ضعيف لان المؤخر نعت بمعنى ضد المقدم ولا يصح استعماله ظرفاً والصحيح ان يقال رأيت زيداً اخيراً في السوق وحدث اخيراً كذا بنصب اخيراً على الظرفية . وقد يلتمس وجه لقولهم حدث مؤخراً بجعل النصب على الحالية وهو تخريج بعيد

ويقولون اقفل فلان راجعاً فيأتون بالفعل على وزن افعل ولم يُسمع في شيء من فصيح الكلام والصحيح ان يقال قفل راجعاً اي عاد ومنها القافلة اي الرفقة الراجعة

ويقولون ابرق فلان الخبر وبالخبر اي ارسله بالاسلاك البرقية وكلا التعبيرين من اصطلاح الكتاب الحديثين

ويقولون سداد الدين اي ايفاؤه وهو من كلام العامة واصح منه تسديد الدين والحساب وهو من اصطلاحات التجار ومعناه موازنة ما للغريم وما عليه والارجح انه مأخوذ من قولهم سدّد الرمح بمعنى قوّمه

ويقولون صدّر البضاعة اي ارسلها وهو غلط لان هذه المادة وُضعت للدلالة على مقدم الشيء واوله وكل المعاني الاخرى متفرعة عنه . وربما يصح ان يقال اصدر البضاعة وفيه من التكلف ما لا يخفى على اللبيب

ويقولون ضغط عليه اي ضايقه واحرجه والصحيح ترك حرف الجر . ولقد شاعت هذه اللفظة على اقلام كتّاب الصحف اليومية فلا يكاد يخلو احد من استعمالها

ويقولون اعتقد بالشيء وهو يعتقد فيه وكلاهما غير فصيح لان هذا الفعل يتعدى

بنفسه فيقال أعتقد الشيء وهو يعتقده

ويقولون لم استفد منه بشيء ولا نرى داعياً لجر الشيء بالباء والافصح ان يقال لم استفد منه شيئاً او لم أنتفع منه شيئاً

ويقولون عيّد زيد اي دخل في العيد . وعايدنه اي هنأته بالعيد وكلا التعبيرين من اصطلاح المولدين . وقد جاء في بعض كتب اللغة قولهم عيّد القوم تعييداً اي شهدوا العيد

ويقولون استعبد له واستأسر اي اصبح له عبداً وأسيراً والمأخوذ من الاشتقاق ان معنى استعبده اخذه عبداً واستأسره اخذه اسيراً والفرق بين المعنيين واضح

ويقولون تنازل فلان عن حقه اي تركه وتجاوز عنه . وأورده صاحب محيط المحيط ايضاً . والصحيح تنزّل عن حقه من وزن تفعّل

ويقولون واجه القاضي المتهم بغريمه اي احضره ليواجهه وهو من اصطلاح المولدين

ويقولون جاء فلان بخبرية مفرحة وهي من موضوعات العامة وصحيحها جاء فلان بخبر مفرح

ويقولون رجل موهوم اي قد تطرق اليه الوهم وهو غلط وانما يقال شيء موهوم اذا ذهب اليه الوهم

ويقولون هذا الكتاب خاصة زيد اي ملكه او يخصه وهو ايضاً من اوضاع الكتّاب الحديثين

ويقولون هذا شيء مؤقت بهمز الواو كأنهم يشتقونها من الاقت وهو ضعيف والصحيح شيء وقتي نسبة الى الوقت

ويجمعون لجنة على لجان ولم يسمع في شيء من كلامهم . وما ضرهم لو جمعوا اللفظة قياساً على جمع المؤنث السالم وقالوا لجنات

ويقولون ضاهى فلان الامضاءات وهو خبير بمضاهاة الخطوط . والذي في كتب اللغة ان ضاهاه بمعنى شابهه وشاكله

ويقولون هذا الشيء لا يحصيه عد يعنون انه كثير جداً فيجعلون العد فاعلاً لاحصى مع ان العد مصدر بمعنى الاحصاء والصحيح ان يقال هذا الشيء لا يحصره عدد او لا يقع تحت حصر او ما اشبه ذلك

ويقولون اضطر فلان لهذا العمل ببناء الفعل للمعلوم . والواجب بناؤه للمجهول يقال اضطُرَّ فلان للعمل واضطررت زيداً لهذا الامر

ويكتبون مضارع رأس بياء كرسياً للهمزة وهو ضعيف والاصح كتابتها بالالف هكذا يرأس

وقد يثنّون لفظة بلاد حملاً لها على الترجمة الفرنسوية او الانكليزية فيقولون في البلادين اي في المملكتين او الموضعين او الاقليمين او ما شابه ذلك

ويكتبون قولهم حاشا بالالف الطويلة والاصح ان تكتب بالالف المقصورة هكذا حاشى

ويقولون تكاتف القوم على العمل اي تعاونوا وتعاضدوا ولم تسمع هذه اللفظة في شيء من كلامهم

ويقولون اكتشف فلان الامر وهذا اكتشاف عظيم الشأن وكلاهما غلط اذ لم يسمع وزن افتعل من هذه المادة بالمعنى المراد وانما يقال استكشف فلان الامر وهذا استكشاف عظيم الشأن

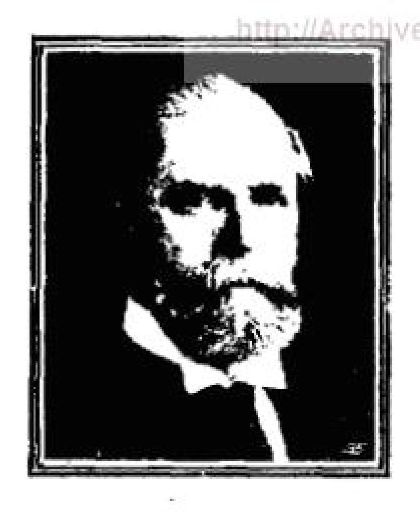
ويقولون فلان يحترس من الخطر اي يتوقاه ولم يسمع وزن افتعل من هذه المادة ولعل ذلك تصحيف احترز بالزاي او احترص بالصاد

ويقولون له حق بذلك وهو ضعيف والاصح ان يقال له حق في ذلك

هذا ما عنَّ لنا ان ننبه اليه . وهنالك طائفة اخرى من المفردات والتراكيب غير الفصيحة يضيق المجال عن استيعابها فاكتفينا بما اوردناه والله الموفق الى خير السبيل

سليم عبد الاحد


الرئيس ولسن


القاضي هيوز

ايهما يفوز في الانتخابات الاميركية القادمة ؟

شذرات عن الحرب الحاضرة

مجموعة من أدق المصادر وأصحها

المخبرون في ساحات الوغى

قد يظن البعض أنه من الميسور مشاهدة أحدى المواقع الحربية وأنه يكفي لمن شاء ذلك ان يتخذ له مركزاً على مرتفع يطل منه على ساحة القتال . وقد يتبادر الى ذهن هؤلاء ان ورود الاخبار عن المعارك أمر سهل لا يكلف عناء وان هذه الاخبار تنتقل باسرع من البرق بالتليفون والتلغراف السلكي واللاسلكي . والحقيقة ان هذا الاعتقاد وهم فاسد ولاسيا في الحرب الحاضرة . فان ساحات القتال اليوم فسيحة الارجاء تبلغ مئات الكيلومترات ولا يتيسر لانسان أن يشمل بنظره غير جزء صغير منها . ومن الصعب جداً نقل الاخبار الى القائد العام في أثناء المعركة

في ساحات الوغى نفر من الجنود ينتخبون خصوصاً لنقل الاخبار وهم المخبرون الذين يجلبون الاخبار ويرسلونها من الفصائل واليها ويتعرضون في أثناء ذلك لاجسم الاخطار . وهذه الوظيفة تستدعي ميزات خاصة تؤهل أصحابها للقيام بها . ومن هذه الميزات سرعة الخاطر وحدة الذهن والجرأة مع الحرص والحذر الشديدين . فاذا اراد قائد الفرقة أن يرسل رسالة الى رئيسه انتخب مخبراً حاذقاً يثق بحماسته فيذهب المخبر ويتبعه على مسافة وجيزة مخبر آخر يقوم مقامه في حالة اصابته . ولا يخفى ما دون ذلك من التعب والعناء فقد تكون الارض التي يجتازها المخبر ملتهبة بنار العدو او تكون الطرق التي ينبغي له المرور عليها للوصول الى الغرض المطلوب هدفاً للقنابل والقذائف . ولكنه على الرغم من ذلك يخاطر بحياته في سبيل انقاذ رفاقه وقد يضطر الى الاستخفاء في مكان امين ريثما تهدأ العاصفة قليلاً ثم يعود الى عمله . غير انه يعلم تمام العلم ان السرعة في ايصال الورقة الصغيرة التي كلف ايصالها قد يقف عليها نصر الجيش ، ولذلك فانك لا تراه يتوانى لحظة واحدة ولا يهنأ له بال الا متى أدى مأموريته . على انه مهما يكن ماهراً وشجاعاً فقد يعوقه في طريقه موانع كثيرة تضطره ان يتأخر في مسيره . وقد يلجأ الى الزحف على بطنه او الاستخفاء وراء صخرة تجنباً لنار العدو . وعلى ذلك فقد يقطع مسافة كيلومتر واحد في ساعتين أو ثلاث ساعات

ولنفرض الآن ان الحظ ساعد هذا المخبر فوصل سالماً : فهل تلك السطور القليلة

التي أتى بها كافية لتدوين الاخبار التي نطالعها ؟ كلا . لان ما نقرأه في الجرائد والمنشورات الصادرة من الجيش هو خلاصة الوف من الاخبار التي ترد الى القيادة العليا من مراكز الجيش العديدة بالكيفية المذكورة. واذا كان الخبر الواحد يكلف كل هذا العناء وكل هذا الوقت فلا ينبغي ان نستغرب قلة الاخبار وتأخير وصولها

أما السبب في تكليف هؤلاء المخبرين نقل الاخبار بدلاً من استعمال التليفون فهو انه لا يمكن وضع آلة للتلفون في كل نقط الجيش . ثم ان المدافع لا تغفل لحظة عن هذه الآلات متى علمت بوجودها اذ ان كل فريق يسعى جهده للتفريق بين أجزاء الفريق الاخر وقطع المواصلات بينها

وتكون المواصلات بين أجزاء الجيش سهلة في حالة التقدم لان آلات التليفون تكون اذ ذاك بعيدة عن خطر المدافع ولانه يسهل على المخبرين الذهاب والمجيء . ولكن اذا تقهقر الجيش وتدرب اليه الاختلال تصبح المفاوضات عسيرة اذ يصعب استعمال التلفون ويضطر الجيش المتقهقر الى استخدام الاشارات الكهربائية

ولا يخفى ان هنالك صعوبات جمة لادراك تلك الاشارات في وسط المعمعة وفهمها جيداً . ثم انه لا يمكن لفصيلة من الجيش ان تخاطب فصيلة اخرى بهذه الطريقة الا اذا كان مركزها واقعاً في جهة ملائمة بحيث لا يبصرها الاعداء فانهم اذا ابصروا تلك الاشارات بذلوا جهدهم لمنعها واصبح مصدرها هدفاً للنيران. وقد يستعيضون احياناً بحمام الزاجل . الا ان عدد الطيور المدربة على حمل الرسائل وتوصيلها قليل جداً . ويستعينون ايضاً في بعض الاحوال بالطيارات لمثل هذه الاغراض الا ان الطيارات تسير عادة على علو لا يمكنها من الاستطلاع جيداً

والخلاصة ان افضل الطرق لنقل الاخبار في ساحات القتال انما هو استخدام المخبرين رغم ما يتعرض ذلك من المصاعب الجمة

مأوى الجنود

تحتاج الجيوش في هذه الحرب الى مساكن نقالة ترافقها في مسيرها حتى يأوي اليها الجنود عند ما يحطوا رحالهم . وهذه المساكن هي عبارة عن خيم من القماش او منازل من الخشب يخصص بعضها لحفظ المؤونة والذخيرة ويستعمل البعض الآخر عوضاً عن المستشفيات ومساكن الجنود ومحلات تدريبهم على حمل السلاح وتعليمهم الحركات العسكرية الخ

واستعمال المساكن المنقولة معروف من امد بعيد لدى جميع الامم وقد كان لها شأن عظيم في زمن الرومان . اما في الاجيال الوسطى فقلما عنيت بها الدول . وفي اواخر القرن السابع عشر اصبحت هذه المساكن من ضروريات الجيش وكان يغلب استعمالها كمستشفيات ولا سيما اذا طالت مدة الحرب واضطر الجيش الى تمضية فصل الشتاء بعيداً عن المدن . ودام الامر كذلك الى عهد فردريك الثاني ملك بروسيا وهو اول



مثال من مساكن الالمان في الخنادق وهي من احدث طراز

من عمم استعمالها في الجيش . ومتى اجتمع عدد كبير من هذه المساكن في محل واحد سميت معسكراً . واكبر معسكر ذكره التاريخ قبل الحرب الاوربية الحالية معسكر بولونيا Boulogne في سنة ١٨٠٣ الذي اعده نابليون لقطع المانش والزحف على انجلترا فقد كان مؤلفاً من خيم ومنازل يأوي اليها ١٦٠٠٠٠ جندي و٩٦٧٣ فرساً

غير ان نابليون كان يكره استعمالها في المعارك لانه كان يخشى ان يقف اعداؤه على مراكز جيشه وعدد جنوده فمنع استعمالها . ولم تعد فرنسا اليها الا في حرب الجزائر سنة ١٨٣٠ وعم استعمالها من ذلك الحين . ويجدر بنا ان نذكر في هذا المقام ان العرب كانوا يستعملون الخيم من زمن بعيد وهو امر مشهور عنهم

والمآوي المستعملة اليوم في الجيش الفرنسي انواع عديدة نخص منها بالذكر :

١ — خيمة صنع سنة ١٨٩٤ وهي تصنع من الخشب مثل عرائش العنب ثم تغلف من كل جهة بالنسيج ومساحتها ٩١ متراً مربعاً وحجمها ٢٨٧ متراً مكعباً وهي سهلة التركيب والفك اذ انه يمكن لاربعة رجال ان يركبوها في ساعة ونصف وان يفكوها في خمسين دقيقة وهذه الخيمة صالحة لكل شيء فتستعمل تارة كمخزن وطوراً كمخبز وغير ذلك

٢ — أما الخيم التي من النوع الثاني فاصغر من الاولى حجماً (٩٥ متراً مكعباً فقط) الا انها تمتاز عن تلك بسرعة تركيبها وبانها مصنوعة على صورة تتيح ان يضم اليها خيمة ثانية وثالثة او اكثر من نوعها حسب الحاجة . ولذا ترى هذه الخيمة اكثر استعمالاً من الاولى في الجيش وهي تصنع من الخشب والنسيج ايضاً

٣ — عشة أدريان وهي أفضل المساكن المنقولة المستعملة الآن في الجيش الفرنسي واحدثها (١٩١٥) جدرانها وسقفها قطع من الحصير او من الخشب وهي سهلة التركيب ولها نوافذ من الزجاج او من المشمع ولها ابواب مثل الابواب العادية وليس لهذه الخيم مساحة معينة



القنابل الفرنسية الجديدة

قنابل فرنسية لمدافع ٤٠ سنتيمتراً الجديدة وهي تضاهي مدافع ٤٢ الالمانية

القطر المصري بعد خدمته سنين طويلة وعين أثر مغادرته كاتباً دائماً لاكاذيمية الآثار والفنون الادبية في ٢٤ يوليه سنة ١٩١٤ . وقد ترجمناه في السنة الماضية في الجزء السادس فلتراجع ترجمته هناك

الى العالم الجديد

قصيدة القيت في الحفلة السنوية لكلية البنات الاميركية

أي رجال الدنيا الجديدة مدوا ... لرجال الدنيا القديمة باعا
وافيضوا عليهم من اياديكم ... علوماً وحكمة واختراعا
كل يوم لكم روائع آثار ... توالون بينهن تباعا
قد خلبتم عقولنا بعجيب ... وأمرتم زمانكم فاطاعا
وبذرتم في ارضنا وزرعتم ... فرأينا ما يعجب الزراعا
ولمحنا من نوركم في نواصي ... حفلة اليوم لمعة وشعاعا
وشهدنا من فضلكم أثراً فيها ... يروق العيون والاسماعا
ليتنا نقتدي بكم او نجاريكم ... عسى نسترد ما كان ضاعا
ان فينا لولا التخاذل ابطالاً ... اذا ما هم استقلوا اليراعا
وعقولاً لولا الخمول تولاها ... لفاضت غرابة وابتداعا
ودعاة للخير لو انصفوهم ... ملأوا الشرق عزة وامتناعا
كاشف الكهرباء ليتك تعني ... باختراع يروض منا الطباعا
آلة تسحق التواكل في الشرق ... وتلقي عن الرياء القناعا
قد مللنا وقوفنا فيه نبكي ... حسباً زائلا ومجداً مضاعا
وسئمنا مقالهم كان زيد ... عبقرياً وكان عمرو شجاعا
ليت شعري متى تنازع مصر ... غيرها المجد في الحياة نزاعا
ونراها تفاخر الناس بالاحياء ... في الخافقين مذاعا
ارض كولومب أي نبتيك أغلى ... قيمة في الملا وابقى متاعا
ارجال بهم ملكت المعالي ... أم نضار به ملكت البقاعا
لاعداك السماء والخصب والامن ... ولا زلت للسلام رباعا
طالعي الكون وانظري ما دهاه ... ان ركن السلام فيه تداعى

حافظ ابراهيم

المناظرة والمراسلة

حول الغلط والفصيح

حضرة منشئ الهلال المحترم

وقع هذه الايام في يدي الجزء الاول والثاني من السنة الرابعة والعشرين من مجلتكم الغراء فطالعتها بشوق وارتياح — وطالما ارتحت الى مطالعة الهلال لفوائده الجمة ومادته الغزيرة — وقد وقفت أثناء مطالعتي اياها على مقالة لم تتم بعد بقلم الاديب سليم افندي عبد الاحد تحت عنوان « الغلط والصحيح » فراعني موضوعها لحاجة ابناء العربية في عصرنا الى امثالها

بيدَ ان الكاتب قد أسرف في الانتقاد وتحكم وأفرط اذ منع الكتاب عن استعمال ألفاظ نص اللغويون على استعمالها وتحكم في أخرى على وجه اختارته قريحته مع الردع عن استعمال وجوهها الاخرى التي رُويت بها عن أئمة اللغة ورجال الادب

ولما كان الحكم فيها جزافاً رأيت من الواجب ان انبه الادباء مما جاء فيها من الخطأ فاقول :

أول ما يُنتقد به على الكاتب هو استعماله لفظة تصحيح بدل فصيح للالفاظ التي اختلفت فيها الروايات وضعّفها قوم وصححها آخرون . وقد فاته ان كلمة تصحيح لا توضع الا للكلمات الخالصة من شوائب الاغلاط واما كلمة فصيح فتكون دائماً للكلمات التي رُويت على وجوه ورجّح منها وجه على سائرها

ومن رأي الكاتب قوله : (لا يجوز ان يقال ارعد وابرق والصحيح برَق ورعد) وفي الالفاظ الكتابية للهمذاني ص ٧٣ طبع بيروت : « رَعَد وبَرَق . . . قال ابن خالويه هذا مذهب الاصمعي لا يجيز ارعد وابرق واجازه ابو زيد والفراء وابو عبيدة وغيرهم » اه . وفي القاموس ومجمع البحرين لفخر الدين الطريحي طبع ايران « أرعد اوعد او تهدد . . . وبرق الرجل تهدد وتوعد كابرق . . . وابرق الرجل اذا تهدد وأوعد » اه . وعلى ما تقدم يجوز ان يقال أبرق وأرعد كما جاز في برق ورعد . واذا رجح برق ورعد على ابرق وارعد وانا أوافقه على ذلك فيلزمه ان يقول والافصح بدل قوله والصحيح

وقوله : (لا يقال عبأ الجيش بل عبى) وفي القاموس وفقه اللغة للثعالبي : « عبأ الجيش جهزه كعباه تعبئة وتعبيئاً » اه

وقوله : (لا يقال غفا والصحيح أغفى) وفي القاموس وأقرب الموارد : « غفا غفواً وغفواً . . . كاغفى » اه

وقوله : (لا يقال اختفى والصحيح استخفى) وفي القاموس : (اختفى استتر وتوارى كاختفى واستخفى » اه

وقوله : (لا يقال أقطة والصحيح لقطة وفي المعاجم اللغوية لقطة كخزمة وهمزة

وقوله : (لا يقال خدعة والصحيح خدعة) وقد جاءت في القاموس مثلثة وفي مجمع البحرين للطريحي : « والحرب خدعة وخدعة ضما وفتحاً والفتح أفصح وجاء خدعة كهمزة » اه

وقوله : (لا يجمع أوقية على اواق والصحيح أواقي) وفي القاموس الاوقية كالوقية ج أواقي واواق ووقايا »

وقوله : (لا يقال صداق والصحيح صداق) وفي مجمع البحرين السالف الذكر : « الصداق فيه ثلاث لغات أكثرها فتح الصاد والثانية كسرها والثالثة بني تميم الضم » وفي القاموس : « الصداق ككتاب وسحاب مهر المرأة » اه

وقوله : (لا يقال دوى الصوت أي انتشر دويه) وفي أقرب الموارد : « . . . دوى الصوت سمع له دوي » قال عنترة

طرقت ديار كندة وهي تدوي دوي الرعد من ركض الجياد

وفي مشارق الانوار : « وجاء عندنا في البخاري الدوي بضم الدال والصواب فتحها وهو شدة الصوت وبعده في الهواء » اه . وفي مجمع البحرين « ... ودوي الريح حفيفها وكذلك دوي النحل والطائر » اه

وقوله : (لا يقال أصغى اليه والصحيح صغا) وفي القاموس : « أصغى استمع واليه مال بسمعه » اه

وأنكر حضرته على الكتاب قولهم (التشريع بمعنى الاشراع) وفي اقرب الموارد « . شرع الطريق بينه » اه . وفي القاموس : « التشريع الشريعة التي لا يحتاج معها الى نزع بالعلق ولا سقي في الحوض أي المسهلة المورد . . . والشريعة ما شرع الله لعباده والظاهر المستقيم » اه . فعلى ما تقدم من رواية الشرتوني والفيروزبادي يجوز استعمال

التشريع بمعنى الاشراع للشرع مجازاً وباب المجاز في اللغة واسع

وقوله : (لا يقال احترف فلان التجارة اتخذها حرفة وامتهنها اتخذها مهنة) وفي اقرب الموارد : « واحترف فلان التجارة اتخذ حرفها » وفي مجمع البحرين : « وفلان يحترف لعياله اي يكتسب من هنا ومن هنا والحرفة بالكسر الاحتراف وهو الاكتساب بالصناعة وامتهنك بالزيادة والنقصان اي استعملك من قولهم امتهنه اذا استعمله وامتهنه استخدمه » . وفي القاموس : « وامتهنه استعمله للمهنة »

وقوله : (لا يقال سامحك الله وسامحته) وفي القاموس واقرب الموارد ومجمع البحرين : « المسامحة كالمسامحة وتسامحوا تساهلوا والتسامح التساهل . . . وسامحت فلاناً بذنبه بمعنى صفحت عنه » اه

وقوله : (لا يقال حكم عليه بالاعدام بمعنى الموت) وهو صادق . الا ان استعمالها بهذا المعنى من باب المجاز والتوسع او حذف المعنى اذ ورد في كتب اللغة : « واعدمته عدماً من باب تعب فقدته والاسم العدم ويتعدى بالهمزة فيقال لا اعدمني مقتله وعن ابي حاتم . . . عدمني الشيء واعدمني فقدني واعدمته فعدم مثل افقدته ففقد » وفي اقرب الموارد : « حكم عليه بالاعدام اي باعدام الحياة وهي لغة مألوفة مأنوسة كما يقال اعدم الله فلاناً ماله اي جعله فاقداً إياه . حذف الحيوة وتقديرها معنى جائز » اه

وقوله : (لا يقال أهرق الماء والدم والصحيح هرق) وفي القاموس ومجمع البحرين : « اهرقه يهرقه اهراقاً واهراقة . . . فهو مهريق وذلك مهراق صبه وأصله أراقه يريقه . . . وفي الحديث اهراق الاناء صب ما فيه . . . وان كانت ندوة (كذا) قذرة فاهرقه اي صبه » اه

وقوله : (لا يقال ابرده اي جعله بارداً والصحيح برده) وفي القاموس : « أبرده جاء به بارداً وله سقاه بارده » اه

وقوله : (لا يقال أجهد قريحته أو خياله وهي لغة رديئة) وفي كتب اللغة : « جهد دابته كاجهدها والطعام اشتهاه كاجهده واكثر من اكله » ولم يقولوا انها لغة رديئة

وقوله : (لا يقال عَنَيْتُ بالشيء وانا عان به والصحيح عُنيت بالشيء وانا معني به) وفي القاموس ومجمع البحرين : « عُني عناية وكرضي قليل فهو به عن . . . وعنيت بالامر من باب رمى اهتممت . ومنه عنيت بحاجتك فأنا عان بها » اه

وقوله : (لا يقال كُسِفت الشمس وخَسَفَ القمر) وفي المصباح ومجمع البحرين : « . . . ويقال انكسفت الشمس فبعضهم يجعله مطاوعاً وعليه حديث رواه ابو عبيدة وغيره . . . وانكسفت الشمس على عهد رسول الله . . . ورووا انهما (يعني الشمس

والقمر) آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده لا ينكسفان لموت أحد ولا لحيوته وعن ثعلب أجود الكلام خسف القمر وكسفت الشمس قال بعض الشارحين بفتح أوله على انه لازم ويجوز ضمه على انه متعد قال ومنعه بعضهم ولا دليل عليه » اه . فيظهر مما تقدم انه يجوز فيهما الضم كما جاز الفتح

وقوله : (لا يقال الشبع والصحيح الشبع) وفي مجمع البحرين : (الشبع بالفتح وكعنب ضد الجوع » اه

وقوله : (لا يقال استعرض الجيش أي أمرّه والصحيح عرض الجيش) وفي مجمع البحرين : « استعرضه أي قلت له اعرض عليّ ما عندك » اه

ولا يخفى ما المراد اليوم من كلمة استعراض الجيش اذ هي نفس المعنى المتقدم لان الغاية من استعراض الجيش هي ان يطلع قواده على ما فيه من عدة وعدد

كاظم الدجيلي (نزيل البصرة)
مدير مجلة لغة العرب في بغداد سابقاً

لم يأذن لي حضرة صاحب الهلال الا بمجال صغير للرد على هذا الانتقاد . وقد أصاب في نهيي عن الاسهاب لان امثال هذه المباحث لا تهم الا طائفة معينة من القراء . واني اشكر لحضرة المنتقد فرط اهتمامه بما كتبت ويقيني انه يغار على اللغة على قدر ما أغار أنا عليها . وانما هو يتجاوز عن بعض الضعف الى حد ينشط معه الكتاب الى استعمال ما يخلق بهم ان ينبذوه . وقد حاول حضرته أن ينبهني الى الفرق بين الصحيح والفصيح وهي منة أذكرها له بالشكر وان لم يكن ذلك الفرق خافياً عليّ . أما المفردات الواقع عليها الخلاف بيني وبينه فلا يؤيدها من كتب اللغة الا اشارات متقطعة يستدل من قرائنها على ضعف روايتها على الوجه الذي انتقدناه . وفي الواقع ان رواية أبي زيد وأبي عبيدة وابن يونس وغيرهم لبعض تلك الالفاظ هي حجة لنا لا علينا لان القوم ما عنّ لهم ان يجيزوا تلك الروايات الا لانهم رأوا جمهور اللغويين يتحاشونها وينكبون عن استعمالها . وليت شعري ما ضرنا لو استعملنا الصحيح الخالي من كل شائبة ونبذنا ما هو موضع الشك والخلاف . ولماذا لا نعدل عن أبرق وأهرق واستعرض مثلاً الى برق وهرق وعرض ؟

أما الاستشهاد باقرب الموارد فمسألة فيها نظر ولعل هذه أول مرة لجأ فيها الكتاب الى الاستشهاد بالكتاب المذكور وعلى كل فلحضرة المنتقد رأيه والسلام

سليم عبد الاحد

تصحيح خطأ

قد نبهنا صديقنا الشيخ كاظم الدجيلي نزيل البصرة الآن ومدير مجلة لغة العرب سابقاً الى تصحيح الاغلاط الآتية . فنشكر له غيرته . قال :

جاء في الجزء الثاني من هذه السنة صفحة ١٠٠ عند الكلام عن قبر زبيدة زوج الرشيد « تحج اليه النساء من كل حدب وصوب » وهذا خلاف الواقع

وقلتم في صفحة ١٠١ من الجزء المذكور في الكلام على اديبا : « . . . اذ استولى عليها امير زنجي خان سلطان الموصل » والصحيح الامير زنكي بال التعريف والكاف الفارسية لا بالجيم كما ذكرتم . واظنكم تعلمون ذلك وانما قلبتم الكاف الفارسية جيماً باعتبار انها تقوم مقامها كما هو جار عليه عامة المصريين . وقد فاتكم ان الجيم تنسبه الى الزنج والكاف الفارسية تنسبه الى اتابكة الفرس وتعرّفه انه الامير عماد الدين ابن آقسنقر الزنكي صاحب الموصل (والزنكي لقبه) ولا يخفى على اللبيب ما في النسبتين من البون والالتباس

وقلتم في صفحة ١٠٢ من الجزء المذكور في الكلام عن القُفَّة وسميتموها « الجوفة » والصحيح « القُفَّة » بضم القاف وتشديد الفاء المفتوحة تليها تاء مربوطة وهي من أصل عربي فصيح والعراقيون يلفظون قافها كافاً فارسية كما هي عادتهم غالباً

جمعية آداب اللغة العربية بلندن

جاءنا المنشور الآتي من اللجنة التحضيرية لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن ننشره بحرفه آملين ان يلاقي هذا المشروع من النجاح مايرجوه كل محب للغة العربية :

تتشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظركم الى منافع هذا العمل المسطورة بايجاز في أسفل هذا الكتاب آملةً من غيرتكم التعضيد المادي والادبي قدر جهدكم حتى اذا اجتمعت الاعانات الضامنة للنجاح منكم ومن امثالكم أبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكية الاسيوية » التي هي من اعظم الهيئات العلمية الباحثة في آداب الشرق . ولا يخفى على حضرتكم المظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في اكبر عواصم العالم

وقد لاحظنا أن للمعضدين ميولاً مختلفة ما بين عامل أدبي أو علمي أو وطني أو ديني ، فلعلكم مدفوعون بعامل او اكثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغة الفصيحة العربية ،

والسعي في نشرها بواسطة هذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائمها

هذا ولو أن الظروف الحاضرة الاستثنائيه ربما عُدَّت غير ملاءمة ، الا ان فلاح مثل هذا العمل كما تبين لنا بعد درسه يستدعي بذل مجهودات كثيرة تستغرق زمناً غير وجيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فحبذا لو ظفرنا بمؤازرتكم لنا ، فجلائل الاعمال انما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد

رئيس اللجنة التحضيرية	كاتم سر اللجنة
د . س . مرجليوث	احمد زكي ابو شادي

مقاصد الجمعية

(١) أن تخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية

(٢) أن تشجع تعلم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وأن تنمي في أعضاء الجمعية ملكة الترجمة من والى العربية وسواها من اللغات حباً في الفائدة العامة

(٣) أن تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيا العظمى والمستعربين بها ، وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع أقطارها وبين المستعربين في الممالك الاخرى لتبادل المنفعة الادبية

مطبوعات جديدة

﴿ La Syrie de demain أو سوريا غداً ﴾ صدر حديثاً في باريس هذا الكتاب النفيس لمؤلفه ندره بك مطران . ويتضح للمطلع عليه أن المؤلف رمى في تأليفه الى غرضين : غرض سياسي وغرض وصفي تاريخي . اما الاول فمداره علاقة فرنسا بسوريا في الماضي والحاضر والمستقبل . واما الثاني فيشمل تاريخ سوريا ووصف أهلها وحالتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والادبية . والمؤلف من السوريين القليلين الذين وقفوا على حقيقة الحال في سوريا وعرفوا ظواهر الحكومة التركية وبواطنها ولا عجب فقد اقام في الاستانة زمناً طويلاً تسنى له في اثنائه ان يختلط باولياء الامر وارباب الحل والعقد فجاء كتابه هذا حاوياً لفوائد جمة تشهد بسعة مداركه وبعد نظره . بل ان مقدرة المؤلف تتجلى في كل فصل من الفصول الخمسة والثلاثين التي يتألف منها الكتاب . وقد كان في ودنا الاتيان بمقتطفات منه أنموذجاً لما يحويه ، لولا ان ضيق هذا المدد يمنعنا من تحقيق رغبتنا وربما عدنا الى ذلك في عدد آت

والكتاب يقع في اكثر من ٤٥٠ صفحة مكتوبة بعبارة فرنسية نقية جيلة ومطبوعة طبعاً متقناً

﴿ حل العقدة ﴾ واسمه التام « حل العقدة بملخص الافادة في انتاج الاولاد حسب الارادة » لمؤلفه الدكتور ابراهيم يوسف عربيلي نزيل الولايات المتحدة ومنشئ جريدة « كوكب اميركا » المحتجبة الآن . وهو من اقدم المهاجرين السوريين وفي مقدمتهم علماً ومقاماً . اما هذا الكتاب فاسمه يدل على موضوعه — اى انتاج الاولاد حسب الارادة . الا ان فيه مباحث اخرى عن الزواج والحب ونصائح عن سلوك الشاب والزوج ونحو ذلك مما لا يستغنى عنه احد . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في اميركا ويقع في نحو مئتي صفحة بحجم الهلال

﴿ ديوان العقاد ﴾ نظم عباس افندي محمود العقاد . وقد صدره الناظم بكلمة وجيزة بيّن فيها مكانة الشعر في الحياة ومما جاء فيها قوله « الشعر يعمق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما في وسع الانسان ان يعيش وملات حقيبتك من اجود صنف من الوقت » والاشعار جيدة قالباً ومعنى وتظهر فيها روح عصرية راقية

﴿ سوانح الفراغ ﴾ وهي مثنيات في الحكمة والاخلاق نظم مرسي افندي شاكر الطنطاوي تقع في نحو ١٤٠ صفحة مطبوعة على ورق صقيل ومقسومة الى فصول في مواضيع مختلفة

﴿ تصحيح كتاب الاغاني ﴾ وهي تصحيحات وزيادات وتعليقات وتكميل للفهارس منقولة عن نسخة العالم الشنقيطي المحفوظة في دار الكتب السلطانية وقد عني بالطبع والتحقيق محمد افندي عبد الجواد الاصمعي . والتصحيح يشمل طبعتي بولاق والساسي . وثمنه ٦ غروش صاغ

﴿ العظات في محفوظات البنات ﴾ كتاب مفيد في جزئين صغيري الحجم بقلم علي افندي فكري امين دار الكتب السلطانية وفيه مختارات في افيد ما يجب ان يلقن للبنات من الحكم النثرية والشعرية والنصائح الغالية في العفاف وتربية البنات وتهذيبهن ووجوب تعليمهن وفضل التعليم وفوائد التدبير الى غير ذلك مما يسمو باداب الفتيات ويعلمهن واجباتهن . وليست هذه المجموعة باول ما طرق به فكري افندي هذا الموضوع الخطير بل هو صاحب كتاب آداب الفتاة وكتاب مسامرات البنات وعظة النساء وغيرها

من الكتب التهذيبية للبنين والبنات

﴿ الشعب ﴾ جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شعارها « الله والوطن والحقيقة » تصدر في نيويورك لمنشئها يوسف افندي مراد الخوري وهي تصدر مؤقتاً ثلاث مرات في الاسبوع في ثماني صفحات نظيفة الطبع حاوية لمواضيع وشذرات شتى تلذ وتفيد في آنٍ واحد قيمة اشتراكها ٥ ريالات في اميركا و٧ في الخارج

﴿ التصاوير ﴾ جريدة تصويرية راقية تصدر في باريس من ادارة جريدة المستقبل التي اتينا على ذكرها في عدد ماض . وهي قاصرة على رسم صور الحرب ولاسيما ما يحفل به الشرقيون . تصدر مرتين في الشهر في ثماني صفحات كبيرة متقنة الطبع والتصوير اشتراكها ٥ فرنكات في السنة

﴿ الثمرات ﴾ جريدة اسبوعية ادبية اقتصادية لصاحبها ومحررها حسن افندي السندوبي . قيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في السنة

﴿ تقرير عن اعمال مصلحة البوستة ﴾ صدر هذا التقرير عن سنة ١٩١٦ وثمنه ٣٠ مليماً

جميع هذه المطبوعات تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

فهرس الهلال

للجزء العاشر من السنة الرابعة والعشرين

صفحة